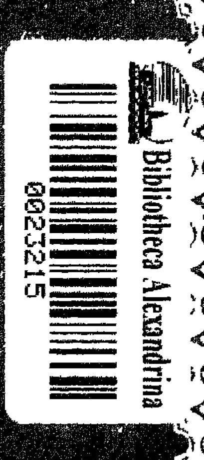
تاريخ الطبرى

تاريخ الرسل والملوك

الجزء الحادى عشر



دار المعارف







ذيول تاريخ الطبري



ذخائر العرب
٣٠

ذيول تاريخ الطبري

صلة تاريخ الطبري
لعريب بن سعد القرطبي

تكملة تاريخ الطبري
لمحمد بن عبد الملك الهمذاني

المنتخب من كتاب ذيل المذيل
لمحمد بن جرير الطبري

تحقيق
محمد أبو الفضل إبراهيم

الطبعة الثالثة



دار المعارف



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

ذكرت فى مقدّمة تاريخ الطبرى أنه وقع لهذا الكتاب كثير من الذيول والتكملات والمختصرات . ولعل أول من فعل شيئاً من ذلك هو الطبرى نفسه ، ذكر ذلك ياقوت فى معجم الأدباء والسخاوى فى كتاب الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، وذكر ياقوت أيضاً أن عبد الله بن أحمد الفرغانى عمل صلة له . وقال ابن النديم : وقد ألحق به – أى بتاريخ الطبرى – جماعة من حيث قطع إلى زماننا هذا . وذكر القفطىّ فى تاريخ الحكماء أن ممن أكملوا عليه أحمد بن طاهر وولده عبد الله ، ثم تلاهما ثابت بن سنان ، ثم هلال بن المحسن الصابى ، ثم تلاه ولده غرس النعمة محمد بن هلال ، ثم ابن الهمذانى ، ثم أبو الحسن الزاغونى ، ثم صدقة الحداد ، ثم أكمل عليه ابن الجوزى ثم ابن القادسى إلى سنة ٦١٦ .

وفى مكتبة « غوطا » بألمانيا كتاب ينسب إلى عريب بن سعد .

وفى مكتبة المتحف البريطانى كتاب يسمى المنتخب من ذيل المذيّل .

أما كتاب صلة تاريخ الطبرى ، فمنه كما ذكرنا نسخة وحيدة مخطوطة بمكتبة « غوطا » بألمانيا تحت رقم ١٥٥٤ ، تنقص بعض أوراق من البداية ، ومنها الورقة الأولى ، منسوخة بخط يحيى بن يوسف بن يحيى ، انتهى من نسخها فى شهر ربيع الآخر سنة ٦٢٧ ؛ تبدأ بحوادث سنة ٢٩١ وتنتهى بحوادث سنة ٣٢٠ ؛ ولكن لضياع الورقة الأولى ، وعليها اسم المؤلف ، وقع الشك حول اسم المؤلف ؛ إلى أن اطلع عليها دوزى المستشرق المعروف ، فرجّح أنها لعريب بن سعد ، ونقل منها ما يختص بأخبار إفريقية والأندلس ، وألحقه بكتاب البيان المغرب فى أخبار المغرب لابن عذارى الذى قام بتحقيقه ونشره . وباقية فى أخبار العراق . وقام المستشرق دى خويه بنشره بعنوان « صلة تاريخ الطبرى » ، وألحقه بتاريخ الطبرى ، الطبعة الأوربية ومن هذا الكتاب نسخة

مصورة على الميكروفلم فى معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية . وفى حواشى طبعة أوربا (حوادث سنة ٣٠٩) نقول كثيرة من كتب التاريخ والتراجم تشتمل على أخبار الحلاج وشعره وآراء العلماء فيه ، وقد أثبت ذلك فى حواشى هذه الطبعة .

وعريب بن سعد ترجم له ابن عبد الملك المراكشى فى كتاب الذيل والتكملة لكتابى الموصول والصلة ص ١٤١ — ١٤٣ ، قال : « عريب بن سعد ، قرطبى ، عداده فى الموالى من بيت يعرفون ببنى التركى . كان أديباً شاعراً مطبوعاً تاريخيًّا ، تام المعرفة بالأخبار ، ذا حظ من النحو واللغة ، طبيباً ماهراً شديد العناية بكتب الأطباء ، القدماء والمحدثين ، وله مصنفات منها تاريخه الذى اختصره من تاريخ أبى جعفر الطبرى ، وأضاف إليه أخبار إفريقية والأندلس ، وهو كتاب ممتع ، ومنها كتابه فى الأنواء ، ومنها كتابه فى خلق الإنسان وتدبير الأطفال ، ومنها كتابه فى عيون الأدوية » . ولم يذكر تاريخ وفاته ، إلا أنه قال : استعمله الناصر على كورة أشونة سنة ٣٣١ » .

وأما كتاب تكملة تاريخ الطبرى ، فهو نسخة تحتوى على الجزء الأول فقط ، تبدأ بحوادث سنة ٢٩٥ ، وتنتهى بحوادث سنة ٣٦٧ . وأصله مخطوط محفوظ بالمكتبة الأهلية بباريس ، ومنه أيضاً نسخة مصوّرة بالميكروفلم بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية . وقد سار المؤلف فى تأليفه على الطريقة الحولية كما فعل الطبرى فى التاريخ ، وابن الجوزى فى كتابه المنتظم وابن كثير فى البداية والنهاية . وأصل المؤلف لهذا الكتاب من أهل همذان ، وسكن بغداد وألف من الكتب عدا كتاب التكملة طبقات الفقهاء وأخبار الوزراء وتوفى سنة ٥٢١ . وقد سبق نشر هذه التكملة فى مجلة المشرق تباعاً سنة ١٩٥٨ م ، ثم فى المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٦١ م » .

وأما كتاب المنتخب من ذيل المذيّل فهو كتاب فى أخبار أزواج الرسول وبناته ووفياتهن ، وأخبار بعض الصحابة والتابعين ووفياتهم ، وفيه أيضاً بعض ما رووه من الأحاديث ، وبعض الأشعار المتعلقة بهم ، والمذيّل والذيل من تأليف أبى جعفر الطبرى وكلاهما مفقود ، وليس لهما ذكر فى فهرس ابن النديم ولا حاجى خليفة ، ولكن ذكرهما ياقوت فى كتابه ، وابن خير فى فهرسه والسخاوى فى كتاب الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ .

ويبدو أن المنتخب كتاب لأحد العلماء ، انتخبه من ذيل المذيّل وسار بين

الناس بهذا العنوان ، وأصله نسخة مخطوطة محفوظة بمكتبة المتحف البريطانى تحت رقم ٦١٨،كتبت –على ما يرجحه مفهرس مكتبة المتحف –فى آخر القرن العاشر بخط قديم خال من النقط إلَّا ما ندر منها . ومنه أيضاً نسخة مصورة على الميكروفلم بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية .

وقد قمت بتحقيق هذه الكتب الثلاثة وراجعتها على النسخ المصورة عنها ، وكذلك على المطبوع منها فى أوربا وبيروت كما راجعت كتب التاريخ ، كالكامل لابن الأثير والبداية والنهاية لابن كثير وتجارب الأمم لابن مسكويه والمنتظم لابن الجوزى ، ولكن يلاحظ أن هناك تكراراً فى بعض السنوات ؛ إلاَّ أن فيها جميعها قدراً وافراً من الأخبار الهامة ، والنصوص النادرة والأشعار الرائقة مما يجعل لهذه الذيول أهمية خاصة.

والحمد لله على ما يسر وأعان.

محمد أبو الفضل إبراهيم


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

صلة تاريخ الطبرى

لعريب بن سعد القرطبى



بسم الله الرحمن الرحيم

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين ومائتين

ذكر ما دار فى هذه السنة من أخبار بنى العباس

[ذكر أخبار القرامطة وقتل صاحب الشامة]

فيها كتب الوزير القاسم[1] بن عُبيد الله إلى محمد بن سليمان الكاتب – وكان المكتفى قد ولّاه حرب القرمطىّ صاحب الشامة ؛ وصيّر إليه أمر القواد والجيوش – فأمره بمناهضة صاحب الشّامة والجِدّ فى أمره . وجَمْع القوّاد والرجال على محاربته .

فسار إليه محمد بن سليمان بجميع مَنْ كان معه وأهل النواحى الّتى تليه من الأعراب وغيرهم حتى قَرُبوا من حَمَاة ، وصار بينهم وبينها نحو اثنى عشر ميلا ، فلقُوا أصحاب القرمطىّ هنالك يوم الثلاثاء لستٍّ خَلَوْن من المحَرّم.

وكان القرمطىّ قد قدّم بعض أصحابه فى ثلاثة آلاف فارس وكثير من الرجّالة فى مقدّمته ، وتخلّف هو فى جماعة منهم،ردءاً لهم ، وجعل السواد وراءه ، وكان معه مال جَمَعه ، فالتقى رجال السلطان بمن تقدّم من القرامطة لحربهم ، والتحم القتال بينهم ، وصبر الفريقان .

ثم انهزم أصحاب القرمطىّ ، وأُسِر من رجالهم بَشَرٌ كثير ، وقُتِل منهم عدد عظيم ، وتفرّق الباقون فى البوادى ، وتبعهم أصحاب السلطان ليلة الأربعاء يقتلونهم ويأسرونهم .

فلمّا رأى القرمطىّ مانزل بأصحابه من الانهزام والتفرّق والقتل والأسر حمَّل أخاً له يقال له أبو الفضل مالاً ، وتقدّم إليه أن يلحق بالبوادى ويستتر بها ؛ إلى أن يظهر القرمطىّ بموضع ، فيصير إليه أخوه بالمال ، وركب هو وابن عمه المسمّى بالمدّثر ، وصاحبه المعروف بالمطوّق ، وغلام له رومىٌّ . وأخذ دليلا وسار يريد الكوفة عرضا فى

(١) القاسم بن عبيد الله وزير المكتفى ومن قبله كان وزيراً للمعتضد .

البريّة حتى انتهى إلى موضع يعرف بالداليّة من أعمال طريق الفرات، فنفد ماكان معهم من الزاد والعلَف، فوجّه بعض مَنْ كان معه ليأخذ لهم مااحتاجوا إليه فدخل الداليّة لشراء حاجتِه ، فأُنكِر زيّه[١] ، وسئل عن أمره فاستراب وارتاب ، وأُعلِم المتولى لمسلحة تلك الناحية بخبره ، وكان على المعاون رجل يعرف بأبى خليفة بن كُشْمُرْد[٢] فركب فى جماعة ، وسأل هذا الرجل عن خبرِه ، فأعلمه أن صاحب الشامة بالقرب منه ، فى ثلاثة نفر ، وعرّفه بمكانه .

فمضى صاحب المعاون إليهم وأخذهم ووجّه بهم إلى المكتفى وهو بالرَّقة ، ورجعت الجيوش من طلب القرامطة ، بعد أن أفنَوْا أكثرهم قتلا وأسراً . وكتب محمد بن سليمان الكاتب إلى الوزير القاسم بن عبيد الله بمحاربته للقرامطة ، وما فتح الله له عليهم ، وقتْله وأسره لأكثرهم ، وأنه تقدم فى جمع الرءوس وهو باعث منها بعدد عظيم .

وفى يوم الاثنين لأربع بَقِين من المحرم أدخِل صاحب الشامة إلى الرّقة ظاهراً للناس على فالج[٣] ، وعليه برنس جرير ، ودرّاعة ديباج ، وبين يديه المدّثر والمطوّق على جملين .

ثم إنّ المكتفى خلّف عساكره مع محمد بن سليمان ، وشخص هو فى خاصته وغلمانه وحدمه ، وشخص معه القاسم بن عبيد الله الوزير من الرَّقة إلى بغداد ، وحمل معه القرمطىّ والمدّثر والمطوق وجماعة ممّن أسِر فى الوقعة. وذلك فى أول صفر ؛ فلما صار إلى بغداد عزم على أن يُدخل القرمطىّ مدينة السلام مصلوباً على دَقَل والدَّقَل[٤] على ظهر فيل ، فأمر بهدم طاقات الأبواب التى يجتاز بها الفيل بالدَّقَل . ثم استسمج ذلك ، فعمل له دميانة، غلام يازمان كرسيًّا ، وركّبه على ظهر الفيل ، فى ارتفاع ذراعين ونصف ، وأقعَد فيه القرمطىّ صاحب الشامة ، ودخل المكتفى مدينة السلام ، صبيحة يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول . وقد قدّم بين يديه الأسرى مقيَّدين على جمال عليهم دراريع الحرير وبرانس الحرير، والمطوّق وسطهم ، وهو غلام مانبتت لحيته بعدُ ، قد جُعل فى فيه خشبة مخروطة وأُلجم بها فى فمه كهيئة اللّجام . ثم شُدّت

---

(١) ابن الأثير : « فأنكروا رأيه » ، وفى الطبرى : « فأنكروا زيه » .

(٢) فى تاريخ الطبرى : « يعرف بأبى خبرة خليفة أحمد بن محمد بن كشمرج » وكذلك فى ابن الأثير .

(٣) الفالج . الجمل الضخم ذو السنامين .

(٤) الدقل فى الأصل : خشبة طويلة تشدّ فى وسط السفينة يحمل عليها الشراع .

إلى قفاه ؛ وذلك أنه لما دخل الرّقة كان يشتُم الناس إذا دعوا عليه ، ويبزُق فى وجوههم ، فجعل له هذا لئلا يتكلّم ولا يشتُم .

ثم أمر المكتفى ببناء دَكّة فى المصلّى العتيق بالجانب الشرقى فى ارتفاعها عشرة أذرُع لقتل القرامطة ، وكان خلّف المكتفى وراءه محمد بن سليمان الكاتب بجملة من قوّاد القرامطة وقضاتهم ووجوههم . فقُيِّد جميعهم ، ودخلوا بغداد بين يديه يوم الخميس لاثنتى عشرة ليلة خلتْ من ربيع الأول . وقد أمر القواد بتلقّية والدخول معه . فدخل فى أتم ترتيب حتى إذا صار بالثريا نزل بها وخُلع عليه ، وطُوّق بطوق من ذهب ، وسُوِّر بسوارين من ذهب ، وخلع على جميع القواد القادمين معه وطُوِّقوا وسُوِّروا . ثم صرفوا إلى منازلهم وأُمر بالأسرى إلى السجن .

وذُكِر عن صاحب الشامة أنه أخَذ وهو فى حبس المكتفى سكرّجة[١] من المائدة التى كانت تدخل عليه وكسرها وأخذ شظيّة منها، فقطع بها بعض عروقه وخرج منه دم كثير ؛ حتى شُدّت يده ، وقطع دمه ، وترِك أياماً حتى رجعت إليه قوّته .

ولما كان يوم الاثنين لسبع بقين من ربيع الأول ، أمر المكتفى القواد والغلمان بحضور الدّكة فى المصلّى العتيق ، وخرج من الناس خلق كثير ، وحضر الواثقى وهو يلى الشُّرْطة بمدينة السلام ومحمد بن سليمان كاتب الجيش ، فقعدوا على الدّكّة فى موضع هُيئ لهم ، وحُمل الأسرى الذين جاء بهم المكتفى ، والذين جاء بهم محمد بن سليمان ومَنْ كان فى السجن من القرامطة ، وقوم من أهل بغداد ذكر أنهم على مذاهبهم ، وقوم من سائر البلدان من غير القرامطة حبِسوا لجنايات مختلفة فأُحضر جميعهم الدكّة ووكّل بكل رجل منهم عونان ؛ وقيل إنهم كانوا فى نحو ثلثمائة وستين . ثم أُحْضِر صاحب الشامة والمدثّر والمطوّق ، وأقعدوا فى الدّكة وقدم أربعة وثلاثون رجلا من القرامطة فقطِعت أيديهم وأرجلهم ، وضُرِبت أعناقهم واحداً بعد واحد . وكانتْ تُرمَى رءوسهم وجثثهم وأيديهم وأرجلهم كلّ ماقطع منها إلى أسفل الدكة . فلما فُرِغ من قتل هؤلاء قدِّم المدّثر فقطِعت يداه ورجلاه ، وضُرِبت عنقه ، ثم المطوّق . ثم قدّم صاحب الشامة فقطعت يداه ورجلاه وأضرمت نار عظيمة ، وأدخل فيها خشب صَليب ، وكانت توضع الخشبة الموقدة فى خواصره وبطنه ، وهو يفتح

(١) السكرجة : إناء صغير يؤكل فيه الشيء القليل من الأدم ؛ وأكثر ما يوضع فيه الكوامخ

عينيه ويغمضهما ، حتى خُشِى عليه أن يموت ، فضُرِبت عنقه ورُفع رأسه فى خشبة وكبّر مَنْ كان على الدكة وكبَّر سائر الناس فى أسفلها ، ثم ضربت أعناق باقى الأسرى وانصرف القواد ومن حضر ذلك الموضع وقت العشاء. فلما كان بالغد حُملت الرءوس إلى الجسر، وصُلِب بدن القرمطى فى الجسر الأعلى ببغداد ، وحفرت لأبدان القتلى آبار إلى جانب الدكة ، فطرحوا فيها . ثم أُمر بعد ذلك بأيام بهدْم الدكّة ففعل ذلك .

واستأمن على يدى القاسم بن سيما رجلٌ من القرامطة ، يسمّى إسماعيل ابن النعمان ، ويكنّى أبا محمد ، لم يكن بقى منهم بنواحى الشأم غيرُه وغير من انضوى إليه ، وكان هذا الرجل من موالى بنى العُلَيص[1] ، فرغب فى الدخول فى الطاعة ، خوفاً على نفسه ، فأومِنَ هو ومَنْ معه ، وهم نيّف وستُّون رجلا ، ووصلوا إلى بغداد . وأُجريت لهم الأرزاق ، وأُحسن إليهم . ثم صرفوا مع القاسم بن سيما إلى عمله[2]، وأقاموا معه مدّة فهمّوا بالغدر به فوضع السيف فيهم ، وأباد جميعهم .

وفى آخر جمادى الأولى من هذه السنة ورد كتاب من ناحية جُبّى بأنّ سيلاً أتاها من الجبل ، غرق فيه نحو من ثلاثين فرسخاً وذهب فيه خَلْق كثير ، وخربت به المنازل والقرى ، وهلكت المواشى والغلّات ، وأخرِجَ من الغرقى ألف ومائتان سوى مَنْ لم يوجد منهم .

وفى يوم الأحدِ غرة رجب ، خلع المكتفى على محمد بن سليمان كاتب الجيش وعلى وُجوه القواد ، وأمرهم بالسمع والطاعة لمحمد بن سليمان، وبرز محمد إلى مضربه بباب الشّماسيّة وعسكر هنالك ، ثم خرج بالجيوش إلى جانب دمشق ، لقبض الأعمال من هارون بن خمارويه إذ تبين ضعفه ، وذهب رجاله فى حرب القرامطة ، ورحل محمد بن سليمان فى زُهاء عشرة آلاف ؛ وذلك لستٍّ خلون مِنْ رجب ، وأمرَ بالجِدّ فى المسير .

ولثلاث بقين من رجب قُرِئ على الناس كتاب لإسماعيل بن أحمد بأن الترك قصدوا المسلمين فى جيش عظيم ، وأن فى عسكرهم سبعمائة قبة تركية لرؤساء منهم خاصة ، فنودى فى الناس بالنفير وخرج مع صاحب العسكر خَلْق كثير فوافى

---

(١) ابن الأثير : « من بنى العليص » .

(٢) فى ابن الأثير : « وصاروا إلى رحبة مالك بن طوق مع القاسم بن سيما ، وهى من عمله » .

التركَ غارّين ، فكبسوهم ليلا ، وقُتل منهم خلق كثير ، وانهزم الباقون ، وأُسْتبيح عسكرهم وانصرف المسلمون سالمين غانمين .

وورد أيضاً الخبر من الثّغور ، بأنّ صَاحب الروم وجّه إليها عسكراً فيه عشرة صلبان(١) ومائة ألف رجل ، فأغاروا وكبسوا وأحرقوا.ثم ورد كتاب أبى معدّ بأن الأخبار اتصلت من طَرَسوس بأن غلام(٢) زرافة خرج إلى مدينة أنطالية(٣) على ساحل البحر ، فافتتحها عُنوة ، وقتل بها خمسة آلاف رجل من الروم ، وأسِرَ نحو هذه العدة منهم ، واستنقذ من أسارى المسلمين أربعة آلاف إنسان،ووجد للروم ستين مركباً فغرّقها وأخذ ما كان فيها من الذهب والفضة والمتاع والآنية وأن كل رجل حضر هذه الغزاة أصاب فى فَيْئه(٤) ألف دينار . فاستبشر المسلمون بذلك .

وحج بالناس فى هذه السنة الفضل بن عبد الملك بن عبد الله بن العباس بن محمد .

---

(١) الصليب : ما يتخذه النصارى قبلة .

(٢) ابن الأثير : سار إليها المعروف بغلام زرافة .

(٣) أُنطالية ، باللام : بلد من سواحل بحر الشام ، وهى آخر أعمال دمشق من البلاد الساحلية . ياقوت.

(٤) الفئ : الغنيمة .

ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين ومائتين

ذكر ما دار فى هذه السنة من أخبار بنى العباس

ففيها وجّه صاحب البصرة إلى السلطان رجلاً ذكر أنه أراد الخروج عليه ، وصار إلى واسط مخالفاً بها ، فأَقصد إليه مَنْ يقبض عليه وعلى قوم ذكروا أنهم بايعوه ، ووجّه بهم إلى بغداد ، فحُمل هذا الرجل على فالج [١] ، وبين يديه ابن له صبىٌّ على جمل ، ومعه سبعة وثلاثون رجلاً ، على جِمالٍ عليهم برانس الحرير ، وأكثرهم يستغيث ويبكى ، ويحلف أنه برىء فأمر المكتفى بحبسهم

وفى هذه السنة أغارت الروم على مرعش ونواحيها ، فنفر أهل المصّيصة وطَرسوس ، وأصيبت جماعة من المسلمين فيهم أبو الرّجال بن أبى بكار .

وفيها انتهى محمد بن سليمان الكاتب إلى أحواز مصر لحرب هارون [٢] ، ووجه إليه المكتفى فى البحر [٣] دميانة ، وأمره بدخول النيل ، وقطع المواد عمّن بمصر من الجند ، فمضى وقطع عن أهل مصر الميرة ، وزحف إليهم محمد بن سليمان على الظهر ؛ حتى دنا من الفُسطاط ، وكاتب القواد الذين بها ، فخرج إليه بدر الحمامى ، وكان رئيس القوم ، ثم تتابع قواد مصر بالخروج إليه ، والاستئمان له . ،فلما رأى ذلك هارون وَمَنْ بقى معه خرجوا محاربين لمحمد بن سليمان ، وكانت بينهم وقَعات .

ثم إنها وقعت بين أصحاب هارون فى بعض الأيام عصبية اقتتلوا فيها ،فخرج إليهم هارون ليسكّنهم ، فرماه بعضُ المغاربة بسهم فقتله . وبلغ محمد بن سليمان الخبر ، فدخل هو ومَنْ معه الفسطاط ، واحتَووا على دور آل طولون وأموالهم ، وتقبّض على جميعهم ، وهم بضعة عشر رجلاً ، فقيّدهم وحبسهم ، واستصفى أموالهم ، وكتب بالفتح إلى المكتفى ، وكانت هذه الوقيعة فى صَفَر ، وكتب إلى محمد بن سليمان فى

---

(١) الفالج : الجمل الضخم ذو السنامين .

(٢) الطبرى : « هارون بن خمارويه » .

(٣) دميانة : علام يازمان ، وفى ابن الأثير : « غلام يازمان » .

إشخاص آل طولون إلى بَغْداد ، وألاّ يُبقى منهم أحداً بمصر ولا الشام ، ففعل ذلك .

ولثلاث خَلَوْن من ربيع الأول ، سقط الحائط من الجسر الأوّل على جثة القرمطيّ وهو مصلوب ، فطحنه ولم يبقَ منه شيء .

وفى شهر رمضان ورد الخبر على السلطان بأن قائداً من القواد المصريين يُعرف بالخليجيّ ، ويسمى بإبراهيم تخلّف عن محمد بن سليمان فى آخر حدود مصر ، مع جماعة استمالهم من الجند وغيرهم ، ومضى إلى مصر مخالفاً للسلطان ، وكان معه فى طريقه جماعة أحبّوا الفتنة حتى كثر جمعه ، فلما صار إلى مصر أراد عيسى النّوشريّ محاربتَه ، فعجز عن ذلك لكثرة مَنْ كان مع ابن الخليجيّ ، فانحاز عنه إلى الإسكندرية ، وأُخلِيَ مصر ، فدخلها الخليجيّ .

وفيها ندب السلطان لمحاربة الخليجيّ وإصلاح أمر المغرب فاتكاً مولى المعتضد ، وضمّ إليه بدراً الحمّامى ، وجعله مشيراً عليه فيما يعمل به ؛ وندب معه جماعة من القوّاد وجنداً كثيراً ، وخلع على فاتك وعلى بدر الحمامى لسبع خَلَون من شوال ، وأُمرا بسرعة الخروج وتعجيل السير فخرجا لاثنتى عشرة ليلة خلت من شوال .

وللنصف من شوال دخل رستم مدينة طَرسوس والياً عليها وعلى الثغور الشامية .

وفيها كان الفداء بين المسلمين والروم لست بقين من ذى القعدة ، ففودى من المسلمين ألف ومائتا نفس ، ثم غدر الروم ، وانصرفوا ، ورجع المسلمون بمَنْ فى أيديهم من أسارى الروم .

وحج بالناس فى هذه السنة الفضل بن عبدالملك بن عبدالله بن العباس بن محمد .

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين ومائتين

ذكر ما دار فى هذه السنة من أخبار بنى العباس

ففيها ورد الخبر بأنّ الخليجىَّ المتغلّب على مصر واقَع أحمد بن كيغلغ وجماعة من القوّاد بالقرب من العريش ، فهزمهم الخليجى ، أقبح هزيمة ، فندب السلطان للخروج إليه جماعة من القواد المقيمين بمدينة السلام فيهم إبراهيم بن كيغلغ وغيره .

وفى شهر ربيع الأول من هذه السنة ورد الخبر بأن أخاً للحسين بن زكرويه ، ظهر بالدالية من طريق الفُرات فى نفر من أصحابه ، ثم اجتمع إليه جماعة من الأعراب والمتلصّصة فساربهم نحو دمشق ، فى جمادى الأولى وحارب أهلها ، فندب السلطان للخروج إليه الحسين بن حمدان بن حمدون ، فى جمع كثير من الجند . ثم ورد الخبر بأنّ هذا القرمطىّ سار إلى طَبَريّة ، فامتنع أهلها من إدخاله ، فحاربهم حتى دخلها فقتل عامة مَنْ بها من الرجال والنساء ، ونهبها وانصرف إلى ناحية البادية .

وذكر من حضر مجلس محمد بن داود بن الجراح ، وقد أدخِل إليه قوم من القرامطة بعد قتل الحسين بن زكرويه المصلُوب بجسر بغداد فقال الرجل : كانزكرويه أبوحسين المقتول مختفياً عندى فى منزلى ، وقد أُعِدَّ له سرداب تحت الأرض ، عليه باب حديد ، وكان لنا تنّور ؛ فإذا جاءنا الطلب ، وضعنا التنور على باب السرداب ، وقامت امرأة تسخّنه . فمكث زكرويه كذلك أربع سنين ، فى أيام المعتضد ، ثم انتقل من منزلى إلى دار قد جعل فيها بيت وراء باب الدار ؛ فإذا فتح الباب انطبق على باب البيت ، فيدخل الداخل ، فلا يرى باب البيت الّذى هو فيه ، فلم تزل هذه حالُه حتى مات المعتضد ؛ فحينئذ أنفذ الدعاة ، واستهوى طوائف من أهل البادية ، وصار أهل قرية صَوْءر يُتفِلونه على أيديهم ، ويسجدون له . واعترف لزكرويه جميعُ مَنْ رسخ حُبّ الكفر فى قلبه من عربىّ ومولًى ونَبطَىّ وغيرهم ، بأنه رئيسُهم وكهفهم وملاذُهم ؛ وسمَّوْه السيد والمولَى ، وساروا به وهو محجوب عن أهل عسكره،والقاسم يتولى الأمور دونه ، يمضيها على رأيه .

وذكر محمد بن داود أن زكرويه بن مهرويه هذا أقام رجلاً كان يعلّم الصبيان بقرية تدعى زابُوقة ، من عمل الفَلّوجة يُسمَّى عبد الله بن سعيد ، ويكنى أبا غانم ، فتسمّى بنصر ليعمى آمره ، ويخفى خبرُه ، فاستهوى طوائف من الأصبغيين والعُلَيصين وصعاليكَ من بطون كلب ، وقصدَبهم ناحية الشأم ، وكان عامل السلطان على دمشق والأردنّ أحمد بن كيغلغ ، وكان مقيماً بمصر على حرب الخليجىّ ، فاغتنم ذلك عبد الله ابن سعيد المتسمَّى بنصر . وسار إلى مدينة بُصْرى ، فحارب أهلها ، ثم آمنهم .فلما استسلموا له قتل مقاتلتَهم وسبىَ ذراريَّهم ، واستاق أموالَهم ؛ ثم نهض إلى دمشق ، فخرج إليه مَنْ كان بقى بها مع صالح بن الفضل خليفة أحمد بن كيغلغ فقتل صالحاً ، وفضّ عسكره ولم يطمع فى مدينة دمشق إذ دافعهم أهلها عنها.ثم قصد القرمطىّ ومَنْ معه مدينة طبريّة ، فقتلوا طائفة من أهلها ، وسبوُا النساء والذّرية بها،فحينئذ أنفذ السلطان لمحاربتهم الحسين بن حمدان فى جماعة من القوّاد والرجال ، فوردوا دمشق ، وقد دخل القرامطة طبرية . فلما اتصل بهم خروجُ القوّاد إليهم ، عطفوا نحو السّماوة ، وتبعهم الحسين بن حمدان وهم ينتقلون من ماء إلى ماء ويعوّرون[1] ماوراءهم من المياه. فانقطع الحسين عن اتّباعهم لما عُدم الماء ، وعاد إلى الرَّحْبة ، وقصدت القرامطة إلى هِيت ، فصبَّحوها ولم يصلُوا إلى المدينة لحصانة سورها لسبع بقين من شعبان ، مع طلوع الشمس ، فنهبوا رَبَضها ، وقتلوا مَنْ قدروا عليه من أهلها ، وأُحرقت المنازل وأُنهبَت السفن التى فى الفرات ، وقُتِل من أهل البلد نحو مائتى نفس ، وأوْقَرُوا ثلاثة آلاف بعير بالأمتعة والحنطة ثم رحلوا إلى البادية .

ثم شخص بأثرهم محمد بن كنداج إليهم ؛ فلما كان بقُرْبة منهم ، هربوا منه وعوَّروا المياه بينهم وبينه ، فأنفذت إليه الإبل والروايا والزاد ، وكتبَ إلى الحُسين بن حمدان بالنفوذ إليهم من جهة الرّحبة ، والاجتماع مع محمد بن كنداج على الإيقاع بهم .

فلما أحس الكلبيُّون الذين كانوا مع عبد الله بن سعيد القرمطىّ المتسمّى بنصر ، وثبوا عل- ، وقتلوه ، وتقرَّبوا برأسه إلى محمد بن كنداج ؛ واقتتلت القرامطة حتى وقعت بينهما الدماء .

ثم أنفذ زكرويه داعيةً له يسمّى القاسم بن أحمد ، إلى أكرَة السواد ، فاستهواهم

(١) يعوّرون ما وراءهم ، أى يفسدون الركايا حتى ينضب ماءها

ووعدهم بأن ظهوره قد حضر ، وأنه قد بايع له بالكوفة نحو أربعين ألف رجل وفى سوادها أربعمائة ألف رجل ، وأن يوم موعدهم الذى ذكره الله يومُ الزينة وأن يُحْشَر الناس ضُحى . وأمرهم بالمسير إلى الكوفة ليفتتِحوها فى غداة يوم النَّحر ، وهو يوم الخميس . فإنهم لا يمنعون منها فتوجّه القاسم بن أحمد بأهل السواد ومَنْ يجتمع إليه من الصعاليك،حتى وافوْا باب الكوفة فى ثمانمائة فارس ، عليهم الدروع والجواشن[1] والآلة الحسنة ، ومعهم جماعة من الرجّالة على الرواحل ، وقد انصرف الناس عن مصلاّهم ، فأوقعوا بمن لحقوه من العوام ، وقتلوا منهم زُهاء عشرين نفساً .

وخرج إليهم إسحاق بن عمران عامل الكوفة ومَنْ كان معه من الجند فصافّوا القرامطة الحرب إلى وقت العصر ، وكان شعار القرامطة : يا أحمد يا محمد ، وهم يدعون : يالثارات الحسين ! يعنون المصلوب بجسر بغداد ، وأظهروا الأعلام البيض ، وضربوا على القاسم بن أحمد قُبة ، وقالوا : هذا ابنُ رسول الله،فاقتتلوا قتالاً شديداً . ثم انهزمت القرامطة نحو القادسية ، وأصلح أهل الكوفة سورَهم وخندقهم ، وحرسوا مدينتهم .

وكتب إسحاق بن عمران إلى السلطان يستمدّه ، فندب إليه جماعة فيهم طاهر بن علىّ بن وزير ووصيف بن صوارتكين والفضل بن موسى بن بغا وبشر الخادم وجنىّ الصفوانى ورائق الخزَرى ، وضم إليهم جماعة من غلمان الحُجَر ، وأمر القاسم بن سيما ومَن ضمّ إليه من رؤساء البوادى بديار ربيعة وطريق الفرات وغيرهم بالنهوض إلى القرامطة ، إذ كان أصحاب السلطان متفرّقين فى نواحى الشأم ومصر ، فنفذت الكتب بذلك إليهم .

وفى يوم الجمعة لاثنتى عشرة ليلة خلَتْ من رجب ، قرئ على المنبر ببغداد كتاب بأنّ أهل صنعاء وسائر أهل اليمن اجتمعوا على الخارجىّ وحاربوه وفلُّوا جموعَه ، فانحاز إلى بعض النواحى باليمن،فَخلع السلطان على مظفّر بن حاجّ ، وعقد له على اليمن . وخرج إليها لخمس خلَوْن من ذى القعدة ، فأقام بها حتى مات.ولتسع بقين من رجب أخرجت مضارب المكتفى إلى باب الشماسية ، فضربت هنالك ليخرج إلى الشأم ، ويحاصر ابن الخليجىّ،فورد كتاب من قِبَل فاتك القائد وأصحابه ، يذكرون

---

(١) الجواشن : جمع جوشن ، وهو الدرع

محار تبهم له وظفرهم به ، وأنهم موجّهون له إلى مدينة السلام ، فرُدّت مضارب المكتفى ، وصرفت خزائنه ، وقد كانت جاوزت تكريت ، ثم أدخل مدينة السلام للنصف من شهر رمضان ابن الخليجىّ وأحد وعشرون رجلاً معه على جمال ، وعليهم برانس ودراريع حرير ، فحبِسوا ثم خلع المكتفى على وزيره العباس بن الحسن خلعاً لحسن تدبيره فى أمر هذا الفتح .

ثم لخمس خَلَوْن من شوال ، أدخِل بغداد رأسُ القرمطىّ المتسمى بنصر الذى انتهب مدينة هِيت منصوباً فى قناة

ولسبع خَلَوْن من شوال ورد الخبر مدينة السلام ، بأن الروم أغاروا على قورس وقتلوا مقاتلَتهم ، ودخلوا المدينة ، وأخربوا مسجَدها ، وسبَوْا مَنْ بقِىَ فيها ، وقتلوا رؤساء بنى تميم المنضوِين إليها

وحجّ بالناس فى هذه السنة الفضل بن عبد الملك الهاشمى .

ثم دخلت سنة أربع وتسعين ومائتين

ذكر ما دار فى هذه السنة من أخبار بنى العباس

ففيها دخل ابن كيغلغ طرسوس غازياً فى أول المحرم ، وخرج معه رستم ،وهى غزاة رستم الثانية ، فبلغوا حصن سلندو،وافتتحوه وقتلوا من الروم مقتلة عظيمة ، وأسروا وسَبَوْا نحواً من خمسة آلاف رأس ، وانصرفوا سالمين .

ولإحدى عشرة ليلة خلتْ من المحرم ، ورد الخبر بأنّ زكرويه القرمطىّ ،ارتحل من نهر المثنية يريد الحاجّ وأنه وافى موضعاً بينه وبين بعض مراحلهم أربعة أميال .

وذكر محمد بن داود أنهم مضوْا فى جهة المشرق ؛ حتى صاروا بماء سليم ، وصار مابينهم وبين السواد مفازة ، فأقام بموضعه ينتظر قافلة الحاجّ حتى وافتْه لسبع خلَوْن من المحرم ، فأندرهم أهل المنزل بارتصاد القرامطة لهم ، وانّ بينهم وبين موضعهم أربعة أميال . فارتحلوا ولم يقيموا ، وكان فى هذه القافلة ابن موسى وسيما الإبراهيمىّ فلمّا أمعنت القافلة فى السير ، صار القرمطىّ إلى الموضع الذى انتقلت عنه القافلة . وسأل أهلَ القيروان[1] عنها فأخبروه أنها نتقلت ولم تُقِم ، فأتهمهم بإنذار القافلة وقتل من العلّافين بها جماعة ، وأحرق العلف . ثم ارتصد أيضاً زكرويه قافلة خُراسان ، فأوقع بأهلها وجعل أصحابه ينخسون الجمال بالرّماح ، ويبعَجُونها بالسيوف ، فنفرت واختلطت القافلة ، وأكبّ أصحاب زكرويه على الحاجّ ، فقتلوهم كيف شاءوا،وسبوا النساء ، واحتووا على مافى القافلة .

ثم وافى عليهم أهل القافلة الثانية ، وفيها المبارك القمّىّ وأحمد بن نصر العقيلىّ وأحمد ابن على بن الحسين الهمَذانى ، وقد كان رحل القرامطة عن محلّتهم ، وعوّروا مياهها وملأوا بركها بجيف الإبل والدوابّ التى كانت معهم ، وانتقلوا إلى منزل العقبة فوافاهم بها أهلُ القافلة الثانية ، ودارت بينهم حرب شديدة ، حتى أشرفَ أهلُ القافلة على الظفر بالقرامطة ، وكشفوهم . ثم إنّ الفجرة تمكنوا فى ساقتهم من غرّة ، فركبوها ووضعوا

(١) القيروان : القافلة .

رماحهم فى جنوب إبلهم وبطونها، فطرحتهم الإبل وتمكنوا منهم ، فقتلوهم عن آخرهم إلا من استفدوه . وسبوا النساء واكتسحوا الأموال والأمتعة،وقُتل المبارك القمى والمظفر ابنه . وقتِل أبو العشائر ، ثم قُطعت يداه ورجلاه ثم ضُربت عنقُه ، وأفلَت من الجرحى قوم وقعوا بين القتلى ، فتحاملوا فى الليل ومضوا . فمنهم مَن مات فى الطريق ، ومنهم مَنْ نجا . وهم قليل . وكان نساء القرامطة وصبيانهم يطرفون بين القتلى ويعرضون عليهم الماء،فمن كان فيه رَمق،أو طلب الماء أجهزُوا عليه.وقيل إنه كان فى القافلة من الحاجّ نحو عشرين ألف رجل فقتل جميعهم غير نفر يسير . وذكر أن الذى أخذوا من المال والأمتعة فى هذه القافلة قيمة ألفى ألف دينار ، وورد الخبر على السلطان بمدينة السلام ، عشيّة يوم الجمعة لأربع عشر ليلة بقيت من المحرم بما كان من فعل القرامطة بالحاجّ ، فعظم ذلك عليه ، وعلى الناس ، وندب السلطان محمد ابن داود بن الجراح الوزير للخروج إلى الكوفة ، والمقام بها ، وإنفاذ الجيوش إلى القرمطىّ ، فخرج من بغداد لإحدى عشرة ليلة بقيت من المحرم . وحمل معه أموالاً كثيرة لإعطاء الجند . ثم صار زكويه إلى زُبالة فهوَّلها وبثّ الطلائع أمامه ووراءه خوفاً من أصحاب السلطان وارتصاداً لورود القافلة الأخرى التى كانت فيها الأثقال وأموال التجار وجوهر نفيس للسلطان،وبها من القواد نفيس المولّدى وصالح الأسود ، ومعه الشمسة والخزانة ، وكان المعتضد قد جَعَل فى الشمسة جوهراً نفيساً ، ومعهم أيضاً إبراهيم بن أبى الأشعث ، قاضى مكة والمدينة ، وميمون بن إبراهيم الكاتب والفُرات بن أحمد بن الفرات والحسن بن إسماعيل وعلىّ بن العباس النَّهيكىّ . فلمّا صارت هذه القافلة بفيْد ، بلغهم خَبرُ القرامطة فأقاموا أياماً ينتظرون القوة من قبَل السلطان ، وأقبل القرامطة إلى موضع يعرف بالخليج ، فلقوا القافلة ، وحاربوا أهلها ثلاثة أيام . ثم عطش أهل القافلة وكانوا على غير ماء ، فلم يتمكّنوا منها . فاستسلموا ، فوضع القرامطة فيهم السيف ، ولم يفلتْ منهم إلا اليسير،وأخذ القرامطة جميعَ مافى القافلة ، وسبَوا النساء ، واكتسحوا الأموال.ثم توجه زكرويه بمن معه إلى فيد،وبها عامل السلطان فتحصّن منه،وجعل زكرويه يراسل أهلَ فَيْد بأن يسلّموا إليه عاملهم فلم يجيبوه إلى ذلك ثم تنقل إلى النِّباج . ثم إلى حُفير أبى موسى الأشعرى .

* * *

وفى أول شهر ربيع الأول أنهض المكتفى وصيف بن سوارتكين ومعه جماعة من القوّاد إلى القرامطة فنفذوا من القادسيّة على طريق خَفّان ، والتقى وصيف بالقرامطة ، يوم السّبت لثمان بقين من ربيع الأول ، فاقتتلوا يومهم ذلك ؛ حتى حجز بينهم المساء ، ثم عاودهم الحرب فى اليوم الثانى ، فظفر جيش السلطان بالقرامطة ، وقتلوا منهم مقتلةً عظيمة ، وخلصوا إلى زكرويه ، فضربه بعضُ الجند ضربةً بالسيف ، اتّصلت بدِماغه ، وأُخذ أسيراً ، وأُخذ معه ابنه وزوجته وكاتبه وجماعة من خاصته وقرابته واحتوى الجند على جميع مافى عسكره،وعاش زكرويه خمسة أيام ثم مات . فشُقّ بطنُه،وحُمل كذلك وانطلق مَنْ كان بقى فى يديه من أسرى الحاجّ .

وفيها غزا ابن كَيْغَلَغ من طَرَسوس ، فأصاب من العدو أربعة آلاف رأس سبْى ، ودوابَّ ومواشىَ كثيرة ومتاعاً ، وأسلم على يده بِطْريق من البطارقة .

وفيها كتب أندرونقس البطريق ، وكان على حرب أهل الثّغور من قِبل صاحب الروم إلى السلطان يطلُب الأمان ، فأجِيب إلى ذلك ، وخرج بنحو مائتى نفس من المسلمين كانوا عنده أسرى ، وأخرج ماله ومتاعه إلى طَرَسوس .

وفى جمادى الآخرة ظفِر الحسين بن حمدان بجماعة من أصحاب زكرويه كانوا هربوا من الوقعة ، فقتل أكثرهم وأسر نساءهم وصبيانهم .

وفيها وافى رسلُ ملك الروم بابَ الشماسية بكتاب إلى المكتفى يسأله الفداء بمن معهم من المسلمين لمن فى أيدى الإسلام من الرّوم ، فدخلوا بغداد ومعهم هدّية كبيرة وعشرة من أسارى المسلمين .

وفيها أُخذ قوم من أصحاب زكرويه أيضاً ووجِّهوا إلى باب السلطان .

وفيها كانت وقعة بين الحسين بن حمدان وأعراب كَلْب والنمِر وأسد وغيرهم كانوا خرجوا عليه فهزموه حتى بلغوا به باب حلب .

وفيها هزم وصيف بن سوارتكين الأعراب بفَيْد ثم رحل سالماً بمن معه من الحاجّ .

وحجّ بالناس فى هذه السنة الفضل بن عبد الملك .

ثم دخلت سنة خمس وتسعين ومائتين

ذكر ما دار فى هذه السنة من أخبار بنى العباس

فمن ذلك ما كان من خروج عبدالله بن إبراهيم المِسْعى عن مدينة أصبهان إلى قرية من قراها على فراسخ منها، وانضمام نحو من عشرة آلاف كردىّ إليه، مظهراً الخلاف على السلطان، فأمر المكتفى بدراً الحمامى بالشُّخوص إليه، وضمّ إليه جماعة من القوّاد فى نحو من خمسة آلاف من الجند.

وفيها كانت وقعة للحرّ بن موسى على أعراب طيئ ، فواقعهم على غِرّة منهم ، فقتل من رجالهم سبعين ، وأسر من فرسانهم جماعة

وفيها تُوُفِّىَ إسماعيل بن أحمد فى صفر ؛ لأربع عشرة ليلة خلت منه ، وقام ابنُه أحمد ابن إسماعيل فى عمل أبيه مقامه . وذُكر أنّ المكتفى قعد له وعقد بيده لواءه ، ودفعه إلى طاهر بن علىّ ، وخلع عليه ، وأمره بالخروج إليه باللواء .

وفيها وُجِّه منصور بن عبدالله بن منصور الكاتب إلى عبدالله بن إبراهيم المسمعىّ وكتب إليه يخوّفه عاقبة الخلاف ، فتوجّه إليه . فلما صار إليه ناظره ، فرجع إلى طاعة السلطان ، وشخص فى نفر من غلمانه ، واستخلف بأصبهان خليفة له ومعه منصور بن عبدالله . حتى صار إلى باب السلطان، فرضِىَ عنه المكتفى ووصله وخلع عليه وعلى ابنه .

وفيها أوقع الحرّ بن موسى بالكردىّ المتغلّب على تلك الناحية، فتعلّق بالجبال فلم يُدرَك .

وفيها فتح المظفر بن حاج ما كان تغلّب عليه بعض الخوارج باليمن، وأخذ رئيساً من رؤسائهم يعرف بالحكيمىّ .

وفيها لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة أمر خاقان المفلحىّ بالخروج إلى أذرَبيجان لحرب يوسف بن أبى الساج ، وضمّ إليه نحو أربعة آلاف رجل من الجند .

ولثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان دخل بغداد رسول أبى مُضر بن الأغلب ، ومعه فتح الأنجحىّ وهدايا وجّه بها معه إلى المكتفى .

وفيها كان الفداء بين المسلمين والروم فى ذى القعدة ففدى ممّن كان عندهم من الرجال ثلاثة آلاف نفس .

ذكر علّة المكتفى بالله وما كان من أمره إلى وقت وفاته

وكان المكتفى علىّ بن بن أحمد يشكو علّة فى جوفه ، وفساداً فى أحشائه ، فاشتدّت العلّة به فى شعبان من هذا العام ، وأخذه ذَرَبٌ[1] شديد أفرط عليه ، وأزال عقله ؛ حتى أخذ صافى الحُرَمى خاتمه من يده ، وأنفذه إلى وزيره العباس بن الحسن وهو لا يعقل شيئاً من ذلك ، وكان العباس يكره أن يَلِىَ الأمر عبد الله بن المعتز ، ويخافه خوفاً شديداً ، فعمل فى تصيير الخلافة إلى أبى عبد الله محمد بن المعتمد على الله ، فأحضره داره ليلاً ، وأحضر القاضى محمد بن يوسف وحدَه ، وكلّمه بحضرته ، وقال له : مالى عندك إن سقتُ هذا الأمر إليك ؟ فقال له محمد بن المعتمد : لك عندى ماتستحقّه من الجزاء والإيثار وقرب المنزلة ، فقال له العباس : أريد أن تحلف لى ألا تخلّينى من إحدى حالتين ؛ إما أن تريد خدمتى فأنصح لك وأبلغ جهدى فى طاعتك وجَمْع المال لك ؛ كما فعلته بغيرك ، وإمّا أن تؤثر غيرى فتوقّرنى وتحفظنى ، ولا تبسط علىّ يداً فى نفسى ومالى ، ولا على أحد بسببى ، فقال له محمد بن المعتمد — وكان حسنَ العقل ، جميل المذهب : لو لم تَسُقْ هذا إلىّ ما كان لى مَعْدلٌ عنك فى كفايتك وحسن أَثَرِكَ فكيف إذا كنت السَّببَ له ، والسبيلَ إليه ! فقال له العباس : أريد أن تحلفَ لى على ذلك . فقال : إن لم أوفِّ لك بغير يمين لم أوف لك بيمين ، فقال القاضى محمد بن يوسف للعباس : ارْضَ منه بهذا ؛ فإنه أصلح من اليمين . قال العباس : قد قنعت ورضيت .ثم قال له العباس : مُدَّيدَك حتى أبايعك . فقال له محمد : ومافعل المكتفى ؟ قال : هو فى آخر أمره ، وأظنه ، قد تلف . فقال محمد:ماكان الله ليرانى أمد يدى لبيعة وروح المكتفى فى جَسَدِه ؛ ولكن إن مات فعلت ذلك . فقال محمد بن يوسف : الصواب ماقال ، وانصرفوا على هذه الحال .

---

(١) الذرب : داء يكون فى الكبد

ثم إنّ المكتفى أفاق وعقل أمره،فقال له صافى الحرمى : لو رأى أمير المؤمنين أن يوجّه إلى عبدالله بن المعتز ومحمد بن المعتمد ، فيوكّل بهما فى داره ويحبسهما فيها ، فإن الناس ذكروهما لهذا الأمر ، وأرجفوا بهما ، فقال له المكتفى : هل بلغك أن أحدهما أحدث بيعة علينا ؟ فقال له صافى : لا ، قال له : فما أرى لهما فى إرجاف الناس ذنباً فلا تعرضْ لهما ، ووقع الكلام بنفسه ، وخاف أن يزولَ الأمر عن ولد أبيه ، فكان إذا عرض له بشىء من هذا الأمر استجرّ فيه الحديث . وتابع المغنى واهتبل به جداً . وعرض لمحمد بن المعتمد فى شهر رمضان فالج فى مجلس العباس بن الحسن الوزير من غيظ أصابه فى مناظرة كانت بينه وبين ابن عمرويه صاحب الشرطة ، فأمر العباس أن يُحمل فى قُبّة من قبابه على أفرَه بغاله،فحمل إلى منزله فى تلك الصورة ، وانصرفتْ نفسه إلى تأميل غيره .

ثم اشتدّت العلة بالمكتفى فى أول ذى القعدة ، فسأل عن أخيه أبى الفضل جعفر فصحّ عنده أنه بالغ ، فأحضر القضاة وأشهدهم بأنه قد جعل العهد إليه من بعده .

ذكر وفاة المكتفى

ومات المكتفى بالله علىّ بن أحمد ليلة الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذى القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين ، ودفن يوم الاثنين فى دار محمد بن عبد الله بن طاهر . وكانت خلافتهُ ستّ سنين وتسعة عشر يوماً ، وكان يوم تُوفِّىَ ابنَ اثنتين وثلاثين سنة . وكان وُلد سنة أربع وستين ومائتين . وكنيته أبو محمد ، وأمه أمّ ولد تركية ، وكان جميلاً رقيق اللون حسن الشَّعر ، وافرَ اللحية .

وولد أبا القاسم عبدالله المستكفى ، ومحمداًأبا أحمد ، والعباس ، وعبد الملك ، وعيسى ، وعبد الصمد ، والفضل ، وجعفرا ، وموسى ، وأم محمد ، وأم الفضل ، وأمّ سلمة ، وأمّ العباس ، وأمَة العزيز ، وأسماء ، وسارة وأمَة الواحد .

قال : وكان جعفر بن المعتضد بدار ابن طاهر الّتى هى مستقرّ أولاد الخلفاء فتوجّه فيه صافى الحرمى لساعتين بَقِيتَا من ليلة الأحد وأحضره القصر . وقد كان العباس

ابن الحسن فارق صافياً على أن يجىء بالمقتدر إلى داره التى كان يسكنها على دِجْلة ، لينحدر به معه إلى القصر ؛ فعرّج به صافى عن دار العباس إذ خاف حيلة تستعمل عليه ، وعُدَّ ذلك من حزم صافى وعقله .

ذكر خلافة المقتدر

وفيها بويع جعفر بن أحمد المقتدر يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلتْ من ذى القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين وهو يومئذ ابن ثلاث عشرة سنة وأحد وعشرين يوماً ، وكان مولده يوم الجمعة لثمان بقين من شهر رمضان من سنة اثنتين وثمانين ومائتين،وكنيته أبو الفضل وأمّه أم ولد يقال لها شَغَب . وكانت البيعة للمقتدر فى القصر المعروف بالحَسنىّ،فلما دخله ورأى السرير متصوباً أمر بحصير صلاة فبُسط له ، وصلّى أربع ركعات . وما زال يرفع صوته بالاستخارة ثم جلس على السرير ، وبايعه الناس ودارت البيعة على يدى صافى الحُرمىّ وفاتك المعتضدى ، وحضر العباس بن الحسن الوزير وابنه أحمد حتى تمت البيعة ثم غُسِّل المكتفى ، ودُفِن فى موضع من دار محمد بن عبد الله بن طاهر .

وذكر الطبرى أنه كان فى بيت المال يوم بويع المقتدر خمسة عشر ألف ألف دينار ، وذكر ذلك الصولىّ ، وحكى أنه كان فى بيت مال العامة ستمائة ألف دينار ، وخلَع المقتدر يوم الاثنين الثانى من بَيعته على الوزير أبى أحمد العباس بن الحسن خِلَعاً مشهورة الحسن ، وقلّده كتابته وأمر بتكنيته ، وأن تُجرى الأمور مجراها على يده . وقلّد ابنه أحمد بن العباس العرْض عليه ، وكتابة السيدة أمّه وكتابة هارون ومحمد أخويه ، وكتب العباس إلى الكُوَر والأطراف بالبيعة كتاباً على نسخة واحدة. وأعطى الجند مال البيعة ، للفرسان ثلاثة أشهر ، وللرجّالة ستة أشهر ، وأمَّر أصحاب الدواوين على ما كانوا عليه ، وخلع المقتدر على سوْسن مولَى المكتفى الذى كان حاجبه ، وأقرّه على حجابته ، وخلع على فاتك المعتضدى ، ومؤنس الخازن . ويمن غلام المكتفى ، وابن عمرويه ، صاحب الشّرطة ببغداد ، وعلى أحمد بن كيغلغ ، وكان قد قدم

مبايعة المقتدر بقوم حاولوا فتق سجن دمشق ، وإقامة فتنة بها ، فحمِلوا على جمال ، وطُوِّفوا ، وخلع على كثير من الخدم ، فمن كان إليه منهم عمل جعلت الخلعة عليه لإقراره على عمله ، ومن لم يكن إليه عمل كانت الخلعة تشريفاً له،وردّ المقتدر رُسوم الخلافة إلى ما كانت عليه من التوسُّع فى الطعام والشراب ، وإجراء الوظائف ، وفرّق فى بنى هاشم خمسة عشر ألف دينار وزادهم فى الأرزاق ، وأعاد الرسوم ، فى تفريق الأضاحى على القوّاد والعمال وأصحاب الدواوين والقضاة والجلساء ، ففرِّق عليهم يوم التروية ويوم عرفة من البقر والغنم ثلاثون ألف رأس ، ومن الإبل ألف رأس ، وأمر بإطلاق مَنْ كان فى السجون ممن لاخصم له ولا حقّ لله عز وجلّ عليه ، وبعد أن امتحن محمد بن يوسف القاضى أمورهم .

ورُفع إليه أن الحوانيت والمستغلاّت التى بناها المكتفى فى رحبة باب الطاق أضرَّت بالضعفاء،إذ كانوا يقعدون فيها لتجاراتهم بلا أجرة لأنها أفنية واسعة ، فسأل عن غَلّتها فقيل:لهُ تُغِلّ ألف دينار فى كلّ شهر ، فقال : وما مقدار هذا فى صلاح المسلمين واستجلاب حسن دعائهم ! فأمر بهدمها وإعادتها إلى ما كانت عليه .

ولم يلِ الخلافة من بنى العباس أصغرُ سنًّا من المقتدر ؛ فاستقلّ بالأمور ، ونهض بها ، واستصلح إلى الخاصة والعامة وتحبّب إليها،ولولا التحكم عليه فى كثير من الأمور لكان الناس معه فى عيش رَغد ؛ ولكن أمه وغيرها من حاشيته كانوا يُفْسِدون كثيراً من أمره .

وفى هذه السنة ، كانت وقعة عجّ بن حاجّ مع الجند بمنًى فى اليوم الثانى من أيام منى ، وقُتِل بينهم جماعة ، وهرب الناس الذين كانوا بمنًى إلى بستان ابن عامر ، وانتهب الجند مضرب أبى عدنان ، وأصاب المنصرِفين من الحاج فى منصرَفهم ببعض الطريق عطش ، حتى مات منهم جماعة . قال الطبرىّ : سمعت بَعْض من يحكى أن الرجل كان يبول فى كفه ثم يشربه .

وحجّ بالناس فى هذه السنة الفضل بن عبدالملك .

ثم دخلت سنة ست وتسعين ومائتين

ذكر ما دار فى هذه السنة من أخبار بنى العباس

فمن ذلك ما كان من اجتماع جماعة من القوّاد والكتّاب والقضاة على خلع جعفر المقتدر ، وكانوا قد تناظروا وتآمروا عند موت المكتفى على مَنْ يقدّمونه للخلافة ، وأجمع رأيهم على عبدالله بن المعتز ، فأحضروه وناظـروه فى تقلّدها،فأجابهم إلى تولّى الأمر ، على ألا يكون فى ذلك سفك دماء ولاحرب ، فأخبروه أن الأمر يُسلَّم إليه عفواً ، وأنّ من وراءهم من الجند والقواد والكتاب قد رضوا به، فبايعهم على ذلك سرًّا ، وكان الرأس فى هذا الأمر العباس بن الحسن الوزير ، ومحمد بن داود ابن الجراح ، وأبو المثنى أحمد بن يعقوب القاضى وغيرهم ، فخالفهم على ذلك العباس ، ونقض ما كان عقده معهم فى أمر ابن المعتز ، وأحب أن يختبر أمر المقتدر ، وإن كان فيه محمِل للقيام بالخلافة مع حداثة سنه ، وكيف يكون حاله معه،وعلم أن تحكّمه عليه سيكون فوق تحكّمه على غيره ؛ فصدّهم عن ابن المعتز،وأنفذ عقد البَيعة للمقتدر على ماتقدم ذكره .

ثم إن المقتدر أجرى الأمور مجراها فى حياة المكتفى،وقلّد العباس جميعها،وزاده فى المنزلة والحظوة وصيّر إليه الأمْـر والنهى ، فتغيّر العباس على القواد ، واستخفّ بهم واشتد كبره على الناس واحتجابه عنهم واستخفافه بكلّ صنف منهم ، وكان قبلَ ذلك صافىَ النية لعامّة القواد والخدم منصفاً لهم فى إذنه لهم ولقائه . ثم تجبّر عليهم ، وكانوا يمشون بين يديه فلا يأمرهم بالركوب ، وترك الوقوف على المتظلمين ، والسماع منهم، فاستثقله الخاصة والعامة ، وكثر الطعن عليه ، والإنكار لفعله والهجاء له ، فقال بعض شعراء بغداد فيه :

يا أبَا أحمـــدَ لَا تُحْـ سِـنْ بأيامِـكَ ظَنَّـا
واحْـذَرِ الدَّهْرَ فكم أَهـ لَكَ أمـــلاكاً وأفنَى
كَمْ رَأيْنَـا مِنْ وزِيــر صارَ فى الأجْدَاث رَهنا

أينَ مَنْ كنتَ تَــرَاهُمْ دَرَجُــــوا قَرْناً فَقَرْنــا
فَتَجَنَّبْ مَــرْكَبَ الـكِبْـ ـرِ وقـــلْ للنــاسِ حُسنَا
رُبمّـــا أَمْسَى بِعَــــزل مَـنْ بِإِصْـــباحٍ يُهنّــا
وقبيحٌ بمطــــــاعِ الـ أمـــرِ ألاّ يَتَـــأنَّى
اتْــرُكِ النــــاسَ وأيّا مُكَ فيهـــمْ تُتَمَنَّى

وكان مما يشنّع به الحسين بن حمدان على العباس ، أنه شرب يوماً عنده ، فلما سكر الحسين ، استخرج العباس خاتمه من إصبعه ، وأنفذه إلى جاريته مع فتًى له ، وقال لها : يقول لك مولاك : اشتهى الوزير سماع غنائك ، فاحضرى الساعة ولا تتأخّرى ، فهذا خاتمى علامة إليك . قال الحسين:وقد كنت خفت منه شيئاً من هذا لبلاغات بلغتنى عنه ، وكتب رأيت له إليها بخطه ، فحفظت الجارية وحذّرتها ، فلم تُصغِ إلى قول الفتى ولا إجابته .

وكان الحسين يحلف مجتهداً أنه سمعه يكفُر ويستخفّ بحق الرسول صلى الله عليه وسلم،وأنه قال فى بعض ماجرى من القول : قد كان أجيراً لخديجة،ثم جاء منه مارأيت . قال : فاعتقدتُ قتلَه من ذلك الوقت ، واعتقد غيرُه من القواد فيه مثل ذلك ، واجتمعت القلوب على بغضته ، فحينئذ وثب به القوم فقتلُوه ، وكان الذى تولّى قتله بدر الأعجمى والحسين بن حمدان ووصيف بن ســوارتكين ، وذلك يوم السبت لأحدى عشرة ليلة بقيت من ربيع الأول من العام المؤرخ .

ذكر البيعة لابن المعتز

وفى غد هذا اليوم خُلِع المقتدر ، خلعه القواد والكتاب وقضاة بغداد ، ثم وجَّهوا فى عبدالله بن المعتز ، وأدخل دار إبراهيم بن أحمد الماذَرائى الّتى على دجلة والصَّراة ثم حُمِل منها إلى دار المكتفى بظهر المخرِّم ، وأحضر القضاة ، وبايعوا عبدالله بن المعتز فحضرهم . ولقّبوه المنتصف بالله ؛ وهو لقب اختاره لنفسه .

واستوزر محمد بن داود بن الجرّاح ، واستحلفه على الجيش ؛ وكان الناس

يحلفون بحضرة القضاة ، وكان الذى يأخذ البيعة على الناس وعلى القواد ويتولّى استحلافهم والدعاء بأسمائهم محمد بن سعيد الأزرق كاتب الجيش ، وأحضر عبدالله بن علىّ بن أبى الشوارب القاضى وطُولب بالبيعة لابن المعتزّ فلجلج ، وقال : ما فعل جعفر المقتدر ! فدُفِع فى صدره . وقتِل أبو المثنى لما توقف عن البيعة ، ولم يشكّ الناس أن الأمر تامّ له إذ اجتمع أهل الدولة عليه ، وكان أجلّ مَنْ تخلّف عن سوسن الحاجب،فإنه بقِىَ بدار المقتدر مثبتاً لأمره وحامياً له .

وفى هذا اليوم كانت بين الحسين بن حمدان وبين غلمان الدار التى كان بها المقتدر حربٌ شديدة من غدوة إلى انتصاف النّهار ، وثبت سوسن الحاجب به وحامى عنه ، وأحضر الغلمان ووعدهم الزيادة ، وقوّى نفس صافى ونفس مؤنس الخادم ومؤنس الخازن ؛ فكلّهم حماه ودافع عنه ؛ حتى انفضت الجموع التى كان محمد بن داود جمعها لبيعة ابن المعتز ؛ وذلك أن مؤنساً الخادم حمل غلماناً من غلمان الدار إلى الشّذَوات[1] ، فصاعد بها فى دَجْلة . فلما جازوا الدار التى كان فيها ابن المعتز ومحمد ابن داود صاحوا بهم ، ورشقُوهم بالنشّاب ، فتفرقوا وهرب مَنْ كان فى الدار من الجند والقواد والكتّاب ، وهرب ابن المعتز ومَنْ كان معه،ولحق بعض الذين كانوا بايعوا ابن المعتزّ بالمقتدر ، فاعتذروا إليه بأنهم مُنعوا من المصير نحوه ، واختفى بعضهم ، فأُخذوا وقتلوا وانتهبت العامة دور محمد بن داود والعباس بن الحسن ؛ وأُخذ ابن المعتزّ فقتِل وقُتِل معه جماعة،منهم أحمد بن يعقوب القاضى،ذبح ذبحاً ، وقالوا له : تبايع للمقتدر ! فقال : هو صبىّ ولا يجوز المبايعة له .

وقال الطبرىّ ، ولم يَرَ الناس أعجبَ من أمر ابن المعتز والمقتدر ؛ فإنّ الخاصة والعامة اجتمعت على الرضا بابن المعتز وتقديمه ، وخلع المقتدر لصِغَر سنه ؛ فكان أمر الله قدراً مقدوراً ؛ ولقد تحيّر الناس فى أمر دولة المقتدر وطول أيامها على وهْى أصلها وضعف ابتنائها . ثم لم ير الناس ولم يسمعوا بمثل سِيرته وأيامه وطول خلافته .

وقال محمد بن يحيى الصولىّ : وفى يوم الاثنين لتسع ليال بقين من ربيع الأول خلع المقتدر على علىّ بن محمد بن الفرات للوزارة،وركب النّاس معه إلى داره بسوق العطش ، وتكلّم فى إطلاق جماعة ممّن كان بايع ابن المعتز ، فأذن له المقتدر فى ذلك،

(١) الشذوات : نوع من السفن .

فخلّى سبيلَ طاهر بن علىّ ونزار بن محمد وإبراهيم بن أحمد الماذَرائى والحسين بن عبدالله الجوهرىّ المعروف بابن الجصاص ، ووضع العطاء للغلمان والأولياء الذين بقوا مع المقتدر صلة ثانية للفرسان ثلاثة أشهر وللرجّالة ست نوائب ، ووَلّى مؤنساً الخادم شرطة جانبى بغداد ومايليها ، وتقدم إليه بالنّداء علىّ محمد بن داود ويُمن ومحمد الرقّاص ، وأن يبذل لمن جاء بمحمد بن داود عشرة آلاف دينار ، وخلع على عبدالله بن علىّ بن محمد بن أبى الشوارب لقضاء جانبى بغداد ، وقلّد الوزير علىّ بن محمد أخاه جعفر بن محمد ديوان المشرق والمغرب،وأشاع أنه يخلّفه عليهم . وقلّد نزاراً الكوفة وطساسيجها[1] ،وعزل عنها السمعىّ ، ثم عزل نزاراً وولّى الكوفة نجحاً الطولونىّ،وخلع على أبى الأغرّ خليفة بن المبارك السّلمىّ لغزاة الصائفة [2]. وعظم أمر سوسن الحاجب وتجبّر وطغى ، فاتّهمه المقتدر ولم يأمنه ، وأدار الرأى فى أمره مع ابن الفرات،فأوصى إليه المقتدر : خذ من الرجال مَنْ شئت ومن المال والسلاح ماشئت ، وتولّ من الأعمال ماأحببت ، وخلّ عن الدار أُولَها مَنْ أريد . فأبى عليه ، وقال : أمرٌ أخذته بالسيف لا أتركه إلا بالسيف . فأحكم المقتدر الرأى مع ابن الفرات فى قتله فلما دخل معه الميدان فى بعض الأيام أظهر صافى الحُرَمىّ العلّة ، وجلس فى بعض طرق الميدان متعاللاً . فنزل سوسن ليعوده،فوثب إليه جماعة فيهم تكين الخاصة وغيره من القواد،فأخذوا سيفه ، وأدخلوه بيتاً ، فلما سمع مَنْ كان معه بذلك من غلمانه وأصحابه تفرقوا ، ومات سوسن بعد أيام فى الحبس .

وقلّد الحجابة نصراً الحاجب المعروف بالقُشورىّ ، وكان موصوفاً بعقل وفضل . وكان النصارى فى آخر أيام العباس بن الحسن قد علا أمرهم،وغلب عليهم الكتّاب منهم،فرفع فى أمرهم إلى المقتدر،فعهد فيهم بنحو ماكان عَهد به المتوكّل من رفضهم واطّراحهم وإسقاطهم عن الخدمة،ثم لم يَدُمْ ذلك فيهم .

وفى يوم السبت لأربع بقين من ربيع الأول سقط ببغداد الثلج من غدْوة إلى العصر ، حتى صار فى السطوح والدّور منه نحو من أربعة أصابع ؛ وذلك أمْر لم يُرَ مثله ببغداد .

وفى يوم الاثنين لليلتين بقيتا من ربيع الأول سلّم محمد بن يوسف القاضى ومحمد

---

(١) الطساسيج : جمع طسوج ؛ وهو الناحية .

(٢) الصائفة : غزو الروم لأنهم كانوا يغزونهم صيفًا لمكان البرد والثلج

ابن عمرويه وابن الجصاص والأزرق كاتب الجيش فى جماعة غيرهم إلى مؤنس الخازن ، فقتَل بعضهم،وشُفِّع فى بعض فأطلِق .

وفيها وجّه القاسم بن سيما فى جماعة من القوّاد والجند فى طلب الحسين بن حمدان ، فشخص لذلك حتى صار إلى قَرْقيسيا والرّحْبة ، وكتب إلى أبى الهيجاء عبدالله بن حمدان بأن يطلب أخاه ويتبعه،فخرج فى أثره ، والتقى بأخيه بين تكريت والسودقانية ، بموضع يعرف بالأعمى ؛ فانهزم عبدالله عن أخيه الحسين . ثم بعث الحسين إلى السلطان يطلب الأمان لنفسه فأعطى ذلك .

ولسبع بقين من جمادى الآخرة خلع على ابن دُليل النصرانى كاتب ابن أبى الساج ورسوله،وعقد ليوسف على أذرَبيجان والمراغة وحُمِلت إليه الخلع،وأمر بالشخوص إلى عمله . وللنصف من شعبان خُلِع عَلَى مؤنس الخادم ، وأمِر بالشخوص إلى طرسوس لغزو الروم ، فخرج فى عسكر كثيف وجماعة من القواد . وكان مؤنس قد ثَقُل على صافى الحَرمىّ ، وأحب ألاَّ يجاوره ببغداد ، فيسعَى مع الوزير ابن الفرات فى إبعاده ، فأُغزِىَ فى الصائفة ، وضُمّ إليه أبو الأغرّ خليفة بن المبارك فلم يرضه مُؤنس ، وكتب إلى المقتدر يذمّه ، فكتب إليه فى الانصراف فانصرف ، وحُبِس . واجتمع قول الناس بلا اختلاف بينهم ، أنه لم يكن فى زمن أبى الأغرّ فارس للعرب ولا للعجم أشجعَ منه ولا أعظم أيْداً وجلَداً .

وحجّ بالناس فى هذه السنة الفضل بن عبد الملك .

ثم دخلت سنة سبع وتسعين ومائتين

ذكر ما دار فى هذه السنة من أخبار بنى العباس

فى المحرّم من هذا العام ، ولد للمقتدر ابنٌ،فأمر أن يكتب اسمه على الأعلام والتّراس والدنانير والدراهم والسّمات ولم يعش ذلك المولود .

وفيها ورد كتاب مؤنس الخادم على السلطان لستٍّ خلوْن من المحرّم بأنه ظهر على الروم فى غزاته إليهم التى تقدم ذكرها فى سنة ستٍّ وتسعين ، وهزمهم وقتل منهم مقتلة عظيمة وأسر لهم أعلاجاً كثيرة ، وقرئ كتابُه بذلك على العامّة ببغداد ، ثم قَفَل مؤنس منصرفاً .

وفى صفر من هــذه السنة أخّر طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث الصفار إيراد ما كان يلزمه من المال الموظف عليه من أموال فارس ، ودافع به ، فكتب سُبْكَرى ، غلام عمرو بن الليث ، يتضمن حمل المال وإيراده ، واستأذن فى توجيه طاهر وأخويه أسرى إلى باب السلطان ، فأجيب إلى ذلك ، فاجتمع سبكرى ومَنْ والاه عليهم ، ودارت بينهم حرب شديدة ، حتى استولى سبكـرى على فارس وكرمان ، وبعث بطاهر وأخويه إلى السلطان فأدخلوا فى عمّاريّات مكشوفة ، وخلع على رسول سبكرَى .

ثم إن الليث بن علىّ بن الليث لمّا بلغه فعلُ سبكرى بطاهر ويعقوب ابنى محمد ، غَضِب لذلك ، وسار يريد فارس ، فتلقاه سُبْكَرى ، واقتتلا قتالاً شديداً،فانهزم سُبْكَرى ، وقدم على السلطان يستمدّه،فنُدب مؤنس الخادم إلى فارس ، وضمّ إليه زهاء خمسة آلاف من الأولياء والغلمان ، وكتب إلى أصحاب المعاون بأصبهان والأهواز والجبل فى معاونة مؤنس على محاربة الليث بن علىّ،وأشخص معه الوزير ابن الفرات محمد بن جعفر العَبَرتاىّ ، وولاّه الخراج والضياع بفارس ، فاحتاج الجند إلى أرزاقهم ، فوعدهم بها محمد بن جعفر فلم يرضوْا وعدَه ، ووثبوا عليه ونهبوا عسكره ، وأصابته ضربة ، وزعم بعض أصحاب مؤنس أنه أخذ له مائة ألف دينار .

وفى ليلة الأربعاء لخمس خلوْن من شهر ربيع الآخر سنة سبع وتسعين ولد للمقتدر أبو العباس محمد الراضى بالله بدير حَنيناء قبل طلوع الفجر .

وفى ذى الحجة من هذا العام كانت بين مؤنس الخادم وبين الليث بن علىّ حرب بناحية النّوبندَجان، فهزم الليث وأصحابه ، وأسَر مؤنس الليث وأخاه إسماعيل وعلىّ بن حسين بن درهم والفضل بن عنبر ، وصاروا فى قبضته ، فحملهم بين يديه إلى بغداد ، وأُدخل الليث على فيل ، ومَن كان معه على جمال مشهورين ، قد البسوا البرانس ثم حبسوا .

وفيها وجّه المقتدر القاسم بن سيما غازياً فى الصائفة إلى الروم فى جمع كثيف من الجند فى شوال فغنم وسَبَى .

وفيها وَلِىَ وَرقاءُ بن محمد الشيبانىّ أمرَ السواد بطريق مكّة فرفع المؤن عن الناس ، وحسم عنها ضرّ الأعراب وما كانوا يفعلونه فى الطريق من السلب والقتل ، وحَسُن أثر ورقاء هنالك ؛ ولم يزل مقيماً بتلك الناحية إلى أن رجع الحاجّ مسلّمين شاكرين لفعله فيهم .

ولجمادى الأولى من هذا العام ورد الخبر بأن أركان البيت الأربعة غرقت فى سيول كانت بمكّة وغرق الطواف وفاضت بئر زمزم ، وإنه كان سيلاً لم يُرَ مثله فى قديم الأيام وحديثها .

وفى شوال منها تُوُفِّىَ محمد بن طاهر بن عبدالله بن طاهر المعروف بالصناديق ، ودفن فى مقابر قريش ، وصلّى عليه القاضى أحمد بن إسحاق بن البهلول .

وفى شهر رمضان منها تُوُفِّىَ يوسف بن يعقوب القاضى ومحمد بن داود الأصبهانى الفقيه .

وورد الخبر بوفاة عيسى النّوشرىّ عامل مصر ، فولّى السلطان مكانه تكين الخاصة ، وتوجّه من بغداد إلى مصر .

وفى شوال من هذه السنة تُوُفِّى جعفر بن محمد بن الفرات أخو الوزير ، وكان يَلِى ديوان المشرق والمغرب ، فولّى الوزير ابنه المحسِّن ديوان المغرب وولّى ابنه الفضل ديوان المشرق .

وفى هذا العام توفّىَ القاسم بن زرزور المغنِّى ، وكان من الحذاق المجيدين ، وأسنَّ حتى قارب تسعين سنة .

وحج بالناس فى هذه السنة الفضل بن عبد الملك الهاشمىّ .

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين ومائتين

ذكر ما دار فى هذه السنة من أخبار بنى العباس

فيها قدم القاسم بن سيما من غزاة الصّائفة إلى الروم ، ومعه خلق كثير من الأسرى ، وخمسون عِلْجاً قد حُمِلوا على الجمال مشهورين ، بأيدى جماعة منهم أعلام الرّوم ، عليها صلبان الذهب والفضة ؛ وذلك يوم الخميس لأربع عشر ليلة بقيت من شهر ربيع الأول .

وفيها خالف سبكرى والتوى بماعليه ، فنُدب لمحاربته وصيف كامه غلام الموفق ، وشخص معه وجُوه القواد ، وفيهم الحسين بن حمدان وبدْر غلام النوشرى وبدْر الكبير المعروف بالحمامى ، فواقعوا سُبْكَرى فى باب شيراز وهزموه ، وأسرُوا القتّالَ صاحبه وهرب بعض قوّاده عنه وفَتَقَ عسكره بماله وأثقاله إلى ناحية كِرْمان ، وورد الخبر بأن سبكرى أُسِر ؛ وكان الذى أسره سيمجور غلام أحمد بن إسماعيل ،ثم قدِم وصيف كامه بالقتّال صاحب سبكرى ، فأدخل على فِيلٍ وعليه برنس طويل ، وبين يديه ثلاثة عشر أسيراً على الجمال ، وعليهم دَرَاريع وبرانس من ديباج ، فخلع على وصيف وسوّر وطوّق بطوق ذهب منظوم بجوهر ، ثم دخل سُبكْرى وحضر دخوله الوزير ابن الفرات وسائر القوّاد يوم الاثنين لإحدى عشر ليلة بقيت من شوال ، وكان قد حمِل على فيل وشهِر ببرنس طويل ، وبين يديه الكُرَّك ومن يضرب بالصُّنوج ، وخلفه الليث بن علىّ على فيل آخر ، فخلع على ابن الفرات وحمل وكان يوماً مشهوداً .

وحدّث محمد بن يحيى الصولىّ أنه شهد هذا اليوم قال : فتذكّرت فيه حديثاً كان حدّثناه صافى الحُرَمى يوم بويع فيه المقتدر بالله ، قال صافى : رأيتُ الخليفة المقتدر بالله وهو صبىّ فى حجر المعتضد ، والمعتضد ينظر فى دفتر كان كثيراً ماينظر فيه ، وهو يضرب على كتف المقتدر ، ويقول له : كأنى بملوك فارس قد أُدخلوا إليك على الفيلة والجمال ، عليهم البرانس ، وكان صافى يوم بيعة المقتدر يحدّث بهذا ، ويدعو إلى الله أن يحقّق هذا القول .

وفيها وردتْ على المقتدر هدايا من خُراسان أنفذها إليه أحمد بن إسماعيل بن أحمد ، فيها غلمان على دوابهم وخيولهم وثياب ومِسْك كثير وبزاة وسمّور وطرائف ؛ لم يعهد بمثلها فيما أُهدِى من قبل .

وفيها جلس ابنُ الفرات الوزير لكتّاب العطاء ، فحاسبهم وأشرف لهم على خيانة نحو مائة ألف دينار ، فورّى عن الأمر قليلاً إذ كان كتّابه منهم ، واستخرج ماوجد من المال فى رفق وَسَتْر .

وفى جمادى الآخرة من هذا العام فُلِج عبدالله بن علىّ بن أبى الشوارب القاضى ، فأمر المقتدر ابنه محمد بن عبدالله يتولى أمور الناس خليفة لأبيه ، حتى يظهر حاله وما يكون من علّته . فنظر كما كان ينظر أبوه ، وأنفذ الأمور مثل تنفيذه .

ثم دخلت سنة تسع وتسعين ومائتين

ذكر ما دار فى هذه السنة من أخبار بنى العباس

فمن ذلك غزوة رستم الصائفة من ناحية طَرسوس ، وهو والى الثغور ، فحاصر حصن مَلِيح الأرمينى ، ثم دخل عليه وأحرق أرباض ذى الكلاع .

وفيها ورد رسول أحمد بن إسماعيل بكتاب منه إلى السلطان بأنه فتح سجستان ، وأن أصحابه دخلوها وأخرجوا مَنْ كان فيها من أصحاب الصفّار ، وأن المُعَدَّل بن علىّ ابن الليث صار إليه بمَنْ معه من أصحابه فى الأمان ، وكان المعدّل يومئذ مقيماً معهم بزرنج ، وصار إلى أحمد بن إسماعيل وهو مقيم ببُسْت والرخّج ، فوجّه به أحمد وبعياله ومَنْ معه إلى هراة ، ووردت الخريطة بذلك على السلطان يوم الاثنين لعشر خَلَوْن من صفر .

وفيها وافى بغدادَ العُطير صاحب زكرويه ومعه الأغرّ ، وهو أحد قواد زكرويه مستأمناً .

ذكر القبض على ابن الفرات

وفى ذى الحجّة غضب المقتدر على وزيره علىّ بن محمد بن الفرات لأربع خَلَوْن منه ، وحبس ووكّل بدوره ، وأُخذ كلّ ما وجد له ولأهله ، وانتُهبت دوره أقبح نَهْب ، وفَجَر الشُّرط بنسائه ونساء أهله ، وكان ادّعى عليه أنه كتب إلى الأعراب بأن يكبسوا بغداد فى خبر طويلٍ .

واستوزر محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان فكانت وزارة ابن الفرات ثلاث سنين وثمانية أشهر واثنى عشر يوماً ، وطولب ابن الفرات بأمواله وذخائره ، فاجتمع منها مع ودائع كانت له سبعة آلاف ألف دينار – فيما حُكى عن الصولى – وكان مشاهداً ومشرفاً على أخبارهم .

قال : وما سمعنا بوزير جلس فى الوزارة وهو يملك من العين والورق والضياع والأثاث مايحيط بعشرة آلاف ألف غير ابن الفرات .

قال : وكانت له أيادٍ جليلة وفضائل كثيرة قد ذكرتها فى كتاب الوزراء . قال ولم يُرَ وزير أودع وجوه الناس من الأموال ما أودع ابن الفرات من قبل ولايته الوزارة ، وكانت غَلّته تبلغ ألف ألف دينار ولم يُمسك الناس ببغداد عن انتقاص ابن الفرات وهجوِه مع حسن آثاره ، وأُحضر محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان دار المقتدر فى الوقت الذى ضمّ فيه على ابن الفرات ، فقلِّد الوزارة ، وانصرف إلى منزله بباب الشمّاسية فى طيّار ، وركب يوم الخميس بعده،فخلع عليه وحملَ وقُلِّد سيفاً .

وقيل إن السّبب فى ولايته كان بعناية أم ولد المعتضد بأمره على أن ضمن لها مائة ألف دينار ، وقوّى أمره عندها رياءٌ كان يظهره . وكان الخدم من الدار يأتونه بالكتب ، فلا يكلّم الواحد منهم إلا بعد مائة ركعة يصلّيها ، فكانوا ينصرفون بوصفه وما رأوا منه ، وخلع على ابنه عبدالله بن محمد لخلافة أبيه ، واستبدل بالعمال ، وعَزَل كلَّ مَنْ كان خطوطه إلى علىّ بن الفرات وآله .

وفى هذه السنة مات وصيف موشْجِير يوم الخميس لأربعَ عشرةَ ليلة بقيت من شهر رمضان .

وفيها مات الخِرَقىّ المحدِّث .

وحج بالناس فى هذه السنة الفضل بن عبدالملك .

ثم دخلت سنة ثلثمائة

ذكر ما دار فى هذه السنة من أخبار بنى العباس

فيها أمر جعفر المقتدر برفع مطالبة المواريث عن الناس ، وأن يورَّث ذوو الأرحام ، ولا يعرض لأحد فى ميراث إلا لمن صحّ أنّه غير وارث . وكان الناس من قبل ذلك فى بلاء وتعلّل متصل من المستخرجين والعاملين .

وفيها أخرج محمد بن إسحاق بن كُنداجيق بعضَ أصحابه لمحاربة قوم من القرامطـة جاءوا إلى سوق البصرة ، فعاثُوا بها ، وبسطوا أيديَهم وأسيافهم على النّاس فيها ؛ فلمّا واقفهم أصحابُ ابن كنداجيق ، صدَمهم القرامطة صَدْمةً شديدة حتى هَزَمُوهم ، ، وقُتل من أصحاب ابن كنداجيق جماعة ، وكان محمد بن إسحاق قد خرج كالمددّ لهم ؛ فلمّا بلغه أمرهم وشدّة شوكتهم انصرف مبادراً إلى المدينة ، فأنهض السلطان محمد بن عبدالله الفارقىّ فى رجل كثير معونة لابن كنداجيق ومدداً له فأقاما بالبصرة ولم يتعرّضا لمحاربة .

وفى شعبان من هذه السنة قُبض على إبراهيم بن أحمد الماذَرائىّ ، وعلى ابن أخيه محمد بن على بن أحمد ، فطالبهم أبو الهيثم بن ثَوابة بخمسمائة ألف ، فحملوا منها خمسين ألفاً إلى بَيْت المال ، وصانعوا الوزير ابن خاقان وابنه وابن ثَوابة بمال كثير ، وصادر ابن ثوابة جماعة على مائة ألف دينار ، فحمل منها ابن الجصّاص عشرين ألفاً ، وفرضت البقية على جماعة ، منهم ابن أبى الشوارب القاضى وغيره .

وظهر فى هذا العام ضَعْف أمر محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان الوزير ، وتغلُّب ابنه عبدُ اللّه عليه وتحكُّمه فى الأمور دونه ، وكثر التخليط من محمد فى رأيه وجميع أمره ، فكان يولّى العمل الواحد جماعةً فى أسبوع من الأيام ، وتقدَّم بالمصانعات حتى قُلّد عمالة بادُورَيا فى أحد عشر شهراً أحد عشر عاملاً ، وكان يدخل الرجل الذى قد عرفه دهراً طويلاً فيسلّم عليه فلا يعرِفه ؛ حتى يقول له : أنا فلان ابن فلان، ثم يلقاه بعد ساعة فلا يعرفه .

وفيها ورد الخبر بانخساف جبل بالدينور، يعرف بالتلّ وخروج ماء كثير من تحته غرقت فيه عدة من القرى ، وورد الخبر أيضاً بانخساف قطعة عظيمة من جبل لُبنان وسقوطها إلى البحر ، وكان ذلك حدثاً لم يُرَ مثله .

وفيها ورد كتاب صاحب البريد بالدينور ، يذكر أن بغلة هناك وضعت فِلْوة ونسخة كتابه :

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله الموقظ بِعبَره قلوب الغافلين ، والمرشد بآياته ألبابَ العارفين ، الخالقِ مايشاء بلا مثال ؛ ذلك الله البارئ المصور فى الأرحام مايشاء وأن الموكّل بخبر التطواف بقَرْماسين رفع يذكر أن بغلة لرجل يعرف بأبى بُرْدة من أصحاب أحمد بن علىّ المرّىّ وضعت فلوّة ، ويصف اجتماع الناس لذلك ، وتعجّبهم لما عاينوا منه ، فوجّهتُ من أَحضرنى البغلة والفلوّه فوجدت البغلة كَمْتَاء[1] خلوقية والفلوّة سويَّة الخلْق تامة الأعضاء منسدلة الذنب . سبحان الملك القدوس لا معقِّب لحكمه وهو سريع الحساب .

وكان المقتدر لمّا رأى عجز محمد بن عبيد الله الوزير وتبلّده قد أنفذ أحمد بن العباس أخا أم موسى الهاشمية إلى الأهواز ، ليقدَم بأحمد بن يحيى المعروف بابن أبى البغل ليولّيه الوزارة ، فخرج إليه ، وأقبل به حتى صار بواسط ، فلما قرب من دار السلطان سلّم أحمد بن العباس على أحمد بن محمد بالوزارة ، وحمل إليه ثلاثة آلاف دينار، فاتصل الخبر بمحمد بن عبيد الله الوزير من قبل حاشيته وعيونه ، فركب إلى الدار ، وصانع جماعة من الخدم والحرم، وضمن لأم ولد المعتضد التى كانت عنِيت بولايته فى أول أمره خمسين ألف دينار ، فنقضتْ أمر ابن أبى البغل ، ورُدَّ والياً على فارس .

وفى شوال من هذا العام تُوُفِّىَ عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، وكان أكثر الناس أدباً وجلالة وفهماً ومروءة ، وهو ابن إحدى وثمانين سنة ، وصلّى عليه أحمد بن عبد الصمد الهاشمى ، ودفن فى مقابر قريش .

وفيها مات أبو الفضل عبد الواحد بن الفضل بن عبد الوارث يوم السبت لسبع بقين من ذى الحجة .

وأقام الحج للناس فى هذه السنة الفضل بن عبد الملك بن عبدالله الهاشمىّ .

---

(١) كمتاء : خالط حمرتها قنوء .

ثم دخلت سنة إحدى وثلثمائة

ذكر ما دار فى هذه السنة من أخبار بنى العباس

ففيها وافى بغداد علىّ بن عيسى بن داود بن الجراح مقدَمه من مكة ، وذلك يوم الاثنين لعشر خلوْن من المحرّم ، فمضى به من فوره إلى دار المقتدر ، فقــلّد الوزارة وخلِع عليه لولايتها ، وقلّد سيفاً ، وقبض على محمد بن عبيد الله وابنيه عبد الله وعبد الواحد فحبسوا وكانوا قد ركبوا فى ذلك النهار إلى الدار ، ووُعدوا بأن يخلَع عليهم ويسلّم علىّ بن عيسى إليهم ، فسُلِّموا إليه ، ووقع الأمر بضدّ ماظنوه ، وقعد علىّ ابن عيسى لمحمد بن عبيد الله وناظره فقال له : أخربت الملك ، وضيّعْت الأموال ، ووليت بالعناية ، وصانعت على الولايات بالرِّشوة ، وزدت على السلطان أكثر من ألف ألف دينار فى السنة ، فقال : ماكنت أفعل إلا ماأراه صواباً . وكان محمد بن عبيد الله فيما ذكر من تسنّاه يأخذ المصانعات على يدى أبى الهيثم بن ثوابة ، ولا يفِى بعهد لكل من صانعه برشوة ؛ حتى قيلت فيه أشعار كثيرة منها :

وزِيرٌ ما يفِيقُ منَ الرَّقَاعَهْ   يُولّى ثم يَعزلُ بعــدَ ساعهْ
إذا أهلُ الرِّشا صارُوا إليهِ   فأحظَى القومِ أوفَرُهُمْ بِضاعَهْ
وليسَ بمنكَرٍ ذا الفعلُ منهُ   لأنَّ الشيخَ أُفلِتَ مِن مَجاعَهْ

وكان محمد بن عبيد الله قبل أن يستحيل به الحال فيما ذكر أهل الخبر . وحسن الرأى فيه ذا دهاء وعقل ، وكان ابنه عبدالله كاتباً بليغاً حسن الكلام مليح اللفظ حسن الخط ، جواداً يعطى العطايا الجزيلة ، ويقدم الأيادى الجليلة ، وصل عبدَالله بن حمدون من ماله فى مدة ولايته بتسعين ألف دينار إلى ماوصل به غيرَه ، وأعطاه كثيراً ممن كان أمّله .

وفى هذه السنة رُضِى عن القاضى محمد بن يوسف ، وقُلّد الشرقية ، وعسكر المهدىّ وخلِع عليه دُراعة وطيلسان وعمامة سوداء ، وركب من دار الخليفة إلى مسجد الرُّصافة ، فصلّى ركعتين ، ثم قرئ عليه عهده بالولاية .

وفيها ورد الخبر بوثوب أبى الهيجاء عبدالله بن حمدان بالموصل ومعه جماعة من الأكراد ، وكانوا أخواله لأنّ أمه كردية ، وأغاث الجندَ أهلُ الموصل،فقتلت بينهم مقتلة عظيمة ، وصار أبو الهيجاء إلى الأكراد ، وتأمّر عليهم كالخالع للطاعة .

وتظلّم أهلُ البصرة من عاملهم محمد بن إسحاق بن كنداج ، وشكوْا به إلى علىّ ابن عيسى الوزير ، فعزله عنهم بعد أن استأمر فيه المقتدر لئلا يستبدّ بالرأى دونه ، وولّى البصرة نُجحاً الطولونىّ ، ثم ولّى محمد بن إسحاق بن كنداج الدينور ، ووَلّى سليمان بن مخلد ديوان الدار ، وكتابة غريب خال المقتدر ، وولى علىٌّ بن عيسى إبراهيم أخاه ديوان الجيش ، واستخلف عليه سعيد بن عثمان والحسين بن علىّ .

وفى شهر ربيع الآخر من هذه السنة دخل مؤنس الخادم مدينة السلام،ومعه أبو الهيجاء قد أعطاه أماناً فخلع على مؤنس وعليه .

وقُلّد نصر القشورىّ مع الحجابة التى كان يتولاّها ولاية السوس وجندىْ سابور ومناذر الكبرى ومناذر الصغرى ، فاستخلف على جميع ذلك يُمْناً الهلالىّ الخادم .

وفى هذه السنة أغارت الأتراك على المسلمين بخُراسان ، فسبَت منهم نحو عشرين ألفاً،إلى ماذهبت به من الأموال وقتلت من الرجال ، فخرج إليهم أحمد بن إسماعيل ، وكان واليها فى جيوش كثيرة ، وأتبعهم فقتل منهم خلقاً كثيراً واستنقذ بعض الأسرى ، وأوفد إلى السلطان رجلاً شيخاً يعرف بالحمّادى يستحمد إليه بفعله بالأتراك،ويخطب إليه شُرطة مدينة السلام وأعمال فارس وكِرمان فأجيب إلى كِرْمان وحدها وكُتب له بها كتاب عهد .

وفى جمادى الآخرة من هذه السنة أطلق محمد بن عبيد الله الذى كان وزيراً وابنه عبدالله وأُمرا بلزوم منازلهما .

وفيها خلع على القاسم بن الحر وولّىَ سيراف ، وخلع على علىّ بن خالد الكردى ، وولّىَ حلوان .

وفى هذه السنة ركب أبوالعباس محمد بن المقتدر من القصر المعروف بالحسَنىّ ، وبين يديه لواء عقده له أبوه المقتدر على المغرب ، ومعه القواد كلهم ، والغلمان الحجرية وجماعة الخدم حول ركابه ، وعلىّ بن عيسى عن يمينه ومؤنس الخادم عن يساره ونصر الحاجب بين يديه ، فسار فى الشارع الأعظم ، ورجع فى الماء والناس معه ،

فاعترضه رجل بمربَّعة الحَرَشى ، فنثر عليه دراهم مسيَّفة ، وقال له : بحق أمير المؤمنين إلّا أذنتَ لى فى طَلْىِ الفرس بالغالية ، فوقف له وجعل الرجل يطلى وَجْه الفرس ، فنفر منه ، وقيل له : دع وَجْهه ، واطْلِ سائر بدنه ، فأقبل يطلى عُرْف الفرس وقوائمه بالغالية ، فقال محمد بن المقتدر لمن حوله : اعرفوا لنا هذا الرجل .

وفى هذه السنة قلّد أبوبكر محمد بن علىّ الماذرائى أعمال مصر والإشراف على أعمال الشأم وتدبير الجيوش ، وخلع عليه ، وذلك يوم الخميس للنصف من شهر رمضان وخلِع فى هذا النهار أيضا على القاسم بن سيما ، وعقِد له على الإسكندرية وأعمال بَرْقة .

وفى هذه السنة فى جُمادى الآخرة ، ورد الخبر بوفاة علىّ بن أحمد الراسبىّ ، وكان يتقلّد جندى سابور والسّوس وماذَرايا إلى آخر حدودها،وكان يورد من ذلك ألف ألف دينار وأربعمائة ألف دينار فى كل سنة ، ولم يكن معه أحد يشركه فى هذه الأعمال من أصحاب السلطان لأنه تضمّن الحرب والخراج والضياع والشحنة وسائر مافى عمله ، فتخلّف – فيما وردت به الأخبار – من العين ألف ألف دينار ومن آنية الذهب والفضة قيمة مائة ألف دينار ومن الخيل والبغال والجمال ألف رأس ، ومن الخزّ الرفيع الطاق أزيد من ألف ثوب ، وكان معَ ذلك واسع الضيعة كثير الغَلّة وكان له ثمانون طرازاً [1] ينسج له فيها الثياب من الخز وغيره . فلمّا ورد الخبر بوفاة الراسبىّ ، أنفذ المقتدر عبد الواحد بن الفضل بن وارث فى جماعة من الفرسان والرّجالة لحفظ ماله إلى أن يوجّه مَنْ ينظر فيه ، ثم وجّه مؤنس الخادم للنظر فى ذلك ؛ فيقال : إنه صار إليه منه مال جليلٌ،وخلع على إبراهيم بن عبد الله المسمعىّ ، ووَلّىَ النظر فى دور الراسبى .

وتُوفِّىَ مُؤنس الخازن يوم الأحد لثمان بقين من شهر رمضان ، ولم يتخلّف أحد عن جنازته من الرؤساء ، وصلّى عليه القاضى محمد بن يوسف ، ودُفِن بطرف الرُّصافة ، وكان جليل القدْر عند السلطان ، فلما مات قلّد ابنه الحسن ما كان يتولّاه من عَرْض الجيوش ، فجلس ونظر ، وعاقب وأطلق ، وفُرّق سائر الأعمال التى كانتْ إلى مؤنس

(١) الطراز : الموضع الذى تنسج فيه الثياب الجيدة .

على جماعة من القواد الذين كانوا فى رسمه ، وضمّ أصحابه إلى ملازمة أبى العباس بن المقتدر ، ولم يخلع على الحسن بن مؤنس للولاية مكان أبيه ، فعلم أنّ ولايته لاتتمّ وعزل بعد شهرين ، وعُزل محمد بن عبيد الله بن طاهر وكان خليفته على الجانب الشرقىّ ، وقدم مكانه بدر الشرابى ، وعُزل خزرى بن موسى خليفة مؤنس على الجانب الغربى وولِّى مكانه إسحاق الأشروسنى ، وولِّىَ شفيع اللؤلؤى البريد وسُمِّىَ شفيعاً الأكبر .

وورد الخبر فى شعبان بأن أحمد بن إسماعيل بن أحمد صاحب خراسان قتله غلمانه غِيلة على فراشه ، وكان قد أخاف بعضهم فتواطئوا على قتله . ثم اجتمع سائر غلمانه فضبطوا الأمر وبايعوا لابنه نصر بن أحمد . وورد كتابه على المقتدر يسأله تجديد العهد له ، ووردت كتب عمومته وبنى عمه يسأل كلّ واحد منهم ناحية من نواحى خراسان ، فأفرد الخليفة بالولاية ابنه وتمَّ له الأمر .

قال الصولىّ : شهدت فى هذا العام بين يدى محمد بن عبيد الله الوزير مناظرة كانت بين ابن الجصاص وإبراهيم بن أحمد الماذرائى ، فقال إبراهيم بن أحمد الماذرائىّ فى بعض كلامه : لابن الجصاص مائة ألف دينار من مالى صدقة ، لقد أبطلتَ فى الذى حكيته وكذبت ! فقال له ابن الجصاص : قفيز دنانير من مالى صدقة ، لقد صدقت أنا وأبطلت أنتَ ، فقال له ابن الماذرائى : من جهلك أنك لاتعلم أن مائة ألف دينار أكثر من قفيز دنانير، فعجب الناس من كلامهما , قال الصولى : وانصرفت إلى أبى بكر بن حامد فخبّرته الخبر ، فقال : نعتبر هذا بمحنة ، فأحضر كيلجة[1] وملأها دنانير ثم وزنها فوجد فيها أربعة آلاف دينار ، فنظرنا فإذا القفيز ستة وتسعون ألف دينار كما قال الماذرائى .

وفى هذه السنة مات أبوبكر جعفر بن محمد المعروف بالفاريابىّ المحدّث ، لأربع بقين من المحرم وصلى عليه ابنه ودفن فى مقابر الشّونيزيّة[2]

وفيها توفىَ عبدالله بن محمد بن ناجية المحدّث وكان مولده سنة عشر ومائتين.

وفيها مات الحسن بن الحسن بن رجاء ، وكان يتقلّد أعمال الخراج والضياع بحلَب ، مات فجاءة ، وحُمِل تابوته إلى مدينة السلام ، ووصل يوم السبت لخمس

(١) الكيلجة : نوع من المكاييل .

(٢) الشونيزية : مقبرة ببغداد .

بقين من شهر ربيع الأول .

وفيها مات محمد بن عبدالله بن علىّ بن أبى الشوارب القاضى المعروف بالأحنف ، وكان خليفة أبيه على قضاء عسكر المهدىّ والشرقية والنّهروانات والزّوابى والتل وقصر ابن هبيرة والبصرة وكُور دجلة وواسط والأهواز ، ودفن يوم الأحد لتسع ليالٍ خلَوْن من جمادى الأولى فى حجرة بمقام باب الشأم وله ثمان وثلاثون سنة .

وفى هذه السنة بعد قتل أحمد بن إسماعيل ورد الخبر بأن رجلاً طالبيًّا حسينيًّا خرج بطَبَرستان يدعو إلى نفسه يعرف بالأطروش .

وفى آخر هذه السنة تُوُفِّىَ أحمد بن عبد الصمد بن طومار الهاشمىّ ، وكان من قبلُ نقيب بنى هاشم العباسيين والطالبيين ، فقُلِّد ما كان يتقلّده أخو أم موسى ، فضجّ الهاشميون من ذلك ، وسألوا ردّ ما كان يتولّاه ابن طومار إلى ابنه محمد بن أحمد ، فأجيبوا إلى ذلك ، وكان لأحمد بن عبد الصمد يوم توفى اثنتان وثمانون سنة .

وأقام الحج للناس فى هذه السنة الفضل بن عبد الملك الهاشمىّ .

ثم دخلت سنة اثنتين وثلثمائة

ذكر ما دار فى هذه السنة من أخبار بنى العباس

فيها ركب شفيع الخادم المعروف بالمقتدرىّ فى جماعة من الجند والفرسان والرّجال إلى دار الحسين بن أحمد المعروف بابن الجصّاص ، التى فى سوق يحيى ، ولحقه صاحب الشرطة بدر الشرابى ، فوكّل شفيع بالأبواب وقبض على جميع ماتحويه دارُه من مال وجوهر وفرش وأثاث ورقيق ودوابّ ، وحمل فى وقته ذلك صناديق مختومة ؛ ذكر أن فيها جوهر وآنية ذهب ، ووجد فى داره فرشاً سلطانيًّا من فرش إرمينية وطبرستان جليلاً لايعرف قدره ، ووجد فيها من مرتفع ثياب مصر خمسمائة سَفَط[1] وحفرت داره فوجِدَتْ له فى بستانه أموال جليلة مدفونة فى جرار خضر وقماقم مرصصة الرءوس ، فحملت كهيئتها إلى دار المقتدر ، وأُخذ هو فقيّد بخمسين رطلاً من حديد وغُلّ ، وتسمّع الناس ماجرى عليه،فصودر على مائة ألف دينار بعد هذاكله ، وأُطلق إلى منزله .

وقال أبو الحسن بن عبد الحميد كاتب السيّدة:إنّ الذى صحّ مما قبض من مال الحسين بن أحمد بن الجصاص الجوهرىّ من العين والورِق والآنية والثياب والفرش والكُراع والخدم – لاثمن ضيعة فى ذلك ولا ثمن بستان – ماقيمته ستة آلاف ألف دينار .

وفى هذه السنة فى رجب ورد كتاب محمد بن على الماذرائىّ إلى السلطان من مصر يزعم أن وقعة كانت بين أصحاب السلطان وبين جيش القيروان فقتِل من أصحاب الشيعى سبعة آلاف وأسر نحوهم ، وانهزم مَنْ بقى منهم ، ومضوا على وجوههم ، فمات أكثرهم قبل وصولهم إلى برقة ، ووردت كتب التجار بدخول الشيعة برقة ، وعظم ما أحدثوا فى تلك الناحية ، وأن الغَلَبة إنما كانت لهم .

---

(١) السفط : وعاء كالجوالق .

قال الصولىّ : وفيها جلس علىّ بن عيسى للمظالم فى كل يوم ثلاثاء ، فحضرتُه يوماً،وقد جىء برجل يزعم أنه نبىّ ، فناظره فقال : أنا أحمد النّبى ، وعلامتى أنّ خاتم النبوة فى ظهرى ، ثم كشف عن ظهره فإذا سَلْعة [١] صغيرة ، فقال له : هذه سلعة الحماقة ، وليست بخاتَمِ النُّبوة، ثم أمر بصفعه وتقييده وحبسه فى المُطْبَق [٢] .

وفى شهر رمضان من هـذه السنة وافَى باب الشماسيّة قائد من قـوّاد صاحب القيروان يقال له أبو جدة ، ومعه من أصحابه مائتا فارس ، نازعين إلى الخليفة فأُحضر القائد دار السلطان ، وخلَع عليه ، وأُخرج هو وأصحابه إلى البصرة ليكونوا مع محمد بن إسحاق بن كنداج .

وفيها أطلق المقتدر من سجنه الصفَّارىَّ المعروفَ بالقتّال ، وخلع عليه ، وأقطعه داراً ينزلها وأُجرى عليه الرزق ، وأمره بحضور الدّار فى يومى الموكب مع الأولياء ، وأطلق أيضاً محمد بن الليث الكردىّ وخلَع عليه ، وهو ممن أُدخل مع الليث ، وطُوِّف على جمل .

وفيها جاء رجل حسن البِزّة طيب الرائحة إلى باب غَريب خال المقتدر ، وعليه درّاعة وخفّ أحمر وسيف جديد بحمائل ؛ وهو راكب فرساً ومعه غلام ، فاستأذن للدخول، فمنعه البوّاب ، فانتهرَه وأغلظ عليه ، ونزل فدخل ، ثم قعد إلى جانب الخال ، وسلّم عليه بغير الإمرة ، فقال له غريب وقد استبشع أمره : ماتقول أعزك الله ؟ قال : أنا رجل من ولد علىّ بن أبى طالب ، وعندى نصيحة للخليفة لايسعنى أن يسمعها غيرُه ، وهى من المهمّ الذى إن تأخّر وصولى إليه حدث أمر عظيم . فدخل الخال إلى المقتدر والى السيّدة ، وأعلمهما بأمره ، فبعث فى الوزير علىّ بن عيسى وأحضر الخالُ الرجل ، فاجتهد الوزير والحاجب نصر والخال أن يعلمَهم النصيحة ماهى ، فأبى حتى أدخِل إلى الخليفة ، وأُخذ سيفه ،وأُدْنى منه ، وتنحّى الغلمان والخدم، فأخبر المقتدر بشىء لم يقف عليه أحد ، ثم أمره بالانصراف إلى منزلٍ أقيم له وخلع عليه مايلبسه ، ووُكّل به خدم يخدمونه،وأمر المقتدر أن يحضر ابن طومار نقيب الطالبيين ومشايخ آل أبى طالب ، فيسمعون منه ويفهمون أمره ، فدخلوا عليه وهو

---

(١) السلعة : نتوء فى الجسد ، كالغدة .

(٢) المطبق : السجن .

علىَّ برْذعة طبرّية مرتفعة ، فما قام إلى واحد منهم ، فسأله ابن طومار عن نسبته فزعَم أنه محمد بن الحسن بن علىّ بن موسى بن جعفر الرضا وأنه قَدمَ من البادية ، فقال له ابن طومارَ : لم يعقب الحسن – وكان قوم يقولون إنه أعقب ، وقوم قالوا لم يعقب – فبقى الناس فى حيرة من أمره ، حتى قال ابن طومارَ : هذا يزعم أنه قدم من البادية وسيفه جديد الحلية والصنعة ، فابعثوا بالسيف إلى دار الطاق ، وسلُوا عن صانعه وعن نصله ، فبعث به إلى أصحاب السيوف بباب الطّاق ، فعرفوه وأحضروا رجلاً ابتاعه من صَيْقل[١] هناك ، فقيل له : لمن ابتعت[٢] هذا السيف؟ فقال : لرجل يعرف بابن الضُّبَعى ، كان أبوه من أصحاب ابن الفرات ، وتقلّد له المظالم بحلَب ، فأُحضر الضبعىُ الشيخ،وجُمع بينه وبين هذا المدّعى إلى بنى أبى طالب فأقرّ بأنه ابنه ، فاضطرب الدعىُّ وتلجّج فى قوله ، فبكى الشيخ بين يدى الوزير حتى رحمه ووعده بأن يستوهب عقوبته ويحبسه أو ينفيه ، فضجّ بنو هاشم ، وقالوا : يجب أن يُشهَر هذا بين الناس ، ويعاقب أشدّ عقوبة ، ثم حبس الدعىّ ، وحُمل بعد ذلك على جَمل ، وشُهِر فى الجانبين يوم التَّرْوِية ويوم عَرَفة،ثم حبس فى حبس المصريين بالجانب الغربىّ .

وفى هذه السنة اضطرب أمرُ خراسان لما قُتل أحمد بن إسماعيل ، واشتغل نصر بن أحمد والده بمحاربة عمّه ، ودارت بينهما فتوق ، فكتب أحمد بن علىّ المعروف بصعلوك ، وكان يَلِى الرّىّ من قِبَل أحمد بن إسماعيل أيام حياته إلى المقتدر ، ووجّه إليه رسولا يخطُب إليه أعمال الرىّ وقزوين وجرجان وطبرستان ، وما يستضيف إلى هذه الأعمال ، ويضمن فى ذلك مالاً كثيراً ، وعُنِى به نصر الحاجب ؛ حتى أنفذ إليه الكتب بالولاية ، ووصله المقتدر من المال الذى ضمن بمائة ألف درهم ، وأمر بمائدة تقام له فى كلّ شهر من شهور الأهلة بخمسة آلاف درهم ، وأقطعه من ضياع السلطان بالرّىّ مايقوّم فى كلّ سنة بمائة ألف درهم .

وفى هذه السنة ركب المقتدر إلى الميدان ، وركب بأثره علىّ بن عيسى الوزير ليلحقه،فنفرت دابته وسقط سَقْطة مؤلمة ، وأمر الخليفة أصحاب الركاب بإقامته ،

---

(١) الصيقل : شحاذ السيوف وجلاؤها .

(٢) ابتعت هنا : اشتريت .

وحمله على دابته ، فأنهضوه وحملوه ، وقيلت فيه أشعار منها :

سُقوطُكَ ياعليّ لِكَسفِ بالِ وخِزْيِ عاجِـلِ وسقوطِ حالِ
فما قلنا لعًا لكَ بل سُررْنا وكان لِمَا رَجَوْنا خيرَ فالِ
أضَعْتَ المالَ فى شَرْقٍ وغَرْبٍ فلمْ يَحْظ الإمامُ بجمعِ مالِ

قال : وكان علىّ بن عيسى بخيلاً ، فأبغضه الناس لذلك .

ووردت الأخبار بدخول صاحب إفريقيّة الإسكندرية وتغلّبه على بَرْقة وغيرها ، وكتب تكين الخاصة والى مصر يطلب المدد ، ويستصرخ السلطان ، فعظم ذلك على المقتدر ورجاله . وكانوا من قَبْلُ مستخفّين بأمر عبيد الله الشيعىّ وبأبى عبدالله القائم بدعوته ، وكانوا قد فحصوا عن نَسَبه ومكانه ، وباطن أمره .

قال محمد بن يحيى الصولى : حدّثنا أبوالحسن علىّ بن سراج المصرىّ ، وكان حافظاً لأخبار الشيعة:إن عبيد الله هذا القائم بإفريقيّة هو عبيد الله بن عبدالله بن سالم من أهل عسكر مُكْرَم بن سندان الباهلىّ صاحب شرطة زياد ، ومن مواليه وسالم جدّه ، قتله المهدىّ على الزندقة .

قال : وأخبرنى غير ابن سراج أن جده كان ينزل بنى سهم من باهلة بالبصرة ، وكان يدّعى أنه يعرف مكان الإمام القائم وله دعاة فى النواحى ، يجمعون له المال بسببه ، فوجّه إلى ناحية المغرب رجلاً يعرف بأبى عبدالله الصوفى المحتسب ، فأرى الناس نُسْكاً ، ودعاهم سرًّا إلى طاعة الإمام ، فأفسد على زيادة الله بن الأغلب القيروان ، وكان عبيد الله هذا مقيماً بسَلَمْيَه[1] مدّة ، ثم خرج إلى مصر فطُلب بها،وظفر به محمد ابن سليمان ، فأخذ منه مالاً ، وأطلقه،ثم ثار المحتسبُ علَى ابن الأغلب وطرده عن القيروان ، وقدم عليه عبيد الله ، فقال المحتسب للناس : إلى هذا كنت أدعو ، وكان عبيد الله يُعرَف أوّلَ دخوله القيروان بابن البصرى ، فأظهر شرب الخمر والغناء ، فقال المحتسب : ماعلى هذا خرجنا ، وأنكر فعله ، فدسّ عليه عبيد الله رجلاً من المغاربة يعرف بابن خنزير ، فقتله،وملك عبيدُ الله البلاد ، وحاصر أهل طرابلس حتى فتحها ، وأخذ أموالاً عظيمة . ثم ملكَ برقة وأقبل جيشُه يريد مصر ، وقدِم ولد

---

(١) كذا ضبطت فى ياقوت ، وهى بلدة من أعمال حماة .

عبيد الله الإسكندرية ، وخطب فيها خطباً كثيرة محفوظة ، لولا كفرٌ فيها لاجتلبتُ بعضَها .

ولما وردت الأخبار باستطالة صاحب القيروان بجهة مصر ، أنهض المقتدر مؤنساً الخادم وندب معه العساكر ، وكتب إلى عمال أجناد الشأم بالمصير إلى مصر . وكتب إلى ابنى كيغلغ وذكا الأعور، وأبى قابوس الخراسانىّ باللّحاق بتكين لمحاربته . وخلع على مؤنس فى شهر ربيع الأول سنة ثنتين وثلثمائة وخرج متوجّهاً إلى مصر ، وتقدم علىّ بن عيسى الوزير بترتيب الجمّازات[1] من مصر إلى بغداد ليروّح عليه الأخبار فى كلّ يوم،فورد الخبر بأن جيش عبيد الله الخارج مع ابنه ، ومع قائده حباسة انهزموا وبشّر علىّ بن عيسى بذلك المقتدر،فتصدّق فى يومه بمائة ألف درهم ، ووصل علىّ ابن عيسى بمال عظيم،فلم يقبله ثم رجع علىّ وقد باع له ابنُ ماشاء الله ضيعةً بأربعة آلاف دينار ، وفرّقها كلها شكراً لله عز وجل ، ودخل مؤنس الخادم بالجيوش مصر فى جمادى الآخرة ، وقد انصرف كثير من أهل المغرب عن الإسكندرية ونواحيها ، وانصرف ولد عبيد الله قافلا إلى القيروان.وكتب محمد بن علىّ الماذَرائى يذكر ضيق الحال بمصر وكثرة الجيوش بها وما يحتاج إليه من الأموال لها،فأنفذ إليه المقتدر مائتى بَدْرة دراهم على مائتى جمّازة مع جابر بن أسلم صاحب شرطة الجانب الشرقى ببغداد . وورد الخبر من مصر فى ذى القعدة بأنّ الأخبار تواترتْ عليهم بموت عبيد الله الشيعىّ فانصرف مؤنس يريد بغداد ، وعزل المقتدر تكين عن مصر ، وولاه دمشق ونقل ذكا الأعور من حلب إلى مصر .

وفى هذه السنة صَرَف أبوإبراهيم بن بشر بن زيد أبا بكر الكريزىّ العامل عن أعمال قصر ابن هبيرة ونواحيه ، فطالبه وضربه بالمقارع حتى مات،وحمِل إلى مدينة السلام فى تابوت .

وفيها مات القاسم بن الحسن بن الأشيب ، ويكنى أبا محمد ، وكان قد حدّث وحمل عنه الناس.توفى لليلتين بقيتا من جمادى الأولى،ولم يتخلف عن جنازته قاض ولا فقيه ولا عدل .

وفيها ماتت بدْعة جارية عُريب مولاة المأمون لستٍّ خلون من ذى الحجة

(١) جمازات : جمع جمازة ، وهى الدابة السريعة السير .

وصلّى عليها أبوبكر بن المهتدى ، وخلّفت مالاً كثيراً وجوهراً وضياعاً وعقارات ، فأمر المقتدرُ بالله بقبض ذلك كله ، وتُوُفِّيت ولها ستون سنة ماملكها رجل قطّ .

وقُطِع فى هذه السنة بطريق مكة على حاتم الخُراسانى وعلى خلق عظيم معه،خرج عليهم رجل من الحُسينية مع بنى صالح بن مدرك الطائى ، فأخذوا الأموال واستباحوا الحرَم ومات مَنْ سلم عطشا ، وسَلِمت القوافل غير قافلة حاتم .

وأقام الحجّ للناس فى هذه السنة الفضل بن عبد الملك الهاشمى .

ثم دخلت سنة ثلاث وثلثمائة

ذكر ما دار فى هذه السنة من أخبار بنى العباس

فيها ورد الخبر بأن رجلاً من الطالبيّين ثار بجهة واسط وانضمّ إليه جماعة من الأعراب والسّواد ، وكان للأعراب رئيس يقال له محرز بن رَبَاح ؛ وذلك أنه بلغهم بأن صاحب فارس والأهواز والبصرة بعث إلى حضرة السلطان من المال المجتمع قبَله ثلثمائة ألف دينار ، حملت فى ثلاث شَذَوَات[1] ، فطمعوا فى انتهابها وأخذها ، وكمنوا للرسل فى بعض الطريق ، ففطن بهم أهل الشّذَوات ، فأفلتت منها واحدة ، وصاعدت، ورجعت الاثنتان إلى البصرة ، ولم يظفر الخارجون بشيء. فصاروا إلى عَقْر واسط ، وأوقعوا بأهلها ، وأحرقوا مسجدها ، واستباحوا الحرم . وبلغ حامد بن العباس خبرهم ، وكان يتقلّد أعمال الخراج والضياع بكَسْكَر وكور دجلة وما اتّصل بذلك ، فوجّه مِنْ قِبَله محمد بن يوسف المعروف بخزرى ، وكان يتقلّد له معونة واسط ، وضمّ إليه غلمانه وقوماً فرض لهم فرضاً ، وكتب إلى السلطان بالخبر ، فأمدّه بلؤلؤ الطولونى ، فلم يبلغ إليه لؤلؤ حتى قتل الطالبيّ ومحرز بن رباح وأكثر الأعراب الخارجين معهما ، وأُسِر منهم نحو مائة أعرابى،وكتب حامد بالفتح إلى المقتدر ، وبعث بالأسرى ، فأدخلُوا مدينة السلام فى جمادى الأولى وقد أُلبسوا البرانس ، وحُمِلُوا على الجمال ، فضجوا وعجّوا . وزعم قوم منهم أنهم براءٌ ، فأمر المقتدر بردّهم إلى حامد ليطلق البرىء ، ويقتل النّطف ، فقتلهم أجمعين على جِسْر واسط ، وصَلَبهم .

وفى هذه السنة فى جُمادى الأولى ورد الخبر بأن الرّوم حشدوا وخرجوا على المسلمين ، فظفروا بقوم غُزاة من أهل طَرَسوس ، وظفرت طائفة منهم أخرى بخَلْق كثير من أهل مَرْعَش وشمشاط ، فسَبَوْا من المسلمين نحواً من خمسين ألفاً ، وعظم الأمر فى ذلك ، وعمّ حتى وجّه السلطان بمال ورجال إلى ذلك الثّغر ، فدارت على الروم بعد ذلك وقعات كثيرة .

---

(١) الشذوات : نوع من السفن .

وفيها كانت لهارون بن غريب الخال جناية وهو سكران بمدينة السلام ، على رجل من الخَزَر يعرف بجوامرد ، ولقيه ليلاً فضرب رأسه بطبرزين[١] كان فى يده ، فقتله بلا سبب ، فشغَب رفقاؤه الذين كان فى جملتهم ، وطلبوا هارون ليقتلوه ، فمنِع منهم وكانوا نحو المائة ، فشكوْا أمره ، وترددوا طالبين لأخذ الحق منه ؛ فلم ينظر لهم . فلما أعوزهم ذلك ، خرجوا بأجمعهم إلى عسكر ابن أبى الساج ، وكان قد تحرّك على السلطان ، وأنفذ إليه المقتدر رشيقاً الحرمىّ ختَن نصر الحاجب رسولاً ليصرفه عن مذهبه ، فحبسه ابن أبى الساج عند نفسه ، ومنعه أن يكتب كتاباً إلى المقتدر . ثم إنه أطلقه بعد ذلك ، وبعث بهدايا ومال . فرضى عنه .

وفيها عظم أمر الحسين بن حمدان بنواحى الموصل ، فأنفذ إليه السلطان أبا مسلم رائقاً الكبير ، وكان أسنَّ الغلمان المعتضدية وأعلاهم رتبة ، وكان فيه تصاونٌ وتديّن وحسنُ عقل ، فشخص ومعه وجوه القواد والغلمان ، فحارب الحسين بن حمدان ،وهو فى نحو خمسة عشر ألفاً،فقتل رائق من قواد ابن حمدان جماعةً منهم الحسن بن محمد ابن أبّا التركى ، وكان فارساً شجاعاً مقداماً وأبو شيخ ختَن ابن أبى مسعر الأرمينى . ووجّه الحسين بن حمدان إلى رائق جماعة يسأله أن يأخذ له الأمان ، وإنما أراد أن يشغله بهذا عن محاربته،ومضى الحسين مصعِداً ومعه الأكراد والأعراب وعشر عمّاريات ، فيها حرمه . وكان مؤنس الخادم قد انصرف من الغزاة وصار إلى آمِد،فوجه القواد والغلمان فى أثر الحسين ، فلحقوه وقد عَبَر بأصحابه وأثقاله وادياً ، وهو واقف يريد العبور فى خمسين فارساً ، ومعه العمّاريات ؛ فكابرهم حتى أخذوه أسيراً ، وسلّم عياله وأُخذ ابنه أبوالصقر أسيراً . فلمّا رأى الأكراد هذا عطفوا على العسكر فنهبوه وهرب ابنه حمزة وابن أخيه أبو الغطريف ، ومعهما مال ، ففطِن بهما عامل آمِد ، وكان العامل سيما غلام نصر الحاجب ، فأخذ ما معهما من المال وحبَسهما .

ثم ذكر أن أبا الغطريف مات فى الحبس ، فأخذ رأسه ، وكان الظفر بحسين بن حمدان يوم الخميس للنصف من شعبان ، ورحَل مؤنس يريد بغداد ، ومعه الحسين ابن حمدان وإخوته على مثل سبيله ، وأكثر أهله ، فصيّر الحسينَ على جمل مصلوباً علىٰ

---

(١) الطبرزين ؛ قال فى المعرب : هو فأس السرج كانت يحمله فرسان العجم ، يقاتلون بها .

نِقْنِق[1] ، وتحته كرسى ، ويدير النقنق رجل ، فيدور الحسين من موقفه يميناً وشمالاً ، وعليه دُرّاعة[2] ديباج سابغة قدغطت الرِّجْل الذى يدير النّقنق ، مايراه أحد ، وابنه الذى كان هــرب من مدينة السلام أبو الصقر قد حُمِل بين يديه على جمل ، وعليه قَباء ديباج وبُرنس ، وكان قد امتنع من وضع البرنس على رأسه،فقال له الحسين : البَسْه يابنىّ فإن أباك ألبس البرانس أكثر هؤلاء الذين تراهم –وأومأ إلى القتّال وجماعة من الصفّارية –ونُصبت القباب بباب الطاق ، وركب أبو العباس محمد بن المقتدر بالله وبين يديه نصر الحاجب،ومعه الحرْبة وخلْفه مؤنس وعلىّ بن عيسى وأخوه الحسين خلْف جملة عظيمة ، عليهم السواد فى جملة الجيش .

ولما صار الحسين بسوق يحيى قال له رجل من الهاشميين : الحمد لله الذى أمكن منك ، فقال له الحسين : والله لقد امتلأت صناديقى من الخلع والألوية ، وأفنيتُ أعداء الدولة ؛ وإنما أصارنى إلى هذا الخوف على نفسى ، وما الذى نزل بى إلا دون ماسينزل بالسلطان إذا فَقَد من أوليائه مثلى . وبُلغ الدار ووقف بين يدى المقتدر بالله ، ثم سلِّم إلى نذير الحرمىّ فحبسه فى حجرة من الدار ، وشغب الغلمان والرجّالة يطلبون الزيادة ، ومُنِعُوا من الدخول على مؤنس أو على أحد من القواد ، ومضوْا إلى دار علىّ بن عيسى الوزير ، فأحرقوا بابه ، وذبحوا فى إصطبله دوابّه وعسكروا بالمصلّى . ثم سُفر بالأمر بينهم ، فدخلوا واعترفوا بخطئهم وكان الغلمان سبعمائة ، وكان الرّجّالة خلقاً كثيراً ، فوعدهم مؤنس الزيادة ، فزِيدوا شيئاً يسيراً ، فرضوا .

وفى آخر شهر رمضان أدخل خمسة نفر أسارى من أصحاب الحُسَين ، فيهم حمزة ابنه ورجل يقال له علىّ بن النّاجى لثلاث بقين من هذا الشهر ، ثم قُبض على عبيد الله وإبراهيم ابنى حمدان ، وحبسا فى دار غريب الخال ثم أطلقا .

وفى هذه السنة فى صفر قلّد ورقاء بن محمد الشيبانىّ معونة الكوفة وطريق مكة ، وعزل عن الكوفة إسحاق بن عمران،وكان عقده على طريق مكّة وقصبة الكوفة وأربعة من طَسَاسيجها : طسّوج السّيلحين ، وطسّوج فرات بادَقلا ، وطسّوج بابل وخُطَرْنِية والخرِب ، وطسّوج سورا ، وخلع عليه وعقد له لواء .

---

(١) النقنق : الظليم ، وهو ذكر النعام .

(٢) الدرّاعة : ضرب من الثياب .

وفى هذه السنة أغلظ علىّ بن عيسى لأحمد بن العباس أخى أم موسى ، وقال له : قد أفنيت مال السلطان ترتزق فى كلّ شهر من شهور الأهلّة سبعة آلاف دينار ، وكتب رقعة بتفصيلها،فلم تزلْ أم موسى ترفق لعلىّ بن عيسى إلى أنْ أمسك عنه .

وفى هذه السنة نظر علىّ بن عيسى بعين رأيه إلى أمر القرامطة فخافهم على الحاجّ وغيرهم ، فشغلهم بالمكاتبة والمراسلة والدخول فى الطاعة ، وهاداهم وأطلق لهم التسّوق بسيراف ، فردّهم بذلك وكفّهم ، فخطّأه الناس . فلمّا عاينوا بعد ذلك مافعله القرامطة حين أُخْرجوا ، علموا أن الذى فعله علىّ صواب كلّه وشُنّع على علىّبن عيسى بهذا السبب أنه قرمطىّ ، ووجَد حُسّادُه السبيل إلى مطالبته بذلك ؛ وكان الرجل أرجَح عقلاً ، وأحْسَن مذهباً من الدخول فيا نسب إليه .

وفى هذه السنة مات أبو الهيثم بن ثوابة الأكبر بالكوفة فى الحبس بعد أن أخذ منه إسحاق بن عمران مالاً جليلاً للسلطان ولنفسه . وقيل إنه احتال فى قتله خوف أن يقرّ عليه يوماً بما أخذ منه لنفسه .

وفيها مات الفضل بن يحيى بن فرُّخان شاه الدَّيرانىّ النصرانىّ من دير قَنّا[1] فقبض السلطان على جميع أملاكه ، وكانت له عند رجل مائة وخمسون ألف دينار ، فأخذت من الرجل ، ووجّه شفيع المقتدرى ومعه غلمان وخدم إلى قُنّا فأحْصَوْا تركته وضياعه .

وفيها مات إدريس بن إدريس العدْل فى القادسّية وهو حاجّ إلى مكة ، وكان أمْرهُ قد علا فى التجارة والمكانة عند السلطان ، وكان يحجّ فى كلّ سنة ، ويحمل معه مالاً ينفقه على من احتاج إلى النفقة . قال محمد بن يحيى الصولى : أناسمعته يوماً يقول : يلزمنى كلّ سنة فى الحجّ نفقة غير ما أصرفه فى أبواب البر خمسة آلاف دينار .

وفيها مات أبو الأغرّ السُّلَمىّ فجاءة لسبع خلون من ذى الحجة قال نصف النهار بعد أن تغدّى ثم حُرِّك للصلاة فُوجِد ميتاً .

وأقام الحج للناس فى هذه السنة الفضل بن عبد الملك الهاشمى .

---

(١) دير قَنّــا ذكره ياقوت وقال : « على ستة عشر فرسخاً من بغداد .

ثم دخلت سنة أربع وثلثمائة

ذكر ما دار فى هذه السنة من أخبار بنى العباس

وفى المحرم من هذه السنة ورد كتاب صاحب البريد بكرمان يذكُرُ أنّ خالد ابن محمد الشعرانىّ المعروف بأبى يزيد – وكان علىّ بن عيسى الوزير ولّاه الخراج بكِرْمان وسجِسْتان – خالف على السلطان ، ودعى أميراً ، وجمع الناس إلى نفسه ، وضمِن لهم الأموال على أن ينهضوا معه لمحاربة بدر الحمامىّ صاحب فارس ، وضمن لقواد كانوا معه مالاً عظيماً، وعجّل لهم منه بعضه حتى اجتمع له نحو عشرة آلاف فارس وراجِل ؛ وكان ضعيفَ الرأى ناقصَ القريحة ، فكتب المقتدر إلى بدر الحمامىّ فى إنفاذ جيش إليه ومعاجلته ، فوجّه إليه بدر قائداً من قواده يعرف بدَرَك وضمّ إليه من جنده ورجال فارس عسكراً كثيراً ، وكتب بدر قبل إنفاذ الجيش إلى أبى يزيد الشعرانىّ يرغّبه فى الطاعة ، ويتضمّن له العافية ، مع الإنهاض فى المنزلة ، ويخوّفه وبالَ المعصية، فجاوبه أبو يزيد : والله ما أخافك لأنى فتحت المصحف فبدر إلىّ منه قول الله عز وجل : (لا تخاف دَرَكاً ولا تخشى)[1] ، ومع ذلك فى طالعى كوكب بيبانىّ لابدّ أن يبلغنى غاية ما أُريد ، فأنفذ بدر الجيش إليه ، وحُوصر حتى أُخِذ أسيراً فقيلت فيه أشعار منها :

يـابـا يزيدٍ قائِلَ البُهـــــتانِ لاتَغتَرِرْ بالـــكوكَبِ البَيْبانى
واعلمْ بأنّ القتلَ غايةُ جاهِـلٍ باعَ الهدى بالغَىِّ والعصيانِ
قد كنتَ بالسُّلطانِ عالِىَ رُتبَةٍ مَن ذا الذى أغراكَ بالسلطان

ثم أتى الخبرُ بأن أبا يزيد هذا مات فى طريقه ، فحمل رأسه إلى مدينة السلام ونُصب على سور السجن الجديد ، وعزل يمن الطولونى عن إمارة البصرة ، ووليها الحسن بن خليل بن ريمال، على يدىْ شفيع المقتدرى ، إذ كانت إمارتها إليه .

---

(١) سورة طه ٧٧

ذكر التقبض على علىّ بن عيسى الوزير
وولاية علىّ بن الفرات ثانية

وقبض فى هذه السنة على الوزير علىّ بن عيسى يوم الاثنين ، لثمان ليال خلَوْن من ذى الحجة،ونهبت منازل إخوته ومنازل حاشيته وذويه ، وحُبِس فى دار المقتدر ، وقلّد الوزارة فى هذا اليوم علىّ بن محمد بن موسى بن الفرات ، وخلِع عليه سبعُ خلع ، وحمل على دابة بسرجه ولجامه ، فجلس فى داره بالمخرِّم المعروفة بدار سليمان بن وهب ، وردّت عليه أكثر ضياعه التى كانت قُبضت منه عند التسخط عليه ، وظهر مَنْ كان استتر بسببه من صنائعه ومواليه .

وذُكِر عنه أنه لما وُلِّىَ ابن الفرات الوزارة وخُلِع عليه بالغداة ، زاد ثمن الشمع فى كلّ منٍّ منه قيراط ذهب ، لكثرة ما كان ينفقه منه فى وقيده[1] ، وينفق بسببه وزاد فى ثمن القراطيس لكثرة استعماله إياها . فعدّ الناس ذلك من فضائله ، وكان اليوم الذى خُلع عليه فيه يوماً شديد الحرّ .

فحدثنى ابن الفضل بن وارث أنه سُقِى فى داره فى ذلك اليوم ، وتلك الليلة أربعون ألف رطل من الثلج ، وركب علىّ بن محمد إلى المسجد الجامع ومعه موسى بن خلف صاحبه فصيّح به الهاشميون : قد أُسلِمنا ، وضجّوا فى أمر أرزاقهم ، فأمر ابن الفرات مَنْ كان معه ألّا يكلمَهم فى شىء ، فأفرطوا فى القول ؛ فأنكر ذلك المقتدر وأمر بأن يحجب أصحاب المراتب عن الدّار ، فصار مشايخهم إلى ابن الفرات واعتذروا إليه ، وقالوا له : هذا فعلُ جُهّالنا ؛ فكلّم الخليفة فيهم حتى رضى عنهم ، وضمّ إلى ابن الفرات جماعة من الغلمان الحجرية ، ليركبوا بركوبه ويكونوا معه فى كلّ موضع يكون فيه .

وفيها ورَدَ الكتاب من خُراسان يذكر فيه أنه وجد بالقَنْدهار فى أبراج سورها بُرْج متّصل بها فيه خمسة آلاف رأس ، فى سِلال من حشيش ؛ ومن هذه الرءوس تسعة وعشرون رأساً فى أذن كلّ رأس منها رقعة مشدودة بخيط إبريسم ، باسم كلّ رجل منهم .

(١) الوقيد : الحطب .

والأسماء : شُرَيح بن حيان ، خبَّاب بن الزبير ، الخليل بن موسى التميمى ، الحارث ابن عبد الله ، طَلْق بن معاذ السلمىّ ، حاتم بن حَسَنة ، هانئ بن عروة ، عمر بن علان ، جرير بن عبّاد المدنى ، جابر بن خُبيب بن الزبير ، فرْقد بن الزبير السّعدى ، عبدالله ابن سليمان بن عمارة ؛ سليمان بن عمارة ، مالك بن طرخان صاحب لواء عقيل ابن السهيل بن عمرو ، عمرو بن حيان ، سعيد بن عتاب الكندى ، حبيب بن أنس ، هارون بن عروة ، غيلان بن العلاء ، جبريل بن عبادة ؛ عبد الله البجلى ، مطرف ابن صبح خَتَن عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وجدوا على حالهم إلا أنهم قد جفَّت جلودهم والشعر عليها بحالته لم يتغيَّر، وفى الرقاع من سنة سبعين من الهجرة .

وفى هذه السنة عُزل يمن الطولونى عن شرطة بغداد ، وولِيها نزار بن محمد الضبىّ .

وفى المحرم من هذه السنة تُوُفِّىَ عبدالعزيز بن طاهر بن عبدالله بن طاهر أخو محمد بن طاهر ، وكان عبداً صالحاً حسن المذهب ، كثير الخير ، ودفن فى مقابر قريش ، وصلّى عليه مطهّر بن طاهر .

وفيها مات محدّث عدل يعرف بأبى نصر الخُراسانى فى جمادى الأولى .

وفيها مات أبوالحسن أحمد بن العباس بن الحسن الوزير فى شعبان ، وكان قد عُنِىَ بالأدب ورشّح نفسه للوزارة ، وأهَّله قوم لها .

وفيها مات لؤلؤغلام ابن طولون .

وفيها مات أبو سليمان داود بن عيسى بن داود بن الجراح قبل القبض على أخيه علىّ بن عيسى بشهرين،فلم يتخلّف أحد عن جنازته من الأجلّاء .

وفى هذه السنة قدم طرخان بن محمد بن إسحاق بن كنداجيق من الدّينور حاجًّا فى شهر رمضان ، فركب إلى الوزير علىّ بن عيسى يوم الاثنين لإحدى عشرة ليلة بقيت من شوال ، وليس عنده خبر ، فعزّاه الوزير عن أبيه ، فجزع عليه جزعاً شديداً وخلع عليه فى يوم الخميس بعد ثلاثة أيام وعُقد له لواء على أعمال أبيه ، فكتب

إلى أخيه يستخلفه على العمل ، ونوظر عن الأعمال التى كانت إلى أبيه ، فقُطع الأمر معه على ستين ألف دينار ، حملها عنه حَمَد كاتبه،وجىء بتابوت محمد بن إسحاق لأربع بقين من شوال ، ودفن فى داره بالجانب الغربىّ .

وأقام الحجّ للناس فى هذه السنة الفضل بن عبدالملك الهاشمى .

ثم دخلت سنة خمس وثلثمائة

ذكر ما دار فى هذه السنة من أخبار بنى العباس

فيها دخـل مدينة السلام رسل ملك الروم ورئيساهم : شيخ وحدَث ، ومعهما عشرون عِلْجا ، فأُنزلوا الدار التى كانت لصاعد ، ووُسّع عليهم فى الأنزال والوظائف ، ثم أدخلوا بعد أيام إلى دار الخليفة من باب العامة ، وجىء بهم فى الشارع الأعظم ، وقد عُبِّىَ لهم المصاف من باب المخرّم إلى الدار ، فأُنزل الرئيسان عن دابتهما عند باب العامة ، وأدخِلا الدار وقد زينّت المقاصير بأنواع الفرش ، ثم أُقيما من الخليفة على نحو مائة ذراع ، والوزير علىّ بن محمد بين يديه قائم ، والترجمان واقف يخاطب الوزير ، والوزير يخاطب الخليفة ، وقد أعد من آلات الذهب والفضة والجوهر والفرش مالمْ ير مثله ، وطِيفَ بهما عليه . ثم صِير بهما إلى دِجْلة ، وقد أُعدّت على الشطوط الفيلة والزرافات والسباع والفهود ، وخلع عليهما ، وكان فى الخلَع طيالسة ديباج مثقلة ، وأمر لكل واحد من الاثنين بعشرين ألف درهم ، وحمل فى الشّذَا مع الذين جاءوا معهما ، وعبر بهما إلى الجانب الغربى وقد مدّ المصافُّ على سائر شراع دِجْلة إلى أن مرّ بهما تحت الجسر إلى دار صاعد ؛ وذلك يوم الخميس لست بقين من المحرّم .

وقدم إبراهيم بن أحمد الماذَرائى من مكة ، فقبض عليه ابن الفرات وأغلظ له وصادره على مال عجّل بعضه ، ونَجّم[1] الباقى عليه ، وكتب ابنُ الفرات إلى علىّ بن أحمد ابن بسطام المتقلّد لأعمال الشأم فى المصير إلى مصر ، والقبض على الحسين بن أحمد المعروف بأبى زُنبور ، وعلى ابن أخيه أبى بكر محمد بن علىّ ، وحملهما إلى مدينة السلام على جمّازات ، ونفذ إليه بهما من بغداد بعد مصادرتهما والاستقصاء عليهما ، وحمِل مال المصادرة إلى مدينة السلام ، وقد كانا قبل ذلك ظفرا بابنِ بسطام ، فأحسنا إليه فجازاهما ابن بسطام أيضـاً ، بأن رَفِق بهما وحسّن أمورهما ، وعنّى بهما بعض حاشية السلطان ببغداد . وقيل للخليفة : إن الوزير إنما وجّه فى قتلهما ، فأنفـذ

(١) نجمه : جعله نجوماً ، أى أقساطاً .

خادماً من ثقات خدمه على الجمّازات فى طريق البرية إلى دمشق ، ومنها إلى مصر وأمر ابن بسطام ألاّ يناظرهما إلا بحضرة الخادم الموجّه إليه ، وألّا يعنّف عليهما وكان ذلك مما يحبّه ابن بسطام ، لأنه كان أساء بهما غاية الإساءة ، وأخذ منهما مالاً جليلاً يقال إنه احتجنه ، وتقلّد أبو الطيب أخوه مناظرة ابن بسطام ، رفقاً به أيضاً ولم يشتدّا عليه فى شىء مما كان إليه وأحسنا إليه ، وسلّماه إلى تكين صاحب مصر ليناظر بحضرته ، فنُسب أبو الطيب بفعله ذلك إلى العجز . وقال فيه بعض الشعراء بمصر شعراً ذكرته لما فيه من مذهبهم فى شنعة التعذيب والاستقصاء :

يا أبا الطّيّبِ الذى أظهرَ اللـ ـهُ به العدلَ ليس فيك انتصارُ
قد تأنّيتَ وانتظَرْتَ فهل بعـ ـدَ تأنّيكَ وَقفة وانتظارُ
جُدَّ بالخائنِ البَخيلِ فكَشْفُـ ـهُ فنى كشفهِ عليه دَمارُ
أينَ ضَربُ المقارع الأرْزنيّا تِ وأينَ الترهيبُ والانتهارُ
أينَ صَفْعُ القفَا وأينَ التهاويـ ـلُ إذا عُلّقَتْ عليه الثّفارُ
أينَ ضيق القُيودِ والألسن الفَـ ـظّةُ أينَ القيامُ والأخطارُ
أينَ عَرْك الآذانِ واللطْمِ لِلها مِ وعَصْرُ الخُصا وأين الزّيارُ
أينَ نتفُ اللِّحَا وشَدّ الحَيازيـ ـمِ وأينَ الحُبُوسُ والمضمارُ
ليسَ يَرضى بغيرِ ذا منك سُلطا نُكَ فاشدُد فإنّ رِفقَكَ عارُ
فبهذا يَجيكَ مالُكَ فاسمَعْ وإليك الخِيارُ والاختيارُ

وقُبض ببغداد على ابن أخت إبراهيم بن أحمد الماذرائى ، وهو أبو الحسين محمد بن أحمد ، وكان يكتب لبدر الحمّامى ، ويخلُف أبا زنبور وأبا بكر محمد بن علىّ وطالبه ابن الفرات بأموال ، فأغرمه وأخذ جميعَ ماوجد له فى داره .

وفى هذه السنة ورد الخبر بأنّ الحسن بن خليل بن ريمال أمير البصرة من قِبَل شفيع المقتدرىّ أساء السيرة فى البصرة ، ومد يده إلى أمور قبيحة ، ووظّف على الأسواق وظائف ، فوثبوا به ، فركب وأحرق السوق التى حول الجامع ، وركضت خيله فى المسجد ، وقتلوا جماعة من العامة ممن كان فى المسجد ، ولم تصلَّ الجمعة فى ذلك اليوم . ثم كثر أهل البصرة فحاصروه فى داره بموضع يعرف ببنى نمير ، واجتمع أصحابه إليه إلى أن تقدّم المقتدر إلى شفيع المقتدرىّ بعزله فعزله وولّى رجلاً من أصحابه يعرف بابن أبى دلف

الخُزاعيّ ، فانحدر وأفرج أهل البصرة للحسن بن خليل حين خرج،وقد كان أهل البصرة أطلقوا المحبوسين ومنعوا من صلاة الجمعة شهراً متوالياً .

وفى هذه السنة ورد رجل من عسكر ابن أبى الساج يعرف بكَلْب الصحراء فى الأمان فذكر أنه عَلَوِىّ ، وأنّ ابن أبى الساج كان يعتقله وأنه هرب منه ، فأجرى له ثلثمائة دينار فى المجتازين ، وكتب إلى ابن أبى الساج بذلك ، فدسّ إليه مَنْ يناظره عن نسبه ، وكان قد تزوج بامرأة ابن أبى ناظرة ، وهى ابنة الحسن بن محمد بن أبى عون ، فأحضر ابن طومار النقيب ، فناظره ، وكان دعيًّا فسُلِّم إلى نزار بن محمد صاحب الشرطة ببغداد فوضعه فى الحبس .

وفى شوّال من هذه السنة دخل مؤنس الخادم إلى الرّى لمحاربة ابن أبى الساج ، بعد أن هزم ابن أبى الساج خاقان المفلحىّ ، فما ترك أحداً من أصحابه يتبعه ، ولا يأخذ من أصحابه شيئاً . ودخل ابن الفرات إلى المقتدر بالله ، فأعلمه أن علىّ ابن عيسى كتب إلى ابن أبى الســـاج يأمره أن يصير إلى الرّىّ ، حيلةً على الخليفة وتدبيراً عليه ، فسمع المقتدر بالله هذا الكلام من ابن الفرات ، فلمّا خرج سأل علىّ ابن عيسى عنه ، وكان محبوساً عنده فى داره ، فقال له علىّ : النّاحية التى أنهضتُ إليها ابن أبى الساج منغلقة بأخى صعلوك ، فكتبتُ إليه بمحاربته ، ولا أبالى مَنْ قُتل منهما ، وقد استأذنتُ أميرَ المؤمنين فى فعلى هذا ، فأذِن فيه ، وسألته التوقيع به فوقّع ، وتوقيعه عندى ، فأُحضر التوقيع ، فحسُن موقع ذلك له من المقتدر ووسّع على علىّ بن عيسى فى محبسه ولم يضيّق عليه .

وفيها ورد الخبر بقتل عثمان العنَزىّ القائد وإلى طريق خراسان ، وأُدخل بغداد فى تابوت ، ثم ظفر بقاتله ، وكان رجلاً كرديًّا من غلمان علّان الكردى ، فُضِرب وثُقِّل بالحديد حتى مات .

وفيها وردت هدايا أحمد بن هلال صاحب عمان على المقتدر بالله ،

وفيها ألوان الطيب ورماح وطرائف من طرائف البحر ، فيها طير صينى أسود يتكلّم أفصح من الببّغا بالهندية والفارسية ، وفيها ظباء سود .

وفيها قَدِم القاسم بن سيما الفرغانى من مصر بعد أن عَظُم بلاؤه ، وحسن أثره فى حرب حباسة قائد الشيعه بمصر، وكان أهل مصر قد هُزموا ودار سيف أهل المغرب بهم

حتى لحقهم القاسمُ،فنجّاهم كلَّهم وهُزِم حباسة وأصحابه ، فركبوا الليل ، ووردت كتب أهل مصر وصاحبِ البريد بها يذكرون جليل فعله ، وحسن مقامه وهو لايشكّ فى أن السلطان يجزل له العطاء ويُقطعه الأقطاع الخطيرة ، ويولّيه الأعمال العالية . فلما وصل إلى باب الشماسيّة أقاموه بها ، ومَنَعوه الدخول إلى أن ملّ وضجر . ثم أذنوا له فى الوصول ، فاعتدُّوا بذلك نعمة عليه . وكان القاسم رجلَ صدق ، كثيرَ الفتوح ، حسنَ النية ، فلم يزل منذ دخل بغداد كمِداً عليلاً إلى أن توفى فى آخر هذه السنة يوم الجمعة لسبع ليال بقين من ذى الحجة .

وفيها ماتت بنت للمقتدر ، فدُفنت بالرصافة ، وحضرها آل السلطان ، وطبقات الناس .

وفيها مات القاسم بن زكرياء المطرّز المحدّث فى صفر .

وفى شهر ربيع الآخر مات القاسم بن غريب الخال ، ولم يتخلّف عن جنازته أحد من القواد والأجلّاء ، وركب ابن الفرات الوزير إلى غريب معزِّياً فى عشيّ ذلك اليوم الذى دُفن ابنه فى غداته .

وفى هذا الشهر ورد الخبر بموت العباس بن عمرو الغَنَوِيّ ، وكان عامل ديار مُضَر ، ومقيماً بالرّقة ، فحمل ما تخلف من المال والأثاث والسلاح والكُراع إلى المقتدر ، واضطرب بعد موته أمر ديار مُضَر ، فقُلّدها وصيف البَكْتَمرىّ ، فلم يَظهرْ منه فيها أثر يرضى ، فعُزل ، وقلدها جنيّ الصفوانى فضبطها .

وفيها مات عبدالله بن إبراهيم المسمعيّ يوم السبت لتسع ليال بقين من شهر ربيع الآخر ، ودفن فى داره التى أُقطعها بباب خراسان ، وكان عبدالله بن إبراهيم المسمعيّ عاقلاً عالماً ، قد كتب الحديث ، وسمع عن الرّياشيّ سماعاً كثيراً ، وكان حسنَ الحفظ ، وكان ابنه عالماً إلا أنه كان دونه .

وفيها مات سُبْكرى غلام عمرو بن الليث الصفار ببغداد .

وفيها مات غريب خال المقتدر يوم الأربعاء لثمان بقين من جمادى الآخرة ، وصلّى عليه أحمد بن العباس الهاشميّ أخو أم موسى،ودفن بقصر عيسى وحضر جنازته الوزير علىّ بن محمد وجميع حاشيته والقواد والقضاة ، وكان نصر الحاجب قد أحسَّ من المقتدر سوء رأى فى الوزير ابن الفرات واستثقالاً لمكانه ، وعملاً فى الإيقاع به ،

فوجّه نصر إلى المقتدر يشعره بأنّ ابن الفرات قد حضر الجنازة فى جميع أهله وحاشيته ، وقال له : إن كنت عازماً على إنفاذ أمرك فيهم ، فاليوم أمكّنك إذ لاتقدر على جمعهم هكذا ، فوجّه المقتدر : أخّر هذا فليس وقته ، وخلع بعد جمعة من ذلك اليوم على هارون ابن غريب ، وقلّد ما كان يتقلّد أبوه من الأعمال ، وعقد له لواؤه بعد ذلك .

وفى هذه السنة مات مصعب بن إسحاق بن إبراهيم يوم الأحد سَلْخَ شعبان ، وقد بلغ سنّاً عالية ، وصلّى عليه الفضل بن عبد الملك إمام مكة ، وكان آخر من بقِيَ من ولد إسحاق بن إبراهيم ، وانتهت إليه وصيته ، وكان أعيا الناس لساناً وأكثرهم فى القول خَطَلاً ، وكان طويل اللحية مُغفّلاً إلا أنه كان صالحاً وكتب الحديث ورواه ، وله أخبار وكتب مصحّفة منهاما كتب به إلى أهله من القادسية لماحجّ وأُلْقى هذا الكتاب بخطه ، فحكيته على ألفاظه .

بسم الله الرحمن الرحيم كتابى إليكم من القادسيّة وكنت قد أغفلت أمر الأضاحى فقولوا لابن أبى الورد – يعنى وكيلاً له – يشترى لكم ثلاث بقرات يحضيها[1] على أحد وعشرين أمهات الأولاد اثنى عشر وأبى وأمى تمام العشرين ، وأنا آخرهم الحادى والعشرين ، فرأيكم فى ذلك تعجيله إن شاء الله .

وقال فيه بعض جيرانه من الشعراء :

وصِيُّ إسحاقَ يابَى صدَقَهْ عمّاً قليـلٍ سيأخذُ الصدقهْ
ضِـدٌّ لإسحاقَ فى براعَتِهِ يُظهر من غيرِ منطِق حَمَقَهْ
وإن أتى بالـكلامِ بَدَّلَهُ فقال فى حلقةٍ لنا لحقَهْ

وورد الخبر من فارس بموت إسحاق الأشروسنى ، وكان قد تقلّد شرطة الجانب الشرقى من بغداد .

وأقام الحج فى هذه السنة ابن الفضل بن عبدالملك وأبوه حاضر معه .

---

(١) يحضيها : يشويها .

ثم دخلت سنة ست وثلثمائة

ذكر ما دار فى هذه السنة من أخبار بنى العباس

فيها ورد الخبر بوقعة كانت بين مؤنس الخادم وبين يوسف بن أبى الساج ، وذلك يوم الأربعاء لثمان ليال خلَوْن من صفر ، فكانت الهزيمة على مؤنس وأصحابه . ولحق نصر السُّبكى مؤنساً وهو منهزم ، وبين يديه مال ، فأراد أسره وأخذ المال الذى كان بيده فوجّه إليه يوسف : لاتعرض له ولا لشىء مما معه ، وأسر فى هذه الوقيعة جماعة من القواد ، فأكرمهم يوسف ، وخلع عليهم وحملهم،ثم أطلقهم فودَّ مَنْ كان فى عسكر مؤنس أنهم أُسروا .

وفى هذه السنة أمرت السيدة أم المقتدر قَهْرمانة لها ، تعرف بثمل أن تجلس بالرّصافة للمظالم ، وتنظر فى كتب الناس يوماً فى كلّ جمعة ، فأنكر الناس ذلك ، واستبشعوه ، وكثر عيبهم له والطعن فيه . وجلستْ أول يوم ، فلم يكن لها فيه طائل ، ثم جلست فى اليوم الثانى ، وأحضرت القاضى أبا الحسن ، فحسَّن أمرها وأصلح عليها ، وخرجت التوقيعات على سداد ، فانتفع بذلك المظلومون ، وسكن الناس إلى ما كانوا نافروه من قعودها ونظرها .

وفيها أمر المقتدر يُمْناً الطولونىَّ – وكانت إليه الشرطة ببغداد – بأن يُجلِس فى كلّ ربع من الأرباع فقيهاً يسمع من الناس ظلاماتهم ، ويفتى فى مسائلهم حتى لايجرى على أحد ظلم ، وأمره ألّا يكلّفَ الناس ثمن الكاغد الذى تكتب فيه القصص ، وأن يقوم به ، وألّا يأخذ الأعوانَ الذين يشخصون مع الناس أكثر من دانقين فى أجعالهم .

وفى هذه السنة استطاب المقتدر الزبيدية فسكنها ، وأقام بها مدة ، ونقل إليها بعض الحُرَم ، ورتّب القُوّاد فى مضاربهم حوالى الزبيدية ، وجلس فى يوم سبت لإطعامهم ووصل جماعة منهم وشرب مع الحَرَم ، وفرق عليهنَّ مالاً كثيراً .

قال محمد بن يحيى الصولى : ووافق هذا اليوم قصدى إلى نصر الحاجب مسلِّماً عليه ، فأمرنى بعمل شعر أصف فيه حسن النهار ، وأن أوصِّله إلى المقتدر ، ففعلت

وما برحت من عنده حتى جاء خادم لأم موسى ، ومعه خمسة آلاف درهم فقال : هذه للصولى ، وقد استحسن أمير المؤمنين الشعر ، وكان أولها :

لها كلَّ يومٍ مِن تَعَتُّبِهِ عَتْبُ تُحَمِّلُنى ذنباً وما كان لى ذنبُ

وفيها :

كواكبُ سعدٍ قابَلتها مُنيرَةٌ فلا شَخْصها يَخْفَى ولا نورُها يَخْبُو
وأطلعَ أفقُ الغربِ شمسَ خلافةٍ وماخِلت أن الشمسَ يُطلعُها الغربُ
تلبَّس حسناً بالخليفةِ جعفرٍ وأشرقَ من إشراقه البُعْدُ والقربُ
بمقتدرٍ بالله عالٍ على الهوى له من رسولِ الله منتَسَب رحْبُ

ولما هزم ابن أبى الساج مؤنساً الخادم أرجف الناس بالوزير ابن الفرات ، وأكثروا الطعن عليه ، ونسبوا كلَّ ماحدث إلى تضييعه ، وانكفى عليه أعداؤه ومن كان يحسده ، وأُغرى الخليفة به ، فكتبت رقعة وأخرجت من دار السلطان إلى علىّ ابن عيسى وهو محبوس ، وسمّى له فيها جماعة ليقول فيهم بمعرفته ، وليستوزر مَنْ يشيرُ به منهم ، وكان فى جملة التسمية إبراهيم بن عيسى ، فوقَّع تحته «شره لايصلح»، ووقَّع تحت اسم ابن بسطام «كاتب سفاك للدماء»، ووقع تحت اسم ابن أبى البغل « ظالم لا دين له » ، ووقّع تحت اسم حامد بن العباس « عامل موسر عفيف قد كبر » ، ووقَّع تحت اسم الحسين بن أحمد الماذرائى « لا علم لى به ، وقد كفى ما فى ناحيته »، ووقّع تحت اسم أحمد بن عبيد الله بن خاقان « أحمق متهور » ووقّع تحت اسم سليمان بن الحسن بن مخلد « كاتب حدَث » ووقّع تحت اسم ابن أبى الحوارى « لا إله إلا الله »

فأجمع رأى المقتدر ومَنْ كان يشاوره على تقليد حامد بن العباس الوزارة وأعان على ذلك نصر الحاجب ورآه صواباً ، فأنفذ المقتدر حاجبه المعروف بابن بُويح للإقبال بحامد ، وقبض على علىّ بن محمد بن الفرات يوم الخميس بعد العصر لثلاث بقين من شهر ربيع الآخر، وعلى من ظفر به من آله وحاشيته ، فكانت وزارته فى هذه المدة سنة وخمسة أشهر وتسعة عشر يوماً .

وفرّ ابنه المحسن من ديوان المغرب وكان يليه ، فدخل إلى منزل الحسين بن أبى العلاء فلم يستتر أمره ، وأُخذ فجيء به إلى دار السلطان ودخل حامد بن العباس بغداد يوم الاثنين لليلتين خلَتا من جمادى الأولى عشيًّا ، فبات فى دار نصر الحاجب التى

فى دار السلطان ، ووصل يوم الثلاثاء من غدوة إلى المقتدر ، وخلع عليه بعد أن تلقّاه الناس من نهر سابُس إلى بغداد ، ولم يتخلّفْ عنه أحد ، ورأى السلطان ومَنْ حوله ضَعْف حامد وكِبَره ، فعلموا أنه لابدّ له من معين ، فأُخرج علىّ بن عيسى من مَحْبَسه ، وأنفذ إلى الوزير حامد ومعه كتاب من الخليفة يعلمه فيه أنه لم يصرف عليًّا عن الوزارة لخيانة ولا لشىء أنكره ؛ ولكنه واصل الاستعفاء ، فعوفِىَ ، قال : وقد أنفذته إليك لتولّيه الدواوين وتستخلفه وتستعين به فإن ذلك أجمع لأمورك ، وأعون على جميل نيتك . فسلّم الكتاب إلى الوزير شفيع المقتدرى ، فتطاول لعلىّ بن عيسى حين دخل إليه وأجلسه إلى جانبه فأبى عليه وجلس متزوياً قليلاً ، وقرأ الرقعة ، وأجاب فيها بالشكر والقبول . وركب الوزير حامد وعلىّ بن عيسى إلى الجمعة ، وكثر دعاء الناس لهما وولِّى ابنُ حمّاد الموصلى مناظرة ابن الفرات بحضرة شفيع اللؤلؤى ، وأحضر حامد بن العباس المحسِّن بن علىّ بن محمد بن الفرات وموسى بن خلَفَ فطالبهما بالمال ، وأسرف فى صفعهما وضربهما وشتْمهما ، فقال له موسى بن خلف : أعزّ الله الوزير ! لاتسنّ هذا على أولاد الوزراء فإن لك أولاداً ، فغاظه ذلك ، فزاد فى عقوبته ، فحمل مَنْ بين يديه ، وتلف وأوقع بالمحسّن ، فأمر المقتدر بالله بإطلاق المحسّن ، فأطلق .

ولما بلغ ابنَ الفرات الخبر ، أظهر أنه رأى أخاه فى النوم ، كأنه يقول له : أعطهم مالَك ، فإنك تسلَم ، فاستدعى ابن الفرات أن يسمع الخليفة منه ، فأحضره فأقرّ له فإنَّ قِبَل يوسف بن بنخاس وهارون بن عمران الجهبذيْن اليهوديّين سبعمائة ألف دينار ، فأحضرهما حامد ، فأقرّا بالمال ، فأخذه منهما ، وأقرّ بمائة ألف دينار له عند بعض أسبابه ، فأُخِذَتْ ، وأخذوا قبل ذلك منه نحو مائتى ألف دينار،فكانت الجملة التى أخِذت منه ومن أسبابه ألف ألف دينار . وكان السلطان أنفذ جمّازات إلى الحسين بن أحمد الماذرائى ، يأمره بالقدوم ، فأرجف الناس أن ذلك للوزارة وقيل أيضاً:ليحاسب عن أعماله،فقدم إلى بغداد للنصف من شهر رمضان سنة ستّ وأهدى إلى الخليفة هدايا جليلة ، وإلى السيدة ، وحمل مالاً،وأهدى إلى علىّ بن عيسى مالاً وهدايا ، فردّها وأمره أن يحملها إلى السلطان ، وأُخرِج ابن الفرات،واجتمعت الجماعة لمناظرته ، فأقرّ للحسين بن أحمد أنه حُمل إليه عند تقلّده الوزارة فى الدفعة

الثانية ستمائة ألف دينار ، فأقرّ بوصول المال إليه ، وذكر وجوهاً يترفّه فيها ، فقبل بعض ذلك ، وألزِم الباقى ، ورُدَّ الحسين بن أحمد على مصر وأعمالها ، وأخوه على الشأم ، وشخص إليها لست بقين من ذى العقدة ، وخرج توقيع الخليفة بإسقاط جميع ماصُودر عليه الحسين بن أحمد وابن أخيه محمد بن علىّ بن أحمد والاقتصار بهما من جميع ذلك على مائتى ألف دينار .

وورد الخبر يوم التَّروية سنة ست وثلثمائة بأنّ أحمد بن قدام، ابن أخت سبكرى ـ وكان أحد قواد كثير بن أحمد أمير سجستان — وثب على كثير ، فقتله وملَك البلد ، وكاتب السلطان بمقاطعته على البلد ، وكان كثير هذا يحجبُ أبا يزيد خالد بن محمد المقتول الذى ذكرنا أمره قبل هذا .

وفيها وثب جماعة من الهاشميّين على علىّ بن عيسى حين تأخَّرت أرزاقهم، وقد خرج من عند حامد بن العباس وشَتَمُوه وزنُّوه ، وخرقوا دُرّاعته وأرجلوه ، فخلصه القواد منهم ، فحاربوهم وضُربوا ضرباً شديداً ، واتصل ذلك بالمقتدر بالله ، فأمر فيهم بأمور عظام،وأن يُنْفَوْا إلى البصرة مقيّدين ، فحملوا فى سفينة مطبقة بعد أن ضرب بعضهم بالدِّرة ، وأمر بأن يُحبسوا فى المحبس ، فلما وصلوا أجلسهم سبك الطولونى أمير البصرة على حَمير مقيّدين ، وأدخلهم إلى دار فى جانب المحبس. وكلّمهم بجميل ، ووعدهم ، وفرّق فيهم أموالاً . إلّا أنه أَسرَّ ذلك ، ثم نفذ الكتاب بإطلاقهم ، فأحسن إليهم سبك الطولونى ، وأحضرهم وزادهم ،وصنع لهم طعاماً ثم وصلهم ، وأُكْرِيت لهم سُميريّات ، فكان مقامهم بالبصرة عشرة أيام ، ووصلهم حامد وأمّ موسى وأخوها وعلىّ بن عيسى .

وفى هذه السنة أُخِذ من القاضى محمد بن يوسف مائة ألف دينار وديعة ، كانت لابن الفرات ، وزُفّت ابنه القاسم بن عبيد الله إلى أبى أحمد بن المكتفى بالله ، فعملت لهما وليمة أُنفق فيها مال جليل يزيد على عشرين ألف دينار .

وفيها عُزِل نزار بن محمد عن شرطة بغداد ووليّها محمد بن عبد الصمد ختَن تكين من قوّاد نصر الحاجب .

وفيها مات إسحاق بن عمران يوم الأربعاء لسبع خلَوْن من صفر .

وفيها مات محمد بن خلف ، وكان إليه قضاء الأهواز وولى ابن البهلول قاضى الشرقيّة مكانه .

وفيها ورد الخبر فى أوّل جمادى الأولى بوفاة عَجّ بن حاج ، أمير الحجاز ، فكتب السلطان إلى أخيه أن يَلِىَ مكانه .

وفيها مات القاضى أحمد بن عمر بن سُريج وكان أعلَم منْ بقى بمذهب الشافعى وأقومهم به ، ودفن يوم الثلاثاء لخمس بقين من ربيع الآخر .

وفى هذه السنة مات الحسين بن حمدان فى الحبس ، وقد قيل قتِل ، وقد كان علىّ بن محمد بن الفرات تضمّن عنه قبل القبض عليه أن يغرم السلطان مالاً عظيماً يقيم به الكفلاء ، فعورض فى ذلك وقيل له : إنما يريد الحيلة على الخليفة ، فأمسك .

وحجّ بالناس فى هذه السنة أبوبكر أحمد بن العباس أخو أم موسى

ثم دخلت سنة سبع وثلثمائة
ذكر ما دار فى هذه السنة من أخبار بنى العباس

فيها أشخص عبدالله بن حمدان إلى مؤنس الخادم لمعاونته على حرب يوسف ابن أبى الساج ، فواقعه بأردبيل ، وانهزم ابن أبى الساج ، فأُسرَ وأدخِل مدينة السلام مشهَّراً ، عليه الدراعة الديباج التى ألبسها عمرو بن الليث الصفار ، وألبس برنساً طويلاً بشفاشج وجلاجل ، وحمِل على الفالج ، وأدخل من باب خراسان ، فساء الناس مافُعل به إذْ لم تكن له فَعلة ذميمة فى كلّ مَنْ أسره أو ظفر به ، وحُمِل مؤنس وكُبِيَ وخلع على وجوه أصحابه ، ووكّل المقتدر بابن أبى الساج ، وحُبِسَ فى الدار ، وأمِر بالتوسّع عليه فى مطعمه ومشربه ، وهرب سُبُك غلام ابن أبى الساج عند الوقيعة ، وكان صاحب أمرِه كلّه ومدبرّ جيشه ، وهرب معه أكثر رجال ابن أبى الساج ، فقال مؤنس ليوسف : اكتب إلى سُبُك فى الإقبال إليك ، فإنّ ذلك ممّا يرفق الخليفة عليك . ففعل ابن أبى الساج ، وكتب إلى سُبُك ، فجاوبه : إنى لا أفعل حتى أعلم صنعهم فيك ، وإحسانَهم إليك ، فحينئذ آتى طائعاً .

وكانت لابن أبى الساج أشعار وهو محبوس منها :

أقول كما قال ابن حُجْرٍ أخو الحِجى ... وكانَ امرأً راض الأمور ودَوَّسا :
فلو أنها نفس تموت سوية ... ولكنَّها نفسٌ تَساقَط أنفسا (١)
ولستُ بهيّابِ المنيةِ لو أتتْ ... ولم أبق رهناً للتأسف والأسى
أجازَى على الإحسان فيا فعلتُه ... وقدّمتهُ ذُخراً جزاء الذى أسا
وإنّى لأرجو أن أؤوبَ مسلّماً ... كما سلّم الرحمن فى اليمِّ يُونُسا
فأجزِى أمام الناس حقّ صنيعهِ ... وأمنح شكرى ذا العنايةِ مؤنسا

وفيها ركبت أم موسى القهرمانة بهديّة أمرت أم المقتدر بتهيئتها وإهدائها عن بنات غريب الخال لأزواجهنّ بنى بدر الحمّامى ، فسارتْ أم موسى فى موكب عظيم

---

(١) تضمين لبيت امرئ القيس ، ديوانه ١٠٧ .

فيه الفرسان والرّجالة ، وقيد بين يديها اثنا عشر فرساً بسروجها ولجمها ، منها ستة بحلية ذهب ، وستة بحلية فضة ؛ مع كلّ فرس خادم بجنبه عليه منطقة ذهب وسيوف بمناطق ذهب ، وأربعون طختاً من فاخر الثياب ومائة ألف دينار مسيّفة ، كل ذلك هدية من قبل النساء إلى أزواجهنّ .

وفيها قدم أبوالقاسم بن بِسْطام من مصر إلى بغداد ، بعد أن كُتب إليه فى القدوم لإدارة أدارها علىّ بن عيسى عليه ، ومطالبة ذهب إلى أخذه بها . فلما قدم وجّه إلى الخليفة وإلى السيدة بهديّة فخمة ، وأموال جزيلة ، فقطعا عنه مطالبة علىّ بن عيسى ، وانقطع بنفسه إلى الوزير حامد ، فاعتنى به . وكان ذلك سبباً لفساد مابين الوزير حامد وبين علىّ بن عيسى ، ووقعتْ بينهما ملاحاة ، خرجا معها إلى التهاتر والتسابّ ، وبعث ذلك حامد الوزير إلى أن يضمن للخليفة فيما كان يتقلّده علىّ وأحمد ابنا عيسى أموالاً عظيمة ، فأجيب إلى ذلك واستعمل حامد عليها عبيدالله بن الحسن بن يوسف ، فبلغتْه عنه بعد ذلك خيانة أقلقته ، فاستأذن الخليفة وشخص من بغداد إلى واسط ، وأقام بها أياماً وانحدر منها إلى الأهواز وأحكم ما أراد ، وأوْفَى ما عليه من الأموال مقسَّطاً فى كلّ شهر سوى ماوهب وأنفق . فزعم أنه وهب مائة ألف دينار ، وأنفق مائة ألف دينار .

وقدم إلى بغداد فى غرّة ذى القعدة وخلَع عليه وحمل . قال الصولىّ : رأيته يوماً وقد شكا إليه شفيع المقتدرىّ فناء شعيره ، فجذب الدواة إلى نفسه وكتب له بمائة كُرّ [1] ، وكتب لأم موسى بمائة كُرّ ، وكتب لمؤنس الخادم بمائة كُرّ .

وفى هذه السنة تتابعت الأخبار من مصر بإقبال صاحب المغرب إليها وموافاته الإسكندرية .

ثم ورد الخبر فى جُمادى الآخرة بوقعة كانت بين أصحاب السلطان وبينهم فى جُمادى الأولى ، وأنه قُتل من البرابر نحو من أربعة آلاف ، ومن أصحاب السلطان مثلهم ، فندب المقتدر مؤنساً الخادم للخروج إلى مصر مرة ثانية ، فخرج فى شهر رمضان سنة سبع ، وشيّعه إلى مضْرَبه [2] أبو العباس محمد بن أمير المؤمنين المقتدر وأجلّاء الناس ، وسار فى آخر شهر رمضان فكان فى الطريق باقى سنة سبع .

---

(١) الكرّ : نوع من المكاييل .

(٢) المضرب : الفسطاط .

وفيها مات أبو أحمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان لأيام مضت من صفر .

وفى آخر صفر لستٍّ بقين منه تُوُفِّىَ محمد بن عبد الحميد ، كاتب السيدة ، وكان ممّن عُرِضت عليه الوزارة فأباها ، وكان موسراً بخيلاً ، وكان من مشايخ الكتاب الذين يعوَّل عليهم فى الأمور وفى أحكام الدواوين،وأخذت السيدة أم المقتدر بالله من مخلّفيه من العين مائة ألف دينار ، واستكتبت السيدة أحمد بن عبيد الله بن أحمد ابن الخصيب بعده . وكان يكتب لثَمل قهرمانتها ، فضبط الأمر ضبطاً شديداً وحُمِد أثره فيه .

وأقام الحجّ للناس فى هذه السنة أحمد بن العباس الهاشمىّ .

ثم دخلت سنة ثمان وثلثمائة

ذكر ما دار فى هذه السنة من أخبار بنى العباس

وفيها ورد مؤنس الخادم مصر يوم الخميس لأربع خلون من المحرم ، وكان المقتدر قد وجّهه إليها لمحاربة الشيعة بها على ماتقدم ذكره فى العام قبله،فألفى مؤنس أبا القاسم الشيعىّ مضطرباً بالفيّوم ، فخرج القضاة والقواد ووجوه أهل مصر إلى مؤنس ، ونزل خارج المدينة،واجتبى أبو القاسم خَرَاج الفيوم ، وضياع مصر، ودفع مؤنس أرزاق الجند من أموال أهل مصر ، وباع بعض ضياعها فيما أعطاهم ، وضم مؤنس الجيوش إليه ، وقويت بذلك نفوس أهل مصر ، وجرت بين أبى القاسم الشيعىّ وبين أهل مصر مكاتبات وأشعار بعث بها مؤنس إلى الخليفة ، وفيها توبيخ لهم وتحامل عليهم ، وسبٌّ كثير تركنا ذكره لما فيه . وقد اجتلبنا بعضها مالم يكن فيه كبير رفَث ، وكذلك مافعلنا فى الجواب ، وأوّل شعر الشيعىّ :

أيا أهـــلَ شرقِ الله زالتْ حلومكمْ ... أم اختُدِعَتْ من قلّةِ الفهم والأدبْ
صلاتكُم معْ مَنْ ؟ وحجُّكُم بمنْ ؟ ... وغزْوُكُم فيمَنْ ؟ أجيبوا بـــلا كذبْ
صلاتُكُم والحج والغزوُ ويلكمْ ... بِشُرّاب خمرٍ عاكفين على الرِّيَبْ
ألا إن حدَّ السيفِ أشفى لذى الوصَبْ ... وأحرى بنيْل الحق يوماً إذا طُلبْ
ألم ترنى بعتُ الرّفاهة بالسّرى ... وقمتُ بأمرِ الله حقًّا كما وجبْ
صبرَتُ وفى الصبر النجاحُ وربّما ... تعجّلَ ذو رأيٍ فأخطا ولم يصبْ
إلى أن أرادَ اللهُ إعزازَ دينه ... فقمتُ بأمر الله قومةَ محتسِبْ
وناديتُ أهلَ الغرْبِ دَعوَة . واثق ... بربٍّ كريم مَنْ تولاهُ لم يخبْ
فجاءوا سِراعاً نحوَ أصيدَ ماجدٍ ... يبادونهُ بالطّوْع من جملة العَرَبْ
وسرتُ بخيل الله تِلقاء أرضكمْ ... وقد لاحَ وجهُ الموتِ من خَلَلِ الحُجُبْ
وأرْدَفتُها خيــلا عِتاقاً يقـــــودُها ... رِجالٌ كأمثال الليــوثِ لهـا جَنبْ

شعارُهُمُ جـدِّى ودَعْـوَتُهم أبى   وقولهمُ قولى على النـأى والقُـرُبْ
فكانَ بحمـد الله مـا قـد عرفتُمُ   وفزتُ بسهم الفلْج والنَّصر والغَلبْ
وذلك دأبى مابقيتُ ودأبـكُمْ   فدُونكُمُ حرْباً تضرّمُ كاللهـبْ

فذكر الصولى أنه أُمر بالجواب ، فقال قصيدة له طويلة ، كتبنا منها أبياتاً وحذفنا منها مثل الذى حذفناه مما قبله :

عجبتُ وما يخلو الزّمانُ منَ العجـبْ   لذى خطلٍ فى القول أهدى لنا الكذبْ
وجاء بملحونٍ من الشـعر ساقطٍ   فأخطأ فيما قال فيـه ولم يُصِبْ
تباعدَ عن قصْدِ الصواب طريقُـهُ   فما عرَفتْ تأويلَ إعرابه العَرَبْ
ولو كان ذا لبٍّ ورأىٍ مـوفَّقٍ   لقَصّرَ عن ذكرِ القصائدِ والخطبْ
فمن أنت يامهْدى السفاهةِ والخنا   أبِنْ لى فقد حقّتْ على وجهك الرّيبْ
فلو كنتَ من أولادِ أحمدَ لم يَغبْ   عن الناس ماتسمُو إليهِ منَ النَّسَبْ
ولو كنتَ منهم ما انتهكْتَ محارمـاً   يذبّونَ عنها بالأسنَّة كالشُّهُبْ
ولم تقتلِ الأطفالَ فى كلّ بلـدَةٍ   فترْكب من أُمَّاتهم شـرّ مرْتكبْ
أبحْتَ فروجَ المحصناتِ وبعتَ مَن   أصبتَ منَ الإسلام بيعكَ للجلبْ
وكم مصحَفٍ خَرّقتهُ فـرَمادُه   مُثارُهُ مُسَفّى الريح من حيثُ ماتَهُبُّ
كفرْتَ بما فيهِ وبدّلت آيـهُ   وقَضّبتَ حَبلَ الدينِ كفراً فما انقضَبْ
وقد رَويتْ أسيافُنا من دِمـائكمْ   فلم ينجكم منّا سوى الجدِّ فى الهرَبْ
تضىءُ بأيدينا وتُظلمُ فيكـمُ   فكانت لنا ناراً وكنتم لها حَطَـبْ
فقل لىَ أىُّ الناسِ أنتمْ ومـا الذى   دَعاكمْ إلى ذكرِ الجحاجحةِ النُّجُبْ
أولئكَ قومٌ خيّمَ الملكُ فيهـمُ   فشُدّتْ أواخيـهُ ومُدّت له الطُّنُبْ
بهم غزونا إمّا سألتَ وحجّنـا   فشُقّ لِما أُسمعت جَيْبَكَ وانتحِبْ
أيا أهلَ غَربِ اللهِ أظلَم أمرُمـرُكمْ   عليكمْ فأنتم فى نـكوب وفى حَرَب
ولوكانتِ الدنيا مطيـةَ راكـبٍ   لـكانَ لـكم منها بما حُزْتمُ الذنَبْ

قال محمد بن يحيى الصولى : فلما صنعتُ هذا الشعر عن عهد الخليفة إلىّ أوصلنى إلى نفسه ، فأنشدته جميعه ، فلما فرغت من الإنشاد قال علىّ بن عيسى للخليفة : ياسيّدى ، هذا عبدك الصّولى — وكان جدّه محمد الصولى حادى عشر

النقباء ، وهو الذى أخذ البيعة للسفّاح مع أبى حميد- قال : فنظر إلىّ كالآذن لى فى الكلام فتكلّمتُ ودعوت . قال : فأمر لى بعشرة آلاف درهم .

وكتب أبو القاسم إلى أهل مكة يدعوهم إلى الدخول فى طاعَتِهِ ، ويَعِدُهم بحسن السيرة فيهم ، فأجابوه : إنّ لهذا البيت ربًّا يدفع عنه ، ولن نؤثر على سلطاننا غيره .

وبقى أبو القاسم الشيعىّ بالفيّوم ومؤنس بمصر ، وكلّ واحد منهما مُحجِمٌ عن لقاء صاحبه ، وساءت أحوال مَنْ بينهما ومعهما .

وفى هذه السنة غَلَتِ الأسعار ببغداد ، فظنّت العامة أن ذلك من فعل حامد بن العباس ، بسبب ضمانه للمقتدر ، ما كان ضمنه ، وأنه هو منع من حمْل الأطعمة إلى بغداد ، فشغَبوا عليه وسبّوه ، وفتحوا السجون وكبسُوا دار صاحب الشّرطة محمد بن عبدالصمد ، وكان ينزل فى الجانب الشرقى فى الدار المعروفة لعلىّ بن الجهشيار ، وانتهبوا بعض دوابه وآلته حتى تحوّل إلى باب خُراسان إلى الجانب الغربى ، ووثب النّاس به فى الجانب الغربىّ أيضاً ، حتى ركب إليهم محمد بن عبدالصمد فى جيش كثيف فى السلاح ، فارتدعوا ، وقتِل قوم من العامة بباب الطاق وسعّر السلطان على الدقّاقين ، فكان ذلك أشد على الناس وأعظم ، وأشار نصر الحاجب أن يترك الناس ، ولا يُسعَّر[1] عليهم ، فكان ذلك صواباً ، وصلح أمر السعر .

وأقام الحج للناس فى هذه السنة أحمد بن العباس أخو أم موسى .

(١) يسعر : يقدر الثمن .

ثم دخلت سنة تسع وثلثمائة

ذكر ما دار فى هذه السنة من أخبار بنى العباس

فيها زاد شَغَب الناس ببغداد على حامد بن العباس الوزير ، بسبب غلاء الأسعار حتى صاروا إلى حدّ الخلعان ، وحاربهم السلطان عند باب الطاق ، وركب هارون ابن غريب الخال ونازوك وياقوت وغيرهم ، بعد أن فتحت العامة السُّجون ، ووثبوا على ابن درهم خليفة صاحب المعونة ، وأرادوا قتله حتّى حماه بعضُهم ، فلما رأى ذلك حامد بن العباس دخل إلى المقتدر فقال له : لعبدِك حوائج ، إن رأيتَ قضاءها له ، أكّدت بذلك إنعامك عليه،قال : أفعل ، فما هى ؟ قال : أولها فسخ ضمانى فقد جاء من العامة ما ترى ، وظنُّوا أن هذا الغلاء من جهتى . فأجاب المقتدر إلى ذلك ، وسأله أن يأذن له فى الشّخوص إلى واسط ، لينفذ عماله بما فيها من الأطعمة إلى بغداد ، فأجابه إلى ذلك ، وسأله أن يُعفيَه من الوزارة فلم يجبه إلى ذلك ، فشخص حامد إلى واسط ولم يُبق غاية فى حمل الأطعمة ، حتى صلح أمر الأسعار ببغداد . ثم قدِم فى غرة شهر ربيع الآخر،فتلقاه الناس ، وشكروا فعله ، وقد كان المقتدر عرض على علىّ بن عيسى الوزارة فأباها ، فكساه ووصله ، وأعطاه سواداً يدخل به عليه ؛ كما يفعل الوزير ، فاستعفى من ذلك ولم يفارق الدّرّاعة .

وفى هذه السنة زحف تمل الفتى إلى الإسكندرية ، فأخرج عنها قائد الشيعة ورجال كتّامة ، وألفى لهم بها سلاحاً كثيراً وأثاثاً ومتاعاً وأطعمة ، فاحتوى على الجميع وأطلق كلَّ مَنْ كان فى سجنهم . ثم أقبل ممدًّا لمؤنس واجتمعا بفسطاط مصر ، وزحفا إلى الفيوم لملاقاة أبى القاسم الشيعى ومناجزته،ومعهما جنىّ الصّفوانىّ وغيره من القوّاد ، فجعل مؤنس يقصّر المحلات ، فعوتب على ذلك ، فقال لهم : إنكم إنما تمشون فى طرق المنايا ، فلعلَّ الله يصرفهم عنا ، ويكفينا أمرهم كما فعل قبل هذا . فلقى جنىّ الصفوانى بعضَ قواد أبى القاسم ، فهزمه وقتل كثيراً ممن كان معه ، وانهزم الباقون إلى أبى القاسم ، فراعه أمرهم ، وقفل عن الفيّوم منصرفاً إلى إفريقيّة لليلة بقيت من صفر ، وحمل ما

خف من أمتعته ، وأحرق الباقى بالنار ، وأخذ على طريق قليلة الماء ، فهلك كثير من رجاله عطشاً . بعد ضربه ألف سوط ، وقطع يديه ورجليه . وكان الحلاّج هذا رجلا

ذكر خبر الحسين بن منصور الحلاج

وفى[1] هذه السنة أُنْهِىَ إلى المقتدر خبر الحسين بن منصور الحلاج ، فأمر بقتله وإحراقه بالنار.

وفيها اشتهر أمرُ الحلاّج واسمه الحسين بن منصور حتى قُتِل وأُحرق .

وانتهى إلى حامد بن العبّاس فى أيام وزارته أنه قد موَّه على جماعة من الحشم والحجاب ، وعلى غلمان نصر الحاجب وأسبابه وأنه يحيى الموتى ، وأنّ الجنّ يخدمونه فيُحْضِرون له ما يشتهيه ، وأنه يعمل ما أحبّ من معجزات الأنبياء . وادّعى جماعة أن نَصْرًا مال إليه ، وسعى قوم بالسِّمَرى وببعض الكتاب وبرجل هاشمى ، أنه نبيّ الحلاّج ، وأن الحلاّج إله — عز الله وتعالى عما يقول الظالمون علوًّا كبيراً — فقبض عليهم وناظرهم حامدٌ فاعترفوا بأنّهم يدعون إليه ، وأنه قد صحّ عندهم أنه إلـه يحيي الموتى ، وكاشفوا الحلاّج بذلك فجحده وكذّبهم ، وقال : أعوذ بالله أن أدّعِىَ الرّبوبية أو النبوّة ، وإنما أنا رجل أعبد الله عز وجل ، وأُكثر الصوم والصلاة وفعل الخير ، لا غير .

واسْتَحضر حامد بن العباس أبا عمر القاضى وأبا جعفر بن البُهلول القاضى وجماعة من وجوه الفقهاء والشهود ، واستفتاهم فى أمره ، فذكروا أنّهم لا يُفْتون فى قتله بشيء ، إلى أن يصحّ عندهم ما يوجب عليه القتل ، وأنه لا يجوز قبول قَوْل مَن ادّعى عليه ما ادّعاه ، وإن واجهَه إلا بدليل أو إقرار ؛ فكان أوّل مَنْ كشف أمرَه رجل من أهل البصرة ، تنصّح فيه ، وذكر أنه يعرف أصحابه وأنهم متفرقون فى البلدان ، يدعون

---

(١) وردت هذه الحواشى فى طبعة أوربا ، فأثبتها هنا بعد أن قابلتها على تجارب الأمم لابن مسكويه ١ : ٨٦ (حوادث سنة ٣٠٩) وغيره .

غويًّا خبيثًا ، يتنقّل فى البلدان ، ويموّه على الجهال ، ويُرى قوماً أنه يدعو إلى الرضا

إليه ، وأنه كان ممّن استجاب إليه ، ثم تبين مخرَقَته ففارقه وخرج من جملته،وتقرّب إلى الله عزّ وجل بكشف أمره ، واجتمع معه على هذه الحال أبو علىّ هارون بن عبد العزيز الأوارجىّ الكاتب الأنبارىّ ، وقد كان عمل كتاباً ذكر فيه مخاريق الحلاج وحِيَلِه ، وهو موجود فى أيدى جماعة ، والحلّاج حينئذ مقيم فى دار السلطان موسَّع عليه،مأذون لمن يدخل إليه ، وهو عند نصر الحاجب.وللحلاج اسمان أحدهما الحسين بن منصور والآخر محمد بن أحمد الفارسىّ ، وكان استهوى نصراً وجاز عليه تمويهُه ، وانتشر له ذكر عظيم فى الحاشية ، فبعث به المقتدر إلى علىّ بن عيسى ليناظره ، فأحضر مجلسه وخاطبه خطاباً فيه غلظة ، فحُكى أنه تقدّم إليه ، وقال له فيما بينه وبينه : قِفْ حيث انتهيتَ ، ولا تزد عليه شيئاً ، وإلا قلبْتُ عليك الأرض ، وكلاماً فى هذا المعنى ، فتهيّب علىّ بن عيسى مناظرته ، واستعفى منه ، ونُقل حينئذ إلى حامد بن العباس.وكانت بنت السّمَرىّ صاحب الحلّاج قد أدخلت إلى الحلّاج ، وأقامت عنده فى دار السلطان مدة ، وبعث بها إلى حامد بن العباس ليسألها عمّا وقفتْ عليه من أخباره ، وشاهدته من أحواله .

فذكر أبو القاسم بن زنجىّ أنه حضر دخول هذه المرأة إلى حامد بن العباس وأنه حضر ذلك المجلس أبو على أحمد بن نصر البازيارُ من قِبَل أبى القاسم بن الحوّارى ليسمع ما تحْكيه ، فسألها حامد عمّا تعرفه من أمر الحلاّج ، فذكرت أن أباها السمرىّ حملها إليه ، وأنها لما دخلت إليه وهب لها أشياء كثيرة عَدَّدَتْ أصنافها .

قال أبو القاسم : وهذه المرأة كانتْ حسنة العبارة ، عذبة الألفاظ ، مقبولة الصورة ، فكان مما أخبرت عنه أنه قال لها : إنى قد زوّجتكِ سليمان ابنى،وهو أعزّ أولادى علىّ ، وهو مقيم بنيسابور ، وليس يخلو أن يقع بين المرأة والزوج كلام ، أو تنكر منه حالا من الأحوال ، وأنتِ تحصُلين عنده ، وقد وصّيته بك ، فإن جرى منه شيء تُنكرينه فصومى يومك ، واصعدى آخر النهار إلى السطح وقومى على الرّماد والملح الجريش ، واجعلى فِطْرَك عليهما ، واستقبلينى بوجهك ، واذكرى لى ما تنكرينه منه ، فإنى أسمع وأرى .

من آل محمد ، ويُظهر أنه سنّي لمن كان من أهل السنّة ، وشيعى لمن كان مذهبه التشيّع ،

قالتْ:وأصبحتُ يوماً وأنا أنزل من السطح إلى الدار ، ومعى ابنته ، وكان قد نزل هو ، فلمّا صرنا على الدَّرج بحيث يرانا ونراه قالت لى ابنته : اسجدى له فقلت : أو يسجد أحد لغير الله ! قالت : فسمع كلامى لها فقال : نعم إله فى السماء وإله فى الأرض ، لا إله إلا الله وحده .

قالت:ودعانى إليه يوماً وأدخل يده فى كمه وأخرجها مملوءة مسكاً ، ودفعه إلىّ ثم أعادها ثانية إلى كمه وأخرجها مملوءة مسكاً ، ودفعه إلىّ ، وفعل ذلك مرات ثم قال : اجعلى هذا فى طِيبك فإنَّ المرأة إذا حصلت عند الرجال ، احتاجت إلى الطِّيب .

قالت : ثم دعانى وهو جالس فى بيت ، على بوارىّ ، فقال : ارفعى جانب البارِيَّة(١) من ذلك الموضع ، وخذى مما تحته ما أردت،وأومى إلى زاوية البيت ، فجئت إليها ، ورفعتُ الباريّة فوجدتُ تحتها الدنانير مفروشة ملء البيت ، فبهرنى ما رأيتُ من ذلك .

فأقيمت المرأة ، وحصلت فى دار حامد إلى أن قُتِل الحلّاج ، وجدَّ حامد فى طلب أصحاب الحلّاج ، وأذكَى العيون عليهم ، وحصل فى يده منهم حيدرة والسَّمَرى ومحمد بن على القُنّـائىّ والمعروف بأبى المُغيث الهاشمى . واستتر ابنُ حماد وكُبس دار لـه ، فأخذت منـه دفاتر كثيرة ، وكذلك من منزل القنّائى فكانت مكتوبة فى ورَق صينىّ وبعضها مكتوب بماء الذهب مبطّنة بالدّيباج والحرير ، مجلّدة بالأدَم الجيّد ، ووجد فى أسماء أصحابه ابن بشر وشاكر(٢) ، فسأل حامد : مَنْ حصل فى يده من أصحاب الحلّاج عنهما ؟ فذكروا أنهما داعيان له بخراسان .

قال أبو القاسم بن زنجى : فكتبنا فى حملهما إلى الحضرة أكثر من عشرين كتاباً ، فلم يَرِد جوابُ أكثرها . وقيل فيا أجيب عنه منها:إنهما يُطلبان،ومتى حصلا حُملا ، ولم يُحملا إلى هذه الغاية . وكان فى الكتب الموجودة له عجائب من مكاتبات أصحابه النافذين إلى النواحى ، وتوصيته إياهم بما يدْعون إليه الناس ، وما يأمرهم

---

(١) البارية : نوع من الحصر.

(٢) شاكر الصولى خادم الحلاج .

ومعتزلى لمن كان مذهبه الاعتزال . وكان مع ذلك خفيف الحركات شعوذياً قد حاول

به ، من نقلهم من حال إلى حال أخرى ، ومرتبة إلى مرتبة حتى يبلغوا الغاية القصوى ، وأن يخاطبوا كلّ قوم على حسَبَ عقولهم وأفهامهم ، وعلى قدر استجابتهم وانقيادهم وجواباتهم لقوم كاتبوه بألفاظ مرموزة ، لا يعرفها إلا مَنْ كتبها إليه ، ومَنْ كتِبت إليه .

وحكى أبو القاسم بن زنجىّ قال : كنت أنا وأبى يوماً بين يدى حامد ، إذ نهض من مجلسه ، وخرجنا إلى دار العامّة ، وجلسنا فى رواقها ، وحضر هارون بن عمران الجهْبذ بين يدى أبى ، ولم يزل يحادثه . فهو فى ذلك إذ جاء غلام حامد الذى كان موكّلاً بالحلّاج ، وأومى إلى هارون أن يخرج إليه ، فنهض مسرعاً ، ونحن لا ندرى ما السبب ، فغاب عنّا قليلا ثم عاد وهو متغيّر اللون جدًّا ، فأنكر أبى ما رأى منه ، فسأله عن خبره فقال : دعانى الغلام الموكّل بالحلاج ، فخرجت إليه ، فأعلمنى أنه دخل إليه ومعه الطّبَق الذى رسْمُه أن يقدِّم إليه فى كلّ يوم ، فوجده قد ملأ البيت بنفسه من سقفه إلى أرضه وجوانبه حتى ليس فيه موضع ، فهاله ما رأى ، ورمى بالطبق من يده وعاد مسرعاً وأنّ الغلام ارتعد وانتفض وحُمّ ، فبينا نحن نتعجّب من حديثه إذ خرج إلينا رسول حامد ، وأذن فى الدخول إليه ، فدخلنا وجرى حديث الغلام فدعا به ، وسأله عن خبره ، فإذا هو محموم ، وقصّ عليه قِصّته ، فكذّبه وشتمه ، وقال : فزعتَ من نيرنج الحلّاج ، وكلاماً فى هذا المعنى ، لعنك الله ، اغرُبْ عنى ! فانصرف الغلام وبقى على حالته من الحمّى مدة طويلة .

وحكِيَ أنّ المقتدر أرسل إلى الحلّاج خادماً ومعه طائر ميّت ، وقال : إن هذه الببغاء لولدى أبى العباس ، وكان يحبها وقد ماتت ، فإن كان ما تدّعى صحيحاً ، فأحيى هذه الببغاء. فقام الحلّاج إلى جانب البيت الذى هو فيه ، وبال ، وقال : من يكن هذه حالته لا يُحيى ميتاً ، فعُدْ إلى الخليفة وأخبره بما رأيتَ وبما سمعت منى ، ثم قال : بلى،لى مَنْ إذا أشرتُ إليه أدنى إشارة ، أعاد الطائر إلى حالته الأولى . فعاد الخادم إلى المقتدر ، وأخبره بما رأى وسمع ، فقال : عد إليه وقل له : المقصود إعادة هذا الطائر إلى الحياة ، فأشِرْ إلى من شئتَ ، قال فعلىّ بالطائر ، فأُحضر الطائر إليه وهو ميت ، فوضعه على ركبتيه وغطاه بكمّه ، ثم تكلم بكلمات ، ثم رفع كمّه ، وقد

الطبّ ، وجرّب الكيميا ، فلم يزل يستعمل المخاريق حتى استهوى بها من لا تحصيل

عاد الطائر حيًّا ، فأعاده الخادم إلى المقتدر وخبّره بما رأى . فأرسل المقتدر إلى حامد ابن العباس ، وقال له : إن الحلاج فعل كذا وكذا ، فقال حامد : يا أمير المؤمنين الصوابُ قتله ، وإلّا افتتن الناس به ، فتوقّف المقتدر فى قتله .

وقال بعض أصحابه : صحبته سنة إلى مكة قال : وأقام بمكة بعد رجوع الحاج إلى العراق ، وقال : إن شئت أن تعود فعُدْ ، فإنِّى قد عوّلت أن أمضىَ من هنا إلى بلاد الهند .

قال : وكان الحلّاج كثير السياحة كثير الأسفار ، قال : ثم إنه نزل فى البحر يريد الهند ، قال : فصحبتُه إلى بلد الهند ، فلما وصلنا إليها استدلّ على امرأة ، ومضى إليها وتحدّث معها ووعدته إلى غدِ ذلك اليوم ، ثم خرجت معه إلى جانب البحر ، ومعها غَزْل ملفوف ، وفيه عقد شبه السُّلَّم ، قال : فقالت المرأة كلمات ، وصعدتْ فى ذلك الخيط ، وكانت تضع رجلها فى الخيط وتصعد حتى غابت عن أعيننا ، ورجع الحلاج وقال لى : لأجل هذه المرأة كان قصدِى إلى الهند .

ثم وجد حامد كتاباً من كتبه فيه.إنّ الإنسان إذا أراد الحجّ فلم يمكنه أفرد فى بيته بناء مربّعا لا يلحقه شيء من النجاسات ، ولا يتطرّقه أحد ، فإذا حضرتْ أيام الحج طاف حَوْلَه وقضى من المناسك ما يُقْضَى بمكة . ثم يجمع ثلاثين يتيماً ، ويعمل لهم ما يمكنه من الطعام ويحضرهم ذلك البيت ، ويقدّم لهم ذلك الطعام ، ويتولّى خدمتهم بنفسه ، ثم يغسل أيديهم ، ويكسو كلَّ واحد منهم قميصاً ، ويدفع إلى كل واحد سبعة دراهم أو ثلاثة دراهم – الشك من أبى القاسم بن زنجى – وأن ذلك يقوم له مقام الحج .

قال : وكان أبى يقرأ هذا الكتاب ، فلمّا استوفى هذا الفصل التفت أبو عمر القاضى إلى الحلاّج ، وقال له : من أين لك هذا ؟ قال من كتاب الإخلاص للحسن البصرىّ ، قال له أبو عمر : كذبت يا حلّال الدم ، قد سمعنا كتاب الإخلاص للحسن البصرىّ بمكة ، وليس فيه شيء مما ذكرت ، فكما قال أبو عمر ياحلال الدم ، قال له حامد : اكتب بما قلت « يعنى حلال الدم » ، فتشاغل أبو عمر بخطاب الحلّاج ، فلم يدعْهُ حامد يتشاغل ، وألحّ عليه إلحاحاً لا يمكنه معه المخالفة ، فكتب بإحلال

عنده ، ثمّ ادّعى الرُّبوبية ، وقال بالحلول ، وعَظُم افتراؤه على الله عز وجلّ ورسُله ،

دمه ، وكتب بعده ، مَنْ حضر المجلس ، فلما تبيّن الحلاج الصورة ، قال : ظهرى حِمًى ، ودمى حرام ، وما يحلّ لكم أن تتأوّلوا علىّ بمالا يبيحه اعتقادى الإسلام ومذهبى السنّة ، ولى كتب فى الوراقين موجودة فى السنّة فالله اللهَ فى دمى ! ولم يزل يردّد هذا القول والقوم يكتبون خطوطهم حتى كمل الكتاب بخطوط من حضر من العلماء ، وأنفذه حامد إلى المقتدر بالله ، فخرج الجواب : إذا كان فتوى القضاة فيه بما عرضْت ، فأحضره مجلس الشرطة واضربْه ألف سوط ، فإن لم يمُت فتقدم بقطع يديه ورجليه ، ثم اضرب رقبته وانصبْ رأسه ، واحرق جثته.فأحضر حامد صاحب الشرطة وأقرأه التوقيع ، وتقدم إليه بتسلّم الحلاج وإمضاء الأمر فيه ، فامتنع من ذلك وذكر أنه يتخوّف أن يُنتزع منه . فوقع الاتفاق على أن يحضر بعد العتَمة ومعه جماعة من غلمانه ، وقوم على بغال يُجروْن مجرى الساسة ، ليُجعل على بغل منها ، ويدخل فى غمار القوم ، وأوصاه بألّا يسمع كلامه وقال له : لو قال لك:أجرى لك دجلة والفرات ذهباً وفضة فـلا ترفع عنه الضرب حتى تقتله ، كما أمِرتَ ، ففعل محمد بن عبد الصمد صاحب الشرطة ذلك ، وحمّله تلك الليلة على الصورة التى ذُكرت ، وركب غلمان حامد معه ، حتى أوصلوه إلى الجسر ، وبات محمد بن عبد الصمد ورجاله حوْل المجلس ، فلما أصبح يـوم الثلاثاء لستٍّ بقين من ذى القعدة ، أُخرِج الحلاج إلى رَحَبة المجلس ، واجتمع من العامة خلق كثير لا يُحْصَى عددهم ، وأمر الجلّادَ بضربه ألف سوط ، فضُرب وما تأوّه ولا استعفى .

قال : فلما بلغ ستمائة سوط ، قال لمحمد بن عبد الصمد : ادعُ بى إليك ، فإن عندى نصيحة تعدل عند الخليفة فتح قسطنطينيّة ، فقال : قد قيل لى:إنك ستقول ذلك وما هو أكثر منه ، وليس إلى رفع الضرب عنك سبيل ، فسكت حتى ضُرب ألف سوط ، ثم قطعت يده ثم رجله ، ثم ضرب عنقه وأحرقت جثته ، ونُصب رأسه على الجسر ، ثم حمِل رأسه إلى خراسان . وادّعى أصحابه أن المضروب كان عدوًّا للحلاج ألقِى شبهه عليه ، وادّعى بعضُهم أنه رآه وخاطبه ، وحُدّث فى هذا المعنى بجهالات لا يكتب مثلها ، وأحضِر الوراقون وأحلِفوا ألّا يبيعوا من كتب الحلّاج شيئاً ولا يشتروها

ووُجدت له كتب فيها حماقات ، وكلام مقلوب وكفر عظيم . وكان فى بعض كتبه : إنِّى المغرق لقوم نوح والمهلك لعاد وثمود ، وكان يقول لأصحابه : أنت نوح وأنت موسى ،

وكانت مدته منذ ظُفِر به إلى أن قتل ثمانى سنين وسبعة أشهر وثمانية أيام .

وحكَى حامد أنه قبض على الحلاج بدور الراسبى فادّعى تارة الصلاح ، وادعى أخرى أنه المَهدىّ ، ثم قال له : كيف صرت إلهاً بعد هذا ؟ وكان السمرىّ فى جملة مَنْ قُبِض عليه من أصحابه ، فقال له حامد:ما الذى حداك على تصديقه ؟ قال : خرجت معه إلى إصطخر فى الشتاء ، فعرّفته محبّتى للخيار ، فضرب يده إلى سفح جبل ، فأخرج من الثلج خيارة خضراء ، فدفعها إلىّ ، فقال حامد :أفأكلتها ؟ قال : نعم ، قال : كذبت يا بن ألف زانية فى مائة ألف زانية ، أوجعوا فكّه . فضربه الغلمان وهو يصيح : من هذا خفنا .

وحدّث حامد أنه شاهد ممّن يدّعى النيْرنجيَّات ، أنه كان يخرج الفاكهة ، وإذا حصلت فى يد الإنسان صارت بعراً .

ومن جملة مَنْ قُبِض عليه إنسان هاشمى ، كان يكنى بأبى بكر، فكناه الحلّاج بأبى مغيث ، حين كان يمرّض أصحابه ويراعيهم ، وقبض علَى محمد بن علىّ بن القناتى ، وأُخذ من داره سَفَط مختوم فيه قوارير فيها بول الحلاج ورجيعه ، أخذه ليستشفى به .

وكان الحلاج إذا حضر لا يزيد على قوله : لا إله إلا أنت ، عملت سوءاً وظلمت نفسى فاغفرلى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، وزادتْ دجلة زيادة عظيمة، فادّعَى أصحابه أن ذلك لأجل ما ألقى فيها من رماد جثته .

وادّعى قوم من أصحابه أنهم رأوه راكب حمار فى طريق المزوان ، وقال لهم : إنما حُوِّلت دابة فى صورتى ، ولستُ المقتول كما ظن هؤلاء البقر .

وكان نصر الحاجب يقول إنما قتل ظلماً .

ومن شعر الحلاج :

وما وجدتُ لقلبى راحة أبـــــدًا وكيف ذاك وقد هُيِّئْتُ للكـدَرِ

وأنت محمد ، قد أعدْت أرواحهم إلى أجسادكم . ويزعم بعض الجهلة المتّبعين له بأنه كان يغيب عنهم ثم ينزل عليهم من الهواء ، أغفل ما كانوا ، وحرّك لقوم يده فنثر منها دراهم ،

لقد ركبت على التغرير واعَجَبًا ممن يريد النجا فى المسلك الخطِرِ
كأننى بين أمــواج تقلّبــنى مقلّـبٌ بين إصعاد ومنحَدرِ
الحزن فى مهجتى والنار فى كبدِى والدمع يشهد لى فاستشهِدوا بَصَرى

ومن شعره :

الكأسُ سهّل لى الشكوى بمُتنابكمْ وما على الكاس من شرّابها دركُ
هبْنى ادّعيتُ بأنى مدنف سقـم فما لمضجع جنبى كلّه حَسَـكُ
هجرٌ يسوء، ووصلٌ لا أُسَرّ بـه مالى يدورُ بما لا أشتهى الفَلَكُ
فكلّما زاد دمعى زادنى قلقًــا كأننى شمعةٌ تبكى فتنسبِـكُ

ومن شعره :

النَّفْس بالشىء الممنّع مولعــةْ والحادثاتُ أصولهــا متفرّعَةْ
والنفس للشىء البعيـد مُديدة والنفس للشىء القريب مضيّعَةْ
كلٌّ يحاول حيلةً يرجو بهــا دفْع المضرّة واجتلاب المنفعَةْ

ولــه :

كل بـلاء عــلىّ منى فليتــنى قد أُخِـذتُ عنّى
أردتَ مِنّى اختبــارَ سرِّى وقــد علمتَ المرادَ مــنِّى
وليــس لى فى ســواك حظٌّ فكيفمــا شئــتَ فاختبرنى

وفى الصوفية من يدّعى أن الحلاج كوشف حتى عرف السرّ وعرف سرّ السرّ، وقد ادّعى ذلك لنفسه فى قوله :

مواجيد أهل الحق تصدق عن وجدى وأسرار أهل السرّ مكشوفة عندى

ولــه :

الله يعلمُ مــا فى النفس جارحــةٌ إلا وذكــرك فيهــا نيــلُ ما فيها
ولا تنفّسْتُ إلا كنــتَ فى نَفَسى تجرى بك الروح منى فى مجاريها
إن كانت العين مذْ فارقتَها نظــرت إلى ســواك فخانتْهــا مآقيهــا

وكان فى القوم أبو سهل بن نوبخت النوبختى فقال له : دَعْ هذا وأعطنى درهماً واحداً عليه اسمك واسم أبيك ، وأنا أومن بك ، وخلق كثير معى فقال له : كيف وهذا لم يُصنع ؟ ،

أو كانت النفس بعد البعد آلفـــةً خَلْقـــاً عداك ، فلا نالتْ أمانيها

وحكى أنه قال : إلهى إنّك تتودد إلى من يؤذيك ، فكيف لا تتودَّد إلى من يؤذَى فيك .

وأنشد

نظرى بَـــدْوَ عِلَّـــتى ويـــح قلـــبى وما جنَى
يا معـــين الضَّـــنَا علـ ىّ أعنّى عـــلى الضَّـــنَا

وكان ابن نصر القشورىّ قد مرض ، فوصف له الطبيب تفاحة ، فلم توجد ، فأومَى الحلاج بيده إلى الهواء وأعطاهم تُفّاحة ، فعجبوا من ذلك وقالوا : من أين لك هذه ؟ قال : من الجنّة ، فقال له بعض مَنْ حضر:إنَّ فاكهة الجنة غير متغيّرة وهذه فيها دودة ، قال : لأنها خرجت من دار البقاء إلى دار الفناء ، فحلَّ بها جزء من البلاء . فاستحسنوا جوابه أكثر من فعله .

ويحكون أنَّ الشبلىّ دخل إليه إلى السجن ، فوجده جالساً يخطّ فى التراب ، فجلس بين يديه حتى ضجر ، فرفع طرفه إلى السماء ، وقال : إلهى لكلّ حق حقيقة ، ولكل خلق طريقة ، ولكلّ عهد وثيقة ، ثم قال : يا شبلىّ مَنْ أخذه مولاه عن نفسه ، ثم أوصله إلى بساط أنسه ، كيف تراه ؟ فقال : وكيف ذاك ؟ قال : يأخذه عن نفسه ، ثم يرده على قلبه ، فهو عن نفسه مأخوذ ، وعلى قلبه مردود . فأخذُه عن نفسه تعذيب ، وردّه إلى قلبه تقريب . طوبى لنفس كانت له طائعة ، وشموس الحقيقة فى قلوبها طالعة ! ثم أنشد :

طلعتْ شمس من أحبّك ليـــلاً فاستضاءت فما لهـــا من غروبِ
إنّ شمس النهار تطلع باللـيــــ ل وشمسُ القلـــوب ليس تغيب

ويذكرون أنه سُمِّىَ الحلاَّج ، لأنه اطلع على سر القلوب،وكان يخرج لبَّ الكلام كما يخرج الحلاج لبَّ القطن بالحلج.وقيل كان يقعد بواسط بدكان حلّاج فمضى الحلاج فى حاجة ورجع فوجد القطن محلوجاً مع كثرته ، فسماه الحلاج .

فقال له : مَنْ أحضر ما ليس يحاضر صنع غير مصنوع ، قال محمد بن يحي الصولى : أنا رأيت هذا الرجل مرّات ، وخاطبته ، فرأيته جاهلاً يتعاقل ، وَعِيًّا

وفى الصوفية من يقبله ويقول:إنه كان يعرف اسم الله الأعظم ، ومنهم من يردّه ، ويقول : كان مموّهاً ، ويذكرون أن الشِّبلى أنفذ إليه بفاطمة النيسابورية ، وقد قطعت يده ، فقال لها : قولى له إن الله ائتمنك على سرّ من أسراره ، فأذعتَه فأذاقك حدّ الحديد ، فإن أجابك فاحفظى جوابه ، ثم سليه عن التصوّف ما هو ، فلما جاءت إليه أنشأ يقول :

تجاسرت فكاشفتك[1] لمـّـا غلـب الصبر
ومـا أحسـن فى مِثْل ـك أن ينهتـك السترُ
وإن عنّفنى النـاسُ ففى وجهـك لى عُذْرٌ
كأن البـدر محتاجٌ إلى وجهـك يا بدرُ

— وهذا الشعر للحسين بن الضحاك الخليع الباهلى — ثم قال لها : امضى إلى أبى بكر وقولى له : يا شبلىّ ، والله ما أذعت له سرًّا ، فقالت له : ما التصوف ؟ فقال : ما أنا فيه ، والله ما فرقت بين نعمة وبلوى ساعةً قطّ ، فجاءت إلى الشبلىّ ، وأعادت عليه ، فقال : يا معشر الناس الجواب الأول لكم ، والثانى لى ، وذكروا أنه لما قطعت يده ورجله صاح وقال :

وحرمةِ الودّ الذى لم يكـن يطمـع فى إفساده الدهـرُ
ما نالنى عنـد هجوم البـلا باسٌ ولا مسّنىَ الـضرّ
ما قُدَّ لى عضوٌ ولا مِفْصَـلٌ إلا وفيـه لكم ذكـرُ

وكتب بعض الصوفية على جذع الحلاج :

ليـكن صدرك للأسـ ـرار حصْنـا لا يُرامُ
إنمـا يَنطـقٌ بالسـ ـر ويُفْشيـه اللئـامُ

فى كتاب المنتظم[2] لابن الجوزى حوادث سنة ثلثمائة :

---

(١) هذا الشطر تكملة من ديوان الحلاج . (٢) المنتظم : ٦ : ١٦٠ .

يتفصح ، وفاجراً يظهر التنسّك ، ويلبس الصوف ، فأول من ظفر به علىّ بن أحمد الراسبى ، لما اطّلع منه على هذه الحال ، فقيّده وأدخله بغداد على جمل قد شهره ،

وفيها صلب الحسين بن منصور الحلاج ، وهو حى فى الجانب الشرقى يوم الأربعاء والخميس ، وفى الجانب الغربى يومى الجمعة والسبت لاثنتى عشرة بقيت من ربيع الآخر.

وفيها : قبض بالسوس على الحسين بن منصور الحلاج،وحصل فى يد عبد الرحمن ابن خليفة علىّ بن أحمد الراسبىّ ، وأخذت له كتب ورقاع فيها أشياء مرموزة ، ثم حُمل فأدخل إلى مدينة السلام على جمل ومعه غلام له على جمل آخر مشتهرَيْن ، ونودى عليه : هذا أحد دعاة القرامطة فاعرفوه ، فحبس ثم أحضره الوزير علىّ بن عيسى وناظَره ، فلم يجده يقرأ القرآن ولا يعرف من الفقه شيئاً ، ولا من الحديث ولا من الأخبار ولا الشعر ولا اللغة ، فقال له علىّ بن عيسى : تَعلّمك الطهور والفروض أجْدَى عليك من رسائل لا تدرى ما تقول فيها كم تكتب ، ويلك إلى الناس تبارك النور الشعشعانى ، ما أحوجك إلى الأدب ، ثم أمر به فصُلِبَ حياً فى الجانب الشرقى فى مجلس الشرطة ، ثم فى الجانب الغربىّ حتى رآه الناس،ثم حُمل إلى دار السلطان فحبس بها فاستمال بعض أهلها بإظهار السّنة ، حتى مالوا إليه وصاروا يتبرّكون به ، ويستدعون منه الدعاء وستأتى أخباره إن شاء الله

ذكر من توفى فى هذه السنة ، سنة تسع وثلثمائة

الحسين بن منصور بن محمى الحلاج ويكنى[١]أبا مغيث من الأكابر ، وقيل أبا عبد الله كان جدُّه محمى مجوسياً من أهل بيضاء فارس ، ونشأ الحسين بواسط وقيل : بتُسْتَر ، ثم قدم بغداد ، وخالط الصوفية ، ولقى الجُنيد والثورى[٢]وغيرهما ، وكان مخلّطا ، فنى أوقات يلبس المُسوح ، وفى أوقات يلبس الثياب المصبّغة ، وفى أوقات يلبس الدّرّاعة

---

(١) المنتظم ٦ : ١٦٠

(٢) المنتظم « النورى » .

وكتب بقصته وما ثبت عنده فى أمره ، فأحضره علىّ بن عيسى أيام وزارته فى سنة إحدى وثلثمائة ، وأحضر الفقهاء ، ونوظر فأسقط فى لفظه ، ولم يحسن من القرآن شيئاً

والعمامة ، ويمشي بالقَباء على زيّ الجند ، وطاف البلاد ، وقصد الهند وخُراسان وما وراء النهر وتركستان ، وكان أقوامٌ يكاتبونه بالمغيث ، وأقوام بالمقيت ، وتسمية أقوام : المصطلم. وأقوام : المجبر. وحجّ وجاور ، ثم جاء إلى بغداد فاقتنى العقار ، وبنى داراً .

واختلف الناس فيه ، فقوم يقولون إنّه ساحر ، وقوم يقولون : له كرامات ، وقوم يقولون : منمّس .

قال أبو بكر الصولىّ : قد رأيت الحلاّج وجالسته ، فرأيت جاهلا يتعاقل ، وغبيًّا يتبالغ ، وفاجراً يتزهّد ، وكان ظاهره أنه ناسك صوفىٌّ ، فإذا علم أن أهل بلدة يرون الاعتزال ، صار معتزليًّا،أو يرون الإمامة صار إماميًّا ، وأراهم أن عنده عِلْماً بإمامهم ، أو رأىَ أهل السنة صار سنّيا ، وكان خفيفَ الحركة ، مفتنًّا ، قد عالج الطب ، وجرّب الكيميا ، وكان مع جهلهِ خبيثاً ، وكان يتنقل فى البلدان .

أنبأنا عبد الرحمن بن محمد القزاز ، أنبأنا أحمد بن علىّ الحافظ ، حدثنى أبو سعيد السِّجزى ، أخبرنا محمد بن عبد الله الشيرازىّ ، قال : سمعت أبا الحسن ابن أبى بُوَيه يقول : سمعت علىّ بن أحمد الحاسب ، يقول : سمعت والدى يقول : وجّهنى المعتضد إلى الهند ، وكان معى فى السفينة رجل يدعى بالحسين بن منصور ، فلمّا خرجنا من المركب ، قلت له : فى أىّ شيء جئت إلى هاهنا ؟ قال : لأتعلّم السحر ، وأدعوَ الخلق إلى الله تعالى .

أخبرنا القزّاز ، أنبأنا أحمد بن علىّ ، أخبرنا علىّ بن أبى علىّ ، عن أبى الحسن أحمد ابن يوسف ، قال : كان الحلاّج يدعو كلّ وقت إلى شيء على حسب ما يستنكه ، طائفة طائفة .

وأخبرنى جماعة من أصحابه أنه لما افتتن الناس بالأهواز وكُورها بالحلاج ، وما يخرجه لهم من الأطعمة والأشربة فى غير حينها ، والدراهم التى سمّاها دراهم القدرة ، حُدّث أبو علىّ الجُبّائى فقال لهم : هذه الأشياء محفوظة فى منازل تمكن الحيل فيها ، ولكن أدخلوه بيتاً من بيوتكم لا من منزله ، وكلّفوه أن يخرج منه جَرزتين شوكاً ، فإن فعل

ولا من الفقه ولا من الحديث ولا من الشـــعر ، ولا من اللغة ، ولا من أخبار الناس فسحفـه وصفعه ، وأمر به فصُلِب حيًّا فى الجانب الشرقىّ ثم فى الجانب

فصدّقوه . فبلغ الحلاج قوله ، وإنّ قوماً قد عملوا على ذلك ، فخرج عن الأهواز .

أخبرنا القزّار أنبأنا الخطيب ، قال حدثنى مسعود بن ناصر ، أخبرنا ابن باكويه ، قال : سمعت أبا زرعة الطبرى يقول : سمعت محمد بن يحيى الرازىّ يقول : سمعت عمرو بن عثمان ، يلعن الحلاج ويقول : لو قدرت عليه لقتلته بيدى ، قرأت آية من كتاب الله فقال : يمكننى أن أؤلف مثله أو أتكلم .

قال أبو زرعة:وسمعت أبا يعقوب الأقطع يقول : زوجت ابنتى من الحلّاج الحسين ابن منصور لما رأيت من حسن طريقته ، فبان لى بعد مدة يسيرة أنه ساحر محتال خبيث كافر .

قال المصنف : أفعال الحلاج وأقواله وأشعاره كثيرة،وقد جمعت أخباره فى كتاب سميته:القاطع لمجال اللجّاج القاطع بمحال الحلاج ، فمن أراد أخباره فلينظر فيه ، فقد كان هذا الرجل يتكلّم بكلام الصوفية فيندر له كلمات حسان ، ثم يخلطها بأشياء لا تجوز ، وكذلك أشعاره ، فمن المنسوب إليه :

سبحان مَنْ أظهر ناسوتَـه سرّ سَنَا لا هوته الثاقبِ
ثم بدا فى خلقــه ظاهراً فى صورة الآكل والشاربِ
حتى لقــد عاينــه خلقُه كلحظة الحاجب بالحاجب

فلمّا شاع خبره ، أخِذ وحُبس ونوظر ، فاستغوى جماعة ، وكانوا يستشفُون بشرب بوله ، وحتى إن قوما من الجهال قالوا : إنه إله وإنه يحيى الموتى .

قال أبو بكر الصولىّ:أول مَنْ أوقع بالحلّاج أبو الحسين علىّ بن أحمد الراسبى ، فأدخله بغداد وغلاماً له على جملين قد شهرهما ، وذلك فى ربيع الآخر سنة إحدى وثلثمائة ، وكتب معهما كتاباً يذكر فيه أنّ البينة قامت عنده بأن الحلّاج يدّعى الرّبوبية ، ويقول بالحلول ، فأحضره علىّ بن عيسى فى هذه السنة ، وأحضر الفقهاء فناظروه ، فأُسْقِط فى لفظه ، ولم يجده يحسن من القرآن شيئاً ، ولا من غيره ، ثم حُبس ثم حُمِل إلى دار الخليفة ، فحُبس .

الغربيّ ، ليراه الناس ، ثم حبس فى دار الخليفة ، فجعل يتقرّب إليهم بالسُّنة ، فظنّوا ما يقول حقًّا . ثم انطلق،وقد كان ابن الفرات كَبَسه فى وزارته الأولى وعُنِى بطلبه موسى ابن خلف فأفلت هو وغلام له ، ثم ظفر به فى هذه السنة ، فسُلِّم إلى الوزير حامد ،

قال الصولىّ : وقيل إنه كان يدعو فى أول أمره إلى الرّضا من آل محمد ، فسُعِىَ به فَضُرِب ، وكان يُرى الجاهل شيئاً من شعبذته ، فإذا وثق دعاه إلى أنه إله ، فدعا فيمن دعا أبا سهل بن نوبخت ، فقال له : أنبت فى مقدم رأسى شعراً . ثم ترقت به الحال إلى أن دافع عنه نصر الحاجب لأنه قيل له.هو سنّى ، وإنما يريد قتله الرافضة ، وكان فى كتبه : إنى مغرّق قوم نوح ومهلك عاد وثمود . وكان يقول لأصحابه : أنت نوح ، ولآخر أنت موسى ، ولآخر أنت محمد . قد أعيدت أرواحهم إلى أجسامكم .

وكان الوزير حامد بن العباس قد وجد له كتباً وفيها أنه إذا صام الإنسان ثلاثة أيام بلياليها ولم يفطر ، وأخذ فى اليوم الرابع ورقات هند باء فأفطرعليها أغناه عن صوم رمضان . وإذا صلّى فى ليلة واحدة ركعتين من أول الليل إلى الغداة أغنتاه عن الصلاة بعد ذلك ، وإذا تصدق فى يوم واحد بجميع ملكه فى ذلك اليوم أغناه عن الزكاة ، وإذا بنى بيتاً وصام أياماً ثم طاف حوله عُرياناً أغناه عن الحجّ ، وإذا صار إلى قبور الشهداء بمقابر قريش فأقام فيها عشرة أيام يصلّى ويدعو ويصوم ولا يفطر إلاّ على يسير من الخبز الشعير والملح الجريش أغناه ذلك عن العبادة فى باقى عمره . فأحضر الفقهاء والقضاة بحضرة حامد فقيل له : أتعرف هذا الكتاب ؟ قال : هذا كتاب السّنَن للحسن البصرىّ ، فقال له حامد : ألست تدين بما فى هذا الكتاب ؟ فقال : بلى ، هذا كتاب أدين الله بما فيه ؛ فقال له أبو عمر القاضى : هذا نقض شرائع الإسلام ثم جاراه فى كلام إلى أن قال له أبو عمر : يا حلاَل الدم ، وكتب بإحلال دمه وتبعه الفقهاء ، فأفتوا بقتله وأباحوا دمه . وكتِب إلى المقتدر بذلك ، فكتب : إذا كانت القضاة قد أفتوْا بقتله ، وأباحوا دمه فليحضر محمد بن عبد الصمد صاحب الشرطة ، وليضربه ألف سوط ، وإن تلف ، وإلا ضُربت عنقه ، فأحضر بعد العشاء الآخرة ، ومعه جماعة من أصحابه على بغال مولّية يجرون مجرى الساسة ، ليُجعل على واحد منها ويدخل فى غمار القوم ، فحُمل وباتوا مجتمعين حوله ، فلما أصبح يوم

وكان عنده يخرجه إلى من حضره فيصفع وينتف لحيته .

وأُحضِر يوماً صاحب له يعرف بالسِّمريّ فقال له حامد الوزير : أما زعمت بأن صاحبكم هذا كان ينزل عليكم من الهواء ، أغفل ما كنتم ؟ قال : بلى ، فقال له : فلم لا يذهب حيث شاء ، وقد تركته فى دارى وحده ، غير مقيَّد ثم أحضر حامد الوزير

الثلاثاء لست بقين من ذى القعدة أخرِج ليُقتل فجعَل يتبختر فى قيده ويقول :

نديمى غير منســـوب	إلى شىء من الحيـــف
سقانى مثـــل ما يشرب	كفعل الضَّيف بالضيف
فلمَّا دارت الكـــاسُ	دعـا بالنِّطع والسَّيْـف
كذا من يشرب الـرَّاح	مع التِّنـين فى الصيف

فضُرب ألف سوط ثم قُطعت يده ثم رجله ، وحزّ رأسه ، وأُحرقت جثته وألقى رماده فى دجلة .

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد ، أخبرنا أحمد بن علىّ بن ثابت ، حدثنا عبيد الله ابن عثمان الصيرفى قال : قال لنا أبو عمرو بن حَيُّويه : لما أخرِج الحلاّج ليُقتل مضيتُ فى جملة الناس ، ولم أزل أزاحم حتى رأيته ، فقال لأصحابه:لا يهولنّكم هذا،فإنى عائد إليكم بعد ثلاثين يوماً ، وهذا إسناد صحيح لا شك فيه وهو يكشف حال هذا الرجل ، أنه كان ممخرَقاً يستخفُّ عقول الناس إلى حالة الموت .

أنبأنا القزاز أنبأنا أحمد بن علىّ أنبأنا القاضى أبو العلاء قال : لما أخرِج الحسين ابن منصور ليقتل أنشد :

طلبتُ المستقرَّ بكلِّ أرضٍ	فلم أر لى بأرضٍ مستقرّا
أطعتُ مطامعى فاستعبدتنى	ولو أنى قنعتُ لكنت حُرَّا

ومن الحوادث فى سنة اثنتى عشرة وثلثمائة أن نازوك جلس فى مجلس الشرطة ببغداد فأحضر له ثلاثة نفر من أصحاب الحلاج وهم حيدرة والشعرانى وابن منصور فطالبهم بالرجوع عن مذهب الحلاج ، فأبوْا فضربت أعناقهم ثم صلبهم فى الجانب الشرقى من بغداد ووضع رءوسهم على سور السجن فى الجانب الغربى .

القاضى والفقهاء واستفتاهم فيه ، فحصلت عليه شهادات بما سمع منه أوجبت قتله ، فعرف المقتدر بما ثبت عليه ، وما أفتى به الفقهاء فيه ، فوقّع إلى صاحب شرطته محمد ابن عبد الصمد بأن يخرجه إلى رحبة الجسر ، ويضربه ألف سوط ، ويقطع يديه ورجليه ، ففعل ذلك به، ثم أحرقه بالنار . وذلك فى آخر سنة ثلثمائة وتسع .

وأقام الحج للناس فى هذه السنة أحمد بنُ العباس .

وفى تاريخ الإسلام للذهبى حوادث سنة تسع وثلثمائة :

وجمعت أخباره فى كتاب . وكان قد صحب الجنيدَ وعمرو بن عثمان المكىّ،وتمزق فى بدايته وجاع وتجرّد،لكن فى رأسه رئاسة وكبر ، فسلّط اللهُ عليه لما تمرّد وخرج عن دائرة الإيمان مَن انتقم منه ، فأفتى العلماءُ بكفره ، وقد افتتن به خلق من الرعاع الجهّال وأتباع كلّ ناعق عندما رأوا من سِحره وشعْوذته وحاله وإشارته التى يستعملها متأخرو الصوفية بحيث إنهم تألهوه ودانوا بربوبيته ، وقد اعتذر الإمام أبو حامد عنه فى مشكاة الأنوار ، وأخذ يتأوّل أقواله على محامل حسنة بعيدة من الخطاب العربىّ الظاهر.

قال أبو سعيد النقاش فى تاريخ الصوفية : منهم مَن نسبه إلى السّحر ومنهم من نسبه إلى الزندقة .

وحكى أبو عبد الرحمن السُّلمىُّ اختلاف الطائفة فيه ، ثم قال:هو إلى الرّد أقربُ . وكذا حطّ عليه الخطيبُ وأوضح سحره وضلاله.وضلّله ابن الجوزى .

وقال ابن خلكان : أفتى أكثر علماء عصره بإباحة دمه .

وقال أبو بكر بن أبى سعد : إن الحلاج مموّه ممخرق ، وعن عمرو بن عثمان المكى قال : سمعنى الحلاج وأنا أقرأ القرآن فقال : يمكننى أن أقول مثله ، فقلت إن قدرتُ عليك لأقتلنّك .

وقال أبو يعقوب الأقطع وجعفر الخلدى : الحلاج كافر خبيث.

ثم دخلت سنة عشر وثلثمائة

ذكر مادار فى هذه السنة من أخبار بنى العباس

وفى هذه السنة اعتلّ المقتدر بالله علّة شديدةً ، فزعموا أنّ أم موسى القهرمانة أرسلت إلى بعض أهله برسالة تقرّب عليه ولاية الأمر ، وانكشف ذلك له ولأمه وجميع خاصته ، وقبضوا عليها وعلى أختها أم محمد وأخيها أحمد بن العباس ، وأخِذَتْ منهم أموال ، وأخذت لهم ودائع عند قوم . وكثر الإرجاف بحامد بن العباس ، والطعن عليه ، وسُمّيت الوزارة لأقوام ، فقيل يخرج علىّ بن محمد بن الفرات فيولاّها ، وقيل يجير علىّ بن عيسى على ولايتها ، وقيل ابن أبى الحوارى ، وقيل ابنُ أبِى البغل ، فكُتبت رقعة وطرِحت فى الدار التى فيها السلطان ، وفيها :

قــل للخليفــةِ قُلْ لِى	إن كنتَ فى الحكمِ تُنصِفْ
مَــنِ الوزيــرُ علينا	حتى نُقِــرَّ ونَعــرِفْ
أحامــدٌ فهْــو شيْخٌ	واهِى القُــوى مُتخلِّفْ
أمِ البخيــلُ ابنُ عيسى	فهــو المُنــوعُ المطَفِّفْ
أمِ الــذى عند زيــدَا	نَ للمشورةِ يَعْلِــفْ
أم الفــتى المتــأنى	أمِ الظريفُ المغلَّــفْ
أم ابنُ بِسطــام أعجلْ	أمِ الشُّيَيْخُ المَعَقَّــفْ
أمْ طارِئٌ ليس نَــدرى	مِنْ أىِّ وجهٍ يُلَقَّــفْ

— الفتى المتأنى ابن الخصيبى ، والشييخ المعقّف ابن أبى البغل .

وفى هذه السنة استضعف السلطانُ صاحب شرطة بغداد فيما كان من العامّة، فعزله وولّى شرطته نازوك المعتضدى ، فبانت صرامته فى أوّل يوم ، وقام بالأمر قياماً لم يقم مثله أحد . وفلّ من حدّ الرجّالة ، وكانت نارهم موقدة ، وحاربهم حتى أذعنوا وتناولوا حوائجهم منه بخضوع له بعد أن قصدوا داره ليحرقوها ، وهو فى وقته الذى وُلِّىَ فيه نازل

على دجلة وعلى الزاهرية ، فاستعان بالغلمان فشرّدهم وأعانه نصر الحاجب عليهم ، وهو كان سبب توليته،لأنه بلغه أن عروساً زُفَّتْ إلى زوجها بناحية سوق الشتاء ، فخرج بعضُ أولاد الرّجالة ، ومعه جماعة منهم ، فأخذها وأدخلها إلى داره ، وفجـر بها . ثم صرفها إلى أهلها ، فأظهر الناس شدة الإنكار لهذا ، وعظَّموه بحسب عظمه ، وكلّ ما قدر عليه نصر الحاجب أن أسقط رزق هذا الرجل ، ونفاه ، ثم أشار بولاية نازوك . فاشتدّ عليهم ، وصلب فى أمرهم وشكر له فعله فيهم .

وحج بالناس فى هذه السنة إسحاق بن عبد الملك .

ثم دخلت سنة إحدى عشرة وثلثمائة

ذكر ما دار فى هذه السنة من أخبار بنى العباس

كانت هذه السنة ببغداد وما والاها شديدة الوطأة على الناس ؛ حتى سُمِّيَتْ سنة الدّمار . وذلك أن علىّ بن محمد بن الفرات وُلِّىَ فيها الوزارة المرة الثالثة ، وتقبّض على الوزير حامد بن العباس وعلى علىّ بن عيسى[1] . وذلك يوم الخميس لتسع ليال بقِين من شهر ربيع الآخر ، فدخل الجنّابىّ والقرامطةُ البصرةَ ليلة الاثنين بعد ولايته بأربعة أيام . وكان خبر ولاية ابن الفرات والقبْض على حامد وعلىّ بن عيسى قد وصل إلى الجنّابىّ وأصحابه من وقته من قِبَل مَنْ كان يكاتبهم ؛ لأن بعض البصريين الثِّقات حكوْا أن القرامطة كانوا يقولون لهم يوم دخولهم : ويلكم ما أركَّ[2] سُلَيْطِينكم فى إبعاد ذلك الشيخ عن نفسه ، ولَيَعلَمَنّ ما يلقى بعده . قالوا : ونحن لا ندرى ما يقولون حتى ورَدَنا الخبر بعد ذلك بالقبض على حامد وعلىّ وولاية ابن الفرات ، فعلمنا ما أرادت القرامطة ، وأنّ الخبر أتاهم من وقته فى جناح طائر على ما أركَن الناس آلته ، واعتقدوا صحته . فعاثت القرامطة فى البصرة ، ودخلت الخيلُ المِرْبد ، وكان سُبُك المفلحىّ القائد بها ، فلما سمع الصيحة وقت الفجر . فخرج وهو يظنّ أنها لفزعةٍ دارت . فلما توسّط المِرْبد يريد الدَّرْب رأته القرامطة وهم وقوف بجانبى الشارع ، فشدُّوا عليه فقتلوه ، وقتلوا بعض مَنْ كان معهُ ، وركض الباقون فأفلتوا ، وقاتلهم أهل البصرة فى شارع المِرْبد إلى عشىّ ذلك اليوم ، ولا سلطان معهم . فلم يظفروا بهم إلا بالنّار فإنهم كانوا كلّما حَوَوْا موضعاً أحرقوه ، وانهزم أهل البصرة وجال القرامطة فى شارع

---

(١) فى ابن الأثير : « وكان سبب ذلك أن المقتدر ضجر من استغاثة الأولاد والحرم والخدم والحاشية من تأخير أرزاقهم ، فإن علىّ بن عيسى كان يؤخرها ، فإذا اجتمع عدة شهور أعطاهم البعض وأسقط البعض الآخر وحط من أرزاق العمال فى كل سنة شهرين وغيرهم ممن له رزق ، فزادت عداوة الناس له » .

(٢) الركاكة : ضعف العقل .

المِرْبد ، ومرُّوا بالمسجد الجامع وسكّة بنى سَمُرة حتى انتهوْا إلى شطّ نهر البصرة المعروف بنهر ابن عمر الّذى كان أنفذ حفره عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، وكانوا يخرجون من البصرة ليلا إلى معسكرهم بظهر البصرة ، ولا يبيت بها منهم أحد فَرَقاً ، فأقاموا أياماً على ذلك ، ثم انصرفوا ، وقدكان السلطان أنفذ إلى البصرة حين بلغه ذلك بُنَيّ بن نفيس وجعفر بن محمد الزرنجىّ فى جيش .

ثم ولّى شرطة البصرة محمد بن عبد الله الفارقىّ وأنفذه فى جيش ثانٍ .

وخرج ابن الفرات فى هذه الوقعة مغيظًا على الناس ، وأطلق يد ابنه المحسّن ، فقتل الناس ، وأخذ أموالهم ، وغلبا على أمّ المقتدر بالله وملكا أمرها . وكان الذى سفر لهما فى ذلك مُفلحٌ الخادم الأسود ، وكان الأمر كلّه إليه وإلى كاتبه النّصرانى المعروف بِبِشر بن عبد الله بن بشر ، وكان مجبوباً ، فاحتالوا على مؤنس المظفّر ، حتى أخرجوه إلى الرَّقة وأزعجوه من باب الشمّاسيّة فكان كالنفى له . وكان حامد بن العباس قد استتر وعليه من المال الذى عقده على نفسه ألف ألف دينار ، فاحتال حامد إلى أن وصل إلى باب السلطان ، فدخل إلى نصر الحاجب ، فقال له : قد تضمَّنّى بألف ألف دينار ، فخذُوا منى ألف ألف دينار وخمسمائة ألف دينار واحبسونى عندكم ، واحتسبوا لابن الفرات بألف ألف دينار التى تضمَّنَنى بها ولا تطلقوا أيديهم علىّ . فأخبِر بذلك الخليفة ، وأشار به عليه ، وقال : ها هنا فضل مال ، ويكون فى حبسنا رجل هو بيت مال للسلطان ، فتلوّموا فى ذلك وقال المحسّن لمفلح الخادم : يفسد علىّ أمرى كلّه ، ولا بدّ من تسليمه إلىّ ، فلم يزل مُفْلح بالمقتدر والسيدة حتى زالا عن الصواب ، وسلّما حامدًا إلى ابن الفرات فكان يُصفَع ويُضرب ، ويخرجه المحسّن إذا شرب فيلبسه جلدِ قرْد ، له ذنَب ، ويقيم مَنْ يرقّصه ويصفعُه ، ويشرب على ذلك ، وأجرى على حامد أفاعيل قبيحة ليست من أفاعيل الناس ، ولا يستجيزها ذو دين ولا عقل ، ولم يصل من ماله كثير شىء إلى السلطان ، وضاع ما كانَ بذلَه ، وحُدر إلى واسط وسُلِّم إلى البزَوْفرىّ العامل ، فقتله ، وأُخرجه إلى أهل واسط ، وسلّمه إلى من يجنّه . فاجتمع الناس ، وصلوا عليه وعلى قبره أياماً متوالية .

وزعم ابن الفرات للسلطان أن علىّ بن عيسى خائن ممالئٌ للقرمطىّ ، فصادره على مال استُخْرِج بعضه من قِبَله ، ثم نفاه إلى اليمن ووكّل به رجلا من أصحابه ، وأمره

بالاحتيال لَقتْله ، فقبض الله يده عن ذلك بصاحب لشفيع اللؤلؤى صاحب البريد ، كان قد وَكَّله به . فلمّا خرج عن مكة لقيَه أصحاب ابن يعفُر ، فحالوا بينه وبين الموكّلين به ، وأرادوا قتل الموكّل به لأنه كان أضجعه بمكة ليذبحه ، فخالفه عونٌ كان معه ، ودفع عنه ، فمنع علىٌّ بن عيسى مَنْ قتل الموكّل به . ولما بلغ ابنَ يعفر تلقّاه أخوه ومعه هدايا عظيمة القدر ، فأكْرمه وأنزله فى دار عظيمة ، وأنزل الموكّل به فى دار غيرها ، ولم يزل علىّ بن عيسى يُجرى بعد ذلك على العَوْن المخالف فى قتله ، وعلى عياله الجرايات دهراً طويلاً .

ووجّه المحسّن ابنَ أبى الحوارىّ إلى الأهواز ، فقُتِل بموضع يعرف بحصن مهدىّ ، وكان نصر الحاجب يدارى المحسّن وأباه ، ويطيل عنده إلى نصف الليل القعود ، وينصرف عنه حتى اتّصل به أن المحسّن ضمن لعشرين غلاماً عشرين ألف دينار ؛ على أن يقتلوا نصراً إذا خرج من عند أبيه فى بعض المرات . فتحفّظ منه ، وكان لا يركب إلا فى غلمان كثيرة وسلاح عتيد ؛ واحتال فى إزالة نصر بكلّ حيلة ؛ فما قدر على ذلك ، واحتال على شفيع المقتدرى ، فدسّ مَنْ يقع فيه ويقول : إنه إن خرج إلى الثّغر يحصل عنده مالٌ عظيم ، فلم يجب إلى ذلك ، ونفى أبا القاسم سليمان ابن الحسن وأبا علىّ محمد بن علىّ بن مقلة إلى شيراز ، وكتب إلى إبراهيم بن عبد الله المسمعىّ فى إتلافهما فسلّمهما الله ، ونفى النُّعمان بن عبد الله الكاتب ، وكان رجل صِدْق ، وقد اعتزل الأعمال ، ولزم بيته وَغلّة ضيعة له ، فغرّبه إلى واسط ، ووجّه المحسّن رجلا كان يصحب ابن أبى العذافر خلْفه ، فذبحه بواسط ، ونفى إبراهيم بن عيسى وعبد الله ابن ما شاء الله إلى واسط ، ودسّ إليهما مَنْ قتلهما ، وطالب ابن حمّاد الموصلىّ الكاتب فقال له نصر الحاجب : سَلّمْه إلىّ وعلىّ مائة ألف دينار من قِبله ، وأُسلّمه بعد هذا إليكم على أن تلزموه بَيته ، فلم يفعل المحسّن ذلك وعَنّف به وشتمه ، فردّ عليه ابن حماد القول فقتله .

وكان أبو بكر أحمد بن محمد بن قرابة يتكلّف للمحسّن نفقاته كلّها من ماله أيام نكبة أبيه وخموله ، فلمّا ولِىَ الوزارة أكرمه أبوه ، وأقبل عليه فحسده المحسّن ، وجعل يحتال فى تلفه ، وعزم على أن يركبه معه ليلاً فى طيّارة من داره التى يسكنها المحسّن إلى دار أبيه بالمخرِّم ، فإذا توسط دجلة أمر مَنْ يرمى بابن قَرابة فيها، وكانت أيام مدود .

قال الصّولىّ : فعرّفنى بذلك سرًّا خادم للمحسّن يقال له مريث[1] لمودة كانت بينى وبينه فأشعرت ابن قرابة بما ذهب إليه فيه ، فلم يدخل له داراً ولا جلس معه فى طيّار إلى أن فرج الله أمرهم ، ولم تطل المدة . قال الصولىّ : وكان المحسّن مقماً عندى أيام نكوبهم ، وكنت كثير الانحراف إليهم ، فلما عادوا إلى المنزلة التى كانوا بُعِّدُوا عنها اختصّنى علىّ بن الفرات وأمرنى بملازمة مجلسة وزاد فى رزقى سبعين ديناراً وقال لى : انظر ما تريد من الأعمال أقلّدك إياه ، فسعى بى المحسّن إلى أبيه بفعل واش وشى بى إليه ، فثُقِّل جانبى على الوزير ، حتى قلت فى ذلك قصيدة فأصغى إليها وقبل اعتذارى فيها ، وزال ما كان فى نفسه ، وبقى المحسِّن على غِلّه ، ومن الشعر إذا اختصرناه .

قل لِرَحَا مُلكِنا وللقُطُـــــب ... وسيـــدٍ وابنِ ســـادةٍ نُجبِ
وللوزيـــر البعيـــدِ هِمّتُهُ ... البالغِ المجـــدِ غايةَ الرتب
لا والذى أنتَ من فواضـــله ... يا منقِذَ الملك من يد النُّوَب
ما كان شىءٌ ممّا وشى لـــكُمُ ... ذو حَسَدٍ مفترٍ وذو كَذِب .
هل علّةٌ أوجبتْ علىَّ ســـوَى ... مَدْحى وشكرى فى الجَدّ واللعب
أكفُـــرُ نعْماكُمُ ويَشكُرُهـــا ... عدُوُّكمْ إنَّ ذا مِنَ العجب
فسائِلوا علمَ ذاك أنفسَكُـــم ... فليس رأْيِى عنكمْ بمحْتجب
متَى سمعتم مـــن السُّعاةِ أرا ... فى اللهُ أشلاءَهُمْ على الخشب
وأوطنَ الحتفَ فى ديارهـــمُ ... حتى يبادُوا بالويـلِ والحَرَب
وليُّـــكُم رأسُ مالـــكم أبداً ... والرأسُ إن ضاعَ ليس كالذنَبِ

وفى هذه السنة تُوُفِّىَ يانس الموفّقىّ ، وكان رفيعَ المكانة عند السلطان ، عظيمُ الغَناء عنه ، ولقد عُزِّىَ به نصر الحاجب يوم وفاته ، فجعل يبكى ولا يتعزّى ، وقال : لقد أصيب الملكُ مصيبة لا تنجبر ، وقال : من أين للخليفة رجل مثله ! شيخ ناصح مطاع ينزل عند سور داره من خيار الفرسان والغلمان والخدم ألف مُقاتل ، فلو حزب السلطانَ أمرٌ وصاح به صائح من القصر لوافاه من ساعته فى هذا العدد قبل أن يعلم بذلك غيرهم من جِنْسه . فلما تُوُفِّى يانس انتصح نصر الحاجب الخليفة فى أمواله

(١) فى الأصل من غير نقط .

وكانت عظيمة ، وكانت له ضياع ومستغلات وأمتعة ووطاء وكسوة لا يعرف لشيء منها قدْر ، فقال نصر الحاجب للمقتدر إن يانساً خلّف ضياعاً تُغِلّ ثلاثين ألف دينار إلى ما خلّف من سائر المال ، وأشار عليه بأن يوجّه ابنه أبا العباس إلى دار يانس ، فيصلّى عليه ويأمر بدفنه ، ويحضر جميع فرسانه وخدمه وحاشيته فيقول لهم : أنا مكان يانس لكم وفوقه، وزائد فى الإحسان إليكم ، والتفقّد لأحوالكم ثم يحصى ما تخلّفه ولا يفوت منه شيء ، فيجمع بذلك الاستحماد إلى الرجال والإحراز للمال . فأصغى المقتدر إلى نصيحة نصر الحاجب ، وظهر له صواب قوله : فلما خرج عنه حوّله ابن الفرات وولديه عن رأيه ، وأمر المحسّن بتحصيل التركة فأذهب أكثرها ، وخان الخليفة فيها . وأخذ أكثر ذلك لنفسه ، حتى لقد كانت الشقاق الدّبيقية[1] الشقيريات التى أقل ثمن كلّ واحدة منها سبعون ديناراً ، تحشى بها المخادّ الأرمينيّة والمساور[2]، وتباع فتشترى للمحسّن[3] على أن الذى داخلها حشو صوف ، وكذلك فعل بالقصب المرتفع الرشيدى والملحم الشعبى والنيسابورىّ ، ولقد أخذ من الوسائد الرفيعة والمساور المحكمة فحشاها بالنّدّ والعود ، عتياً وطغيانا ، وكذلك كان يتكئ عليها .

ومما يعتدّ به على ابن الفرات وولده أن أحمد بن محمد بن خالد الكاتب المعروف بأخى أبى صخرة كان قد ولِىَ الدواوين وكان من مشايخ الكتاب ورؤسائهم فتُوفِّىَ فى هذا العام وخلّف ورثة أحداثاً ، فأنهى كثرة ما خلف من المال إلى المقتدر ، فأمر بالتوكيل بخزانته وداره ، فسار بعض الورثة إلى المحسّن[3] وضمنوا له مالاً على إزالة التوكيل وحلّ الاعتقال ، فكلّم المحسّن أباه فى ذلك ، وركب إلى المقتدر ، فقال له : إن المعتضد والمكتفى قد كانا قطَعا الدخول على الناس فى المواريث ، وأنا أرى لمولاى أن يحيى رسومهما ، وأن يأمر بإثبات عهد ألا يتعرض أحد فى ميراث ، فأجابه المقتدر إلى ذلك إذ ظنّ أنها نصيحة منه ، فسُلمت الدار إلى ورثة الكاتب ، وأنشأ ابن الفرات كتاباً عن المقتدر فى إسقاط المواريث نسخته .

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فإن أمير المؤمنين المقتدر بالله يؤثر فى الأمور كلها

---

(١) الدبيقية : بلدة كانت بين الفرما وتنيس من أعمال مصر ، تنسب إليها الثياب .

(٢) المساور : جمع مسور ؛ وهو المتكأ من الجلد .

(٣ ، ٣) هو المحسّن بن على بن محمد بن الفرات .

ما قرّبه من الله عزّ وجلّ ، واجتلب له جزيل مثوبته ، وواسع رحمته ، وحسنته العائدة على كافة رعيّته . كما جعل الله فى طبعه ، وأولج فى بيته ، من التعطّف عليها وإيصال المنافع إليها، وإبطال رسوم الجوْر التى كانت تعامل بها ، جارياً مع أحكام الكتاب والسّنة ، عاملاً بالآثار عن الأفاضل من الأئمة ، وعلى الله يتوكّل أمير المؤمنين ، وإليه يفوّض وبه يستعين .

وأنهى إلى أمير المؤمنين المقتدر بالله أبو الحسن علىّ بن محمد الوزير ما يلحق كثيراً من الناس من التحامل فى مواريثهم ، وما يتناول على سبيل الظلم من أموالهم ، وأنه قد كان شكى إلى المعتضد بالله مثل ذلك ، فكتب إلى القاضيين يوسف بن يعقوب وعبد الحميد يسألهما عن العمل فى المواريث ، فكتبا إليه : أن عمر بن الخطاب وعلىّ بن أبى طالب وعبد الله بن العباس وعبد الله بن مسعود ومَن اتّبعهم من الأئمة وعلماء هذه الأمة رحمهم الله رأوا أن يردّ على أصحاب السهام من القرابة ما يفضل عن السهام المفروضة لهم فى كتاب الله عز وجل من المواريث إن لم يكن للمتوفى عَصَبة يرثون ما بقى ، ممتثلين فى ذلك كتاب الله عز وجل فى قوله · (وأولُوا الأرحام بعضُهم أوْلى ببعضٍ فى كتاب الله) [1] ، ومحتملين على سنة رسول الله فى توريث من لا فرض له فى كتاب الله من الخال وابن الأخت والجدّة ، وأن تقليد العمال أمر المواريث دون القضاة شىء لم يكن إلّا فى خلافة المعتمد على الله ، فإنه خلط فى ذلك ، فأمر المعتضد بإبطال ما كان الأمر جرى عليه أيام المعتمد فى المواريث ، وترك العمل فيها بما روى عن زيد بن ثابت بأن يردّ على ذوى الأرحام ما أوجب الله ردّه وأولو العلم من الأئمة . فأمَر أمير المؤمنين المقتدر بالله أن يجرى الأمر على ذلك ويعمل به ، وكتب يوم الخميس. لأربع عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة إحدى عشرة وثلثمائة ، فلما نفذ كتاب المقتدر بهذا ، وأشهد على ورثة ابن خالد الكاتب بتسليم ما خلّفه وقبضهم له وجّه المحسِّن ، إليهم مَنْ أخذ جميع مالهم وحبسهم وأخافهم .

وحجّ بالناس فى هذه السنة الفضل بن عبد الملك .

---

(١) سورة الأنفال ٧٥ .

ثم دخلت سنة اثنتى عشرة وثلثمائة

ذكر ما دار فى هذه السنة من أخبار بنى العباس

فيها ورد الخبر فى أول المحرّم على الخليفة ببغداد بقطع الجنّابىّ والقرامطة على الحاجّ ، وما حدث فيهم من القتل والأسر ، وذهاب عامة الناس،آل السلطان وغيرهم ، وأنّ عبد الله بن حمدان قد قلّد أمر الطريق .

فمضى الناس فى القافلة الأولى فسلّمُوا فى أول مسيرهمْ ، حتى إذا صاروا بفيْد اتّصل بهم خبر القرامطة ، فتوقّفُواووردكتاب أبى الهيجاء على نزار بن محمد الخراسانىّ ، وكان فى القافلة الأولى بأن يتوقّف عليه حتى يجتمعوا ، فتوقّف نزار وتلاحقت قوافل الشاريّة والزبيريّة والخوارزميّة ، فلمّا صاروا بأجمعهم بالهبير[1] غشيهم الجنّابىّ وأصحابه القرامطة ، فقتلوا عامّتهم . واتصل الخبر بسائر القوافل ، وقد اجتمعت بفيْد ، فتشاوروا فى العدول إلى وادى القرى ، ولم يتفقوا على ذلك . ثم عزموا على المسير ، فقطع بهم الجنّابى وأُسر أبو الهيجاء القائد ، وأفلت نزار وبه ضربات أثخنته ، وأسِر ابنٌ للحسين ابن حمدان وأحمد بن بدر العمّ وأحمد بن محمد بن قشمرد وابنه ، وأسِر مازج الخادم صاحب الشمسة ، وفلفل الفتى ونحرير فتى السيدة ، وكان على القافلة الثالثة ، وقُتِل بدر ومقبل غلاما الطائى ، وكانا فارسيْن مشهورين ممّن يسير بالقوافل ويدافع عنها ، ولهما قَدْر وذكر ، وأُسر خَزَرِىٌّ وابنه ، وكانا من القوّاد ، وقتل سائر الجند ، وأخذت القرامطة الشمسة وجميع ما كان للسلطان من الجواهر والطرائف ، وأخذوا من أموال الناس ما لا يحصى وتحدّث مَنْ أفلت بأنه صار إليهم من الدنانير والورق خاصة نحو ألف ألف دينار ، ومن الأمتعة والطيب وسائر الأشياء ما قيمته أكثر من هذا ، وأن جميع عسكره إنما كان ثمانمائة فارس ، وسائرهم رجّالة وكلّ مَنْ أفلت من أيدى القرامطة ،

(١) الهبير ، ذكرها ياقوت وقال : « رمل زرود فى طريق مكة كانت عنده وقعة ابن أبى سعد الجنابى القرمطى بالحاج يوم الأحد لاثنتى عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة ٣١٢هقتلهم وسباهم وأخذ أموالهم » .

أكلهم الأعراب ، وسلبوا ما بقىَ معهم مما كان تخباه الناس من أموالهم ، ومات أكثر الناس عطشًا وجوعاً .

ولَمّا صحّ عند المقتدر ما نال الناس وناله فى رجاله وماله عظُم ذلك عنده وعند الخاصة والعامّة ، وجلّ الاغتمام به على كل طبقة ، وتقدّم الخليفة إلى ابن الفرات فى الكتاب إلى مؤنس الخادم بأن يقدَم من الرَّقّة ليخرج إلى القرمطىّ. وكتب إليه نصر الحاجب بالاستعجال والبدَار ، فسلك الفرات فى خاصته وأسرع فى مسيره ، ووصل إلى بغداد فى غرّة شهر ربيع الأول .

ذكر التقبّض على ابن الفرات وابنه وقتلهما

وفى يوم الثلاثاء لِتسْعٍ خلوْن من شهر ربيع الآخر ، قُبِض على علىّ بن محمد ابن الفرات الوزير ، واختفى المحسّن ابنه ، فاشتدّ السلطان فى طلبته ، وعزم على تفتيش منازل بغداد كلّها بسببه ، وأمر بالنداء بهدر دم مَنْ وجد عنده وأخذ ماله ، وهدم داره ، وتشدّد على الناس فى ذلك التشدّد الذى لم يُسْمَع بمثله ، فجاء مَنْ أعطى نصراً الحاجب خبرَه ، ودلّه على موضعه ، فوجّه بالليل مَنْ كَبَسَه[1] وأخذه ، وقد تشبّه بالنساء وحلَق لحيته ، وتقنّع ، فأُتى به على هيئته وفى زيّه لم تغيّر له حال ، وضُرِب فى الليل بالدبادب ليعلم الناس أنه قد أُخِذ ، وغدت العامة إلى دار الخليفة ليرْوه ، وتكاثر الناس ، وازدحموا للنظر إليه ، وهو فى ذلك الزّى الذى وجد عليه .

ثم أُحضِر أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبيد الله الخاقانىّ فاستوزر ، وأُقعد ، وخلِع عليه للوزارة ، فاستوزر منه رجل قد تكهّل وفهم وجرّب ، وفارق ما كان عليه فى أيام أبيه من الحداثة ، وغلب عليه الوقار والسكينة .

وكان مؤنس الخادم هو الذى أشار به ، وزيّن أمره وحضّ المقتدر على استيزاره ، فأوّل ما قعد نصب لمناظرة ابن الفرات وولده ، ومحاسبتهما رجلاً يعرف بابن نقد الشر ، فتشدّد عليهما فى الأموال فلم يُذعنا إلى شىء ، إذ علما أنهما تالفان ، وكان فى

---

(١) كبسه : هجم عليه .

أوّل ضمّهما قد دسّا إلى مَنْ تضمّن عنهما مالا عظيماً على أن يحبسا فى دار السلطان ، ولا ينطلق عليهما أيدى أعدائهما ، فهمّ المقتدر بذلك ، وأصغى إليه ، فاجتمع الرؤساء : مؤنس وشفيع اللؤلؤى ونصر وشفيع المقتدرى ونازوك وكلّهم عدوّ لابن الفرات ومطالَب له ، فسعوْا فى إحالة رأى الخليفة عن ضمّه إلى الدار ، وتقدّموا إلى الغلمان بأن يَشْغَبوا ويحملوا السلاح ويقولوا : قد عزم السلطان أن يستوزر ابنَ الفرات مرة رابعة لا نرضَى إلّا بقتله على عظيم ما أحدث فى الملك ، وأفسد من الأمور ، وأتلف من الرجال . ففعلوا،وكتب شفيع اللؤلؤىّ إلى المقتدر ، وكان صاحب البريد والثقة فى إيراد الأخبار يشنِّع عليه قيام الغلمان ، وتشوّف الناس إلى الخلعان ، فأمر المقتدر بقتل ابن الفرات وابنه ، وتقدّم[1] إلى نازوك بأن يضرب أعناقهما فى الدار التى كانت لابن الفرات ، ويوجّه إليه برأسيهما ، فنفذ ذلك من وقته وبعث بالرأسين فى سَفَط ثم رد السَّفَط إلى شفيع اللؤلؤى ، فوضع الرأسين فى مخلاّة وثقّلهما بالرمل وغرّقهما فى دجلة .

وفى هذا العام قبل القبض على ابن الفرات بأيام تُوُفِّىَ محمد بن نصر الحاجب ، وكان خلفاً من أبيه ، قال الصولىّ : عرفته والله فتًى كريماً عالىَ الهمة ، جميل الأمر ، سرىّ الآلة ، كثير المحاسن ، قد اشتهى جَمْع العلم وكتب الحديث ، وتخلّف كتباً بأكثر من ألفى دينار.

قال : وكان قد خرج على إمارة الموصل ونواحيها ، فدعانى إلى الخروج معه على أن أقيم شهراً أو شهرين بألف دينار معجّلاً عند الخروج وألف مؤجّلاً عند الانصراف . قال: فلم ينتظم لى أمرى على الخروج معه ، ففعل قريباً مما قال ، وأنا مقيم بمنزلى . ثم إنَّ أباه لم يصبر عنه فأقدمه بغداد ، فقلت شعراً أذكر فيه مفارقته وقدومه على عَروضٍ كان يعجبه ، وهو هذا اختصرناه :

حُرَقٌ ذابتْ لهـا الأحـ ... شاءُ من حرّ الفِـراقِ
بقيَتْ وقفـاً على همٍّ ... وأحـزانٍ بَـوَاقى
آه مـن فجعَـةِ بيْنٍ ... جلبَـتْ ماءَ المـآقى
وتباريح اشـتياقٍ ... ساق قلبى للشِّـاقِ
إنّ صبْرى عن أبى نصـ ... ـرٍ لَضربٌ مـن نفاقِ

---

(١) تقدم إلى نازوك ، أى أمره .

عن أميرٍ جلّ عــن إتـ   يانِ أفعـــالٍ دِقـــــاقِ
واسعِ الهمةِ فى الإفـ   ضالِ ممدودِ الرّواقِ
نشربُ الصافىَ من جَدْ   واه فى كأسٍ دِهاقِ[1]
هــو بحْــرٌ وأعالى الـ   ناسِ فى الجودِ سَواقِى
إن أكـــن عنكَ تأخَّرْ   تُ بجدٍّ ذى محاقِ
وزمانٍ آخـــذٍ مـــــن   كلِّ حرٍّ بالخِنــــاقِ
فلقـــد شُــدَّ سرورى   ونشـــاطى فى وثاقِ
ووجدتُ المــاء فى بُعـ   دكَ كالملحِ الزُّعـــاقِ
فحمـــــدتُ الله إذْ مـ   نّ بقـــربٍ وتـــلاقِى
وعلىّ الحجّ مقـــــرو   نـــاً بغــزوٍ وعَتـــاقِ
إنْ تسمّحتُ لنفسى   بعد هذا بِفراقِ

وفى هذه السنة تُوُفِّىَ محمد بن عبيد الله بن خاقان والد الوزير وعزّى منه ، فكان جميل العزاء ، وملتزماً للصبر . واعتلّ الوزير عبد الله بن محمد فى جمادى الآخرة من هذا العام بعد وفاة أبيه ، فكان يتحامل على الجلوس للناس ، فيدخلون عليه ، وهو لَقًى[2] شديد العلّة ، فلم يَزَلْ على هذه الحال حتى استهلّ شهر رمضان ، ثم صلُحت حاله ونَقَه من عِلّته ، وكان الوزير قد نافر نصراً الحاجب وعمل عليه عند المقتدر ، حتى همّ بالقبض على نصر ، وظنّ الوزير أن ذلك مما يَسُرُّ به مؤنساً فى نصر . إذ كان توهّم أن الذى بينهما فاسد ، وكانا عند الناس متخالفين ، وهما فى الحقيقة كنفس واحدة ، فقدم مؤنس وبعث إليه نصر كاتبه ، فتلقّاه بأسفل المدائن ، وعرّفه خبر نصر كلّه ، فوجده لنصر كمنزلة نفسه ، وقال للكاتب : قل له عنى : بحقّى عليك ، إن تلقَّيتَنِى وأخليت الدار ، فلا مؤنة عليك منى ، فإن كنتَ لا بدَّ فاعلا فبالقرب ، فتلقاه نصر بسوق الأحد ؛ وكان دخول مؤنس فى أول سنة ثلاث عشرة وسيقع خبره فى موضعه إن شاء الله .

وفى ذى القعدة من هذه السنة قدم خلق كثير من الخراسانية إلى مدينة السّلام

---

(١) دهاق : ممتلئة .
(٢) لقى ، أى مطروحاً .

للحجّ،واستعدّوا بالخيل والسلاح ، فأخرج السلطان القافلة الأولى مع جعفر بن ورقاء ، وكان أمير الكوفة يومئذ ، فوقع إليه خبرُ القرمطى وتحرّكه مرتصداً للقوافل ، فأمر جعفر الناس بالتوقّف والمقام حتى يتعرّف حقائق الأخبار.

وتقدّم جعفر فى أصحابه ، ومَنْ خفّ وتسرع من الحاجّ ، فلمّا قرب من زُبالة [1] اتبعه الناس ، وخالفوا أمره ، فوجدوا أصحاب الجنّابىّ مقيمين ينتظرون موافاة القوافل ، وقد منعوا أن يَجُوزَهم أحد يخبر بخبرهم ؛ فلما رأوْه ناوشوه القتال ، ثم حال بينهم الليل ، وخلّص ابن ورقاء بنفسه ، وقتل خلق كثير ممّن كان معه وترك الحاجّ المتسرعة جمالهم ومحاملهم وفرّوا راجعين إلى الكوفة . وأتبعهم القرمطىّ .

وكان بالكوفة جنىّ الصفوانىّ ، وثمل الطرسوسى وطريف السبكرىّ فاجتمعوا واجتمع إليهم بنو شيبان ، فحاربوا القرمطىّ عشيّة ، فقاموا به وانتصفوا منه . ثم باكرهم بالغدو ، فهزمهم وأسر جنيًّا الصفوانىّ ، وقتلَ خَلْقًا من الجند،وانهزم الباقون إلى بغداد ، وأقام القرامطة بالكوفة ، وأخذوا أكثر ما كان فى الأسواق ، وقلعوا أبواب حديد كانت بالكوفة ، ثمّ رحل إلى البحرين ، وبطل الحجّ من العراق فى هذه السنة . وصحّ حجّ أهل مصر والشأم ، وكان معهم بمكة علىّ بن عيسى ، فكتب الوزير عبد الله بن محمد إلى علىّ ابن عيسى بأن يتقلّد أعمال مصر والشأم ، وجعل أمر المغرب كلّه إليه ، فمضى علىّ لما تمّ الحج من مكة إلى الشأم ومصر ، وندب المقتدر مؤنساً الخادم إلى الكوفة ، فوصل إليها وقد رحل الجنّابىّ عنها ، فأقام بها أياماً ثم كتب إليه السلطان أن يعدِل إلى واسط ، فيقيم بها ، فرحل إليها ، واستقرّ بها ، ولم يغن شيئاً فى حركته هذه ، على أنه أنفق فى خروجه فيما حكاه نصر الحاجب ومَنْ حصّل ذلك معه نحو ألف ألف دينار .

وحجّ بالناس فى هذه السنة الفضل بن عبد الملك .

---

(١) زبالة : منزل بطريق مكة من الكوفة .

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وثلثمائة

ذكر ما دار فى هذه السنة من أخبار بنى العباس

فيها سعى الوزير عبد الله بن محمد الخاقانىّ على نصر الحاجب عند المقتدر ، وحمله على الفتْك به ، والتقبّض عليه ؛ فكتب المقتدر إلى مؤنس الخادم ، وكان بواسط أن يقدَم عليه ، ليكون القبضُ على نصر الحاجب بمشاهدته وعن رأيٍ منه ورضاً ، إذ كان المقتدر مصغيا إليه ، ومحتاجاً إلى رأيه وغَنائه ؛ فلما قدم مؤنس بغداد وشاوره المقتدر فى أمر نصر ، قال له : والله يا سيّدى لا اعتضت منه أبداً ، ولولا مكانه من نصيحتك وخدمتك ما تهيأ لى أن أفارق قصرك ، ولا أغيب من مشاهدة أمرك ، وباينه فى أمره مباينةً وقَّفته عنه . ثم أوصل المقتدرُ نصراً إلى نفسه ، وقرّب مكانه ومكان مؤنس ، وأصغى إليهما ، ولقَّب مؤنس بالمظفّر من حين قدومه من الغزاة . فكان ممّا قاله نصر للمقتدر وقد علم ما كان ذهب إليه فيه : كم من أمرٍ قد عُقد على أمير المؤمنين ، وابتغى به إدخال الكدْح فى سلطانه : ولم يعلم به ، فكفاه الله إياه بسعايتنا فى صرفه عنه ، فحلف لهما المقتدر أنه ما همّ بسوء فيهما قطّ ، ولا يفعل مكروهاً بأحدهما ما بقيا .

فقوِىَ أمر نصر وتأيّد بمؤنس ، وضعف أمرُ الوزير عبد الله بن محمد ، واعتلّ ولزم بيته ، فكان الناس يدخلون عليه وهو لُقًى ، وتولّى أعماله ونظره عبيد الله بن محمد الكلواذى صاحب ديوان السّواد ، وبنان النصرانىّ كاتبه ، ومالك بن الوليد النصرانىّ ، وكان إليه ديوان الدار وابن القنانى النّصرانى وأخوه . وكان إليه ديوان الخاصة وبيت المال وابنا سعد حاجباه . وممّا أوهنَ أمرَ الوزير وكرّهه إلى الناس غلاء الأسعار فى زمانه ، ولم يكن عنده مادة من حيلة يكثر بها ورود الميرِ[1] إلى بغداد .

وكان ممّا أشار إليه نصر عند مكالمته للمقتدر بما كان يدار عليه ، ويسعى فيه من الوثوب عليه ، ولم يشرح ذلك له أنّ بعض القوّاد واطئوا قوماً من الأعراب على أنّ يقعدوا

---

(١) الميرة : جلب الطعام .

عند ركوب الخليفة إلى الثريّا[1] بالقرب من طريقه ، فإذا وازاهم وثبوا من ثُلَم كانت تهدّمت فى سور الحلبة ، وأوقعوا به ، ثم يخرجون ويحكّمون على أنّهم شُراة ، فكأنّ نصر حينئذ قد أراد كشف ذلك للمقتدر ، وشاور مَنْ وثق به فيه ، فقال له : لا تفعل ، فلست بآمن ألا يتّضح الأمر للخليفة . فتوحشه وترعبه،ثم يصير من اتُّهم بهذا عدوًّا لك وساعياً عليك ؛ ولكن امنعه الركوب إلى الثريّا حتى تبنى ثُلَم السور ، وإن عزم على الركوب استعددتَ بالغلمان والعِدّة ، وألزمتهم تلك المواضع المخوفة ، وعملت مع هذا فى استئلاف كلّ مَنْ سَمّى لك من هؤلاء القُوّاد ومَنْ تابعهم على مذهبهمْ ، فمن كان منهم متعطّلاً من ولاية ولّيْتَه ومن كان مستزيداً زدتَهُ ، ومن كان خائفاً آمنته ، وإن أمكنك تفريقهم فى الأعمال فرّقتهم فيها .

وكان نصر رجلاً عاقلا ، فعمل برأى مَنْ أشار عليه بهذا وسعى فى ولاية بعض القوم ، فأخرج واحداً إلى سواد الكوفة ، وأخرج آخر إلى ديار ربيعة . ولمّا صفت الحال بين نصر ومؤنس واستألف نصر ثُمل القهرمانة ، وكانت متمكّنة من المقتدر . وظهر من أمر الوزير عبد الله بن محمد ما ظهر ، تكلّموا فى عزله ، وشاوروا فى رجل يصلح للوزارة مكانه ، فمالت ثمل برأيها وعنايتها إلى أحمد الخصيبى ، وكان يكتب لأم المقتدر ، وساعدها نصر على ذلك حتى تمّ له ، وصحّ عزم المقتدر عليه .

ذكر التقبّض على الوزير الخاقانى وولاية أحمد الخصيبى

وقبض على الوزير عبد الله بن محمد الخاقانى لإحدى عشرة ليلة خلتْ من شهر رمضان ، ووكّل به فى منزله ، فكانت ولايته ثمانية عشر شهرًا ، وخلع فى هذا النهار على أبى العباس أحمد بن عبيد الله بن أحمد بن الخصيب للوزارة ، وانصرف إلى منزله بقنطرة الأنصار ، ثم جلس من الغد فى دار سليمان بن وهب بمشرعة الصخر ، فهابه الناس لموضعه من الخليفة بالوزارة التى صار إليها ، لمحله من خدمة السيدة وكتابتها ،

(١) الثريا : أبنية بناها المعتضد قرب التاج ، بينهما مقدار ميلين ، وعمل بينهما سرداباً تمشى فيه حظاياه من القصر الحسنىّ . قال ياقوت : وهو الآن خراب .

ولعناية ثمل القهرمانة به ، وهابه كلّ منكوب من أصحاب الخاقاني وابن الفرات ، فحصل له من ما لهم ألف ألف دينار ، أصلح منها أسبابه ، ثم ركب الوزير الخصيبي إلى القصر ، فرماه الجند بالنّشاب من جزيرة بقرب قصر عيسى ، فلجأ إلى الشطّ ، وتخلّص منهم بجهد ، فلمّا جلس فى مجلسه قال : لعن الله مَنْ أشار بي لهذا الأمر وحسّن دخولي فيه ، فقد كان كرّهه لى مَنْ أثق به وبرأيه ، وكرهتُه لنفسي ، ولكنّ القدَر غالب ، وأمر الله نافذ .

وأقرّ الخصيبي عبيد الله بن محمد الكلوذىّ على ديوان السواد وفارس والأهواز ، وأقر على الأزمّة وديوان الجند أبا الفرج محمد بن جعفر بن حفص ، وقلّد ابن عم له شيخاً يعرف بإسحاق بن أبي الضّحاك ديوان المغرب .

ولم يكن للناس فى هذا العام موسم لتغلّب القرامطة على البلاد ، وقلّة المال ، وضيق الحال ، فطولب بالأموال قوم لا حجّة عليهم إلاّ لفضل نعمة كانت عندهم ، وألحّ الوزير على الناس فى ذلك حتى طلب امرأة المحسّن ودولة أمّ علىّ بن محمد بن الفرات وابنة موسى بن خلف ، وامرأة أحمد بن الحجاج بن مخلد بأموال جليلة ، وكثر الناس فى ذلك وأنكروه غاية الإنكار .

ثم دخلت سنة أربع عشرة وثلثمائة

ذكر ما دار فى هذه السنة من أخبار بنى العباس

فيها اشتدّت مطالبة الخصيبىّ الوزير الأموال عند الناس ، وأكثر التعلّل عليهم فيها ، ولَم يَدعْ عند أحدٍ مالاً أحسّ به إلّا أخذه بأتعس ما يكون من الأخذ والشدّة ، وكان نصر بن الفتح صاحبَ بيت مال العامة قد توفِّىَ فى شهر ربيع الأول من هذا العـــــام ، فطالب الخصيبىُّ جاريته وابنته بالأموال ، وأحضرهما عند نفسه واشتدّ عليهما ، فلم يجد عندهما كثير مال ؛ إذ كان نصر رجلاً صحيح الأمانة ، وكان له معروف عند الناس وأياد حسنة .

وفيها أمر المقتدر ابنَ الخصيب وزيره باستقدام ابن أبى الساج من الجبل لمحاربة القرمطىّ ، فاستقدمه ، وأقبل يريد مدينة السّلام ، فاشتدّ على نصر الحاجب ونازوك وشفيع المقتدرى وهارون بن غريب الخال وغيرهم من الغلمان دخولُه بغداد ، فكتب إليه مؤنس بأن يعدل إلى واسط ليكون مقامُه بها وغزوه القرامطة منها ، فســـار إليها ثم تأخر نفوذه إلى القرمطىّ ولم يتمّ خروجه إليه لشروط شرطها وأموال طلبَها ، وكانت الأموال فى غاية التعذّر فلم يُجَب إلى ما اشترطه ، وكان ذلك سببًا لتوقُّفه .

وفيها اتّخذت أم المقتدر كاتباً يقوم بأمر ضياعها وحشمها وأسبابها لمّا رأت الخصيبى قد اشتغل بالوزارة والنظر فى أسباب المملكة ، فقالت لثمل القهرمانة : ارتادِى لى كاتباً يقوم مكانه ويحلّ محله ، فاتّخذت لها عبد الرحمن بن محمد بن سهل ، وكان قد لزم بيته ، واقتصر على ضيعة له، فاستُخرج من منزله ، وكتب لأم المقتدر وتولّى أمورها ، وكانت فيه كفاية وأبوه شيخ من مشايخ الكتّاب ؛ وممّن عنى بالعلم ، فصعب أمره على الخصيبىّ الوزير ، وتمنّى أنه لم يكن تولّى الوزارة حين فارق خدمة أم المقتدر ، وكانت أنفع له من الخليفة ، فجعل أمره يضعف كلّما قلّت الأموال التى كان يتقرب بها ويشتد على الناس فيها .

ذكر التقبّض على الوزير الخصيبي وولاية عليّ بن عيسى الوزارة

ثم إن المقتدر أمر بالتقبّض على الخصيبي[1] أحمد بن عبيد الله الوزير يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة خلت من ذى القعدة سنة أربع عشرة وثلثمائة وعلى ابنه معه ومن لفّ لفّه ، وتولّى ذلك فيه نازوك صاحب الشرطة ، واستتر أصحاب دواوينه ومن أفلت من أهله،وكان عليّ بن عيسى بالمغرب[2] متوليًا للأشراف ، فاستوزر واستخلف له عبيد الله بن محمد الكلواذىّ إلى وقت قدومه ، وأنفذ المقتدر سلامة أخا نُجْح الطولونىّ رسولاً إليه ليأخذ به على طريق الرَّقة ، ويتعجّل استقدامه ، فكانت مدة وزارة الخصيبي أربعة عشر شهراً ، وضبط عبيد الله بن محمد الأمر وقام به بقية سنة أربع عشرة .

وفيها مات أحمد بن العباس أخو أم موسى وماتت أختها أم محمد ، فأظهر المقتدر الرضا عن أم موسى،ورُدّت عليها دورها وضياعها التى كانت اعتُقلت عليها عندما اتهمت به على ما تقدم ذكره .

وحجّ بالناس فى هذه السنة أبو طالب عبد السميع بن أيوب بن عبد العزيز .

(١) فى ابن الأثير : «وكان سبب ذلك أن الخصيبي أضاق إضاقة شديدة ، ووقعت أمور السلطان لذلك ، واضطرب أمر الخصيبيّ ، وكان حين ولى الوزارة قد اشتغل بالشرب كل ليلة ، وكان يصبح سكران ، لا قصد فيه لعمل وسماع حديث . وكان يترك الكتب الواردة من الدواوين ، لا يقرؤها إلا بعد مدة ، ويهمل الأجوبة عنها ، فضاعت الأموال وفاتت المصالح» .

(٢) ابن الأثير : «وأرسل المقتدر بالله بالغد إلى دمشق يستدعى عليّ بن عيسى وكان بها» .

ثم دخلت سنة خمس عشرة وثلثمائة

ذكر ما دار فى هذه السنة من أخبار بنى العباس

فيها قدم علىّ بن عيسى بغداد يوم الأربعاء لخمس خلوْن من صفر ، بعد أن تلقّاه الناس جميعاً بالأنبار وفوق الأنبار ، ودخل إلى المقتدر بالله ، فاستوزره وأمر بالخلع عليه فاستعفَى فلم يُعْفِـه ، وسلّم إليه الخبيصىّ ليناظره عن الأموال ، فـلم يستَبِن عليه خيانة ، ولا علِم أنه أخذ من مال السلطان شيئاً . فقال له : ضيّعت ، والمضيّع لا رزق له . فرُدَّ ما ارتزقتَ وما أقطعتَ من الضياع ، فردّ ذلك . وقال علىّ بن عيسى الوزير للخليفة : ما فعلتْ سُبْحة جوهر أُخِذت من ابن الجصّاص قيمتها ثلاثون ألف دينار ؟ قال له : هى فى الخزانة ، فسأله أن يأمر بتطلّبها ، فطلِبت فلم توجد . فأخرجها علىّ من كُمّه وقال له : عُرِضت علىّ هذه السبحة بمصر فعرفتُها واشتريتها ، فإذا كانت خزانة الجوهر لا تُحفظ ، فما الـذى حفظ بعـدها ! وأمير المؤمنين يُقْطِـع خزّانه وخَدمته الأموالَ الجليلة والضياعَ الواسـعة . فاشتدّ هـذا الأمر على السيدة أم المقتدر وعلى غيرها من بطانته واتُّهمت بالسّبحة زيدانُ القهرمانة ، وكان لا يصل إلى خزانة الجوهر غيرُها ، وضبَط علىّ بن عيسى الأمر جهدَه ، ونظر ليله ونهاره ، وجلس للمظالم فى كلِّ يوم ثلاثاء . وكان لا يأخذ مال أحد ، ولا يتعلّل على الناس كما كان يفعل غيره ، فأمِّن البرآء فى أيامه ، وقطع الزيادات والتعلّل ، وتحفّظ من أن تجرِى عليه حِيلة ، ودعته الضرورة بقلّة المال إلى الإخلال ببعض الإقامات فى طريق مكة وغيرها ، وخرج إليه توقيعُ المقتدر بـألاّ يزيل الكلواذىَّ عن ديوان السواد ولا محمد ابن يوسف عن القضاء ، فقال : ما هممتُ بشىء من هذا ، وإنّ العهد فيه إلىّ لتخليطٌ علىّ ، وكدحٌ فى نظرى . وأشار علىّ بن عيسى على المقتدر بأن يلزم خمسة آلاف فارس من بنى أسد طريق مكّة بعيالاتهم ويثبت لهم مال الموسم فإنه يكفيهم ويترك ابنَ أبى الساج مكانَه ، ويبعث لحرب القرمطىّ خمسة آلاف رجل من بنى شيْبان بأقلّ من ربع المال الذى كان يُنفق على ابن أبى الساج . وكان علىّ قد نظر إلى ما طلبه ابن أبى الساج ،

فوجده ثلاثة آلاف ألف دينار ، ووجد مالَ بنى أسد وبنى شيبان ألف ألف دينار.
وألْفى كاتب نازوك يرتزق تسعمائة دينار فى النّوبة ، فأسقطها عنه ، وقال : رزقُه على صاحبه ، وأسقط من رزق مفلح الأسود ألف دينار فى جملة الغلمان ، وأقرّه على ألف دينار كان يرتزق فى النّوبة .

وأراد مؤنس المظفّر الخروج إلى الثغر فتبعه علىّ بن عيسى وسأله المقام ، وقال له : إنما قويت على نظرى بهيبتك ومقامك ، فإنْ رحلتَ انتقضَ علىّ تدبيرى ، فأقام .
وقلّد شـــيرزاد ما كان يتقلّد قلنسوة من أمر الحبس ، وضمّ إليه كاتب نازوك ، وأجرى له مائة وعشرين ديناراً ، ولمن يخلفه ثلاثين ديناراً ، وكان قلنسوة يرتزق لهذه الأعمال ثمانمائة دينار ، وصرف ياقوتاً عن الكوفة ، وولاّها أحمد بن عبد الرحمن بن جعفر إلى أن يصير إليها ابنُ أبى الساج .

ولما رأى المقتدر اجتهاد علىّ بن عيسى قال : لقد استحييتُ مِنْ ظلمى قبل هذا له ،وأخْذى المال منه ، وأمر بأن يردّ عليه ذلك ، وأحال به على الحسين بن أحمد الماذَرائى فاشترى علىّ بن عيسى بالمال ضياعاً ، وضمها إلى الضياع التى وقَفها على أهل مكة والمدينة .

وكان فى ناحية بنى الفُرات رجل يعرف بأبى ميمون الأنبارىّ ، قد اصطنعوه وأحسنوا إليه ، فوجد له علىّ بن عيسى أرزاقاً كثيرة ، فاقتصر على بعضها ، فهجاه الأنبارىّ . ومن شعره المشهور فيه عند وزارته هذه :

قد أقبل الشؤم من الشامِ يركضُ فى عسكرِ أبرامِ
مستعجلاً يسعى إلى حَتْفِه مُدّتُه تقصرُ عن عام
يا وزَراءَ المُلْكِ لا تفرحُوا أيّـامكم أقصرُ أيـام

وكان علىّ بن عيسى قد كتب إلى ابن أبى الساج أن يقيم بالجبل ، فلم يلتفت إلى كتابه ، وبادر بالإقبال إلى حُلوان يريد دخول بغداد ، فكره أصحاب السلطان دخوله لها ، وكتب إليه مؤنس فى العدول إلى واسط ، وعرّفه أن الأموال من ثمّ ترد عليه فصار إلى واسط ، وعاث أصحابه بها على الناس ، وكثر الضجيج منهم والدعاء عليهم ، فلم يغيِّر ذلك ، فقال الناس : مَنْ أراد محاربة عدوّه عمل بالإنصاف والعدْل ، ولم يفتتح أمره بالجوْر والظلم ، وانتصحه مَنْ عرفه فلم يقبل النصيحة . وخرج ابنُ أبى الساج

إلى القرمطىّ من واسط ، فأبطأ فى سَيْرِه وسبقه القرمطىّ إلى الكوفة ، ثم التقيا فهزمه القرمطىّ ، وأخذه أسيراً ، وسار القرمطىّ يريد بغداد ، فعبَر جسر الأنبار ، وخرج مؤنس المظفّر ونصر الحاجب وهارون بن غريب الخال وأبو الهيجاء ومَعَهم جيش السلطان يريدون القرمطىّ ، وقد بلغهم رحيله إليهم ، وبادر نصر أصحابه ، واختلف رأيُهم ، وجزع أصحاب السلطان ، وامتلأت قلوبهم رهبةً للقرمطىّ ، ووقفوا على قنطرة تعرف بالقنطرة الجديدة ، وأرادوا قطعها لئلا يجوز القرمطى إليهم ، وتابعه أكثر أهل العسكرِ ، فقُطِعت القنطرة . فلما صار القرمطىّ وأصحابه إليها رماهم أصحاب السلطان بالنشّاب ، ورأوا كثرة الخلْق ، فرجعوا وتبدّدوا فى الموضع ، فعزم نصر على العبور إليهم ومناجزتهم فلم يَدَعْهُ مؤنس . ووجّه السلطان إلى الفرات بطيارات ، وشميليات فيها جماعة من الناشبة ، وعليهم سبك غلام المكتفى ، فحالوا بين القرامطة وبين العبور . وكان ثقل القرمطى وسواد عسكره بحيال الأنبار ، وابن أبي الساج محبوس عندهم ، فأراد نصر أن يحتال للعبور فى السفن ليلاً ، وأن يكبسوا السواد طمعاً فى تخليص ابن أبى الساج . فحُمّ نصر الحاجب حُمّى ثقيلة أذهبت عقله يومين وليلتين ، وشاع ما أراد أن يفعله . وقدّم مؤنس غلامَه يَلْبق فى نحو ألفين[1] ، فعبروا الفرات ليلا ووافَوْا سواد القرمطىّ بالأنبار وكان يلبَق فى جيش عظيم ، وسواد القرمطى فى خيل يسيرة ، فانهزم أصحاب السلطان ، وأسِرَ جماعة منهم ، وأسِرَ ابن أبى الأغرّ فى جملتهم . فلما أتاهم القرمطىّ جلس لهم ، وضرب أعناق جميعهم ، ودعا بابن أبى الساج من الموضع الذى كان محبوساً فيه ، فقال له : أنا أكرمك وأنوى الصَّفْح عنك ، وأنت تحرّض علىّ أصحابك ! فقال له : قد علمتَ أنى ما أقدر على مكاتبتهم ولا مراسلتهم ، فأىّ ذنب لى فى فعلهم ! فقال له : ما دمتَ حيًّا فلأصحابك طمع فيك ، فأمر به فضُرِبت عنقه .

وفيها اتّصل بمؤنس المظفَّر أن أمّ المقتدر عاملة على قتله ، وأنها قد نصبت له مَنْ يقتله إذا دخل الدارَ ، فاستوحش واحترس ، وطلب الخروج إلى الثغر ، فأجيب إلى ذلك ، ثم اضطرب أمرُه لما حدث من أمر القرمطى .

---

(١) فى ابن الأثير : « فى ستة آلاف » .

وفيها ورد الخبر بموت إبراهيم بن عبد الله المسمعى أمير فارس ، فخلع على ياقوت ، وقلّد مكانه ، وولّى محمد بن عبد الصمد كِرْمان .

وحج بالناس فى هذه السنة أبو أحمد عبيد الله بن عبد الله بن سليمان من بنى العباس .

ثم دخلت سنة ست عشرة وثلثمائة

ذكر ما دار فى هذه السنة من أخبار بنى العباس

فيها أوقع سليمان الجنّابىّ القرمطىّ بأهل الرّحْبة ، وقتل منهم مقتلة عظيمة ، ووجّه سَرِيَّةً إلى ديار ربيعة ، فأوقعت ببوادى الأعراب واستباحتْها ، ثم عادوا إلى الرَّحبة ، واستاقوا خمسة آلاف جمل ومواشى كثيرة ، وزحف القرامطة إلى الرّقة للإيقاع بأهلها ، فحاربوهم أشدّ محاربة ، ورموْهم من أعالى دورهم بالماء والتراب والآجرّ ورموهم بسهام مسمومة ، فمات منهم نحو مائة رجل وانصرفوا عنها مفلولين .

ذكر القبض على علىّ بن عيسى الوزير ووِلاية محمد بن علىّ بن مقلة الوزارة

وفى هذه السنة قبض على علىّ بن عيسى ، ووكّل به فى دار الخليفة يوم الثلاثاء لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول ، وتوجّه هارون بن غريب الخال إلى أبى علىّ محمد بن علىّ بن الحسن بن عبد الله المعروف بابن مُقلة ، فحمله إلى دار المقتدر بعد مراسلات كانتْ بينهما وضمانات . فقلّده المقتدر وزارته ، وفوّض إليه أمورَه ، وخلع عليه الوزارة يوم الخميس لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول ، فأقرّ عبيد الله ابن محمد بن عبد الله الكلواذىّ على ديوان السواد،وأقرّ الفضل بن جعفر بن محمد ابن موسى بن الفرات على ديوان المشرق ، وأنفذه ناظراً على أعمال فارس ، وولّى محمد ابن القاسم الكرخىّ ديوان المغرب – وكان قد قدم من ديار مُضر – وقلّد الوزير أخاه الحسن بن علىّ ديوان الخاصة وديوان الدار الأصغر ، الذى تنشأ منه الكتب بالزيادات والنقل ، وقلّد أخاه العباس بن علىّ ديوان الفراتية وديوان الجيش ، وأقرّ عثمان بن سعيد الصيرفىّ على ديوان الجيش الأصل ، وإبراهيم بن خفيف على ديوان النفقات ،

وأجرى الأمور أحسن مجاريها ، وأمر ألاّ يطالب أحد بمصادرة ولا غُرْم ، ولا يعرض لصنائع أحد ؛ حتى أقرّ أحمد بن جانى على ما كان يتقلّده من ديوان أقطاع الوزراء ، وأجلس إبراهيم بن أيوب النّصرانى كاتب علىّ بن عيسى بين يديه على رسمه ، وأقره على ديوان الجهبذة ، وضمن أمر الرجّالة المصافيّة الملازمين لدار الخليفة ، وقد بلغت نوبتُهم عشرين ومائة ألف دينار فى كل هلال . فاستبشر الناس به ، وسكنوا إليه ، وأمِنُوا وانفسحت آمالهم ، واتّسعت هممهم ، وتباشروا بأيامه . ثم خلع فى غرة جمادى الأولى على أبى القاسم وأبى الحسين وأبى الحسن بنى أبى علىٍّ محمد بن علىّ الوزير لتقلّد الدواوين ، ثم خلع على محمد بن علىّ بعد ذلك لتكنية أمير المؤمنين إيّاه .

قال الصولىّ : ولا أعلم أنه وَلِىَ الوزارة أحدٌ بعد عبيد الله بن يحيى بن خاقان مُدِح من الأشعار بأكثر مما مُدِح به محمد بن علىّ قبل الوزارة ، وفى الوزارة، وبعد ذلك لشهرته فى الشعر ، وعلمه به وإثابته عليه . وظهر من ذكاء ابنه أبى الحسين واستقلاله بالأعمال ، وتصرّفه فى الآداب وحسن بلاغته وخطِّه ما تواصفه الناس ، وكان أكثر ذلك فى وزارته الثانية ، حين انفجر عليه الشباب ، وزالت الطفولة عنه . قال : وما رأينا وزيراً مذ تُوُفِّىَ القاسم بن عبيد الله أحسَن حركة ولا أظرف إشارةً ولا أصلح خطًّا ، ولا أكثر حفظاً ، ولا أسلط قلماً ، ولا أقصد بلاغة ، ولا آخذ بقلوب الخلفاء من محمد بن علىّ . وله بعد هذا كلِّه علمٌ بالإعراب وحفظ باللغة وشعر مليح وتوقيعات حسان . وولّى الوزير ابنه أبا القاسم ديوان زمام القُوّاد مكان عبيد الله بن محمد ، وقلّد ابنه أبا عيسى ديوان الضّياع المقبوضة عن أمّ موسى والموروثة عن الخدم ، وأقرّ إسحاق بن إسماعيل علَى ما كان ضامناً له من أعمال واسط ، وغير ذلك .

وفى هذه السنة رجع القرمطىّ إلى الكوفة ، فخرج إليه نصر الحاجب محتسباً وأنفق من ماله مائة ألف دينار إلى ما أعطاه السلطان ، وأعانه به . واجتهد فى لقاء القرمطىّ ونصحه الجيش الذين كانوا معه ، وحَسُنت نياتهم فى محاربة القرمطىّ . فاعتلّ نصر فى الطريق ، ومات فى شهر رمضان ، فحمِل إلى بغداد فى تابوت ووَلِىَ الحجابة مكانه أبو الفوارس ياقوت مولى المعتضد ؛ وهو إذ ذاك أمير فارس ، فاستخلف له ابنه أبو الفتوح إلى أن يوافِىَ ياقوت .

ذكر الحوادث التى أحدثها القرامطة بمكة وغيرها

وفى هذه السنة سار الجنابىّ القرمطىّ لعنه الله إلى مكّة ، فدخلها وأوقع بأهلها عند اجتماع الموْسم وإهلال الناس بالحجّ ، فقتل المسلمين بالمسجد الحرام ، وهمْ متعلّقون بأستار الكعبة ، واقتلع الحجر ، وذهب به ، واقتلع أبواب الكعبة وجرَّدها من كسوتها ، وأخذ جميع ما كان فيها من آثار الخلفاء التى زيَّنوا بها الكعبة وذهبوا بدّرة اليتيم ، وكانت تزن — فيما ذكر أهل مكّة - أربعة عشر مثقالا ، وبقُرْطَىْ مارية ، وقرن كبش إبراهيم ، وعصا موسى ، ملبَسين بالذهب مرصّعين بالجوهر ، وطبق ومكبّة من ذهب وسبعة عشر قنديلا ؛ كانت بها من فضة وثلاث محاريب فضّة كانت دون القامة منصوبة فى صدر البيت ، ثم ردّ الحجر بعد أعوام ولم يردّ من سائر ذلك شىء .

وقيل إنّ الجنابىّ لعنه الله صعد إلى سطح الكعبة ليقلع الميزاب ، وهو من خشب ملبس بذهب ، فرماه بنو هذيل الأعراب من جبل أبى قبيس بالسهّام حتى أزالوهم عنه ، ولم يصلوا إلى قلعه . وظهر قرامطة يعرفون بالنفليّة بسواد الفُرات ، ومعهم قوم من الأعراب من بنى رفاعة وذُهْل وعبس فعاثوا وأفسدوا ، وكان عليهم رؤساء منهم يقال لهم عيسى بن موسى ابن أخت عبدان القرمطىّ ومسعود بن حُريث من بنى رفاعة ورجُلٌ يعرف بابن الأعمى . فأوقعوا وقائع عظيمة ، وأخذوا الجزية ممّن خالفهم على رسوم أحدثوها وجبوا الغلات ، فأنفذ المقتدر هارون بن غريب إلى واسط فأوقع بهم ، وقتل كثيراً منهم ، وحمل منهم إلى مدينة السلام مائتى أسير ، فقُتِلوا وصُلبوا .

وورد الخبر فى شعبان بأنّ الحسن بن القاسم الحسنىّ قام بالرّىّ ومعه ديلمىّ يقال له ما كان بن كاكى ، وأن العامل عليها هرب إلى خراسان منه ، ثم ورد الخبر فى شوّال بإقبال ديلمىّ يقال له أسفار بن شيرويه من أصحاب الحسن بن القاسم إلى الرىّ أيضاً ، وإن هارون بن غريب لقىَ أسفار هذا بناحية قَزْوين . فهزمه أسفار وقتل أكثر رجاله وأفلت هارون وحده ، ثم تلاحق به مَنْ بقى من أصحابه .

وفيها وُلّىَ إبراهيم بن ورقاء إمارة البصرة وشخص إليها من بغداد ، فما رأى الناس فى هذا العصر أميراً أعفّ منه .

ولما صار هارون بن غريب إلى الكوفة ، قُلّد كور الجبل كلّها وضم إليه وجوه القوّاد فقلد أبا العباس بن كيغلغ معاونَ هَمَذان ونهاوند مكان محمد بن عبد الصمد ، وقلّد نحريراً الخادم الدِّينور مكان عبد الله بن حمدان ، وخلَع عليهما فى دار السلطان ، فاستوحش لذلك عبد الله بن حمدان ، وكان هذا سبب معاونة عبد الله بن حمدان لنازوك عندما أحدثاه على المقتدر مما سيأتى ذكره .

وفى هذه السنة ولىَ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن يعقوب بن إسحاق البريدىّ خراج الأهواز بعد أعمال كثيرة تصرّف فيها هو وأخواه أبو يوسف وأبو الحسين ، فحمدت آثارهم ، وشاعت كفايتهم ، وحرص السلطان على اصطناعهم وزيادتهم . فعلتْ أحوالُهم ، وزادت مراتبهم ، وظهر من استقلال أبى عبد الله أحمد بن محمد بالأعمال وقُرْب مأخذها عليه والمعرفة بوجوه النظر والاجتهاد فى إرضاء السلطان ما تعارفه النّاس وعلموه ، مع تخرّق فى الكرم والسُّودد ، وحسن الرعاية لمَنْ خدمه ، واتّصل به ولمن أمّله وقصدَه ، حتى إنه لا يرضى لكلّ واحد منهم إلا بغناه ، فأحبّ السلطان أن يَلِىَ هو وأخواه أكثر الأعمال الدنيا ، فلم يحبُّوا ذلك ، واقتصر كلّ واحد منهم على دون ما يستحق من الأعمال .

وفيها ولى أبو الحسين عمر بن الحسن الأشنانىّ قضاء المدينة مكان ابن البهلول إذ كبر واختلط عليه أمرُه ، ثم استعفى ابن الأشنانى فأُعفِىَ ، وولى الحسين بن عبد الله ابن علىّ بن أبى الشوارب قضاء المدينة ، وقلّد أبو طالب محمد بن أحمد بن إسحاق ابن البهلول قضاءَ الأهواز والأنبار ، عِوضاً مما كان يليه أبوه من قضاء المدينة .

وفيها توفِّىَ أبو إسحاق بن الضحاك الخصيبىّ والليث بن علىّ بالرقة .

وحجّ بالناس فى هذه السنة من تقدم ذكره .

ثم دخلت سنة سبع عشرة وثلثمائة

ذكر مادار فى هذه السنة من أخبار بنى العباس

فيها ثار بالمقتدر بعضُ قواده ، وخلعوه وهتك الجند داره ، ونهبوا ماله . ثم أعيدَ إلى الخلافة ، وجُدِّدت له البيعة ؛ وذلك أن مؤنساً المظفّر لمّا قدم من الرّقّة عند إخراجه إلى القرامطة ، وقَرُب من بغداد ، لقيه عبدالله بن حمدان ونازوك الحاجب ؛ فأغرياه بالمقتدر ، وأعلماه بأنه يريد عزلَه عن الإمارة وتقديم هارون بن غريب مكانه ، لما تقدم ذكره من عزل المقتدر لابن حَمْدان عن الدِّينور مع استفساده إلى نازوك فعمل ذلك فى نفس مؤنس ، ودخل بغداد أوّل يوم من المحرّم وعدل إلى داره ، ولم يمض إلى دار الخليفة ، فوجّه إليه المقتدر أبا العباس ولده ومحمد بن مقلة وزيره ، فأعلماه تشوُّقَه إليه ورغبته فى رؤيته ، فاعتذر بعلّة شكاها ، وأنّ تخلّفه لم يكن إلّا بسببها ، فأرجف الناس بتكرّهه الإقبال إليه ، وتجمّعت الرجّالة المصافيّة الملازمة بالحضرة إلى باب داره ، فواثبهم أصحابه ، ودافعوهم ، ووقع بنفس مؤنس أن الذى فعله الرجّالة إنما كان عن أمر المقتدر ، فخرج من الدار ، وجلس فى طيّار وصار إلى باب الشمّاسية ، وعسكر وتلاحق به أصحابه . وخرج إليه نازوك فى جميع جيشه ، فعسكر معه ، وذلك يوم الأحد لتسع خلون من المحرم . ولّما بلغَ المقتدرَ ذلك ارتاع له ، ووعده بإخراج هارون بن غريب إلى الثغر ، وبذل له كل مارجا به استمالته وإذهاب وحشته . وكتب المقتدر إلى مؤنس وأهل الجيش كتاباً كان فيه :

وأمّا نازوك فلستُ أدرى سببَ عتبه واستيحاشه ؛ فوالله ماأعنتُ عليه هارون حين حاربه ، ولا قبضتُ يده حين طالبه ؛ والله يغفر له سوء ظنه . وأمّا عبدالله بن حمدان فلا أعرف شيئاً أحفظه إلا عزلَه عن الدينور ، وما كنا عرفنا رغبته فيها ؛ وإنما أردنا نقله إلى ما هو أجلّ منها ، وما لأحد عندى إلا ما أحبّ لنفسه ، فإن أريد بى نقض البيعة ، فإنى مستسلم لأمر الله ، وغير مسلم حقّاً خصّنى الله به ، وأفعل ما فعل

عثمان بن عفان رضى الله عنه ولا ألزم نفسى حجة ، لا آتى فى سفك الدماء مانهى الله عنه إلا فى المواطن التى حدّها الله فى الكافرين والبغاة من المسلمين . ولستُ أستنصر إلّا بالله،لما أؤمله من الفوز فى الآخرة ، وإنّ الله مع الذين اتّقوْا والّذين هم محسنون .

فلما قرئ كتاب المقتدر فى العسكر وثب وجوهُ الجيش ، وقالوا : نمضى إلى دار الخليفة لنسمع منه مايقول . وبلغ ذلك المقتدر ، فأخرج عن الدار كل مَنْ كان يحمل سلاحاً ، وجلس على سريره ، وفى حجره مصحف يقرأ فيه ، وأَقام بنيه حوالىْ نفسه ، وأمر بفتح الأبواب ، وألّا يُمنع أحدٌ الدخول . فلما علم ذلك مؤنس المظفر أقبل إلى باب الخاصّة ليعرف الحقيقة ، ويستقرب مراسلة الخليفة . ثم كره أن يدخل عليه فيحدُث من الأمر مالا يتلافاه . فأمر الحجّاب بأن يرجعوا إلى الدار ، وألزم معهم قوماً من أصحابه ، وصرف الناس إلى منازلهم على حالٍ جميلة ، وكلُّهم مسرور بالسلامة ، ورجع هو إلى داره ليزيد بذلك فى تسكين الناس وتطييب نفس الخليفة ؛ وذلك يوم الاثنين لعشر خَلَوْن من المحرّم .

فلما كان يوم الخميس لثلاث عشرة خلت منه عاد أصحاب نازوك وسائر الفرسان إلى الركوب فى السلاح ، وساروا إلى دار مؤنس المظفّر فأخرجوه عن كره مِنه إلى المصلّى العتيق ، وغلبه نازوك على التدبير ، واستأثر بالأمر ، وباتوا فى تلكَ الليلة على هذه الحال . فلما أصبح نازوك ركب والناس معه فى السلاح إلى دار السلطان ، فوجدوا الأبواب مغلقة ، فأحرقوا بعضَها ودخلوا الدار ، وقد تكامل على بابها من الفرسان نحو اثنى عشر ألفاً . فلما سمع المقتدر نفيرَهم دخل هو وولده داخل القصر ، ونزل محمد بن مقلة إلى دِجْلة ، فركب طيّاره ، وصار إلى منزله ، وتقحم نازوك وأصحابه دخول الدار على دوابّهم إلى أن صاروا إلى مجالس الخليفة ، وهم يطلبونه ويكشفون عنه . فلما رأى مؤنس ذلك دخل الدار ، وسأل بعض الخدم عن المقتدر ، فأعلمه بمكانه ، فاحتال فى إخراجه وإخراج أمّه وولده ووجّه معهم ثقاته إلى داره ليستتروا فيها ، وأخرِج علىّ بن عيسى من المكان الذى كان محبوساً فيه ، فصرفه إلى منزله ، وأخرِج الحسين بن روح — وكان محبوساً أيضاً بسبب مالٍ طولب به —

فصرفه إلى منزله ، ونهب الجند الدار ومحوْا رسوم الخلافة وهتكوا الحرمة ، وصاروا من أخذ الجوهر والثياب والفرش والطيب إلى مالا قَدْر له . ثم وكّل مؤنس أصحابه بالقصر وأبوابه ، وأجمع رأى نازوك وعبدالله بن حمدان على إقعاد محمد بن المعتضد للخلافة ، وأحضروه الدار ليلة السبت ، وحضر معهما مؤنس المظفّر ، ودعا لمحمد بن المعتضد بكرسى ، وخاطبه ثم انصرف مؤنس إلى داره ، وأقام نازوك فى الدار إذْ كان يتولّى الحجابة مع الشرطة ، وانصرف عبدالله بن حمدان إلى منزله ، ووجّه نازوك بالليل مَنْ نهب دار هارون بن غريب الخال بنهر المعلّى وداره بالجانب الغربى ، وأحرقنا جميعاً ، ونُهبت دور الناس طول ليلة السبت ؛ فكانت من أشأم الليالى على أهل بغداد ، وأفلت كلّ لص وجانى جناية ومقتطع مال ، وفتقوا السجون التى كانوا فيها ، وأفلتِ من دار السلطان عبدالله صاحب الجنّابىّ ، وعيسى بن موسى الديلمى وغيرهما من أهل الجزائر.

ثم أصبح الناس على مثل ذلك إلى أن ركب نازوك وأظهر الإنكار لما حدث من النّهب ، وضرب أعناق قوم وجد معهم أمتعة الناس ، فكفّ الأمر قليلاً ، وسُمّىَ محمد بن المعتضد القاهر بأمر الله ، وسلّم عليه بالخلافة ، ووجّه القاضى محمد بن يوسف وجماعة معه إلى دار مؤنس المظفر ليجبروا المقتدر على الخلع ، فامتنع من ذلك . ثم إن الرجالة المصافيّة طالبوا بستّ نوب وزيادة دينار ، وكان يجب لهم فى كل نوبة مائة وعشرون ألف دينار عين ؛ إذ كانوا فى عشرين ألف راجل ، وكان عدد الفرسان اثنى عشر ألفاً ومبلغ مالهم فى كل شهر خمسمائة ألف دينار . فضمن نازوك ثلاث نُوب للرجالة ، ودافعهم عن الزيادة ، فقالوا : لانأخذ إلا السّت نوب والدينار الزائد ، وأخَّر نازوك إعطاء الجند ، إذ لم يجتمع له المال ، وألحّوا فى قبضه فلم يعطوْا شيئاً يوم السبت ولا يوم الأحد ، وبكّر الرجالة يوم الاثنين إلى الدار للمطالبة بالمال ، فدخل نازوك وخادمه عجيب الصقلبى إلى الصّحْن المعروف بالشعيبىّ ودخل الرجّالة إلى الدهليز يشتمون نازوك ، ويغلظون له ، ويتواعدونه ، لتأخيره العطاء والزيادة عنهم . ثم إنهم هجموا فى الدار ، وثاروا على نازوك لعداوتهم له وحربهم له فى أول إمارته فقتلوا عجيباً خادمه ، وكان نازوك قد سدّ الطرق والممرات التى كانت فى دار السلطان تحصيناً على نفسه واستظهاراً على أمره . فلما رأى فعل الرجالة وأيقن بالشرّ دخل

ليهرب من بعض الممرات ، فوجدها مسدودة ، ولحقه رجل من الرجالة أصفر يقال له مظفّر وآخر يقال له سعيد بن يربوع ، ويلقب بضفدع ، فقتلاه ثم صلب جسده من وقته على بعض أدقال الستائر التى تلى دجلة ، وصاحوا : لانريد إلا خليفتنا المقتدر بالله ، ووثب القاهر مع جماعة من خدمه فخرج من بعض أبواب القصر ، وجلس فى طيار ، ومضى إلى موضعه فى دار ابن طاهر .

قال الصولىّ : ونحن نرى ذلك كلّه من دجلة ، ونهبت دار نازوك فى ذلك الوقت ، ودار بنىّ بن نفيس . وقد قيل إن مؤنساً المظفر لما رأى غلبة نازوك على الأمر وجّه ليلة الاثنين إلى نقباء الرجالة فواطأهم على مافعلوه ، وكان لايريد تمام خلع المقتدر ؛ ولذلك ماستره ولم يبت عنه منذ أدخله داره .

وكان عبدالله بن حمدان فى الوقت الذى قتل فيه نازوك بين يدى القاهر وهو يراه خليفة ، فلما هرب القاهر طلب ابن حمدان من بعض الغلمان جُبّة صوف كانت عليه ، وضمن له مالاً ، فلبسها وبادر يريد بعض الأبواب،فندر به قوم من الغلمان والخدم ، فما زالوا يرمونه بالنشاب حتى قتلوه واحتزوا رأسه .

ذكر صرف المقتدر إلى الخلافة

وأخرج مؤنس المظفر المقتدر بالله وسأله الرجوع إلى الدار[1]، والظهور للناس فاستعفاه من ذلك فلم يدعه حتى ردّه فى طيّاره ، مع خادمه بشرى ؛ فلما صعد القصر سأل عن عبدالله بن حمدان ، فأخبِر بقتله ، فساءه ذلك ، وكان قد صحّ عنده أنه لم يرد من أول أمره ما أراده نازوك ، ولا ظنّ الحال تبلغ حيث بلغت . ثم إنّ المقتدر قعد للناس ، وخاطبهم بنفسه ، وقال للرجّالة : لكم علىّ ست نوب وزيادة دينار ، وقال للغلمان : لكم علىّ أرزاق أربعة أشهر ، وقال لسائر الجند : لكم علىّ أرزاق أربعة أشهر وزيادة خمسة دنانير لكلّ واحد منكم ؛ وماعندى مايفى بهذا ولكنّى أبيع مابقى من ثيابى وفرشى وأبيع ضياعى وضياع منْ يجوز عليه أمرى ، فبايعه الناس بيعة مجدّدة

(١) ابن الأثير : « دار الخلافة » .

واجتهد فى توفيتهم ماضمنه لهم ، وصرف أوانى الذهب والفضة ، ثم أعجلوه عن صرفها فكان يزنها لهم مكان الدنانير والدراهم ووفّى بكلّ الذى ضمنه،وكان القاهر لما أقعِد للخلافة قد أحضر محمد بن على الوزير يوم السبت ويوم الأحد ، وأمره أن يجرىَ الأمور مجاريها ، فلم يحدث شيئاً ولاحاول أمراً .فلمّا عاد المقتدر إلى حالته أحضره وشكر ما كان منه ، فكتب محمد بن علىّ إلى جميع الأمراء والعمال والأطراف بما جدَّده الله للمقتدر بالله ، وكفاه إياه ، وارتجل الكتاب إملاءً بلا نسخة، فأحسن فيها وأجاد .

واضطربت الأمور ببغداد إلى أن ولّى المقتدر شرطته إبراهيم ومحمد ابنىْ رائق مولى المعتضد ، وخلع عليهما؛ وذلك بمشورة مؤنس المظفّر وعن أمره، فقاما بالأمر أحسن قيام وضبطا البلد أشّد ضبط ، وطاف كلّ واحد منهما بالليل فى جانبه من بغداد ، وكان أكثر الضبط لمحمد فهو الذى كان يقيم الحدود ، ويستوفِى الحقوق وكانت فى إبراهيم رحمة ورقّة قلب .

وقدم ياقوت من فارس فى غرّة شهر ربيع الأول ، فخلع عليه للحجابة وعلى محمد ولده لسبب هزيمتهم للسجستانية بكرْمان ، ووِلّى الأعمالَ جماعة ممن أشار بهم مؤنس ومحمد بن علىّ . ولم يف مال المقتدِر والآنية التى أحضرها بأرزاق الجند ، فأمر بارتجاع ما كان أقطعه الناس من الأموال والضياع والمستغلّات ، وأفرد لها ديواناً ، وقلد الوزير ابن مقلة ذلك الديوان عبدالله بن محمد بن روح ، وسمّى ديوان المرتجعة ، فتقلده فى آخر المحرم ، فعسف عليه الجند بالمطالبة بالمال ، فاستعفى الوزير فأعفاه وقلّد مكانه الحسين بن أحمد بن كردى الماذرائى . ووردت الأخبار باستيلاء العدوّ على الثغور الجزَرية ، ونصّبهم فى كلّ مدينة رجلاً منهم لقبض الجباية ، فأخرج السلطان طريفاًالسبكرىّ لدفعهم ، وكتب إلى مَنْ قارب تلك الناحية أن يسيروا معه .

وورد الخبر بأن أصحاب أبى مسافر اضطربوا عليه بآذر بيجان ، فزال عنهم إلى المراغة ،فحصروه بها حتى قتلوه ، وتراضوا على قائد منهم اسمه مفلح ، فرأّسوه عليهم ، وترددت الأنباء الشاغلة الغامّة .

وتوفى فى هذا العام أبوالحسين بن أبى العباس الخصيبى والحسين بن أحمد الماذرائى بمصر ، وتوفيت ثُمل القهرمانة التى كانت مع والدة المقتدر .

وفيها توفى أبو القاسم ابن بنت منيع المحدّث ، وهو ابن مائة سنة وثلاث سنين ، مولده سنة أربع عشرة ومائتين .

وتوفىَ نحرير الصغير بالموصل وكان يتولى معونتها .

وتوفى أبو معد نزار بن محمد الضبّي .

وكان نصب الحج للناس فى هذه السنة عمر بن الحسن بن عبدالعزيز بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس ، خليفة لأبيه الحسن بن عبد العزيز فصدّه الجنّابىّ عن الحج .

ثم دخلت سنة ثمان عشرة وثلثمائة

ذكر مادار فى هذه السنة من أخبار بنى العباس

فيها أقبل مليح الأرمينىُّ إلى ناحية شمشاط[1] للغارة على أهلها ، فخرج إليه نجم غلام جنىّ الصفوانى ، وكان يلى المعاون بديار مُضَر ، ويتولّى أعمال الرّقة ، فأوقع بمليح وبأصحابه وقيعة عظيمة ، فأنفذ ابناً له يقال له منصور ، ويكنى أبا الغنائم إلى الخليفة ببغداد بأربعمائة أسير منهم عشرة رؤساء مشاهير ، فأدخلهم بغداد فى شهر ربيع الأول من هذه السنة مشاهير على الجمال .

وفى هذه السنة خرج أعراب بنى نُمير بن عامر وبنى كلاب بن ربيعة فعاثوا بظهر الكوفة ، واستطالوا على المسلمين ، وأخافوا السبيل ، فخرج إليهم أبو الفوارس محمد بن ورقاء أمير الكوفة فى جمع من أشراف الكوفة وبنى هاشم العباسيين والطالبيين ولم يكن معه جند سواهم فقاتل الأعراب بنفسه ، وصَبر لمحاربتهم فأسروه وأسروا معه ابن عمر العلوى وابن عمّ شيبان العباسى من ولد عيسى بن موسى ، وساربهم الأعراب إلى أخبائهم ، ولم يجسروا على إيقاع سوء بهم . فطلبوا منهم الفداء فأجابوهم إليه ، وفدوْا أنفسهم وتخلّصوا منهم .

وفيها خُلع على عبدالله بن عمرويه ، وقُلّد شُرطة البصرة مكان محمد بن القاسم بن سيما ، وخلع على علىّ بن يلبق لمعاون النّهروان وواسط مكان سعيد بن حمدان ، فخرج إلى واسط ، وبلغه أن إسحاق الكردىّ المعروف بأبى الحسين ، خرج لقطع الطريق على عادته ، ومعه جملة من الأكراد ، فراسله علىّ ولاطفه ، ووعده تقديم السلطان له على جميع الأكراد . فأقبل إليه وبات عنده وخلع عليه وحمله ثم صرفه إلى عسكره ليغدو عليه فى اليوم الثانى ، واجتمع رؤساء أهل واسط إلى علىّ ، فعرّفوه بما قد هيّأه الله له فى

---

(١) شمشاط ، قال ياقوت : مدينة بالروم على شاطئ الفرات ، غربيها خرتيرت ، وهى الآن محسوبة من أعمال خرتيرت .

الكردىّ وأنه لوْ أنفق مائة ألف دينار لما تمكّن ما تمكّن منه فيه ، وأنه إن أفلت من يديه أنكر السلطان ذلك عليه . فلما بكر الكردى إلى علىّ بن يلبق تقبّض عليه وعلى مَنْ كان معه ، وركب من وقته إلى موضع عسكره ، فقتل منهم خلقاً وأسر جماعة وأدخل أبو الحسين إلى بغداد مشهوراً ، ومعه أربعة عشر رجلاً بين يدى يلبق المؤنسىّ وابنه علىّ ، وذلك لثمان خلون من جمادى الأولى ، فحبسوا ولم يُقْتَلوا .

وفيها خلع على محمد بن ياقوت وولّى شرطة بغداد على الجانبين مكان إبراهيم ومحمد ابنى رائق المعتضدىّ ، وقلّدِ الحِسْبة

ذكر الإيقاع بجند الرجّالة ببغداد

ومن الحوادث فى هذه السنة التى عظمتْ بركتها على السلطان والمسلمين ، أن الرجّالة المصافية لمّا قتلوا نازوك ، وتهيأ لهم مافعلوه فى أمر المقتدر ، وقبضوا الستّ النوائب والزيادة التى طلبوها ، ملكوا أمر الخلافة ، وضربوا خياماً حوالى الدار . وقالوا :

نحن أوْلَى من الغلمان بحفظ الخليفة وقصره ، وانضوى إليهم مَنْ لم يكن منهم ، وزادت عدتهم على عشرين ألفاً ، وبلغ المال المدفوع إليهم لكلّ شهر مائة ألف وثلاثين ألف دينار ، وتحكّموا على القضاة ، وطالبوهم بحلّ الحباسات وإخراج الوقوف من أيديهم ، واكتنفوا الجناة ، وعطّلوا الأحكام ، واستطالوا على المسلمين ، وتدلّل قوادهم على الخليفة وعلى الوزير ؛ حتى كان لايقدر أن يحتجب عن واحد منهم فى أىّ وقت جاء من ليل أو نهار ، ولا يردّ عن أحدٍ حاجة كائناً ما كانت ؛ فلم يزالوا على هذه الحال إلى أن شَغَب الفرسان ، وطلبوا أرزاقهم ، وعسكروا بالمصلّى ، ودخل بعضهم بغداد يريد دار أبى القاسم بن الوزير محمد بن علىّ . فلمّا قربوا منها دافعهم الرجّالة الذين كانوا ملازمين بها ، ومنعوهم الجواز فى الشارع ، فتجمّع الفرسان ، ورشقُوهم بالنشّاب ، وقتلوا منهم رجلاً ، فانهزم الرجّالة أقبح هزيمة ، فطمع الفرسان حينئذ فيهم ، وافترصوا ذلك منهم ، وراسلوا الغلمان الحجريّة فى أمرهم وتآمروا معهم على الإيقاع بهم .

وبلغ محمد بن ياقوت صاحبُ الشُّرْطة الخبر ، فحرصَ على نفاذه ، وأغرى الفرسان بالعزم فيه ، وسفر فى الأمر وأحكمه ، وأَوْمَى إليهم الوزير بوجه الرأى فيه ، ودبرّه من حيث لا يظنّ به ، إذ علم ما فى نفس الخليفة عليهم من الغيظ لقبيح ما كانوا يحدِثونه عليه . فوثب الغلمان الحجرية يوم الأربعاء لثمان ليال بقين من المحرم بالرجّالة المصافيّة وطردوهم عن المصافّ ، ورشقوهم بالنشاب ، فانصرفوا منهزمين ، وأخرج ابن ياقوت صاحب شرطة بغداد غلماناً كثيراً فى طيّارات . وتقدم إليهم ألّا يتركوا رجلاً يعبر من جانب إلى جانب إلّا قتلوه ، ، ولا ملاّحاً يجيز أحدهم إلا رموْه بالنشاب ، وأخافوه ومنعوا من عبور الجسر ، وألحّ عليهم بالطلب ، ونُودى فيهم ألّا يبقى ببغداد منهم أحد ، وأعانت عليهم العامّة ، وانطلقت فيهم الأيدى ، فلم يجتمع منهم اثنان ، وحظر عليهم ألاّ يخرجوا إلى الكوفة والبصرة والأهواز ، فتُخطّفوا فى كلّ وجه وأُبيحوا بكل مكان ، فهل ترى لهم من باقية ، وقصد الفرسان مع العامة إلى الموضع الذى كان فيه مستقرّ السودان بباب عمّار ، فنهبوهم وأحرقوا منازلهم ، فطلبوا الأمان ، وسألوا الصَّفْح ، فرفِع عنهم القتل وحبس منهم الوجوه وأسقِطت عنهم الجرايات .

كتاب علىّ بن مقلة إلى القواد والعمال

وكتب الوزير محمد بن على بن مقلة فيهم نسخة أُنفذت إلى القواد والعمال وهى :

بسم الله الرحمن الرحيم : قد جرى أعزك الله من أمر الرجّالة المصافيّة بالحضرة ما قد اتصل بك ، وعرفت جملته وتفصيله وجهته وسبيله ، وقد خار الله عز وجل لسيدنا أمير المؤمنين وللناس بعده بما تهيّأ من قَمْعهم وردْعهم . خيرةً ظاهرة متصلة بالكفاية الشاملة التامة بمنّ الله وفضله،ولم ير سيدنا أيده الله استصلاح أحد من هذه العصبة إلّا السودان فإنهم كانوا أخفّ جناية ، وأيسرَ جريرة،فرأى أعلى الله رأيه إقرارهم على أرزاقهم القديمة ، وتصفيتهم بالعرض على المحنة لعلمه أن العساكر لابدّ لها من رجّالة وأمر أعلى الله أمره ، أن يستخدم بحضرته مَنْ تؤمن بائقته وتخف مؤنته ، وتُرجَى استقامته

وبالله ثقة أمير المؤمنين وتوفيقه ، وقبلك وقبل مثلك رجّالة أنت أعلم بمن مرضت طاعته منهم ، ومن يعود إلى صحة وصلاح ، فإن قنع مَنْ ترضاه منهم بأصل الجارى عليه فتمسّكْ به وأقره على جارية ، ومَنْ رأيت الاستبدال به فأمره إليك والله المستعان .

ذكر صرف ابن مقلة عن الوزارة وولاية ابن مخلد

وفى جمادى الأولى يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة بقيت منه صُرِف محمد بن علىّ ابن مقلة عن الوزارة ، ووكِّلَ به فى الدار ، وحُبس فيها ، وأحضرَ محمد بن ياقوت صاحب الشرطة أباالقاسم سليمان بن الحسن بن مخلّد ، فوصل إلى الخليفة وقلّده وزارته ، وخلع عليه ، ومضى فى الخلع التى كانت عليه إلى الدار التى كان يسكنها ابن الفرات والوزراء بعده . ثم نزل منها إلى طياره ، ومضى إلى منزله ، فأقرّ عبيد الله الكلواذىّ على دواوين السواد والأهواز وفارس وكِرْمان ، وأقرّ كثيراً ممن كان على سائر الدواوين . وقلّد ابنه أحمد بن سليمان ديوان المشرق ، واستخلف له عليه مَنْ يتولاه له ، وقلّد ابنه أبا محمد ديوان الفراتية ، وقلّد أبا العباس أحمد بن عبيد الله الخصيبى الإشراف على أعمال فارس وكِرْمان ، وردّ التدبير إليه فكان يعزِلُ ويولّى ، وقلد أبا بكر محمد بن على المـاذرائىّ أعمالَ مصر ، فسار سيرة جميلة ، وعضّده علىٌّ بن عيسى برأيه ، وكان علىّ يجلس للمظالم منذ خرج من الحبس إلى وقته ذلك،ثم اتّصل قعوده مدة .

وفى جمادى الآخرة من هذا العام شغب الفرسان وصاروا إلى دار علىّ بن عيسى ، فنهبوا إصطبله وقتلوا عبدالله بن سلامة حاجبه .

ثم إن الرّجّالة السودان طلبوا الزيادة على ما كان رسم لهم ، وشَغَبوا وحملوا السلاح ، فسار إليهم محمد بن ياقوت ورفق بهم ، ودارَى أمرهم فلم يقنعهم ذلك ، وبَقُـــوا على حالهم ، وامتدّوا إلى الفرسان وقاتلوهم . فتقدم إليهم سعيد بن حمدان وجماعة من أصحاب ابن ياقوت ، ورشقوهم بالنشاب . وأدخلوا إلى منازلهم النار . فهربوا إلى النّهروان وقطعوا الجسر بعد أن قُتِل منهم خلق كثير ، ثم ساروا إلى واسط ،وتجمّع إليهم خلق كثير من البيضان،ولحق بهم جماعة من قُوّادهم ، ورأسهم نصر الساجى ، وطالبوا عمّال ذلك

الجانب بالأموال،فندب السلطان للشخوص إليهم مؤنساً المظفّر ، فخرج إليهم ورفق بهم ودعاهم إلى القناعة بمارسمه السلطان لهم ؛ فأبَوْا ولجّوا فى غيّهم ، واجتمعوا فى مصلًّى واسط من الجانب الغربىّ ، وحفروا الآبار حَوالى عسكرهم ، وفجّروا المياه ، وأقاموا النّخل المقطوع منصوبة فى الطريق المسلوكة إليهم ليمنع الخيل من التقحم عليهم ، فعبر مؤنس حتى نزل بقربهم ، ثم سار إليهم بمن كان معه على الظّهر وفى الماء على مخاضة وجدُوها ، .ووضعوا فيهم السيف ، فقتِل أكثرهم ، وغرق بعضهم وأسِر رئيسهُم نصر الساجى ، وأخذ ابن أبى الحسين الدّيرانى واستأمن بعض السودان،فنقلهم مؤنس وفرّقهم فى النواحى ، وأقرّ علىّ بن يلبق على شُرْطة واسط وكانت هذه الوقيعة لخمسٍ بَقين من رجب، ورجع مؤنس إلى بغداد لعشر بقين من شعبان .

وفى هذه السنة أسر الحسن بن حمدان شارياً[1] خرج بكَفَرْ غرثا ، يقال له : عزون ، وأنفذه إلى السلطان ، فحمِلَ على فيل ، وأدخِل بغداد مشهوراً . ثم حبس،وذلك فى ذى الحجة .

وقبل ذلك بشهر ماوجّه أبو السرايا نصر بن حمدان بن سعيد بن حمدان شارياً خرج بالرادفيّة من موالى بجيلة،فأدخِل بغداد على فيلٍ وبين يديه ولدان له على جَمَلَيْن ومائة رأس من رءوس أصحابه ، وسار رجل من وجوه البرابر يعرف بأبى شيخ إلى دار السلطان فى ذى القعدة ، فذكر أن جماعة من وجوه القوّاد والكتّاب قد بايعوا أبا أحمد محمد بن المكتفى بالله ، واستجاب له نحو ثلاثة آلاف رجل من الجند ، فأمر السلطان بحفْظ ابن المكتفى بالله فى دارِه ، وانتشر خبر أبى شيخ فخيف عليه أن يقتُله الجند ، فبُعث إلى الجبل،إلى ابن الخال ليكون فى جيشه .

وورد الخبر فى ذى القعدة بوقوع الحرب بالبصرة بين البلالية والسّعدية ، وأن عبد الله بن محمد بن عَمْرويْه والى العونة بها أعان البلالية فهزموا السعدية وأحرقوا محالّهم،فأُخرجوا من البصرة ثم رُدُّوا إليها بعد مدة عن سؤال منهم وتضرّع .

قال الصوَلىّ : ولمّاورد الخبر بذلك ، كتب علىُّ بن عيسى إلى أهل البصرة فى ذلك كتاباً بليغاً ينهاهم فيه عن العصبيّة ويعرّفهم سوءَ عاقبتها ، فدخلتُ إليه وهويُمْلِى الكتاب ،

---

(١) من الشراة ، وهم فرقة من الخوارج ، سموا بذلك لأنهم باعوا أنفسهم لله . وشرى هنا بمعنى باع ، وهومن الأضداد .

فلمّا أوعب[١] إملاءه أمر كاتبه بدفعه إلىّ لأقرأه قال : فحسُن عندى الكتاب، وقلت له : قدكان لإبراهيم بن العباس كتاب فى العصبية فقال لى : ما أعرفه ، فما هو ؟ قلت : حدثنى عون بن محمد الكندىّ قال : قدم علينا بسرَّ من رأى كاتب من أهل الشأم ، يقال له عبد الله بن عمرو من بنى عبد كان المصريّين ، فجعل يستصغر كتّاب سرّ من رأى ، ولا يرضى أحدهم . قال عون : فحدّثت أبى بحديثه فأنف من ذلك ، وقال : والله يابنىّ لأضعفنّه ولأهوّننّ نفسه إليه . فمضى به إلى إبراهيم بن العباس ، وأدخله عليه ، وهو يملى رسالة فى قتل إسحاق بن إسماعيل ، وفيها ذكر العصبيّة ، فسمع الشأمىّ ما أعجبه ، وقال لأبى: هذا مَنْ لم تلد النساء مثله فإنى سمعتُهُ يُملى شيئاً كأنه فيه تدبُّر مبين . قال عَون فنسخ أَبى ما أملاه من الرسالة وهو: وقسم الله عدوه أقساماً ثلاثة: روحاً معجّلة إلى عذاب الله، وجثّة منصوبة لأولياء الله ، ورأساً منقولاً إلى دار خلافة الله ، استنزلوه من مَعْقِل إلى عقال ، وبدّلوه آجالاً من آمال ؛ وقديماً غذّت العصبيّة أبناءها ، فحلبت عليهم درّها مرضعة، وركبت بهم مخاطرها مُوضعة ، حتى إذا وثقوا فأمنوا وركبوا فاطمأنوا وامتدّ رضاع ، وآن فطام ، فجّرت مكان لبنها دماً وأعقبتهم من حلو غذائها مرًّا، ونقلتهم من عزٍّ إلى ذُلّ ، ومن فرحة إلى تَرْحة ، ومن مَسَرّة إلى حسرة ، قتلاً وأسراً، وغلبة وقسراً، وقلّ مَنْ وأضع[٢] فى الفتنة مرهجاً[٣] ، واقتحم لهبها مؤجّجاً[٤] إلّا استلحمته آخذة بمخنّقه ، وموهنة بالحقّ كيدَه ، حتى جعلته لعاجله جَزَرًا[٥] ولآجله حطباً ، وللحق موعظة وعن الباطل مزّجرة ، أولئك لهم خزى فى الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وما الله بظلام للعبيد .

وورد الخبر فى ذى الحجة بوثوب أصحاب أسفار بن شيرويه الديلمىّ المتغلب على الرّىّ عليه ، واعتزامهم على قتله ، وأنه هرب فى نفرٍ من خاصّته وغلمانه ، فصار مكانه إلى الرّىّ ديلمىّ يقال له مرداويج بن زيار .

---

(١) أوعب : أعدّ .
(٢) أوضع : سار ودخل .
(٣) مرهجاً : مثيراً للرهج ؛ وهو الغبار .
(٤) الوهج : الغبار .
(٥) جزراً : أى ملقى .

ومن الحوادث فى هذه السنة أن الحريق وقع ليلة الأحد لإحدى عشرة ليلة خلتْ من جمادى الأولى فى دار محمد بن علىّ بن مقلة التى كان بناها بالزّاهر على شاطئ دجلة ، ويقال إنه أنفق فيها مائتى ألف دينار ، فاحترقت بجميع ما كان فيها، واحترقت معها دور له قديمة ، كان يسكنها قبل الوزارة ، وانتهب الناس ما بقى من الخشب والحديد والرصاص ، حتى صارت مستطرقاً للسابلة مِنْ دجلة ، وبطل على السلطان ما كان يصير إليه من إجارات الزاهر ؛ وذلك جملة وافرة فى السنة ، ثم أمر السلطان بسدّ أبوابها ومنع السابلة من تطرّقها ؛ وتحدّث الناس بأن محمد بن ياقوت فعل ذلك لضِغْنٍ كان لمحمد بن علىّ بن مقلة عنده فى قلبه .

وفيها خلع المقتدر على ابنه أبى عبدالله هارون لتقلّد فارس وكِرْمان يوم الاثنين لستٍّ بقين من شوال ، وركب فى الخلع إلى داره المعروفة بجرادة ، بقرب الجسر ، وكان المقتدر قد ثقّف ولده هذا بنصر الحاجب ، وجعله فى حِجْره ، فلما مات نصر تكفّل أمرَه ياقوت كما كان يتكفله نصر قبله ؛ إلاّ أن نصراً كان يهدى له ، ويتقربّ إليه .

قال الصولىّ: أنا شهدت نصراً الحاجب قد اشترى ضيعة على نهر ديالى والنهروان يقال لها قرهاطية ، كانت للنوشجانىّ، فاشتراها حصصاً وأقساماً وقامت عليه بثمانية عشر ألف دينار ، ثم أهداها إلى أبى عبدالله بن المقتدر ، وهى تساوى ثلاثين ألف دينار ، وصنِع له فيها ولأخيه أبى العباس يوم أهداها إليه . وخرجا معه إليها فى وجوه القواد والغلمان ، فأقاموا بها يومين ، وأنفق عليهم نصر مالاً جسيماً ، ووصل الغلمانَ والخدمَ بصلاتٍ سنية ، وحمل بعضهم على خيل بسروجها ولجمها ، قال : وحكى لى بعضُ وكلائه أنه أحصى ماذبح فى هذين اليومين من حمل وجَدْيٍ وطير وغير ذلك من صنوف الدرّاج والطائر فبلغ ذلك أربعة آلاف رأس .

قال الصولىّ: ولما خلَع على أبى عبدالله هارون للولاية ، وصحّ عزمه على الخروج ، دعانى إلى المسير معه والكون فى عديد صحبة ، فكرِهَ ذلك الأمير أبوالعباس بن المقتدر ، فاعتللتُ على أبى عبدالله ، فغضب علىّ وقطع إجراءه عنى . قال : ثم بلغنى أن خروجه غير تام ، فكتبت إليه بقصيدة فيها تشبيب حَسَن ومديح مثله .

واجتلب الصولىّ جميع القصيدة فى كتاب الورقة الّذى ألفّه بأخبار الدولة، فرأيت

إثبات أبيات منها فى هذا الكتاب ليستدلّ بمباطنة الصولىّ لهم ، على علمه بأخبارهم ، وحفظه لما جرى فى أيامهم ؛ فليس المخبر الشاهد كالسامع الغائب ، ومن قصيدة الصولى :

ظَلَمَ الدّهْر والحبيبُ ظَلُومُ أينَ من ذيْن يهرُبُ المظلومُ
عطفَتْ باللقاء ريح بِعادٍ فاستهلّت على فؤادى الهمومُ
ياسقيمَ الجفون أىُّ صحيحٍ لم يدَعْهُ هواك وهو سقيمُ
أحرامٌ عليكِ وصْلِى أم السا ئلُ وصلاً مباعَدٌ محرومُ
قد كتمتُ الهوى وأصعَبُ شيءٍ إنْ تأملتَهُ هوًى مكتومُ
فمتى أخصَمُ الحبيبَ وأيَّا مى بما يشتهى علىَّ خصومُ
لأبى عبدالله هارونَ عندى حادثٌ من فعالِهِ وقديمُ
هو بدْرُ السَّماءِ يطلَعُ فى سع دِ المعالى والناسُ فيها نجومُ
ورِثَ المجدَ عن خلائفَ غُرٍّ سبعَةٍ ما يُعدُّ فيهم بهيمُ
يانسيمَ الحياةِ أنتَ لأيَّا مى إذا ما ركَدْنَ عنى نسيمُ
قد تذَوَّقْتُ منك طعْمَ نوالٍ مثلُهُ لاعَدِمتهُ معدومُ
لاتكلنى إلى شواهدِ ظَنٍّ ليس يقضى بها علىّ عليمُ
ليس تمضى إلا . . . ومن أتـ همتَ ناجٍ مما ظننْتَ سليمُ
فأنا الآن راحلٌ إنْ ترَحَّلْـ تَ وثاوٍ إذا أقمتَ مُقيمُ
أرنى للرِّضا علامةَ إنصا فٍ فدَهرِى وقد كفاكَ غشُوم
نظْمُ هذا المديحِ إنْ أنصفوهُ لا يُدانيهِ لؤلؤ منظومُ
قد أتى ساحباً ذيولَ المعالى فيكَ والمدْحُ بالنوال زَعيمُ

وفيها مات أبوبكر محمد بن إبراهيم بن المنذر بن الجارود النيسابورىُّ بمكة يوم الأحد انسلاخ شعبان .

وحج بالناس فى هذه السنة عمر بن الحسن العباسى .

ثم دخلت سنة تسع عشرة وثلثمائة

ذكر ما دار فى هذه السنة من أخبار بنى العباس

قال أبو محمد عبدالله بن أحمد الفرغانىّ فى كتابه الذى وَصَل به كتابَ محمد بن جرير الطبرىّ ، وسماه المذيّل : فى هذه السنة فى المحرّم منها طالب قوم من الفرسان ببغداد الوزير سليمان بن الحسن بأرزاقهم ، وشتموه وأغلظوا له ، فرمَاهم غلمانه بالآجرّ من أعالى الدار ؛ وقتلوا رجلاً من الأولياء ، فهجموا فى الدار بعد أن أحرقوا الباب . فخرج الوزير على باب ثانٍ ، وجلس فى طيار ، وسار إلى دار علىّ بن عيسى . فانصرفوا عن بابه .

وفيه قُلِّد إبراهيم بن بطحا الحِسْبة بمدينة السلام .

وفى صفر ورد بغداد مؤنس الخادم الورقانىّ ، منصرِفاً من الحجّ بالناس سالمين ، فأظهر أهلُ مدينة السلام لذلك السرور والفرح ، ونشروا الزينة فى الأسواق ، وأخرجوا الثياب والحَلْى والجواهر ، ونُصِبت القباب فى الشوارع ، وخلع السلطان على مؤنس وأوصله نفسه . وخلع على جماعة معه ؛ وذلك يوم الخميس لعشر خلَوْن من صفر ، فذكر الحاجّ أنها لحقتهم مجاعة عظيمة فى الطريق ؛ إذ كانتْ خالية من العمارة ، وكاد يأكل بعضهم بعضاً من الجوع .

وللنصف من صفر قصد الشطّار وأهل الزّعارة[1] من العامة دار الخليفة،فأحرقوا باب الميدان ، ونقبوا فى السور ، وصعِد الخليفة إلى المجلس المثمن ومعه يلبق وسائر الغلمان ، فضمن لهم يلبق إزاحة عِللهم والإنفاق عليهم ، فانصرفوا ثم شغبوا بعد ذلك وقصدوا دار أبى العلاء سعيد بن حمدان فحوربوا منها،وقتل منهم رجل فانصرفوا وبكّروا إليها من الغد ، وقد كان أبو العلاء وضع حُرَمه وجميع مايملكه فى الزّوارق داخل الماء ، ، فلم يصلوا إلى ما أمّلوه منه ، فأحرقوا بابه وصاروا إلى السجون والمطبَق[2] ففتحت بعد محاربتهم لمن

---

(١) الزعارة : سوء الخلق ، وفى ط : الذعارة تحريف .

(٢) المطبق : السجن .

كان يمنع منها وقتل من طلاب الفتن من العامة خلق كثير وقعدوا بعد ذلك فى مجلس الشرطة ، وقتلوا رجلاً يعرف بالدّباح قيل إنه ذبح ابن النامى ، فلما أصبح الناس ركب ابن ياقوت إليهم زَوْرَقاً ، وبعث بأصحابه وغلمانه على الظهر ، ثم وضع السيف والنّشاب فى أهل الزعارة من العامة ، فلم يزل القتل يأخذهم من رحبة الحسين إلى سوق الصاغة بباب الطاق ، فارتدع الناس وكفوا .

وفى آخر صفر خرج طريف السّبكرىّ إلى الثغر غازياً ، وخرج فى ربيع الأول نسيم الخادم الشرابى إلى الثغر أيضاً ، وشيّعه مؤنس المظفّر .

وخرج من الفسطاط بمصر أحد عشر مركباً للغزو فى البحر إلى بلاد الروم ، وعليها أبو على يوسف الحجرىّ .

وفى هذه السنة اجتمع نوروز[1] الفُرْس والشّعانين فى يوم واحد ؛ وذلك يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول ، وقلّ مايجتمعان .

ولثمان بقين منه خلع على أبى العلاء بن حمدان ، وقلّد ديار ربيعة وما والاها ، وتقدم إليه بالغزو، وفيه تقلّد أعمال البصرة أبو إسحاق وأبو بكر ابنا رائق .

وفى شهر ربيع الآخر من هذه السنة ورد الخبر بأن الأعراب صاروا فى جمع كثير إلى الأنبار فأفسدوا وقتلوا ، فجرّد إليهم علىّ بن يلبق فى جيش كثيف ، وخرج يلبق أبوه فى أثره ، فلحقوهم وواقعوهم يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة بقيت منه بعد حرب شديدة ، وانهزم الأعراب ، فقتلوا منهم وأسروا وغنم الأولياء غنيمة عظيمة .

وفى ربيع الآخر وقع حريق فى مدينة الفُسطاط بموضع يقال له خَوّلان نهاراً فذهبت فيه دُور بنى عبدالوارث وغيرها .

ولأربع عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى أُدخِل إلى مدينة السلام خمسة وسبعون رجلاً من الأرمن ، وجّه بهم بدر الخرشنى ممّن حارب ، فشُهِروا وَطِيف بهم ، وأُدخل أسارى القرامطة الخارجين بسواد الكوفة بعث بهم بشر النصرىّ وهم نحو مائة فشُهِّروا وطوّفوا بمدينة السلام .

وفى جمادى الآخرة من هذه السنة ازدادت وحشة مُؤنس المظفر منْ ياقوت وولده ،

(١) النوروز : عيد الفرس ، والشعانين عيد النصارى .

ودارت بينهم مدافعات ، فصُرِف ابن ياقوت عن الشرطة ، ورَدَّ أمرها بالجانب الشرقىّ إلى أحمد بن خاقان ، وبالجانب الغربىّ إلى سرور مولى المقتدر .

وفى هذا الشهر قُلّد أبو بكر محمد بن طُغْج مدينة دمشق وأعمالها ، وصرِف الراشدىّ عنها ، وردّ إليه عمل الرملة . ونفذ كتاب الخليفة إلى ابن طُغْج بالولاية،فلمّا وصل إليه الكتاب سار من وقته إلى دمشق ، وخرج الراشدىّ إلى الرَّملة ؛ فسرّ أهل دمشق بقدوم ابن طغج ، ودخلها أحسن دخول .

وفى مستهلّ رجب من هذه السنة راسل مؤنس الخليفة ، وسأله إخراج ياقوت وابنه عن مدينة السلام ، فلم يجبه إلى ذلك ، فأوحشه فعلُه ، واستأذن هو فى الخروج فلم يُمنع ، فخرج إلى مضاربه برقّة الشمَّاسيّة مغاضباً . واتّصل به أن ياقوتاً وابنه أَمَرا بقصده والفتك به ، فاستجلب مؤنس الرجّالة المصافية إلى نفسه ، فلحقوا به بالشماسية وصاروا معه ، ثم طالب الأولياء ابن ياقوت ببقايا أرزاقهم . فتهدّدهم فلحق جميعهم بمؤنس بعد أن قطعوا خيامهم التى كانت حوالى دار الخليفة بالسيوف ، فقوىَ أمر مؤنس،وانضمّ عسكره على قريب من ستة آلاف فارس وسبعة آلاف راجل ، فتقدم ابن ياقـوت إلى أصحاب السلاح ألّا يبيعوا منهم سلاحاً . ووجّه إليهم مؤنس قوّاده يحذّرهم أن يمنعوا أحداً من أصحابه بيع مايلتمس من السلاح ، وحمل يلبق وبشر واصطفن وابن الطبرى إلى مؤنس مالاً كثيراً وقالوا له : هذا المال أفدناه معك ، وهذا وقت حاجتك إليه ، وحاجتنا ، فشكرهم على ذلك وفرقه فى أصحابه وعلى مَنْ قصده . ولما قوِىَ أمر مؤنس وانحاز الجيش إليه ركب إليه الوزير سليمان بن الحسن وعلىّ بن عيسى وشفيع ومُفْلح ، فلمّا حصلوا فى مضربه بباب الشماسية ، شغبت عليهم حاشية مؤنس ، وضربوا وجوه دوابّهم ، وقبضوا عليهم ، وأظهرت حاشية مؤنس أنهم يريدون الفَتْـك بهم ، فأهمَّتهم نفوسهم ، واعتقلوا يومهم ، وبلغ المقتدر الخبر فأقلقه ، وجرى الأمر بينهما على إخراج ياقوت وابنيه عن بغداد ووجّه الخليفة إلى ياقوت وولده اخرجوا حيث شئتم،فخرجوا فى الغلَس يوم الأربعاء لثمان خلَون من الشهر ، وجميع حاشيتهم فى الماء مع نيّف وأربعين سفينة محملة مالاً وسلاحاً وسروجاً وسيوفاً ومناطق وغير ذلك ، وثمانية طيارات وشذاة[1] فخلّى مؤنس سبيل علىّ بن عيسى ، ومَن اعتقله

(١) الشذا : ضرب من السفن .

معه ، ورجع مؤنس إلى داره ، وأحرقت دار ياقوت وابنه ، ونودى بمدينة السلام ألا يظهر أحد ممّن أثبت ابن ياقوت ، وأظهر من سائر الناس . ونظر مؤنس فيَمنْ يُردّ إليه الحجابة ، فوقع اختياره على ابنى رائق للمهانة التى كانت فيهما ، وأنهما كانا يلقبان بخديجة وأم الحسين ، فبعث فيهما ، وقلّدهما الحجابة ، فقبّلا يده ورجله ، وقالا له : نحنُ عبدا الأستاذ وأبونا من قَبْلنا ، وانصرفا وغلمان مؤنس بين أيديهما حتى بلغا منازلهما .

وفى يوم الاثنين لعشر بَقِين من رجب أدخِل مفرج بن مضر الشارى مع رجلين وجّه بهم ابن ورقاء من طريق خراسان ، فشُهّروا على فيل وجملين .

ذكر القبض على سليماق بن الحسن الوزير وتقليد الكلواذىّ الوزارة

وفى يوم السبت لست بقين من رجب قُبض على الوزير سليمان بن الحسن ، وذلك أن المال ضاق فى أيامه ، واتصل شَغَب الجند ، وظهر من سليمان فى وزارته ما كان مستوراً من سُخْف الكلام وضرب الأمثال المضحكة ، وإظهار اللفظ القبيح بين يدى الخليفة مما يجلّ الوزراء عنه ، فاستنقصه الخلق ، وهجاه الشعراء ، واستعظموا الوزارة لمثله ؛ وكانت لابن ياقوت فيه أبيات ضمن فى آخرها هذا البيت :

يا سليمانُ غنِّنِى ومنَ الرّاح فاسقِنِى

ولابن دريد فيه :

سليمانُ الوزيرُ يزيدُ نقصًا فأحْرِ بأن يعودَ بغير شَخْصِ
أعمّ مضَرّةً من أبى خلاطٍ وأعيا من أبى الفرَج بن حفص

ووُلِّىَ الوزارة أبو القاسم عبيدالله بن محمد الكلواذىّ وأحضِر الدار وخُلع عليه ، وذلك يوم الأحد لأربع بقين من رجب من هذه السنة .

وفى شعبان من هذه السنة ورد الخبر بأن أبا العباس أحمد بن كيغلغ لقِىَ الأشكرىّ صاحب الديلم فهزمه الديلم وتفرّق عنه أصحابه ، حتى بقى فى نحو من

عشرين ، ومضى الديلم فى آثار مَن انهزم من أصحابه ، ودخلوا أصبهان ، وملكُوا دورها ، وصاروا فيها ووافى الأشكرىّ على أثرهم فى نفر من الديلم ، فلما نظر إليهم ابن كيغلغ قال لمن حوله : أوقعوا عينى على الأشكرى ، فأروْه إياه فقصده وحده ، وكان الديلمىّ شديد الخلق . فلما نظر إليه مقبلا سأل عنه فقيل له : هذا ابن كيغلغ ، فبرز كلّ واحد منهما لصاحبه ورمى الديلمى أبا العباس بن كيغلغ بمزراق كان فى يده ، فأنفذ ماكان يلبسه ، ووَصَل إلى خفه ، فأنفذ عضلة ساقه وأثبتها فى نداد سَرْجه ، فحمل عليه ابن كيغلغ ، وضربه بسيفه على أمّ رأسه ، فانصرع عن دابّته وأخذ رأسه . وتوجه به بين يديه فتفرّق أصحاب الديلمى وتراجَع أصحاب ابن كيغلغ ، ودخل أصبهان والرأس قدّامه ، فوضَع أهل المدينة سيوفهم ورماحهم فى الديالمة الذين حصلوا بها ، فقُتِلوا عن آخرهم . ونزل ابن كيغلغ فى داره ، واستقام أمره وحَسُنَ أثره عند المقتدر ، وأعجب الناس ماظهر من شجاعته وبأسه ، مع كبر سنه .

ولعشر بَقِين من شعبان ورد الخبر بأن القرامطة صاروا إلى الكوفة ونزلوا المصلّى العتيق ، وعسكروا به ، وأقاموا ، وسارت قطعة منهم فى مائتى فارس فدخلوا الكوفة ، وأقاموا بها خمسة وعشرين يوماً مطمئنين ، يقضون حوائجهم ، وقتلوا بها خلقاً كثيراً من بنى نمير خاصة ، واستبقوْا بنى أسد ، ونهبوا أهراء[1] فيها غلات كثيرة للسلطان وغيره .

وفى هذه السنة وصل زكرى الخراسانى إلى عسكر سليمان بن أبى سعيد الجنّابىّ فجازله عليهم من الحيلة والمخرقة[2] ماافتضَحوا به وعبدوه ، ودانوا له بكلّ ما أمرهم به من تحليل المحارم وسفك الرجل دم أخيه وولده وذوى قرابته وغيرهم ، وكان السبب فى وصوله إليهم أن القرامطة لما انتشروا فى سواد الكوفة ، وانتهوا إلى قصر ابن هبيرة فأسروا جماعة من الناس كانوا يستعبدون مَنْ يأسرونه ويستخدمونهم ، وكان له عرفاء ، على كلّ طائفة منهم ، فأُسر زكرى هذا فيمن أسر ، وملكه بعض المترأسين عليهم ، فلمّا أراد الاستخدام به تمنّع عليه وأسمعه ماكرِه . فلما نظر إلى قوة

(١) الأهراء : المخازن .

(٢) المخرقة : الخرافات .

كلامه وجرأته هابه وأمسك عنه ، وأنهى خبره إلى الجنّابى سليمان فأحضره من وقته وخلا به ، وسمع كلامه ففتنه ، ودان له . وأمر أصحابه بأن يدينوا له ويتبعوا أمره وحَمله فى قبّة وستره عن الناس ، وشغل خبرُه القرامطةَ وانصرفوا به راجعين إلى بلادهم ، وهم يعتقدون أنه يعلم الغيب ويطّلع على مافى صدورهم وضمائرهم ، وهوُكان بعد ذلك السبب لهلاكهم وفنائهم ، على مايأتى ذكره فى الوقت الذى دار فيه ذلك .

وفى هذه السنة انحدر ياقوت وابنه من مدينة السّلام فى الماء ، ومَنْ تبعه من جيشه من الجانب الشرقىّ يريدان أعمالهما من بلد فارس ، وكان علىّ بن يلبق بواسط متقلّداً لها ومعه من الغلمان الذين أشخصهم مؤنس إليه جملة مثل سيما المنخلىّ وكانجور وشفيع وتكين الخاقانى وغيرهم ، فحملت هذه الطبقة ابنَ يلبق على تلقى ياقوت ومحاربته . واتّصل الخبر بيلبق أبيه،فأنكر الأمر أشدّ الإنكار ، وكاتب ابنه يخوفه ركوب هذه الحال ، ويأمره بأن يتقدّم إلى خلفائه بواسط أن يتلّقوْا ياقوتاً ، ويخدموه ويكونوا بين يديه إلى أن يخرج عن واسط . وكاتب القواد ألاّ يطاوعوا ابنه على مكروه إن همّ به ، وكاتب ياقوتاً يسأله العبور إلى الجانب الغربّى خوفاً من اجتماع العسكرين ، ثم تحمّل يلبق المصير إلى ابنه وملازمته أياماً إلى أن جاز ياقوت وخرج عن واسط

وفى شعبان من هذا العام شَغَب الرجّالة ببغداد،فحاربهم يلبق وسائر الجيش ولم تزل الحرب بينهم من غدوة إلى صلاة العصر ، وخرج من الفرسان جماعة ، وقتِل من الرجّالة عدد كثير ، ثم تمزّق الفريقان فى الأزقة والدروب وانصرفوا .

ذكر صرف الكلواذى عن الوزارة وتقليدها الحسين بن القاسم

وكان عبيدالله بن محمد الكلواذىّ أحد الكتاب الكبار ، وجليلاً فى نفوس الناس ، فقدّروا أن فيه كفاية وقياماً بالأمر ، فأقام على الوزارة شهرين وهو متبرّم بها لضيق الأموال وكثرة الاعتراضات واتّصال الشغب وقعود العمال عن حمل المال . فاستعفى وقال : ماأصلُح أن أكون وزيراً،فصُرِف عنها ولم يعنّف ولا نُكِب ولا تعرّض أحد من حاشيته ،

وانصرف إلى داره ، واستقرّ فيها [1] فأمر الخليفة بحفظها وصيانتها .

وكان أبو الجمال الحسين بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب يَسْعى دَهْرَه في طلب الوزارة ، ويتقرّب إلى مؤنس وحاشيته ويصانعهم حتى جاز عندهم ، وملأ عيونهم ، وكان يتقرّب إلى النصارى الكتّاب بأن يقول لهم : إنّ أهلي منكم وأجدادي من كباركم ، وإن صليباً سقط من يد عبيد الله بن سليمان جدّه في أيام المعتضد . فلمّا رآه الناس ، قال : هذا شيء تتبرك به عجائزنا ، فتجعله في ثيابنا من حيث لا نعلم ، تقرّباً إليهم بهذا وشبهه ، يعني إلى مؤنس وأصحابه .

وقلّد الوزارة يوم السبت سلْخ شهر رمضان وخلع عليه في هذااليوم،وركب في خلعه وسائر القواد والناس على طبقاتهم معه وأخذه بوله في الطريق،فنزل وهو في خلع الخليفة إلى دار محمد بن فتح السعدي فبال عنده ، وأمر له بزيادة في رزقه ونزله ، وركب منها إلى داره .

ولسبع بقين من شوال أخرِج عليّ بن عيسى إلى ديرقُنّا .

وفيه قرئت كتب في جامع الرّصافة بما فتحه الله لثمل بطرسوس في البرّوالبحر .

وفيه خُلع على أبي العباس أحمد بن كيغلغ وطوّق وسوّر ، وعقد لابن الخال على أعمال فارس ، ولياقوت على أصبهان ، ولابنه محمد على الجبل ، وأخرجت إليهما الخلع للولاية .

وفي شوّال من هذه السنة خلع على الوزير عميد الدولة وابن وليّ الدولة الحسين بن القاسم لمنادمة المقتدر .

وفي يوم الجمعة لخمس بَقِينَ منه ظهرت في السماء فيما يلي القبلة من مدينة السلام حمرة نارية شديدة لم يُرَ مثلها ، وصلّى في هذا النهار الوزير عميد الدولة وابن وليّ الدولة الحسين بن القاسم ، في مسجد الرّصافة ، وعليه شاشيّة وسيف بحمائل ، فعجب الناس منه .

وحجّ بالناس في هذه السنة جعفر بن عليّ الهاشميّ من أهل مكة المعروف برقطة خليفة لأبي حفص عمر بن الحسن بن عبدالعزيز .

---

(١) في الفخري ٢٤٢ : « انقطع بداره وأغلق بابه ، فكانت وزارته مدة شهرين » .

ثم دخلت سنة عشرين وثلثمائة

ذكر ما دار فى هذه السنة من أخبار بنى العباس

فيها خالف[1] مؤنس المظفّر على المقتدر ، وخرج من بغداد إلى الموصل ، ثم خلعه بعد ذلك وقتله ، وكان السبب فى ذلك أن مؤنساً لما أبعد ياقوتاً وولده عن الحجابة ، وأخرجهما عن مدينة السلام ، وأختار ابنى رائق لملازمة المقتدر وحجابته ، ورجا طَوْعهما له وقلة مخالفتهما إيّاه ، وكان مؤنس عليلاً من النِّقْرس قاعداً فى منزله كالمقعد ، وكان يلبق غلامه الذى صيّره مقام نفسه وعقد له الجيش ، وضمّه إليه ينوب عنه فى لقاء الخليفة وإقامة أسباب الجند والأمر والنهى ، فقوِىَ أمرُ ابنى رائق وتمكّنا من الخليفة لقربهما منه ، وقيل لهما : إن مؤنساً يريد أن يصيّر الحجابة إلى يلبق ، فالتاثا على مؤنس واستوحشا منه ، وباَطنا عليه مَنْ كان بحضرة الخليفة مثل مُفْلح والوزير ابن القاسم وغيرهما ، وراسلا ياقوتاً وولده وابن الخال وغيرهم . واتصل ذلك بمؤنس وصحّ عنده، فأوحشه ذلك من المقتدر وممن كان معه ، ثم سألت الحجرية والساجيّة المقتدر بما أحكمه لها ابنا رائق ، بأن يَصلُوا إليه كلّما جلس للسلام ، واستعفوْه من يلبق ، وطعنوا على مؤنس فى ضمّهم إليه .

فلما كان يوم الاثنين لخمس خلوْن من المحرم جلس المقتدر أيضاً للسلام ، ووصل إليه الناس ، ووصلت إليه الحجرية والساجيّة وصرِف عنهم يلبق ولم يَخلع عليه ، وأظهر المقتدر الانفراد بأمره والاستبداد برأيه ، فانكشف لمؤنس الأمر ، وصحّ عنده مادُبّر عليه ، وعلم أنه مطلوب .

ولما كان يوم الخميس لثمان خلوْن من الشهر جلس المقتدر أيضاً للسلام ، فخرج مؤنس إلى باب الشماسية وعسكربها ونهب أصحابه دار الوزير الحسين بن القاسم . وبلغ ذلك المقتدر ، فأمر بشحن القصر بالرّجال ونُودى فيمن سخط عليه من

(١) ابن الأثير : « فى هذه السنة فى المحرّم سار مؤنس المظفر إلى الموصل مغاضباً للمقتدر » .

الرجّالة بالرضا عنهم، فظفروا ووعدوا بزيادة دينار على النوبة ، ووُعد الفرسان بزيادة خمسة دنانير على الرزق ، فظهر الرجّالة ، وقوِىَ أمر الخليفة واستتر أصحاب مؤنس ولحق به خاصته وخرج إليه يلبق .

فلمّا كان يوم الجمعة لتسع خلوْن من الشهر ، وتمت صلاة الناس فى الجامع ، ركب المقتدر بين الظهر والعصر فى قباء تاختج وعمامة سوداء وعلى رأسه شمسة تظله وبين يديه أولاده الكبار ركباناً ، وهم سبعة وجميع الأمراء والقواد معه وبين يديه ، فسار من باب الخاصة إلى المجلس الذى فى طرف الميدان ، وقد ضُرب له قُبّة شراع ديباجٍ فدخلها ، ثم انصرف وظهر للعامّة ودعا الناس له ، وبعث مؤنس بشرى خليفته إلى المقتدر يوم السبت مترضّياً له ، ومعتذراً إليه بأنه لم يخرج خالعاً ولا عاصياً ، وإنما خرج فارًا من المطالبة له . فقُبِض على بشرى وصُفع وقيِّد ، فلما اتصل الخبر بمؤنس زاد فى إيحاشه ونفاره ، وأمر بوضع العطاء فى أصحابه ، ودخلوا السوق ليبتاعوا السلاح وما يحتاجون إليه ، فمُنعوا من ذلك حتى وجّه مؤنس من قواده إلى المدينة مَنْ حضر ابتياعهم لما أرادوا ، ثم انتقل مؤنس إلى البَردان ، وزال عنه كثير من جيشه إلى دار السلطان . وكان ممنّ رجع عنه أبو دلف القاسم بن دلف ومحمد بن القاسم بن سيما وغيرهم من قوّاده، ودخل هارون بن غريب الخال إلى بغداد للنصف من المحرّم ، ونزل فى النّجمى ، ودخل ابن عمرويه قافلاً من البصرة ، ودخل نسيم الشرابىّ من الثغر ، وخلع على سرور ، وجُمعت له الشرطتان. ثم دخل محمد بن ياقوت لثمان بقين من المحرم ، فتجمع للمقتدر قُوّاده وقوىَ أمره . وخلع على الوزير أبى الجمال ، ولقِّبَ عميد الدولة ، وكنى ونفذت الكتب بذلك إلى العمال منْ الوزير أبى علىّ عميد الدولة بن ولىّ الدولة القاسم بن عبيد الله ، وكتِب اسمه على السكك ، وخلع على ابنه لكتابة الأمير أبى العباس بن المقتدر ، وهو الراضى. ولما اجتمع الجيش ببغداد ، واتّفقت كلمة أصحاب المقتدر وانتقل عن مؤنس كثيرٌ من أصحابه إلى دار السلطان ، قلع مؤنس عن البَردان فى الماء مضطرًّا ومعه نحو مائة غلام أكابر وأصاغر من غلمانه وأربعمائة غلام سودان ، كانوا له . وسار يلبق وابنه وباقى غلمان مؤنس على الظهر فى نحو ألف وخمسمائة رجل ، وكان معه من وجوه القرامطة نحو سبعين رجلاً ، منهم خطا أخو هنـــد وزيد بن صدام وأسد بن جهور ، وكلهم أنجاد مبرّزون فى البأس

لا يردُّ أحدهم وجهاً عن عدوّ ، فسار مؤنس إلى سرّ من رأى ، وعسكر بالجانب الشرقى .

واجتمع الناس بقصر الجصّ إلى مؤنس فكلّمهم ووعدهم ، وقال لهم : ما أنا بعاصٍ لمولاى ، ولا هارب عنه ، وإنما هذه طبقة عادتْنِى ، وغلبت على مَوْلاَى ، فآثرتُ التباعد إلى أن يُفيقوا من سكرتهم ، وأتأمل أمرى معهم ، ولستُ مع هذا أتجاوز المَوْصل . اللهمّ إلا أن يختار مولاى مسيرى إلى الشأم ، فأسير إليها . وقال لهم فى خلال ذلك : مَنْ أراد الرجوع إلى باب الخليفة فلْيرجع ، ومن أراد المسير معى فليسرْ ، فردُّوا عليه أحسن مَردّ . وقالوا له: نحن فى طاعتك، إن سرت سرنا ، وإن عدت عدنا . وبعث مؤنس أبا علىّ المعروف بزعفران مع عشرة من القرامطة فى مال كان له مودَعاً عند بعض وُكلائه بعُكْبراء ، فأتاه منها بخمسين ألف دينار، فدفع منها مؤنس أرزاقَ من كان معه ، وزادهم خمسة دنانير . وأقام مؤنس يومه ذلك بقصر الجصّ، فاحترق سقف من سقوف القصر ، فشقّ ذلك على مؤنس ، واجتهد فى إطفاء النار . فتعثّر ذلك عليه ، ثم سار وهو مغموم لما دار من الحريق فى القصر ، يريد الموصل . ونفذت كتب الوزير ابن القاسم من المقتدر إلى جميع مَنْ فى الغرب من القواد كبنى حمدان وابن طغْج صاحب دمشق ، وإلى تكين صاحب مصر ، وإلى ولاة ديار ربيعة والجزيرة وآذربيجان وملوك أرمينية والثغور الجزرية والشامية يأمرهم ، بأخذ الطُّرق على مؤنس ويلبق وولده وزعفران ، ومَنْ كان معهم ومحاربتهم والقبض عليهم .

وبلغ ذلك مؤنساً ، فغمّه الأمْر ، وكتمه عن جميع مَنْ كان معه وسار إلى تكريت ، وقد انصرف عنه أكثر مَنْ كان معه . ثم إن مؤنساً فكّر فى أمره وإلى أين يكون توجّهه ، فلم يجد فى نفسه أوثقَ عنده ولا أشكر ليده من بنى حمدان فإنه كان عند ذكره إياهم يقول : هم أولادى ، وأنا أظهرتهم . وكانت له عند حسين بن حمدان وديعة ، فأراد أن يجتاز به ويأخذها ويسير بها إلى الرّقة ، وقد كان بلغه تجمّع بنى حمدان وحشدهم لمحاربته ، فلم يصدق ذلك ، ثقةً منه بهم ، فرحل عن تكريت إلى بنى حَمْدان ، بعد أن شاور مَنْ حضره فى الطرق التى يأخذ عليها ، فأشارت عليه طائفة بقطع البريّة والخروج إلى هيت ، ثم المسير إلى شطّ الفرات . وقال يلبق وزعفران لمؤنس :

الصواب مسيرُك إلى الموصل كيف تصرّفتِ الحال لوجوه من المصالح ، أمّا واحدة فلعجزك عن ركوب البرّية فتتعجّل الرفاهية فى الماء، وأخرى لئلا يقال : جزع لِمَا بلغه خبر بنى حمدان وتجمّعهم ، وثالثة أنّك إن بليت بقتالهم كانوا أسهَل عليك من غيرهم ، فوقع هذا الرأى من مؤنس بالموافقة ، وسار يريد بنى حمدان فلم يلق لهم فى طريقه رسولاً ، ولا سمع لهم خبراً إلى أن وافَى عليه بشرى النصرانىّ كاتب أبى سليمان داود بن حمدان ، فاستأذن عليه يوم السبت لليلة بقيت من المحرم ، وخلا بمؤنس وأدّى إليه رسالة صاحبه ورسالة الحسين بن حمدان وأبى العلاء وأبى السرايا بأنهم على شكره ومعرفة حق يده ؛ ولكنهم لايدرون كيف الخلاص مما وقعوا فيه ، فإن أطاعوا سلطانهم كانوا قد كفروا نعمةَ مؤنس إليهم ، وإن أطاعوا مؤنساً وعصوْا سلطانهم ، نُسِبوا إلى الخلعان،وسألوه أن يعدل عن بلدهم لئلا يلتقوا به ولا يمتَحنوا بحربه فقال له مؤنس : قل لهم عنى : قد كنتُ ظننت بكم غير هذا ، وما أخذت نحوكم إلا لثقتى بكم ، وطمعى فى شكركم ؛ فإذا خالفتم الظن فليس إلى العدول عنكم سبيل ، ونحن سائرون نحوكم بالغد ؛ كائناً ماكان منكم . وأرجو أنّ إحسانى إليكم سيكون من أنصارى عليكم ، وخذلانكم لى غير صارف لفضل الله عنّى . وبات مؤنس بقصور مَرج جهينة ، وكان عسكر بنى حمدان بحصْبَاء المْوصل ، وبات المحسّن زعفران فى الطلائع على المضيق الذى منه المدخل إلى الموصل ، وباكر مؤنس المسير فى الماء على رسمه قبل ذلك. وسار أهلُ العسكر على الظهر ؛ ووقع أبو على المحسّن زعفران فى آخر الليل على مقدِّمة بنى حمدان التى كانوا أنفذوها نحو المضيق ، فقتِل منهم جماعة وأسر نحو ثلاثين رجلاً ، وملك المضيق وأمدّه يلبق برجال زيادة على مَنْ كان معه .

وصبح الناس القتال يوم الأحد لثلاث خلوْن من صفر ، وماكان جميع من يضمّه عسكر مؤنس إلا ثمانمائة وثلاثة وأربعين فارساً ، وستمائة وثلاثين راجلاً بين أسود وأبيض . هكذا حكى الفرغانىّ عن أحمد بن المحسن زعفران وكان شاهداً مع أبيه فى عسكر مؤنس،وعنه ينقل أكثر الحكايات وكان بنو حمدان فى عساكر عظيمة قد حشدوها من العرب والعجم وقبائل الأعراب وغيرهم ، فتلاقى الفريقان على تعبئة ، وأخذ مؤنس ويلبق وابنه ومَنْ كان معهم من القوّاد فى حربهم أحزَم مأخذ ، وتوزعوا على مقدّمة وميمنة وميسرة وقلب ، وجعلوا فى كلّ مصافّ منها ثقاتهم وأكابر قوّادهم ثم

حملت مقدمتهم على مُقدمة بنى حمدان ، فضرب داود بن حمدان بنبلة دخلت من كمّ درعه ، فصرعته وحملت ميمنة يلبق على ميسرة بنى حمدان فقلعتْها وطحنتْها وغَرِق أكثرهم فى دجلة .

ثم حمل يلبق بنفسه ورجاله الذين كانوا فى القلب على قلب عسكر بنى حمدان ، فهزموا مَنْ كان فيه ، واتصل القتل فيهم ، وأُسر ابنٌ لأبى السرايا ابن حمدان وغنم عسكرهم وتفرق جميعهم ، ودخل مؤنس الموصل لأربع خلون من صفر وأعطى أصحابه الصلات التى كان وعدهم بها مع الزيادة ، وصار فى عسكره خلْق كثير من غلمان ابن حمدان ورجاله ، وتوجّه أبو العلاء بن حمدان وأبو السرايا إلى بغداد مستنجدين للسلطان ، وانحاز الحسين بن عبد الله بن حمدان إلى جبال مَعْلَثَايا[1] واجتمع إليه بها بعض غلمانه وغلمان أهله ، فسار إليه يلبق فهزمه وفرق جمعه ، وعبر الحسين إلى الجانب الغربىّ هارباً مفلولاً ، وقلّد يلبق ابنه نصيبين وما والاها ، وانصرف هو إلى موضع يلبق وقلّدها يمناً الأعور ، وقلّد يانساً جزيرة بنى عمر ، وأبا عبيد الله بن خفيف الحديثة .

وبلغ أهل بغداد أخبار مؤنس وغلَبته وفتوحاته ، فأخذ كل مَنْ زال عنه فى الرجوع إليه . واتصل بمؤنس أن جيوشاً اجتمعت للروم ، وفيها بنو ابن نفيس وكانوا قد هربوا إلى بلاد الروم عند خلع المقتدر أوّلا،وأنهم قاصدون مَلَطْية للغارة على المسلمين ، فكتب مؤنس إلى بلد الروم يستدعى بُنىّ ابن نفيس ويَعده ويمنّيه ، ويسألهٌ صرف الروم عن مَلَطْية،فأقبل بُنىّ إلى الموصل وصرف الجيش عن مَلَطْية ، فسرّ به مؤنس سروراً شديداً ، وخلع عليه ، وأكرمه وأنس به ؛ فكان يعاشره ويشاربه .

ووافاه أيضاً بدر الخرشنى من أرْزَن فى نحو ثلثمائة رجل ، فسُرّ به مؤنس ويلبق ومَنْ كان معهما ، وقدم عليهم طريف السُّبكرىّ من حلب فى نحو أربعمائة فارس ، فسُرّوا به أيضاً ، وتوالت الفتوحات على مؤنس ويلبق . فلما طال مقام مؤنس بالموصل ، ودامت فتوحه وعَظُمتْ هيبته ، ابتدأ رجال السلطان اللذين كانوا بالحضرة بالهرب إليه ، وتأكدت محبتهم له ، فكان أحد من جاءه بالدُّوَا غلام ابن أبى الساج —

(١) معلثايا ، بالفتح ثم السكون وبالثاء مثلثة وياء : بلد له ذكر فى الأخبار المتأخرة قرب جزيرة ابن عمر من أعمال الموصل . ياقوت .

وكان بطلاً شجاعاً – فى نحو مائتى فارس ، ولقى بالدُوَا فى طريقه عسكراً للسلطان فكسره ، وأخذ أحمال مال كانت معهم يريدون بها بغداد فجاء بها بالدُوا إلى مؤنس ووهبها له ولرجاله ، ثم استأمنه الحسين بن عبد الله بن حمدان لما ضاقت به الأرض ، وانقطع رجاؤه من أمداد السلطان ، وآمنه مؤنس ، وقدم عليه ، ففرح مُؤنس بقدومه ، وقال له : نحن فى ضيافتك منذ سبعة أشهر على كره لك،فشكره الحسين ولم يزل يخدم واقفاً بين يدى مُؤنس فى درّاعة وعمامة بغير سيف مدة مقام مؤنس بالموصل .

ذكر عزل الوزير الحسن بن القاسم وتقديم الفضل بن جعفر مكانه والتياث الأحوال ببغداد

ولما ظن الوزير أبو الجمال الحسين بن القاسم أنّ الأمر قد صفا له بخروج مؤنس من بغداد ، وأنْ قد تمّ له ما أراد ، وقع فيما تكره ، فكثر عليه الشغب ، واشتدت مطالبة الجند له بالأموال ، وخيّب الله ظنه فيما أراد ، ولازمه الحشم فى دار الخليفة ملازمةً قبيحة ، وأهانوه وأهانوا الخليفة بسببه ، فثقُل على قلب المقتدر ، ولم يزل يقاسى منه كل صعب وذَلول ، فأمر بالقبض عليه فى عَقِب ربيع الآخر ، ولّى الفضل بن جعفر ابن الفرات مكانه ، وقد كان مشهوراً عند الخاص والعامّ بالفضل والعلم والكتابة وترك الهزل واللهو ، وكان هو وأبو الخطاب من خيار آل الفرات . فلمّا صارت إليه الوزارة أظهر الحبّ له والرغبة فيها،فعجب الناس من ذلك ، وقال فيه بعض الشعراء :

أَتطمَعُ فى الّذى أعيا ابنَ مقلَهْ ... وقد أعيا على الوُزَراء قَبلَهْ
وأدْبَرَ أمرُ مَنْ ولّاكَ حتى ... لَمَا نرْجو معَ الأدبارِ مَهلَهْ
كأنكَ بالحوادِثِ قد توالتْ ... عليكَ وجاءكَ المكْرُوهُ جملَهْ

ولمّا خلع على الفضل بن جعفر سار فى خلعه إلى الدار التى بسوق العطش ، فعطش فى الطريق ، واستسقى ماء ، فشربه فأنكر ذلك عليه ، إذ لم يكن فى رسم مَنْ تقدّمه .

وفى مستهلّ جمادى الأولى اجتمع أهل الثغور والجبال إلى دار السلطان ، واستنفروا الناس ببغداد ، وذكروا ما ينالهم من الدّيلم والروم وأن الخراج إنما يؤخذ منهم ومن غيرهم ليصُان به عامة الناس ، ويدفع عدوّهم عنهم،وأنهم قد ضاعوا وضاعت ثغورهم ، واستطال عليهم عدوّهم ورقّقوا القلوب بهذا وأشباهه ، فثار الناس معهم وساروا إلى الجامع بمدينة المنصور وكسروا درابزين المقصورة وأعواد المنبر ، ومنعوا من الخطبة ، ووثبوا بحمزة الخطيب ، ورجموه حتى أدموْه ، وسلَخُوا وجهه ، وجرّوا برجله، وقالوا له : يافاجر ، تدعو لرجل لا ينظر فى أمور المسلمين ، قد اشتغل بالغناء والزنا عن النظر فى أمور الحرمين والثغور يفرق مال الله فى أعداء الله ، ولايخاف عقاباً ، ولاينتظر معاداً . فلم يزالوا فى هذه الحال إلى وقت صلاة العصر ، وفعلوا بعد ذلك مثل فعلهم الأول فى أول جمادى الآخرة ونهضوا إلى باب الوزير الفضــل بن جعفر وراموا كسره ، فرموا بالسهام أعلى الدار، وقتل منهم نفر ، فركب أحمد بن خاقان وتوسّط أمرهم ، وضمن لهم مايصلحهم .

وفى ثمان خلون من رجب نقب الحسين بن القــاسم فى دار الحاجبين نقبا أخرج منه غلمانه ، وأراد الخروج بنفسه ففطن به وقبض عليه ، وحدرإلى البصرة .

ذكر مسير مؤنس إلى بغداد وقتل المقتدر

ولما كثر عند مؤنس من استأمن إليه من قوّاد العراق ورجال الخليفة .وبلغه الاضطرابُ بها ، وأنس إلى الوزير الفضل بن جعفر ، لِمَا كان عليه من ترك المطالبة للناس ، ودارت بين مؤنس وبين الوزير مكاتبات ، ورجا الوزير أن تُصلِح الأحوال بمجىء مؤنس ويتأيّد به على قمع المفسدين ، ويتمكّن بحضوره من صلاح أمور الخليفة التى قد اضطربت ، فراسل مؤنساً فى القدوم ورغّبه فى الصّلاح ، وجَنَح مؤنس إلى ذلك ورغب فيه ، ورجا مالم يعنه المقدار عليه . فخرج مؤنس من الموصل يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة بقيت من شوال بعد أن ضمّ إلى نفسه قواده ورجاله ، وقلّد مَنْ وثق به الموصل ونصيبين وبعَرْبايا وسائر الأعمال فى تلك الناحية ، فلمّا

انتهى مؤنس إلى البَرَدان ، خرج إليه القواد وغيرهم مستأمنين إليه ، مثل مفلح وبدر الحمال وأبو على كاتب بشر الأفشيني وابن هود وجماعة . وبقى الغلمان الحجرية على الوزير وابن الخال فى الشعيبى يطالبونهما بالمال والزيادة لما علموا به من إقبال مؤنس ، وكتب مؤنس إلى المقتدر كتباً يقول فيها : لستُ بعاص لأمير المؤمنين ولا شققت عصاه ، وإنما تنحيّت عنه لمطالبة أعدائى لى عنده ، وقد جئت إلى بابه برجاله ،وليس مذهبى الفتن ولا إراقة الدماء ، وقد بلغنى أن مولاى يُحمل على محاربتى ، ولا حظّ فى ذلك للفريقين ، بل فيه الشتات والفُرقة وذهاب العدد وحدوث البلاء ، وفناء الرجال ، فيأمر مولاى للجند الذين معى بأرزاقهم فتُدفع إليهم ، ثم يصيرون إليه وتطيب نفوسهم عليه .

فأصغى المقتدر إلى قوله وسُرّبه ، وقيل إنه اصطبح مفلح وابن الخال فى دورهما سروراً بذلك. ثم قال للمقتدر ابنا رائق وياقوت ومفلح وغيرهم ، ممّن كان يكره مؤنساً ، ولا يريد رجوعه : هذا عجز منك ، ونقص بك ، ولعلّها حيلة عليك وخدعة لك،وحمِل على إخراج مضاربه إلى باب الشّماسية والعزم على قتاله ، وقالوا له : لو قدرآك كلّ من مع مؤنس لانصرفوا عنه ، وتركوه وحده ، وأخذوه فى ذلك بالوعيد والترهيب ، فأخرج المقتدر مضاربه إلى الشمّاسية يوم الثلاثاء لأربع بقين من شوال وخرج بنفسه يوم الأربعاء لثلاثٍ بقين منه بعد أن توضّأ للصلاة ، وبرز إلى دار العامة ، فصلّى بها ، وكان كارهاً للخروج ومتثبّطاً فيه ، وإنما خرج مكرَهاً حتى لقد حُدّثت بأنهم قالوا له : إن خرجتَ معنا إلى حرب مؤنس وإلا تقرّبنا بك إليه . وحدث ذكىّ عن المقتدر أنه رأى فى الليلة التى خرج فى صبيحتها إلى مؤنس كأن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول له : ياجعفر ، اجعل إفطارك الليلة عندى ، ففزع له وحدّث به والدته ، فجهدت به ألا يخرج ، وكشفت عن ثدييها ، وبكت ، فغلب القضاء ونزل البلاء .

قال : فحدثنى أحد خلفاء الحجـاب ممن أثق به ، قال : رأيت المقتدر قبل خروجه إلى مؤنس فى دار العامة وابن رائق يستحثّه ويقول له:عجّل ياسيدى ليراك الناس ، فقال له : إلى أين أعجل ياوجه الشؤم !

قال: وحدثنى ابن زعفران عن تكين الخادم أن المقتدر لما عمل على الخروج

إلى مؤنس لبس ثيابه ، وجلس على مسوّرة وقال لأمه : يا أمه أستودعك الله هذا يوم الحسين بن علىّ،ثم تمثل بقول علىّ بن الرومى :

طَأمِنْ حَشَاكَ فإن دَهرَكَ مُوقعٌ بك ماتحبٌّ من الأمور وتكرهُ
وإذا حَذِرْتَ من الأمورِ مقدَّراً فهربتَ منه فنحوَهُ تتوجّهُ

قال : وأخبرنى جماعة من أهل بغداد ممّن عاين المقتدر خارجاً من داره وقد شق المدينة يريد رقّة الشمّاسية ، فقالوا : كان عليه خفتان ديباج فضّى تستَرىٌّ ، وعليه عمامة سوداء مصمت والبردة التى كانت للنبى صلّى الله عليه وسلم على كَتِفَيْه وصدره وظهره ، وهو متقلّد بذى الفقار سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحمائله أدم أحمر ، وفى يده اليمنى الخاتم والقضيب ، وتحته الفرس المعروف بالإقبال ويعرف بالقابوس ، لأنّ أبا قابوس أهداه إليه،وعلى الفرس سَرْج مغربى أحمر ، بحلية جديدة ، وتحت فَخِذه الأيسر سيف للركاب وبين يديه ابنه أبو أحمد عبد الواحد عليه خفتان ديباج رومى منقوش ، وعمامة بيضاء ، وخلفه وزيره الفضل بن جعفر بن الفرات ، وقدامه لواء أبيض وراية سوداء يحملها ابن نصر اللّلابىّ،واللواء يحمله أحمد بن خفيف السمرقندى ، وعَلَمان أبيضان وعَلَمان أصفران ، يحملها الأنصار ومعهم رماح فى رءوسها مصاحف ، وسار المقتدر على حاله هذه حتى وافى الرّقة بالشماسية ، وقد وقعت الحرب بين العسكرين ، وكان الظهور أول النهار لعسكر المقتدرَ ثم عادت بعد ساعة لأصحاب مؤنس عليهم ، فأُسِرَ أبو الوليد بن حمدان وأحمد بن كيغلغ وكانا فى ميمنة المقتدر فى جماعة من قواد بغداد،فثبتا بأنفسهما لما خان المقتدرَ من كان حوله ، حتى أخذا أسيرين ، وكانا فى القلب من عسكر مؤنس بدر الخرشنى وعلىّ بن يلبق ويُمْن الأعور وبإزائهم المقتدر وعبد الواحد ابنه ومفلح الأسود ، وشفيع المقتدرى ، وابنا رائق ، وهارون بن غريب الخال ومحمد بن ياقوت والحجرية ، وكان فى ميمنة مؤنس يلبق ويانس المونسىّ وغلمان يلبق ومَن استأمن إليهم من عسكر بغداد .

فلما اشتدّت الحرب انكشف ابن يلبق قليلاً،فراسله أبوه بالتوقف والانحياز إليه ، وأرسل إلى ميمنته بأن يحملوا ، فحملوا وأخذوا على شطّ دجلة ليخرجوا فى ظهر عسكر المقتدر ، فتشوش العسكر ، وحمل يلبق وابنه ومَنْ كان معهما حملة

واحدة، فانهزم جميع مَنْ كان مع المقتدر حتى لم يبق إلا هو وحده ، ولم يُقْتَلْ بين يديه من غلمانه وأوليائه أحد إلا رجل من خلفاء الحجاب ، يقال له رشيق الهرويّ وقد كان المقتدر لما رأى الحرب قد وقعت بين عليّ بن يلبق وبين ابن الخال وابن ياقوت أراد العدول إلى المضرب ، أو إلى الحرّاقة [1] فلقيه سعيد بن حمدان ، فقال له: يا أمير المؤمنين ، قد وقعت العين على العين ؛ فإن رآك مَنْ حولك قد زلْت انهزموا وانفلّوا فرجع إلى المصافّ وذلك وقت صلاة الظهر ولم يكن فى موكبه أحد من أهله إلا هارون بن عبدالعزيز بن المعتمد على الله وعبدالعزيز بن عليّ بن المنتصر بالله وإبراهيم بن قصيّ بن المؤيد بالله وإبراهيم بن عيسى بن موسى بن المتوكل على الله .

وكان أوّل من انهزم من أصحابه الحجرية ثم سائر الناس ، وحمل عبد الواحد بن المقتدر فى جماعة من الرجّالة عدة حملات ، فأسِر مِنْ رجال مؤنس يلبق النعمانى الصفعان ، وكان فارساً جيداً،فأرادوا قتله فنهاهم المقتدر عنه،ولم يزل ابن ياقوت فى ذلك اليوم ثابتاً بعد أن انهزم ابن الخال ، وأبْلَى بلاء حسناً . فلمّا لم يجد ابن ياقوت مساعداً انهزم وانهزم عبدالواحد بن المقتدر،وبقى المقتدر وحده وحوله جماعة من العامة وهو يحضّ الناس على القتال ، ويسألم الثبات معه ، ويتوسّل إليهم بالله وبنبيه وببردته ، ويمسح المصحف على وجهه إلى أن أقبل موكب عليّ بن يلبق — وكان قد أصابته جراح فى الحرب فلم يهن لها — وأقبل معه فارس تحته فرس أدهم ، وعليه درع على رأسه زَرَدِيّة ، فضرب المقتدر ضربة بالسيف فى عاتقه الأيمن ، فقطعت الضربة طاقاً من حمائل السيف ، وأثخنْته الضربة ، وكان السيف بيد المقتدر مجرداً وقد كان نافع صاحب ركاب مؤنس ضرب بيده إلى عنان دابة المقتدر ليسيربه إلى مؤنس ، فلمّا ضربه الفارس خلّى نافع عنانه ، ومضى الفارس بعد أنْ ضربه ولم يقف عليه ، ووافى بعد هذا الفارس ثلاثة فوارس ، يقال لأحدهم: بهلول ، وللثانى : سيمجور ورفيق لهما لم أحفظ اسمه ، فوقفوا بالمقتدر يخاطبونه ويسمعون منه ، فأخــذ أحدهم السيف من يده وانتزع الآخر البردة والخفتان[2] منه ، وطالب الثالث بخاتمه فدفعه إليه ، وكان الخاتم ياقوتاً أحمر مربّعـاً ، فضربه أحد الثلاثة بالسيف على جبينه فآلمه

---

(١) الحراقة : نوع من السفن ، كان على عهد بنى العباس .

(٢) الخفتان : لفظ فارسى محض ، وهو ثوب قطن يلبس فوق الدروع . أدى شير .

فأخرج المقتدر كمّ قميصه ليمسح الدم عن وجهه،فضربه الآخر ضربة ثالثة ، فتلقاها المقتدر بيده اليسرى،فقُطعت إبهامه وانقلبت الإبهام إلى ذراعه ، وسقط إلى الأرض ، واجتمعت عليه جماعة رجالة فاحتزّوا رأسه ، وحُمل إلى مؤنس وذلك يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من شوال سنة عشرين وثلثمائة، وكان الذى حمله سراج البكتمرى .

فلما نظر إليه مؤنس اشتد جزعه ، وغمه وناله عليه أمر عظيم .

وقيل : إن الذى قتل المقتدر نقيط غلام مؤنس ، وأن جثته بقيت مجردة ، فطرح بعض المطوّعة على سوءته خرقة ثم أخذها رجل من العجم ، وألقى عليها حشيشاً ، إلى أن حُملت الجثة إلى مؤنس،فأضاف إليها الرأس وسلّمه إلى ابن أبى الشوارب القاضى ليتولّى أمره ، فقيل إنه دفن مع أبيه ، وقيل إنه دفن فى رَقّة الشماسية ، وقيل أيضاً إنه طرح فى دجلة،ولم تزل الرعيّة يصلّون فى مصرعه ويدعون على قاتله . وبنى فى الموضع مسجد وحظيرة كبيرة . وكان عمر المقتدر يوم قتل ثمانيةً وثلاثين سنة وشهر وستة أيام وكانت ولايته الخلافة أربعاً وعشرين سنة وأحد عشر شهراً .

وولد أبا العباس الراضى محمداً والعباس أبا أحمد ، وهارون أبا عبد الله ، وعبد الواحد أبا علىّ وإبراهيم أبا إسحاق المتقى ، والفضل أبا القاسم المطيع ، وعلياً أبا الحسن ، وإسحاق أبا يعقوب وعبد الملك أبا محمد وعبد الصمد . ولم يذكر الفرغانى جميعهم وإنما ذكر ستة منهم .

وبقى مؤنس فى مضاربه بباب الشمّاسية ، ولم يدخل بغداد حتى أقام القاهر للخلافة . واستأمن إليه القواد المنهزمون عن المقتدر ، فآمنهم وانقطع الطلب عن جميعهم وسكّن الناس ، وهدّنهم وأظهر الأسف ، لما دار فى أمر المقتدر وجمع القواد للمشورة فى الخليفة بعده ، ودار الرأى بينهم فى ذلك .

وأمر مؤنس بإحضار بلال بواب دار ابن طاهر التى كان فيها أولاد الخلفاء ، وسأله عمّن فيها من أولاد الخلفاء ، فذكر جماعة فيهم محمد القاهر ، فمال هواهم إليه — وكان مؤنس قد كرهه ونهاهم عنه — فقالوا : هو كهل ، ولا أمّ له ، ونرجو أن تستقيم أمورنا معه ، فأطاعهم فيه،وأجابهم إليه وأحضروه على ماسيقع بعد هذا ذكره .

قال : وحدثنى أبو الفهم ذكىّ أن رشيقاً الأيسر وكان الذى أقبل بالقاهر

من دار ابن طاهر لولاية الخلافة ، وكانُ مقدّماً على الحرم،حكى له بأنّ رأيهم اجتمع بعدمفاوضة طويلة على القاهر وعلى أبى أحمد بن المكتفى .

قال ذكىّ : ووجّهونى فيهما ليتكلم مؤنس مع كلّ واحد منهما خالياً ، فمن ظهر لهم تقديمه منهما قُدِّم ، فتوجّه ذكىّ فيهما ، فلما صار بهما فى بعض الطريق قال القاهر لأبى أحمد بن المكتفى : لستُ أشكّ فى أنّا إنّما دعينا لتعرض على كلّ واحد منا الخلافة ، فعرِّفنى بما عندك ، فإن كنت راغباً فيها أبيت أنا منها ، إذا دعيتُ إليها ثم كنتُ أوّلَ من يبايعك ، فقال له أبو أحمد : ما كنتُ بالذى أتقدّمك ، وأنت عمى وكبيرى وشيخى ، بل أنا أوّلَ مَنْ يبايعك .

فلما تحقق عند القاهر مذهبُه بنَى أمره عليه ، ثم لما صار إلى مؤنس وحاشيته بدءوا بمخاطبة أبى أحمد لفضل كان فيه،وعرَضوا الأمر عليه فأبى مِنْ تقلّده ، ولم تكن رغبتهم فيه ثابتة إذ كانت له والدة ، وقد علموا ما كانت تحدّثه والدة المقتدر فى الخلافة . فعقدوا الأمر للقاهر بالله .

قال : وذكر لى ابن زعفران أنه حضر ذلك ، وأنّ القاهر أُجلس فى خيمة بإزاء خيمة مؤنس،ولم تزل المراسلات بينهما الشروط متّخذة على القاهر إلى أن أجاب إلى جميعها إلا النفقة التى كلّفوه للجند على البيعة فإنه ذكر ألّا مال له فعذروه .

قال : ولم يكن عليه يوم أُحضر للبيعة إلا قميصان ورداء،فطلب مايلبس من الثياب التى تشاركه للجلوس للعامة ، وسيف ومنطقة ، فلم يوجد مايصلح لذلك ، فنزع جعفر بن ورقاء ثيابَه التى كان يلبسها ، ولبسها القاهر،وهى عطاف وعمامة ومنطقة وسيف بحمائل ، ثم قعد فى الخيمة وسلّموا عليه بالخلافة ، وبويع له على ماسيأتى ذكره .

ذكر البيعة لمحمد القاهر بالله

وهو محمد بن أحمد المعتضد بن طلحة الموفق بن جعفر المتوكل ، وكنية محمد القاهر أبو منصور ، وكانت أمه تسمىّ بقَبُول ، وبويع بالخلافة يوم الخميس لليلتين بقيتا من شوال سنة عشرين وثلثمائة،وهو ابن خمس وثلاثين سنة ، وذلك أنه لما أحضِر من دار عبدالله بن طاهر التى كان فيها مع أولاد الخلفاء ، ودار بينه وبين مؤنس المظفر ماتقدّم ذكره من الشروط ، وتمّ الأمر بينهم ، انحدروا به إلى دار الخلافة ، فى اليوم المؤرخ ، فلما دخلها دعا بحصير فصلّى أربع ركعات ، وجلس على سرير الملك . ولقّب القاهر بالله .

وحضر عبيد الله بن محمد الكلواذىّ فاستخلفه على الوزارة لمحمدبن علىّ بن مقلة إذ كان غائباً بفارس ، وأمر بأن تكتب الكتب إلى العمّال باسم ابن مقلة ، وولّى الحجابة علىّ بن يلبق ، ولم يمكنه الحضور لجراح كانت به ، فخلّف على الحجابة بدر الخرشنى ، وقُلّد أحمد بن خاقان شرطة الجانبين .

ولما كان يوم الاثنين لليلتين خلَتا من ذى القعدة ، بعث القاهر فى أولاد المتوكل على الله وغيرهم من أبناء الخلفاء وأبناء أبنائهم ، فأوصلهم إليه واستدناهم ، وأمرهم بالجلوس ، وأخذ عليهم الكلواذى البيعة ، وخاطبه هارون بن عبدالعزيز بن المعتمد بعد أن صافحه وهنأه ودعا له ، فقال : قد نالت يا أمير المؤمنين أهلك جفوة أضرتْ بهم وأثّرت فى أحوالهم ، وليس يسألون أقطاعاً وردّ ضيعةٍ،وأحوالهم تصلح بإدرار أرزاقهم ، فقال : أنا آمر بإدّرارها ، ولا أقنع لكم بها ، وقد كان يتصل بى من أمركم مايغمّنى،فشكرتْه العامة على هذا القول،وتكلم منهم أبو عبدالله محمد بن المنتصر ودعوا له جميعاً .

ثم إن القاهر أظهر فى أوّل قعوده فى الخلافة من الجدّ وبعد الهمة والاختصار والقناعة ماهابه به الناس ، وأراد قطع ثوب يلبسه ، فحمِل إليه من داره ، فقيل له : لو أُخِذلك ثوب من خزانة الكسوة ، فقال : لاتمسّوا لهم شيئاً،وعرضت عليه صنوف

الألوان والحلواء والفواكه التى كانت توضع بين أيدى الخلفاء فى كلّ يوم فاستكثرها ، وقال فى الفاكهة:بكم تبتاع هذه كلّ يوم ؟ فقيل له : بثلاثين ديناراً ، فقال : نقتصر من ذلك على دينار واحد ومن الطعام على اثنى عشر لوناً،وكان يصلح لغيره كلّ يوم ثلاثون لوناً من حلواء ، فاقتصر على الكافى له .

وفى يوم الخميس لخمس خلوْن من ذى القعدة حمل أبو العباس وأبو عبدالله ابنَا المقتدر مع أمهما إلى دار عبدالله بن طاهر بعد عَتَمَة .

وفيه طولبت أم المقتدر بالأموال وضُربت وعلّقت ؛ قال الفرغانى:حدثنى أبو الحسين ابن العجمى قال حدثتْنا ذلفاء المنجمة التى كانت مع المقتدر ، قالت : لما أراد المقتدر الخروج لمحاربة مؤنس قال لأمه : قد ترين ماوقعتُ فيه وليس معى دينار ولا درهم ، ولا بدّ من مال يكون معى ، فأعينينى بما معك ، فقالت له : قد أخذتْ منى يوم سار القرمطى إلى بغداد ثلاثة آلاف ألف دينار ، وما بقيت لى بعدها ذخيرة إلا ما ترى ، وأحضرته خمسين ألف دينار ، فقال المقتدر : وأى شىء تغنى عنى هذه الدنانير ؟ وأىّ مقام تقوم لى فى عظيم ما أستقبله ؟ ثم قال لها:أما أنا فخارج كيف كنت وعلى ما استطعت ، ولعلّى أقتل فأستريح ، ولكن الشأن فيمن يبقى بعدى،ويقبَض عليها ويُعذّب ويعلّق فى هذه الشجرة دراجيّة . فقالت ذلفاء : وكانت فى بعض دور الخلافة شجرة فوالله لقد قُبِض على أم المقتدر وعلِّقت فى تلك الشجرة بعينها .

وفيه ضُرِب شفيع وطُولب بمال ، وصيّر بيع أملاكه إلى بشرى الخادم ، فضاع أكثر ذلك ، وقُبض أيضاً على أسباب خالة المقتدر، وقُبض على شفيع المقتدرىّ ، وسلّم المطبخ والبساتين إلى رشيق الأيسر الحرمىّ ، وسلّم البريد والإصطبل إلى علىّ بن يلبق ، وصرِف أحمد بن خاقان عن الشُّرْطة فى الجانبين وقلّدها يمن الأعور وقُبض الأعور ، وقبض على يانس الخادم ، ولم تزل الأمور مضطربة بقلة المال ومطالبة الجند بالأرزاق ومطالبتهم بمال البيعة حتى إنهم شغبوا واجتمعوا إلى باب الخليفة،ودخلوا إلى الدهليز الشعيبى من باب العامة وفتح السجن وحُورب الموكّلون عليه ، وأيّدتهم العامة على ذلك ، فخرج يمن الأعور وأخذ رجلاً من العامة وضربه بالسياط وصلبه ، فتفرّق العوام ، وزاد أمر الجند شغَباً وجداً فأرسل القاهر إليهم : ليس

عندى مال ، والمال عند يلبق ، وأوصى القاهر إلى مؤنس إمّا أن يُرْضى يلبق الرجال ويكفّهم عنّى وإلا اعتزلت ، فليس على هذا الشرط تقلدت .

وقدِم ابن مقلة بغداد لتسع خَلَوْن من ذى الحجة وخلع عليه وقعد ودفع إلى الجيش الذى بالحضرة عن البيعة لكلّ واحد منهم رزقاً واحداً ، وللجند أصحاب مؤنس ثلاثة أرزاق لكلّ واحد . ثم إنّ ابن مقلة بسط يده على الناس فأخذ أموالهم ، وقبض على عيسى الطبيب ، فأخذ أملاكه ، ثم بدأ فى بيع أملاك السلطان وأخذ المال من حيث لاح له ، وابتدأ بإنشاء داره ، وأدخل فيها من بستان الزاهر نحو عشرين جزيباً ، ونقض دور بنى المقتدر ، واستولى ابنُ يلبق وحاشية مؤنس على القاهر ؛ حتى صار لايجوز له أمرٌ ولا نهى إلا على أهل بيته ، وأولاد المقتدر المحبوسين عنده .

قال : وكان القاهر مستهتراً بالشراب لايكاد يُفيق منه ، فإذا شرب أقبل إلى أولاد المقتدر وإلى الراضى وإخوته ، وكان قد أخذهم وضمّهم إلى دار تعرف بالفاخر ، وأحضر أبا أحمد بن المكتفى واعتقله معهم ؛ فكان القاهر يدخل عليهم بالليل ويتخلّق لأولاد المقتدر ولأبى أحمد بن المكتفى ، ويسقيهم بيده ، وكان يقول للراضى : أنت المرشّح للأمر ، والمسمى له ، ثم يومى إليه بحربة كانت فى يده ، وبما قفع أصابعه بقضيب كان معه ، والراضى فى كلّ ذلك لايخضع له ولا يقبّل يده ، والمقادير تدفعه عنه ، وأقام علىّ بن يلبق وهو الحاجب يفتّش جميع ما يدخل الدار على القاهر ويضيّق عليه ، والقاهر فى ذلك يزداد غضباً وكمداً . ثم إن الراضى دسّ إلى يلبق وابنه وأهدى إليهما جوهراً وعرّفهما أنه وإخوته خائفون على أنفسهم من القاهر ، وسألهما تخليص هؤلاء المحبوسين من يده . فأجمع رأى يلبق وابنه على تخليصهم،وقعد يلبق فى بعض العشايا فى بعض مجالس الدار وأخرجهم على غيبة ، وأخرج الجدة معهم ، وكان القاهر قد سامها سُوء العذاب ، وطالبها بالأموال ، فوجّه بهم إلى داره،وأفرد لهم موضعاً فى دار حرمه، وماتت الجدة بها،فكفنها فى أحسن كفن،ودفنها بشارع الرصافة .

وفيها صُرِف أبوعثمان أحمد بن إبراهيم بن حماد عن القضاء بمصر .

وقلّد القضاء بها عبدالله بن أحمد بن زيد .

وفى ذى القعدة من هذه السنة ورد الخبر بمصر بقتل المقتدر،فاضطربت الأحوال

بها ، وشغَب الجند ، ووكّل التجار وطُولبوا بالأموال ، وشغب الجند على تكين وطالبوه بمال البيعة ، فجمع التجار بمصر واستسلف منهم الأموال بسبب البيعة على أن يطالب بدم المقتدر .

وحج بالناس فى هذه السنة أبوحفص عمر بن حسن الهاشمى .

* * *

وهذا ما انتهى إلينا من هذا التاريخ والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد المصطفى وآله الطاهرين الطيبين وسلم تسليماً .

فرغ من نسخه الفقير المشكر المعترف بذنبه يحيى بن يوسف بن يحيى بن منصور ابن المعمر بن عبد السلام الزريرانى فى شهر ربيع الآخر من سنة سبع وعشرين وستمائة .



الفهارس العامة

١ ـ فهرس الموضوعات

الصفحة

الصفحة

٢ – فهرس الأعلام

غ

ف

ق

ك

ل

م

٣-فهرس القبائل والأمم والجماعات

٤ـ فهرس الأماكن

ر

ز

س

ش

ص

ط

٥—فهرس الأشعار

القافية	البحر	القائل	عدد الأبيات	الصفحة
		ع		
ساعَةْ	وافر	–	٣	٤٣
متفرّعَةْ	كامل	الحلاج	٣	٨٦
		ف		
الحيفِ	هزج	الحلاج	٤	٩٣
تنصفْ	مجتث	–	٨	٩٥
		ق		
الصدقَةْ	منسرح	–	٣	٦٦
الفراقِ	رمل (مجزوء)	الصولى	١٦	١٠٥ ، ١٠٦
دركُ	بسيط	الحلاج	٤	٨٦
		ل		
قبلَه	وافر	–	٣	١٤٧
حالِ	وافر	–	٣	٥١
		م		
لايرامُ	رمل (مجزوء)	بعض الصوفية	٢	٨٨
المظلومُ	خفيف	الصولى	١٨	١٣٤
		ن		
ظنّا	خفيف (مجزوء)	بعض شعراء بغـداد	٨	٣٠ ، ٣١
وماجنى	خفيف (مجزوء)	الحلاج	٢	٨٧
البنيان	كامل	–	٢	٥٨
فاسقنى	خفيف (مجزوء)	ابن ياقوت	١	١٣٨
		هـ		
مافيها	بسيط	الحلاج	٤	٨٦

تكملة تاريخ الطبرى

لمحمد بن عبد الملك الهمذانى



بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله وسلّم

أمّا بعد الحمد لله الّذى وفّقنا لهدايته ، ووهب لنا التّمسُّكَ بشريعته ، والصلاة على نبيّه محمد ، الّذى اختاره لرسالته ، وفضّله بنبوءته ، صلّى الله عليه وعلى آله وصحابته .

والدّعاء لمن الدّنيا مهنّأة بمصادفة سلطانه ، والفضائلُ مستفيدةٌ من تيامُن إحسانه ، والدهر مفتخرٌ بحصول عنانه فى يديْه ، ومُثوله فى جملة العبيد لديه ؛ سيدنا ومولانا الإمام المستظهر[1] بالله أمير المؤمنين ؛ لا زال سلطانُه باذخَ المكان ، راسخ الأركان . وأيّامه رفيعة العماد ، منيعة البلاد . ليؤرِّخ من مناقبها ما لا تتعلّق النّجوم بأذياله ، وتقصُر عينُ الزمان عن شماله .

فإنّ علم التاريخ ، رغِب فى الاطّلاع عليه سادةُ الأمم والقبائل ، وأهلُ المحامد والفضائل ؛ الأئمةُ من ولد العباس رضوان الله عليهم ، وهم الأسرة الطاهرة ، والدَّوحة الزاهرة ، هداةُ الأعلام ، وشموس الإسلام ، وكانوا أكثرَ الخلق رواية لمَنْ تقدّمهم ؛ وآثار مَنْ كان قبْلَهم ؛ فما كان فى ذلك من استقامة فى الأحوال كان بالنّعم مذكراً ، وما شاهدوا فيه من الاختلال كان منبِّهاً ومنذراً .

وقد رُوِى أن رجلا سأل سعيدَ بنَ المسيّب رحمة الله عليه ، فقال : رأيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم فى منامى ، فقال له : يا هذا إنّ الله بعث نبيَّه صلى الله عليه وسلم بشيراً ونذيراً ، فمنْ كان على خير بشّره وأمره بالزيادة ، ومَنْ كان على شرٍّ حذّره وأمره بالتوبة .

والاطّلاعُ فى أخبار الناس ، مرآة الناظر ، تصدق عن المحاسن والمقابح ، ويهذِّب ذوى البصائر والقرائح . وبها يذكِّر الله تعالى من عباده ما يراه أهلاً لذكره ، ومستوجباً لكريم ثوابه وأجره .

---

(1) المستظهر بالله أبو العباس أحمد بن المقتدى بالله ، ولى الخلافة بعد موت أبيه سنة ٤٧٠، وتوفى سنة ٥١٢ . تاريخ الخلفاء ٤٢٦ .

هذا المنصور رضي الله عنه ، وهو بازل[١] الأئمة ، وكافل الأمة ، قال لأصحابه : الملوك أربعة : معاوية وكفاه زيــاده ، وعبد الملك وكفاه حَجّاجه ، وهشام وكفاه مواليه ، وأنا ولا كافيَ لى ، وإجماله لذلك استنهاض منه لهم على معرفة أخبارهم .

وهذا المهدىّ رحمة الله عليه ، لما حجّ فى سنة ستين ومائة جعل ينظر إلى بناء الوليد بن عبد الملك ، وأخبَرَ أصحابه بسيرته فى بنائه ، وأنّ الناس لهجوا فى أيامه بالبناء ، وشرح لهم أمور بنى أمية حتّى أخبرهم باحتجاج الوليد بن يزيد على هشام ، حين أنكر عليه الإسراف فى ثمن عمامته ، فقال له : أنتَ ابتعتَ جاريةً بأضعاف ذلك ، لأخسّ أطرافك ، فما تُنكر من ابتياعى هذه لأكرم أطرافى !

وأُخبر عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، قال : لو كنتُ فى قَتَلة الحسين بن علىّ عليهما السلام ، ثم أمِرت بدخول الجنة لم أفعل حياء أن تقع عينى فى عين محمد صلى الله عليه وسلم .

وهذا الهادى[٢] رضوان الله ، أُخبرَ عن السِّندىّ بن شاهك ، قال : كنتُ معه بجُرجان فسمع بين بساتينها صوتَ رجلٍ يتغنّى ، فأمر بإحضاره ، فقلت له : ما أشبه قصّة هذا الجانى بقصّة صاحب سليمان بن عبد الملك ، فقال : وما ذاك ؟ فقلت : خرج سليمان فى مَتْنَزهٍ له مع حَرَمه[٣] ، فسمع صوتَ رجل يتغنّى ، فدعا صاحب شُرْطته ، وقال : علىّ بصاحب الصوت ، فأُتِيَ به ، فقال له : ما حملك على الغناء وأنت على القرب منى ، وبجانب حَرَمى ؟ أما علمت أن الفرس يصهل فتستأْتِي[٤] له الرِّماك[٥] . وأنّ الحمار ليُعَشِّر[٦] فتودق له الأُتن[٧] ، وأنَّ التَّيس ليهب[٨] فتُزْعَجُ له الغنم ، وأنّ

(١) فى الأصل : « باذل » بالذال تحريف . وهو الرجل الكامل فى تجربته .

(٢) فى الأصل : « المهدى » ، وهو خطأ ، والخبر فى تاريخ الطبرى ٨ : ٢٠٤ ، والكامل للمبرد ٢ : ٢٦٠ ورغبة الآمل ٦ : ١٥ ، مع اختلاف فى الرواية .

(٣) حَرَم الرجل : ما يقاتل عنه ويحميه .

(٤) فى الأصل : « فتستفيء » تصحيف ، ويقال : استأتت الدابة ؛ إذا أرادت الفحل .

(٥) الرِّماك : جمع رَمَكَة بالتحريك ، وهى الفرس .

(٦) عشر الحمار : تابع النّهيق .

(٧) الأُتن : جمع أتان ، وهى أنثى الحمار . وتودق : تريد الحمار .

(٨) فى الأصل : « الييس » تحريف ، وفى اللسان : « الهَبّة : هياج الفحل ، وهبّ التيس يهبّ هبًّا وهباباً وهبيباً ، وهبهب : هاج ونبّ للسِّفاد » .

الرجل ليغنّي فتغتلم[1] المرأة . يا غُلام جُبّه ، فجبّه . فلما كان فى العام المقبل رجع سليمان إلى ذلك المنزل ، فذكر الرجُلَ وما صنع به ، فقال لصاحب شرطته : علىَّ بالرجل الّذى جببتَه إن كان حيًّا . فأتاه به ، فقال له : أما بِعْت فوفّيناك ، وأمّا وهَبْت فكافأناك ! فما دعاه الرجل إلا باسمه، وقال : يا سليمان ، قطعتَ نسلى ، وذهبتَ بماء وجْهى ، وحرمتَنى لذّتى ، ثم تقول : أمّا بعت وأمّا وهبت ! لا والله حتى أقِفَ بين يدى الله عز وجل ! فقال الهادى لصاحب الشُّرطة : لا تعرضْ للرجل .

وكان الرّشيد رضوان الله عليه فى بعض أسفاره ، وقد نزل الثّلج فآذاه ، فقال له بعض أصحابه : إلى متى سهرُك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : اسكتْ ، للرعيّة المنام ، وعلينا القيام ، ولا بدّ للراعى من حِراسة الأغنام .

وقد روى قَطِن بن وهب ، عن أبيه ، أن عمر بن الخطاب أميرَ المؤمنين رضى الله عنه اجتاز فى بعض أسفاره على صاحب غنم ، فقال : ياذا الرجل ، إنّ كلّ راعٍ مسئول عن رعيّته ، وإنّى رأيتُ فى المكان الفلانى عُشباً أمثَلَ من مَوْضِعك . ثم أثنى علَى عمر رضى الله عنه ، وذكَر سيرتَه ، يقول الشاعر فيه :

غَضِبتْ لغضبتك القواطعُ والقَنَا ... لمَّا نهضْتَ لنُصْرَةِ الإسلامِ
ناموا إلى كنفٍ لعدْلك واسعٍ ... وسهِرْتَ تحرُسُ غفلة النُّوَّامِ

ولو تتبّعتُ أمثالَ هذا لأطلت ، ولم أرَ أجمعَ لهذا العلم من كتاب محمد بن جرير الطبرى ، فرأيتُ أن أضيف إليه مجموعاً عوّلت فيه على ما نقلتُه من تصانيف المؤرّخين وتآليف المحققين كالصّولىّ[2] والتّنوخىّ[3] والخطيب أبى بكر أحمد بن ثابت[4]

(١) تغتلم المرأة : تغلبها شهوتها .

(٢) هو محمد بن يحيى بن عبد الله المعروف بأبى بكر الصولى صاحب كتاب الأوراق فى أخبار آل العباس وأشعارهم وكتاب الوزراء وأخبار الشعراء كأبى تمام والبحترى وأبى نواس وابن هرمة توفى سنة ٣٣٥ . ابن خلكان ١ : ٥٠٨ .

(٣) هو القاضى المحسّن بن على التنوخى صاحب كتاب جامع التواريخ المسمى نشوار المحاضرة وكتاب الفرج بعد الشدة . توفى سنة ٣٨٤ . ابن خلكان ١ : ٤٤٥ .

(٤) أحمد بن على بن ثابت المعروف بالخطيب ، صاحب كتاب تاريخ بغداد . توفى سنة ٤٦٣ . ابن خلكان ١ : ٣٢ .

المحدّث وأبى إسحاق الصّابى(١) وأولاده وابن سنان(٢) وغير هؤلاء ، وأضفتُ إلى ذلك ما حفظتُه من شعر الشُّعراء وحكايات العلماء. تشهد بالحال، واختصرته بجَهْدى ، ولخَّصْتُهُ بحسب طاقتى، واقتصرت فيه على الأمور المشهورة، والأحوال السائرة المأثورة .

وختمتُه ببيعة سيدنا ومولانا الإمام المستظهر بالله أمير المؤمنين، الّذى قضى حقّ الله فى بريّته ، وارتسم أمرُه فى رعيّته. فمَنْ نظر فى فضائلة ، داوَى فكرَه العليل، وشَحَذ طبعه الكليل ، وما من أحد أُوتِىَ ذخيرةَ تحصيل ، وبصيرةَ رأى أصيل ، يبدع فى تدوين مناقبه ، ولا يُغرب فى إثبات فضائله ؛ ومَنْ قصّر فى جَمْعِها ، فله فى إنعام المتأمِّل لذلك مجال يحرسه عن ألم التقريع وثقته تُفصح الناظر ، وتُغْنِى عن التّبذّل والمعاذير .

فالرّغبة إلى الله تعالى فى أن يمدّ ظلال أيامه الّتى بها اعتدَل المائل ، وارتدع الجاهل ، وأمِنَ السَّابل ، وقصّر المتطاول ، وأن يجعل له من سيدنا ومولانا عمدة الدين عَضُداً ينوء بقوّتها ، ويداً تسْطو ببسطتها ، وأن يبلغه منه قاصية الإيثار . وينيلَه منه غاية الاختيار. وتبديد أعدائه تحت الذلة والصَّغار ، والخيبة والخسار ، لا يعتصمون بعصمة إلا أباح الله حَوْزتَها ، ولا يعتضدون بفرقة إلاّ شتتَ الله كلمتَها .

ومَنْ نظر فى عزمات سيدنا ومولانا الإمام المستظهر بالله أمير المؤمنين رضوان الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين ، علم أنها تأتى بما لم تَقرَع الأسماع من قبلها ، ولا عُثِر فى السِّيَر بمثلها ، وتحقق أنها أبعد مجداً ، وإن كانت أقربَ عهداً ، وأرفع عماداً ، وإن كانت أحدَث ميلاداً ، فحفظ الله على الدّنيا سياستَه ، وعلى أهلها حسنَ رأفته ، حتى تضع له الدنيا خدودَها ضارعة . وتستجيب لأمره سامعة طائعة ، إنّه ولِىّ ذلك والقادر عليه ، بمنّه ولطفه .

ولما ختم ابنُ جرير تاريخه سنة اثنتين وثلثمائة ، وهى السّنة السابعة من خلافة المقتدر(٣) بالله رضى الله عنه ، وأشار إلى الأمور إشارة خفية ، رأيت أن أبتدئ بخلافته ووقت بيعته ، وبالله التوفيق .

---

(١) هو إبراهيم بن هلال المعروف بأبى إسحاق الصابى الكاتب المنشئ البليغ ، ألف كتاباً فى أخبار بنى بويه . توفى سنة ٣٨٤ . النجوم الزاهرة ٣ : ٣٢٤ .

(٢) هو ثابت بن سنان بن قرة الصابى ، وله كتاب التاريخ الذى ابتدأ فيه من أيام المقتدر . توفى سنة ٣٦٥ . معجم الأدباء ٧ : ١٦٣ .

(٣) تولى المقتدر الخلافة سنة ٢٨٢ وتوفى سنة ٣١٧ .

خلافة المقتدر بالله

مدة خلافة المقتدر بالله أبى الفضل جعفر بن المعتضد بالله أربعٌ وعشرون سنة وشهران وعشرة أيام ، ومولده لثمانٍ بقين من شهر رمضان سنة اثنتين وثمانين ومائتين ، ولم يلِ الخلافةَ أصغرُ سنًّا منه .

وليها وسنّه ثلاث عشرة سنة وشهر واحد وعشرون يوماً . بايع[١] له لمّا مات المكتفى بالله أبو أحمد العباسُ بن الحسن[٢] ، وكان قد مال إلى تقرير الأمر لعبد الله بن المعتزّ بمشورة أبى عبد الله محمد بن داود بن الجراح[٣]. فثنى رأيَه عن ذلك ابنُ الفرات[٤] وقال : إن ابن المعتزّ يخبُر نعم أصحاب السلطان ، ويعرف أسرارَهم وذخائرهم ، وقد خالطَ الناس وفَهِم أمورهم ، فعينه ممتدة إلى ما فى أيديهم ، وإن كان جعفر بن المعتضد بالله صغيراً ، فأنت تُدبّره ، فقرّر ذلك فى نفسه .

ولمّا مات المكتفى بالله ، أنفذ الوزير العباس بن الحسن ، بصافى[٥] الحرمىّ إلى دار ابن طاهر ، والمقتدر بالله بها ، فأحدره إلى دار الخلافة . واجتازت الحَرّاقةُ[٦] على دار الوزير . فأمر الوزير غلمانه فنادوا المَلاّحين بالدخول ليغيّر زيّه ، فظنّ صافى أن ذلك لتغيّر رأى فيه ، فجرّد سيفه على المَلاّح ، وأمره ألاّ يعرّج على مكانٍ غيرِ دار الخلافة .

وبُويع حينئذ على صلاة الاستخارة ، وأطال الدعاء ، وكان العباس بن الحسن قد عوّل على أن ينصّب فى الخلافة أبا عبد الله بن المعتمد على الله ، أو أبا الخير ابن المتوكّل على الله ، فماتا مختلَسين .

---

(١) فى الأصل : « بويع » ، وهو خطأ .

(٢) العباس بن الحسن وزير المكتفى بالله ، استوزره بمشورة أبيه المعتضد وظل وزيراً للمقتدر إلى أن وثب عليه الحسين بن حمدان وقتله . الفخرى ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

(٣) كان محمد بن داود من علماء الكتاب عارفاً بأخبار الناس وأيام الخلفاء توفى سنة ٢٩٦ . المنتظم ٦ : ٨٩

(٤) كان بنو الفرات من أجل الناس قدراً وأعظمهم وفاء ومروءة . وكان على بن محمد بن الفرات من أكملهم ؛ تنقل فى الوزارة إلى المرة الثالثة ، حيث قتل سنة ٣١٢ : الفخرى ٢٣٣ ، ٢٣٤ .

(٥) كان صافى الحرمى صاحب الدولة كلها ، وإليه أمر دار الخلافة . توفى سنة ٢٩٨ . المنتظم ٦ : ١٠٨ .

(٦) الحراقة : نوع من السفن .

سنة ست وتسعين ومائتين

قد ذكرتُ ميلَ أبى عبد الله محمد بن داود بن الجرّاح صاحب الديوان إلى ابن المعتزّ. فلمّا لم يجد عند الوزير ما يريده، عَدَل إلى الحسين بن حمدان، فأشار عليه بالمعاضدة على فَسْخ أمر المقتدر بالله وتمهيد حال ابن المعتز، وبادر الحسين بن حمدان إلى الوزير العباس بن الحسن وقد ركب من داره بدرْب عمّار عند الثّريا، إلى بستانه المعروف ببستان الورد، عند مَقْسم الماء، فاعترضَه بالسّيف فقتله، وقتل معه فاتكاً المعتضدىّ[١]. وكان المقتدر بالله قد ركب لمشاهدة إجراء الخيل، فسمع الضّجة، فبادر إلى الدار. وكان الحسين قد قصَد للفتك به؛ وأُغلقت الأبواب دونه، فانصرف إلى المخرّم[٢]، وجلس فى دار سليمان بن وهب، وعبر إليه ابنُ المعتزّ، وكان نزل بدارٍ على الصّراة[٣]، وحضر أربابُ الدّولة من الكتّاب والقواد والقضاة فبايعوه ولقّبوه المرتضى بالله[٤].

واستخفى ابنُ الفرات. واستوزر ابنُ المعتزّ ابنَ الجراح. ومضى ابنُ حمدان إلى دار الخلافة، فقابله الخدم والغلمان على سورها ودَفَعُوه.

وكان مع المقتدر بالله غريب الخال، ومؤنس الخادم، الذى لقّبه بالمظفر ومؤنس الخازن[٥].

ولما جَنّ الليلُ مضى ابنُ حمدان بأهله وماله وأصعد[٦] إلى الموصل. وأصعد

---

(١) فى الطبرى ١٠ : ٦٨ : «فاتك مولى المعتضد».

(٢) المخرّم : محلة كانت ببغداد بين الرصافة ونهر المعلّى وفيها كانت الدار التى يسكنها السلاطين البويهية والسلجوقية. ياقوت.

(٣) الصراة : من أنهار بغداد.

(٤) فى المنتظم ٦ : ٨١ : «وقال الصولى : المنتصف بالله». وفى ابن الأثير (حوادث ٢٩٦) : «وأرسلوا إلى ابن المعتز فى ذلك فأجابهم على ألاّ يكون فيه سفك دم ولا حرب، فأخبروه باجتماعهم عليه».

(٥) وهو غير مؤنس الخادم.

(٦) أصعد إلى الموصل، أى انحدر إليها.

غريب الخال ومؤنس المظفر فى الزبازب[١] إلى المخرّم . فهرب النّاس من عند ابن المعتز ، وخرج وحده ، واستجار بابن الجصاص[٢].

واستتر علىّ بن عيسى وابن الجراح عند بقلىّ ، فأخرجهما العامة وسبُّوهما وسلّموهما إلى خادم اجتاز بهم فحمَلهما على بَغْل . وقَتل مؤنسٌ المظفرُ جميعَ مَنْ بايع ابنَ المعتز غير علىّ بن عيسى وابن عبدون والقاضى محمد بن خلَف بن وكيع .

وأنفذ المقتدر بالله مؤنساً الخازن لطلب ابن الفرات ، وكان قد استَتَر عند جيرانه ، فكتموه أمرَه ، فحلف لهم أنَّ السلطان يريد أن يستوْزرَه ، فأظهروه وحمله إلى الخليفة ، فولّاه وزارته .

ونَمّ خادم لابن الحَصّاص بخبر ابن المعتّز إلى صافى الحرمى ، فكبس عليه وأخذه وأخذ ابن الجصاص معه ، فصودر على أموال جَمّة . وسأل ابنُ الفرات فيه .

واستنقذ ابنُ الفرات علىّ بن عيسى ومحمدَ بن وكيع القاضى ، وابنَ عبدون ، ونفى ابنَ عبدون إلى الأهواز ، ونَفَى علىَّ بن عيسى إلى واسط ؛ فلمّا حصلا بالموضعين قرّر سوسنُ مع المقتدر بالله إحضارَ ابنِ عبدون وتوليته الوزارة .

فلمّا حصل بواسط ، بلغ ذلك ابنَ الفرات،فأغرى المقتدر سوسن حتى قتله[٣] وأنفذ إلى ابن عبدون[٤] مَنْ صادره واعتَقَله.وكتب علىّ بن عيسى إلى ابن الفرات يسأله إبعاده إلى مكةَ لتزول عنه التّهم ففعل ، وسار إليها على طريق البصرة .

وظهر موتُ ابن المعتز فسُلِّم إلى أهله ميّتاً .

وكان ابنُ الجراح مستتراً ، وعزم ابنُ الفرات على التّوصل إلى الصفح عنه ، وأتاه رجل برُقْعته ، فأمره بالاستتار حتى يدبّر طريق العفو عن جُرمه العظيم ، وأعلمه أن صافياً الحرمىّ يُعاديه فلم يصبر ابن الجراح ، فتَتَبّعت امرأة نصرانية كانت تحمل رقاعه ، فأخِذ وحُمِل إلى مؤنس فقتله .

وأتى ابنَ الفرات رجلٌ ، فأخبره أنه يعرف مكانه ، فقال إن كان هذا صحيحاً ، فلك ألف دينار ، وإلاّ عوقبت لكذبك ألف سوط ، فرضى وأمر ابنُ الفرات حاجباً

---

(١) الزبازب : نوع من السفن .

(٢) فى ابن الأثير : « أبو عبد الله بن الجصاص » .

(٣) كذا فى الأصل.

(٤) فى الأصل : « إلى عبدون » .

له بمراسلته ليبعد عن المكان الذى هو فيه مستتر . فلمّا علم أنه قد تركه ، ومضى إلى غيره أنفذ بالساعى به مع صاحب الشرطة ، فلم يجدوه . فأمر ابنُ الفرات بضرب الساعى مائتى سوط وإشهاره والنداء على نفسه : هذا جزاء مَنْ يسعى بالباطل ، ثم أمر له بمائتى دينار ونفاه إلى البصرة سرًّا . وقال : لو لم أفعل هذا به ، سُعِي بى إلى الخليفة بأننى توانيتُ فى أمره .

وأما أبو عمر القاضى فسأل فيه أبوه أبو يوسف بن يعقوب القاضى ، فاحتُرم لكبر سنه ، وأدى عنه مائةَ ألف دينار على أن يلازم منزله .

وأنفذ الخليفة بالقاسم بن سيماء وأبى الهيجاء بن حمدان ، لمحاربة أخيه الحسين ابن حمدان ، فهزَمهما ، ودبَّر ابنُ الفرات حتى كتب له أماناً وولاه قمّ .

وفى هذه السنة ، قُلِّد يوسف بن أبى الساج أعمال أذربيجان وأرمينيَة ، على أن يحمل بعد إعطاء الجند والنفقاتِ مائةً وعشرين ألف دينار فى السّنة .

وقدم بارس غلام إسماعيل بن أحمد صاحب خراسان فى أربعة آلاف تركىّ مفارقاً لصاحبه ، فقلِّد ديار ربيعة .

وكان للوزير العباس بن الحسن ابنٌ كنيته أبو جعفر ، واسمه محمد(١) ، فمضى بعد قتل أبيه إلى بخارى وأقام عند الملوك السامانية ، ومن شعره(٢) :

لئنْ أصبحْتُ منبــوذاً ... بأطــراف خُراســانِ
ومجفُــواً نَبَتْ عــن لــذَّ ... ةِ التَّغْميضِ أجفانِــى
ومحمولاً على الصَّعْــ ... ــبة من إعراض سلطان
ومخصوصاً بحرمــا ... ن من الأعيان أعيانــى
ومكلوماً بأظفــا ... رٍ ومكدومــاً بأسنــانِ
ومُلْقىً بين أخفــا ... فٍ وأظلافٍ تَوطَّانــى
وما ذنبى إلى مَنْ هُــ ... ــوَ عنّى عِطْفَــه ثانــى

---

(١) محمد بن العباس بن الحسن أبو جعفر ذكره صاحب اليتيمة فى ٤ : ١١٥ ، ١١٨ ، وقال فى حقه : «كاتب بليغ حسن التصرف فى النظم والنثر» وأورد قصيدته ، وكذلك الصفدى فى الوافى بالوفيات ٣ : ١٩٦ – ١٩٨ .

(٢) وردت القصيدة فى الأصل محرقة وأصلحتها من اليتيمة والوافى .

سوى أنى أُرى فى الفَضْـ ـلِ فرداً ليس لى ثانـى
كأن المجـد إذْ كشَّـ ـفَ عنّى كان غَطّانـى
سأسترفـد صبْـرى إنّـ ـه من خيرِ أعوانـى
وأسْتَنْجِدُ عَزْمـى إنـه والحزمُ سِيّـان
وأنْضـو الهمّ من قَلْبـى وإن أنضيتُ جُثْمانـى
وأنجو بنجـاتى إنْ قضاءُ الله نَجّانـى
إلى أرضى التى أرضـى وتُرضِينِى وترضانـى
فإن سَلَّمنى اللّـهُ وبالصُّنْعِ تَوَلاّنـى
وأوطانِىَ أوْطَانِـى وأعطـانِىَ أعْطانِـى
وأخلَى ذَرْعِى الدهـر وخَلاّنـى وخِلاّنـى
فإنى لا أجـدّ العـوْ دَ ما عاد الجديـدان
إلى الغربة حَتّـى تَغْـرُبَ الشَّمْسُ بشـروان
فإن عُدْتُ لهـا يومـاً فَسَجّانِىَ سَجّانـى
وللمـوت الوحىّ الأحْـمر القانئ الْقَانـى

وقال بعض الشعراء فى العباس بن الحسين ، وقد ساء خُلُقه بعلوّ سِنّه :

يا أبا أحمد لا تحـسن بأيامك ظَنّـا
فاحذر الدّهْر فكم أهْـلَك أملاكاً فأفْنَـى
كم رَأَيْنَا من وزيـر صار فى الأجداث رَهْنـا
أين مَنْ كُنْتَ تراهـمْ درجـوا قَرْناً فقَرْنـا
فتجنَّب مَرْكب الكِبْـرِ وقل للناس حسنـا
ربّمـا أمسى بعـزل من بإصباحٍ يُهَنّـى
وقبيح بمطـاع الأمر ألاّ يتأنّـى
اترك النـاس وأيـامك فيهمْ تَتَمَنّـى

قال جحظة : أُضقت مرّة إضاقة شديدة ، فجلستُ مع ملاح ، ومعى طُنبورى ، وانحدرتُ حتى دار الوزارة بالمخرِّم ، والوزير إذ ذاك العباس بن الحسن ، والسّماء

متغيِّمة ، والستائر منصوبة ، والماء زائد على نَيِّفٍ وعشرين ذراعاً ، فأمرت الملاح ، فشدّ السمّيرية(١) فى الرَّوشن(٢) ، وغنيَّته :

عَلّلانى بجامـةٍ وبطـاس قهوة من ذَخائِر الشَّمَّـاس
سَقّيانى فقد صُرِفَتْ صُرُوفَ الـدهرِ عنّى بَدْولَةِ الْعَبَّـاسِ .
مَلكٌ ينثر الثَّمين من الدّ رِّ بألفاظه على القِرْطَـاس

فأمرلى ، فأصعدت ، وأمرلى بألفى دينار.

---

(١) السميرية : نوع من السفن .
(٢) الروشن : الرَّف .

سنة سبع وتسعين ومائتين

فيها أنفذ السبكرى مقلّد فارس ، مع كاتبه الفضل عبد الرحمن بن جعفر الشّيرازىّ طاهراً ويعقوب بن محمد بن عمرو بن الليْث الصَّفّار . وكان قد أسرهما ، ثم عزم السبكرى على الخلاف ،فأنفذ إليه ابنُ الفرات مؤنساً فصالحه[١] على عشرة آلاف ألف درهم ، فلم يَرْض بذلك ابنُ الفرات ، وأنفذ إليه جيشاً ، ومعه محمد بن جعفر العبرتانى ، فواقعوا السبكرى على باب شِيراز ، فهزموه إلى سجستان ، فأسره أحمد بن إسماعيل ، وأسرَ معه بعض بنى عمرو بن الليث ، وأنفذهما إلى بغداد .

وتوفى العبرتانى بفارس ، فقلّد مكانه عبد الله بن إبراهيم المِسْمَعِىّ .

وفيها غرقت فاطمة القهرمانة[٢]فى طَيّارها[٣]تحت الجسر فى يوم ريح عاصف ، فحضر صهرها بنىّ[٤]بن نفيس جنازتها ، وجَعَلت السّيدة مكانها أمّ موسى .

---

(١) فى الأصل : « مصالحة » .

(٢) القهرمان : الوكيل وأمين الدخل والخرج .

(٣) الطيار : نوع من السفن .

(٤) وردت الكلمة مصحفة فى الأصل والعبارة فى تجارب الأمم ١ : ٢٠ : « وكانت زوجت ابنتيها من بنىّ بن نفيس وقيصر فحضرا جنازتها » .

سنة ثمان وتسعين ومائتين

فيها اعتلّ صافى الحرمىّ ، ووهب داره بقصر عيسى لغلامه قاسم ، وأبرأه من كل أمر ، ومات فحُمِل إلى ابن الفرات من ماله مائة وعشرون ألف دينار وسبعمائة منطقة ذهباً وفضة ، فحملها ابنُ الفرات إلى المقتدر بالله ، فأقرّ مرتبة أستاذه .

ووُلِّىَ غريب الخال ما كان يتقلّده صافى من الثُّغور الشاميّة .

وفى هذه السنة مات المظفّر بن حامد أمير اليمن ، وحُمِل إلى مكة فدُفن بها . وكان ملاحظٌ قد أنفذه الخليفة مدداً فتولّى مكانَه .

وفى هذه السنة تُوفِّىَ أحمد بن أبى عوف ، وشارعه فى الجانب الغربىّ معروف وكان أحدَ العدول ، وتُوفِّىَ وسنه نيّف وثمانون سنة . وقال : أصابنى همٌّ لم أعرف سببَه فى بعض الأيام ، فخرجت إلى بستانٍ لى على نهر عيسى ، فاجتاز بى رِكَابِىٌ (١)، ثم وقف فى ظلّ شجرة ، فتقدَّمت له بما يأكله ، لأننى رأيته والجوع غالب عليه ، فـأكل ثم نام . فأخذتُ الكيس الّذى فيه كتبه ، فإذا فيه كتاب التُّجّار من الرَّقة ، إلى أصدقائهم ببغداد ومعارفهم ، يأمرونهم بشراء كل زيت ببغداد ، ويخبرونهم أنه معدوم عندهم ، فبادرت وأمرت وكلائى بابتياع ما يقدرون عليه من الزيت ، فابتيع إلى آخر النهار بعشرة آلاف دينار ، وكنت قد وعدت الركابى بدينارين إن أقام ليلته عندى ، ولم أعرّفه السبب . ولم يبت ببغداد زيت لغيرى ، فلمّا أصبحت سرحت الركابى ، وانتشر الذين وَصَلتِ الكتب إليهم فى طلب الزيت ، فلم يجدوه ، فأربحونى فى كل درهم درهماً ، فعلمت أنه إنما كان خروجى إلى بستانى لأحوز عشرة آلاف دينار من غير مشقة .

وفى هذه السنة تُوفِّىَ محمد بن داود الأصبهانى الفقيه ، صاحب الكتاب المعروف بالزُّهرة .

حكى الشيخ أبو اسحاق الشيرازى فى كتاب الفقهاء ، عن القاضى أبى الطيب

(١) يبدو من سياق الكلام أن الركابىّ هو الراكب الذى يحمل البريد من مكان إلى آخر.

الطَّبَرىّ عن أبى العباس الخضرىّ قال : كنت جالساً عند ابن داود ، فأتته امرأة فقالت : ما تقول فى رجل له زوجة ، لا هومُمْسكها ، ولا هومطلِّقها ؟ فقال أبوبكر : قد اختلف أهل العلم فى ذلك ، فقـــال قائلون : يؤمَر بالصَّبْر والاحتساب ، ويُبْعَثُ على الطّلب والاكتساب . وقائلون: يُؤمَرُ بالإنفاق ، وإلاّ يُحمَل على الطلاق . فلمْ تفهم المرأة ، فأعادت مسألتها ، فقال : يا هذه ، قد أجبتك إلى مسألتك ، وأرشدْتك إلى طَلِبتك ، ولستُ بسلطان فأمضى ، ولا زوج فأُرْضِى ، ولا قاض فأقضى . فذهبت المرأة ولم تعرف قوله .

ولما مات أبوه ، قال الشيخ أبو إسحاق فى كتاب الفقهاء : كان يحضر مجلس داود أربعمائة صاحب طيلسان . واحتضر فجلس محمد مكانه ، فاستصغره الناس ، فسألوه عن حَدّ السّكْر ، فقال مبادراً : حَدّ السّكْر أنْ تعزُب عنه الهموم ، وأن يبوح من سرّه المكتوم ، فعلموا نجابته حينئذ .

وكان يهوى محمد بن جامع ، ولأجله صنّف كتاب الزهرة . وكان محمد بن جامع من أحْسَن الناس ، وأكثرهم مالا ، ولا يُعرف معشوق كان يُنْفِق الأموال على عاشق إلا ابن جامع مع ابن داود .

قال الخطيب فى تاريخه وخرج ابن جامع من الحمّام ، فأخذ المرآة ، فنظر إلى وجهه ، فغطّاه وركب إلى ابن داود ، فلمّا رآه مغطّى الوجه ، قال له ما الخبر ؟ وخاف أن يكون قد لحقته آفة ، فقال : رأيت وجهى فى المرآة ، فغطيته وأحببت ألاّ يراه أحدٌ قبلك ، فغُشِىَ على محمد بن داود(١).

وحضر ابن(٢) داود وابن سُرَيج مجلس أبى عمر القاضى ، فتكلّما فى مسألة(٣) العود ، فقال (٤) ابن سُرَيْج : عليك بكتاب الزّهرة . فقال أبو داود : أبكتاب الزهرة تعيِّرنى وأنا أقول فيه٤) :

---

(١) تاريخ بغداد ٥ : ٢٦٠ .

(٢) ورد الخبر مفصلاً فى تاريخ بغداد ٥ : ٢٦٠ ، ٢٦١ .

(٣) تاريخ بغداد : « العود الموجب للكفارة فى الظهار ما هو ؟ فقال : إنه إعادة القول ثانياً وهو مذهبه ومذهب داود» .

(٤ — ٤) فى تاريخ بغداد : « فغضب ابن سريج وقال : أنت يا أبا بكر بكتاب الزهرة أمهر منك فى هذه الطريقة ، فقال أبو بكر : وبكتاب الزهرة تعيرنى ! والله ما تحسن تستتمّ قراءته قراءة من يفهم ؛ وإنه لمن أحد المناقب إذ أقول فيه » .

أكرِّر فى رَوْضِ المحاسنِ وَجْهَهُ[١] وأمنع نفسى أنْ تَنَالَ المُحَرَّما
وينطِقُ سِرِّى عن مُتَرْجَمِ خَاطِرِى فلولا اختلاسى ردَّه لتكلّما
رأيتُ الهوى دعوى من الناس كلِّهِمْ فما إن أرى حُبًّا صحيحاً مسلّما

فقال ابن سريج : أوَعلىَّ تفخر[٢] بهذا القول ؟ وأنا الذى أقول :

ومساهر بالغنج من لَحَظَاتِــــه قد بتُّ أمنعه لذيذ سُبَاتِــــهِ
ضنًّا بحُسْنِ حديثــه وعِتَابِــــهِ وأُكَرِّرُ اللحظات فى وجَنَاتِهِ
حتى إذا ما الصُّبْح لاح عمــودُه ولَّى بخاتَمِ رَبِّــه وبَراتِــــه

فقال ابنُ داود لأبى عمر : أيد الله القاضى ، قد أقرّ بالمبيت[٣] وادَّعى البراءة ، فما تُوجبه ؟ قال ابن سريج : من مذهبى أنّ المقرّ إذا أقر إقراراً وناطه بصفة ، كان إقراره موكّلا إلى الصفة[٤] . فقال ابنُ داود : للشافعىّ فى هذه المسألة قولان ، فقال ابن سريج : فهذا القول الذى قلتُه اختيارى الساعة .

---

(١) تاريخ بغداد : « مقلتى » ، وهو أوجَه .
(٢) فى الأصل : « مفخر » ، وما أثبته الصواب من تاريخ بغداد .
(٣) فى الأصل : « البيت » ، والصواب ما أثبته من تاريخ بغداد .
(٤) تاريخ بغداد : « كان إقراره موكولاً إلى صفته » .

سنة تسع وتسعين ومائتين

فيها قُبض [على] ابن الفرات ، وهُتِكَتْ حُرَمُه ، ونُهِبَتْ دوره ودور أسبابه ، فكان صاحب الشرطة مؤنس الخازن المعروف بالفحل تحت يده تسعة آلاف فارس وراجل ، وإذا كثُر النّهب وعظم الخطب يركب ، فيسكن المنتهبون عند ركوبه ، ويعودون إلى النّهب عند نزوله . ودَام ذلك ثلاثةَ أيام بلياليها .

وتقلّد بعده أبو عليّ محمد بن عبيد بن يحيى بن خاقان الوزارةَ . وكان أبو عليّ يتقلّد ديوان الضّياع بعد وفاة أبيه فى وزارة الحسن بن مَخْلَد .

وكانت أم موسى القهرمانية تُعْنى بابنى أبى البغل . فولّى أبا الحسن منهما أصبهان ، وولّى الآخر الصِّلح والمبارك[١].

وكان ابنُ الفرات قد نفى أبا الهيثم العباس بن ثوابة إلى الموصل لقرابته من ابن عبدون ، فاستدْعَاه ابن الخاقانى ، وقلّده مصادرة بنِى الفرات ، فأسرف فى المكروه بهم وغلب على الأحوال .

وكان فى أحوال الخاقانى تناقض ، وكان يتقرّب إلى العامة ، فانحدر يوماً فى زَبْزَبِه[٢] إلى دار السلطان ، فرأى جماعة من الملاحين يصلّون على دِجْلة ، فصعد وصلّى معهم .

وَوَلَّىَ ابنُه عَرْضَ الكتب على الخليفة ، وكان مدمِناً للشرب ، ففسدت الأمور بذلك . وكان أولاده وكتابه يَرْتفقون[٣] من العمال بما يولّونهم به الولايات ، ثم يعزلونهم إذَا رَأوْا مَطْمَعاً . فاجتمع بحلوان فى خانٍ بها سبعة عمال ولأهم فى عشرين يوماً ماءَ الكوفة . وكان إذا سأله إنسان حاجة قال : نعم وكرامة ! ودقّ صدرَه .

وكتب إلى بعض العمال : الزم وفّقك الله المنهاج ، واحذر عواقب الاعوجاج ، واحمل ما أمكن من الدّجاج . فحمل العامل دجاجاً كثيراً ، وقال : هذا دجاج وفّره بَركة السجع

---

(١) الصِّلح بالكسر: كورة فوق واسط، والمبارك : نهر فوق واسط أيضاً . ياقوت .

(٢) الزبزب : نوع من السفن الصغيرة .

(٣) يرتفقون : ينالون ويفيدون ، وفى الأصل : « مرتفقون » تصحيف .

سنة ثلثمائة

طالب القوادُ الخاقانىّ باستحقاقهم ، فقَصّر واعتذر ، فعزم المقتدر بالله على ردّ ابن الفرات ، فأشار مؤنس أنْ يولِّىَ علىّ بن عيسى ، وذكر ديانته وثقته ، وقال : يقبح أن يعلم الناس أن الضرورة قادت إلى ابن الفرات للطمع فى ماله ، فأمر المقتدر الخاقانىّ أن يكاتب علىّ بن عيسى بالحضور ، وأظهر له الإيثار لاستنابته له ، فكان الخاقانىّ يقول : قد استدعيتُ علىّ بن عيسى لينوب عن عبد الله ابنى فى الدّواوين . ثم ركب إلى دار السلطان فقبض عليه وعلى أسبابه .

سنة إحدى وثلثمائة

قدِم فيها علىّ بن عيسى من مكة ، فقلّده المقتدرُ وزارتَه وخلع عليه ، وسلّم الخاقانىّ إليه ، فصادره وأسبابه مصادرةً قريبة ، وصانَ حَرَم الخاقانىّ .

واعتمد على علىّ بن عيسى لما اشتهر عنه من إفاضة المعروف وعمارة الثغور والجوامع والمارستانات فى سائر الأوقات ، وردّ المظالم بها ، وكتب فى ذلك كتاباً أوله : بسم الله الرحمن الرحيم ، سبيلُ ما يرفعه إليك كل واحد من المتظلّمين قبل النوروز من مظلمته ، ويدّعى أنه تلف بالآفة من غلّته ، أن تعتمد فى كشف حاله على أوثق ثقاتك ، وأصْدقِ كفاتك حتى يصحّ لك أمره ، فتزيلَ الظلم عنه ، وترفعه ، وتضع الإنصاف موضعه ، وتحتسب من المظالم بما يوجب الوقوف عليه حَسْبَه ، وتستوفى الخراج بعده ، من غير محاباة للأقوياء ، ولا حَيْفٍ على الضعفاء . واعمل بما رُسِم لك ما يظهر ويَذيع ويَشتهر ويَشيع ، ويكون العدل به على الرعيّة كاملاً ، وللإنصاف شاملاً إن شاء الله .

وسَاسَ علىّ بن عيسى الدنيا السياسةَ المشهورة ، التى عمّرت البلاد ؛ حتى قال له ابن الفرات لمّا ناظره : قد أسقطت من مال أمير المؤمنين خمسمائة ألف دينـار فى السنة ، فقال : لم أستكثرْ هذا المقدارَ فى جَنْب ما حططتُه عن أمير المؤمنين من الأوزار ، لأنّنى حططت المَكْس[1] بمكه ، والتكملة[2] بفارس ، وجباية الخمور بديار ربيعة ، ولكن انظر إلى نفقاتى ونفقاتك ، وضِياعى وضِياعك . فأسكته .

وزادت فى أيامه العمارة وتضاعفت الزراعة ، حين كتب إليه عامله : إن قوماً ببادوريا لا يؤدُّون الخراج ، فإن أمرت عاقبناهم ، فكتب إليه : إنّ الخراج دَيْن ، ولا يجب فيمن امتنع عن أداء الدَّيْن غير الملازمة ، فلا تَتعدّ ذاك إلى غيره . والسلام .

ومما استُحسِن من أفعال الخاقانى بعد عَزْله ، أنّ قوماً زوّروا عليه بإطلاقات ومسامحات ، فأنفذ بها علىّ بن عيسى يسأله عنها ليمضىَ منها ما اعترف به ، فصادفه

---

(١) فى القاموس : «المكس دراهم كانت تؤخذ من بائعى السلع فى الأسواق فى الجاهلية أو درهم كان يأخذه المصدق بعد فراغه من الصدقة» .

(٢) فى تجارب الأمم ١ : ٢٨ : «وكتب بإسقاط التكملة بفارس» .

الرّسول يصلّى . فلمّا رأى ابنه يتأمّل التوقيعات ، قطــع صلاته وقال : هَذِه توقيعاتى صحيحة ، الوزير يرى رأيَه فيُمضِى ما آثر منها ، ويعرض علىّ ما أحبّ منها . والتفت إلى ابنه حين خرج الرسول فقال : أردتَ أن نتبغّض إلى الناس فتكون السبب فى رد ما تضمنته ، ويتنزّه علىّ بن عيسى من ذلك ، فلم لا نتحبّب بالاعتراف بها ، فإن أمضاها حُمِدْنا وإنْ رَدّها عُذِرْنا .

وقَصَدَ القوّاد علىّ بن عيسى بإسقاطه الزيادات الّتى زادها ابن الفرات ، ووقَعوا فيه وثَلَبُوه .

وفى هذه السنة ، خُلِع على الأمير أبى العباس بن المقتدر – وهو الذى ولِىَ الخلافة ولُقّب بالراضى – واستُخْلِف له مؤنس(١).

وفيها أنفذ علىّ بن أحمد الراسبى الحسينَ بن منصور الحلاج . وقد قَبَض عليه بالسّوس ، فشُهِر على جمل ببغداد ، وصُلِب وهو حىّ . وظهر عنه بأنه ادّعى أنه الله . ومات الراسبىّ بعد قليل ، فأخذ السلطان من ماله ألف ألف دينار .

وفيها ورد الخبر بأن إسماعيل بن أحمد صاحب خُراسان قتله غلمانه على شاطئ نهر بَلْخ ، وقام ابنه أبو الحسن نصر مقامه . وأنفذ إليه الخليفة عهدَه .

وفيها ورد الخبر بأنّ خادماً صقلابياً لأبى سعيد الجنّابىّ قتله وخرج ، فلم يزل يستدعى قائداً قائداً ويقتله ، حتى قتل جماعة ، ففطِن به النساء فصحن بالأمر ، فقام أبو طاهر سليمان بن الحسن مقام أبيه(٢).

وأتى القرامطة فى هذه السنة البصرة فى ثلاثين فارساً ، والناس فى صلاة الجمعة ، فقتلوا الموكّلين بالباب ومن خرج إليهم من المطّوّعة . وبلغ الخبرُ أميرَ البصرة محمد بن إسحاق بن بنداحيق فغلّق الأبواب .

---

(١) فى تجارب الأمم ١ : ٣١ : « واستخلف له على مصر مؤنس الخادم » .

(٢) توضيح الخبر كما جاء فى تجارب الأمم ١ : ٣٣ : « بأن خادماً لأبى سعيد الجنابى الحسن بن بهرام المتغلّب على هجر قتله . ثم إن ذلك الخادم خرج بعد قتله مولاه ، فدعا رجلاً من رؤساء أصحابه وقال له : السيد يدعوك ، فلما دخل قتله ، وما زال يفعل ذلك بواحد واحد إلى أن قتل أربعة من الرؤساء ، ثم دعا بالخامس ، فأحسّ الخامس بالقتل ، فصاح واطّلع النساء عليه وصِحْن ، فَقُبِض على الخادم قبل أن يَقتل الخامس . وقُتِل الخادم – وكان صقلابياً – وقد كان أبو سعيد عهد إلى ابنه سعيد فلم يضطلع بالأمر ، فغلبه أخوه الأصغر أبو طاهر سليمان بن الحسن » .

سنة اثنتين وثلثمائة

ورد فيها كتاب أبى الحسن نصر بن أحمد صاحب خراسان بأنّه واقع عمّه إسحاق[١] وأسره .

وفى هذه السنة خرج مؤنس إلى مصر ، وضمّ إليه علىُّ بن عيسى أخاه عبد الرحمن ، وقلّده كتابته ، وذلك عند سماعهم قُرْب الخارج بالقيروان ، وواقعه مؤنس ، فانهزم من بين يديه .

وهذا الخارج ، ذكر الصولىّ عن أصحاب النّسب أنه عبيد الله بن عبد الله ابن سالم ، من أهل عسكر مُكْرَم ، وجدّه سالم قتله المهدىّ رضوان الله عليه على الزّندقة . وأنفذ أبا عبد الله الصوفىّ إلى المغرب ، فأرَى الناس زهداً وعبادة ، وطردَ زيادة الله بن عبد الله بن الأغلب ، وأتاه عبيد الله ، فقال : إلى هذا أدعوكم .

فلما أظهر عبيد الله شرب الخمر تبرّأ الصوفىّ منه ، فدسّ عليه عبيد الله مَنْ قتله ، وملك بلاد المغرب ، فهزمهُ مؤنس ، وتصدّق المقتدر بالله عند هزيمته بأموال كثيرة .

وفى هذه السنة صُودر ابنُ الجَصّاص ، قال الصولىّ : وُجِد له بداره بسوق يحيى خمسمائة سفَطٍ[٢] من متاع مصر ، ووُجد فيها جِرارٌ خضر وقماقم مدفونة فيها دنانير ، وأخِذ منه ألف ألف دينار .

قال الصولىّ : وحضرت مجلساً جرى فيه بين ابن الجصاص وإبراهيم بن أحمد الماذرائىّ خُلْف ، فقال إبراهيم : مائة ألف دينار من مالى صدقة ، لقد أبطلت فى الذى حكيتَه عنى ، فقال ابن الجصاص : قَفِيزٌ دنانير من مالى صدقة ، إنّنى صادق وإنّك مبطل، فقال ابن الماذرائى : من جهلك أنك لا تعلم أن مائة ألف أكثر من قَفِيز ، فانصرفتُ إلى أبى بكر بن أبى حامد فأخبرته ، فقال : نعتبر هذا ، فاحضر

---

(١) فى النجوم الزاهرة ٣ : ١٨٤ : «إسحاق بن إسماعيل وأنه أسره ، فبعث إليه المقتدر بالخلع واللواء» .

(٢) السفط : وعاء كالجوالق أو القفة .

كيلجة (١)، فملأها دنانير ، ثم وزنها ، فكانت أربعة آلاف ، فنظرنا فإذا القفيز ستة وتسعون ألف دينار كما قال الماذرائى (٢) .

وكان ابنُ الجَصّاص قد أُنفِذ له من مصر مائة عِدْل (٣) خَيْشاً ، فى كلّ عِدْلٍ ألفُ دينار ، فأُخِذت أيام نكبته وتُرِكت بحالها ؛ ولما أُطلِق سأل فيها ، فرُدَّت عليه ، فأخذ المال منها ، وكان إذا ضاق صدره أخرج جوهراً يساوى خمسين ألف دينار ، وتركه فى صِينيّة ذهب ويلعب به ، فلَمَّا قُبِض عليه وكُبِست دارهْ ، كان الجوهر فى حِجْره ، فرَمى به إلى البستان ، فوقع بين شجره ، فلما أُطلِق فُتِّش عليه فى البستان وقد جفّ نبته وشجره ، وهو بحاله .

وفى هذه السنة ، خُتِن أولاد الخليفة ، ونُثِر عليهم خمسة آلاف دينار ، ومائة ألف درهم . وبلغت نفقة الطُّهر ستمائة ألف دينار . وأدخِلوا إلى المكتب ، وكان مؤدِّبَهم أبو إسحاق إبراهيم بن السرىّ الزجاج .

وفى هذه السنة ، غزا أفسن الأفشينى فأسر مائة وخمسين بطْريقاً ، وألفى فارس(٤) .

وفى ذى القعدة ، خُلِع على أبى الهيجاء بن حمدان ، وقُلِّد الموصِل وأعمالها .

وفيها ماتت بِدْعة جارية عريب ، وكان إسحاق بن أيوب قد ضمن لأبى الحسن علىّ بن يحيى المنجّم عشرين ألف دينار ، إن باعتها عريب منه بمائة ألف دينار ، فجاء وخاطبها ، فاستدعت بدعة وخيَّرتْها بين المقام والبَيْع ، فاختارت المقام ، فأعتقتْها ولم يملكها قطّ رجُل .

وفى هذه السنة توفّى أبو بكر جعفر بن محمد الغريانىّ ، وهو ممّن طوّف شرقاً وغرباً لسماع الحديث ، واستُقْبِل لمّا قدم بغداد بالطيّارات والزَّبازب . وأملى بشارع

---

(١) الكيلجة : نوع من المكاييل وجمعه كيالج .

(٢) نقل صاحب النجوم الزاهرة عن مرآة الزمان : « أن أكثر أموال ابن الجصاص من قطر الندى بنت خمارويه صاحب مصر ، فإنه لما حملها من مصر إلى زوجها المعتضد كان معها أموال وجواهر عظيمة ، فقال لها ابن الجصاص : الزمان لا يدوم ولا يؤمن على حال ، دعى عندى بعض هذه الجواهر تكن ذخيرة لك فأودعته ، ثم ماتت فأخذ الجميع » النجوم الزاهرة ٣ : ١٨٥ .

(٣) العدل : بكسر العين نصف الحمل .

(٤) كذا ورد الخبر ، وفى ابن الأثير فى حوادث هذه السنة : « وفيها غزا بشر الخادم والى طرسوس بلاد الروم ففتح فيها وغنم وسبى وأسر مائة وخمسين بطريقا ، وكان السبى نحوا من ألفى رأس » . ومثله فى المنتظم فى حوادث هذه السنة .

المنار بباب الكوفة ، فحُزِر فى مجلسه ثلاثون ألفاً يكتب منهم عشرة آلاف ، وكان فى مجلسه ثلثمائة وستة عشر يستملون[١]، ومولده سنة سبع ومايتين ودفن بالشّونيزىّ .

وفى هذه السنة ، توفى أحمد بن عبد العزيز بن طوما الهاشمىّ ، نقيب العباسيين ، ووُلّىَ مكانَه ابنُه محمد ، وتوفى وهو ابن اثنتين وتسعين سنة ، وسمعتُ أن له عقباً بالحَاذَانية[٢] ذبالة البطيحة .

---

(١) فى الأصل : « يستلمون » تصحيف .

(٢) كذا فى الأصل .

سنة ثلاث وثلثمائة

فيها أُطْلِقَ السّبكرى من الحبس ، وخُلِع عليه خِلَعُ الرِّضا .

ووقع حريق فى سوق النّجارين بباب الشام واحترق ، وطار الشّرار فأحرق ستارة جامع المدينة .

وعصى الحسين بن حمدان ، واجتمع معه ثلاثون ألف رجل من العرب وهزم رائقاً الكبير ، وأقام بإزاء جزيرة ابن عمر[1]. وورد مُؤنس من مصر ، وقد استدعاه علىّ بن عيسى لحَرَمه . فانهزم أصحاب الحسين ، وأسره مؤنس ، وأدخله إلى بغداد ، ومعه ابنه عبد الوهاب ، فصلبه حياً على نِقنق[2]على ظهر فِيل ، ونقله ابنُه على جمل ، والأمير أبو العباس والوزير علىّ بن عيسى ومؤنس وأبو الْهيجاء بن حمدان وإبراهيم ابن حمدان يسيرون بين يديه ، وحبس عند زيدان القهرمانة . وقُبِض بعد ذلك على أبى الهيجاء وإخوته .

وطلب الجند الزيادة ، فزيد الفارس ثلاثةَ دنانير ، والرَّاجل خمسة عشر قيراطاً .

وفى هذه السنة ، تُوفِّىَ أبو علىّ الجُبّائىّ ، ومولده سنة خمس وثلاثين ومائتين ، وكان أبو علىّ شيخ المعتزلة فى زمانه . ومات بعسكر مُكْرَم ، وحُمِل إلى منزله بجُبّى[3]، ولـمّا احتُضِر قال أصحابه : مَنْ يلقّنه التوبة ؟ فلم يتجاسرْ أحد على ذلك إعظاماً له ، فقال أصغرُهم سنًّا : أنا أُلَقِّنُه ، وتقدّم وقرأ : (وتُوبُوا إلى اللهِ جَمِيعاً أيُّها المؤمنون لَعَلَّكُم تُفْلحون)، ففتح أبو علىٍّ عينيه وقال : اللهمّ إنى تائب إليك من كل قولٍ نصرتُه كانَ الصوابُ عندك غيرَه ، واشتبه علىّ أمــــره ، فقال مَنْ حضره : لو كان على ذنب غير هذا لذكره . وكان يذهب إلى أنّ حكم النجوم صحيح على وجه ، وهو أنه يجوز أن يكون الله تعالى ، أجرى العادة إذا صار الكوكب الفلانىّ الذى جعله

---

(١) جزيرة ابن عمر : بلد فوق الموصل ، وأول من عمرها الحسن بن عمر بن الخطاب . ياقوت .

(٢) النقنق : الخشبة يكون عليها المصلوب .

(٣) جُبى ، بالضم والتشديد والقصر : من أعمال خوزستان – ياقوت .

الله تعالى وخَلَقه سَعْداً إلى الموضع الفلانىّ كان كذا .

وكان ينكِر على المنجّمين أن الكواكب تفعل بأنفسها ذلك ، فاجتاز بعسكر مُكْرَم على دار سمع فيها صَيْحة لأجل امرأة تلد ، فقال : إن صحّ ما يقوله المنجمون ، فهذا المولود ذو عاهة ، فخرجت امرأة ، فسألت أبا علىّ الدخول وأن يحنّك المولود ويؤذّن فى أذنه ، ففعل فإذا به أحنف[1] .

---

(١) الحنف ، بالتحريك : الاعوجاج فى الرجل .

سنة أربع وثلثمائة

فى فصل الصيف فزع الناس من شيء من الحيوان يسمى الزَّبْزَب[١] ذكروا أنهم كانوا يَرَوْنه على السطوح ليلا ، وربما قَطَع يد النائم وثدى النائمة . فكانوا يضربون بالهواوين ليفزّعوه ، وارتجّت بغداد فى الجانبين لذلك ، وعمل الناس لأولادهم مكابّ من سعف يكبّونها عليهم .

وفى هذه السنة ، قُبِض على علىّ بن عيسى وعلى أهله ، وصودر أخوه عبيد الله ابن علىّ على ستين ألف دينار ، وصودر أخوه إبراهيم بن عيسى على خمسين ألف دينار . وسأل أن يُؤذَن له فى المقام بدير العاقول ، فأجيب إلى ذلك .

وأُلزِم أبو بكر محمد بن عبد الله الشافعىّ أربعة آلاف دينار ، وشفَع القاضى أبو عمر فيه فأُطلِق بعد أدائها . وتمّ ذلك عليهم فى وزارة أبى الحسين بن الفرات الثانية .

وظهر أبو علىّ بن مقلة من استتاره[٢] ، وكان استتارُه فى أيام الخاقانىّ وعلىّ ابن عيسى ، واختصّ بابن الفرات ، وتولّى كتابة السَّيِّدة[٣] والأمراء أولاد المقتدر بالله .

وكان يوسف بن أبى السّاج ، قد قاطع على أعمال أبهر وزنجان والرىّ وقَزْوين ، واستبدّ بالمال ، وأظهر أن علىّ بن عيسى كاتَبه بذلك ، وأنفذ إليه لوائين وخِلَعاً ، فأنكر علىٌّ بن عيسى ، وقد عنّفه ابنُ الفرات على ذلك ، وقال : اللواء والخِلَع والكتاب على حــامله وكاتبه لا من كتم ذلك . فأنفذ المقتدر خاقان المفلحىّ لمحاربته ، فهزمه يوسف ، وشهر أصحابه بالرّىّ . وقدم مؤنس من الثّغر ، فأنفذه المقتدر بالله

---

(١) الزبزب هنا : دابة كالسنور قصيرة اليدين والرجلين ، كما فى حياة الحيوان للدميرى وشرح القاموس .

(٢) هو أبو على محمد بن على بن مقلة ، صاحب الخط الحسن المشهور ، قال ابن طباطبا فى كتابه الفخرىّ ص ٢٣٩ : ولما ولى ابن الفرات وزارته الثانية تمكن ابن مقلة فى دولته ونبعت حاله وعرض جاهه . ثم إن الشيطان نزغ بينهما فكفر ابن مقلة إحسان ابن الفرات ودخل فى جملة أعدائه والسعاة عليه حتى جرت النكبة على ابن الفرات . فلما رجع ابن الفرات إلى الوزارة قبض عليه وصادره على مائة ألف دينار أدتها عنه زوجته » .

(٣) هى ، أم المقتدر وكانت أم ولد واسمها شغب وانظر أخبارها فى ابن كثير ١٠ : ١٧٥ .

لحربه ، فواصل ابن أبى الساج المكاتبة بالرضا والسؤال فى المقاطعة عمّا بيده من الأعمال ، وأن يؤدِّىَ فى كلّ سنة سبعمائة ألف دينار ، فلمْ تقع له إجابة. فسار من الرّى إلى أذربيجان ، وركب الأشد ، وحارب مؤنساً ، فهزمه ، ومَضى مؤنس إلى زنجان ، وقتِل من أصحابه وقواده عِدّة .

وأنفذ ابنُ أبى الساج يطلب الصّلح ، ومؤنس لا يجيبه ، ولو أراد يوسف أسرَه لتمّ ، ولكنّه أبقى عليه . فلّما كان فى المحرّم سنة سبع وثلثمائة فى أيام حامد بن العباس واقعه مؤنس بأردبيل ، واستؤسر يوسف مجروحاً ، وحُمِل إلى بغداد فى شهر ربيع الآخر ، وشُهِر على الفالج[1]، وهو جمل له سنامان ، يُشْهَر عليه الخوارج على السلطان ، وتُرِك على رأسه برنس،والقُرّاء يقرءون بين يديه والجيش وراءه .

وحُبِس عند زيدان القهرمانة . وخُلِع على مؤنس وطُوِّق وسُوِّر ، وزِيد فى أرزاق أصحابه .

ولمّا انكفأ مؤنس إلى بغداد استولى سبك ، غلام يوسف على الأعمال ، فأنفذ إليه مؤنس قائدَه الفارقىّ لحربه فهزمه . وسأل سبك أن يقاطَع على الأعمال فأجِيب .

واتّصلت العداوة بين ابن الفرات وبين الحاجب نَصْر القشورىّ وشفيع المقتدرىّ . وكان ابنُ الفرات قد قلّد ابنَ مقلة كتابة نصر ، فاستوحش ابنُ مقلة من ابن الفرات ، فأطمعه صاحبه وابن الحوارى فى تقلّد الوزارة ، وكان يُهدِى إليهما أخبارَ ابنِ الفُرات .

---

(١) الفالج : الجمل الضخم ذو السنامين يحمل من السند للفحلة .

سنة خمس وثلثمائة

فيها مات السبكرىّ بعد إطلاقه من الحبس .

وفيها أطلِق أبو الهيجاء وإخوته ، وخُلِع عليهم .

وفيها مات غريب الخال[١] [خال][٢] المقتدر بالله ، وعقَد لابنه مكانه ، وحضر ابن الفُرات جنازته بداره ، بالنجمىّ .

وفيها قُلِّد أبو عمر قضاء الحَرَمَيْن .

---

(١) هو الأمير غريب خال الخليفة المقتدر بالله ، مات بعلة الذرب (وهو داء يعرض للمعدة) ، وكان محترماً فى الدولة ، وهو الذى قتل عبد الله بن المعتز ؛ حتى قرر جعفرا المقتدر . النجوم الزاهرة ٣ : ١٩٢ .

(٢) زيادة يقتضيها السياق .

سنة ست وثلثمائة

فى هذه السنة ، تأخرت أرزاق الجند ، واحتجّ ابنُ الفرات بأنّ المال صُرِف فى نفقة الجيش الّذى جهَّزه لمحاربة ابن أبى الساج ، فقُبِض عليه . فكانت وزارته هذه سنة وخمسة أشهر وتسعة عشر يوماً .

ودخل على جَحْظَة بعضُ أصدقائه ، فقال له : ما تتمنى ؟ فقال : لم يبقَ لى منى غير نكبات الوزراء ! فقال له : قد نُكب ابن الفرات ، فقال جحظة :

أحْسَنُ من قهوةٍ معتّقةٍ تَخَالُها فى إنائها ذهبَا
من كفّ مقدودة منعّمـةٍ تقسِّم فينا ألحاظُها الوَصَبَا
ومسمع نهضَ السُّرور إذا رجّع فيما تقولُ أو ضَرَبا
نعمةُ قومٍ أزالَها قــدَرٌ لم يحظَ حرٌّ فيها بما طَلَبا

وزارة حامد بن العباس

كان حامد يستدعى قَسِياً الجوهرىّ خادم السيدة ، إذا خرج إلى واسط لمشارفة أعمالها بها ، ويلاطفه ، فعاد من عنده وقد نُكِب ابن الفرات ، فأشار به ، فوافق ذلك مشورة ابن الحوارى أيضاً . فوصل وقد كُوتِب إلى بغداد فى اليوم الرابع من القَبْض على ابن الفُرات . وكان له أربعمائة غلام يحملون السلاح وعدّة حجاب تُجْرِى مجرى القواد .

وأشار ابن الحوارى عليه بطلب علىّ بن عيسى ، ومساءلة المقتدر بالله فيه ليخلُفَه على الدّواوين ، ففعل ، فقال المقتدر بالله : ما أحسب علىّ بن عيسى يرضى أن يكون تابعاً ، بعد أن كان متبوعاً . فقال حامد : أنا أعامل الوزراء منذ أيام الناصر لدين الله ، فما رأيت أعفّ من علىّ بن عيسى ، ولا أكبر نفساً منه ، ولم لا يستجيب لخلافة الوزارة ؟ وإنما الكاتب كالخيّاط يخيط يوماً ثوباً قيمته ألف دينار ، ويخيط يوماً

ثوباً قيمته عشرة دراهم . فضحك منه من سمع قوله ، وعيب بهذا .

وأزرى عليه ، أن أم موسى القهرمانة ، خرجت إليه برقعة من الخليفة فقرأها ، ووضعها بين يديه ، وأخذ يتحدث حديث شق الفرن المنفجر أيام الناصر لدين الله بواسط ، وأم موسى مستعجلة بالجواب ، ولم يُجب إلى أن استوفى حديث الشقّ . وحكايته معها فى قوله لها : والتقطى واحذرى أن تغلطى مشهورة .

وكتب أبو الحسن محمد بن جعفر بن ثوابة ، عن المقتدر بالله كتاباً إلى أصحاب الأطراف يذكر فيه وزارة حامد . أوله : أما بعد ، فإنّ أحمد الأمور ما عمّ صلاحه ومنفعته ، وخير التدبير ما رُجىَ سداده وإصابته ، وأزكى الأعمال ما وصل إلى الكافّة يمنُه وبركته ، وأفضل الأكوان ما كان اتّباع الحق سبيله وعادته .

وخلع المقتدر بالله على علىّ بن عيسى ، وأنفذ به مع صاحب نصر الحاجب وشفيع المقتدرى إلى دار حامد على أعمال المملكة .

وكتب إليه علىّ بن عيسى فى بعض الأيام رقعةً خاطبه فيها بعبده ، فأنكر ذلك حامد وقال : لستُ أقرأ له رقعة إذا خاطبنى بهذا ، بل يخاطبنى بمثل ما أخاطبه به . وكان يكتب كلّ واحد منهما إلى صاحبه اسمه واسم أبيه ، وشكر له علىّ بن عيسى هذا الفعل .

وسقطت منزلة حامد ، وتفرّد علىّ بالأمور ، وقيل فيهما ، قال ابن بسام :

يا بنَ الفُرات تعــزّى قد صارَ أمرُكَ آيــهْ
لمّا عُزلتَ حَصَلْنــا على وزيرٍ بِدَايَــهْ

وضمن علىّ بن عيسى الحسينَ بن أحمد الماذرائى ، أعمال مصر والشام بثلاثة آلاف ألف دينار ، فأوصله إلى المقتدر بالله ، فخلع عليه وشخص إلى عمله . وقدم علىّ بن أحمد بن بسطام من مصر فولاّه أعمال فارس .

قال أبو الفضل العباس بن الحسين وزير معز الدولة : رأيت أبا القاسم بن بسطام وقد دخل إلينا فارس عاملا ، ومعه أثقالٌ لم يُرَ مثلُها ، ورأيتُ فى جملة أثقاله أربعين نجيباً مُوقَرة أسرّة مشبّكة ، ذكروا أنه يستعملها فى الطرقات للمجلس . والتمس يوماً سجادة للصلاة بعينها ، وكان يألفها ، ففتّشت رُزَمُ الفرش ، فكان فيها نحو أربعمائة سجادة .

ولما تبين حامد[١] أن منزلته قد وَهَتْ ، استأذن فى الانحدار إلى واسط ، فأذن الخليفة له ، وليس له من الوزارة غير الاسم .

وأقطع المقتدر بالله ابنَه أبا العباس دار حامد بالمخرِّم ، فانتقل حامد إلى داره فى باب البَصْرة .

ولما انحدر حامد استخلف مكانه صهرَه أبا الحسين محمد بن بسطام وأبا القاسم الكلوذانىّ ، فظهرت كفاية الكلوذانىّ .

وتقلّد أبو الهيجاء بن حمدان طريقَ خراسان .

(١) فى الأصل : « ابن حامد » ، وهو خطأ . وفى تجارب الأمم : « ولما تبيّن حامد اتضاع حاله عند المقتدر.... استأذنه فى العودة إلى واسط ... » . ص ٦٠ ج ١ .

سنة سبع وثلثمائة

ضجّت العامة من الغلاء ، وكسروا المنابر ، وقطعوا الصلاة ، وأحرقوا الجسور ، وقصدوا دار الرّوم ونهبوها ، فأنفذ المقتدر بمن قبض على عدّة منهم ، واستدعى حامداً ليبيع الغلاّت التي له ببغداد ، فأصْعَدَ[1] ، وباعها ، ونقص في كل كُرٍّ[2] خمسة دنانير .

وركب هارون بن غريب وإبراهيم بن بطحاء المحتسب إلى قطيعة أم جعفر ، فسعَّروا الكُرّ الدقيق بخمسين ديناراً ، فرضيَ النّاس وسكتُوا وانحلّ السِّعْر .

---

(١) أصعد في الأرض : مضى ؛ مثل صعّد بالضعيف .
(٢) الكُرّ ، بالضم : مكيال للعراق .

سنة ثمان وثلثمائة

ورد الخبر بحركة الخارج بالقَيْروان إلى مصر ، فأُخرِج مؤنس إلى هناك .

ودخل صاحب السِّند بغداد ، فأسلم على يَدَىِ المقتدر بالله .

وفى هذه السنة ، خُلِع على أبى الهيجاء ، وقُلِّد الدِّينور .

وتحركّت الأسعار فيها فافتتن [الناس] [1] ببغداد لذلك .

وبرد الهواء فى تَمّوز ، فنزل الناس من السطوح وتدثّروا بالأكسية واللُّحف

---

(١) زيادة يقتضيها السياق ، وفى النجوم الزاهرة ٣ : ١٥٨ : « وفيها غلت الأسعار ببغداد ، وشغبت العامة »

سنة تسع وثلثمائة

قرئت الكُتب على المنابر بهزيمة المغربى[١]، واستباحة عسكره ولقِّب مؤنس بالمظفَّر[٢].

وخُلِع على محمد بن نصر الحاجب ، وقُلِّد أعمال المعاون بالموصل ، وعُقِد له لواء وخرج إلى هناك .

وهُدِمت دار علىّ بن الجهشيار ببغداد فى عَرْصة باب الطاق ؛ وكان هذا الباب عَلَماً ببغداد فى الحُسْن والعلوّ وبُنى موضعه مُسْتَغَل[٣].

وعُقِد لمؤنس المظفّر على مصر والشام . وخُلِع على أبى الهيجاء بن حمدان ، وقُلِّد أعمال المعاون بالكوفة وطريق مكة .

وكَبَس سبعة من اللصوص دارَ ابنِ أبى عيسى الصّيرفىّ ، وأخذوا منه ثلاثين ألف دينار ، ثم عُرِفوا بعد أيّام ، فقتِلُوا ، واستَرَدّ منهم نَيِّفاً وعشرين ألفاً .

وفى شوال دخل مؤنس المظَفّر بغداد قادماً من مصر ، فتلقّاه الأمير أبو العباس ابن المقتدر ، وخلع عليه ، وطُوِّق وسُوِّر على مائة واثنى عشر قائداً من قواده .

وأُنفِذ إلى ابن ملاحظ عَقْد على اليمن وخلَع .

ودعا المقتدر فى يوم الاثنين لثمانٍ بَقِين من ذى القَعدة مؤنساً[٤] المظفّر ونصرا الحاجب ، وخَلَع على مؤنس خِلَعَ منادمة . وسأل فى أمر الليث بن علىّ وطاهر بن محمد ابن عمرو بن الليث ، ويوسف بن أبى الساج فوُهِبوا له .

وفى هذه السنة أهدى الوزير حامد بن العباس إلى المقتدر البستان المعروف بالنّاعورة ، أنفق على بنائه مائة ألف دينار ، وفرشه باللُّبود الخُرَاسَانيّة .

---

(١) هو عبيد الله المهدىّ صاحب القيروان .

(٢) قال صاحب النجوم الزاهرة : « وهو أول لقب سمعناه من ألقاب ملوك زماننا » .

(٣) فى الأصل : « مستعل » ، بالعين والصواب ما أثبت من كتاب المنتظم ٦ : ١٥٩ .

(٤) فى الأصل : « لمؤنس » .

وبلغت زيادة دجلة فى نيسان[١] ثمانية عشر ذراعاً .

وانتهى إلى حامد بن العباس أمرُ الحسين بن منصور الحلاج ، وأنّه قد موّه على جماعة من الخدم والحشم والحجّاب ، وعلى خدم نصر ، وأنهم يذكرون عنه أنه يحيي الموتى ، وأنّ الجنّ تخدمه . وأحضِر السمرىُّ الكاتب ورجلٌ هاشمىٌّ ، مع جماعة من أصحاب الحلاّج ، واعترفوا بأنّ الحلاج يدّعى النبوءة ، وأنهم صدّقوه ، وكذّبهم الحَلاّج وقال : إنما أنا رجل أكثر الصلاة والصوم وفعل الخير . واستحضر حامد ابن العباس القاضىَ أبا جعفر بن البهلول ، فاستفتاهما فى أمره ، فذكرا أنهما لا يُفتِيان فى أمره بشىء ، ولا يجوز أن يُقْبل قوْل مَنْ واجهه بما واجهه إلاّ ببيّنة أو بإقرار منه ، وتقرّب إلى الله تعالى بكشف أمره رجل يعرف بدبّاس تبع الحلاّج ثم فارقه ، والحلاّج مقيم عند نصرٍ القشورىّ مكرَّم هناك . ودافع عنه نصر أشدَّ مدافعة ، وكان يعتقد فيه أجمل اعتقاد[٢]. فتكلّم علىّ بن عيسى ، فقال له الحلاّج فيما بينه وبينه : قف حيث انتهيت ، وإلاّ قلبْتُ الأرض عليك ، فعزم حينئذ علىّ بن عيسى على مناظرته .

وحضرت بنت السمرىّ ، فذكرت أن أباها أهداها إلى سليمان بن الحلاج وهو بنيسابور ، وكانت امرأة حسنة الوجــه ، عذبة الكلام جيّــدة الألفاظ ، وقال لها الحلاّج : متى أنكرتِ من ابنى شيئاً فصومى يوماً ، واقعدى فى آخره على سطحك ، وافطرى على مِلْح ورماد ، [٣] واستقبلى واذكرى ما كرهتِ منه ، فإنّى أسمع وأرى[٣] . وحكت أن ابنة الحلاّج أمرتْها بالسجود له ، وقالت : هذا إله الأرض ، وأكثرت فى الإخبار عنه بما شاكل ذلك .

وحكى حامد أنه قَبض على الحلاج بدور الراسبىّ فادّعى تارة الصلاح ، وادّعى أخرى أنه المهدىّ ، ثم قال له : كيف صرت إلاهاً بعد هذا !

وكان السمرىّ فى جملة مَنْ قُبِض عليه من أصحابه ، فقال له حامد : ما الذى

---

(١) نيسان سابع الأشهر الرومية

(٢) فى تجارب الأمم ١ : ٧٦ : «وسعى قوم بالسّمرىّ وببعض الكتاب وبرجل هاشمىّ أنه نبىّ الحلاج وأن الحلاج إله فقبض عليهم وناظرهم حامد فاعترفوا بأنهم يدعون إليه ، وأنه قد صح عندهم أنه إله يحيى الموتى وكاشفوا الحلاج بذلك فجحده وكذّبهم» .

(٣ - ٣) فى تجارب الأمم : «واستقبلينى بوجهك واذكرى منه ما تنكرينه فإنى أسمع وأرى» .

حداك على تصديقه ؟ قال : خرجتُ معه إلى إصطخر فى الشتاء ، فعرّفته محبّتى للخيار ، فضرب يده إلى سفح جبل ، فأخرج من الثلج خيارةً خضراء ، فدفعها إلىّ ، فقال حامد : أفأكلتَها ؟ قال : نعم ، قال : كذبت يا بن ألف زانية فى مائة ألف زانية ، أوجعوا فكّه ، فضربه الغلمان وهو يصيح : من هذا خِفْنا .

وحدّث حامد ، أنه شاهد مِمّن يدعى النيْرَنجيات[1] أنه كان يُخرج الفاكهة ، وإذا حصلت فى يد الإنسان صارت بَعْراً .

ومِنْ جملة مَنْ قُبِض عليه إنسانٌ هاشمىّ كان يكنى بأبى بكر ، فكنّاه الحلاّج بأبى مغيث حيث كان يمرِّض أصحابه ويُراعيهم . وقُبِض على محمد بن علىّ بن القنائى ، وأخِذ من داره سَفَطٌ مختوم فيه قوارير ، فيها بول الحلاّج ورجيعه ، أخذه . ليستشفىَ به .

وكان الحلاّج إذا حضر ، لا يزيد على قوله : لا اله إلا أنت ، عملت سوءاً وظلمت نفسى فاغفرلى ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت .

وظُفِر من كتب الحلاج بكتاب فيه : إذا أراد الإنسان الحجّ ، فليفرد بيتاً فى داره طاهراً ويطوف به سبعاً ، ويجمع ثلاثين يتيماً ، ويعمل لهم ما يُمكِنه من الطعام ، ويخدُمهم بنفسه ويكسوهم ، ويدفع إلى كلٍّ واحد سبعة دراهم ، فإن ذلك يقوم مقام الحجّ .

فالتفت القاضى أبو عمر إلى الحلاّج وقال : من أين لك هذا ؟ قال : من كتاب الإخلاص للحسن البصرىّ ، فقال أبو عمر : كذبت ياحلال الدم ، قد سمعنا[2] بكتاب الإخلاص بمكة ، مافيه ما ذكرتَ . فقال حامد لأبى عمر : اكتب هذا . فتشاغل عنه بكلام الحلاّج ، وأقبل حامد يطالِبُ أبا عمر بالكتاب وهو متشاغل بالخطاب ، حتى قدّم الدواة من بين يديه إلى أبى عمر ، وألَحّ عليه إلحاحاً لم يمكنه الدفع ، فكتب بإحلال دمه . وكتب مَنْ حضر المجلس ، ولما تبيّن الحلاج الصورة قال : ظَهْرى حمًى ودمى حرام ، وما يحلّ لكم أن تهتكوا منّى مالم يُبِحْه الإسلام ، وكتبى موجودة فى الوراقين ، على مذهب أهل السنّة .

---

(١) النيرج : أخذ كالسحر وليس بسحر ، إنما هو تشبيه وتلبيس ، والأخذ : الرقية . المعرب ٣٣٧ .

(٢) فى الأصل : « جمعنا » ، وفى تاريخ ابن كثير « ١١ : ١٤١ : « قد سمعنا كتاب الإخلاص للحسن بمكة ، ليس فيه شىء من هذا » .

وأنفذ حامد بالفتيا والمحضر إلى المقتدر ، فلم يخرج جوابهما ، فلم يَجِد بُدًّا من نصرة نفسه ، فكتب إلى المقتدر : إذا أُهمِل أمرُ الحلاج بعد إفتاء الفقهاء بإباحة دمه ، افتتن الناس به . فوقّع المقتدر : إذا أفتى الفقهاء بقتله ، فادفعه إلى محمد ابن عبد الصمد ، صاحب الشرطة ، ومُرْه أن يضربه ألفَ سوط ، فإن تلفَ وإلا ضَرَب عنقه . والحلاَّج يستطلع إلى الأخبار ، فلما أخبِر أنّ ابن عبد الصمد عند الوزير قال : هلكنا والله .

وأُخرِج يوم الثلاثاء لستٍّ بقين من ذى القعدة إلى رَحْبة الجسر ، وقد اجتمع من العامة أمم كثيرة ، فضُرب ألف سوط ، فما تأوّه ولا استعفى ، وقُطِعت يداه ورجلاه ، وحُزَّ رأسه ، وأحرقت جثته ، ونصب رأسه يومين على الجسر ، وحُمل إلى خراسان ، فَطِيف به .

وزادت دِجْلةُ زيادةً عظيمة ، فادّعى أصحابه أنّ ذلك لأجل ما أُلقِيَ فيها من رَمَاد جُثّتِه .

وادّعى قوم من أصحابه ، أنهم رأوه راكباً حماراً فى طريق النَّهْروان وقال لهم : إنما حوّلت دابّةٌ فى صُورتى ، ولستُ المقتولَ كما ظنّ هؤلاء البقر .

وكان نصر الحاجب يقول: إنما قُتِل ظلماً .

ومن شعر الحلاج :

وما وجدْت لقلبى راحةً أبـــــداً	وكيف ذاك وقد هُيِّئتُ للكَـــدَرِ
لقد ركبت على التّغرير واعجبَـــا	مِمّن يريدُ النَّجا فى المسْلَكِ الْخَطِرِ
كأنّنى بينَ أمواجٍ تُقَلِّبُنِـــــــى	مُقَلَّبٌ بين إصعادٍ ومنحـــدَرِ
الحزنُ فى مهجتِى والنّارُ فى كَبِـــدِى	والدّمع يشهد لى فاسْتَشْهِدُوا بَصَرِى

ومن شعره :

الكأس سَهّل لى الشّكْوَى فبُحْت بكمْ	وما على الكأس من شُرَّابِها دَرَكُ
هبنى ادَّعيْتُ بأنّى مُدْنَفٌ سَقِــمٌ	فما لمضجع جنبى كُلّه حَسَــكُ
هَجْرٌ يسوء ووصْلٌ لا أُسَرُّ بِــــهِ	مالى يَدُور بما لا أشْتَهِى الفَلَـكُ
فكلّما زاد دَمْعِى زَادَنِى قَلَقًـــا	كأنّنى شمعة تبكى فتَنْسَبِــكُ

ومن شعره :

النَّفْس بالشَّىْء الممنَّع مُولَعَــــهْ والحادثات أصولُها متفرِّعَـــــهْ
والنَّفْس للشىء البَعيدِ مُرِيـــدَةٌ والنَّفْس للشىء القريب مُضَيِّعَـهْ
كلٌّ يحاوِلُ حيلةً يرجُو بهــــــا دفع المضرَّةِ واجتلابَ المنفَعَـــهْ

وله :

كلٌّ بلاءٍ علىَّ مِنِّـــى فليتَنِى قَدْ أُخِذْتُ عَنِّـى
أَرَدْتَ مِنِّى اختبارَ سرِّى وقد علمْتَ المُرَادَ مِنِّــى
وليس لى فى سواك حـظٌّ فكيفمَا شِئْتَ فَاختَبِرْنِــى

وفى الصوفية مَنْ يدّعى أن الحلاّج كُوشف حتى عرف السرّ ، وعرف سِرّ السرّ ، وقد ادَّعى ذلك لنفسه فى قوله :

مَواجيدُ أهلِ الحقّ تصدق عن وَجْدِى وأسرار أهلِ السِّرّ مكشوفةٌ عِنْـدِى

وله :

الله يعلمُ مافى النَّفْس جارِحَـةٌ إلاّ وذكرك فيها نَيْلُ مافِيهَــا
ولاَ تنفَّسْتُ إلاّ كُنْتَ فى نَفَسِى تجرى بك الرّوح منّى فى مَجَارِيها
إن كانت العينُ مُذْ فَارَقْتَهَا نَظَرَتْ إلى سواك فخانتْها مآقيهــا
أو كانت النَّفْس بعد البعد آلفةً خَلْقاً عَدَاك فلا نالتْ أمانيهـا

وحكى أنه قال : إلهى ، إنّك تتودد إلى مَنْ يُؤْذيك ، فكيف لا تتودد إلى مَنْ يُؤْذَى فيك ! وأنشد :

نَظَرِى بَدْءُ عِلَّتِـــى ويح قلبى وما جَنَــى
يا معين الضَّنَى علـــىَّ أعنِّى عَلَى الضَّنَــى

وكان ابن نصر القشورىّ قَدْ مَرِض ، فوَصَف له الطَّبِيبُ تُفَّاحَةً فلم تُوجَدْ ، فأومأ الحَلاَّجُ بيده إلى الهواء ، وأعطاهم تفاحة ، فعجبوا من ذلك ، وقالوا : مِنْ أين لك هذه ؟ قال : من الجنة ، فقال له بعض من حضر : إن فاكهة الجنة غير متغيّرة ، وهذه فيها دودة ، قال : لأنّها خرجت من دار البقاء إلى دار الفناء ، فحلّ بها جزء من البلاء . فاستحسنوا جوابه أكثر من فعله .

ويحكون أنّ الشّبلىّ دخل إليه إلى السجن ، فوجده جالساً يخطّ فى التراب ،

فجلس بين يديه حتى ضَجِر ، فرفع طرفه إلى السماء وقال : إلهى لكل حقّ حقيقة ، ولكل خلق طريقة ، ولكل عهد وثيقة ، ثم قال : يا شبلىّ ، من أخذه مولاه عن نفسه ، ثم أوصله إلى بساط أنسه ، كيف تراه ! فقال الشبلى : وكيف ذاك ؟ قال : يأخذه عن نفسه ثم يردّه على قلبه ؛ فهو عن نفسه مأخوذ ، وعن قلبه مردود ، فأخْذُه عن نفسه تعذيب ، وردُّه إلى قلبه تقريب ، وطُوبَى لنفسٍ كانت له طائعة ، وشموس الحقيقة فى قلوبها طالعة ، ثم أنشد :

طلعتْ شمسُ من أحبّك لَيْلاً فاستضاءتْ فما لها من غُروبِ

إنّ شمسَ النّهار تطلع بالليـــــل وشمس القلوب لَيْس تَغِيب

ويذكرون أنّه سُمِّىَ الحلاّج ، لأنّه اطلع على سِرّ القلوب ، وكان يُخرِج لبّ الكلام ، كما يُخرِج الحلاجّ لبّ القطن بالحَلْج .

وقيل : كان يفعل بواسط بدكّان حَلاّج ، فمضى الحلاّج فى حاجة ورجع فوجد القطن محلوجاً مع كثرته ، فسمّاه الحَلاّج .

وفى الصوفية من يقبِّله ، ويقول : إنه كان يعرف اسمَ الله الأعظم . ومنهم من يردّه ، ويقول : كان مُمَوِّهاً .

ويذكرون أنّ الشبلىَّ أنفذ إليه بفاطمة النَّيسَابوريّة ، وقد قُطِعت يده ، فقال لها : قولى له : إن الله ائتمنك على سرٍّ من أسراره ، فأذَعْتَه ، فأذاقك حرَّ الحديد ، فإن أجابكِ فاحفظى جوابَه ، ثم سَلِيه عن التصوّف ، ما هو ؟ فلما جاءتْ أنشأ يقول :

تجـــاسرتُ فكاشفْتُـــــك لمَّا غلَب الصبر[1]

وما أحسن فى مِثْـــلـــــك أنَ يُهْتك السِّتْـــرُ

وإن عَنَّفَنِى النَّـــــاسُ ففى وجهكَ لِى عُـــذْرٌ

كأنَّ البدر محتـــــاجٌ إلى وجهك يا بَـــدْرٌ

وهذا الشعر للحسين بن الضحاك الخليع الباهلىّ .

ثم قال لها : امضى إلى أبى بَكر وقولى له : ياشبلىّ ، والله ما أذعت له سرًّا . فقالت له : ما التّصوف ؟ فقال : ما أنا فيه ، والله ما فرّقت بين نِعَمِه وبلواه ساعةً

(١) ديوان الحسين بن الضحاك ٣٨ .

قطّ . فجاءت إلى الشبلىّ ، وأعادت إليه ، فقال : يا معشر الناس ، الجواب الأول لكم ، والثانى لى .

وذكروا أنّه لما قُطِعَتْ يده ورِجْلُه صاح ، وقال :

وحُرْمَةُ الوُدّ الذى لم يكُنْ　　يطمعُ فى إفساده الدَّهْرُ
ما نالنى عند هجوم البلا　　بأسٌ ولا مَسّنىَ الضر
ماقُدَّ لى عِضْوٌ ولا مِفْصَلٌ　　إلاّ وفيهِ لَكُمْ ذِكْــــرُ

وكتب بعض الصوفية على جِذْع الحَلاّج :

ليكن صدرك للأسرَا　　ر حِصْناً لا يُـــرَامُ
إنمّا ينطق بالسّـــرِّ　　ويُفْشِيــه اللئـــامُ

سنة عشر وثلثمائة

فى المحرّم ، أطلِقَ يوسف بن أبى الساج ، وحُمِل إليه [مال](١) وخِلَع . وحُكى أنه أُنْزِل فى دار دينار ، وأنه أنفذ إلى مؤنس المظفّر ، يستدعى منه إنفاذ أبى بكر ابن الأدمى القارئ ، فتمنّع أبو بكر وقال : إننى قرأت بين يديه يَوْمَ شُهِر : (وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ)(٢) ، ورأيته يبكى ، فأظُنّه حقد علىّ ذلك ، فقال له مُؤنس : لاتَخَفْ ، فإننى شريكك فى جائزته ، فَمَضَى إليه وجلاً ، فلمّا دخل عليه ، وقد أُفِيضَتْ عليه الخِلَع ، والنّاس بحضرته والغلمان وقوفٌ على رأسه ، قال لهم : هاتوا كُرْسِيًّا لأبى بكر ، فأتوْه به ، وقال : اقرأ ، فاستفتح وقرأ قوله تعالى : (وَقَالَ الْمَلِكُ ائتونِي به أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي)(٣) فقال : لا أريد هذا ، بل أريد أن تقرأ بين يدىّ ما كنت تقرؤه يوم شُهِرْتُ فامتنع ، ثم قرأ حين ألزمه : (وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ) .(٤) فبكى ثم قال : هذه الآية كانت سبباً لتوبتى من كلّ محظور ، ولو أمكننى تركُ خدمةِ السلطان لتركتُها . وأمر له بمال جزيل وطِيب كثير .

وحضر يوسفُ دار الخليفة بسوَاد ، ووصل إليه ، فقبّل البِساط وخُلِع عليه ، وحُمِل على فرسٍ بمركب ذهب ، وذلك يوم الخميس ثامنَ المحرّم ، وجلس المقتدر يوم السبت ، وعقد له على أعمال الصلاة والمعاون والخراج بالرّى والجبال وأذْرَبيجان ، وزُيّنتْ له دار السلطان يومئذ ، فركب معه مؤنس ومفلح ونصر والقُوّاد ، واستكتب أبا عبد الله محمد بن خلف النّيرمانىّ ، وقرّر أن يَحْمل إلى السلطان فى كلّ سنة خمسمائة ألف دينار.

وخُلِع على طاهر ويعقوب ابنى(٥) محمد بن عمرو بن الليث الصفّار ، وعلى الليث

---

(١) بياض بالأصل ، وفى تجارب الأمم ١ : ٨٢ : ثم حمل إليه مال وكسرة ، وفى ابن كثير ١ : ١٤٤ : « وردت إليه أمواله » .

(٢) سورة هود ١٠٢ . (٣) سورة يوسف ٥٤ .

(٤) سورة هود ١٠٢ .

(٥) فى الأصل : « بن » والصواب ما أثبته من تجارب الأمم ١ : ٨٣ .

ابن علي وابنه خلع الرضا .

وقدم أخ لنصر الحاجب من بلاد الرّوم وأسلم ، فخُلِع عليه .

وتوالت الفتوح على المسلمين بَرًّا وبحراً ، فقرئت الكتب على المنابر لذلك .

وفى جُمادى الأولى تقلّد نازوك الشرطة ببغداد وعُزل ابن عبد الصمد[١] عنها .

وأمْلَك[٢] أبو عمر القاضي مسروراً المحفليّ ببنت المظفّر بن نصر الداعي ، ومحمد بن ياقوت بابنه رائق الكبير ، بحضرة المقتدر. وحكى أنه خطب خطبة طويلة تعجّب النّاس من حسنها ، ولمّا فرغ منها ، وقد حميَ الحرّ وتعالى النهار ، قيل له ضَجِر الخليفة بالجلوس ، فخطب خطبةً أوجزها بكلمتين ، وعقد النكاح ، فنهض المُقتدر مبادراً لشدة الحرّ ، ووقع فعل أبي عمر عنده ألطف موقع ، والتفت إلى صاحب الديوان فقال : ينبغي أن يُزاد أبو عمر فى رزقه ، وأثنى[٣] عليه .

فعاد صاحب الديوان إلى داره ، فقال لمن حضره من خاصّته : قَدْ جرى لأبي عمر كلّ جميل من الخليفة ، وقد تقدّم[٤] بالزيادة فى رزقه .

قال صاحب الحكاية ، وكان أبو عمر رجلاً[٥] صديقى ، فدعتْني نفسى إلى التقرُّب بذلك إليه فجئتُه ، فأنكر مجيئى فى وقت خلوته ، فحدَّثته بالحديث على شرحه ، فدعا للخليفة وقال : لا عدمتك ، فاستقللْتُ شكره وانصرفت .

فولد لى فكراً معمًّى ، بأنّ فى وجهه من التعجب منى ، وندمتُ ندماً شديداً ، وقلت : سرّالسلطان أفشاه إلى مَنْ هو أحظى عندى من وزيره ، ذكره الرجل لأنسه بى ، بادرت بإخراجه أن راح أبو عمر وشكره . فعلم أنه من فعلى ما صورني ، فرجعت ودخلت بغير إذن ، فلمّا وقع ناظره عليّ قال : يافلان ، ولا حرف ، فكأنه[٦] فشكرتُه وانصرفت.

وفى جمادى الأخيرة ، خُلِع على أبي الْهَيْجاء بن حمدان ، وطُوِّق وسُوِّر .

---

(١) فى تجارب الأمم ١ : ٨٣ وابن كثير ١١ : ١٤٥ : « محمد بن عبد الصمد » .

(٢) أملك : زوج .

(٣) فى الأصل : « وأتى » .

(٤) تقدّم : أمر .

(٥) فى الأصل : « زجل » .

(٦) بعدها بياض فى الأصل وفى العبارة غموض .

وأنفذ الحسين بن أحمد الماذَرائى من مصر هدية وفيها بغلة معها فُلُوّ ، وغلام طويل اللسان يلحق طرفُه أنفَه .

ودخل محمد بن نصر الحاجب ، قادماً من قَالِيقلا ، فى شهر رمضان وقد فُتِح عليه .

وفيه قُبض على أم موسى القَهْرمانة ، وأختها أم محمد ، وأخيها أبى بكر أحمد ابن العباس ، لأنّها زَوّجت بنتَ أخيها أبى بكر من أبى العباس بن محمد بن إسحاق ابن المتوكل على الله ، وكانت له نِعَمٌ عظيمة ، وكان لعلىّ بن عيسى صديقاً ، وأسرفتْ فى الأموال التى نثرتْها ، والدّعوات الّتى عملتْها ، حتى دعت أهلَ المملكة ثمانيةَ عشر يوماً ، وقالت لها السيدة : إنك قد دبّرتِ أن يصير صهرك خليفة ، وسلّمتْها إلى ثمَل القهرمانة ، وهى موصوفة بالشرّ ، وكانت قهرمانة أحمد بن عبد العزيز بن أبى دلف ، فاستخرجتْ منها ألف ألف دينار .

وبلغتْ زيادة دجلة ثمانية عشر ذراعاً ونصفاً .

وورد الخبر أنه انبثق بواسط سبعة عشر بَثْقًا أكثرها ألف ذراع ، وأصغرها مائتا ذراع ، وغرق من أمّهات القرى ألفان وثلثمائة قرية .

وحجّ نصر الحاجب ، فقلّد ابنُ ملاحظ الحرَمَيْن ، وصُرِف عنهما نزار بن محمد .

سنة إحدى عشرة وثلثمائة

فى صفر ماتَ أبو النجم بدر الحمّامىّ بشيراز ، وكان يتولّى أعمال الحرب والمعاون بفارس وكِرْمان ، ودُفِن بشيراز ، ثم نُبِش وحُمِل إلى بغداد ، واضطرب الجند لموته بفارس ، فكتب علىّ بن عيسى إلى أبى عبد الله جعفر بن القاسم الكرخىّ بضبْط تلك البلدان ، فضَبَطها واستمَال الجند .

وخُلِع على مؤنس المظفّر ،وعُقِد له على غزاة الصَّائفة(١) . وكان أبو الهيجاء ابن حمدان قد خُلع عليه لولاية فَارس وكِرْمان ، ثم عُدِل عنه إلى إبراهيم بن عبد الله المسمعىّ ، فقلّد ذاك .

وعُقِدت الكوفة وطريق مكة على وَرْقاء بن محمد .

وفى شهر ربيع الآخر ، صُرِف حامد بن العباس عن الوزارة ، وعلىّ بن عيسى عن الدواوين ، وكانت وزارة حامد أربع سنين وعشرة أشهر وأربعة وعشرين يوماً .

وكثرت عداوة الناس لحامد لإسقاطه لأرزاقهم ونقصانهم ، فكان ذلك سببَ عزله .

وكان علىّ بن عيسى يكتب ليطالب جهبذالوزير(٢) : أسعده بكذا ، فسقط بذلك .

وجرى بين مفلح(٣) وبين حامد مُناكرة ، فقال حامد : صحّ عزمى على ابتياع مائة أسود أقودهم ، وأسمى كلّ واحد منهم مفلحاً .

وكان المقتدر يستدعى ابنَ الفرات ويشاوره وهو محبوس .

واتّفق أنه أنفذ إلى المقتدر وسأله أن يُقرضه ألفَ دينار باثنى عشر ألف دينار ، فأجابه إلى ذلك حياء من ردّه ، مع ما أخذ من أمواله . فلمّا أخذ ابنُ الفرات المال ،

---

(١) الصائفة : غزوة الروم ؛ لأنهم كانوا يغزون صيفاً لمكان البرد والثلج .

(٢) الجهبذ : النقاد الخبير ، ويبدو أنها أطلقت على بعض الوظائف .

(٣) مفلح : خادم المقتدر .

جاء به إلى المقتدر ، فأفرغه بين يديه وقال : يا أميرَ المؤمنين ، ما تقول فى رجل يسترزق فى كلّ شهر هذا ! فاستعظم المقتدر ذلك وقال : ومَن الرجل ؟ فقال : ابن الحوارى ، هذا سوى ما يصلُه من المنافع ، ويناله من الفوائد . وردّ ابنِ الفرات الدنانير ، وسعى مفلح لتقليد ابن الفرات الوزارة ، واعْتُقل علىّ بن عيسى وسُلِّم إلى زيدان القَهْرمانة .

وخُلِع على ابن الفرات لتقليد الوزارة الثالثة ، وعلى ابنه وأخيه ، وجلسوا فى دورهم ، بسوق العطش للتهنئة ، وسأل أن يعاد إلى داره بالمخرِّم ، وكانت قد أُقطِعت للأمير أبى العباس ، فأذن له المقتدر فى ذلك . وقبض ابنُ الفرات على جماعة من أسباب علىّ بن عيسى ، فيهم ابن مقلة .

وأشير على ابن الحوارى بالاستتار ، وقيل له : إن المقتدر لم يطوِ عنك وزارة ابن الفرات إلا لتغيّر رأى فيك ، فقال : لا أنكب نفسى ، وستر حُرَمه .

ثم قبضَ ابنُ الفرات على ابن الحوارى ، وقَبض على صهره محمد بن خلف النّيرمانى ، وتوسط ابنُ قَرَابة حاله ، فصادره على سبعمائة ألف دينار ، وصادر أبا الحسين ابن بسطام صهر حامد على مائتى ألف دينار .

وشرط المقتدر على ابن الفرات ، ألاّ ينكب حامداً ، وأن يناظره على ما عليه ، فناظره بمحضر الكتّاب والقضاة ، وقال المقتدر : إنه خدمنى ولم يأخذ رزقاً ، وشرَط علىّ ألاّ أسلمه لمكروه ، فاضطر ابن الفرات إلى إقرار حامد على واسط ، وكان يتأول عليه تأوّلا ديوانيًّا .

وكان حامد يطالب بما حبسه من النفقة على البثوق فى أيام الخاقانىّ ، وهى مائتان وخمسون ألف دينار ، فكانت تتأخر المطالبة جديدة الضمان ، ولأنه شرط أنه يُحسب ذلك من ماله ، لا من مال السلطان .

فقلّد ابن الفُرات أعمال الصِّلح أبا العلاء محمد بن على البَزَوْفَرى [١].

وقلّد أبا سهل إسماعيل بن علىّ النوبختى أعمالَ المبارك ، وجعل إلى كلّ واحد مطالبة حامد . فأما أبو سهل فكان يخلط المطالبة برِفْق ، وكان البَزَوفرىّ يستعمل ضدَّ ذلك ، فكان حامد يقصده إلى داره فى رداء ونعل حَذْوٍ[٢]، مع هيبة حامد

---

(١) البزوفرى : منسوب بزوفر ، بفتحتين وسكون الواو : قرية قرب واسط .

(٢) حذو ، أى مقطع .

العظيمة ومنزلته الجسمية منذ ستين سنة . فلم ينفع ذلك فى البزَوفرىّ ، بل زاد عليه أنه ابتاع ضياعات سلطانية بنواحى الجامدة[١] فى أيام الخاقانى بخمسمائة ألف دينار ، وابن الفرات يَحْمِل البزوفرىّ على ما يعتمده .

وكاتب ابن الفرات أن حامداً ممتنع من أداء ما عليه ، مع ميل أهل البلد إليه ، واحتواء يده على أربعمائة غلام لكل واحد منهم غلمان وسبعمائة رجل ، فأجابه ابنُ الفرات أنّ المقتدر قد تقدّم إلى مفلح بالانحدار فى جيش للقبض على حامد . فأظهر البزوفرىّ الكتاب قبل وصول القوم .

فحينئذ أصعد حامد فى سائر جيشه وكتّابه وغلمانه ، وضُرِبت البوقات يوم خروجِه ، وخروج أصحابه ، بعضُهم فى الماء ، وبعضهم على الطريق ، ولم يقدر البزوفرى على منعه ، فكاتب على أجنحة الطيور بالحال ، فأنفذ المقتدر نازوك إلى المدائن للقبض عليه . فأخذ نازوك ما وجده له فاستتر حامد .

وجاء أحد الجهابذة فتقرّب إلى المقتدر بمائة ألف دينار لحامد عنده .

وأرجف الناس ببغداد أن المقتدر أمر حامداً بالاستتار ليقبض على ابن الفرات ، ويعيده إلى مرتبته .

فاستتر آل ابن الفرات وأسبابه ، غير الوزير .

وكانت سعادة حامد قد تناهتْ ، فصار إلى دار المقتدر ، وعليه ثياب الرهبان ، ومعه مؤنس خادمه ، فصعد إلى دار الحجبة ، فقال له نَصْر : لِمَ جئت إلى ها هنا ؟ ولم يقم له ، واعتذر بأنه تحت سخط الخليفة[٢].

وقال لمفلح الأسود – وهو الذى يتولّى الاستئذان على الخليفة – إنه تحت رحمة[٣]، ومثلُك مَنْ أزال ما يعانيه[٤] ، وقال حامد لمفلح : تقول لمولانا أمير المؤمنين عنى : إيثارى الاعتقال فى الدار ، كما اعتُقل علىّ بن عيسى ، وأناظَر بحضرة الفقهاء والقضاة والقواد ، وأمكَّنُ من استيفاء حُجَجى وما يجب علىّ من مال .

---

(١) الجامدة : قرية كبيرة من أعمال واسط . ياقوت .

(٢) فى تحفة الأمراء ٤٣ : « واعتذر إليه بخوفه من سخط الخليفة متى تجاوز به ما وقف عنده » .

(٣) تحفة الأمراء ٤٣ : « وهو اليوم فى موضع رحمة ، وما أولاك باستعمال الجميل معه » .

(٤) فى الأصل : « متعانيه » تحريف .

فقالت السّيدة : لا يضرّ أن يُعْتَقَل فى الدار ويحفَظ نفسه ، فقال مفلح : إن فُعِل هذا ، لم يتمّ لابن الفرات عمل وبطلت الأعمال ، فقال المقتدر : صدقت ، وأمره بإنفاذ حامد إلى ابن الفرات ، فبعد جهد ، مكّنه مفلح من تغيير زيه ، وقال : لا أحمله إلا فى زى الرّهبان وهذا الصوف الذى عليه ، حتّى تشفّع فيه نصر ، وأنفذه مع [ابن][1] الزُّنداق الحاجب .

فلما[2] دخل على ابن الفرات ، أسمَع حامداً المكروه ، وقال له : جئت بها طائية[3] ، وكان الطائىّ قــد ضمن إسماعيل بن بلبل من الناصر لدين[4] الله ، وأتاه فى زىّ الرّهبان ، فسلّمه إلى إسماعيل بن بلبل فعامله بأصناف المكاره ، وأخذ منه مالا عظيماً .

وأمر ابنُ الفرات قهرمان[5] داره ، بأن يفرد له دارَ أخيه ، يفرشها فرشاً جميلا ، وأن يحضر بين يديه ما يختاره من الطعام ، ويُقطع له ما يؤثره من الكسوة ، واستخدم له خادمين أعجميين ودخل إليه كلّ من عامله بالمكاره فوبخوه ، فقال : قد أكثرتم ، وأنا أجمل الجواب ، إن كان ما استعملته من الأحوال التى وصفتموها جميلة العاقبة ، قد أثمرت[6] لى خيراً فاستعملوا مثله وزيدوا عليه ، وإن كان قبيحاً — وهو الذى بلغ هذه الغاية — فتجنّبوه ، فإن السعيد مَنْ وُعِظ بغيره .

فقال ابنُ الفرات لما بلغه ذلك : ما أدفع شهامته ، ولكنّه رجل من أهل النار ، يُقْدِم على الدماء ومكاره الناس[7].

ومثل هذه الحكاية ، حكاية زينب بنت سليمان بن علىّ بن عبد الله بن العباس ، قالت : كنت عند الخيزُران ، فدخلت جارية وقالت : بالباب امرأة لها جمال وخِلْقة حسنة ، وليس وراء ما هى عليه من سوء الحال غاية ، تستأذن عليكِ ، وقد

---

(١) زيادة من تجارب الأمم ١ : ٩٧ وتحفة الأمراء ٤٣

(٢) الخبر فى تحفة الأمراء ٤٤ .

(٣) تحفة الأمراء : « ولكنك عملتها طائية فجاءتك طائية » .

(٤) تحفة الأمراء : « الموفق » .

(٥) تحفة الأمراء : « أستاذ داره » . وفى تجارب الأمم : « يحيى بن عبد الله قهرمان داره » .

(٦) فى الأصل : « أمرت » تحريف ، والصواب ما أثبته من تجارب الأمم ١ : ٩٨ .

(٧) الخبر فى تجارب الأمم ١ : ٩٨ .

سألتُها عن اسمها ، فامتنعتْ أن تخبرنى ، فقالت الخيزران : ما تريد ؟ فقلت : ائذنى لها ، فلن تعدمى ثَواباً .

فدخلت امرأة من أجمل النساء وأكملهنّ ، لا تتوارى بشيء ، وقالت : أنا مزنة امرأة مروان بن محمد الأمويّ ، فقلت لها : لا حيّا الله ولا قرّب ، الحمد لله الذى أزال نعمتَك وهتك سِترَك ، تذكرين يا عدوّة الله ، حين أتاك عجائز أهلى يسألنك أن تكلّمى صاحبك فى الإذن فى دفن إبراهيم الإمام ، فوثبتِ عليهنّ ، فأسمعتِهنّ وأمرتِ بإخراجهنّ على الجهة التى أخرِجن عليها !

قالت : فضحكَت ، فما الدرّ أحسن من ثَغْرها ، وعلا صوتُها بالقهقهة ، ثم قالت : أىْ بنتَ عمّى ، أىّ شىء أعجبك من حسن صنع الله بى على العقوق حتى أردت أن تتأسّىْ به ! إنى فعلت ما فعلت بأهل بيتك ، وأسلمنى الله إليك ذليلة فقيرة ، فكان هذا مقدار شكرك لله على ما أولاك فىّ ، ثم قالت : السلام عليكم ، وولّت . فصاحت الخيزران بها : إنّها علىّ استأذَنَتْ ، وإلىّ قَصَدتْ ، فما ذنبى !

فرجعت وقالت : لعمرى ، لقد صدقتِ يا أخيّه ، وإنّ مما ردّنى إليك ما أنا عليه من الضرّ والجهد ، فقامت الخيزران تعانقها ، وأمرت بها إلى الحمام وخلعت عليها . وجاء المهدىّ فأُخبِر بالحال ، فسرّ بذلك ، وكثُر إنعامه عليها ، وأفرد لها مقصورة من مقاصير حرمه .

وأقر حامد بمائتى ألف دينار ، ولم يقرّ بغيرها ، وسلّمت منه .

وضرب المحسّن[١] مؤنساً خادم حامد ، فأقرّ بأربعين ألف دينار دفنها فى داره بالمدينة ، فحُمِلت .

وصُودر مؤنس الفحل حاجب حامد على عشرين ألف دينار . وصودر محمد ابن عبد الله النصرانى صاحبُه ، والحسن بن علىّ الخصيب كاتبه على ثمانين ألف دينار .

واستعمل الخصيب مع حامد من المكاشفة ، مالم يستعمله كاتب مع حاجب ، فردّ ابن الفرات عليه ما صادره به لذلك .

---

(١) محسّن بن على بن محمد بن الفرات .

وأشخص[١] ابنُ الفرات الفقهاء والقضاة والكتاب ، فيهم النعمان بن عبد الله ، وكان قد تاب من عمل السلطان ، فحضَر بطيلسان[٢] ، وناظره ابنُ الفرات مناظرةً طالت، وكان عمد ابن الفرات أن قال له : الضّمان الّذى ضمنته من الخاقانى سنة تسع وتسعين ومائتين لا يمضيه الفقهاء والكتاب لأنه ضمان مجهول ، وضمنتَ أثمان غَلاّتٍ لم تُزْرع ، فقال له حامد : فقد عملتَ بى كذلك حين ضمنتَنى بأعمال بالصدقات والضياع بالبصرة وكُور دجلة ، فقال ابن الفرات : الغَلّة بالبصرة يسيرة ، وإنما ضمنت الثّمرة ، فقال حامد فمن أحلّ بيع الثمرة قبل إدراكها ، وهى خضرة فى الزرع ؟ فقال المحسن لحامد : هذا الكلوذانى ، كاتبك وكتّابه يشهدون عليك بما اقتطعتَه ، فقال: هؤلاء كتاب الوزير الآن[٣] هواه .

ولزمت ابنَ الفرات حججُه ، حتى قال له حامد : لم أمضيت ضمانى فى وزارتك الثانية ؟ فقال ابنُ الفرات : لهذا نَقَلنى أمير المؤمنين إلى حبسه .

وذكر حامد حججاً كانت فى يده ، فقال ابن الفرات : أنا فتّشت صناديقك ، فلم أجد فيها ما ذكرت ، وأنا المقدّم بإحضارها وتفتيشها . فقال حامد : أفتّشتَها بعد أن فتّشها الوزير ، وقبضها نازوك وفتح أقفالها ! فخجل ابن الفرات وتعجّب الناس من استيفاء حامد الحجة .

فأخرج ابن الفرات عملاً وجـده فى صناديق غريب غلام حامد ، وهذا الغلام كان يتولّى بيع غلاّت حامد ، وحمل ذلك سهواً لأن حامداً كان يجمع حسباناته ، ويُغرِّقها فى دجلة ، فرأى أنه قد بيع غلات تلك السنة سوى القضيم بخمسمائة ألف دينار ونيف وأربعين ألف دينار ، فبان الفضل ، وظهر التّضاعف ، مع كون الأسعار رَخيصة فى تلك السنة ، وعالية فيما بعدها .

وقال حامد لابن الفرات : إنّنى أكرم الوزير عن إسماع ابنه جوابَ ما يشتمنى ، فحلف ابنُ الفرات برأس الخليفة ، إن لم يمسك ابنه استعفى الخليفة فى هذه القضية[٤] .

---

(١) تحفة الأمراء ٤٨ ، ٤٩ .

(٢) تحفة الأمراء : « تاب من خدمة السلطان وليس الخف والطيلسان » .

(٣) بعدها بياض فى الأصل .

(٤) تجارب الأمم ١ : ١٠١ : « ليستعفينّ الخليفة من مناظرته » .

فأمسك المحسن حينئذ ، وأعيد حامد إلى محبسه وطولب بالمال ، فأقام على أنّه لا مالَ عنده ، وأنه قد باع ضِياعه ، وباع داره من نازوك بمدينة السلام باثنى عشر ألف دينار ، وباع خدمه ، وباع أخصَّهم به من نازوك بثلاثين ألف دينار.

فالتفت الخادم إلى نازوك وقال له : لا تستضع بى ، فلا تبْتَغنِى ، فلم يقبل منه ، وابتاعه ، فلما كان فى تلك الليلة شرب الخادم زرنيخاً فمات من ليلته .

وخلا ابنُ الفرات بحامد ، وقال : إن أخبرتَ بأموالك ، صنتُك عن مكارِه ابنى ، وولّيتُك فارس ، وحلَف له على ذلك ، فأقرّ بدفائنة فى بلاليع بواسط ، وقَدّرُها خمسمائة ألف دينار ، وثلثمائة ألف عند قومٍ من العدول ، وأقرّ بقماش له عند ابن شابدة وابن المنتاب وإسحاق بن أيوب وعلىّ بن فرج بثلثمائة ألف دينار.

فعرّفَ المقتدر ذلك ، وقال له ابنُ الفرات : قد أقرّ بذلك عفواً من غير مكروه .

وما زال ابنُ الفرات مكرِماً لحامد ، يُلبِسُه ليّن الثياب ، ويُطعمه هنىّ الطعام ، إلى أن توصّل المحسّن على يدى مفلح إلى المقتدر ، أن يتقدم إلى أبيه باستخلافه ، فاستخلفه على كرهٍ من الأب لذلك ، وخلَع المقتدر عليه ، وصار إلى داره ، فمضى إليه الكتّاب والعمال للتهنئة ، فسقطوا من دَرجَةِ ساج صعدوا عليها من زَبازبهم[1]، فلحقتْهم العلل لذلك .

وضمن حامد الخمسمائة ألف دينار ، وأحضره ، فطالبه فقال : لم يَبْق غير ضياعى ، وأنا أوكّل فى بيعها ، فأمر بصفعه ، فَصُفِع خمسين صَفْعةً ، وأحدره إلى واسط مع خادم وعشرة فرسان ، وذلك فى عاشر شهر رمضان سنة إحدى عشرة وثلثمائة .

وشاع ببغداد أنّ حامداً اشتهى بيضاً ، فطرَح له الخادم فيه سُمّاً ، فأكله ، فلحقه ذَرَب ، ودخل واسطاً ، وهو مُثْخَنٌ ، فقام أكثر من مائة مجلس .

فأراد البَزَوْفرىّ الاستظهارَ لنفسه ، فأحضر القاضى وشهودَه وكتب : إن حامداً ، وصل إلى واسط ، فتسلّمه البَزَوْفَرِى وهو عليل من ذَرَبٍ[2] وإن تلف من ذلك ، فإنّما مات حتف أنفه .

فلما دخل الشّهود وقد قرّر مع حامد الإشهاد على نفسه قال لهم : إن ابنَ الفرات

---

(١) الزبزب وجمعه زبازب : نوع من السفن .

(٢) الذرب : داء يكون فى الكبد .

الكافر الفاجر المجاهر بالرَّفْض وبغض بني العباس رحمة الله عليهم ، عاهدني وحلَف بالطلاق وأَيْمان البيعة ، على [أنني] إن أقررت بأموالي لم يسلِّمني إلى ابنه ، وصانني على المكروه وولأني ، فلما أقررتُ سلّمني إلى ابنه[1] فعذّبني ودفعني إلى خادمه فسقاني بيضاً مسموماً ، ولا صُنْع للبزَوْفَري في دمي إلى وقتنا هذا ، ولكنّه ، لعنه الله كفر إحساني ونَسِيَ اصطناعي ، فأغرى ابنَ الفرات بي وسعى على دمي ، ثم أخذ قطعة من أموالي ، وجعل يحشوها في المساور البرتون[2] ، ويبتاع الواحدة منها بخمسة دراهم ، وفيها أمتعةٌ تساوي ثلاثة آلاف دينار. فأُشهدوا على ما شرحتُه .

وتَبيَّنَ البزَوْفَري أنه قد أخطأ .

وكتب ابن بطحاء صاحب الخبر بواسط إلى ابن الفرات بالحال ، فشقّ عليه .

وتُوُفّي ليلة الخميس لثلاث عشرة خلَتْ من شهر رمضان سنة إحدى عشرة وثلثمائة ، وغُسِّل وكُفِّن ، وصلّى عليه القاضي والشهود بواسط .

وأخذ منه ابنُ الفرات ألف ألف وثلثمائة ألف دينار .

وقبض المحسّن على أبي أحمد محمد بن منتاب الواسطيّ ، صاحب حامد ، فصادره على مائة ألف دينار .

وحكى التّنوخيّ ، عن بعض الكتاب قال : حضرتُ مائدة حامد بن العباس ، وعليها عشرون نَفْساً ، وكنت أسمع أنه يُنفق على مائدته مائتي دينار ، فاستقللت ما رأيتُ . ثم خرجت فرأيت في الدار نَيِّفاً وثلاثين مائدة منصوبة ، على كلّ واحدة ثلاثون نفساً ، وكلّ مائدة مثل المائدة التي كنت عليها ، حتى البوارد والحَلْوى ، وكان لا يستدعي أحداً إلى طعامه ، بل يقدّم إلى كلّ قوم في أماكنهم ، وكانت الموائد في الدّهاليز ، وكان يقدِّم لكل من يحضر جدياً ، فتكون الجِداء بعدد الناس ، ويرفع ما بقي ، فتقتسمه الغلمان .

وقال حامد : إنّما فعلت هذا لأنني حضرتُ قبل علوّ أمري على مائدةِ بعض أصدقائي ، وقُدِّم عليها جديٌ ، فعوّلت على أكل كُلْيته ، فسبقني رجل فأكلَها ، فاعتقدتُ في الحال : إن وسع الله عليّ ، أن أجْعَلَ جِداءً بعدد الحاضرين .

---

(١) تجارب الأمم ١ : ١٠٤ : « سلمني إلى ابنه المحسّن » .

(٢) كذا في الأصل وفي تجارب الأمم : « البزيون » .

وركب حامد ، وهو عامل واسط إلى بستان له ، فرأى فى طريقه داراً محترقة وشيخاً [يبكى][١] وحوله نساء وصبيان على مثل حاله ، فسأل عنه ، فقيل هذا رجل تاجر احترقت داره ، فافتقر ، وأفلت بنفسه وعياله على هذه الصورة ، فوجَمَ ساعة ، ثم قال : فلان الوكيل ! فجاء ، فقال :أريد أن أندبَك لأمرٍ إن عملته كما أريد ، فعلتُ بك وصنعتُ وذكر جميلاً ، وإن تجاوزت فيه رسمى فعلتُ بك وصنعت — وذكر قبيحاً ، فقال : مُرْ بأمرك ، فقال : ترى هذا الشيخ ، قد آلمنى قَلْبى له ، وقد تنغَّصَتْ علىّ نزهتى بسببه ، وما تسمح نفسى بالتوجّه إلى بستانى إلاّ بعد أن تضمن لى أنى إذا عُدْتُ العشية مع النزهة وجدت الشيخ فى داره ، وهى كما كانت مبنيَّة مجصصّةً ، نظيفة ، وفيها الفرش والصُّفْر والمتاع من صنوفه وصنوف الآلات ، مثل ما كان فيها ، وعلى جميع عياله من كُسْوة الشتاء والصيف ، مثل ما كان لهم .

قال الشيخ : فتقدّم إلى الخادم أن يُطلِق ما أريده ، وإلى صاحب المعونة أن يقف معى ، ويحضر كل ما أريده من الصُّنّاع ، فتقدّم حامد بذلك ، وكان الزمان صيفاً ، فأحضر أصناف الروزجارية والبنائين ، فكانوا يَنْقضُون بيتاً ويطرحون فيه مَنْ يَبْنيه . وقيل لصاحب الدار : اكتب جميع ما ذهب منك ، فكتب حتى المكنسة والمقدحة ، وأحضر جميع ذلك .

وصلِّيت العصر ، وقد سقفت الدّار كلّها ، وجُصِّصت وغُلِّقت الأبواب ولم يبق إلا البياض والطوابيق[٢]، فأنفذ إلى حامد وسأله التوقُّف فى البستان ، وألاّ يركب منه إلى أنْ يصلّىَ العِشاء الأخيرة ، وقد بُيِّضت الدار وكُنِست وفُرِشت ، ولبسَ الشيخُ وعيالُه الثياب ، ودُفعت إليهم الصناديق والخزانة مملوءة بالأمتعة .

واجتاز حامد ، والنَّاس مجتمعون له كأنّه نهار فى يوم عيد ، فضجّوا بالدعاء له ، فتقدّم إلى الجِهْبِذ بخمسة آلاف درهم ، يدفعها إليه ، يزيدها فى بضاعته ، وسارَ حامدٌ إلى داره .

وفى هذه السنة ، تُوفِّى أبو إسحاق إبراهيم بن السرىّ الزَّجّاج ، صاحب المعانى ، وكان يخْرُط الزّجاج ، فأتى المبرّد ، وكان يعلِّم لكل واحدٍ بأجره على قَدْر معيشته ،

---

(١) زيادة من المنتظم ٦ : ١٨٢ .

(٢) المنتظم : « غير الطوابيق » .

وقال له : إنى أكسب فى كلّ يوم درهماً ودانقين ، وإنى أعطيك درهماً ، إن تعلّمتُ أو لم أتعلّم ، حتى يُفرّق الموت بيننا ، وآخذ منك ، قال : قد رضيت .

قال : وأنفذ إليه بنو مارمّة من الصَّرَاة يطلبون مؤدِّباً لأولادهم ، فأنفذنى إليهم ، وكنت أوجه إليه فى كلّ شهر ثلاثين درهماً . وطلب عبيد الله بن سليمان منــه مؤدَباً لابنه القاسم ، فقال : لا أعرف إلاّ مؤدب بنى مارمّة ، فكتب إليه عبيد الله فاستنزلهم [عنى](1) وأدّبْت القاسم، فكنت أقول له : إن أبلغك الله مبلغ أبيك تعطينى عشرين ألف دينار؟ فيقول لى : نعم . فما مضت إلا سنون حتى وَلِيَ الوزارة ، وأنا على ملازمته ، فقال لى باليوم الثالث : ما أراك ذكّرتَنِى بالنّذر ، فقلت : لا أحتاج مع رعاية الوزير إلىّ ، إذكار خادم واجب الحق ، فقال : إنه المعتضد ، ولولاه ما تعاظمنى أن أدفع ذلك فى مكان واحد ، ولكنى أخاف أن يصيرَ لى حديثاً ، فخذه مفترقاً ، فقلت : أفعل ، فقال : اجلس وخذْ رقاع أصحاب الحوائج الكبار ، ولا تمتنع من مساءلتى فى شيء ، فكنت أقول : ضَمِن لى فى هذه القصة كذا ، فكان يقول غُبِنت فاسترِد القوم ، فحصل عندى عشرون ألف دينار ، فقال : حصل عندك مال النذر ؟ قلت : لا ، فلما حصل ضعفُه ، أخبرته ، فوقّع لى إلى خازنه بثلاثة آلاف دينار ، فأخذتُها وامتنعتُ أنْ أعرض عليه شيئاً . فلما كان من غدٍ جئته ، فأومأ إلىّ : هات ما معك ، فقلت : ما أخذت رقعة لأن النذر قد وقع الوفاء به ، ولم أدر كيف أقع مع الوزير! فقال : سبحان الله ! أترانى كنتُ أقطع عنك شيئاً قد صار لك به عادة ، وصار لك به عند الناس منزلة وغدوّ ورواح إلى بابى، فيظنّ الناس أن انقطاعه لتغيّرِ رتبتك ! اعرِضْ علىّ رسمَك وخُذْ بلا حساب ، فكنت أعرض عليه إلى أن مات .

وحدّث والدى رحمه الله ، قال : أخبرنا القاضى أبو الطيب ، قال : حدّثنى محمد بن طلحة الردادىّ ، قال : حدثنى القاضى محمد بن أحمد بن المخرّمى(2) أنه جرَى بين الزجاج وبين المعروف بمسينة – وكان من أهل العلم – شرّ ، فاتّصل ، ونسجه إبليس وأحكمه ، حتى خرج إبراهيم إلى حد السَّفَه ، فقال مسينة :

---

(١) من المنتظم .

(٢) كذا فى المنتظم ٦ : ١٧٩ وفى الأصل : « المخرم » .

أبَى الزَّجّاجُ إلاّ شَتْمَ عِرْضِي ... لينفعَه فآثمه وضَــــرَّهْ[١]
وأقسِم صادقاً ما كان حــر ... ليطلق لفظَه فى شتم حُرَّهْ
ولو أنّى كررتُ لَفَرَّ منّـــى ... ولكنْ للمنون[٢] عليه كَـرَّهْ
فأصبح قد وَقَاه الله شَرِّى ... ليومٍ لا وقاهَ اللهُ شَــرَّهْ

فلما اتّصل هذا بالزجاج قصده راجلاً ، حتى اعتذر وسأله الصفح .

وورد الخبر بدخول أبى طاهر سليمان بن الحسن الجَنَّابىّ البصرة سَحَر يوم الاثنين لخمس بقين من شهر ربيع الآخــر سنة إحدى عشر وثلثمائة ، فى ألف وسبعمائة رجل ، وأنه وصل إليها بسلاليم نصبها على سُورِها وقتل الحرّاس وطرح بين كلّ مصراعين حمل رمل وحصى .

وقَتَل سبكُ المفلحىّ أميرَ البصرة ، وأحرق المِرْبد ، وبعض الجامع ، ومسجد قبر طلحة رضى الله عنه ، ولم يعرض للقُرى . وحاربه أهل البصرة عشرة أيام بالكلأ ، وهربوا منه ، فطرح فيهم السيف ، وغَرِق منهم الكثير ، وأقام بها سبعة عشر يوماً ، يحمل على جماله أموالَهم ، وسار إلى بلده .

وادّعى ابنُ الفرات على علىّ بن عيسى ، أنه كاتَبَ القرامطة ، على المصير إلى البصرة ، وأُحضِر ونُوظِر ، فلم يصحّ عليه أمرُه .

[٣]وقال الهمانى : سمعت علىّ بن عيسى ، يعنّف أبا عبد الله ، حين حلفتُ أن استغلال ضيعتك بواسط عشرة آلاف دينار ، وقد وجد بها فى حساب الهمانى أنه يرتفع فيها ثلاثين ألف دينار ، فقال البريدىّ : تأسّيت بسيدنا حين حلفَ لابن الفرات ، أنّ استغلال ضيعته الصافية عشرون ألف دينار ، واستغلالَها خمسون ألفاً .

وعلم أنه مع ديانته ، لو لم يعلم أن البقيّة مباحة عند مَنْ يخافه لما حَلَف ، فكأنه ألقم عليًّا حَجَراً[٣] .

(١) الأبيات فى المنتظم ٦ : ١٧٩ .

(٢) المنتظم : « للمنون علىّ » .

(٣ – ٣) فى هذا الخبر غموض ؛ وهو فى تجارب الأمم ١ : ١٠٩ ، ١١٠ : « حكى أبو الفرج بن هشام عن ابن المطوق أن أبا الحسن علىّ بن عيسى كان سأل أبا الحسن بن الفرات أن يتجافى له عن ارتفاع ضيعته لسنة (٣١١) ليؤديه من جملة المصادرة وأن ابن الفرات قال له : هو خمسون ألف دينار ، فقال علىّ بن عيسى : قد رضيت بعشرين ألف دينار ، وذكر أنه دون ذلك ، فلما نفى إلى مكة وجد فى ضيعته نحو الخمسين ألف الدينار . قال أبو الفرج =

وامتنع المقتدرُ من تسليم عليّ بن عيسى إلى ابن الفرات ، وأراد حفظ نفسه ، فأدّى ثمن دار كانت له بالجانب الغربيّ في سُويقة أبي الورود ، سبعة آلاف دينار ، وقال للمحسِّن : ما يمكنني أداء مصادرتي في اعتقالي ، فألبسه جبة صوف ، وصفعهُ ، فقام عند ذلك نازوك وقال : لا أحضُر مكروهَ مَنْ قَبَّلْتُ يدَه السنين الكثيرة .

فلما علم ابنُ الفرات بفعل ابنِه ، لم يشكّ أنّ الخليفة ينكر ذلك ، فبادر وكتب إلى الخليفة ، فسأله في عليّ بن عيسى ، وقال : هو مِنْ مشايخ الكتاب ، وعرَّفه خدمتَه ، فخرج خَطُّ المقتدِر ، بأنّ الصواب ما فعله المحسِّن ، وأنّه قد شفّعه فيه ، وحلّ قيوده .

وأشارت زيدانُ القهرمانة على ابن الفرات ، بتسليمه إلى شفيع ، وإلاّ تسلّمه الخليفة ، فاستُدعِيَ وسلّمه إليه .

فخرج وقد أقيمتْ صلاةُ المغرب ، فقدم عليّ فصلّى بالناس في المسجد الذى على دِجْلة .

ومضَى مع شفيع فجلَس في صَدْر طَيّارِه ، وجلس شفيع بين يديه ، وأسعف ابنُ الفرات وابنه عليّ في مصادرته . وحمل إليه أبو الهيجاء بن حمدان عشرة آلاف دينار ، فردَّها ، فحلف أبو الهيجاء أنّها لا رجعتْ إلى ملكه ، ففرِّقت في الطالبين(١) والفقراء ، وبذل له شفيع أموالاً فأبى من قبولها ، وقال : لا أجمع عليك مؤنتي ومعونتي .

ولمّا صعد درجة شفيع ، مدّ شفيع يدَه فاتّكأ عليها ، ولمّا قبض على ابن الفرات ، جعل يُرجف ، فقال له : لم لم تعطِني يدك كما أعطيتَها عليًّا ؟ فقال : لأنّ عليًّا أتقى لله منك .

ولما أدّى عليّ مصادرَته ، أَذِن المقتدر لابنِ الفرات في إبعاده إلى مكة ، فاستأجر له جَمَّالا وأعطاه نفقة ، وأنفذ معه ابنَ الكوثَانيّ صاحبه ، فأراد قتل عليّ ، فبلغ

= فسمعت الهماني الواسطى يقول : سمعت أبا الحسن عليّ بن عيسى يوبّخ أبا عبد الله البريدى ويقول له : يا أبا عبد الله، أما خِفْتَ الله حيث حلفتَ بما حلفتَ به ونحن مجتمعون في دار السلطان أطال الله بقاءه أنّ استغلالك واستغلال إخوتك من ضيعتكم بواسط عشرة آلاف وقد وجدته من حساب رفعه إليّ – يعني الهماني – ثلاثين ألف دينار. فقال : اقتديت بسيدنا أبده الله حين سأله أبو الحسن بن الفرات عن ارتفاع ضيعته فلم يصدقه وساتره وعلمت أنه مع ديانته لو لم يعلم أن التقية مباحة عند من يخاف ظلمه لما حلف بتلك اليمين. فكأنه ألقم على بن عيسى حجراً » .

(١) في تجارب الأمم ١ : ١١٢ : « الطالبيين » .

ذلك أهلَ مكة فهمُّوا بقتل ابن الكوثانىّ ، فَمنَع علىّ منه ، وحَفِظه .

وصادر ابنُ الفرات جميعَ أسباب علىّ ، منهم ابن مُقْلة والشّافعىّ ، ولمّا لم يَجد على النّعمان بن عبد الله ، الّذى تاب من التصرّف ، سبيلاً فى المصادرة ، وامتنع من الولاية ، أحدره إلى واسط ، وقبض البَزَوْفرىّ عليه من جامِعها ، لِمَا رأى من إكرام أهل البلد له ، وأخذ منه سبعة آلاف دينار ، ونَفَى ابن الحوارى إلى الأُبُلّة ، وخُنِق بالمنارة بعد أن عُذِّب ، ثم نَبَشه أهلُه ، وحُمِل إلى بغداد .

وصادر المحسّن أبا الحسن علىّ بن مأمون الإسكافى على مائة ألف دينار.

وصادر الماذرائيّين حين قدموا من مصر على ألف وسبعمائة ألف دينار.

ونَفَى ابن مقلة إلى البصرة .

وقدم [مؤنس][(١)] المظفّر من الغزو وقد فُتِح عليه ، فأخبرَ ابنَ الفرات ماتَمّ على العمال منهم ، فسعَى به إلى المقتدر ، فقال له : ما شيء أحبّ إلىّ من مقامك ببغداد ، لأنى أجمع بين الأنس بقربك والتبرك برأيك ، والصواب أن تقيم بالرَّقة ، فتتوسّط الأعمال ، وتستحِثّ علَى المال .

فعلم أن ذلك من عمل ابن الفرات ، فأجاب إليه ، وسئل فى الماذرائيّين فأُطلِقوا[(٢)] ونفذ فى ذى القعدة .

وشرع ابنُ الفرات فى السعاية بنصر القشورىّ وشفيع المقتدرىّ ، فالتجأ نصر إلى السيدة ، فقالت للمقتدر : إنّ ابن الفرات ، أبعد عنك مؤنساً ، وهو سيفك ، وقد حلَّ له إبعادَ حاجبك .

واتفق أنه وجد على سطح دار السرّ فى يوم الثلاثاء لخمس خلوْن من محرّم سنة اثنتى عشرة وثلثمائة رجلاً أعجميًّا واقفاً ، عليه ثياب دبيقية[(٣)] وتحتها قميص صوف ، ومعه مِحْبَرة وأقلام وورق وحَبْلٌ[(٤)] ، قيل إنه دخل مع الصّناع وبقى أياماً ، وعطش فخرج لطلب الماء ، فظُفِرَبه ، وسُئِل عن حاله ، فقال : لا أخاطب غير صاحب

---

(١) زيادة من تجارب الأمم ١ : ١١٦ .

(٢) فى الأصل : « فأطلقا » .

(٣) الدّبيقى : ثياب تنسب إلى دبيق ، بليدة كانت بين الفرما وتنيس من مصر.

(٤) فى الكامل : « حبل طويل » .

الدار ، فقال له ابنُ الفرات : أخبِرْنى عن حالك ، فقال : لا أخاطب غير الخليفة ، فضُرِب وهو يقول« ندانم »[١] حتى قتل بالعقوبة .

وخاطب ابن الفرات [نصراً الحاجب][٢] بحضرة المقتدر ، وقال : كيف ترضى بهذا لأمير المؤمنين ، وما يجوز أن ترضى به لنفسك ، وما سمعنا أن هذا تم على خليفة قطّ ، وهذا الرجُل صاحب أحمد بن على أخى صعلوك[٣] الّذى قتله ابنُ أبى الساج ، وإما أن يكون قد دسَسْتَه ليفتِك بأمير المؤمنين ، لتخوّفك على نفسك منه ، وعداوتك لابن أبى الساج ، وصداقتك لأحمد بن علىّ ، فقال له نصر : ليت شعرى ، أدبّر على أمير المؤمنين لأنه أخذ أموالى ، ونكَبَنى وهتَك حَرَمى ، وحبسنى عشر سنين[٤] ! ولم يزل أمرُ نصر يضعُف والسَّيدة مدافعةٌ عنه .

وكان يوسف بن أبى الســاج ، حين قُلِّد أعمال الرىّ ، قتل بها أحمد بن علىّ ، أخا صعلوك ، وأنفذ برأسِه إلى مدينة السلام .

ولليلتين خلَتا من شعبان ، قُرِئت الكتب على المنابر بمدينة السلام بفتح مؤنس المظفّر فى بلد الرّوم ، وأمَرَ فيه المقتدر برفع المواريث الحشريّة ، كما فعل ذلك المعتضد بالله رحمه الله .

---

(١) فى الكامل لابن الأثير ٦ : ١٦٧ : ندانم ، وقال : « كلمة فارسية معناها لا أدرى » .

(٢) زيادة من تجارب الأمم ١ : ١١٨ .

(٣) كذا فى تجارب الأمم ١ : ١١٨ ، وهو الصواب ، وفى الأصل : « أحمد بن على بن صعلوك .

(٤) فى ابن الأثير : « لم أقتل أمير المؤمنين وقد رفعنى من الثرى إلى الثريا ، وإنما يسعى فى قتله من صادره وأخذ أمواله » .

سنة اثنتى عشرة وثلثمائة

ورد الخبرُ بأن أبا طاهر بن أبى سعيد الجنّابىّ ، ورد الهَبِير[1] لتلقّى حاج سنة إحدى عشرة وثلثمـائة فى رجوعهم ، فأوقع بقافلة بغداديّة ، وأقام بقية القوافل بعيداً ، فلمّا فَنِيت أزوادُهم، ارتحلوا ، فأشار أبو الهَيْجاء بن حمدان[2] ، وإليه [طريق][3] الكوفة وطريق مكة ، أن يعدِل بهم إلى وادى القرى ، فامتنعوا وساروا ، فسار معهم مخاطراً حتى بلغ الهبير ، فلقيَهم أبو طاهر ، فقتل منهم خَلْقًا ، وأسر أبا الهيجاء وأحمدَ بن بدر عمّ السيدة أم المقتدر ، وجماعة من خَدَم السلطان وحَرَمه .

وسار أبو طاهر إلى هَجَر ، وسنُّه إذ ذاك سبع عشرة سنة ، ومات من استأسره بالحفاء والعطش . فنال أهلَ بغداد منالاً عظيماً ، وخرج النّساء منشرات الشعور مسودّات الوجوه فى الجانبين ، فانضاف إليهنّ من حَرَم الّذين نكبهَم ابنُ الفرات ، فانبسط لسان نصر عليه ، وأشار على المقتدر بمكاتبة مؤنس .

ورجمت العامة طيّار ابن الفرات ، وامتنعوا من الصَّلَوات فى الجماعات .

وأنفذ المقتدر بياقوت وابنيه محمد والمظفّر إلى الكوفة ، ورجعوا حين علموا انصرافَ القرمطىّ إلى بلَده .

وجمع المقتدر بالله ابن الفرات ونصر وأمرهما بالتظافر .

وقدم مؤنس إلى بغداد ، فركب إليه ابنُ الفرات ، ولم تَجْرِ له عادة بذلك، فخرج مؤنس إلى باب داره ، وسأله أن ينصرف ، فلم يفعل ، وصعد إليه من طيّاره حتى هنّأه بمقدمه ، وخرج معه مؤنس حتى نزل الطّيار .

---

(١) الهبير : رمل فى طريق مكة ، ذكره ياقوت وقال : « كانت عنده وقعة ابن أبى سعد الجنابى بالحاج سنة ٣١٢ ، قتلهم وسباهم وأخذ أموالهم » .

(٢) هو عبد الله بن حمدان التغلبى ولّاه المكتفى بالله الموصل ثم عزله المقتدر سنة ٣٠١ ، ثم عاد فقلده طريق خراسان والدينور ، فكان يتولّى ذلك وهو فى بغداد ثم قتله رجال المقتدر سنة ٣١٧ . ابن الأثير حوادث سنة ٣١٧ .

(٣) من تجارب الأمم ١ : ١٢٠

وأنفذ المقتدر بنازوك وبُلَيق فهجما على ابن الفرات ، وهو فى دار حرمه ، فأخرجاه حاسراً ، فأعطاه نازوك رداء قَصَب ، فقال له مؤنس : الآن تخاطبنى بالأستاذ وبالأمس نفيتَنى إلى الرَّقة والمطر يصبّ على رأسى ، ثم تذكر لأمير المؤمنين سَعْيى فى فساد مملكته !

ورجمت العامّة طيّارَ مؤنس ، لكون ابن الفرات فيه ، وسُلّم إلى نَصْر ، وقبض على ولدِه وأسبابه .

فكانت مدةُ ابن الفرات فى هذه الوزارة الثالثة عشرة أشهر وثمانية عشر يوماً . وأجمع وجوه القوّاد فقالوا : إنْ حُبِس ابنُ الفرات فى دار الخلافة خرَجْنا بأسْرِنا ، فسُلِّم إلى شفيع واعتُقِل عنده .

وأشار مؤنس بتولية أبى القاسم عبد الله بن محمد بن عبيد الله الخاقانىّ ، فأنفذَ ابنُ الفرات إلى المقتدر بمائة ونيِّف وستين ألف دينار ، وقال لشفيع : فعلتُ ذلك حتى لا يُوهِم الخاقانىّ للمقتدر أنه استخرجها .

قال الجمل كاتب شفيع : ولم أرَ قَلْباً أقوَى من قلْب ابن الفرات ، سألنى : مَنْ قلَّد الخليفة وزارته ؟ فقلت : الخاقانىّ . فقال : الخليفةُ نُكِب ولم أُنكب أنا . وسألنى عمّن استخلَف فى الدواوين ؟ فقلت : فى ديوان السواد ابنُ حفص(١) ، فقال : القدرُ رَمَى بحجره ، وسمَّيْت له جماعة ، فقال : لقد أيّد الله هذا الوزير بالكفاءة .

وأقرّ ابن الفرات بمائة وخمسين ألف دينار أخرى ، وطولب بالمكاره ، فلم يستجبْ بمال ، وكان لا يستجيب بمكروه ، وأنفذ إلى الخاقانى : أيّها الوزير ، لست غِرًّا جاهلا فتحتّال علىّ ، وأنا قادر على مال ، إذا كتب الخليفة إلىّ أماناً على نفسِى لأفديها بالمال ، ويشهدَ عليه القضاةُ فيه ، فقال الخاقانىّ : لو قدرتُ على ذلك فعلت ، ولكن إن تكلّمت عادَانى خواصُّ الدولة .

وردّ الخليفة أمره إلى هارون بن غريب ، فأخذ يُداريه ، وقال له : أنت أعرفُ بالأمور وإنّ الوزراء لا يلاجّون الخلفاء ، فلم يزل به حتى أخذ خطَّه بألفى ألف دينار ، يعجِّل منها الرُّبْع ، وأن يطلِق له بيعَ ضياعه ، وأذِن له فى إحضار دواةٍ ، ليكتب

---

(١) تجارب الأمم : « محمد بن جعفر بن حفص » فقال : « بحجره رمى » .

إلى مَنْ يرى ، أو أن يُنفِذ إلى دار شفيع اللؤلؤىّ ، ويطلق الكِلْوذانىّ ليتصرّف فى أمواله .

وكانت حماة المحسِّن تخرجه[١] فى زىّ النساء إلى مقابر قريش ، فأمستْ ليلةً عن المصير إلى الكَرْخ ، فصارت إلى منزل امرأة أخبرتها أن معها بنتاً لم تتزوّج ، وسألتْ أن تُفْرِد لها بيتاً ، ففعلت ، وخلع المحسِّن ثيابه . فجاءت جارية سوداء بسراجٍ ، فوضعتْه فى الصُّفة ، فرأت المحسِّن ، فأخبرت مولاتها فأبصرت ، وكانت مولاتُها زوجةَ محمد بن نصر وكيل علىّ بن عيسى ، مات حين طالبه المحسِّن من الفزع ، فمضت المرأة إلى دار السّلطان وشرحت الصّورة لنصر ، فأركب نازوك وقبض عليه ، وضُربت الدّبادب لأجل الظَّفَر به عند انتصاف الليل ، فظن النّاس أنّ القرمطىّ قد كسر[٢] بغداد .

وحُمِل إلى دار مستخرج ، يعرف بابن بعد شر[٣]، فى المخرِّم بدار الوزارة ، فأجرَى عليه المكاره ، وأخَذَ خطه بثلاثة آلاف ألف دينار ، ثم ابتلع رقعته ، وأقام على الامتناع من كَتْب شىء ، فضُرِب بالدّبابيس على رأْسه وعُذِّب .

وأحْضِر ابنُ الفرات مجلسَ الخاقانىّ ، فناظره أشد مناظرة،فَلجَّ ابنُ الفرات فيها ، فقال له الخاقانىّ : إنّك استغللت ضياعك التى استغلّها علىّ بن عيسى ، أربعمائة ألف دينار وقال : كان ذلك بعمارتى البلاد واعتمادِى ما جَلَب الرّيع . ونُوظر فيمن قتله ابنُه ، وقيل له : أنت قتلتَهم،فقال هذا غير حكم الله ، قال الله تعالى : ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[٤]والنبىّصلى الله عليه وسلم قال لرجل معه ابنه : « لا يَجْنِى عليك ولاتَجْنِى عليه » ؛ ومع هذا فإنّ ابنى لم يباشرْ قَتْلاً ولا سَفَك دماً ، وأجاب مؤنساً حين قال:أخرجْتَنِى من بغداد فقال : إنما أخرجك مولاك حين كتب إلىّ يشكو ما يلاقيه من تَبَسّط ، وفتحك البلدان بالمؤن الغليظة ، وإغلاقك إياها بسوء التدبير . وسئل إحضار سَفَط فيه المهمّات فأحضَرَ وطلب الرقعة ، فوُجِدت فأخذها مؤنس ، وحملها إلى

---

(١) فى الأصل : « لخروجه » . وفى تجارب الأمم ١ : ١٣٠ « كان المحسّن استتر عند حماته حنزابة ، وهى حماته ووالدة الفضل بن جعفر بن الفرات فكانت تحمله كل يوم إلى المقابر فى زى النساء وترده إلى المنازل التى تثق بها بالليل » .

(٢) تجارب الأمم ١ : ١٣٢ : « كبس بغداد » .

(٣) فى الأصل : « ابن بعد سر » بالسين ، وما أثبته من تحفة الأمراء ١٦١ وتجارب الأمم ١ : ١٢٨ .

(٤) سورة فاطر ١٨ .

المقتدر بالله وأقرأه الرقعة ، فزاد غيظُه وأمر بضرْبه ، فضُرب خمس دِرَرٍ فقط وسُلِّم وابنُه إلى نازوك ، فضُرِبا حتى تدوّدت [١] لحومُهما

وحمل الخاقانىّ القوّادَ على خلع الطاعة إن حُمِلا إلى دار الخليفة .

ولما توّقف الخاقانىّ فى قتلهما ، وقال : لست أدخل فى سفك الدماء ، ولا أُسهّل على الخلفاء قتلَ خواصّهم .

وحُمِل إلى ابن الفرات ما يُفْطِر عليه ، فقال : رأيتُ أخى أبا العباس فى المنام يقولْ : إفطارُك عندنا ، وما أخبرنى بشىء إلاّ وصَحّ ، وأنا مقتول .

فأخرج القوّاد توقيع المقتدر إلى نازوك ، بضرب أعناقهما ، فقال : هذا أمر عظيم لا أعمل فيه بتوقيع ، فشافهه المقتدر بذلك .

وجاء نازوك ، فأمرَ السُّودان فَضَرَبوا عنقَ المحسِّن ، وأُتِىَ برأسه إلى أبيه، فجزع وقال : يا أبا منصور ، راجعْ أمير المؤمنين ، فإنّ عندى أموالاً جمَّة ، فقال له : جَلّ الأمرُ عن هذا ، وأمر به فضرِب عنقه ، وحُمِل رأسه ورأْسُ ابنــه إلى المقتدر بالله ، فأمر بتَغْريقهما .

وكان سنّ الحسن بن الفرات ، يوم قُتل ، إحدى وسبعين سنة وشهوراً ، وسنُّ ابنه ثلاثاً وثلاثين سنة .

وقال التنوخى [٢] : كان من عادة ابن الفُرات أن يقول لكلّ مَنْ يخاطبه : بارك الله فيك ، ولم يكُنْ يفارق هذه اللفظة . وكان علىّ بن عيسى يقول فى كلامه : وال واليك [٣] فكان الناس يقولون : لولم يكن بين الرَّجلين إلاّ ما بين الكلامَيْن من الخشونة واللطف ، لكان من أعظم فرق .

ويقال إن علىّ بن عيسى خاطب الرّاضِىَ يوماً بوالٍ .

وكان ابن الفرات إذا ولِّىَ ،غلا معذاذ [٤] الشمع والكاغد [٥]، لكثرة استعماله لهما فيعرف الناس ولايته لغلائهما .

---

(١) فى الأصل : « تودّت » . وفى تحفة الوزراء : « حتى تدوّد بدنه » .

(٢) فى الأصل : « والشوحى » تحريف .

(٣) فى الأصل : « والك » .

(٤) كذا فى الأصل.

(٥) فى الأصل : « الكاعظ » ، تحريف.

قال الصولىّ : أبو الحسن علىّ بن محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات من قرية يقال لها بابك [١] قريبة من صرِيفين ، وكان أبوه محمد بن موسى ، تولّى أعمالاً جليلة ، وأكبر أولاده أبو العباس أحمد وأبو عبد الله وأبو عيسى ، من خِيارِ المسلمين والزّهاد ، جاور بمكّة وواصَلَ بها الصوم والصلاة ، ومات فى وزارة أخيه .

وقد ذكرنا أسْرَ القرمطىّ لألفىْ رجل ومائتين وعشرين وخمسمائة امرأة ، فأطلق منهم أبا الهيجاء وأحمد بن بدر عمّ السيدة ، وأنفذ رسلا يسأل أن يُفْرِج له عن البصرة والأهواز فلم تقع إجابة .

وكان سليمان بن الحسن بن مخلد ، وأبو علىّ بن مقلة ، وأبو الحسن محمد بن محمد بن أبى البغل ، مُعْتَقَلِين بشِيراز ، فأطلقهم أبوعبد الله الكرخىّ ، حين وقف على مَثَل ابن الفرات فكتب ابن أبى البغل على جانب تَقْويمه .

وفى هذا اليوم ، ولد أحمد بن يحيى ، وله إحدى وثمانون سنة ، واتفق أنّ سليمان هرب فى زِىّ الفيوجىّ [٢] ، فاشتدّ الأمر على الخاقانىّ ، وأُرْجِف له بالوزارة ، ودخل بغداد مُسْتَتِراً ، وصار ابن مقلة إلى الأهواز ، وأجرَى له فى كلّ شهر مائتى دينار ، وأذِن له فى المصير إلى بَغْداد . وسأل موسى فى علىّ بن عيسى ، فكُوتب صاحب اليمن بإنفاذه إلى مكة ، وحَمَل إليه كسوة ومالاً نحو خمسين ألف دينار ، ولما وصَلها قلّده الخاقانىّ الإشراف على الشام ومصر .

وتولّى أبو العباس بن الْخَصِيبى استخراجَ سبعمائة ألف دينـــار من زَوْجة المحسّن .

وشَغَب الجندُ على الخاقانىّ ، فلم يكنْ عنده مايدفعُه إليهم ، وبقىَ شهوراً لايركب إلى الموْكب .

وكان مؤنس بواسط ، وأشار عند قدومه بعلىّ بن عيسى ، وأشارت السيدة والخالة بأبى العباس بن الخَصيبىّ ، وهو أحمد بن عبدالله ، فولّاه المقتدر ، وقبض على الخاقانىّ ، وكانت وزارته سنة وستة أشهر .

---

(١) كذا فى الأصل ، وفى ياقوت : « بابلى صريفين » .

(٢) فى المعرب : ٢٤٣ : « الفيج : رسول السلطان على رجليه » .

وزارة أبي العباس الخَصيبي

استحضره المقتدر يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة خلتْ من شهر رمضان ، فقلَّده وخلع عليه ، وكان قبلُ كاتبَ القَهْرمانة ، واستكتبَ مكانه أبا يوسف عبد الرحمن ابن محمد ، وكان تائباً من العمل ، فسمّاه النّاس المرتدّ .

واستدرك أموالاً ، كان الخصيبيّ أضاعها ، فتنكّرت القهرمانة للخَصِيبي ، وضاعت الأمور بوزارته حين كان مواصلا للشّرب ليلاً ونهاراً ويبيتُ مخموراً .

فصادر الخاقانيَّ على مائتي ألف وخمسين ألف دينار .

وصادر جعفرَ بن القاسم الكرخيّ ، علَى مائة وخمسين ألف دينار.

وتوجّه جعفرُ بن ورقاء الشيبانيّ بالحاجّ في ألفٍ من بنى عمّه ، وكان في القوافل الّذين يبذرقون(١) الحاجّ ستة آلاف رجل ، فلقيهم الجنّابيّ فهزمَهم بالعقَبة وولّوْا إلى الكوفة ، فخرج قوّاد السلطان فهزمهم ، وأقام بالكوفة ستة أيام ، وحمل منها أربعة آلاف ثوب وشيٍ وثلثمائة راوية زيت ، وانصرف إلى بلده .

واضطرب الناسُ ببغداد ، وعَبَر أهلُ الغربيّ منها إلى الجانب الشرقيّ .

وأتى موسى الكوفة ، فاستخلَف عليها ياقوت .

وسار مؤنس إلى واسط .

وقُرِئت الكتب بفتح ابن أبي الساج طَبَرِسْتَان .

ووردت خريطة الموسم لاثنتى عشرة ليلة بقيت من ذى الحجة ، بأنّ النّحر كان بمكّة يوم الثلاثاء ، ونحر النّاس ببغداد يوم الاثنين .

وحجّ علىّ بن عيسى [ثم](٢) ورد مكة من مصر .

---

(١) « يبذرقون : يخفرون » ، وفى الأصل : « يندرقون » . تصحيف

(٢) زيادة يقتضيها السياق .

سنة ثلاث عشرة وثلثمائة

فيها فتح إبراهيم المِسمَعِىّ ناحية القَفْص[1] ، وأسَرَ منهم خمسة آلاف رجل ، وحملَهم إلى فارس وكثرت الأرطاب ببغداد ، حتى عملوا منها التمور ، وجهَّزوا بذلك إلى البصرة ، فنُسبوا إلى البغى .

وأتى القَرْمطىّ النَّجف ، فخرج مؤنس ، فانصرف من بين يديْه .

وفيها مات الخاقانىّ .

وفيها دخل الرُّوم مَلَطْية .

وفى هذه السّنه ، تُوُفِّىَ أبو الحسن علىّ بن محمد بن بشار الزاهد ، وقَبْرُه ظاهر بالعقبة عند النَّجْمى يُتبرك به ، وكان القادر بالله رضى الله عنه يزورُه دائماً ، وقال فى بعض الأيام : إني لأعرِف رجلاً ماتكلم منذ ثلاثين سنة بكلمةٍ يُعْتذَر منها ، فعلم الحاضرون أنه أرادَ نَفْسَه .

وجاءته امرأةٌ ، فقالت : إن ابنى قد غاب ، وقد طالت غيبتُه ، فقال لها : عليكِ بالصَّبْر ، فظنّت أنه يأمرها بأكل الصَّبِر ، وكانت عندها برنيّة مملوءة صبِراً ، فمضتْ وأكلت نصفها فى مدّة ، على مرارة من العيش ، وشدَّةٍ من الحال ، ثم رجعت إليه فشكت إليه غيبته ، فقال لها : عليك بالصبر ، فقالت : قد وفى من البرنيّة ، قال لها : وأكلتِه ! قالت : نعم . قال : اذهبى فابنك قد وَرَد ، فرجعتْ إلى إلى منزلها فوَجَدت ابنَها هناك .

وسمع ابنُ بشّار من تاج المقتدر بالله غناءً ، فلمّا أصبح قال : هذا الإمام ولايُمكننَا الإنكار على الإمام ، ولكن ننتقل ، فبلغ ذلك المقتدر بالله فأنفذ إليه : أيُّها الشيخ لاتنزعج فترعجَنا ، ونحن أولى بالانتقال منك. فكان هذا من عمل خادم وقد أدّبناه وصرفْناه عن دارنا ، ولن ترَى بعدها ولا تسمَعُ ما تكرْه .

---

(١) القفص : قرية بين بغداد وعكبرا .

سنة اربع عشرة وثلثمائة

فيها مات الخاقانى(١).

ودخل الروم مَلَطْية ، فأخربوا سورها ، وأقاموا ستة عشر يوماً ، فدخل أهلها مستغيثين .

وبلغ أهلَ مكة مسير القرْمطىّ نحوهم ، فنقلوا حرمَهم وأموالَهم .

واستُدعى ابنُ أبى الساج إلى واسط ، وقُلِّد أعمال المشرق ، وكَنَّاه الخليفة بأبى القاسم يتكَنَّى بذلك على جميع القوّاد ، إلّا على الوزير ، ومؤنس المظفر ، وحمل إليه المقتدر خلعاً سلطانية ، وخيلاً بمراكب ذهبٍ وطيباً وسلاحاً .

ودعِىَ إلى الرّى ، واضطرب أمرُ الخصيبىّ لإحدى عشرة ليلةً خلتْ من ذى القعدة .

وأشار مؤنس بعلىّ بن عيسى ، فاستدعَى المقتدر أبا القاسم عبدالله بن محمد الْكَلْواذِى واستخلفه لعلىّ ، واستحضر سلامة الطّولونىّ ، فتقدّم إليه بالنفوذ فى البريّة إلى دمشق ليحضر عليًّا . وظهر فى ذلك اليوم ابنُ مقلة وجماعة من الكتاب ، وسلّموا على الْكَلْواذى وتمكنت هيْبة علىّ بن عيسى فى الصدور .

ووصلت حمول من البلدان مَشَّى بها الكلواذى الأمور .

وأُطلقت فى شهر رمضان أمّ موسى الهاشمية من حَبْسها وأُلْزِمت منزلَها .

ولم يحجّ أحد من العراق(٢).

---

(١) كذا ورد ، وقد سبق أن ذكره فى وفيات ٣١٣ ، وذكره ابن الأثير فى الكامل فى وفيات ٣١٤ وكذلك ابن مسكويه فى تجارب الأمم .

(٢) فى ابن كثير : « خوفاً من القرامطة » .

سنة خمس عشرة وثلثمائة

وزارة علىّ بن عيسى الثانية

فى صفر ، وصلَ علىّ بن عيسى إلى بغداد ، وأنفذ إليه المقتدر فى ليلته فَرْشاً وثياباً بعشرين ألف دينار ، وخلع عليه ، وسار من الغدِ بين يديه كافّة القُواد إلى دار بباب البستان ، فاعتقد العفو عمّن أساء إليه .

واشتغل بالعمل ليلا ونهاراً ، فاستقامت الأمور .

وكان إلى عبدالله البريدىّ الضِّياع الخاصّة ضماناً . وأَقطاع الوزارة إلى أبى يوسف أخيه الخراج برامَهُرْمز .

وأحضر علىّ بن عيسى الخصيبيَّ ، وناظره مناظرة جميلة ، وأخذ خطّه بأربعين ألف دينار .

ومات إبراهيم المسمعى بالنُّوبندجان ، فقلّد علىُّ بن عيسى مكانه ياقوتاً ، وقلّد أبا طاهر محمد بن عبدالصمد كِرْمَان .

وقلّد أعمالَ الأهواز أبا الحسن أحمد بن محمد بن مانِبْداذ . فقال أبو عبد الله البريدىّ : تُقَلَّد هؤلاء هذه الأعمال ، وتقصّر بأخى أبى يوسف علىّ بن مهرمز وبى على ضياع الوزراء ! وكان قد كتب له بذلك منشوراً : خُذْ يا بُنَىّ هذا الكتاب فمثّل عليه فى الكتب فإنّ لطبلى(١) صوتاً تسمعه بعد أيّام .

وأنفذ أبو عبدالله البريدىّ أخاه أبا الحسين إلى الحضرة ، لمَّا بلغه اضطرابُ أمرِ علىّ بن عيسى ، وقال له : اضمن أعمال الأهواز ، إذا وَلِىَ الوزارة مَنْ يرتفق ، فإنّ عليًّا عفيف .

فلما وَلِىَ ابنُ مقلة الوزارة أعطاه عشرين ألف دينار ، حتى ولّاه الأهواز ، ثم صرفه بأبى محمد الحسين بن أحمد الماذرائىّ ، فبانَ من تَخَلّفه(٢) ماصار به حديثاً .

---

(١) وكذا فى تجارب الأمم ١ : ١٥٨ ، وفى الأصل : « لطلبى » .

(٢) فى تجارب الأمم « تجلفه » .

وأخذ عليه البريدىّ الطرقات ، فكان كلّ كتاب يكتبه يؤخذ[من رسُلِه](١) فما قُرِئ له كتاب منذ دخل الأهواز إلى أن خرج عنها ، فصرفه أبو علىٍّ بأبى عبد الله البريدىّ ، واعترف باحترازه بطَلَلِ الماذرائىّ (٢) .

وكان أقطاع الوزارة مائة وسبعين ألف دينار ، بعد نفقاتهم ، فلم يأخذ ذلك علىّ بن عيسى وقال : ضَيْعَتِى تكفينى .

ودخل الرُّوم شمَيشَاط ، وضرب ملكُهم فى الجامع النّواقيس [وصلّى فيه الرّوم صلواتهم](٣) .

ووقعت وحشة بين المقتدر بالله ومؤنس ، سببها : أنّه حُكِىَ له ، أنّ المقتدر تقدَّم إلى خواصّ خدمه بحفْر زُبْيَة تُغطَّى بالقصب ، فإذا اجتاز مؤنس وقع فيها ، فهلك ، فامتنع من المضىّ إلى دار السلطان ، وركب إليه القوّاد ، فيهم عبدالله بن حمدان وإخوته وقال له [عبدالله](٣) بن حمدان : نقاتل بين يديْك أيّها الأستاذ حتى تنبتَ لحيتُك ، فكاتَبه المقتدر بالله على يَدَىْ نسيم الشرابّى ، على بُطْلان(٤) ذلك ، فجاء وقبَّل الأرض ، وحلف له المقتدر ، على صفاء نيَّته ، وأمره بالخروج إلى الروم ، فخرج وشيَّعه الأمير أبو العباس ، وعلىّ بن عيسى ونصر الحاجب وهارون بن غريب .

وفى هذه السنة كان ظهورُ الدّيْلم ، لمَّا خرج ابنُ أبى الساج عن الرَّىّ ، غَلَب عليها ليلَى بن النعمان ، ثم ما كان بن كاكى ، ودخل هذا الرجل فى طاعَة صاحب خراسان .

وغَلَب بعده أسفار بنُ شيرويه ، وكانْ مزداويج أحدَ قُوّاده ، فلمّا ظَلَم أسفار أهلَ قِزْوين ، خرج رجالهم ونساؤهم مستغيثين إلى المصلّى داعين الله عليه ، فخرَج عليه مزداويج ، فهزمه وألجأه مزداويج ، حين رأى آثار حوافر الفرس فدخل عليه فاحتزَّ رأسه ، وعاد إلى قزوين ، ووعدهم الجميل وأظهر الخوف من دعائهم .

---

(١) زيادة من تجارب الأمم .

(٢) فى تجارب الأمم ١ : ١٥٩ : «وقال : اغترْرتَ بطلل ذلك الشيخ ، وما كلّ من يصلح للكتابة ينفذ فى العمالة» .

(٣-٣) زيادة من كتاب تجارب الأمم ١ : ١٦٠ ، ١٦١ .

(٤) تجارب الأمم ١ : ١٦٠ : «على بطلان ما بلغه» .

ثم تغلّب[١] على الرّىّ وأصبهان ، وأساء السِّيرة بأصبهان حاجبُه وعظمتْ هَيْبته ، وجلس على سرير ذهب ، وكان يتنقّص[٢] الأتراك ، وكان يقول : أنا سليمان وهؤلاء الشّياطين . وكان إذا سار انفرد عنه عسكره خوفاً منه ، فاشتق العسكَر شيخٌ على دابّة وقال : زاد أمرُ هذا الكافر ، واليوم تكفونه[٣] ، ويأخذه الله إليه قبل تصرّم النهار ، فدهشوا واتّبعوه فلم يجدوه .

وعاد مرداويج إلى داره ، فنزع ثيابه ، ودخلَ الحمّام وأطال ، فهجم عليه الأتراك ، فقاتَلَهُم بكرنيب فضة ، فحزّوا رأسَه بعد أن شقّوا بطنَه ، وظنّوا أنهم قتلوه ، فلما دخلوا عليه ثانياً رأوْه ردّ حَشْوَ بَطْنِه ، وأمسكها بيده ، وكسر جامة الحمام وهمّ بالخروج .

وقبض ابنُ أبى الساج على كاتبه أبى عبدالله بن خلف البرقانىّ لمّا عرَف سعايتَه به ، وسلّمه إلى كاتبه حسن بن هارون وقيّده وأخذ خطّه بستمائة ألف دينار .

وكاتب المقتدرُ ابنَ أبى الساج لحرب القَرْمطىّ ، لمّا عرف خروجَه من هَجَر لثلاث بقين من شهر رمضان ، وأطلق له من بيت مال الخاصة فيما ينصرف إلى علوفه[٤] بين واسط والكوفة ، فحمل ذلك إليه سلامة الطُّولونىّ ، وأمر علىُّ بن عيسى عمّال الكوفة بإعداد الميرة لابن أبى الساج .

وسار ابنُ أبى الساج من واسط طالباً الكوفة لليلة بقيتْ من شهر رمضان .

وأطلَق أبو طاهر القرمطىّ أسارَى الحاجّ ، ووصَل الكوفة ، فأخذ ما أُعِدّ ليوسف وهو مائةُ كُرٍّ دقيقاً[٥] ، وألف كُرّ شعيراً .

ووافَى يوسفُ الكوفةَ بعد وصول أبى طاهر إليها بيوم ، وكان قد تقاربَ عسكَرا بنِ أبى السّاج ، وعسكرُ أبى طاهرٍ فى يوم ضباب وأحسّ به أبو طاهر وكَفّ عنه ، فالتقوْا يوم السبت لتسع خَلَوْن من شوال على باب الكوفة ، فاحتقر ابنُ أبى الساج عسكرَ أبى طاهر ، وأزْرَى عليهم ، وتقدّم يكتب كتابَ الفتح قبل اللّقاء ، تهاوناً بأمره .

والتفتَ أبو طاهر إلى رفيق له ، وقد سمع صوت البوقات والدبادب ، وكانت

(١) تجارب الأمم ١ : ١٦٢ : « ثمّ أنّ مزداويج تغلب » .
(٢) تجارب الأمم : « وكان يغضّ من الأتراك غضّا شديدًا » .
(٣) تجارب الأمم ١ : ١٦٣ : « تكفنونه » .
(٤) كذا فى الأصل .
(٥) الكرّ : مكيال لأهل العراق .

عظيمةً جدًّا فقال : ما هذا الزَّجَل[١] ؟ فقال له صاحبه : فشل ، فقال : أجَلْ .

وعبأ ابنُ أبي الساج رجالَه ، وكان القتالُ من ضُحَى النَّهار إلى غروب الشمس ، فَثَبَت يوسفُ ثباتاً حسناً ، وجُرِح من أصحاب أبي طاهر بالنُّشّاب خَلْق ، وكان أبوطاهر في عمارية مع مائتي فارس من أصحابه ، فَنَزَل حينئذ وركب ، فسار وحملَ بنفسه ، وحمل يوسف بنفسه ، واشتبكت الحرْب ، فأسِر يوسفُ بن أبي الساج بعد أن ضُرِبَ على جنبه ضربة ، وقد اجتهد به أصحابُه في الانصراف فأبى ، وقُتِل من أصحابه خَلْقٌ وانهزم الباقون .

وحُمِل يوسف إلى عسكر أبي طاهر فضُرِب له خيْمةٌ وفُرِشت ، ووكِّل به ، واستُدْعِيَ بطبيب يعرف بابن السَّبْعي[٢] ليعالجه ، فقال : قد جَمَد الدَّمُ على وجهه ، وأريد ماء حارًّا . قال : فلم أجِدْ عندهم ما أسخن فيه الماء ، فغسله بالماء البارد وعالجه[٣] . قال الطبيب : وسألني يوسف عن اسمِي وأهلي ، فأخبرته فوجدتهُ بهم عارفاً أيّام تقلده الكوفة ، فعجبتُ من فهمه وقلّة اكترائه بما هو فيه .

ولما وصل الخبر بغداد دخل الناسَ كآبةٌ عظيمة وعوّلوا على الانحدار إلى واسط .

ثم وَرد الخبرُ بأنّ أبا طاهر رحَل يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة خلَتْ من شوال ، قاصداً عَيْن التَّمر ، فاستأجر عليُّ بن عيسى خمسمائة سميريَّة[٤] ، وجعل فيها ألفَ رجل ، وأنفذ الطيارات والشذآت وحوّلها إلى الفرات وأقعد فيها الحجريّة ، لمنع القرمطيّ من عُبور الفرات ، وتقدّم إلى القوّاد بالمسير إلى الأنبار لحفظها .

فلما كان يوم الجمعة ، رأى أهلُ الأنبار خيلَ أبي طاهر مقبلةً في الجانب الغربيّ ، فقطعوا الجسر[٥] ، وعَبَر أبوطاهر في مائة رجل ، ونَشبت الحرب بينه وبين أصحاب

---

(١) الزجل ، أي الصوت .

(٢) تجارب الأمم ١ : ١٧٥ : « ابن السَّبيعيّ » .

(٣) العبارة في تجارب الأمم ١ : ١٧٥ : « فقال لي بعض أصحاب أبي طاهر : والله ما ذاك عندنا ولا عندنا ما يسخن فيه » .

(٤) السميرية: نوع من السفن وكذلك الشذآت .

(٥) تجارب الأمم ١ : ١٧٦ : « فبادروا إلى قطع جسر الأنبار » .

السلطان ، وعُقِد الجسر وخالف[١] سوادَ الّذين فى السفن إلى الجسر ، فأحرقوه ، فبقى أبوطاهر فى الجانب الشرقىّ وعسكرُه وسوادُه فى الغربىّ ، وحالتِ السفن بينهما .

وورد الخبر إلى بغداد بقتل أبى طاهر القوّاد ، فخرج نصر الحاجب ، ومعه الحجرية والرَّجالة ومَنْ ببغداد من القوّاد ، وبين يديه علمُ الخلافة ومعه أبو الهيجاء [عبدالله][٢] بن حمدان وإخوته .

فاجتمع مع نصر مايزيدُ على الأربعين ألف رجل ، فنزل على قنطرة النهر المعروف بزَبارا ، بناحية عقرقوف ، على فَرْسخين ، ولحِق به موسى ، وأشار أبو الهيجاء على نصر الحاجب وعلى مؤنس بقطع نهر زبارا ، وألحَّ عليه فى ذلك ، فلمّا رآه متثاقلاً عن قبول رأيه ، قال له : أيّها الأستاذ اقطعها واقطع لحيتى معها ، فقطعها حينئذ .

وسار أبو طاهر ، ومَنْ معه من أصحابه فى الجانب الشرقىّ من الفرات قاصدين نهر زبارا ، فلما صار على فرسخ واحد من عسكر السلطان آخر يوم الاثنين لعشر خلوْن من ذى القعدة بات موضعه .

وباكر المسيرَ إلى القنطرة ، فوجدها مقطوعة ، وتقدَّم أحدُ رجاله أسودُ يقال له صُبْح ، فما زال النُّشاب يأخذه حتى صار كالقنفذ وهو مقدِم ، فرأى القنطرةَ مقطوعةً فرجع .

ولما علم أصحاب أبى طاهر أن النهر لا يُخيض[٣]، عادوا القهقرى من غير أن يولُّوا ظهرهم ، وعادوا إلى الأنبار ولم يجسر أحَدٌ على اتّباعهم .

وكان الرأى فيما أشاربه أبو الهيجاء من قطع القنطرة ، ولولاها لعبَر القرمطىُّ غير مُسْتَهوِلٍ لجمع أصحاب السّلطان .

وطمع مؤنسٌ المظفَّر فى سواده وتخليص ابن أبى الساج من أقياده ، فأنفذ بليق حاجبه وجماعة من القواد ، وستة آلاف من غلمان يوسف ، فبلغ ذلك أبا طاهرٍ ، فانفرد من أصحابه ماشياً ، وعبر فى زَوْرقِ صيّاد ، دفع إليه ألف دينار ، فاجتمع مع قومه فلم يثبت له بليق ، وبَصُر أبو طاهر بابن أبى الساج وقد خرج من الخيْمة لما ناداه

---

(١) فى الأصل : « فخالف » .

(٢) زيادة من ابن الأثير ٦ : ١٨٧ .

(٣) فى الأصل : « يحيض » ، وما أثبته من تجارب الأمم .

غلمانه ، فقال له القرمطى : طمعت فى تخليصهم لك ! وأمر به فضُرِبت عنقه وأعناق مَنْ كان معه من الأسرى .

واحتال أبوطاهر فى عُبُور أصحابه من الجانب الشرقىّ إلى الجانب الغربىّ ، وكان مع أبى طاهر سبعمائة فارس وثمانمائة راجل .

وتقدم علىّ بن عيسى إلى نازوك بالطواف ببغداد ليلاً ونهاراً ، لكثرة العيّارين ، وأباح دم من ظهر منهم ، ونقل الناسُ أمتعتَهم إلى منازلهم خوفاً منهم ، واكترى وجوه الناس السفن.

وقصد القرمطى هِيت ، وبها هارون بن غريب وسعيد بن حمدان ، فقاتلا مَنْ علا سورها بالمنجنيقات ، بعد أن قُتلوا من أصحابه عدّة فسكنتْ نفوس مَنْ ببغداد . وتصدّق المقتدر بمائة ألف درهم .

وبادر علىّ بن عيسى إلى المقتدر بالله وقال له : إنما جمع الخلفاءُ الأموال ليُقمعوا بها الأعداء ، ولم تلحق المسلمين مضرّة كهذه من هذا الكافر الذى أوقع بالحاجّ سنة اثنتى عشرة وثلثمائة ، ولم يبق فى بيت مال الخاصّة شىء ، فاتّق الله يا أميرَ المؤمنين.وخاطب السيدة حتى تُطلق ماعندها من مال ادّخرته لشديدة ، فهذه أمها [1]، وإن لم يكن هناك شىء فالحقْ خراسان .

فدخل إلى السيدة ، فأعطته خمسمائة ألف دينار ، وكان فى بيت مال الخاصّة مثلها .

وأُخبِر علىّ بن عيسى ، بحال رجل شيرازىّ يكاتب القرمطىّ وأتباعه ، فأحضره فأقرَّ أنه من أصحابه ، لم يتبعه إلاَّ لحقٍّ رآه معه وقال له : لسنا كالرافضة الحمقى ، الذين يدّعون إماماً منتظراً ، وإمامنا فلان ابن فلان ابن إسماعيل بن جعفر ، فأمر به فحُبِس بعد الضرب ، فامتنع فى حبسه من الطعام والشراب فمات بعد ثلاثة أيام .

وكتب القرمطىّ إلى مؤنس كتاباً ، فى آخره :

قولوا لمؤنسكم بالراح كن أنساً ... واستتبع الرَّاحَ سُرْناياً ومِزْمـارا
وقد تمثلتَ عن شوق تقاذفَ بى ... بيتاً من الشعر للماضين قد سارَا
« نَزُوركمْ لا نؤاخذكم بجفوتِكُمْ ... إنّ الكريم إذا لم يُسْتَزَرْ زارا »
ولا نكون كأنتمْ فى تخلّفكمْ ... مَنْ عالج الشَّوْقَ لم يستبْعِد الدار

وله أشعار كثيرة تركناها لشياعتها .

---

(١) أى أم الشدائد ، يريد تهويل الأمر.

سنة ست عشرة وثلثمائة

دخل مؤنس المظفر بغداد ، وبعده نَصْر .

ونُدِب مؤنس للخروج إلى الرقّة ، لمّا وصل الخبرُ باستيلاء القرمطيّ على الرّحْبة حرباً وقتله أهلَها ورَهِبت الأعراب أبا طاهر ، حتّى كانوا يتطايرون عند سماع ذكره ، وجعَل على كلّ بيت منهم ديناراً بعد أن نَهبهم .

وعاود القرمطيّ هيتَ ، فلم يقدِرْ عليها ، فأتى الكوفة ، وجاء إلى قصر ابن هبيرة (١) فخرج إليه نصر ، فحُمّ نصر حمّى شديدة حادّة ، فسار مع ذلك إلى شورا وبينه وبين القرمطيّ نهرُها ، واستخلَف على الجيش أحمد بن كيغلغ ، وأنفذ معه الجيش .

وانصرف القرمطيّ من غير لقاء .

واشتّدتْ علّة نصر ، وجَفّ لسانه من شدّة الحُمّى ، فأعيد إلى بغداد ، فمات فى الطريق فى عمارية(٢) ، فأنفذ المقتدرُ علَى الجيش هارون بن غريب ، فدخل بهمْ بغداد .

وأقام علىٌّ بن عيسى حين رأى تنكُّر الأمور على الاستعفاء من الوزارة ، والمقتدر يجلبه ، ويستوقفه حتى أعفاه .

واستوزر المقتــدر أبا علىّ بن مُقْلة ضرورة ، وذلك بمشورة نصر ، فلمّا كان فى النِّصف من شهر ربيع الأول ، أنفذ المقتدر هارونَ بن غريب ، ومعه أبو جعفر بن شيرزاد للقبض على علىّ بن عيسى ، فاستحيا هارون من لقائه بذلك ، فأنفذ أبا جعفر ، فوجده مستعداً قد لبس خفًّا وعمامة وطيلساناً ، واستصحب مصحفاً ومقراضاً ، وسأل هارونَ صيانةَ حَرَمه ، ففعل وحُمِل مع أخيه أبى علىّ إلى دار السلطان ، فاعتقله فى دار زيدان القَهْرمانة ، وكانت وزارته هذه سنةً وأربعة أشهر ويومين .

---

(١) فى الأصل : « هبرة » . وقصر ابن هبيرة ينسب إلى يزيد بن عمر بن هبيرة ، وانظر معجم البلدان ٧ : ١١٢ وتجارب الأمم ١ : ١٨٣ .

(٢) العمارية : هودج يجلس فيه .

وزارة أبي علىّ بن مُقْلة

وقد كان محمد بن خلف النّيرمانىّ بذل فى الوزارة ثلثمائة ألف دينار ، فلم تُقبل منه ، لمّا عُرِف منه الجهل بالكتابة والتّهور فى الأفعال .

وأُحضِر ابنُ مقلة يوم الخميس سادس عشر ربيع الأول ، وقلّد الوزارة ، ووصل إلى الخليفة وخُلِع عليه ، وحُمِل إليه طعامٌ على العادة التى جرت للوزارة إذا خُلِع عليهم .

ودسّ نصرٌ الحاجب على علىّ بن عيسى مَن ادّعى مكاتبته القرمطىّ على يده ، وذلك لعداوة بينه وبينه ، ولمُمَايلة علىٍّ لمؤنس .

وعزم الخليفة على ضرب علىّ بن عيسى بالسياط على باب العامّة ، فوقفت السيدة على بطلان الأمر فأزالت من نفس المقتدر تصديق ذلك ، وثنته عن رأيه فى معاقبته .

واتّفق لابن مقلة مامشّى به الأمور ، إنفاذُه البريدى له — وكان بينهما مودّة — سفاتجا(١) بثلثمائة ألف دينار ، وغير ذلك من وجوهٍ أخر .

وتغاير سُوّاس هارون بن غريب على غلام أمرد ، فوقع الحرب بينهم ، فأخذ نازوك سُوّاس هارون وحبسهم ، فسار أصحاب هارون إلى مجلس الشرطة وضربوا خليفة نَازُوك ، وأخذوا أصحابه فلم ينكر ذلك المقتدر . فجمعَ نازوك رجالَه وزحَف إلى دار هارون ، فقتل من أصحابه قوماً ، ووقعت الحرب ، فجاء ابنُ مقلة ومفْلح الأسود فأدّيا رسالةً إليهما عن المقتدر حتى كفّا .

وأقام مؤنس فى داره مستوحشاً ، فأظهر أنّ ذلك لمرضٍ فى ساقه ، وصار إليه هارون لابساً دُرّاعة فاصطلحا .

وأقام هارون ببستان النّجمى ، قاصداً للبعد من الفتن ، فكتب أصحاب مؤنس

(١) فى القاموس : السُّفتجة أن يعطى مالاً لآخر وللآخر مال فى بلد المُعطى فيوفيه إياه ثم يستفيدُ أمْنَ الطريق » .

إليه وهو بالرَّقة ، بأنّ الأمر قد تمَّ لهارون فى إمْرةِ الأمراء ، فأسرع إلى بغداد ولم ينحدر إلى المقتدر . وصعد إليه الأمير أبو العباس والوزير أبو علىّ فسلّما عليه .

وقدِم عليه أبو الهيجاء من الجَبَل ، وقُلِّد أحمد بن نصر الحجْبَة ، وأُخذ منه ستين ألف دينار ، وذلك فى شهر رمضان ، وصُرِف فى ذى الحِجّة .

وقَبَض ابنُ مقلة على أبى محمد عبدالله كاتب نصر ، وألْزَمَهُ خمسين ألف دينار .

سنة سبع عشرة وثلثمائة

فى يوم السبت ثالث المحرّم ، خرج مؤنس إلى باب الشماسية ، وخرج الجيش معه ، وعبر إليه نازوك فى أصحابه ، وخرج إليه أبو الهيجاء وسائر القوّاد ، ثم انتقلوا إلى المصلّى .

وشحن المقتدر دارَه بهارون بن غريب وأحمد بن كيغلغ والحجرية والرّجّالة المصافية . فما كان آخر النهار حتَّى مضوا إلى مؤنس .

وراسل مؤنس المقتدرَ أنّ الجيش عاتب بما يصير إلى الخدم والحرم ودخولهم فى الرأى ، وهم يطالِبون بإخراجهم عن الدار ، فأجابه المقتدر برقْعة طويلة فيها :

أمتعنى الله بك ولا أخلانى منك ، ولا أرانى سوءاً فيك ، تأملت الحال التى خرج أولياؤنا وصنائعنا وشيعتنا إليها وتمسّكوا بها ، وأقاموا عليها ، فوجدتهم لم يريدوا إلا صيانة نفسى وولدى ، وإعْزَاز أمرى ومُلْكى ، بارك الله عليهم ، وأحسن إليهم وأغانى على صالح ما أنويه لهم . وأما أنت يا أبا الحسن المظفر — لاخلوْنا منك — فشيخى وكبيرى ، ومَنْ لا أزول ولا أحول عن الميل إليه والتوفّر عليه والتحقّق به ، اعترض مابيننا هذا الحادث ألم يعترض ، وانتقض هذا الأمر الّذى لحقنا أو لم ينتقض ، وأرجو ألاّ تشكّ فى ذلك إن [صدقْتَ نفسَك][1] وحاسبتَها ، وأزلت الظنون السيّئة[2] عنها ، أدام الله حراستَها .

والّذى ذكره أصحابنا من أمر الحرَم والخدم قول إذا تبيّنُوه حقّ تبيّنه ، وتصفّحوه حقّ تصفّحه ، علموا أنه قول جافٍ ، والبغى فيه على غير مستترٍ ولا خافٍ . ولإيثارى موافقتَهم واتّباعى مصلحتَهم أجبتُهم إلى المتيسّر فى أمر هذه الطبقة ، وأتقدّم بقبض إقطاعاتهم وحظْر تسويغاتهم ، وإخراج من يجوز إخراجه من دارى ، ولا أطلق للباقين الدّخولَ فى تدبيرى ورأيى ، وأوعز بمكاتبة العمال فى استيفاء حقّ بيت المال من

(١) من تجارب الأمم ١ : ١٩٠ .

(٢) فى الأصل : « السببيّة » وما أثبته من تجارب الأمم .

ضياعهم الصحيحة الملك ، دون ما يقال إنه [قد][1] لابسه الريب والشك ، وأنظر بنفسى فى أمر الخاصّة والعامة وأبلُغ فى إنصافها والإحسان إليها الغايةَ .

وأما أنتم ، فمعظم نِعَمكم منّى ، وما كنت لأعود عليكم فى شىء سمحت به ورأيته فى وقته ، وأراه الآن زهيداً ، فى جنب استحقاقكم ، وأنا بتثميره أوْلى وبتوفيره أحرَى .

[أمّا][1] نازوك ، فلست أدرى لأىّ شىء عتب ، ولا لأىّ حال استوحش واضطرب ؟ فما غيّرت له حالاً ، ولاحزْت له مالاً .

[وأمّا][1] عبد الله بن حمدان، فالذى أحفظَه صرفُه عن الدينور وتهيّؤ إعادته إليها إن كان راغباً فيها ، وماعندى له ولنازوك والعصاة كلّها إلا التجاوز . والإبقاء[2].

وبعد هذا وقبلَه ، فلى فى أعناقكم بيعة قد وكّدتموها على أنفسكم دفعة بعد أخرى .

ومَنْ بايعنى فإنما بايع الله سبحانه ، ومَنْ نكث فإنما نكَث عهد الله ، ولى عندكم أيضاً نِعَمٌ وأيادٍ وعندكم صنائع وعوارف ، آملُ أن تعترفوا بها وتلتزموها وتَشكُروها ، فإنْ راجعتم هذا الجميل ، وتلقيتم هذا الخطب الجليل ، وفرّقتم جموعكم ومزّقتموها وعدتُم إلى منازلكم واستوطنتموها ، [وأقبلتم على شئونكم فلم تقصروا فيها][3] كنتم بمنزلة مَنْ لم يبرحْ من موضعه ، ولم يأت بما يعود بتشعث محلّه وموقعه ، وإنْ أبيتم إلاّ مكاشفة ومخالفة ، فقد ولّيتكم ماتولّيتم ، وأغمدت سيفى عنكم ، ولجأت فى نصرتى ومعونتى إلى الله سبحانه ، ولم أسلّم الحق الّذى جعله الله تعالى لى ، واقتديتُ بعثمان بن عفان رضى الله عنه ، حين لم يخرج من داره ، ولم يسلّم حقَّه لمّا خذله عامة ثقاته وأنصاره[4] ، والله تعالى بصيرٌ بالعباد وللظالمين بالمِرْصاد » .

ولمّا وقف مؤنس ونازوك وأبو الهيجاء على الرّقعة ، طالبوه بإخراج هارون ، فأخرجه من يومه إلى الثُّغور الشاميّة والجزريّة .

وعاد مؤنس والجيش إلى بغداد فى يوم عاشوراء وزحفوا إلى دار السلطان ، فهرب المظفر بن ياقوت والخدم والحُجّاب وابنُ مُقْلة .

---

(١) زيادة يقتضيها السياق .

(٢) فى الأصل : « الاتقاء » تحريف ، صوابه ما أثبته من تجارب الأمم .

(٣) من تجارب الأمم .

(٤) بعدها فى تجارب الأمم : « وكان ذلك حجة فيا بين الله عز وجل وبينى وسبباً بإذن الله لما أوصله من الفوز فى الدنيا والآخرة ، والله بصير بالعباد وللظالمين بالمرصاد وحسبى الله ونعم الوكيل » .

وأخرج المقتدرُ والدته وخالته وحَرَمُه ليلاً إلى دار مؤنس ، ودخل حينئذ من قُطْرُبّل إلى بغداد مستتراً .

وأصعَد نازوك بغلامه مؤنس إلى دار ابن طاهر ، ففتح له كافور الموكَّل بها ، وسلّم إليه محمد بن المعتضد بالله ، وأحرق فى طريقه دار هارون

وبُويع محمّد بالخلافة ، بايعه مؤنس والقوّاد ولقِّب القاهر بالله .

وأخرَج مؤنس عليَّ بن عيسى من دار السلطان ، فأطلقه إلى منزله وقلّد أبا عليّ بن مقلة وزارة القاهر .

وقلَّد نازوك الحجْبة والشُّرْطة .

وأضاف إلى أعمال أبى الهيجاء أعمالاً كثيرة .

ومضى بنيّ ابن نفيس ، بعد أنْ وقع النَّهب فى دار السلطان إلى تربة السَّيِّدة بالرّصافة ، فوُجِد لها هناك ستمائة ألف دينار .

وأشهد المقتدر على نفسه بالخَلْع القضاةَ . وأخذ القاضى أبو عمر[1] الكتاب ، فلم يُطْلِع عليه أحداً ، فكان هذا من أقوى ذرائعه عند المقتدر ، لمَّا عاد إلى الخلافة .

وسكن النّهب عند ولاية القاهر ، وجلس ابنُ مقلة بين يديه ، وكتب بخلافته إلى الآفاق .

وتقدّم إلى نازوك بقلع خيم الرجّالة ، والمنع للحجرية من دخول الدار فاضطربوا .

فلمّا كان يوم الاثنين سابع عشر المحرم ، بكَّر الناس إلى دار الخلافة ، لأنّه يوم الموكب[2] وحضر الخلْق والعسْكر بأسره ، وطالبوا بالرّزق والْبَيْعة . [ولم ينحدِرْ مؤنس يومئذ][3] .

وهجَمت الرَّجّالة تريد الصحن التسعينى ، وكان نازوكُ نهىَ أصحابَه عن معارضتهم ، إشفاقاً من الفتنة ، فقاربوا القاهرَ بالسلاح ، وكان جالساً فى الرِّواق ، بين يديه ابن مقلة وناز وك وأبو الهيجاء ، فأنفذ بنازوك ليردَّهم وهو مخمور قد شرِبَ ليلته ، فقصدوه بالسلاح ، فهرب منهم ، فطمعوا فيه ، وانتهى به الهرَب إلى باب كان

(١) فى المنتظم : « محمد بن يوسف » .

(٢) كذا فى تجارب الأمم والمنتظم ، وفى الأصل : « المركب » .

(٣) زيادة من كتاب الكامل .

قد سدَّه خوفاً من الدُّخول منه فكانت منيّته عنده ، فقتلوه وصاحوا « مقتدر يا منصور » .

فهرب كلُّ مَنْ فى الدار ، وصلَبوا نازوك وعجيباً الخادم على خشب الستارة ، وبادر الخدم إلى أبواب الدار فغلّقوها ، لأنهم خدم المقتدر وصنائعه .

وبادر أبو الهيجاء الخروج ، فصاح القاهر به : تُسْلِمُنى يا أبا الهيجاء ! فأخذتْه الحميَّة فقال : لاوالله لا أسلِّمك . وعاد أبو الهيجاء ويدُه فى يد القاهر إلى دار السلام ، وقَصَد الرَّوشن فوجد الرجّالة منتظمين ، فنزلَ أبو الهيجاء معه وقال له : وتربةِ حمدان لافارقتُك يامولاىَ أو أقتل دونك !

ومضى أبو الهيجاء إلى الفردوس ونزع سواده ومِنْطَقته وأعطى ذلك غلامه ، وأخذ جُبَّة صوف مصريّة عليه ، وركب دابَّة غلامه ، ومضى إلى باب النوبى ، فوجد الجيش وراءه وهو مغلَق ، فعاد إلى القاهر ، وقال : هذا أمرٌ من السماء ، قد حُمِل رأسُ نازوك إلى هناك .

ودخلا من حيث خرجا ، وأتيا دار الأُترجّة ، وتأخّر عنهما فائق وجه القصعة ، وأشار على الخدم بقَتْل أبى الهيجاء ، وذكَّرهم عداوته للمقتدر ، فـأتوْه بقسِىٍّ ودبابيس فجرد سيفه ونَزَع جُبَّته ، وحمل عليهم فأجفلوا منه ورموْه ضرورة ، ورماه أحدُ الحجرية بنُشّابة وهو ينادى : يالَ تغلب ! القتل[(١)] بين الحيطان أين الكُمَيْت بن الدهماء ! فرماه خَمّار[(٢)]جونه بسهمين : أحدهما نَظَم فَخِذيه والآخر مال بترقُوَته ، فانتزع السهام ومضى إلى بيتٍ فسقط فيه قبل أن يصل إليه .

فبادره أسود ، فضرب يدَه فقطعها ، وأخذ سيفه ، وغشيه أسود آخر فحزّ رأسه .

وامتنع المقتدر ، وهو بدار ابن طاهر ، من المضىّ إلى دار السلطان ، وخاف أن تكون حيلةً عليه ، فحملُوه على رقابهم إلى الطّيار .

فلما حَصَل فى دار الخلافة سأل عن أبى الهيجاء ، فقيل له : هو فى الأُترجّة ، فكتب له أماناً بخطِّه ، وقال لبعض الخدم : ويلك بادِرْبه لاتِمّ عليه أمره[(٣)] .

فلمّا حصل الخادم فى الطريق ، تلقّاه خادم آخر برأسه ، فعاد إلى المقتدر فعزّاه

---

(١) تجارب الأمم ١ : ١٩٨ : « أأقتل بين الحيطان » .

(٢) فى تجارب الأمم : « حمارجويه » .

(٣) تجارب الأمم : « بادر به لئلا يحدث عليه حادث » .

عنه ، فظهرت كآبتُه وقال : ويْلك مَنْ قتله ؟ فغمزه مفلح الأسود ، فقال : لا أدرى فكرّر : إنا لله وإنّا إليه راجعون ! وظهر من حُزْنِه عليه أمرٌ عظيم .

وكان أبو الهيجاء فى الشجاعة بمنزلةٍ كبيرة ، حكتْ عنه إحدى حظاياه ، أنّه كان يواقعها فى سفر ، فجاء السبع إلى باب مَضْرَبه ، فجرد سيفه وحمل عليه ، وأتاها برأسه ، وعاد إلى الحال التى كان عليها ، لم تفتر شهوتُه ولم تكلّ آلتُه .

وأُتِىَ المقتدرُ بالقاهر ، واستدناه ، وقبَّل جبينه ، والقاهر يقول : نفسى نفسى يا أمير المؤمنين ، فقال له : لا ذَنب لك لأنك أُكرهت ، وحَقِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لا جَرَى عليك سوء منِّى أبداً ، فاطمأنّ .

وشُهِر ببغداد رأس نازوك وأبى الهيجاء ، ونُودِى عليهما : هذا جزاء مَنْ كفر نعمة مولاه .

وعاد ابن مقلة إلى الوزارة ، وكتب بإعادة الخلافة إلى المقتدر .

وحكى أنّ بدْرَ بن الهيثم القاضى ، ركب للتّهنئة [و] رجوع الخلافة إلى المقتدر بالله ، وقال لابن مُقْلة : بين رَكْبَتِى هذه وركبة ركبتها مائة سنة ، لأنّى ركبت للتعزية بوفاة المأمون سنة سبع عشرة ومائتين مع أبى، وقد ركبت اليوم لِلتّهنئة بعوْد المقتدر سنة سبع عشرة وثلثمائة . وتوفى بدر بعد أيام سنة مائة واثنتى عشرة سنة .

وجُدِّدت البيعة على الناس ، فأُطلق للفرسان زيادة ثلاثة دنانير فى الشّهر ، وللرجال زيادة دينار . ونفدت الأموال فى عطيّاتهم حتى بيعت الآلات والكسوة .

وأشهد المقتدر بالله على نفسه ، بتوكيل علىّ بن العباس النُّوبختى فى بَيْع الضِّياع . وحضر علىّ بن عيسى فقام إليه ابنُ مقلة ، وشاهد البيع ، فانْتَهى إلى بيع ضياع جبريل والد بختيشوع ، وقد بيعتْ بثمنٍ نَزْرٍ ، فقال : لا إله إلا الله ! حدثنى شيخنا القاسم عيسى بن داود – يَعْنى أباه – أن المتوكل رحمه الله ، لما غضب على بختيشوع أنفذ لإحصاء ما فى داره ، فوُجد فى خزانة كسوته رقعةٌ فيها ثمن ضياعه ، مبلغ ذلك بضعة عشر آلاف ألف درهم . .

وخلَع المقتدر على ابن مقلة وكنّاه . وقلّد أبا عمر قضاء القضاة ، وكتب عهده .

وأوقع فى هذه السنة القرمطىُّ بالحجيج فى المسجد الحرام ، وقَتَل أميرَ مَكّة ، وقلع الحجر الأسود ، وسلب البيت ، وأصْعَد رجلاً من أصحابه ليقلع الميزاب، فتردّى فهلك ،

وطُرِح القتلى بزمزم ، وأُلقِيَ مَنْ بقِيَ فى المسجد ، وأخذَ الأموال وحمل الحجر إلى بلده .

قال المقتدر : قال لى عقيل بن عصام العُقَيلىّ بقرية أبروذة من الدُّجيل : حدَّثنى أبى : أنه رأى أبا طاهر وبين يديه خمسون يضربون الرّقاب ، فقتِل من الحجيج نحو عشرة آلاف وهو يقول :

ولو كان هذا البيتُ بيتاً لربِّنا لَصَبَّ علينا النّارَ من فَوْقِنَا صَبًّا

وإنّا تركْنا بين زمزمِ والصَّفَا جنائزَ لانبغى سوى كسبها ربّا

لعنه الله وأتباعهَ لعناً وبيلاً !

وأتى أهلُ مكة على مَنْ عندهم من الحاجّ ، فقتلوهم وسلبوهم .

وقُلِّد ابنا رائق شُرْطة بغداد ، مكان نَازُوك .

وورد ياقوتُ من فارس ، فخلَع المقتدر عليه ، وعلى ابنه المظفر ، ووَلَّى مكانه نجحاً الطُّولونى بفارس وكِرْمان . وعُزِل ياقوت ، وجُعل الإشراف بها لابن أبى مسلم .

وانحدر بعد ذلك مؤنس إلى المقتدر ، فخلَع عليه ونادَمه ، وسأله فى أمِّ موسى الهاشميّة ، وفى أم دستنبويه ، فأُجيب ووُصِلتْ بسبعة آلاف دينار .

ورتب علىٌّ بن عيسى فى المظالم ، وجُعِلت الدواوين إليه .

وفيها فتح هارون بن غريب شهرزور ، وطالَبهم بخراج عشرين سنة عَصَوْا فيها ، وصالحوه على سبعة وثلاثين ألف دينار ومائتى ألف درهم .

وفيها رتب الحجريّة علىّ بنِ مقلة ، وضَرَبُوه بالدَّبابيس فأفلَت منهم .

وفيها ملَكَ أصحابُ ما كانَ الديلمىّ قاسان .

سنة ثمانى عشرة وثلثمائة

زاد أمرُ الرّجالة وكُثر تسَحبهم وإدلالهم ، بأنّهم كانوا السَّببَ فى عوْد المقتدر إلى داره .

وطالب الفرسانُ بالمال ، فاحتجّ عليهم السلطان ، بأنه يصرف إلى الرّجالة(١) فى كلّ شهر مائة وثلاثين ألف دينار .

وركِبت الفرسانُ مع محمد بن ياقوت ، فطردُوهم وأوقع بالسودان بباب عمار ، وحرَّق دورَهم ، فهربت الرَّجالة إلى واسط ، ورئيسهم نصرٌ الساجىّ ، فغلَبوا عليها فانحدر مؤنس فأوقع بهم ، فلم ترتفع لهم رايةٌ بعد ذلك .

وكان بين محمد بن ياقوت ومؤنسٍ تباعد ، فلِممايَلة مؤنس ابنَ مقلة ، عاداه بالانضمام إليه ، وقَبَض على الوزير سليمان بن الحسن ، حين عُرِفت إضاقته(٢) ، وكثرت المطالبات له ، فكانتْ مدة وزارته سنة وشهرين .

وزارة أبى القاسم عبد الله بن محمد الكلواذى

كانت فى يوم الاثنين سابع رجب ، وأقرضه ابنُ قرابة مائتى ألف دينار بربح درهم فى كلِّ دينار .

وملك مزداويج الجَبَل بأسره إلى حُلْوان .

وانْهزم هارون بن غريب إلى دير العاقُول .

واستأمن يشكرى الديلمىّ إلى هارون ، وهو من أصحاب أسفار(٣) ، وانهزم بانهزامه وصادر يشكرى (٤) أهلَ نهاوند فى أسبوع ، علىَ ثلاثة آلاف ألف درهم ، وانبثّت

---

(١) فى الأصل : « الرّجال » .

(٢) فى الأصل : « إضافته » تصحيف .

(٣) هو أسفار بن شيرويه .

(٤) فى الكامل لابن الأثير ٦ : ٢١٤ : « لشكرى » .

الأخبار ، وصادر أهلَ الْكَرَج وملك أصبهان ، وكان بها أحمد بن كيغلغ ، فخرج هارباً فى ثلاثين نفساً .

فكان لأحمد من الاتفاق العجيب أن يشكرى تَبِعه إلى قَرْية ، فعاون أهلُها أحمد وتقارب أحمد ويشكرى ، فضربه أحمد ضربةً قدَّت مِغْفَره وخُوذته ، ونزلتْ فى رأسه فقتلته ، وانهزم أصحابه ، وسنّ أحمد يومئذ سبعون سنة .

وركب الكلوذانى فى طياره ، فرجمه قومٌ من الجند ، طلبوا أرزاقهم ، فجعل ذلك سبباً لإغلاق بابه ، ووُلِّىَ بعده الحسين بن القاسم الكَرْخىّ .

وزارة الكرخى

كان ببغداد رجل يعرف بالدّانيالى ، يظهر كتباً عتيقة(١) ، وينسبُها إلى دانيال النبىّ عليه السلام ، ويُودِع تلك الكتبَ أسماء قوم وحُلاهم ، فاستوى جاهُه ، وقامت سوقُه بين أهل الدولة وعند القاضى أبى عمر وابنهِ .

وذكر لِمُفْلِح الأسود ، أنه من ولد جعفر بن أبى طالب ، فنفَق بذلك عليه ، وأخذ منه مالاً كثيراً ، وأشار عليه ابن زنجى بإثبات صفة الحسين بن القاسم ، وذكَر الجُدرىّ الذى فى وجهه والعلامات التى فى شَفَتِه العليا ، فكتب ذلك ، وأنه إن وَزَر للثامن(٢) عشر من ولد العباس استقامت أموره ، فعمل دِفتراً ، وذكر ذلك فى تَضاعيفه وعتَّقه فى التبن ، وجعله تحت خفِّه ومشى عليه حتى اصفرَّ وعَتَق .

قال ابنُ زنجى(٣) : فلولا معرفتى من عَمَلِه له لم أشكّ فى أنه قديم . وحمله إلى مُفْلِح فعرضه على المقتدر ، فقال له : أتَعرف هذه الصفة لمن ؟ قال : لاأعرفها إلاّ للحسين بن القاسم ، قال: فاستدعاه وشاوره .

قال ابن زنجىّ : ثم إنّ الدّانيالى طالبنى بالمكافأة ، فقلتُ : حتى يتمّ الأمر . فلما وُلِّى الحسين الوزارة ، ولاه الحِسْبة ، وأجرى له مائتى دينار فى الشهر .

---

(١) فى الأصل : « عتقاً » .

(٢) تجارب الأمم : « ثانى عشر » .

(٣) هو أبو القاسم بن زنجى .

وسعَى له بُلَيْقٌ فى الوزارة ، وتقلَّدها يوم الجمعة لليلتين بقيتا من شهر رمضان ، فتشاغل عن الجلوس بالتهنئة بجمع الأموال الَّتِى يحتاج إليها فى نفقة العيد ، وصار إليه علىّ بن عيسى وهنّاه .

وكانت دمنة تعنَى بأمر الحسين ، فكانت توصِّل رقاعَه ، وكانت حظيَّةً عند المقتدر فكان يخدُمها ويخدُم ابنَها الأميرَ أبا أحمد إسحاق فى كلِّ يوم بمائة دينار .

واختصّ به بنو البريدىّ وأبو بكر بن قرابة ، وأقرضه أموالاً بربح درهمٍ فى الدِّينار .

واختصَّ به جعفر بن ورقاء ، فقلَّد أبا عبدالله محمد بن خلف النَّيرمانىّ أعمالَ الحرْب والخراج والضِّياع بحُلْوان ، وغيرها من ماء الكوفة ، ولبس القَبَاء والسَّيْف والمِنْطَقة وتَسمَّى بالإمارة . وسئل فى إخراج علىّ بن عيسى إلى مصر ، فدافع عنه مؤنس وقال : إنه شيخ نرجع إلى رأيه حتى أحدره إلى الصَّافية .

وابتدأ مؤنس فى الاستيحاش . وبلغ الحسينَ أنّ مؤنساً على كبسِه ليلاً ، فكان ينتقل فى كلّ ليلة إلى مكان ، خوفاً منه . وراسل مؤنس المقتدرَ فى صرف الحسين عن الوزارة فأجابه[1] .

وسعى الحسين بمؤنس وقال للمقتدر : إنه قد عزم على أن يُخرِجَ الأميرَ أبا العباس إلى الشام ويقرِّر له الخِلافة .

وكتب الحسين إلى هارون بن غريب ، وهو بدير العاقول ، يأمره بالمبادرة [إلى الحضرة][2] فاستوحش مؤنس ، وأظهر الغضب وسار فى أصحابه إلى الموصل .

وجاء بُشرى خادم شفيع برسالة إلى المقتدر ، فشتَمه الحسينُ وشَتَم صاحبه ، وضربه بالمقارع ، وأخذ خطَّه بثلثمائة ألف دينار .

ووقَّع الحسين بقبض أملاك مؤنس وضياع أسبابه ، وأفرد له ديواناً سمّاه ديوان المخالفين .

وزاد محلُّ الحسين من المقتدر ، فكان ينفذ له الطعام من بين يديه ، ولقَّبه عميد الدولة ، وأمر بذكر لقبه على الدّنانير .

وقلَّد أبا يوسف محمد بن يعقوب البريدىّ البصرة ، والقيام بنفقتها فتقدّم إلى

---

(١) تجارب الأمم : « فأجابه إلى صرفه والتقدم إليه بلزوم منزله » .

(٢) من تجارب الأمم .

الكتّاب ، بإخراج خراج البصرة ، فأخرجوه من صلاة الفجر إلى عتَمة يومه ، وأحضر البريدىّ ووافقه على ذلك ، وأخذ خطَّه بالقيام بمالِ الأولياء بالبَصْرة ، وأن يرتب لحفظ السُّور زيـادة علَى مَنْ عليه ألف رجل ، وأنَ يَحْمِل بعد النفقات سبعين ألف دينار ، وحمل الخطَّ إلى الوزير متبجِّحاً به ، فلم يقع من الوزير بموقعٍ ، وظن أنه وبَّخه بذلك .

وعرف المقتدر فوقَع موقعه عنده ، وغلَّظ على الحُسين ، فخافه الفضلُ بن جعفر ، فاستتر منه عند ابن قرابة ، فقلَّد الحسين الديوانَ أبا القاسم الكلواذىّ .

وجدّ أبو الفتح فى طلب الوزارة،وصُودر ابنُ مقلة عند بُعْد مؤنس عن مائتى ألف دينار .

وأراد الحسين مصادرة علىّ بن عيسى ، وهو بالصافية مقيمٌ ، فمنع منه هارون بن غريب وكانَ بديْر الْعَاقُول .

ووصل هارون إلى دار السُّلطان ، فلقىَ المقتدرَ وسأله فى ابن مُقْلة ، فحطَّ عنه خمسين ألف دينار ، فانصرف إلى داره ، فقصده الوزير وابنا رائق ومحمد بن ياقوت ومُفْلح وشفيع .

وأخذ ابنُ مقلة فى استماحة الناس ، ففضل له عن الّذى صودر عليـه عشرونَ ألف دينار فابتاع بها ضياعاً وقَفَها على الطَّالبيّين ، وكان ابتاعها باسم عبدالله بن علىّ المقرئ .

وقبض المقتدر على أبى أحمد بن المكتفى ، ومحمد بن المعتضد ، فاعتمدت السَّيدة مراعاةَ محمّد ، وأهدَتْ إليه الجوارى وراعتْه فى نفقته ، واعتُقلا بدار السلطان واشْتَدَّت الإضاقة بالحسين فباع ضياعاً بخمسمائة ألف دينار ، واستسلف من مال سنة عشرين وثلثمائـة قبل افْتِتاحها ، فأخبر هارون حاله للمقتدر، فكتب للخصيبىّ أماناً فظهر فخوطب بالوزارة ، فذُكِر أنَّ الحسين استسلف من مال سنة عشرين قِطْعةً وافرة ، وأنه لايغرّ السلطان من نفسه ، فولّاه ديوان الأزمّة ، وأجرى له ولكتّابه ألف دينار وسبعمائة دينار فى كلّ شهر ، ،وأقرَّ الحسينَ على الوزارة وخَلع عليه ، ليزُول الإرجاف [عنه] (١).

---

(١) من تجارب الأمم .

واجتمع الحسينُ والخصيبيّ ، فأخذ الحسين يعانده والخصيبيّ مُمْسِكٌ ، فلما بلَغ ذلك المقتدر انحلّ أمرُ الحسين عنده فقُبِض عليه ، فكانت وزارته سبعة أشهر ،

وزارة أبي الفتح الفضل بن جعفر

وخُلِع عليه لليلتين بقيتَا من شهر ربيع الآخر .

وصادر الحسين فى نوب ، أخذ منه فى إحداها أربعين ألف دينار ، ثم أبعده إلى البصرة وأقام له فى كلّ شهر خمسة آلاف درهم .

وأنفذ مرْداويج رسولاً يسأل أن يُقاطع عن الأعمـال التى غلب عليها من أعمال المشرق ، فأجيب ، وتكفل هارون بن غريب بأمـره ، وكتب له العهد وأنفذ إليه اللواء والخِلَع ، ومشّى الوزير أبو الفتح الأمورَ بمائة ألف دينار ألزمت للبريدىّ ونَفَى ابن مقلة إلى شيراز .

ومات أبوعمر القاضى ، فأغرى أبوبكر بن قرابة بَورثته ، وقال للمقتدر : هاهنا مَنْ يعطى مائة ألف دينار لقضاء القضاة ! [ويوفر هذا المال من جهته] .

وأنفذ المقتدر بكتاب إلى أبى الحسين القاضى معه ، وعرَّفه الحال ، فأتوه وهو فى العزاء ، وأمسكوا ، فقال ابنُ قرابة : ماهذا حَضَرْنا ، قم معنا حَتّى نخلُوَ ، فنهض واستوفَى عليه ابنُ قرابه الخطاب ، فقال أبو الحسين : إنّ نعمَنا من أمير المؤمنين ، وأسأله أن يُمْهِلَنا يومَـه ، حتى يحصل أمره .

فلمّا كان بالعشىّ ، وكان شهر رمضان ، مضى إلى دار ابن قرابة ، فدخل والمائدة بين يديه ، وعنده البريديّون ، فأكل قاصداً لاستكفاء شرّه ، وقال : قد جئتك مستسلماً إليك فدبّرنى بما ترَى .

وقرُب منه البريديّون ، وقالوا متوجّعين : له عندنا ثلاثة آلاف دينار نُعينك بها ، واستصوبوا قَصْده لابن قَرابة ، فقال له ابنُ قرابة : امضِ مصاحَباً ، وتعطّف عليه [المقتدر بالله ، وعاونه] البريديون وإخوانه فقلده قضاء القضاة .

ووصفَ المقتدر لابن قرابة ماهو فيه من الإضاقة ، فقال له : لم لايعاونك ابنُ خالك هارون بن غريب وعنده آزاج[1] مملوءة دنانير؟ فقال هارون : لوكنتُ أملِك

---

(١) الآزاج : جمع أزج ، وهوالبيت يبنى طولاً .

شيئا لما بخلتُ به عن أمير المؤمنين ، لأنّ سلامتى معقودة بسلامته ، ولكنْ مع ابن قرابة من المال مالايحتاج إليه ، وأنا أستخرج لك منه خمسمائة ألف دينار ، فقال : اذهب . فتسلّمه، فقبض عليه وجرى عليه من المكروه ما أشفَى به على[1] التلف ، حتى قُتِل المقتدر بالله فخلّص .

وحكى ابنُ سنان : أن ابنَ قرابة كان صديقاً لأبيه ، فدَخل عليه بعد ماصودر فقال له : خلّطتَ حتى صودرتُ ، وقد حصل لى الآن ما يرتفع منه عشرون ألف دينار فى السَّنة خالصة لى ، ولى من الأملاك ماليس لأحد مثله ومن الآلات والفرش والمخروط والصينىّ والجوهر ماليس لأحد ، وكذلك من الرقيق والخدم والغلمان والكراع ، ومعى ثلثمائة ألف دينار صامت ، لا أحتاج إليها ، وبينى وبين ابن مقلة مودّة ، وهو مُقدِم من فارس وزيراً ، فهل ترَى لى ترك التخليط ولزوم ربّ النعمة وإصلاحها !

فقال له ابن سنان : مارأيتُ أعجبَ من أمرك ، إنما يُسأل عن الأمر الخفىّ ، وأما عن الواضح الجلىّ فكلا ، وبعد [فإن][2] أعقبك فائدة وأثمرك صلاحاً[3] ، فلازمْه ، وإلا فكفّ[4] عنه . وأيضاً فإن الإنسان يكدّ ليحصلَ له بعضُ ماحصل لك . وقد أتاك هذا وادعاً فاشكرِ الله ، وتمتّع بنعمتك التى أنعم الله سبحانه بها عليك ، فقال : صدقت ونصحت ، ولكن لى نفس مشئومة لاتصبر ، وسأعود [إلى][5] ما كنت فيه .

فلمّا خرج سنان[6] من عنده ، قال : لايموتُ ابن قرابة إلا فقيراً أو مقتولاً .

ولمَّا ورد مؤنس ، وكان هارون بن غريب قد وكّل به غلمانه وقيّده ، وأمرهم بإخراجه إلى واسط ، فقُتِل المقتدر بالله رحمه الله فى ذلك اليوم ، فهرب الموكّلون به وبقى معه خادمان . وكان ابنُ قرابة اشتراهما لهارون ، فتعطّفا عليه وصارا به إلى الفُرضة[7] ، وأدخلاه مسجداً بها وأحضرا حدَّاداً ، فكسر قيودَه ومشى إلى منزله بسويقة

---

(١) فى الأصل : « عن » ، والأجود ما أثبته من تجارب الأمم .

(٢) زيادة يقتضيها السياق .

(٣) فى تجارب الأمم ١ : ٢٣٢ : « أثمر لك ما تحب » .

(٤) تجارب الأمم : « فلا تعاوده » .

(٥) زيادة يقتضيها السياق . وفى تجارب الأمم : « وسأعاود ماكنت فيه » .

(٦) فى الأصل : « ابن سنان » وفى تجارب الأمم : « فقال لى والدى » .

(٧) الفرضة : قرية بالبحرين . ياقوت .

غالب ، وَوهَبا له خمسمائة دينار .

ثم أدّاه التّخليطُ إلى أن قَبَضَ عليه القاهر ، فأزال نعمته وقبض أملاكه وهُدِمت داره ، وأراد قتله فزال (١) أمرُ القاهر فعاد إلى تَخْلِيطه .

ومضى إلى البريديين(٢) لمّا خالفوا السلطان (٣) .

ومضى إلى معزّ الدولة من نهر ديالى ، وصُودر حتى لم يَبْق له بقيّة ، واضطر إلى أن خدم ناصر الدولة ، فى كلّ شهر بمائة دينار ، وكان ينفق أمثالها ومات بالمْوصِل .

وفى ذى الحجة من هذه السنة ، عَقَد المقتدر لأبى العلاء سعيد بن حمدان على المْوصل وديار ربيعة .

وفى هذه السنة توفِّىَ أبو القاسم البلْخى المتكلِّم صاحب المقالات والتفسير ببلْخ .

وفى سنة عشرين وثلثمائـة كاتب الحسين بن القاسم داودَ وسعيدا ابنىْ حمدان والحسن بن عبد الله بن حمدان بمحاربة مؤنس ، فامتنع داودُ من لقاء مؤنس ، لأنه لم يزل مُحسناً إليه ، فما زال به أهله حتى لقيَه . وقال : هذه تغسل مافعله الحسين بن حمدان وأبو الهيجاء ، فكان يقول : والله إنى أخاف أن يجئ سهم نجّار فيقع فى حلْقى فيقتلنى ، فكان حالُه كذلك ، قُتِل وحده بسهم .

وكان بنو حمدان فى ثلاثين ألفاً ، ومؤنس فى ثمانمائة رجل فانهزموا ، وتعجّب مؤنس من محاربة داود له ، وكان يقول : ياقوم فى حجرى خُتِن ، ولِىَ عليه من الحقوق ماليس لأبيه .

وملك مؤنس أموالَ بنى حمدان ، واستولى على الموصل ، وكثر خرُوج النّاس إليه . ولمَّا أقام بها تسعة أشهر ، حمله مَنْ خرج إليه على الانحدار إلى الحضرة ، وبلغ الجندَ بها انحدارُه ، فشغَبُوا وطالبوا بأرزاقهم ، فأطلَق لهم المقتدر ذلك ، وأخرج مضرب الدم إلى باب الشماسية .

وتراجعتْ طلائع المقتدر ، وبها سعيد بن حمدان ومحمد بن ياقوت ومؤنس الورقانىّ . واجتهد المقتدر بهارون أن يخرج للحرب .

---

(١) فى تجارب الأمم : ١ : ٢٣٢ « حتى زال أمر القاهر » .

(٢) كذا فى تجارب الأمم وفى الأصل : « البريدىّ » .

(٣) تجارب الأمم : « ثم مضى إلى أبى الحسين أحمد بن بويه » .

وجاء محمد بن ياقوت ، والوزير الفضل بن جعفر إلى المقتدر ومعهما ابن رائق ومُفْلِح ، وقالوا : إن الرّجال لاتقاتِل إلا بالمال ، وسألوه فى مائتى ألف دينار من جهته وجهة والدته ، فقال : ليس إلى ذلك وجه ، وتقدم بإصلاح [الشذاءات والطّيارات لينحدر](١)هو وحَرَمُه إلى واسط ، فقال له محمد بن ياقوت : اتّق الله ياأمير المؤمنين ولاتسلّم بغداد بغير حرب ، وإن رجال مؤنس إن رأوك أحجموا عن القتال ، فقال له : أنت والله رسول إبليس .

وركب المقتدر ، ومعه هارون بن غريب ، ومحمد بن ياقوت ، وسائر القوّاد ، وعليه البُرْدة وبيده القضيب ، وبين يديه ابنهُ الأمير أبوعلىّ ، والأنصار حافّون به ، معهم المصاحف منشورة ، والقراء يقرءون القرآن ، وَكثر الدّعاء له ، وأصعد إلى الشماسية ، ووقف على موضع عال .

واشتبكت الحرب ، ومؤنس بالرّاشدية لم يحضرها ، وثبت هارون ومحمد ، وصار أبو العلاء سعيد بن حمدان برسالتهما إلى المقتدر يسألانه الحضور ، ليشاهده أصحاب مؤنس فيستأمنوا . فلم يجبه .

وتتابعت رسلُهما ، حتى كان آخرهم محمد بن أحمد القراريطىّ ، كاتب هارون ، وهو لايجيبهم ، ووقف على ظهر دابّته ، ووراءه الوزير أبو الفتح ومُفلح وخواصّ غلمانه ، فلما ألحّوا عليه وقالوا : إن الغلمان يؤثرون رؤية أمير المؤمنين .

فمضى حينئذ كارهاً المضىّ ، ومعه مُفلح ، وتخلّف عنه الوزير ، فلمّا قارب دجلة ، انهزم أصحابهُ قبل وصولهم ، واستأسر(٢) أحمد بن كيغلغ وجماعة القواد ، وآخر من ثبت محمد بن ياقوت .

ولقِى المقتدرَ علىّ بن بليق ، فترجّل له وقبّل الأرض بين يديه ، ووافى البربر من أصحاب مؤنس ، فأحاطوا بالمقتدر ، وضَرَبه رجل منهم ضربةً فسقط منها ، فقال : ويحكم ! إنّى الخليفة ! فقالوا : فلك نطلب ، وأضجعوه وذبحه أحدهم بالسيف ، وطرح أحد أصحابه نفسه عليه فذُبح أيضاً ، ورُفع رأسه على خشبة ، وسلَب ثيابه ،

(١) زيادة من تجارب الأمم ١ : ٢٣٥ وموضعه بياض فى الأصل .

(٢) استأسر : أعد نفسه للأسر وفى الأصل : « استؤسر » .

حتى مرّبه أكّار ، فستره بحشيش ، وحفر له ودفنه وعفّى أثره .

ونزل علىّ بن بليق وأبوه فى المضارب ، وأنفذ إلى دار السلطان مَنْ يحفظها .

وانحدر مؤنس إلى الشماسية فبات بها .

ومضى عبد الواحد بن المقتدر ومُفلح وهارون ومحمد وابناه رائق على ظهرِ خيولهم إلى الميْدان .

وكان مافعله مؤنس من ضَرْب وجه المقتدر بالسيف سبباً لجُرأة الأعداء علَى الخلفاء .

وكانت مدّة وزارة أبِى الفتح لأمير المؤمنين المقتدر بالله رحمه الله خمسة أشهر وعشرين يوماً .

ولما حُمِل رأس المقتدر إلى مؤنسْ بكَى ، وقال : والله لَنُقتلنَّ كلنا ، والصّواب أنْ نرتِّب مكانه ابنه أبا العباس(١) ، فتسخو نفس جدَّته السيدة بإخراج المال .

فثنى رأيَهم أبو يعقوب إسحاق بن يعقوب النّوبختِى وقال : الصواب أن تولُّوا القاهر محمد بن المعتضدْ بالله ، مقدّراً استقامة أمرِه معه ، فكان الأمر على خلاف ماحسب .

خلافة القاهر بالله أبو منصور بن المعتضد

كانت سنة وستة أشهر وخمسة أيام .

أمّه تسمى قبول ، وسبب خلافته ، أنه حُمِل إلى مؤنس محمّد بن المكتفى بالله ، فخاطبه فى تولِّى الخلافة فامتنع وقال : عمى أحقُّ بالأمر ، فخاطب عمّه القاهر ، فأجاب وحلف لمؤنس والقواد وبايعوه ، وبايعه القضاة ، وذلك سحر يوم الخميس لليلتين بقيتا من شوال .

وأشار مؤنس أن يستوزِر له علىّ بن عيسى ، فقال بليق : وابنه على الحال الحاضرة لايقتضى ذلك ، لأنها تحتاج إلى سمْح الكف واسع الأخلاق [فأشار(٢)بأبى علىّ بن مقلة وبأن يستخلف له إلى أن يقدم من فارس أبو القاسم الكلواذى] فرضى

(١) بعدها فى تجارب الأمم ١ : ٢٤١ : « فإنه تربيتى » .

(٢) من تجارب الأمم .

مؤنس بذلك ، واستخلفوا له الكلواذىّ ، وكتبوا إلى ياقوت بحمْله عاجلاً .

وانحدر القاهر إلى دار الخلافة ، واستدْعَى مؤنس علىّ بن عيسى من الصافية ، فأوصله إلى القاهر ، فخاطبه بكل جميل .

وكانت والدة المقتدر فى علّة عظيمة من فساد مزاجٍ واستسقاء . ولما وقفت على حال ابنها امتنعتْ من الأكل حتى كادت تتلف ، فرُفِق بها حتى اغتذت بيسيرٍ من خبز وملح فأحضرها القاهر وقرّرها بالمال ، باللين تارة وبالخشونة أخرى ، فقالت : لوكان عندى مال ما أسلمتُ ولدى للقتل وتجرعْت بفراقه الثُّكْل ، وما لى غير صناديق فيها صياغات وثياب وطِيب .

فَعلّقها فى حبل البرّادة[1] بفرد رِجْلها ، وتناولها بالضرب بيده فى المواضع الغامضة من بدنها ، ولم يذكر إحسانَها إليه وقت اعتقالِ المقتدر إياه ، وضَرَبها أكثر من مائة مقرعة .

ولما أوقع المكروه بها ، لم يجد زيادة على ما اعترفت به طوعاً ، وأخذ ماوجد لها فإذا هى صناديق فيها ماقيمتهُ مائة ألف وثلاثون ألف دينار وتماثيل كافور فيمتها ثلثمائة ألف درهم .

فرفع ذلك إلى الكلواذىّ وبليق ، وأمرهما بحمله إلى مؤنس ، ليُصْرَف فى مال البيْعة .

وصودِر جميعُ أسباب المقتدر .

وصادر الفضلَ بن جعفر على عشرين ألف دينار ، فقال مؤنس : أنا أؤديها عنه .

وحلّ القاهر ماوقفته السيّدة على الحرَمَيْن والثُّغور ، واشترى ذلك أصحاب مؤنس بخمسمائة ألف دينار .

وزارة ابن مقلة

وقدِم ابنُ مقلة من شيراز يوم النّحر ، واختار لنفسه لقاء القاهر ليلاً بطالع الجدى ، وقال : فيه أحد السَّعْدين ، وخَلَعَ عليه من الغد خِلَع الوزارة .

---

(١) البرّادة : إناء يبرّد الماء .

وصار إلى دار مؤنس المظفر ، فسلّم عليه وانصرف إلى داره .

وحضر النّاس للتهنئة ، وأتاه عليّ بن عيسى ، فلم يقمْ له ، فاستقبح الناس فعلَه ، وصار إليه ابنُ قرابة وعاود تخليطَه .

وظهرتْ دمنة والدة الأمير إسحاق بأمانٍ كتَبه القاهرُ لها ، وبذلتْ عن ولدها عشرين ألف دينار ، ووُجِدِ أولادُ المقتدر فى دارِ عليّ بن بليق .

وظهر شفيع المقتدريّ بأمان ، وقُرِّر عليه خمسون ألف دينار ، وكان مملوكاً لمؤنس ، فحلف أن لابّد من بيعه ، فنُودى عليه ، فبلغ ثمنه سبعين ديناراً ، فابتاعه الكَلْواذىّ باسم القاهر وشهد الشهود فى العهد .

سنة إحدى وعشرين وثلثمائة[١]

قبض ابنُ مقلة على جماعة من العمال ، منهم النوبختى إسحاق بن إسماعيل ، وعلىّ الكلْواذىّ ، وعَتَب عليه أنه لم يراع أهله وقت غيبته ، وأخذ خطَّه بمائتى ألف دينار ، وسلَّمه إلى أبى بكر بن قرابة .

وقبض على بنى البريدىّ ، وضمن أعمالَهم محمدبنخلف[٢] النّيرمانىّ بزيادة ثلثمائـة ألف دينار ، وضَمِن له ابنُ قرابة أن يصادرِهمْ على ستمائة ألف دينار .

ولم يزل أبوعبدالله البريدىّ يُدارى محمد بن خلف ، ويعرّفه أنه يعمل بين يديه فرقَّهَهُ من بين إخوته . وتوصل أبو عبد الله حتى ضمِنه ابنُ قرابة وأُطْلِق .

ومضى البريدىّ إلى ابن مُقْلة وقال : عرفتُ من ابن خلف أنه يطلب الوزارة ، فأنفذ خدَمه وحُجّابَه للقبض عليه ، فهزمهم محمد بن خلف ، وحصَّلهم فى بيت ، وأَقفل عليهم بابَه ، وتَسوَّر السطوح وهرب ، فلم يظهر إلا بعد عزل ابن مُقْلة .

ومضى البريدّى إلى الأهواز بتوسّط ابن قَرابة حاله .

وكان ابن مقلة يعادى أبا الخطاب بن أبى العباس بن الفرات ، فلم يجد للقبض عليه طريقاً ، لأنه ترك التصرّف منذ عشرين سنة ، ولزم منزله وقَنَع بدخول ضيعته.

وكان ابن مُقلة استسعفه أيام نكبته ، فاعتذر بالإضافة ولم يُسعِفْهَ ، فأظهر[٣] أبو الخطاب أولاده . ودعا أولاد ابن مقلة ، فعادُوا إلى أبيهم وأخبروه بزينته فتركه ، حتى قصده للسَّلام ، فقبض عليه وطالبه بثلثمائة ألف دينار ، فقال : بمَ يحتجّ علىّ الوزير وقد تركت التصرُّف من عشرين سنة ؟ وفى حال تصرّفى كنتُ ألزم الصحة ، ولى على الوزير حقوق ، مثله لاينساها ، ولولا تَهْجينه لِى لقد كنت أظهر خطوطاً له عندى قبل هذه الحال ، وما أريد من رعايتها إلا السلامة ، وإن كان يعتقد أننى ورِثْتُ من أبى مالاً فإننا كُنّا جماعةَ أولاد ، ولو كان شىء لتقاسمناه .

---

(١) أدخل المؤلف أخبار هذه السنة فى أخبار سنة ٣٢٢ ، كما انتقل من سنة ٣١٨ ، إلى سنة ٣٢١ ، كأنه أدخل بعض السنوات فى بعض

(٢) كذا فى تجارب الأمم وفى الأصل : « البيرمانى » .

(٣) فى الأصل : « فظهر » .

فقال ابن مقلة للخصيبي : عاقِبْه ، فعوقب ، فلم يُذْعِن ، فقال : اضربوا
، فقال للسياف : وجِّهنى إلى القبلة ، وأخذ يتشهد .
فقال مؤنس وقد بلَغه الخبر : أىّ طريق لك على رجل لم يعمل منذ سنة تسع
ين ومائتين ، وتوسّط أمره على عشرة آلاف دينار ، وصرَفه إلى منزله .
وتوسط ابن شيرزاد حالَ هارون بن غريب ، على مُصادرةٍ بثلثمائـة ألف دينار ،
َ به مؤنس المظفر ، فقُبلت مصادرته وقُلِّد أعمال ماه الكوفة وما سَبَذَان .
وكان هارون بواسط ، ففارقه عبد الواحد بن المقتدر ومحمد بن ياقوت وأبناء رائق
ور ومفلح ، وقَصَدوا السُّوس ، وأخربُوا البلادَ فى طريقهم ، وأقاموا بسوق الأهواز ،
ـ لحربهم بُليق .

وانْحَدر بدر الْخَرْشَنِى فى الماء . وكوتب أحمد بن نصر القشورىّ ، وهو يتقلّد البصرة
ا تحصّلت الجيوش بواسط ، تغيّر أصحاب ابنِ ياقوت عليه ، وصاحب البريدى
، وضمن تستُّرَ عسكره ، وعمِل بالأهواز كلَّ عظيم من المصادرات ، وأخذ الأمتعة
بعده البريدىّ فعمل كعمله .

وقال أبو عبد الله البريدىّ : لما رأيتُ انحلال أمر بُليق هممت بالتَّغلُّب ، وصار
محمد بن ياقوت وبليق نهر ، فحلف بليق لمحمد بألاّ يناله من جهته سوء إذا عبر
، فعبر إليه محمد ، فى غلام واحد ، وانفرد وحَلَف كلّ واحد منهما لصاحبه ،
ـطلحا على أن يسيرا إلى الحضرة ويكون بينهما منزل .

وأشار البريدىّ على ابن الطبرى ، كاتب بليق ، بأن يخاطب أستاذه فى القبض
محمد . فلما خاطبه ، قال : ما كنت لأخفر أمانتى .
وخلّف بليق بتُستر البريدىّ ، فعمل بها كلَّ قبيح .
ورحل ابن ياقوت ، وتبعه بليق إلى مدينة السّلام ، فلمّا دخل بليق خلَع القاهر
ه وطوّقه وسوّره ، وأطلق أملاك ابن رائِق ومحمد بن ياقوت ومُفْلِح وسرور .
ون إقطاعاتِهمْ][1].

---

(١) من تجارب الأمم ١ : ٢٥٨ .

وبيعت دار الوزارة بالمخرِّم ، وكانت قديماً لسليمان بن وهب ، وذَرْعُها أكثر من ثلثمائـــة ألف ذراع ، وقطعت وصُرِف ثمنُها فى مال البيعة للقاهر بالله .

وورد الخبر من مصر بموت تكين الخاصة .

وأشار ابنُ مقلة بإنفاذ علىّ بن عيسى ، فجاءه ليلاً واستشفع إلى كرمه به ، وعرَّفه كِبَرسنه ، فأعفاه عن الشخوص لمَّا تذلّل له ، وهمّ بتقبيل يده ، فمنَعه من ذلك .

وورد كتاب محمد بن تكين ، يخطُب مكان أبيه ، فأجيب إليه ، فشغب الجندُ عليه بمصر وهزموه .

وانحرف ابنُ مقلة عن محمد بن ياقوت ، ومكن فى [قلب مؤنس المظفر وبليق وعلىّ ابنه أنه فى تدبير عليهم][١] مع القـــاهر عليهم وأن رسـولَه فى ذلك عيسى الطبيب .

فوجَّه مؤنس بعلىّ بن بليق إلى دار الخلافة ، وهجمَ غلمانه على عيسى الطبيب ، فأخذوه من بين يدىِ القاهر ، ونفاه مؤنس من وقته إلى الموصل .

واستتر محمد بن ياقوت ، ووُكِّل مؤنس بدار القاهر ، وأمر بتفتيش كلّ مَنْ يدخل إليها ، حتى فتّش لبناً مع إحدى الجوارى وخاف أن تكون فيه رقعة .

وأخذ المحبوسين فيها ، وسلّم والدة المقتدر إلى والدة علىّ بن بليق ، فأقامت عندها مُرَهَّفةً عشرة أيام ، وماتت بعد ذلك وحُمِلت إلى التُّربة بالرصّافة فدُفِنت بها .

وباع ابنُ مقلة الضِّياع والأملاك السلطانية ، لتمام مال البيعة بألفى ألف وأربعمائة ألف دينار .

وتقدّم بالقبض على البربهارىّ ورئيس الحنابلة ، فهرب ، وقُبِض على جماعة من كبار أصحابه ، ونفاهم إلى البصرة .

قال بعض أهل العلم : خرجنا فى يوم مطير ، مع جنازة أبى[٢] هاشم عبد السلام ابن محمد بن عبدالوهاب الجُبّائى ، إلى باب البستان ، فإذا نحن بجنازة معها جماعة [فقلت : جنازة من هذه ؟][١] فقالوا : جنازة أبى بكر بن دريد ، فبكينا على الكلام والأدب وذلك فى سنة إحدى وعشرين وثلثمائة .

(١ ، ١) زيادة من كتاب تجارب الأمم .

(٢) فى الأصل : « ابن » وما أثبته من المنتظم .

فأما أبو هاشم فبينه وبين [أبي بكر بن دريد](١) اثنا عشر سنة ، وله الكتب المشهورة فى الكلام وفى الردّ على ابن الرّاونديّ والملحِدة .

قال الخطيب(٢) : سأله بعضُ أصحابه عن مسألة فأجابه ، فقال : يا أباهاشم الصاحى بموضع رِجْلَي السكران أعرفُ من السّكران بموضع رِجْلَيْ نفسه ، يعنى أن العالم [أعلم بمقدار](٣) ما يحسِنه الجاهل من الجاهل بقدر مايُحْسِن

وأما أبو بكر بن دريد ، فهو صاحب كتاب الجمهرة ، وهو أشعر العلماء ، ومن شعره المقصورة ، نقلتُ من خط التميميّ له :

أعادُ من أجلك من ضنًى ... وسائر العوّاد أشراكى
ولستُ أشكوك إلى عائد ... أخاف أن أشكو إلى شاكى

وله :

وحمْرَاءَ قبل المزج صفراءَ بَعْدَهُ ... أتَتْ بين ثَوبَيْ نرجسٍ وشقائق(٤)
حكتْ وجنةَ المعشوق صِرْفاً فسلّطوا ... عليها مِزاجاً فاكتستْ لوْنَ عاشِق

ومن شعره :

كلُّ يومٍ يَرُوعنِي بالتَّجَنِّى ... من أراه مكانَ رُوحىَ مِنِّى
مشبه للهلالِ والظّبْيِ والغصـ ... ـن بوجهٍ ومقلةٍ وتَثَنِّى
جمع الله شهوةَ الْخَلْقِ فيه ... فهوَ فى الْحُسْنِ غايَةُ المُتَمَنِّى
أمِنَ العدْلِ أن أرِقّ ويجفو ... نِى وأشتاقهُ وَيصْبِر عَنِّى

وفى هذه السّنة ، تم تدبيرُ القاهر على مُؤنس ، وانعكس مادبّره مع ابن مقلة من القبض على القاهر ، وذلك أنه لما عومل بما ذكرْناه ، وضُيِّقَ عليه التضييق الّذى شرحناه راسل الساجيَّة وضرَبهم على مؤنس ويليق ، وضمن لهم الضّمانات الكثيرة .

وكانت اختيارُ قهرمانة القاهر ، تخرج من الدّار ، وتَتَوصَّل إلى أن تمضىَ ليلاً إلى أبى جعفر محمد بن القيّم بن عبيد الله وتشاوره فى أمور القاهر .

---

(١) تكملة يقتضيها السياق .
(٢) تاريخ بغداد ١١ : ٥٥ .
(٣) من تاريخ بغداد .
(٤) ديوانه ٨٦ .

وعزَم ابنُ مقلة وبُليق وأبو الحسن بن هارون على خَلْع القاهر ، وتوليةِ أبى أحمد بن المكتفى بالله ، فأشار عليهم مؤنس بالتَّمَهُّل ، وأمرهم بالتلبُّث إلى أن ينبسِط القاهر ، ثم يَقْبِضون عليه ، فاتفَق لبليق أن خادمه صدَمه فى المَيْدان صَدمَةً اعتلّ فيها .

وبادر ابنُ مقلة بمكاتبة القاهر ، يُعْلِمه أنّ القرمطىّ قد وافى الكوفة ، وقد قَرَّرْتُ أنا ومؤنس مع علىّ بن بليق الخروجَ إليه ، وأمرْناه بلقاء أمير المؤمنين فى ليلتنا هذه . وكان قصدهم أنه إذا وصل إليه ، قَبض عليه ، وأتبع الرقعة بأخرى تتضمن الحال ، فاستراب القاهر ، وخاف أن تكون حيلة . ونمّ الخبر إليه من جهة طريف السبكرىّ .

فلمّا كان بعد العصر ، حضر ابنُ بليق متبذأً ، ومعه عدد يسير من غلمانه ، وكان الظاهر قد أرسل الساجية يحضرون بالسِّلاح ، وشتمُوا عليًّا ، وعمِلوا على القبض عليه ، فحامَى غلمانهُ عنه وطَرح نفسه من الرَّوْشن إلى الطَّيار ، وعَبَر واسْتَتَر من ليلته .

واستتر ابنُ مقلة وابنُ قَرابة .

وانحدر بُليق ليعتذر لابنه ، فقبض عليه القاهر ، وراسل مؤنساً وأعلمه الحال وسأله فى الحضور ، فاعتذَر بثقل الحركة ، فعاوده فى السؤال فى الحضور ، فاستقبح له طريف السبكرىّ التأخّر ، فلما حصَل فى دار السلطان قُبض عليه ، فكانت وزارة ابنِ مقلة للقاهر تسعة أشهر وثلاثة أيام .

وزارة أبى جعفر محمد بن القاسم

ووجّه القاهر إلى أبى جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله ، فاستحضره فى مستهلّ شعبان وقلّده وزارته ، وخلَع عليه يوم الاثنين ثالث شعبان خِلَع الوزارة .

ووجّه القاهر من يومه مَن استقدم عيسى المتطبب من الموصل .

وأنفذ إلى دار ابن مقلة بباب البستان فطرَح فيها النار .

وظهر محمد بن ياقوت وصار إلى دار السلطان ، وخَدم فى الحجبة ، ثم علم كراهية طريف والساجية والحجريّة له ، فاحتال فى الهرب واستتر ، وانحدر إلى أبيه بفارس وجلس بزىّ الصوفية فى الماء وركب البَحر ، ووافى مهروبان ، وجاء ليلاً إلى أرّجان ،

فنزل على أبي العباس بن دينار ، وأنفذ إليه أبوه مالاً وكُسوة ، وتلاحق به أصحابه ، وقلَّده القاهر كُوَر الأهواز ثم أصبهان

واستحجب القاهرُ سلامة الطولونيّ ، وقلد أبا العباس [أحمد بن][1] خاقان الشُّرطة بجانبي بغداد ، وأخذ القاهر أبا أحمد بن المكتفي من[2] دار عبد الله بن الفتح ، فسدّ عليه باب البيت ، وعرف باستتار عليّ بن بليق في دار ، فأنفذ مَنْ كَبَسها فاسْتَتَر في تنّور ، فأطبق عليه غطاءه ، فتأخّر بعضُ الرجال عن أصحابه حين لم يجدوه ، وأتى إلى التنور ، ففتحه وظنّ أن فيه خبزاً يابساً ، فلمّا رآه صاح ، فعاد أصحابهُ فأخذوه ، وضُرِب بين يدي القاهر ، وأدّى عشرة آلاف دينار ، وحبسَه .

وقبض الوزير أبو جعفر على أخيه الحسين ، بعد أنْ أمّنَه ونفاه إلى الرّقة ، وقال : إنه يعتقد مذهب ابن أبي العزاقر .

ثم إن رجال مؤنس وبليق شغبوا وقصدوا دارَ الوزير أبي جعفر فأحرقوا رَوْشَنَه .

وتقدّم القاهر يذبح عليّ بن بليق ، وأنفذه إلى أبيه ، فلما رآه بكى ثم ذُبح بليق ، وأنفذ رأسيهما إلى مؤنس ، فلمّا رآهما لعن قاتلَهما ، فذُبِح كما تُذبح الشاة ، وأخرِج الرؤوس في ثلاث طسوت حتى شاهدها الناس وأعيدت إلى خزانة الرءوس .

وكان وزن رأس مؤنس بعد تفريغ دماغه ستة أرطال .

وسهَّل القاهر أمرَ ابن مقلة ، حين أُخِذ من الاستتار فأطلقه .

وقبض الوزير على أبي جعفر بن شيرزاد ، وأخذ خَطَّه بعشرين ألف دينار وكَبَس على بني البريديّ فلم يُوجدوا .

وأحضر القاهر عليّ بن عيسى وقلّده واسطاً وسِقْيَ الفرات .

وقبض القاهر على الوزير محمد بن القاسم ، فكانت وزارته ثلاثة أشهر واثني عشر يوماً .

وأُخِذَ من داره أبو يوسف البريديّ .

واستدعى القاهرُ عبدَ الوهاب بن عبيد الله الخاقاني وإسحاق بن عليّ القنانيّ ، على أن يولِّيَ أحدَهما الوزارة ، وجلس القوّاد بين أيديهما ، فخرجت رسالة بالقبض

---

(١) من تجارب الأمم ١ : ٢٦٦ .

(٢) في تجارب الأمم : « فوجد » مستتراً في دار عبد الله بن الفتح .

عليهما وإدخالهما المُطْبَق (١)

ثم وجّه إلى سليمان بن الحسن ، واستحضره للوزارة ، فحضَر ، وتلقّاه القوّاد وقبّلوا يده ، ووجّه بمَنْ قبض عليه وحبسه .

ثم وجّه إلى الفضل بن جعفر واستدعاه ليستوزره ، فاستتر .

ثم استدعى الخصيبيّ ، وخلَع عليه ، وكتب للبريديّيْن أماناً ، بعد أن صادر أبا يوسف على اثنى عشر ألف ألف درهم . ولما أتاه عبدالله ، عاتبه وقال له : شمّتَ أمّ أخي وهي أمي ، وحقوقي عليك تُوجِب صيانَتَها عن الذِّكر القبيح ، فقال له : دَعْ مامضى ، فإنني لم أملِكْ نَفْسي ، وقد وصفتُك لأمير المؤمنين ولابدّ من ألفي ألف درهم فقال أبو عبيد الله : لقد أَعتبتني(٢) أيها الوزير، وأحسنت التلاقي فقال : بحياتي عليك ، اكتب خطّك بهذا المبلغ ، فكتب به خطّه وانصرف .

وانحدر البريديّ إلى واسط ، وعقدها القاهر عليه بثلاثة عشر ألف درهم ، وأتاها وبها عليّ بن عيسى ، وقد عمرها ، وقال عيسى المتطبب للبريدي : إنّ القاهرَ يريد القبض عليك فاستتر ، ولم يظهر حتى خُلِع القاهر .

وزارة الخصيبي

وكان ابنُ مقلة ، يراسل الساجيّة والحجرية في استتاره ، ويضرِّيهم على القاهر .

وكان الحسن بن هارون يلقاهم ليلاً بزيّ السؤَّالَ ، وفي يده زبيل حتى تَمَّت له الحيلة .

وبَذَل لمنجمٍ كان يخدم سيما مائتي دينار ، حتى قال له من طريق النجوم : إنه يخاف عليه من القاهر .

وبلغ الخبرُ باستيلاء أصحاب ابن رائق على الأهواز .

وبلغ الخصيبيَّ ماعوّل عليه الحجرية والساجية ، من قصد دار السلطان ،

---

(١) المطبق : السجن .

(٢) أعتبتني : أرضَيتني ، وفي تجارب الأمم : ١ : ٢٧٤ : « أغنيتني » .

فأنفذ عيسى المتطبّب إلى القاهر ليخبره بالحال ، فوجدَه نائماً مخموراً ، واجتهد فى انباهه فلم ينتبه لشدَّةِ سكره .

فقام سيما بهم ، وركبوا معه إلى دار السلطان ، ورتَّب على كلٍّ باب من أبوابها جماعة من الحجرية والساجيّة ، وأمرهم بالهجوم فى وقتٍ عيَّنه ، وهجم من باب العامة ، فوقف به ودخل أصحابهُ .

فخرَج الخصيبي فى زى امرأة واستَتَر .

وانحدر سلامة إلى مشرعة السَّاج واستتر .

ولمَّا علم القاهر بالحال ، انتبه من سكره ، وأفاق ، وهرب إلى سطح حَمَّامٍ فى دور الحَرَم ، ووقع فى أيديهم خادمٌ صغير ، فضربوه بالدبابيس ، حتى دلَّهم على موضعه ، فأخذوه وعلى رأسه منديل دبيقى وبيده سيف مجرّد ، واجتهدوا به فى النّزول إليهم . وقالوا : نحن عبيدك وما نريد غير التوثّق لأنفسنا . وهو ممتنع حتى فوّق إليه أحدُهم سهماً ، فنزل .

وقبضوا عليه ضحوة يوم الأربعاء لست خلوْن من جمادى الآخرة سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة .

وأتوا إلى محبس طريف السبكرى فكسروا قيدَه ، وحبسوا القاهر مكانه ، ووكّلوا به .

وظفروا بزيرك خادمِه ، وعيسى المتطبب واختيار القهرمانة .

واستدلّوا على الموضع الذى فيه أبو العباس محمد بن المقتدر ، فدلّهم على مكانه خادم ، فوجدوه ووالدته معتقلَيْن ، ففتحوا عنهما .

ووقع النَّهب ببغداد .

خلافة الراضى بالله أبى العباس محمد بن المقتدر رحمة الله

وأمّه ظلوم . وكانت مدّة خلافته ستّ سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام .

أجلسه الساجية والحجرية على السّرير ، وبايع له القُوّاد وبَدْرٌ الخرشنىّ ، ولُقِّب بالرَّاضى بالله .

واستحضر علىّ بن عيسى وأخاه عبد الرحمن ، وشاورهما ، فعرّفه أبو الحسن أن سبيلَه أن يعقد لواء لنفسه[١] ، على رسم الخلفاء ، ففعل ذلك ، واستحفظ باللواء فى الخزانة وتسلّم خاتم الخلافة ، وهو خاتمٌ فضة وفصُّه حديد صينى ، عليه مكتوب ثلاثة أسطر « محمد رسول الله » .

وأنفذ إلى القـاهر بمَنْ طالَبه بتسليم خاتمه إليه ، وكان فَصُّهُ ياقوتاً أحمر وعليه منقوش : « بالله محمد الإمام القاهر بالله أمير المؤمنين يثق » . فأمرأن يسلَّم إلى نقَّاش حاذق فمحاه .

ومضى القاضى أبو الحسين[٢] والقاضى أبو محمد الحسن بن عبد الله بن أبى الشوارب ، فامتنع أن يخلَع نفسه ، فقال علىّ بن عيسى : اخلعوه فإن أفعالَه مشهورة وأعمالَه معروفة . وسُمِل[٣] فى تلك الليلة .

وأخذ البيعة للراضى علىّ بن عيسى وأخوه ، وسأل الراضى علىَّ بن عيسى أن يتقلّد الوزارة فاستعفاه وقال : إنى لا أفى بالأمر ، وأشار بابن مقلة ، وكان مستتراً وكتب له أماناً فظهر[٤] .

---

(١) كذا فى تجارب الأمم وفى الأصل : « نفسه » .

(٢) فى تجارب الأمم ١ : ٢٩٠ : « القاضى أبوالحسين عمر بن محمد » .

(٣) سمل ، أى فقعت عينه . وفى الكامل ٦ : ٢٣٨ : « فسمل من ليلته فبقى أعمى لا يبصر » .

(٤) فى تجارب الأمم : « فوُلّى وأطلق كل من كان فى حبس القاهر من كاتب وجندىّ » .

وزارة ابن مقلة

ومضى الناس إليه ، وهو فى دار ابن عَبْدوس الجهشيارىّ ، فهنئوه وخُلِع عليه خلعُ الوزارة .

وظهر من الاستتار مُفلح الأسود ، خادم المقتدر ، وسُرور وفلفل والحسين ابن هارون ، وأبو بكر بن قرابة .

وصاروا إلى أبى علىّ وهنئوه ، وقال ابنُ مقلة لما أتاه الناس : كنتُ مستتراً فى دار أبى الفضل بن مارى النّصرانى ، فسعَى بى القاهر ، قبل زوال أمره بشهرين ، وعرف موضعى ، وإنّى لجالسٌ وقد مضى نصف الليل أتحدّث مع ابن مارى ، أخبرتْنا زوجته أنّ الشارع قد امتلأ بالمشاعل والشَّمْع والفرسان ، فطار عقلى ، وأدخلنى ابن مارى بيتَ تِبْن ، وكُبِست الدّار وفتشوها ، ودخلوا بيت التِّبن وفتّشوه بأيديهم ، فلم أشكّ أننى مأخوذ ، وعهدت وعاهدت الله تعالى على أنّه إن نجانى من يد القاهر بالله ، أن أنزع عن ذنوب كثيرة ، وأنّنى إن تقلّدت الوزارة أمّنتُ المستترين ، وأطلَقْتُ ضياع المنكوبين ، ووقفت وقوفاً على الطالبيّين ، فما استتمّ نذرى ، حتى خرج القوْم وانتقلت إلى مكان آخر . وما نزع من الخلْع ، حتى وفّى بالنذر .

وكتب ابنُ ثوابة فى خلْع القاهر كتاباً قرئ على المنابر . وأطلق ابن مقلة المحبوسين .

وقلّد الراضى بالله الشُّرطة ببغداد بدراً الخرشنىّ .

وكان زيرك القاهرىّ قد أجملَ عشرة الراضى وقت اعتقاله ، فكافأه بأنْ قلده أمرَ حَرَمه وأكرمه .

وسلّم ابنُ مقلة عيسى المتطبّب إلى بنى البريدىّ فأخذوا منه ثلاثين ألف دينار ، ارتفق بها منهم ، وردُّوه على ابن مقلة وقالوا : إنه قد امتنع من أداء شىء .

ولم يعترف القاهر بشىء سوى خمسين ألف دينار ، ففرّقها الرّاضى فى الجند .

وقلّد ابنُ مقلة أبا الفتح الفضل بن جعفر خلافته على سائر الأعمال .

وقلّد أبا عبد الله البريدىّ خوزستان ، وقلّد إخوته البصرة والسوس وجنديسابور وكور دجلة وبادوريا والأنبار وبيرسير وقطربّل ومَسْكن .

وكتب إلى عليّ بن خلف بن طياب بإقراره على فارس وكرْمان .

وقلّد الحسن بن هارون ما قلّده عليّ بن عيسى من أعمال واسط بمائة ألف كُرّ شعير وعشرة آلاف كُرّ أرز وأربعمائة كُرّ سمسم وألف ألف وأربعمائة ألف درهم .

وقلّد القراريطيّ كتابةَ ابن ياقوت الزمام وديوان الفرات ، فسفَر حينئذ لصاحبه محمد بن ياقوت فى الحجْبة .

وحيل إلى سيماء خمسة عشر ألف دينار ، حتى عرف الراضي بالله أنّهم لا يريدون غير محمد بن ياقوت ، وأنفق هذا الوجه بحجة [١] على القوّاد مائة ألف وعشرين ألف دينار .

فغاظ ابنَ مقلة ، لأنه استدعى ابنَ رائق وهو بالباسيان لذلك ولم يمكنه تغييره ، فلمّا صار ابن رائق بالمدائن ، أمره الراضي بالانحدار إلى واسط ، وأضافها إلى أعماله بالبصرة وغيرها .

وكان ابن ياقوت برامهرمز عازماً على التوجّه إلى أصبهان ، فكوتب بالإصعاد ، فالتقى ابن ياقوت [فى] طيارة وابن رائق فى حديدية ، فسلّم كلّ واحد منهما على صاحبه إيماءً من غير قيام .

وتلقّى ابنُ ياقوت الحجرية والساجيّة ، ودخَل على الرّاضي ، فخلَع عليه وقلّده الحجبة ، وصار إليه الناس إلى داره بالزّاهر ، ولم يقمْ لأحدٍ إلّا لابن مقلة ولعليّ ابن عيسى .

واستولى ابنُ ياقوت على الأمر .

وحصل ابن مقلة مع كاتبه القراريطيّ ، وبقى متعطّلاً [٢] .

وأخذ خطوط البريديّين بمائة ألف دينار .

وكان هارون بن غريب بالدّينور ، فعرف الحالَ بينهما ، وهى على عشرة فراسخ من بغـداد ، عازماً على أن يتقلّد الجيش ، فكرِه الناس ذلك . واستحضر ابنُ ياقوت ابنَ شيرزاد ، وأوصله إلى الراضي بالله ، حتى حمّلهُ رسالةً إليه [٣] ، يأمُره بالرّجوع إلى الدينور .

---

(١) كذا فى الأصل .

(٢) فى الكامل : ٦ : ٢٣٩ : « وبقى كالمتعطل » .

(٣) فى تجارب الأمم : حمّله رسالة إلى هارون بن غريب بأن يرجع إلى الدينور » .

فمضى ومعه القراريطىّ ، فالتقى به بجسر النهروان ، فلم يقبل ، قال : ومَنْ جعلَ ابنَ ياقوت أحقَّ بالرئاسة منى ! وقد كان يجلس بين يدى ، وأنا نسيب أمير المؤمنين ، وقال القراريطى : لولا أنّك رسول لقتلتك ، فانصرفا إلى بغداد . واستخرج هارون أموال طريق خراسان فعسف الرعية وظلمهم . وسار ابن ياقوت فى الحين إلى [القنطرة][1] فنزلها ، وأنفذ ابن شيرزاد برسالة جميلة ، وعرض عليه تسبيب الأموال على النّهروانات فلم يقبل .

ومضى كثير من الجند إلى هارون مستأمنين ، واشتدّ القتال وابن ياقوت يقرأ فى مصحف ويسبّح ، وهو فى عدد قليل ، حتى انهزم أصحابُه ، ونُهِب سوادُه .

وبلغ هارون أن محمداً قد عبر قنطرة نهر بين ، فبادر وحدَه ليأسره ، فتمطَّر[2] به فرسه فسقط عنه فى ساقية ، فلحقه غلام أبيه يُمْن[3] الغربىّ ، فضربه ضربة عظيمة وبادر غلام أسود فذبحه ورفع رأسه ، فتفرّق أصحابه ، ونهب الحجرية والساجية سوادهم .

وأمر ابنُ ياقوت بتكفينه[4] ، ودفن بهرس من غير أن يُصَلَّى عليه ، ودخل بغداد ، وبين يديه رأسه ورءوس أصحابه ، فأمر الراضى بنصبهما على باب العامة .

ثم إن والدة الراضى ، سألت أن تحمل جُثّته ويدفن رأسه فى تربته بقصر عيسى ، فأجابها إلى ذلك .

وأخذ ابنُ مقلة لابنه أبى الفتح أماناً من الراضى ، وقطع أمرَه على ثلاثين ألف دينار .

وفى رجب هذه السنة مات أبو جعفر السجزىّ ، وبلغ من السّنّ مائة وأربعين سنة . قال ابنُ سنان : ورأسه صحيح الحواس والبصر ، منتصب الظّهر ، ملزّز الأعضاء بغير معاون ، وقال له علىّ بن عيسى [يوما] : إنما قطعتُ مالك لكذبك فى سنّك ، فقال : أيها الوزير استدْع الجرائد من سرّ مَنْ رأى ، فإنك تجد اسمى فيها

---

(١) بياض بالأصل ، وما أثبته من تجارب الأمم ١ : ٣٠٩ .

(٢) فى الاصل : « فقطر » تصحيف . وتمطّر الفرس : أسرع .

(٣) فى تجارب الأمم ١ : ٣٠٩ : « غلامه يمن » .

(٤) فى الأصل : « بكفيه » تحريف . والصحيح فى تجارب الأمم

واسم من [كان] قبلى وبعدى ، فوجد الأمر كما قال . وقال ابن أبى داود السجستانى : أعرفه وأهله وهم معمّرون . وحكى أنه يذكر دخول هرثمة[١] وهو فى المكتب .

وأراد الراضى توليَة محمد بن الحسن بن أبى الشوارب ، القضاء بمدينة المنصور ، كما كان يتولّى ذلك أبوه ، فشفع محمد بن ياقوت فى أمر أبى الحسن ، حتى لم يغيّر عليه ، وكتب عهده حتى زال الإرجاف عنه .

وضمن أبو يوسف البريدىّ أعمالَ واسط والصِّلح والمبارك ، واستخلف عليها الحسين بن علىّ النوبختىّ ، وكان يتقلّدها لهارون بن غريب ، وكان عفيفاً خبيراً بالأعمال .

وكان ابن مقلة قد أحدر الخصيبى وسليمان بن الحسن إلى البصرة ، وأمر البريدىّ بنفيهما فى البحر ، فخفّ بهما ليلةً ، فكادا يغرقان وأيسا من الحياة ، فقال الخصيبى : اللهمّ إنى أستغفرك من كلّ ذنب وخطيئة. وأتوب إليك من معاودة معاصيك إلا من مكروه أبى علىٍّ بن مقلة إن قدرتُ عليك جازيتُه عن ليلتى هذه وما حلّ بى منه فيها ، وتناهيتُ فى الإساءة إليه ، فقال سليمان : وفى هذا الموضع وأنت معاين للهلاك تقول هذا ؟ فقال : ما كنتُ لأخادع ربّى .

ولما وصلا إلى عُمان ، عدل بالخصيبىّ إلى سرنديب ، فعرف سليمان بن الحسن ابن وجيه خبَره فأمر بردِّه إلى عُمان .

ولما عزل الراضى ابنَ مقلة وولّى عبد الرحمن بن عيسى ، ضمنَ الخصيبىّ ابنَ مقلة ، فلما رآه تلفتْ نفسه ، فأسمعه الخصيبى نهاية ما كره ، وسلّمه إلى الدستوائىّ ، وكان لابن مقلة إليه إساءة ، لأنه سلّمه إلى ابن البريدى حين ألوى[٢] نعمته ، فعمل الدّستوائى بابن مقلة صنوف المكاره .

وجاء أبو بكر بن قرابَة ، فضمن عنه مائة ألف دينار وألفى دينار ، ودفعت الضرورة إلى أن وَزن ابن قرابة المال من عنده .

---

(١) هرثمة بن أعين ، أحد القواد فى عصر الرشيد . توفى سنة ٢٠٠ .

(٢) ألوى بنعمته : جحدها .

وفى هذه السنة ، ظهرت حال ابن أبى العزاقر [1] ،وكان يدّعى أنّ اللاهوت قد حلّ فيه ، وكان قد استتر عند بختيشوع بن يحيى المتطبّب ، وتُتبّع حتى قُتِل وقُتِل جماعة صدّقوه .

(١) فى المنتظم ٦ : ٢١٨ : « وظهر ببغداد رجل يعرف بأبى جعفر محمد علىّ الشلمغانى ويعرف بابن أبى العزاقير » ثم أورد طائفة من أخباره ، وتجد أيضاً طائفة أخرى من أخباره فى الكامل لابن الأثير ٦ : ٢٤١ وما بعدها .

سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة

فى صفر ، مات أبو عبيد الله إبراهيم بن عرفة بن سليمان بن المغيرة بن حبيب ابن المهلّب بن أبى صُفرة الأزدىّ النّحوىّ ، المعروف بِنفْطويه ، ومولده سنة خمسين ومائتين وصلّى عليه أبو محمد البربهارىّ ، ومن شِعْرِه :

أستغفر الله مِمَّـا يعلمُ اللهُ   إنّ الشقىّ لَمَنْ لم يرحم اللهُ[1]

هَبْهُ تجاوزلى عنْ كلِّ مظلمة   وَاحَسْرتامن حيائى[2] حين ألقاه

وله :

أهْوَى المِلاَح وأهْوَى أن أجالسَهُمْ   وليس لِى فى حرام ٍ منهمُ وَطرُ[3]

وهكذا[4] الحبّ لا إتيان معصيةٍ   لا خيْرَ فى لَذّةٍ من بعدها سَقَرُ

واجتاز[5] علىّ بن بقلىّ[6] فقال : كيف الطريق إلى درب الروّاسين[7] ؟ فالتفت إلى جارٍ له فقال : [ألا ترى إلى الغلام][8] فعل الله بغلامى وصنع [احتبس علىّ][9] قال : وكيف ، قال : جعل السلّق تحت البقل[10] فى أسفل البَنيقة[11] حتى أصفع هذا العاض بظرأمه ، فتركه ابْن عرفة وانصرف ولم يجبه بشىء .

(١) إنباه الرواة ١ : ١٧٧ .

(٢) إنباه الرواة : « حياتى » .

(٣) إنباه الرواة ١ : ١٧٧ وقبلهما :

كمْ قـدْ خلوتُ بمَنْ أهْـوَى فيمنعُنى   منـه الحيـاء وخوف الله والحذَرُ

كمْ قـد خَلوت بِمَنْ أهـوى فيمنعنى   منـه الفكاهـة والتحديث والنَّظَرُ

(٤) إنباه الرواة : « كذلك » .

(٥) الخبر فى إنباه الرواة ١ : ١٧٧ .

(٦) الإنباه « رجل يبيع البقل » .

(٧) فى الأصل : « الراسين » وما أثبته من إنباه الرواة .

(٨) من إنباه الرواة .

(٩) من الإنباه،واحتبس : تأخر عن الحضور .

(١٠) فى الإنباه : فقال : وما الذى تريد منه ، فقال : لم يبادر ويجيئنى بالسلق ، بأى شىء نصفع هذا العاض بظرأمه ، لا يكنى » .

(١١) فى الأصل : « البنيكة » .

وفى هذا الشهر ، صُرِف عبدُ الرحمن بن عيسى عن الدواوين ، وأحضَر ابنُ مقلة ابنَ شَنْبوذ ، وقال له : بلَغنى أنّك تقرأ حروفاً فى القرآن بخلاف ما فى المصحف ، وكان ذلك بحضرة ابنِ مجاهد وأهلِ القرآن ، فاعترف بقراءة ما عُزِى إليه من الحروف ، ومنها . (إذَا نُودِىَ للصَّلاة مِنْ يَوْم الجمعة فامضُوا إلى ذكْرِ الله ..)(١) .

وأغلَظ للوزير وللجماعة فى الْكَلام ، ونَصَر ما عُزِى إليه ، فأمر به ابنُ مقلة فضُرِب ، فدعا عليه بتشتيت الشَّمْل وقطع اليد ، ودَعَا على ابن مجاهد بثُكْل الولد وعلى الضَّارب له بالنار ، فشُوهد قطع يد ابن مقلة وثُكْل ابنِ مُجَاهِد ولده .

ثم استُتِيب عن قراءة الحروف ، فَتَاب مِنْها .

ودعا الأئمةُ فى الجوامع لابن ياقوت ، فأنكر ذلك الرَّاضىَ وصَرَفَهُمْ .

وقرّر ابنُ مقْلة مع الرَّاضى القبْضَ على محمّد بن ياقوت ، لمّا غلب على الأمور ، وانفرد بجباية الأموال وتضمين الأعمال .

فلمّا دخل ابنُ ياقوت دارَ الخلافة عَدَل به إلى حُجْرة ، فقبض عليه وعلى كاتبه الْقَراريطىّ ، ونُهِبت دار القراريطى وَحْدَه .

وتقلّد الحجبة ذكىّ مولى الرَّاضى .

وأخِذ خطّ القراريطىّ بخمسمائة ألف دينار .

وكان ياقوت بواسط ، فلمّا علم القبْض على ابنيه ، انْحَدَر إلى السوس ، فكاتَبَه ابنُ مقلة بالمصير إلى فارس لفتحها ، وكان علىّ بن بويه قد تغلّب عليها .

وهذه حال الأمير أبى الحسين على بن بُوَيه المُلَقَّب بعد عماد الدولة ، لقّبه بهذا اللقب المستكفى بالله ، عند وصول أخيه الأمير أبو الحُسين(٢) إليه .

هو أحد قوّاد مزداويج بن زيار الديلمىّ ، فأنفذه ليستحثّ له مالًا فى الكَرَج ، فأتاها فأخذ منها خمسمائة ألف درهم ، وصار إلى هَمَذَان ففتحها عَنْوَةً ، وقتل كثيراً من أهلها ، ثم صار إلى أصبهان فتركها عليه المظفَّر بن ياقوت مسالماً ، ولم يلبث بها علىّ بن بُويه حتى أخرجه منها أصحابُ مزداويج ، فصار إلى أرّجان وكاتب ياقوت ،

---

(١) سورة الجمعة ٩ وهى بقراءة حفص (يأيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ .)

(٢) فى المنتظم وتجارب الأمم وابن كثير فى البداية والنهاية : أبو الحسن .

وخاطبه بالإمارة ، وسأله أن يُقَبِّله[1] ، وكان قد استخرج من أرّجان مائتى ألف دينار ، ووجد كنوزاً كثيرة ، واشتدّت شوكته ، وصار فى ألف ، وخرج إليه ياقوت فى بضع عشرة آلاف من الغلمان الحجرية وغيرهم ، فسأله علىّ بن بويه أن يُفْرِجَ له عن الطريق لينصرف إلى باب السلطان ، فمنعه ، وطمع فيه لقلّة عدده وما معه من المال ، ولقيَه على باب إصطخر ، ونُصِر ياقوت فى يومين عليه ، وواقعه فى اليوم الثالث ، وهو يوم الخميس لاثنتى عشرة ليلة بقيت من جُمادى الآخرة سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة ، وحمل أبو الحسين أحمد بن بويه معزّ الدولة ، فى ثلاثين رجلا ، على ياقوت حملةً صادقة ، فهُزِمَ ياقوت إلى شيراز ، ولم يصدّق بهزيمته ، بل ظنّها مكيدة حتى عَرَف ذلك فى آخر النهار .

فمضى وراءه ، وأقام على فرسخ من شيراز ، ودخل معزّ الدولة فى ثمانين من الدّيْلم فقتل من السودان ألفاً ، ونادى فى أصحاب ياقوت فخرجوا .

وأتى ياقوت الأهواز .

ولما ملك عماد الدولةِ شيراز ، طالبَه أصحابه بالمال ، وكان مملقاً ، فخاف من فساد أمره ، فاستلقى على ظهرِهِ فى مجلسٍ من دار ياقوتٍ وخلاَ فيه مُفكّراً ، فرأى حيّة قد خرجت من سقف منه إلى سقف ، فخاف أن تسقط عليه إذا نام ، فأمر الفرّاشين بالصّعود ، فوجدوا غرفةً بينَ سَقْفَيْن ، فأمرهم بفتحها ، فوجدوا بها صناديق فيها خمسمائة ألف دينار ، فقويت نفسُه[2]،واستدعى خيّاطاً أطروشاً ليخيط له ثياباً ، وكان الخياط موصوفاً بالحذق ، وكان يخدُم ياقوتاً . فلما خاطبه فى تَقْطيع الثياب ، حلف فى الجواب أنه لا وديعة عنده سوى اثنى عشر صندوقاً لا يَدْرِى ما فيها ، فعجب ، فوجّه بمن حملها وعَجِب من الحَال .

وكاتب الرّاضى بالله يسأله أن يقاطِعَه على فارس بثمانية آلاف درهم فأُجيب .

وأنفذ إليه ابنُ مقلة أبا الحسين بن إبراهيم المالكى الكاتب ، ومعه خِلَع ولواء ، وأمره ابنُ مقلة ألاّ يسلم ذلك إليه إلا عند تعجيل المال ، فلمّا قاربه تلقّاه على فرسخ ، وأخذ منه الخِلَع فلبسها ودخل شيراز ، واللواء بين يديه ، ولم يدفَعْ إلى المالكىّ شيئًا

---

(١) يقبّله : يجعله على الخراج .

(٢) تجارب الأمم ١ : ٢٩٩ : « وثبت أمره بعد أن أشفى على الانحلال » .

ومات بشيراز ، فحمِل تابوتُه إلى بغداد فى رجَب سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة .

ووافى علىّ بن خلف بن طيار بغداد ، فَقَبض عليه ابنُ مقلة ، وصادره على ثلثمائة ألف دينار ، وأنفذ إليه بأبى الحسن أحمد بن محمد بن ميمون صاحب بيت المال ، وقال له : يقول الوزير : لك عندى مائة ألف دينار ، فحطّها من الجملة ، واكتب الخَطّ بالباقى ، فقال علىّ بن خلف : من أىّ جهة هذا الدَّيْن ؟ فعاد ابن ميمون فقال له : يقول لك الوزير ، تذكّر وأنا بشيراز وقد سألتك على أبى طالب بدر بن على النوبندجانى من خَراجه خمسمائة ألف درهم فامتنعتَ ، وعاودتُك وقلت : إن حططتَها عوّضْتك عنها مائة ألف دينار ، ففعلت ولَزِمنى ضمانى لك ، وصار ديْناً لك علىّ ، وهذا وقت القضاء .

وقلّد السلطان ياقوتَ الأهواز ، وصار كاتبَه أبو عبد الله البريدىّ .

وأنفذ أخاه أبا الحسين للنيابة عن ياقوت وأخيه بالحضرة .

وكان مع عماد الدولة أبو سعيد النصرانىّ الرازى يكتب له .

وضمن شيراز منه أبو الفضل العباس بن فسانجس .

وانتهى إلى مزداويج خبرُ علىّ ، فقامت قيامتُه ، وأنفذ إصبهلار عسكره شيرز [١] ابن ليلى ، فى ألفين وأربعمائة من الدّيلم والخيل إلى الأهواز ، فقطع ياقوت قنطرة نهر أربق [٢] ، وأقاموا بإزاء ياقوت أربعين يوماً ، لا يمكنُهم العبور ، ثم عَبَرُوا على أطواف بنهر المسرقان ، فهرب البريدىّ وأهل الأهواز إلى البصرة .

وأتى ياقوت واسطاً ، فأخرج له محمد بن رائق عن غربيّها ، فنزل فيه .

وأقام علىّ بن بويه عماد الدولة الخطبة لمزداويج ، وأنفذ إليه الرُّهون على طاعته ، فسكّنه بذلك .

فبينما هم كذلك ، أتاهم الخبر ، بأن مزداويج فى شهر ربيع الأول سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة قتلوه فى الحمّام بأصبهان ، وحُمِل تابوتُه إلى الرىّ ، ومشى الدّيلم والخُتّل حوله حفاة أربعة فراسخ ، ووفّى رجاله لأخيه وشمكير ، فولاّهم من غير عطاء .

---

(١) تجارب الأمم ١ : ٣٠١ : « شيرج » .

(٢) أربق ، من نواحى رامهرمز ، من نواحى خوزستان .

فلما عرف شيرز بن ليلَى خلوّ أصبهان سار إليها ، وأتى الرّىّ فبايع وشمكير ، واستوزر ابن وهبان القصبانىّ ، وكان يبيع الْقَصب بالبصرة ، وصار فى جملة ابن الخال ، فتنقّلت به الحال ، إلى أن قلّده همَذَان ، واستأمن إلى مزداويج عن هزيمة هارون ، فعفا عنه ونفَق عليه ، وجعل إليه كُور الأهواز ، وقال له : قد جعلتُ إليك ألفْ دينار فى كلّ شهر فإن أدّيت الأمانة استوزرتُك ، ونصبت الرَّايات بين يديك ، [وإن خنتنى] [١] وشَرِهَتْ معدتُك العظيمة ، وكِرْكرتُك الكبيرة ، والحلاوات بخوزستان كثيرة ، فلأشقّن بطنَك بهذه الدشنى[٢] العريضة ، فقال له : ستعلم أيها الأمير نصحى وأمانتى [وأنى مستحق لاصطناعك] [١]

وكانت هذه الفتن نعمة على البريدىّ ، لأنه حصل من الأموال ما لم يُحاسب

وحصّل أبو عبد الله وأبو يوسف أربعة آلاف دينار خرجا بها على السلطان .

وأبعد ابنُ مقلة خلقاً من الجند عند ضيق الأموال ، وأحالهم على البريدىّ ، فصاروا إليه ، فقبلهم وأضافهم إلى غلامه إقبال ، فاجتمع معه ثلاثة آلاف رجل .

وخرج توقيع الرّاضى بالله فى جمادى الأولى بنلقيب أبى الحسن علىّ بن الوزير أبى على بن مقلة بالوزير ، وسنُّه إذ ذاك ثمانى عشرة سنة ، وأن يكون الناظر فى الأمور صغيرها وكبيرها ، وخلَع عليه الوزارة وطرح له مصلًّى فى مجلس أبيه .

وركب بدرٌ الخرشنىّ صاحب الشرطة ، فنادى ببغداد ألاّ يجتمع من أصحاب أبى محمد البربهارىّ نفسان . واستتر البربهارىّ .

وخرج من الرّاضى توقيع طويل فى معناهم ، وكانت حال البربهارى قد زادتْ ببغداد ، حتى إنه اجتاز بالجانب الغربىّ ، فعطس فشمّته[٣] أصحابُه ، فارتفعت ضجتُهم حتى سمعَها الخليفة فى الوقت وهو فى رَوْشنه[٤] ، فسأل عن الحال فأخبر بها فاستهولها .

وأصحابه يذكرون عنه صلاحاً كثيراً ، وأضدادُه يذكرون خلاف ذلك ، حتى

---

(١) من تجارب الأمم ١ : ٣١٧ .

(٢) الدشنى ، لعله من أنواع السلاح ، وفى تجارب الأمم ١ : ٣١٧ : « فهذا دشنى ترى انساطه وحده » .

(٣) فى الأصل : « فشتمه » تحريف .

(٤) الرّوشن : الرف .

حكوْا عنه ، أنه حمل فى درج مقفول لِه منظَر بعرة[١] وجاء إلى بزّاز فى الكرخ فقال : هذه بعرة جمل أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ، وأريد أن أرهنها عندك على ألف دينار فاعتذر الرجل ، فتركه فلما كان من الغد ، اجتاز عليه فصعد وقبّل لحيته وقال : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام ، يقبّلها ، فتركه أصحابه أمردَ ، وحكاياتهم فى أمثال هذا عنه كثيرة .

[وكان][٢] سعيد بن حمدان [شرع][٢] فى ضمان الموصل وديار ربيعة سرًّا ، ومضى إليها فى خمسين غلاماً ، فقَبض عليه حين وصلَ إليها ابنُ أخيه أبو محمد الحسن ابن عبد الله وقتله ، فأنْكَر ذلك الراضى ، فأمر ابن مقلة بالخروج إليه ، فأظهر ابنُ مقلة أنّ علىّ بن عيسى هو الذى كاتبه حتى عصى،وصادر عليًّا على خمسين ألف دينار وأخرجه إلى الصافية .

واستخلَف ابنُ مقلة ابنَه بالحضرة ، وصار إلى الموصل ، فتركها أبو محمد ، ورحل إلى بلد الزّوراء ، فاستخرج ابنُ مقلة مالَ البلد واستسلف من التّجار على غلاّته ، فحصل معه أربعمائة ألف دينار .

فبذَل سهلُ بن هاشم كاتب أبى محمد بن حمدان للـوزيـر أبى الحسين ابن الوزير أبى علىّ عشرة آلاف دينار حتى كاتب أباه : إنّ الأمور بالحضرة مضطربة ، فانزعج واستخلف على الموصل علىّ بن خلف بن طياب ، وانصرف إلى بغداد .

وخرج إليه الأمير أبو الفضل ، متلقّياً ، ولقىَ الراضى بالله وخدمه ، فخلَع عليه وعلى ابنه .

وقُبِض على جعفر بن المكتفى ، حين بلغهم أنه دعا إلى نفسه ، ونُهب منزله ، وأُخِذ له مال جزيل ، وكانت داره قريباً من الزاهر .

وممّن استجاب له يأنس المرفقىّ ، وكان نزل بقصر عيسى ، فأُبعِد إلى قِنَّسرين والعواصم وجعل إليه أعمالها .

وفى شهر رمضان توالَى وقوع الحريق بالكرخ ، منها فى صف التَّوْزِيّين أصيب به

---

(١) كذا فى الأصل ، ولعل صواب العبارة : « جمل له درج مقفول فيه بعرة » .

(٢ ، ٢) من تجارب الأمم ١ : ٣٢٣ .

خلق من التجار ، فعوّضهم الراضى مالًا ، وكان العقار لقومٍ من الهاشميّين فأعطاهم عشرة آلاف دينار .

واحترق ثمانيةٌ وأربعون صفًّا من أسواقها ، طَرَح النّار قومٌ من الحنبلية ، حين قَبَضَ بدر الخرشَنى على رجل من أصحاب البربهارىّ يعرف بالدلّاء .

واحترق خلْق من الرجال والنساء .

ووقع حريق ثالثٌ احترق فيه الحدّادون والصيارف والعَطّارون .

وقبض الوزير أبو الحسين بن مقلة على أبى الحسين البريدى ، فتوسّط بينهما أبو عبد الله محمد بن عبدوس ، فصادَره على خمسين ألف دينار يسلّمها بالأهواز ، ومضى معه الكوفىّ ليأخذها فلم يسلّم إليه شيئًا . وكان الكوفىّ يُجْمِل عشرته ويقول : أقمتُ معه غير متصرف ولا داخل تحت تبعة سنةً ، وحصل لى منه خمسة وثلاثون ألف دينار ، وتقلّدْت هناك أمر ابنِ رائق وكُفِيتُ أمر ابن مقلة .

وكاتب ابن مقلة البريدى كتاباً يقول فيه : ويلٌ للكوفىّ ! أنفذته ليصلحك لى فأفسدك علىّ ، والله لأقطّعن يديْه ورجليه .

وأتى أبو محمد بن حمدان إلى المَوْصل ، وبها أصحاب السلطان ، وعلى حربها ماكَرْد الكردىّ فهزموه ، ثم هزمهم ، وكتب يسأل الصفح ويقومُ بمال الضمان ، فأجيب إلى ذلك ، ولم يستوف التّجار الغلّات التى طالبهم إياهـــا ابن مقلة ، فتظلّموا ، فأحالهم على عمال السواد ببعض أموالهم ، وباعهم بالباقى ضياعاً سلطانية ، فلم تحصل من سفرته حينئذ فائدة ، وهرب من دار الوزير أبى على القراريطىّ .

وقبض على أبى يوسف عبد الرحمن بن محمد بن دارة بسوق العطش ، وصودر على خمسين ألف دينار .

ومات محمد بن ياقوت فى الحبس ، وأُخرِج إلى القضاة ، فشاهدُوه وسُلِّم إلى أهله ، وباع الوزيرُ ضياعه وأملاكه .

وغلا السِّعر ببغداد ، حتى بلغ الكُرّ من الحنطة مائة وعشرين ديناراً والشعير تسعين ديناراً .

ومات أبو عبد الله محمد بن خلف النيرمانىّ بالأعمال الّتى استولى عليها مزداويج ، وكان قد أنفِذ إليها .

وأُقبل غلمان مزداويج يتقدمهم بَجْكَم إلى جسر النَّهروان ، فأُمِروا بدخول الحضرة ، وعسكروا بالمصلَّى ، واضطرب الحجرية لذلك ، فكاتبهم ابنُ رائق وهو يتقلَّد أعمال المعاون بواسط والبصرة ، فانحدروا إليه ، فأسْنَى لهم الرِّزقَ ، وجعل متقدمَهم بَجْكَم الرائق ، وأتته الأعراب والقرامطة ، فقبلهم واستفحل أمره .

سنة أربع وعشرين وثلثمائة

فى شهر ربيع الأول ، مات الأمير هارون بن المقتدر بالله . واعتمّ عليه الراضى غمًّا شديداً ، واتّهم بختيشوع بأنه أفسد تدبيره ، فنفاه إلى الأنبار ، ثم سألتْ فيه السيّدة فأعاده .

وأُطلِق المظفّر بن ياقوت من الْحَبْس .

وقلّد ابنُ مقلة محمدَ بن طُغْج الإخشيد أعمال مصر مع ما إليه من الشام وعزَل عن مصر أحمد بن كَيْغَلغ .

وقطع ابن رائق مالَ واسط والبصرة ، واحتجّ باجتماع الجيش عنده .

ولمّا خرج المظفّر بن ياقوت من الحبس عوّل على التشفّى من ابن مقلة ، وكان قد حلف له على صفاء النيّة . واعتضَد ابنُ مقلة ببدر الْخَرْشَنِى .

وأوحش المظفّر للساجية والحجرية ، فصارت كلمتُهم واحدة ، وأحدثُوا بدار السلطان وضربوا الخِيَمَ .

وكانَ المظفّر يظهر للوزير أنه مجتهد فى الصُّلح ، فحلف لهم ، وحلفوا له ولبدرٍ الخرشنىّ .

ودبّر ابن مقلة انحدار الراضى إلى واسط ، مظهرًا أنّه يقصد الأهواز ، حتى يقبض على ابن رائق ، فأخذ معه القاضى أبا الحسين ليسمع من الخليفة وسأله [أن] [1] . يتقدّم بها إلى ابن رائق .

فلما حصل فى دهليز الصَّحْن التّسعينى ، شغب عليه المظفّر بن ياقوت مع الحجرية وقبضوا عليه ، وعرّفوا الراضى أنه المفسد للأحوال ، وسألوه أن يستوزر غيرَه ، وذكروا علىّ بن عيسى ، فامتنع . واستشاره الراضى ، فأشار بأخيه عبد الرحمن ، فأنفذ الراضى بالمظفّر بن ياقوت إلى عبد الرحمن فأحضره .

---

(١) زيادة يقتضيها السياق .

وزارة عبد الرحمن بن عيسى للراضى بالله

خُلِع عليه لأربع عشرة ليلة بقيتْ من جمادى الأولى ، وسار الجيش معه إلى داره ، وأحرقوا دار ابن مقلة واستتر أولاده .

وحكى أنّ ابنَ مقلة لما شرع فى بناء داره بالزاهر ، جُمِع له المنجِّمون حتى اختاروا وقتاً لبنائه ، ووضع أساسه بين المغرب وعشاء الآخرة،فكتب إليه بعضهم :

قل لابن مُقْلَةَ مَهْلاً لاَ تكُنْ عَجِلاً ... واصْبِرْ فإنَّك فى أضغاثِ أحلامِ

تبنِى بأنقاض دُورِ النَّاسِ مجتهدًا ... داراً ستنقضّ أيضًا بَعْدَ أيَّامِ

ما زِلْتَ تَخْتَار سعد المشترى[1] لها ... فلمْ توقَّ به من نحسِ بَهْـرَامِ

إن القِران وَبَطْلَيْمُوس ما اجتمعا ... فى حال نقض ولا فى حال إبرامِ

وجرى على ابنِ مقلة من المكاره ما يطول شرحُه ، وضُرِب بالمقارع ، وأُخِذَ خطُّه بألف ألف دينار ، وكان به ضيق النفس لأن الدّستوائى دَهَقَهُ[2] على صدره .

قال ثابت بن سنان : دخلتُ إليه لأجل مرض أصحابه ، فرأيته مطروحاً على حصير خَلَق ، على باريّه[3] ، وهو عريان بسراويل ، ومن رأسه إلى أطراف أصابعه كلوْن الباذنجان ، فقلت : إنه محتاج إلى الفصد ، فقال الخصيبىّ : يحتاج أن يلحقه كدٌّ فى المطالبة ، فقلت : إن لم يُفْصَد تلف ، وإن فُصِد ولحقه مكروه تلف ، فكاتبه الخصيبىّ : إن كنت تظنّ أن الفصد يُرَفِّهك فبئس ما تظنّ ، ثم قال:افصدوه ورفّهوه اليوم ، ففُصِد وهو يتوقّع المكروه .

فاتفق للخصيبى ما أحوجه للاستتار ، فكُفِى ابنُ مقلة أمرَه .

وحضر ابنُ قرابة ، وتوسّط أمره ، وضمن حمْلَه إلى داره ، وأطلقه بعد أيام وأنفذه إلى أبيه .

وكرِهت الحجَرية مقام بدر الخرشنّى بالحضرة ، فصرفه الرَّاضى عن الشُّرطة

---

(١) فى الأصل : « المشترين » ، والمثبت من المنتظم ٦ : ٣١٠ .

(٢) دهقه : غمزه .

(٣) البارية : نوع من الحصر .

وقلّده [أعمال المعاون] [1] بأصبهان وفارس ، فاستعفى عبد الرحمن بن عيسى من الوزارة حين عَجَز عن تمشية الأمور ، فقبَض عليه الراضى فى رجب ، وقبَض على أخيه علىّ بن عيسى ، وصادر عليًّا على مائة ألف دينار أدّى منها تسعين ألفاً ، وصادر عبد الرحمن على سبعين ألفاً أدّى منها ثلاثين .

ولليلة بقيت من شعبان ، توفِّىَ أبو بكر محمد بن موسى بن مجاهد ، ودُفِن عند داره بسوق العطش ، وكان مولدُه سنة خمس وأربعين ومائتين .

قال أبو الفضل الزهرىّ : انتبه أبى فى الليلة التى مات فيها أبو بكر بن مجاهد المقرئ ، فقال : يا بنىّ ، تُرى مَنْ مات الليلة ؟ فإنى رأيت فى منامى كأن قائلا يقول : قد مات الليلة مقوِّم وحيِ الله منذ خمسين سنة ، فلما أصبحنا وإذا بابن مجاهد قد مَات .

ونقلتُ من خطِّ رئيس الرؤساء أبى الحسن بن حاجب النعمان : كان ابنُ مجاهد إذا ختم أحدٌ عنده القرآن عمِل دعوةً ، فختم أحدُ أولاد النّجّارين ، فعمل دعوة فحضر أبو بكر وأصحابه ، وحضر الصوفيّة والقوّالون ، فلمّا قارب ثلث الليل ، استدعى أبو بكر بن مجاهد إزارَه فطرحه على كتفه ، وقال : أمضى فى حَاجة وأعود ، فلا يتبعْنى أحد ، قال : فعجبنا من خروجه فى ذلك الوقت ، وظَنّنّا أنه أنكر سوء أدب ، ومكثنا منكرين ، فلمّا كان بعد ساعتين ، وافى وعاد الانبساط ، فسألناه عن نهضته فقال : أصدُقكم ، نظرت فإذا أنا فى طيبة ولذّة ، وذكرتُ أنّ بينى وبين فلان الضرير مقةٌ وشرّ ، ففكرت أنّنى فى هذه اللذة ، وأنّ ذاك واقف بين يدى الله عز وجل يتهجّد ، ولم أحبّ أن أكون بهذه الصفة وهو على تلك الحال من ثقل القلب ، فخِفْت من الله تعالى فقصدتُه ودخلت دارَه ، فقبّلت رأسه ، وأصلحت ما بينى وبينه ، وأمِنْت استحكامه ، وعدتُ إلى ما نحن عليه وأنا طيّب القلب .

وفى شهر رمضان ورد الخبرُ بقتل ياقوت بعسكرِ مُكْرم ، ودُفِن بها ، وذلك أنّ جنده شغَبوا عليه ، ومن جملتهم ثلاثة آلاف أسْوَد ، وانصرف عنه طاهر الجيلى فى ثمانمائة رجل [2] إلى الكرَج ، وكبسه علىّ بن بلقويه فقلّل رجاله ، ونجا طاهر بنفسه ،

---

(١) زيادة من الكامل

(٢) فى الأصل : « ثمان رجال » وما أثبته من الكامل ٦ : ٢٥٢ .

واستأسر كاتبَه أبا جعفر الصيمرىّ ، وكان سبب إقباله واتّصاله بمعزّ الدولة .

فكاتب ياقوت البريدىَّ ، وهو بالأهواز يعرّفه الصورة ، فقال البريدىّ : أنا كاتبُك ومدبّر أمرك ، والصواب أن تَنفذ بالرّجال حتى أقرّر معهم الحال ، فتقدّم إليهم بالمصير ، فاستعوطم البريدىّ ، فانقطعوا إليه ، فسار ياقوت إليه فى ثلثمائة رجل لئلاّ يستوحش ويلقاه البريدىّ فى السواد الأعظم ، وترجّل له وقبّل الأرض ، ووقف على رأسه على سماطه ، وقال الجند : إنما وافَى ياقوت ليقبض علينا .

وقد وافق البريدىّ على ذلك ، فقال له البريدىّ : اخرج أيّها الأمير ، وإلاّ قتِلنا جميعاً ، فخرج إلى تُستَر . وسبّب له البريدىّ على عاملها خمسين ألف دينار .

فقال لياقوت مؤنس مولاه : أيها الأمير إنّ البريدىّ يحزّ مفاصلنا ويسخر منّا ، وأنتَ مغترٌّ [به][(١)] ، وقد أفسد رجالَك وقوّادك ، وقد اتّصلتْ كتب الحجرية إليك ، وليس لهم شيخ سواك ، فلو دخلت بغداد ، فأوّل مَنْ يطيعك محمد بن رائق بالضرورة ، ولأنك نظير أبيه وإلا فاخرج إلى الأهواز ، فاطرد البريدىّ عنها ، فأنت فى خمسمائة وهو [(٢)] فى عشرة آلاف ، ومعك خمسة آلاف وأنت أنت ، وقد قال عدوّك على بن بويه : لو كان فى عسكرك مائة مثلَك ما قاومناك ، فقال : أفكّر فى هذا .

فخرج مؤنس مغضباً فى ثلاثة آلاف ، ووافى عسكر مكْرم ، وقال : أنا لا أعصى مولاى فإنه اشترانى وربّانى واصطنعنى ولكنى أفتح الأهواز وأسلّمها إليه .

فما استقرّ مؤنس بعسكر مُكرَم ثلاث ساعات ، حتى وافَى كتاب ياقوت إليه يحذره كُفْرَ نعمه .

وكان الكتاب مع شيخه مقدّم يقال له درك ، وكانت السنُّ قد أخذت منه ، وحضر معه خادم مغفّل يقال له أبو النمر ، فقال لمؤنس : مولاك قبض على ابنيه وهما درّتان ، فلم يستحلَّ أن يعصىَ مولاه ولم يحارب لأجلهما ولا طالَب بهما ، واستفتى الفقهاء فأفتوه أنه لا يحلّ له أن يحارب الإمام ، [وقالوا] [(٣)] أفأنت تعصى مولاك ! أما تخاف أن تُخذل فى هذه الحرب فتخسر الدنيا والآخرة !

فأقام مؤنس لمّا أخذه العذل والتأنيب ، حتى وافى ياقوت واجتمع معه ، ووافى

---

(١) من تجارب الأمم ١ : ٣٤٢ .

(٢) كذا فى تجارب الأمم ١ : ٣٤٣ ، وفى الأصل : « كهو » .

(٣) زيادة يقتضيها السياق .

عسكر البريدىّ ، فخيّموا[١] فى صحراء خان طوق ، ومتقدّمهم أبو جعفر الجمال غلام البريدىّ .

فقال ياقوت لمؤنس : إنّ السلطان لنا بالنّية التى عرفتها ، ولا موضع لنا نأويه غير هذا البلد ، والحرب سِجال ، وإن حاربنا هذا الرجل وانهزمنا كُنّا بين القتلى[٢] ، فيقال : قد كَفَر نعمة مولاه فألعَنَ أو بين الأسارى ، أو أن ينفذنا إلى الحضرة فنُشْهَر بها ، والوجْه المداراة وأن نعود إلى تُسْتَر والجبل ، فإن صحّ لنا بها أمر ، وإلاّ لحقْنا خُراسان . وشاع كلامُه . فضعفت نفوس أصحابه . وطالت الأيام ، واستأمن من عسكره إلى البريدىّ خَلْق ، حتى بقِىَ ياقوت فى ألف رجل . وكان مؤنس يبكّر إليه ويقول : يا مولاى مضى أصحابنا فيقول : وأىّ خير فيمن لا يصلح لنا ؟

فلمّا علم البريدىّ من نفسه القوة ، راسل ياقوتاً بالقاضى أبى القاسم التنوخىّ ، وأعلمه أنه على العهد ، وأنه كاتبُه وأنّ الإمارة لا تصلح له ، وسأله أن يعودَ إلى تُستر ، وأن يزوِّج ابنته من أبى العباس أحمد بن ياقوت .

فقبل ياقوت الرّسالة ، وانعقد الصِّهر ، ورحل إلى تُستَر ، ووافاه ابنُه المظفّر بها ، وأخبره أنّ الراضىَ قد منّ عليه بنفسه ، وأشار عليه بالإصعاد إليه والمُقام بدير العاقول . وإن رأى الحجرية مبادرين إليه وإن كرهه السلطان ، تولّى الموصل وديار ربيعة ، وإن مُنِع من ذلك قصد الشام .

فحالف ابنُه ابنَه فاستأذن ابنه أن يكون بعسكر مكرَم فأذن له ، واستأمن البريدىّ ، وجاء ياقوت إلى المعسكر فنزل عند نهر جارود ، فظهرت الطّلائع من عسكر أبى جعفر الجمال ، وثبت ياقوت فى ألف رجل ، فأعيا مَنْ بإزائه وهم أضعاف عدّته ، وكادوا ينهزمون ، فظهر كمين البريدىّ فى ثلاثة آلاف رجل فأَبْلَسَ[٣] ياقوت ، وقال : لا حول ولا قوة إلا بالله العلىّ العظيم !

فرمى بنفسه من دابّته ، وبقى بسراويل وقميص شيزىّ[٤]، وأوى إلى رباط يعرف

---

(١) فى تجارب الأمم ١ : ٣٤٤ : « فنزلوا »

(٢) تجارب الأمم ١ : ٣٤٤ : « كنا بين الأسر والحمل إلى الحضرة وشهرت بها وأركبت الفيل » .

(٣) أبلس : سكت حيرة .

(٤) تجارب الأمم ١ : ٣٤٧ : « سينزى » .

برباط الحسين بن زياد ، ولو دخله لجاز أن يسلم ، وجلس وغطّى وجهه وجعل يسأل ويُوهم أنه رجل من أرباب النعم متصدق[1] .

فركض إليه قوم من [البربر من أصحاب][2] البريدىّ ، فكشفوا وجهه وحزّوا رأسه حين عرفوه ، وحملوه إلى الجمّال ، فأطلق طائراً إلى البريدىّ بالخبر ، فأمر أن يُجْمع بَيْن رأسه وجثته ويُدفَن بالموضع الّذِى قُتِل فيه ، ويعرف بين الساقيتيْن ، ولم يجد له غير اثنى عشر ألف دينار ، ووُجد فى صناديقه كتب الحجرية إليه من بغداد ليرشوه .

وأنفذ البريدى ابنَه المظفّر إلى الحضرة ، وكانت نفس أبى عبد الله البريدى ضعيفة ، فقوّاها أخوه أبو يوسف حتى شهر نفسَه بالعصيان .

وكانت نفقة مائدته فى كلّ يوم ألف درهم ، وكان غلمانه خمسة ، وكسوته متوسطة ، ولم يتسرّ إلا بثلاث جوار ، ولم تكن له زوجة غير والدة ابنه أبى القاسم ، وكانت صِلاته للجند خاصة ، ولم يُعْطِ شاعراً ولا طارقاً شيئاً .

وصادر أبو جعفر الكرخىّ ابنَ مقلة بعد مصادرة عبد الرحمن بن عيسى على مائة ألف دينار ، أدّى منها ابنُ قرابه عنه خمسة وأربعين ألف دينار ، ولم يُعِد إليه الْعِوَض .

وردَّ الوزير أبو جعفر الكرخى إلى أبى علىّ بن مقلة الإشراف على أعمال الضياع والخراج لسِقْى الفرات ، وأجرى عليه فى كلّ شهر ألف دينار .

وقَبَض على أبى عبد الله محمد بن عبدوس الجِهْشيارى ، وصادَره على مائتى ألف دينار ، أدى منها مائة ألف .

وكان الكرخىّ غير ناهض بالوزارة ، وكان فيه إبطاء فى الكتابة والقراءة ، فلما نَقَصَت هيبته ، واحتفّ المطالبة له بالأموال ، وقد تغلّب الخوارج على الأعمال ، فاستتر بعد ثلاثة أيام من تقلّده الوزارة ، وكان استتارُه يومَ الاثنين لثمانٍ خلوْن من شوال فاستحضر الرّاضى أبا القاسم سليمان بن الحسن عاشر شوّال ، وخاطبه فى الوزارة ، وخلَع عليه ، فكان فى التجبّر مثل أبى جعفر ، فدفعت الرّاضى الضرورة إلى أن راسل أبا بكر بن رائق فى القدوم ، وتقلّد الإمارة ورئاسة الجيش ، وأن يخطَب له على المنابر

(١) تجارب الأمم : « مفتقر » .

(٢) من الكامل لابن الأثير ٦ : ٢٥٤ .

[وأن][1] يُكَنّى ، وأنفذ إليه بالخلَع واللواء مع الْخَدَم[2] .

وانْحدر إليه أصحابُ الدواوين وجميع قواد الساجيّة ، فلمّا حَصَلُوا بواسط ، قَبَضَ على الحسن بن هارون وعلى الساجية ، وحَبَسهم فى المطامير ، ونهب رحالهم .

وخرج من بغداد منهم حين بلَغهم الخبرُ إلى الشام .

وأصعد ابنُ رائق إلى بغداد فى العشرين من ذى الحجة معه بَجْكَم والأتراك والدَّيْلَم والقرامطة ، وضَرَب له الرّاضى مضرباً فى الحلْبة ، ووصل إلى بغداد لخمسٍ بقين من ذى الحجة ، ووصل إلى الراضى ومعه بَجْكم ورؤساء أصحابه ، وصارتْ مرتبته فوق الوزير ، وخلَع عليه ، وصار فى الخِلَع إلى مضربه بالحلْبة ، وحُمِل إليه من دار السلطان الطعام والشراب والفواكه .

وكانت الحجرية قد ضربوا الْخيَم متوكلين بالدار ، وأمرهم بالانصراف ، فعطّل أمر الوزارة .

ولم يكن إلى الوزير غير حضور المركب بالسَّواد والسَّيف والمِنطقة .

وفى هذه السنة مَلَك أبو علىّ بن إلياس — وهو من الصُّغْد — كرمان وصَفَتْ له ، وزالت المنازعات .

---

(١) من تجارب الأمم ١ : ٣٥١ .

(٢) تجارب الأمم ١ : ٣٥٠ : « وأنفذ إليه الخلع واللواء مع ماكرد الديلمى وخادم من خدم السلطان » .

سنة خمس وعشرين وثلثمائة

انحدر ابنُ رائق مع الرّاضى لمراسلة البريدىّ فى عشرٍ من المحرم .

وكانتْ عدة الحجّاب فى دار السلطان أربعمائة وثمانين حاجباً ، فاقتصر ابنُ رائق على ستين وأسقط الباقين ، وأسقط من الحجرية خلْقًا ، فحاربوه فهزَمَهم وأسرَ بعضَهم ، وأمَرَ صاحب شرطته لؤلؤ بقبض أموالهم وإحراق دورهم ، وتقدّم بقتْل مَنْ حَبَسهم من الساجيّة عنده .

وكان مدبّر أمر رائق أبا عبد الله النُّوبختى ، فاعتلّ بعد مصاحبته بثلاثة أشهر ، فاستكتب مكانه أبا عبد الله الكوفىّ .

وقلِق البريدىّ لمّا نزل الراضى وابن رائق بأذْبين ، وراسَل بأن يحمِلَ فى كلّ سنة ثلثمائة ألف وستين ألف دينار ، وأن يسلّم الجيشَ إلى جعفر بن ورقاء حتى يحملَهم إلى فارس .

وكان أخوه أبو الحسين وأمّه ببغداد فانحدرا إلى واسط ، فخُلع عليهما وأحْدِرا إليه .

ومضى مع جعفر بن ورقاء ، فلمّا لبس البريدى الخِلَع التى صحبت جعفرًا ، وسارَ بين يديه العسكر ، وكان لبسُه للخلع بجامع الأهواز ، فلمّا رأى طاعة الجند له ، أدهش ذلك جعفرًا ، وولاّهم البريدى عليه حتى طالبوه بالمال ، فاستجار جعفر بالبريدىّ حتى أعاده إلى الحضرة .

وأصعد الرّاضى وابنُ رائق إلى بغداد . وكان المتولِّى للبصرة محمد بن يزداد .

واستوحش أبو الحسن بن عبد السّلام ، وأشار عليه بالتغلّب على البصرة ، فبنَى أبو عبد الله مائة قطعة من آلة الماء ، وأتاه أهلُ البصرة فى جمع عظيم للتهنئة بالولاية ، فقرّبهم وأكرمهم ، وقال : قد اطلع ابن عبد السلام على نيّتى الجميلة فيكم ، وأنّى قد أعددت آلة الماء ، أنفذ منها الجيوش لأحصِّن بلدكم من القرامطة ، وإنما ضمنت البصرة من السلطان لظلم ابنِ رائق لكم .

وكان ابن رائق قد امتنع من إجابة أبى يوسف البريدى إلى ضمان البصرة ، وبَذَل فيها أربعة آلاف ألف درهم ، وما زال به الكوفىّ وابن مقاتل حتى ضَمِنه إياها ، وقد أزَلْت عنكم يا أهل البصرة ، الشّرطة والمآصير[1] والشرك[2]، وتحمّلت ذلك من مالى . وكتب توقيعاً بخطّه برفعها عنهم – وسيبلغ ابنَ رائق فعلى بكم فيعادِينى ، وما أبالى ولو عادانى إخوانى فى صلاحكم ، وإنى لأرجو المغفرة بإزالة الرّسوم الجائرة عنكم ، وإن عزم ابنُ رائق على ردّ ذلك . فأين السّواعد القويّة والأكفّ التى حاربتْ علىّ ابن أبى طالب عليه السلام.وما فكّرتُ فى مكاشفته ، فمَتَى رام ابنُ رائق ذلك ، فاضربوا وجهَه بالسيف وأنا من ورائكم .

يا أهل البصرة ، لقد فشلتم ! أين يومُكم مع ابن الأشعث[3]؟ أين يومكم مع إبراهيم ومحمد ابنىْ عبد الله بن حسن بن حسن[3] ، متى أخذكم ضيْم فصبرتُمْ ! ثم هذا عسكرى سائر معكم فلتكن آمالكم ممتدة وقلوبكم قوية .

ووقّع للنفقة على الجامع بألفى دينار ، ووقّع لهم بتخفيف معاملاتهم بألف ألف درهم ، وانصرفوا وقد صاروا سيوفه[4].

وسيّر [البريدى][5]إقبالا غلامه ، فى ألفى رجل ، وتقدم إليهم أن يقيموا بحصن مهدىّ ، إلى أن يأتيهم إقبال ، واتّصل الخبر بابن يزداد فقامت قيامتُه .

ولما وصل الراضى وابنُ رائق إلى بغداد ، قلّد ابنُ رائق بَجْكم الشرطة ، وأنزله فى دار محمد بن خلف النيرمانىّ على دِجْلة ، وقلّد القاضى أبا الحسين عمر بن محمد قضاءَ القضاة .

وأثبت ابن رائق من الحجرية ألفَىْ رجل ، وأمرهم بالمسير إلى الجبل ، فلما صاروا بالنّهروان[6]، أجمع رأيهم على المضىّ إلى الأهواز ، فقبلهم البريدىّ وأضعف أرزاقهم ،

---

(١) المآصير : جمع مأصر ؛ وهو سلسلة تمدّ على النهر لمنع السفن من المرور.

(٢) تجارب الأمم ١ : ٣٦٤ : « والشوك » .

(٣ – ٣) كذا فى تجارب الأمم وهو الصواب ، وفى الأصل : «أين يومكم مع إبراهيم بن محمد أبى عبد الله بن حسن بن حسن » .

(٤) فى الأصل : « سيوفهم » وما أثبته من تجارب الأمم ١ : ٣٦٥ .

(٥) زيادة يقتضيها السياق .

(٦) فى الأصل : « بالمزدان » تحريف .

وأظهر للسلطان وابنِ رائق ، أنه لم تكن له قدرة بدفعهم [واضطر لقبولهم] [١] .

وغلبتْ على الدّنيا الطوائف ، فصارت واسط والبصرة والأهواز فى يدى البريدىّ ، وفارس فى يد على بن بويه ، وكِرْمان فى يد أبى علىّ بن إلياس ، والرّى وأصبهان والجبل فى يد ركن الدولة أبى على بن بويه وَوَشْكَمير ، والموصل وديار ربيعة وديار بكر فى يد بنى حَمْدان ، ومصر والشام فى يد محمد بن طُغْج ، والمغرب وإفريقية فى يد أبى تميم [٢] ، والأندلس فى يدى الأموىّ [٣] ، وخُراسان [وما وراء النهر] [٤] فى يد نصر بن أحمد ، وطَبَرستان وجرجان فى يد الدَّيْلم ، واليمامة والبحرين فى يد أبى طاهر الجنّابى .

ولم يبق فى يد الرّاضى وابن رائق غير السَّواد .

وكان بَدْرٌ الخرشنىّ بديار مصر ، فضاق مالُها عن رجاله ، فانحدر عنها ، وحصل بهيت ، فقَصد تلك الديار سيف الدولة فغلَب عليها .

وقبض أبو عبد الله أحمد بن علىّ الكوفى على أبى محمد بن شيرزاد . وصادره على مائة وعشرين ألف دينار .

ووافى أبو طاهر القرمطى إلى الكوفة فخرج ابنُ رائق من بغداد ، لثلاث خَلَوْن من جمادى الأولى . ونزل بستان ابن أبى الشوارب بالياسريّة ، وراسَل أبا طاهر وقرّر معه أن يحمل إليه فى كلّ سنة – إذا دخل فى الطاعة – طعاماً ومالاً قدره مائة وعشرون ألف دينار ، وسار أبو طاهر إلى بلده ، وسار ابنُ رائق إلى واسط ، وقد جاهر البريدىّ بالخلاف .

وعزل الراضى سليمان بن الحسين عن وزارته ، وكانت مدّتها عشرة أشهر وثلاثة أيام .

وأشار ابن رائق على الراضى باستيزار أبى الفتح الفضْل بن جعفر بن الفرات ، وكان بالشام فاستقدمه واستعتبه .

---

(١) من تجارب الأمم ١ : ٣٦٦ .

(٢) ابن كثير ١١ : ١٨٤ « فى يد القائم بأمر الله بن المهدىّ ، وتلقب بأمير المؤمنين » .

(٣) ابن كثير : « فى يد عبد الرحمن بن محمد الملقب بالناصر الأموىّ » .

(٤) من ابن كثير .

وزارة أبى الفتح بن الفرات للراضى بالله

كانت عند قدومه من الشام ، لستٍّ خلوْن من شوال ، فقيل لابن مقلة : الْقه فقالَ :

فقلت لهَا لا عَدَاكِ الصَّـــوَابُ   وإن كان قولُكِ إلا سديــــدا
أمثلى تطاوعه نفسُــــــــــه   على أن يُرَى خاضعاً مستزيدا

وبلغ ابنَ رائق ما خاطب به البريدىُّ أهلَ البصرة ، فأتاهم الكوفىّ وقال له اكتب إليه : إنّى أنكرت قبولَك للحجرية ، فإمّا رددتَهم وإما طردتَهم ، وأمّا مَنْ أنفذْتُ به من أصحابك إلى البصرة ، فإنما فعلت ذلك لحفظها من القرامطة ، وقد كُفينَا أمرَهم ونَفَذوا إلى بلادهم .

وكان قصد ابن رائق المغالطة ، وألاَّ يكاشفه بالعداوة .

فكان جواب البريدىّ ، إن أصحابه يتمسكون بالحجريّة لقربى بينهم ، وإنه وإن أبعدهم أوحش للجميع ، لكنّه يقطع أرزاقهم حتى يتصرّفوا .

وكان أصحاب البريدىّ الذين أنفذهم مع إقبال غلامه ، قد وقعتْ بينهم وبين أصحاب محمد بن يزداد وتكين الصغدى شُحْنَة[1] البصرة [لحربهم ، فوقعت بينهم][2] ، حرب بنهر الأمير ، انهزم فيها أصحابُ ابن رائق ، وانهزموا ثانية بسكرابان ، على فراسخ من الأبلّة .

ودخل إقبال البصرة ، وخرج عنها محمد بن يزداد ، سالكاً طريق البرّ إلى الكوفة ، وأصعد منها تكين ونيال الصُّغْدى فى الماء إلى واسط .

وأنفذ ابنُ رائق — وقد عظم عنده الأمر — أبا عمرو والعاقولى برسالة البريدىّ ، تتضمن وعداً ووعيداً ، فكان جوابُه أنه لا يمكنه ردّ أصحابه عن البصرة لأن أهلها قد تمسّكوا بهم .

ولكنِ البصريون قد استوحشوا من محمد بن يزداد ، لِمَا عاملهم به من سوء السيرة ،

---

(١) الشحنة : الجماعة يقيمها السلطان فى بلد لضبطه .

(٢) من تجارب الأمم ١ : ٣٦٩ .

فكانوا يظنّون عند البريدىّ خيراً ، فرأوا منه ما تمنّوا يوماً من أيام ابن رائق ، فاستدعى ابن رائق بدْراً الخرشنى من هِيت ، فخلَع عليه خلعاً سلطانية .

وعوّل ابن رائق على طرد الكوفىّ وقال : ظننت أنى أتألّف به البريدىّ فحسْبِى من ذنوبه شؤمه علَىّ .

وعوّل على إعادة الحسين بن علىّ النُّوبختى ، وقال : أوْجهُ شُفعائه عندى بركته على دَوْلَتِى ، فقال ابن مقاتل : لا ذنب للكوفىّ فى هذا ، ولا فائدة فى استعادة الحسين ابن علىّ ، وهو سَقِيم طريح ، وأنت ذاكرٌ قولى لك : احفظ البصرة ، فقلت إن تكين ونيال لَيحفظانِها .

فأحضر الكوفىّ ، واستحْلفه على موالاته ومعاداة البريدىّ .

وخلع ابنُ رائق على بَجْكم ، وسيَّره وأنفذ بعده بدراً الخرشنىّ إلى الأهواز ، وأنفذ معهما ابن أبى عدنان الراسبى مشيراً ودليلاً ، وأمرْ أحمد بن نصر القشورىّ بالمقام بالجامدة ، وأمر بَجْكم أن يسير إلى البصرة ، فيصيِّر البريدىّ بينه وبين بدر .

وبادرَ بَجْكم ولم ينتظر بدراً ، وسار فى ثلثمائة غلام أتراكاً ، فلقيه أبو جعفر الجمال فى عشرة آلاف رجل بأتمِّ آلةٍ وأكمل سلاح ، فانهزموا من بين يدى بَجْكم .

وأراد أن ينفرد بالفتح دون بَدْر ، فلمّا أتى أبو جعفر البريدىّ قام فلكمه وقال : ظنَنْتُ أنك تحارب ياقوتاً ، وقد أدبر بلقاء الأتراك بسودان باب عمّار والمولّدين ، وضمّ إليه ثلاثة آلاف ، فقال أبو جعفر : قدتمكنتْ هيبةُ الأتراك فى قلوب أصحابنا ، وستعلم حالَهم .

فطرح بَجْكم نفسَه فى الماء بتُسْتَر ، فانهزم أصحاب البريدىّ بغير قتال ، فخرج أبو عبد الله ومعه أخوه فى طيَّار ، وحملوا معهم ثلثمائة ألف دينار ، كانت فى خزانتهم ، فغرقوا بالنَّهْرَوَان[1] فأخرجهم الغَوّاصون ، وأخرج لبجْكم بعضَ المال ، فقال أبو عبد الله : والله ما نجونا بصالح أعمالنا من الغرق ، ولكن لصاعقةٍ يُريدها الله تعالى بهذه الدنيا ، وقال له أخوه أبو يوسف : ويحك ! ما تدع التّطايُب فى كلّ حال . ودخل بَجْكم الأهواز وكتب ابنُ رائق بالفتح .

---

(١) فى الأصل : بالهندوان ، وصوابه من تجارب الأمم ١ : ٣٧١ .

ولما وصل أبو عبد الله إلى الأُبُلّة ومعه أخواه ،أنفذ إقبالا غلامَه إلى مطارة [١] ، وأقام هو وأخواه فى طَيّاراتهم ، وأعدُّوا ثلاثة مراكب للهَرَب خوفاً من أن تمّ على إقبال من عسكر الجامدة بمطايا ما تمّ على أبى جعفر بالسُّوس .

فأخرج البريدىّ أبا الحسين بن عبد السلام لمعاضدة إقبال ، فانهزم أصحابُ ابن رائق ومتقدّمهم أحمد بن نصر القشورىّ ، وأُسِرَ برغوث غلام ابنِ رائق ، فأطلقه البريدىّ وكتب معه كتاباً يستعطف فيه ابنَ رائق .

ودخل البريديون البصرة ، فاطمأنُّوا،ولم يمكن بَجْكم أن يسير إلى البصرة لخلوّها من آلة الماء .

وعاد بدر الخرشنى إلى واسط ، فأنفذه ابنُ رائق فى الطيّارات إلى البصرة للحرب .

وأنفذ أبا العباس أحمد بن خاقان إلى المذار ، فلقيَه أصحاب البريدىّ فأسروه وحملوه إليه ، فأطلقه واستحلفه ألاّ يعودَ إلى حربه .

فلما اتصلت الهزيمة بابن رائق ، سار من واسط إلى البصرة على الظّهر للنصف من شوال ، وكتب إلى بَجْكم أن يلحق به [٢] بعسكر أبى جعفر ، وأنفذ بدراً إلى ابن عمر وأنفذ البريدىّ غلامه إقبالا بواسط ، فحصل بدر فى الكلاَّ [٣] وحصل إقبال بالرُّصافة .

ولما مَلَك بدْر الْكَلاَّ هرب البريدىّ إلى جزيرة أوال ، وخرج الجند والعامّة لدفع بدر .

ووافَى ابنُ رائق وبجْكم إلى عسكر أبى جعفر ضحوة النهار من يوم ورود بَدْرِ الكلاَّ ، وعبر ابن رائق وبجْكم دجلَةالبصرة ، وتبعهما أحمد بن نصر ، فرأوا من العامة ما بهَرهم ، حتّى رجموا طيار أحمد فغرّقوه .

وهرب أبو عبد الله من جزيرة أوال إلى فارس ، واستجار بعماد الدولة فأنفذ معه أخاه معزّ الدولة .

ووردت الأخبار بذلك ، فتقدم ابن رائق إلى بَجْكم بالانصراف إلى الأهواز ليحميَها ، فقال : لستُ أحارب الدَّيْلم إلا بعد أن تحصل لى إمارة الأهواز ، فضمنَه إياها بمائة وثلاثين ألف دينار محمولة ، وأقطعه أَقطاعاً بخمسين ألف دينار ونفذ .

---

(١) مطارة ، من قرى الطائف ، ذكره ياقوت

(٢) تجارب الأمم ١ : ٣٧٢ : « إلى عسكر »

(٣) الكلاَّ : مرفأ للسفن بالبصرة .

ومن عجيب الاتفاق أن طاهراً الجبلىّ قصد ابنَ رائق إلى واسط مستأمناً ، فلم يجده ، فانحدر إليه إلى عسكر أبى جعفر ، فتلقّاه كتابُ جاريته وابنه أنهما حصلا فى يد أبى عبد الله البريدىّ بفارس فأكرمهما .

فعند ذلك ، سارَ طاهر فى مائتى رجل ، وتَبعه عسكر البريدىّ فى الماء ، فانهزم بدر إلى واسط ، وانهزم ابنُ رائق إلى الأهواز ، فأشير على بجْكم بالقبض عليه فلم يفعل ، وأقام عنده مكرّما ، حتّى وافاه فاتك غلامه من واسط ، فرجع معه إليها ، وخلّف بجكم بالأهواز ، وخلّف أبو عبد الله البريدى عند عماد الدولة ابنَه أبا الحسين محمداً ، وأبا جعفر الفيّاض رهينةً ، وسار مع أبى الحسين معزّ الدولة إلى الأهواز . فلما نَزَلُوا أرَّجان ، خرج بجْكم لحربهم فعاد بعد ثلاثة أيام منهزماً ، وسبب انهزامه أنّ المطر اتّصل أياماً كثيرة ، فمنع الأتراكَ أن يرمُوا بالنّشاب ، فعاد بَجْكم وقطع قنطرة نهر أرْبق ورتّب عليها جماعة ، فكانت المنازلة بين معزّ الدولة وبينهم ثلاثة عشر يوماً . وعَبَر معز الدولة فى خمسة نفر فى سميرية ، فهزَم مَنْ كان هناك من أصحاب بجْكم ، فعند ذلك قبض بجكم على وجوه أهل الأهواز ، فيهم ابن أبى علاّن ويحيى بن سعيد السُّوسى ، وسار بعسكره إلى واسط ، وكاتب ابن رائق وهو بها ، إن كان عنده مائة ألف دينار يفرّقها فى عسكره ، فالوجْهُ أن يقيم ، وإلاّ فالصواب أن يصعد إلى بغداد .

فعند ذلك أصعد ، وطالب بَجْكم حين دخل واسطاً مَن اعتَقله من أهل الأهواز بخمسين ألف دينار ، فقال أبو زكريا يحيى بن سعيد السُّوسى : أردتُ أن أخبُر ما فى نفسه من طلب العراق ، فراسلتُه على لسان الموكّل بى : أيّها الأمير أنت طالبُ للملك ، معوّل على خدمة الخلافة ، تطالب قوماً منكرين[1] فى بلاد غربة ، ولقد حُمِّىَ فى أمسنا طست ، وجُعل على بطن سهل بن قطين اليهودىّ ، أفما تعلم أنه إذا سمع هذا عنك أوحش الأباعد منك ! وما تذكر إنكارك على ابن رائق إيحاشَه أهل البصرة وأهل بغداد ، وقد حملت نفسك على مثل ما كان يعمل مزداويج بأهل الجبل وبغداد ، هى دار الخلافة لا تحتمل هذه الأخلاق .

فلمَّا سمِع بهذا الكلام رَقّ وأمر بحلّ قيودنا ، واستعقل يحيى بن سعيد السُّوسى وأطلقه ، فشفع فى الباقين ، وكان طاهر الجبلى قد فارقَ الأمير عماد الدولة بأرّجان ،

---

(١) تجارب الأمم ١ . ٣٧٩ « منكوبين » .

فكتب إلى أخيه معزّ الدولة أن يطالب أبا عبد الله البريدىّ ، فكتب البريدىّ إلى أخيه أبى يوسف ، بالْقَبْض عليه وإنفاذه إلى فارس ففعل ذلك .

ووصل معزّ الدولة الأهواز ، ونزل البريدىّ دار أبى علىّ المسروقان ، ووافاه أهلُ الأهواز داعين مهنئين ، وكان [البريدى] [1] يحمي الرّبع ، فدخلَ عليه يوحنّا الطبيب وكان حاذقاً ، فقال له : ما تشير علىّ ؟ قال أن تخلِّط – وعَنَى بذلك فى المأكولات – لترْمَى بالأخلاط ، فقال : أعظم مما خلّطت يا أبا زكريا لا يكون ، قد أرهجتُ [2] ما بين فارس والحضرة ، فإن أقنعك هذا ، وإلاّ ملت إلى الجانب الآخر ، وأرهجتها إلى خراسان .

وسبَّب معز الدولة على البريدىّ بعد أن أقام معه خمسة وثلاثين يوماً بخمسة آلاف ألف درهم ، بإحضار عسكره لينفذهم إلى الأمير ركن الدّولة بأصبهان ، فأحضر أربعة آلاف رجل ، وقال [لمعز الدولة] [1]: إن أقاموا بالأهواز جرى بينهم وبين الديلم فتنة ، والوجه أن أنفذهم مع صاحبى أبى جعفر الجمال للسوس . فأمره بذلك ثم طالبه أن يحضر رجال الماء إلى حصن مهدىّ ، ليشاهدهم ، فينفذهم إلى واسط . فاستوحش البريدىّ وقال : هكذا عملت بياقوت ، فلو لم أتعلّم إلاّ من قصّتى لكفانى .

وكان الدّيلم يهينونه ويزعجونه من منامه وهو محموم ، وكان الأمير أبو الحسين ابن بويه يكرمه وأبو على العارض الكاتب يجلس بين يديه ويخاطبه بسيدنا .

فأما بقية القواد من الديلم فكان عندهم بمنزلة دنيّة .

وهرب البريدى [من ابن بويه] [1] فى الماء إلى الباسيان [3]، وتبعه جيشه ، وكاتبه البريدىّ أنه يضمن منه الأهواز فى كلِّ سنة بثمانية عشر ألف ألف درهم ، فأجابه الأمير أبو الحسين إلى هذا ، وراسله البريدىّ بالقاضى أبى القاسم التّنوخى وأبى علىّ العارض : إنَّ نفسَه لا تطيب بقرب داره منه .

واستقرّ الأمر أن يحمل إلى معزّ الدولة ثلاثين ألف دينار لنفقة الطريق ، فأجاب إلى ذلك معزّ الدولة ، فأنفذ البريدىّ منها ستة عشر ألفاً مع التنوخىّ ، فاحتبسه معزّ الدولة على الباقى ثم أطلقه ، وقال دلان للأمير أبى الحسين وهو كاتب جيش معزّ

(١ ، ١) زيادة من الكامل ٦ : ٢٦٣ .

(٢) تجارب الأمم : « وأرهجت » .

(٣) الباسيان : قرية بخورستان

الدولة ، وكان الصيمرى من أتباعه ، فقال : إن البريدىّ قد سلك معك طريقتَه مع ياقوت ، وغرضه إبعادك إلى السُّوس .

واستحكمت الوحشة بين معزّ الدولة والبريدىّ ، وأنفذ بجكم قائداً من قوّاده فى ألفى رجلٍ من الأكراد والأعراب ، فغلبوا على السُّوس وجُنْديسابور

وأقام البريدى ببنات أدر ، غالباً على أسافل الأهواز ، وبقى معز الدولة لا يملك غير عسكر مُكرَم ، وقد احتاط به الأعداء من كلّ جانب ، واضطرب عسكره وفارقوه حتى أتْبعهم وترضَّاهم ، وكاتب عماد الدولة بالصورة ، فأنفذ إليه قائدا من قواده[1] وكان شجاعاً ، فى ثلثمائة ديلمىّ ، وخمسمائة ألف درهم . .

وكان أبو على العارض معتقلا بين يدى البريدىّ ، واتّهم معز الدولة أنه واطأه على ما فعله ، وكان يُبغض العارض لأنه شاهده وزير ما كان الديلمىّ ، وكان بَجْكم مملوكه ، فطلبَه منه ما كان صاحبه ، فأهداه إليه .

فعند وصول الرّجال والمال ، أنفذ معزّ الدولة الصيمرىّ إلى السّوس عاملاً عليها ، وأنفذ ثلثمائة رجل إلى بنات أدر ، فهرب البريدىّ إلى البصرة ، فحصلت الأهواز بيد الأمير أبى الحسين ، وحصل البريدىّ بالبصرة ، واستقرّ بَجْكم بواسط وأقام ، ابن رائق ببغداد ، وهو الذى وضع المآصير ببغداد ، وما كانت سمعتْ بالضرائب من قبله .

وحكى بجكم ، أن ابن مقاتل قال لابن رائق : أخطأت حين قلّدْتَ بَجْكم الأهواز ، لأنه إذا حصل بها نازَعك فى أمرك ، وقد عرفت منازعةَ البريدىّ لك ، وهم أصحاب دراريع ، قال : بلغنى ذلك ؛ فأخذتُ معى عشرة آلاف دينار ، وجئتُه ليلاً وقد نام النّاسُ ، فقلت فى مهمٍّ لم يعلم به أحد ، ولولا أنّ التّرجمان محمد بن نيال يخبر عنّى ما استصحبتُه ، وقد توقّف الأمير عن تقليدى للأهواز ، وأسألك أن تأخذ هذه العشرة الآلاف دينار ، وتُمْضِى عزمه فيما نواه .

فلمّا رأى الدنانير مال إليها ، وكان ذلك سبب وِلاَيتى .

---

(١) كذا فى تجارب الأمم ، وفى الأصل : «السارنان»

سنة ست وعشرين وثلثمائة

لمّا ورد ابنُ رائق بغداد ، أطمعه الوزير أبو الفضل فى أموال مصر والشام ، وزوّج ابنَه أبا القاسم بابنة ابن رائق ، وزوّج ابنُ رائق ابنَه بابنة طُغْج .

وخرج الوزير أبو الفضل إلى الشام ، واستخلف بالحضرة أبا بكر البقرىّ ، فلما بلغَ هيت ضَعُفَ أمرُه ، وقَوِىَ أمرُ أبى عبد الله الكوفىّ ، وقُلِّد ابن رائق أعمال الأهواز ، فدعاه بجْكم إلى كتابته فأجابه .

وَسفَرَ أبو جعفر بن شيرزاد فى الصُّلح بين ابن رائق والبريدىّ وأخذ خَطَّ الراضى بالرِّضا عنهم ، وقُطِعت لهم الخِلَع ، على أن يقيموا الخطبة بالبصرة لابن رائق ، وأن يَفْتَحوا الأهواز وأن يحملوا ثلاثين ألف دينار ، وأُطلقت ضياعُهم بالحضرة . وبلغ ذلك بجْكم فجزع لهذا الصلح .

وأشار عليه يَحْيى بن سَعيد السّوسى ، بحرب البريدىّ ، فأنفذ إليه البريدىّ أبا جعفر الجمّال ، فالتقيا بشابرزَان [1] ، فانهزمَ الجمّال ، وأنفذ يعاتب البريدىّ ويقول له : جَنَيْتَ على نفسك باستجلاب الدّيْلم أولاً ، وبمظافرة ابن رائق ثانياً ، وأنا أعاهدك أن أوَلِّيك وسطا إذا ملكت الحضْرة ، فسجد البريدى لمّا بلغته رسالتُه شكراً لله تعالى ، ووصل رسولَه بثلاثة آلاف دينار ، وحلَف بمحضر من القاضى أبى القاسم التنوخى والقاضى أبى القاسم بن عبد الواحد بالوفاء لبجكم .

وكان ابنُ مقلة يسأل ابنَ مقاتل والكوفىّ فى ردّ ضياعه ، فيُمطلونه ، فكتب إلى بَجْكم وإلى أخى مزداويج يُطْمِعُهما فى الحضرة ، وكاتب الراضى بالله يُشير بالقبض على ابنِ رائق ، وتولية بَجْكم ، وكتب إلى بجكم أنّ الراضى قد استجاب لذلك .

وظنّ ابنُ مقلة أنه قد توثّق من الراضى ، وبذل له استخراجَ ثلاثة آلاف ألف دينار ، إنْ قلّده الوزارة ، فوافقه على أن ينحدر إليه سرًّا ، إلى أن يتمّ التدبير على ابن رائق ، فركب من داره فى سوق العطش فى طَيْلسان ، وسار إلى الأزَج بباب البستان ،

(١) تجارب الأمم ١ : ٣٨٤ : « بناحية الدرمكان » .

فانحدر فى سميريّة[١] ليلة الاثنين لليلة بقيت من شهر رمضان ، وتعمّد تلك الليلة أن يكون القمر تحت الشعاع ، وذلك يُختار للأمور المستورة .

فلمَّا وصل إلى دار السلطان ، لم يصله الراضى واعتقله فى حجرة ، وبَعَث بأبى الحسن سعيد بن سنجلا إلى ابن رائق وأخبره بما جرى ، وأظهر للناس حاله رابع عشر شوّال ، واستفتى الفقهاء فى حاله ، وعرَّفهم ما كاتب به بجكم ، فيقال إنّ القاضى أبا الحسين عمر بن محمد أفتى بقطع يدِه ، لأنه سعى فى الأرض فساداً ، فأمر الرّاضى بإخراجه إلى دهليز التِّسعينى ، وحضر فاتك حاجب ابن رائق والقوّاد ، فقُطِعت يده اليمنى ، وردّ إلى محبسه من دار السلطان ، وأمر الراضى بمداواته ، فكان ينوح على يده ويقول : يدٌ قد خدمتُ بها الخلفاء ثلاث دفعات ، وكُتِب بها القرآن دَفْعتين ، تُقطَع كما تقطع أيدى اللصوص ! ثم قال : إن المحنة قد تشبّثتْ بى[٢] وهى تُوْدّينى إلى التلف وتمثّل :

إذا مَا ماتَ بعضُك فابكِ بعضاً   فإنّ الشيءَ مـن بعـضٍ قريبُ[٣]

وقُطِع لسانه لَمّا قُرب بجكم الحضرة ، ومات فدفن فى دار[٤] السلطان ، ثم طلبه أهله فنُبِش وسلِّم إليهم ، نبشتْه زوجتُه الدينارية فدفنتْه بدارها بغلّة صافى ، فنُبِش بعد موته ثلاث دَفَعاتٍ فهذا عجب .

ومن العجائب أنه[٥] وزر لثلاث خلفاء ، وابن الفرات وَزَر لخليفةٍ واحد ثلاث دفعات ، وابن مقلةَ وَزَرَ ثلاث دفعات لثلاث خلفاء ، ودفِن بعد موته ثلاث دَفَنات .

---

(١) السميرية : نوع من السفن .

(٢) كذا فى تجارب الأمم ١ : ٣٨٨ ، وفى الأصل : « تشبهت » .

(٣) للخريمى . الشعر والشعراء : ٨٥٥ .

(٤) فى تجارب الأمم ١ : ٣٩١ : « ولما قرب بجكم من بغداد نقل من ذلك الموضع إلى موضع أغمض منه فلم يوقف له على خبر ومنعت من الدخول إليه » .

(٥) من المنتظم ٦ . ١١٠ وموضعها عبارة غامضة .

وصول بجْكم إلى الحضرة وتفرّده بالإمْرة

ولمّا وافى بَجْكَم دَيَالى . انهزم ابنُ رائق بعد أن فتح من النّهروان بَثْقًا إلى ديالى ليكثر ماؤه ، فعبَر أصحابُه سباحةً ، وصار ابْنُ رائق إلى عُكْبَرا ، واستتر الكوفيّ وابنُ مقاتل .

ووصَل بَجْكم إلى الراضى ثانى عشر ذى القعدة ، فخلَع عليه والطالع العقرب ، وسار بالخِلَع إلى مضربه بديالى ، وانفضّ جيشُ ابنِ رائق عنه ، فدخل بغداد واستتر . وخلع على بَجْكم دفعتين بعد ذلك ، ومضى إلى دار مؤنس بسوق الثلاثاء ، وهى الّتى كان ينزلها ابنُ رائق فَنَزلها .

فكانتْ إمارة ابن رائق سنة وعشرة أشهر وستة عشر يوماً ، ومدّة كتابة الكوفى له وتدبيره المملكة تسعة عشر شهراً وثمانية أيام .

قال أبو سعيد السّوسى : قال لى بَجْكم بحضرة أصحابه : معى خمسون ألف دينار لا أحتاج إليها ، فلمّا كان بعد ذلك قال لى : تَدْرى كم كان معى ذلك اليوم ؟ قلت : لا ، قال : كان معى خمسون ألف درهم ، فقلْت : أتراك لم تثق بى فكنتَ تطلعنى على الحال ! فقال : لو أطلعتك ضعفتْ نفسُك وضعُف كلامك ، وعوّلت عليك فى رسالة ، فعجِبتُ من دهائه .

ومات أبو عبد الله النّوبختى بعلّة السّل .

وظفِر الرّاضى بأبى عبد الله الكوفىّ ، فسأله فيه أبو الحسن سعيد بن سنجـلا حتى صادره على أربعين ألف دينار .

وأقرّ الراضى الوزيرَ أبا الفتح على الوزارة وهو بمصر .

وفى شهر رمضان أنفذ ملك الروم كتاباً بالرّومية يتضمّن سؤال الراضى الفداء ، وكانتِ الترجمة بالعربية مكتوبةً بالفضة ، وأنفذ مع الكتاب هديّةً جليلة ، فأجاب ابن ثوابة عن الكتاب ، وفى آخره : وقد أسعفكم أمير المؤمنين بما أحببتم من هديّتكم وردّ الرسائل بما سنح من مروءتكم ، صيانةً لكم عن الاحتشام ، ورفعاً عندكم من الاغتنام .

وخاطَبه ملك الروم بالشريف البهىّ ضابط سلطان المسلمين ، وخاطبهم الرّاضى برؤساء الرّوم .

سنة سبع وعشرين وثلثمائة

وأخّر الحسنُ بن عبد الله بن حمدان مال ضمان الموصل ، فصار الراضى إلى تكريت ، وأنفذ بَجْكم إلى الموصل ، فلقيه زَواريقُ فيها هديّة ابن حمدان ، فأخذها بَجْكم ، وعَبر فيها جيشه إلى الجانب الغربىّ ، وسار فالتقى هو وابن حمدان بالكُحَيل[1] ، فانهزمَ أصحاب بَجْكم واستُؤسر أبو حامد الطالقانىّ ، ثم حمل بَجْكم بنفسه على ابن حمدان حملةً صادقة ، فانهزم ابنُ حمدان رابع المحرّم ومضى إلى آمِد ، وأتبعه بَجْكم إلى نصيبين ، فسار حينئذ الراضى فى المساء إلى الموصل ، وانصرف عنه من تَكْريت القرامطة ، الّذين تبعوه إلى بغداد مغضَبين لتأخر أرزاقهم ، فظهر ابن رائق[2] وانضمّوا إليه .

وكتب الراضى حين بلغته الصورة إلى بجكم ، فاستخلف على أصحابه ، وجاء إلى الموصل ، فجرى بين أصحابه وبين أهلها فتنة ، فركب ووضع فيها السيف ، وأحرق مواضع فى البلد .

ورجع الحسن بن عبد الله بن حمدان إلى نصيبين ، وانصرف عنها من خلّفه بَجْكم بها ، فأخذ أصحاب بَجْكم يتسلّلون من الموصل إلى بغداد ، وينضمّون إلى ابن رائق ، فزاد فى قلق بَجْكم ، ولم يعرف ذلك ابن حمدان ، فأطلق أبا حامد الطالقانىّ ، وسأله أن يسعى فى الصّلح ، ويذل له ألف ألف درهم فاستأذن بَجْكم الراضى فى ذلك ، فأذن له فى إمضائه ، فردّ الطالقانى وأبا الحسين بن أبى الشوارب ، وأنفذ معهما باللواء والخلَع .

وصاهر بَجْكم أبا محمد بن حمدان .

وأنفذ ابن رائق أبا جعفر بن شيرزاد إلى بَجْكم يلتمس الصُّلح .

وانحـــدر الراضى وبَجْكم إلى بغداد ، بعد أن راسلا ابنَ رائق بقاضى القضاة أبى الحسين[3] ، فى تمام الصّلح ، وولّوه طريقَ الفرات وجنديسابور وديار مُضَر

(١) الكحيل : مدينة على دجلة . ياقوت .

(٢) الكامل ٦ : ٢٩٦ : « فظهر من استتاره » .

(٣) فى الكامل ٦ : ٢٧٩ : « أبو الحسين عمر بن محمد » .

والعواصم ، فسار إليها قبل وصولهم .

وبلَغ الراضيَ أنّ عبد الصمد بن المكتفى راسل ابنَ رائق أن يتقلّد الخلافة ، فقبض عليه ، ويقال قتله .

وفى جمادى [١] مات الوزير أبو الفتح بن جعفر بن الفرات بالرَّمْلة ، ودُفِن هناك .

وشرع ابنُ شيرزاد فى الصلح ، بين بَجْكم والبريدى [ثم ضمين البريدى] [٢] أعمال واسط بستمائة ألف دينار .

وزارة البريدىّ أبى عبد الله للراضى بالله

فلمّا مات أبو الفتح ، شرع ابن شيرزاد للبريدىّ فى الوزارة ، فأنفذ إليه الراضى بقاضى القضاة أبى الحسين فامتنعَ من تقلّدها ، ثم استجاب لذلك ، وولَيها فى رجب ، وخَلَفه أبو بكر محمد بن علىّ البقرى بالحضرة ، كما كان ابن الفرات .

ولما تقلد البريدى الوزارة ، قال فيه أبو الفرج الأصفهانى قصيدة أولها :

يا سماءُ اسقطى ويا أرضُ ميدى ... قد تولّى الوزارةَ ابن البريدِى [٢]

جلَّ خطبٌ وجلّ أمرٌ عضال ... و بداءٍ أشاب رأسَ الوليد [٣]

هُدَّ ركنُ الإسلام وانهتك المُلْـ ... ـك ومُحّتْ آثاره فهو مُودِى

أخلقت بهجة الزمان كما أخـ ... ـلق طولُ الزمانِ وَشْىَ البُرود

يا لقَومِى لِحرِّ صدرى وعَوْلى ... وغليـلى وقلبىَ المعمـود

حين سار الخميسُ يوم خميس ... فى البريدىّ فى ثياب سود

سُوِّدتْ أوجُه الورى وعلتْهمْ ... إذ عَلَتْه بِذِلّةٍ وهمُود

قد حَبَاه بها الإمام اصطفاءً ... واعتماداً منه بغير عَميد

خِلَعٌ تَخْلَعُ العُـلا ولواءٌ ... عَقْدُه حَـلَّ عُرْوَةَ المَعْقُودِ

كان أوْلَى من لبسـه خلع الملـ ... ـك بغُلٍّ يسـودُه وقيـودِ

(١) كذا فى الأصل .

(٢) من الكامل ٦ : ٢٧٠ .

(٣) أشاب الرجل : شاب ولده .

وهى قصيدة طويلة آخرها :

فى سبيل الإسلامِ خيرُ سبيلٍ محو رَسْم الإسلام والتَّوحِيدِ

لا يُسَرَّنَّ غافلٌ بعد هذا بوليـــد لا يُرَعْ لفَقِيد

فاستهلِّى يا عين بالدمع سحًّا وقليلٌ أن تَذْرُفى وتَجُودِى

وحُكى أنّ البريدىّ أبو عبد الله قال لنُدمائه : مَنْ فيكم يحفظ قصيدة الأصفهانىّ الّتى هجانى بها ؟ فأنكرُوا مع معرفتها ، فقال : بحقِّ عليكم أنشِدونى إيّاها . فقال أحدهم : أمّا معَ قَسَمِك فنعم . فلما بلَغ إلى قَوْلِهِ[1] .

وكان أحد قوّاد بجكم إبراهيم بن أحمد أخو نصر بن أحمد ، صاحب خُراسان فقلَّده بجكم الشّرطة ببغداد .

وعمل إبراهيم لبجكم دَعْوةً ، جمع طباخى دار الخلافةِ لها ، وأنْفق فيها زيادةً على عشرين ألف دينار.

(١) بعدها بياض بالأصل .

سنة ثمان وعشرين وثلثمائة

فى مستهلّ المحرّم ورد خبر ، بأن أبا الحسن علىّ بن عبد الله بن حمدان ، أوقع بالدُّمستق وهزَمه .

وفى آخره تزوّج بَجكم سارة ، بنت الوزير أبى عبد الله البريدىّ ، بحضرة الرّاضى ، والصَّداق مائة ألف درهم .

وكان جيشُ البريدىّ قد قَتَل قائدَيْن من الدَّيْلم ، فاستنجد معزّ الدولة ، أخاه ركن الدولة ، وكان مقيماً بإصطخر ، فأتاه طاوياً للمنازل ، فوصل إلى واسط فى عشرة أيام ، والبريدى مقيمٌ بغربيها ، فانحدر لحربه بَجكم مع الراضى ، فانصرف عنها ، ومضى من فوره إلى أصبهان ففتحها . فعاد عند مضيّه الراضى وبَجكم إلى بغداد .

وفى رجب ، قُتِل طريف السبكرىّ بطرسوس .

وفى شعبان تُوفّى قاضى القضاة أبو الحسين ، فتوسط أبو عبد الله بن أبى موسى الهاشمى أمر ابنه أبى نصر ، على عشرين ألف دينار ، حتى وُلّىَ مكانه .

روى الخطيب عن القاضى أبى الطيب قال : سمعت أبا الفرج المعافَى بن زكريا الجريرى يقول : كنت أحضر مجلس أبى الحسين بن أبى عمر يوم النظر ، فحضرْت أنا وأهل العلم ، فدخل أعرابىٌّ له حاجة ، فجلس فجاء غراب فقعد على نَخْلةٍ فى الدار ، وصاح وطار ، فقال الأعرابى : هذا الغراب يقول : إن صاحب هذه الدار ، يموت بعد سبعة أيام ، وقال : فصِحْنا عليه ، وزَبرْناه ، فقام وانصرف .

واحتبس خروجُ أبى الحسين ، فإذا به قد خرج إلينا الغلام وقال : القاضى يستدعيكم ، فقمنا فدخلنا ، فإذا به متغيّر اللون متكسف البال مغتمّ ، فقال : اعلموا أنّى أحدّثكم بشىء قد شَغَل قلبى ، وهو أنى رأيت البارحة فى المنام شخصاً وهو يقول :

منــازلَ آل حَمّاد بن زيد   على أهليك والنِّعم السَّلامُ

وقد ضاق صدرى ، فدعوْنا له وانصرفنا ، فلمّا كان فى اليوم السابع من ذلك اليوم دُفِن رحمه الله .

وأنفذ إلى علىّ بن عيسى الوزير بمالٍ فى بعض نكباته وكتب إليه :

وتركي مواساتى أخِلاّىَ فى الّذى تَنَالُ يدِى ظلمٌ لهُ وعُقُوق
وإنى لأستحى من الله أن أُرى بعينِ اتّساع والصَّديق مُضِيقُ

وتُوُفى فى هذا الشهر ، أبو بكر بن الأنبارى ، معلّم أولاد الراضى بالله ، ومن جملة تصانيفه كتاب الزاهر ، وكان يحفظ مائةً وعشرين تفسيراً للقرآن ، ولم يملِ بساقط من دِفْتر ، وقال:إنى أحفظ ثلاثة عشر صندوقاً كتباً .

وفى شهر رمضان مات أبو بشر بن يونس القنانى النّصرانىّ ، وهو الّذى فسَّر كتاب المنطق .

وفيه خرج بَجْكم إلى الجبل ، فلما بلغ قَرْمِيسين ، بلغه أنّ البريدىّ قد طمِع فى بغداد ، وكان طمَعُه لأجل دفائن فى داره ، فعاد بَجْكم حينئذ ، وقد استأمَن إليه خلقٌ من الدَّيلم ، وكان قد أمدّ البريدىّ قبل ذلك بخمسمائة رجل ، وأنفذ معهم أبا زكريا السّوسِىّ .

فلمَّا عرف البريدىُّ رجوعه إلى بغداد أبلس ، وأنفذ إلى السّوسِىّ ، فاستحضره ، فظنَّ أنه يريد القبض عليه ، فقال له : أحِب أن تصعد إلى بَجْكم فتزيل الوحشة من صدره ، وهذه أذنى فخُذْها ، وبعنى ؛ فإنى لا أعدِل عن رأيك ، وقد رتّبت لك طيَّاراً وخمسين غلاماً لخِدْمتك .

قال : فقبّلت الأرض بين يديه ، وسرت فما عادت ذهنى إلا بفم الصِّلح(1) .

وندم البريدىّ على إنفاذه لى ، وسقط عليه طائرٌ يعرّفه تعويلَ بَجْكم على قصده ، وتضمَّن إغراؤه بى ، فكان ذلك من كفاية الله تعالى لى .

و وصلتُ دير العاقول ، وبها أحمد بن نصر القشورى .

ولقيت بَجْكم بالزعفرانية ، واجتهدت به فى صُلْح البريدىّ ، فأبى ، وانحدرت معه .

وقبض على ابن شيرزاد ، لأنه أشار عليه بمصاهرة البريدىّ ، وأزال اسم البريدىّ عن الوزارة ، فكانت وزارته سنة وأربعة أشهر وأربعة عشر يوماً ، وأوقع اسمها على أبى القاسم سليمان بن الحسن .

---

(1) كذا فى تجارب الأمم ١ : ٥١٣ ، وفى الأصل : « نعم الصلح » ، تحريف.

وزارة أبي القاسم سليمان بن الحسن

وخُلِع عليه . وانحدر بَجْكم بعد أن ضبط الطريق بِمَن ينشر خبره ، فوقع على حُديدية طائر ، فأخذه وإذا به كتاب كاتبه يعرّف أخاه انحداره وسائر أسراره ، فأحضر الكاتب وأوقفه ، فلم يجحد فرمَى به فى الزّبانيات[1] حتى قتل ، ورُمِى به [فى][2] الماء .

وانحدر فوجد البريدى قد انحدر عنها .

وفى ذى الحجة ، وَرَدَ بأن رائقاً أوقع بأبى نصر بن طُغْج ، أخى الإخشيد ، فانهزم أصحاب أبى نصر بعد أن قُتل وكَفّنه ابنُ رائق وأنفذه فى تابوت إلى أخيه ، واستأسرَ قُوّاده ، وأنفذ مع التابوت ابنَه أبا مزاحم بن رائق ، وكتب معه يعزّيه ويعتذر ويقول : ما أردت قتله ، وقد أنفذتُ ابنى لتُقيده به ، فتلقّى الإخشيد فعلَه بالجميل ، وخلَع على ابنِه وردَّه إلى أبيه ، واصطلحا على أن يفرِج ابنُ رائق للإخشيد عن الرَّملة ، ويكون باقى [الشام] لابن رائق ، ويحمل إليه الإخشيد فى كلِّ سنة مائة وأربعين ألف دينار .

وكان بَدر بن عَمّار الأسدى الطّبرستانىّ ، يتقلّد حرب طبريّة لابن رائق ، وهو الذى مدحه المتنبي بقصائد عِدّة .

وعاد أبو نصر محمد بن ينال الترجمان من الجبل منهزماً من الدّيلم ، فأنفذ بَجْكم من واسط بمن ضربه فى منزله بالمقارع وقَيَّده ، ثم رضى عنه .

وانحدر أبو عبد الله الكوفى إلى واسط ، واستقرت له كتابة بَجْكم ، فكانت كتابة ابن شيرزاد تسعة عشر شهراً وثلاثة عشر يوماً .

والتقى ركن الدولة بوَشْمَكير ، وانهزم الفريقان ، ركن الدولة إلى أصفهان ، ووشمكير إلى الرّى .

وفيها مات جستان . وفيها تُوُفِّى أبو عبيد الله القمّىّ ، الوزير لركن الدولة ، وتقلّد مكانه أبو الفضل بن العميد .

---

(١) الزبانيات : الشرط . وفى الأصل « الزوبنيات » .

(٢) من تجارب الأمم ١ : ٤١٤ .

سنة تسع وعشرين وثلثمائة

فيها صادر بَجْكم ابن شيرزاد ، وقال : أردت أن أعلم أيساره ، فقلت : إنّ عندى مائة ألف دينار ، أريد إيداعك إياها ، فما ارتاع ، وحملتُها إليه ، وطلبتُها بعد مدّة ، فكان يحملها تفاريق ، فقلت : ما السبب فى هذا ؟ فقال : إننى لا آمن غير أختى ، ولا تقوَى على حَمْل المالِ دفعةً واحدة ، فقبض على أخته ، وبلَغ بالقبض عليها ما أراده من ماله .

وفى ليلة النّصف من شهر ربيع الأول مات الراضى بالله ، وقد انكسف القمر جميعه ، وكان موته بعلّة الاستسقاء .

وكان الراضى رحمه الله سَمْحاً شاعراً سخيًّا أديباً ، ومن شعره يرثى المقتدر رحمه الله :

بنفسى ثَرًى ضاجعتَ فى تُرْبة البِلَى لقد ضمّ منك الغيث واللّيْثَ والبدرا [1]
فلو أنّ حيًّا كان قبراً لِميِّتٍ لصيَّرتُ أحشأى لأعظُمِه قبرا
ولو أن عمرى كان طوعَ مشيئتى وساعدنى المقدار قاسمتُه العُمْرا

وحكى الخطيب فى تاريخه قال : كتبَ الراضى إلى أخيه المتقى ، وقد جرى بينهما شىء فى الكتب : أنا معترف لك بالعبودية ، والمولى يعفو ، وقد قال الشاعر :

ياذا الذى يغضب من غير شَىْ اعتب فعُتبــاك حبيبٌ إلىْ
أنت – على أنّك لى ظالم – أعزُّ خلق الله طرًّا علَىْ [2]

(١) ابن كثير ١١ : ١٩٧ ، ابن الأثير ٦ : ٢٧٦ .
(٢) كذا فى ابن الأثير ، وفى الأصل : « كل على » .

خلافة المتقى لله

وهو أبو إسحاق إبراهيم بن المقتدر بالله ، أمّه رومية ، وكانت خلافتُه ثلاث سنين وأحد عشر شهراً .

وورد كتاب بَجْكم ، لمّا بلغه موتُ الراضى بالله رحمة الله عليه ، على أبى عبد الله الكوفىّ يأمره أن يجمع كلَّ مَن كان يتقلّد الوزارة بالحضرة ، وأصحاب الدواوين والقضاة والفقهاء والعلويّين والعباسيين ووجوه البلد ، ويُحضرهم إلى أبى القاسم سليمان بن الحسن ، وينصِّبون الخلافة مَنْ يحمدونه .

فلما اجتمعوا قال محمد بن الحسن بن عبد العزيز الهاشمىّ : يكون الخطاب سرًّا ، فخلا الكوفىّ فى بيت وجعل الرّجل والرجلان يدخلان إليه ، فيقول لهما : قد وصِف لنا إبراهيم بن المقتدر بالله ، فيظنان أن ذلك عن أمرٍ ورد من بَجْكم فى معناه ، فيقولان : هو لذلك أهل ، فأُحْضِر إلى دار بَجْكم وعُقِد له الأمر ولُقِّب المتقى لله .

وحُمِل إلى بجكم من دار الخلافة قبل تقلد المتقى فُرُش وآلاتٌ اختارها .

وأنفذ المتقى لله عند بيعته مع أبى العباس الأصفهانى ، خِلَعاً ولواء إلى بَجْكم ، وخلع على سلامة الطّولونى ، وقلّده حجبته ، وأقرّ أبا القاسم سليمان بن الحسن على الوزارة .

وورد الخبر بدخول أبى[1] علىّ بن مُحْتاج فى جيش خُراسان إلى الرىّ ، وقتله ما كان الديلمى صاحب جُرجان ، وحاصر مَنْ بها حتى تركها ، ومضى إلى سارية ، فاستولى أبو علىّ على جُرْجان .

وتعاضد أبو علىّ وركن الدولة ، على محاربة وشمكير ، حين اعتضد بما كان ، والتقى الفريقان وأظهر ما كان شجاعةً شديدة ، فأتاه ، سهم عائر[2] ، فنفذ فى خَوْذَتِه وطلع من قفاه فسقط ميتاً .

(١) كذا فى تجارب الأمم ٢ : ٣ والكامل ٦ : ٣٨٧ وفى الأصل : « ابن » ، ونسبه فى الكامل : محمد بن المظفر بن محتاج .

(٢) فى الأصل . « عابر » تصحيف ، والسهم العائر : الذى لا يدرى راميه .

وأفلت وشمكير ، بعد أن أُسِرَ أكثرُ أصحابه .

وحمل ابن محتاج من رءوس القتلى ستَّة آلاف رأس إلى خراسان ، فيهم رأس ماكان .

وجلس أبو علىّ بن محتاج للعزاء ، وأظهر الحزن عليه .

وقال الحسن بن الفيرُوزان ابن عم ما كان : إن وشمكير ، أسلمه ، وكان الحسن شجاعاً ، وقصد ابن محتاج فقبّله[١] ، وقصد وَشمكير ، فكان بينهما حَرْبٌ على باب سارية[٢] أياماً .

ثم ورد على أبى علىّ وفاةُ صاحبه نصر بن أحمد ، فصالح وشمكير وأخذ ابنه رهينة ، وانْحدر معه الحسن بن الفيروزان ، وحقد عليه كيف لم يستخلفْه على حرب وشمكير ، وانتهزَ غِرّته حين قار با خراسان ، فوثب عليه فأفلت منه ، وقتل حاجبه[٣] وانتهب سواده ، واستعاد [رهينة][٤] ابن وشمكير ، وعاد إلى جرجان فملكها ، فصالحه الحسن ، وردّ عليه ابنه .

ثم إنّ ركن الدولة قصد الرّىّ ، وحارب وشمكير ، فهزمه واستأمن إليه أكثرُ رجاله ، وصار بعد انهزامه إلى خراسان ، وتزوّج ركن الدولة بنت الحسن ، وهى والدة فخْر الدولة .

وفى هذه السنة ، فرغ من بناء مسجد بَراثا[٥] ، وجَمَع فيه .

وفيها ابتدأ الغلاء ببغداد ، وبلغ الكُرّ من الدقيق مائة وستين ديناراً ، وكَثُر الموت حتى كان يُدْفن الجماعة من غير غسل ولا صلاة ، وظهر من قوم فيهم دين وصدقة عطف على الأحياء وتكفين الموتى ، وظهر من آخرين فجُورٌ ومنكرات ، وكان علىّ بن عيسى والبقرى يكفّنان النّاس على أبواب دورهما .

وسقطت القُبّة الخضراء ، الّتى هى قبّة المنصور المعروفة بقبّة الشعراء .

ونكب الكوفىّ هارونَ اليهودىّ جهبذ ابن شيرزاد ، وبقِىَ عليه من مصادرته ستون ألف

---

(١) فى الأصل : « فقتله » تحريف ، صوابه من تجارب الأمم .

(٢) سارية : مدينة بطبرستان .

(٣) فى الأصل : « صاحبه » تحريف ، والصواب من تجارب الأمم ٢ : ٨ .

(٤) من تجارب الأمم ٢ : ٨ ، وبعدها : « أعنى ابنه سالار » .

(٥) براثا : محلة كانت فى طرف بغداد .

دينار ، فأخِذت داره ، وكانتْ قديماً لإبراهيم بن أحمد الماذَرائى ، راكبةً دجلة والصراة ، وفيها بستان أبى الفضل الشيرازىّ ودار المرتضَى ، وحُمِل هذا اليهودىّ إلى بَجْكم بواسط ، فضُرِب بين يديه بالدّبابيس حتى مات .

وأظهر بجكم العدْل بواسط ، وبنى دار ضيافة ، وعمل البيمارستان ببغداد .

وخرجت الشّتوة جميعها بغير مطر .

وانبثق نهر رفيل[1] ونهر بوق[2] فلم يتلاقيا ، حتى خربت[3] بادوريا بضع عشرة سنة .

وأنفذ البريدىّ جيشاً إلى المذار فأنفذ بَجْكم بتوزون ، فهزمهم بعد أن كسروه .

وجلس فى رجب المعروف بغلام القاضى بجامع الرُّصافة ، وقصّ على مذاهب أهل العدْل ، واجتمع إليه الناس .

ونُصِبت القِباب بباب الطاق والرُّصافة لزوّار الحائر[4] على ساكنه السلام .

وتُوُفِّىَ البربهارىّ مستتراً ، ودُفِن فى تربة نصر القُشورىّ .

وانحدر بَجْكَم حين بلغه كسر توزون أولاً ، ولم يبلغه كسره لأصحاب البريدى وتمم[5] ، وقد عرف الغناء عن حضوره ، فلما بلغ نهر جُور ، شَرِه إلى أموال أكراد هناك ، وقصدهم متهاوناً بهم فى عدد يسيرٍ من غلمانه فى قميص ، فهرب الأكراد من بين يديه ، واستدار أحدهم من ورائه من غير أن يعرفه ، فطعنه بالرمح فى خاصرته فقتله ، وذلك بين الطيب والمذار ، يوم الأربعاء لتسع بَقِين من رجب .

وكان البريديون قد عملوا على الهرب ، فوافاهم من عسكره ألف وخمسمائة ديلمىّ فقبلوهم .

وعاد تكينك بالأتراك إلى بغداد ، فنزلوا النجمىّ وأظهروا طاعة المتّقى .

وصار أحمد بن ميمون [كاتب المتقى لله][6] قديماً ، يدبّر الأمور والكوفىّ من قبله .

---

(١) فى الأصل : « الدفيل » تحريف ، وفى ياقوت « نهر رفيل ، نهر يصب فى دجلة بغداد » .

(٢) فى الأصل « بو » تحريف . ونهر بوق ذكره ياقوت وقال : طسوج من سواد بغداد » .

(٣) فى الأصل : « خرجت » تصحيف ، صوابه من تجارب الأمم ٢ : ٩ .

(٤) الحائر : قبر الحسين بن على . ياقوت .

(٥) كذا فى الأصل .

(٦) من تجارب الأمم ٢ : ١١ .

فكانت إمارة بَجْكم سنتين وثمانية أشهر وتسعة أيام ، وكتابة الكوفى له خمسة أشهر وثمانية عشر يوماً .

وكان بَجْكم يدفِن أمواله وحده ، فتتبَّع أحدُ غلمانه أثره ، واستدلّ على موضع المال ، ودلّ المتقى على ذلك ، فاستخرج مالاً عظيماً ، ودفع التراب إلى الحفارين فلم يقنعوا ، فأَمَر بغسله ، فأخرجوا من التراب ستة وثلاثين ألف درهم .

قال ثابت بن سنان : قال بجكم : قلتُ : الصَّواب أن أدفَن فى الصحراء ، فربما حِيلَ بينى وبين دارى ، وكان الناس يشنِّعون أننى أقتل مَنْ يدفن معى ، وما كنت أفعل ذلك ، بل كنت آخذ المال فى الصناديق ، وأترك معها الرجال الذين أثق بهم وأحملهم فيها مقفلاً عليهم على البغال ، وأقود بنفسى القطار ، وأفتح عن الرجال ، ولا يدرون أين هم من الأرض ، وإذا دَفَنوا أعدتُهم على هذه الصِّفة .

وقدم الترجمان من واسط ، فأقرّه المتقى لله على الشُّرْطة ببغداد .

وأصعد البريديون إلى واسط فى سبعة آلاف رجل ، فأنفذ إليهم المتقى إلى واسط ثمانية وخمسين ألف دينار ، وأمرهم بالمقام بواسط فلم تقنعهم .

وفرّق المتّقى فى الأتراك أربعمائة ألف دينار .

وأصعد البريدىّ [من واسط إلى بغداد][١] ، فلما قَرُب اضطربت الأتراك البَجكمية وسار بعضهم إلى المَوْصل واستأمن بعضهم إليه .

واستتر الكوفىّ ، وانتقل كثير من أرباب النعم ، وأشار بعضُ أصحاب علىّ بن عيسى عليه بالإصعاد إلى الموصل ، فاستأجر سفناً ليصعد فيها رحلةً بمائتى دينار ، ثم استدعى صاحبه فقال : أيهرُب مخلوق إلى مخلوق ! اصرِف الدَّنانير فى الصدقة .

وانحدر البريدىّ حين قرب ، فتلقاه وأكرمه ، ومنعه أن يخرج من طيَّاره ، وانتقل إليهم وشكر بره .

ودخل البريدىّ بغداد ، ومعه أبو الحسين ، فابنه أبو القاسم ، وأبو جعفر بن شيرزاد ، لليلتين خلتا من شهر رمضان ، ونزلوا الشفيعى[٢] وكان معه من الزبازب والطيارات والحديديات والشذآت ما لا يحصى .

---

(١) من تجارب الأمم ٢ : ١١

(٢) تجارب الأمم ٢ : ١٥ : « البستان الشفيعى » .

وتلقّاه الوزير أبو الحسين بن ميمون ، والكتاب والعمال والقضاة ، وأنفذ المتقى يعرِّفه أنسه بقربه ، وحمل إليه الطعام والهدايا عدة ليالٍ .

وكان ابنُ ميمون والبريديّ يخاطب كلٌّ واحدٍ منهما صاحبَه بالوزارة ، ثم انفرد بها البريديّ خاصة .

فكانت وزارة ابن ميمون شهراً وثلاثة أيام ، ثم قَبض عليه وأحدره إلى البصرة فمات بها .

فاستكتب المتقى لله على خاصّ أمره أبا العباس أحمد بن عبد الله الأصبهانىّ .

ولم يلتق البريديّ بالمتّقى ، ومضى إليه الأمير أبو منصور بن المتقى لله بالنّجمىّ ليسلّم عليه ، فلبس البريدى ثياب سواده ، وتلقّاه فى أحسن زِىّ ، ونثر عليه الدنانير .

وراسل [أبو عبد الله البريدىّ][1] المتّقى لله على يد القاضى أحمد بن عبد الله ابن إسحاق الخرقى وأبى العباس الأصبهانى يطالبه بحمل المال ، فقال للقاضى : أنصحْه وعرّفه خبر المعتزّ والمهتدى بالله ، [والله][2] إن خلّيتَه مع الأولياء لَيطلُبنّ نفسه فلا يجدها .

فكان الجواب ، أن حُمِل إليه خمسمائة ألف دينار ، فوهب للخرَقى منها خمسة آلاف دينار بعد مائة وخمسين ألف دينار .

وكان البريدىّ يأمر عسكره بالتّشغيب على الخليفة ، فرجعت المكيدة عليه ، حتى شغبوا .

واجتمع الديلم ، فرأّسوا على أنفسهم كورنكج بن الفارضى الدّيلمى ، بالقبض عليه ، وقصدوا البريدىّ وهو بالنجمى ، وعاونهم العامة ، فقطعَ البريدىُّ الجسر ، ووقعت الحرب فى الماء ووثبت العامة بأسباب البريدىّ فى الجانب الغربىّ فهرب ابنُه وأخوه فى الماء إلى واسط ونُهبت داره ودور قُوّاده ، وحَمَل بعض ما حمَل إليه المتّقى من المال .

واستَتَر ابنُ شيرزاد ، فَنُهبت دارهُ ودُورُ قوّاده .

وظهر سلامة الطُّولونى وبدرٌ الخرْشَنى .

وهرب البريدىّ من بَغداد .

(١ - ٢) زيادة من تجارب الأمم ٢ : ١٦ يقتضيها السياق .

إمارة كورنكج

وحصلت الإمارة لكورنكج ثانى شوّال ، ولقِىَ المتّقى فى ثالثه ، فقلّده أميرَ الأمراء وعقد له اللّواء وخلَع عليه .

ودبّر الأمرَ علىّ بن عيسى وأخوه(١) من غير تسميةٍ بوزارة .

وغرق الأمير أبو شجاع كورنكج تكِينَك خامس شوّال .

واجتمعت العامَّة يوم الجمعة ، وتظلَّموا من نزول الدَّيْلم فى دورهم ، وكَسَرُوا المِنْبر ، ومنعوا من إقامة الصلاة ، وقُتِل بينهم وبين الدَّيْلَم جماعة .

فلما كان بعد تسعة أيام من نظر علىّ بن عيسى ، استوزرَ المتّقى أبا إسحاق محمد ابن أحمد الإسكافى المعروف بالقراريطىّ .

وأخرجَ الأمير كورنكج أصبهان الديلمىّ إلى واسط ، ليحارب البريدىّ .

وظَهر ابنُ سنجلا وقريبه علىّ بن يعقوب من استتارهما ، فقبض القراريطىّ عليهما حين صارا إليه ، وصادرهما بعد مكروهٍ شديد على مائة وخمسين ألف دينار .

وبلغ ابنَ رائق قتلُ بَجْكَم فسارَ من الشام .

ولم يقبل أبو محمد بن حمدان مَنْ صار إليه من أصحاب بَجْكم ، مثل توزون وصَيْغون ، ونَفَذوا إلى ابن رائق ، فكتب إليه المتّقى يستدعيه إلى الحضرة ، فسارَ من دمشق ، وعاد أصبهان إلى بغداد ، وحمل أبو محمد بن حمدان إلى ابن رائق مائةَ ألفِ دينار .

وقبضَ كُورِنكج على القَراريطىّ ، فكانتْ مدّة وزارته ثلاثة وأربعين يوماً .

وقلّد الوزارة أبا جعفر محمد بن القاسم الكرخىّ ، وخَلَع المتّقى عليه .

وخطب بنو البريدىّ بواسط والبصرة لابن رائق .

فلما قرب ابنُ رائق من بغداد ، خرج إليه كورنكج وانتهى إلى عكبرا ، واتّصلت الحرب بينهما ، ثم دخل [ابن](٢) مقاتل ، ومعه قطعة من الجيش ، وبعده ابنُ رائق

---

(١) تجارب الأمم ٢ : ١٨ : « عبد الرحمن بن عيسى » .

(٢) من تجارب الأمم ٢ : ٢٠ .

وعَبرَ من النَّجمى إلى دار السلطان ، وسأل المتّقى الركوبَ معه ، فركبَ معه إلى الشَّماسية ، وانحدرا فى الماء ، ودخل المتّقى دار الخلافة ، وعَبر ابنُ رائق إلى النَّجمى .

ووصل كُورنكج وأصحابه إلى بغداد وهم فى غاية التّهاون[1] بابن رائق ، وجعلوا يقولون : أين نزلت القافلة الشامية ؟

وأتى كورنكج دارَ السلطان ، فدافع عنها لؤلؤ وبدر الخرشنىّ .

وعمل ابن رائق على الرّجوع إلى الشام ، وأنفذ سواده .

واتّفق حصولُ ابن رائق فى سميريات بدجلة ليعُبر ، فصادفهم كورنكج فراشقوا بالزوبنَاتِ والنُّشاب ، وصاحت العامة ، فهرب كورنكج ، ورماهم العامّة بالسّتر والآجرّ ، فانهزم أصحابه واستتر هو .

وظهر الكوفىّ إلى خدمة ابن رائق ، وقتلَ ابنُ رائق أربعمائة ديلمىٍّ صبراً ، أعطاهم الأمان ولم يسلمْ منهم غير رجل واحد وقع بين القتلى ، ورمى به معهم إلى دجلة ، وعاش مدة طويلة، وقُتِل جماعةٌ من قوادهم ، وانهزم بعضُهم ، فباتوا بخان بجسر النهروان ، فسقط عليهم فهلَكُوا .

وخلعَ المتّقى على ابن رائق لأربعٍ بقين من ذى الحجة ، وطوّقه وسوّره وعقد له اللواء. وقلّده إمرة الأمراء ، وألزم الكرخىَّ بيته ، فكانت وزارته ثلاثة وخمسين يوماً .

وأطلق القراريطىّ إلى منزله .

وزادت الفرات فى السادس والعشرين من أيار زيادةً غرقت هيت وسقط سورُها ، وغرّقت محالَّ بغداد ، وهدَّمت القنطرتين بالصّراة ، وسقطت الدّور التى عليها .

وفى هذه [السنة] ، قُلّد القاضى أبو الحسين أحمد بن عبيد الله الخرقىّ القضاء بمصر والحرمين ، وخُلِع عليه .

---

(١) كذا فى تجارب الأمم ٢ : ٢١ ، وفى الأصل : « متهاربين » .

سنة ثلاثين وثلثمائة

انحدر ابنُ رائق فى عاشر المحرَّم إلى واسط ، حين أخَّر عنه البريدىّ ما ضمنه ، فهرب عند قربه منها البريدىّ إلى البصرة ، وأنفذ إليه مائة وسبعين ألف دينار ، وضَمِن حَمْل ستمائة ألف دينار فى السّنة .

فأصعد ابن رائق إلى بغداد ، وأنفذ صاحب خراسان إلى المتقى لله هدايا من غلمان أتراك وطيب وخَيْل ، على يدى أبى العباس بن شقيق ، وأنفذ معه برأس ما كان ، فشُهر ببغداد فى دِجْلة .

وشغب توزون والأتراك على ابن رائق ، وساروا إلى البريدىّ فقوىَ بهمْ ولَقُوه بواسط .

وكوتب البريدىّ من الحضرة بالوزارة ، واستُخلف له ابن شيرزاد ، ثم عوَّل على الإصعاد إلى الحضرة ، فركب المتقى وابنه وابن رائق ، بين أيديهم المصاحف المنشورة ، واستنفروا[١] العامة ، ولُعِن بنو البريدىّ على المنابر .

وأصعِد أبو الحسين البريدى إلى بغداد فى جيش أخيه ، فاستأمن إليه قرامطة ابن رائق .

وعمل ابنُ رائق على التحصُّن بدار السلطان، ونُصِبَت العَرَّادَات[٢] على سُورِها ، واستْنهض العامَّة ، فكان ذلك سبباً للفتن . وأحرقوا نهر طابق ، وكَبَسوا المنازل ليلاً ونهاراً .

واشتبكت الحرب بين أبى الحسين البريدىّ وابن رائق فى الماء ، واشتدّت الحرب فى حادى عشر من جمادى الآخرة ، وملك الديلم من أصحاب البريدىّ دار السلطانَ ، فخرَّج وابنه هاربين ومَضَوا [إلى] باب الشَّماسية ، فلحق بهم ابن رائق ، وأصعدوا إلى الموصل فيها .

وقيّد كورنكج وحدَه [وأحدره][٣] إلى أخيه ، فكان آخر العهد به .

---

(١) فى الأصل : « واستقروا » تصحيف .

(٢) العرّادة : آلة من آلات الحرب القديمة ، وهى منجنيق صغير .

(٣) من ابن كثير ١١ : ٢٠٢ .

وكان القاهر محبوساً ، فتركه الموكّلون [به] فخرج فَرِقاً وهو يتصدّق بسوق الثلاثاء ، فبلغ ذلك البريدىّ ، فأنفذ بمن أقامه وأجرى له فى كلّ يوم خمسة دراهم .

ونزل البريدىّ دار مؤنس ، وقلّد توزون الشُّرْطة ، فلمَّا وليهَا سكنَت الفتنة ، وأخذ أبو الحسين حَرَم تُوزون وعيالات القُوّاد رهينةً وأنفذهم إلى أخيه،وغَلَت الأسعار .

وظلَمَ البريدىّ النّاس ، وافتتح الخراج فى آذار ، وافتتح الجِزْية ، وأخذ الأقوياء بالضعفاء ، وقرّر على الحنطة وسائر المكيلات من كلّ كُرٍّ سبعين درهماً ، وقَبَض على خمسمائة كُرّ ، ورُدتْ للتجار من الكوفة ، وادعى أنها للحسن بن هارون فقلّد الناحية .

وهرب خَجْخَج إلى المتقى لله .

وتحالف تُوزون ونوشتكين والأتراك على كَبْس أبى الحسين البريدى ، فغَدَر نُوشتكين بتوزون .

ونُمِى الخبر إلى الحسين ، فتحرَّز وأحضرَ الدَّيْلم فاستظْهَرَ بهم .

وقصد توزون دارَ أبى الحسين ، وغُلِّقت الأبواب دُونه .

وانكشف لتوزون غدر نوشتكين [به] ، فلعنه ، وانصرفَ ضَحْوةً نهار يوم الثلاثاء ، ومضى معه قطعة وافرة من الأتراك إلى الموصل ،

وقاتلت العامّة البريدىّ ، فقوِىَ ابنُ حمدان بتوزون وبالأتراك ، وعمل على الانحدار مع المتقى لله إلى بغداد ، وبلغ ذلك البريدىّ فكتب إلى أخيه يستمده فأمدّه بجماعة من الدَّيْلم والقواد .

وأخرج أبو الحسين مضرَبهُ إلى باب الشَّماسية ، وأظهر أنه يحارب ابنَ حمدان ، وذلك بعد أن قتل ابنُ حمدان ابنَ رائق ، وكان سبب قتله ، أن ابن حمدان كان بشرقىّ الموصل وابن رائق والمتقى بغربيها ، فما زالت المراسلات بينهم ، حتى توثّق بعضهم من بعض وأنس بهم .

فعبر الأمير أبو منصور بن المتقى لله ومعه ابن رائق ، يوم الاثنين لتسع بقين من رجب ، إلى ابن حمدان ، فلقيَهم أجْمَل لقاء ونَثر على الأمير الدَّنانير .

فلما أراد الانصراف ركب الأمير أبو منصور ، وقدم فرس ابن رائق ليركب مِنْ داخل المضرب ، فأمسكه أبو محمد بن حمدان ، وقال : تُقِيم عندى اليوم لنتحدّث فإن بيننا ما نَتجاراه ، فقال له ابن رائق : أمضى فى خدمة الأمير وأعود ، فألحّ عليه ابن حمدان

الحاجاً استراب به ابنُ رائق ، فجذب كُمَّه من يده حتى تخرق ، وكانت رجله فى الركاب فشبّ به الفرس فوقع وقام ليركب ، فصاح أبو محمّد لغلمانه : ويلكم لا يفوتكم ! فقتلوه .

وأُنفِذ للمتّقى لله أن ابنَ رائق أراد أن يغتاله ، فردّ عليه المتّقى أنه الموثوق به .

وعبر إلى المتقى ، فخلَع عليه وعقد له لواءً ، ولقّبه ناصر الدولة ، وجعله أمير الأمراء وكنّاه ، وذلك مستهلّ شعبان ، وخلَع على أخيه علىّ ، وعلى أبى عبد الله الحسين بن سعيد ابن حمدان وكتب إلى القراريطى بتقليد الوزارة .

ولمّا قارب المتقى بغداد ، هَرَب أبو الحسين البريدىّ عنها إلى واسط .

ودخل المتقى وناصر الدولة وأخوه الشّفيعىّ . ولقى القراريطى المتّقى وناصر الدولة .

وتقلّد أبو الوفاء تُوزون الشُّرْطة .

وخلع المتّقى على القراريطىّ خِلَع الوزارة لليلتين خلَتا من ذى القعدة .

وخلع بعـــد ذلك ، على ناصر الدولة وأخيه وطوّقهما وسوّرهما .

وأتاهم الخبر أنّ البريدىّ على قصد بغداد ، فَعَبر حينئذ المتّقى وناصر الدولة إلى الجانب الغربىّ ، وسار أبو الحسن علىّ بن عبد الله بن حمدان فى الجيش إلى الكيْل ، ولقيهم البريدىّ بها ، ومعه ابن شيرزاد وابن قَرابة فى الديلم وجيش عظيم . فكانت الوقعة مستهلّ ذى الحجة يوم الأربعاء ويوم الخميس ويوم الجمعة ، ومع ابن حمدان تُوزون وخَجْخَج والأتراك ، فانهزم علىّ وأصحابه إلى المدائن ، فردّهم ناصر الدولة إلى الكيل ، فانهزم حينئذ البريدىّ ، واستؤسر من أصحابه يانس وجماعة من قواد البريدىّ .

وعاد إلى واسط ، واستأمن إلى ابن حمدان محمد بن ينال الترجمان ، وجماعة من قواد البريدىّ ، وعاد منهزماً مفلولاً .

وانحدر سيفُ الدولة إلى واسط ، فوجد البريديين قد انْحَدَرُوا منها فأقام بها .

ودخل ناصر الدولة يوم الجمعة لثانى عشر ليلة بقيَتْ من ذى الحجة ، بَغْداد وبين يديه يأنس غلام البريدىّ وأصحابه مُشْهرين على رءوسهم البرانس ، وسارَ فى الجانب الغربى إلى دارَعَمّه أبى الوليد سليمان بن حمدان ، وهى بالقرب من الجسر ، ولأجْل هذا لَقّب المتقى لله أبا الحسن علىّ بن حمدان ، بسيف الدولة ، وكتب فى ذلك ابن ثوابة كتاباً .

ولأجل هذا يقول المتنبى فى قصيدته فى سيف الدولة :

أَنَا مِنْــكَ بين مكارِمٍ وفَضَــائِلٍ ومن ارتياحِكَ فى غَمَامٍ دائِمِ[١]

يقول فيها :

إن الخليفــةَ لم يُسَمِّــكَ سَيْفَــهُ[٢] حتَّى ابْتَلَاكَ فكُنْتَ عينَ الصارِمِ

فإذَا تَتَوَّجَ كُنْتَ دُرَّةَ تَاجِــهِ وإذا تَخَتَّمَ كُنْتَ فَصَّ الْخَاتَمِ

قال ابو الفتح : يقال فُصّ وفَصّ والفتح أكثر .

وإذا انْتَضَاكَ عَلَى الْعِدَى فِى مَعْرَكٍ هَلَكُوا وضَاقَتْ كَفُّهُ بالْقَائِمِ

وظهر الكوفىُّ لناصر الدولة وخَدَمه .

وأخذ أبو زكريا السوسى لابن مقاتل أماناً ، وشرط إن استقرَّ ما بينه وبين ناصر الدولة ، تَمَّمَ الظُّهور ، وإلاّ عاد إلى استتاره .

فلما عاد لم يتمشَّ بينهما أمر ، فقال له : عد إلى استتارك ، فقال ابن مقاتل : لم أجد عهداً ، وإن شئتَ فَعَلْت .

فضجَّ ناصر الدولة من ذلك ، وعلم أنها حيلة وقعتْ عليه ، فصحَّح أمره على مائة وثلاثين ألف دينار ، وعلى أن ينفّذ جيشاً إلى حلب ليفتحها ، وصحَّ له خمسون ألف دينار.

ونظر ناصر الدولة فى أمر النقد ، وطالَب بتصفية العَيْن والورق ، وضَرَب دنانير سمّاها الإبريزية ، وبيع الدِّينار منها بثلاثة عشر دِرْهماً ، بعد أن كان عشرة ، وكتب ابنُ ثوابة عن المكتفى فى ذلك كتاباً .

وفى هذه السنة توفى أبو الحسن على بن إسماعيل بن بشر الأشعرى المتكلم .

ووُلد سنة ستين ومائتين ، ودُفن فى مشرعة الروايا فى تُرْبةٍ إلى جانبها مسجد ، وبالقرب منها حمام على يسار المارّ من السوق إلى دجلة وأخبر بذلك الخطيب[٣] عن ابن برهان ، وعمرها أبو سعيد الصوفى فى زماننا .

---

(١) ديوانه ٣ : ٣٤٩ .

(٢) الديوان : « سيفها » .

(٣) تاريخ بغداد ١١ : ٣٤٦ .

سنة إحدى وثلاثين وثلثمائة

ورد الخبر ، بأنّ الأمير معز الدولة وافى من الأهواز إلى عسكر أبي جعفر ، بإزاء نهر معقل ، وأظهر أنّ السلطان كاتبه حتى يحارب البريديين ، فأقام مدّةً يحاربهم ثم عاد إلى الأهواز .

وورد الخبر بورود الرّوم قريباً من نصيبين فسبوْا وأحرقوا .

وضرب ناصر الدولة أبا عليّ هارون بن عبد العزيز الأوار ، حتى على ضعف جسمه سبعمائة مَقْرعة ، وصادره على عشرين ألف دينار ، وكان يكتبُ لابن مقاتل ، وصادر جماعة من أسبابه ، وعمل لدار عمه أبي الوليد فى دِجْلة أنفق عليها مالاً ، وزوّج ابنته عدويّة من الأمير أبي منصور بن المتقى ، ووكّل فى العقد أبا عبد الله بن أبي موسى الهاشميّ ، وكان الخطيب أبو الحسن الخرقيّ ، فلحَن فى خطبته ، وتّم العقد ابنُ أبي موسى على صداقٍ خمسمائة ألف درهم ، وتعجيل مائة ألف دينار .

وقبض القراريطيّ على جماعة من الكتّاب وصادرهم .

وقَبَض على أبي القاسم بن زنجيّ ، فامتنع من الغذاء أياماً ، وبقِيَ لا يتكلّم ، فحمله إلى منزله خوفاً عليه من حادثة فى اعتقاله ، وظنّه أنه يموت من يومه ، ووكّل به فى منزله فدبَّر أمره واستتر .

وقُبِض على أبي الفتح بن داهر العامل ، وكان يوسّع على المكلّفين الموكّلين ويسقيهم الشراب ، فأطعمهم يوماً قطائف منبج ، فقام وهرب .

وأحدث القراريطيُّ سَوْماً فى الظلم ، فلم يمهله الله تعالى ، فعبر إلى دار ناصر الدولة فقبض عليه وعلى أصحابه ، فكانت وزارته ثمانية أشهر وستة وعشرين يوماً .

وفى جمادى الأولى هرّب قطعة من الجيش إلى البريديّ .

وأغاث الله تعالى الضعفاء عند تعذر الخبز بجرادٍ أسود ، فبيع كلّ خمسين رطلاً بدرهم .

وزارة أبي العباس الأصفهانيّ

ولمّا قبض ناصر الدولة على القراريطيّ جعل الوزارة إلى أبي العباس أحمد بن عبد الله الأصفهانيّ ، وخلع عليه المتّقى خلع الوزارة ، ولبس القَباء والسيف والمِنْطقة ، وأبو عبد الله الكوفى المدبّر للأمور.

وصادر القراريطيّ على خمسمائة ألف درهم ، وحُمِل إلى دار ابن أبى موسى الهاشميّ .

وكان ناصر الدولة ينظر فى أحوال الناس كَمَا[1] ينظر أصحابُ الشُّرط ، وتقامُ الحدودُ بين يديه.

وصار عدْلٌ ، حاجب[2] بَجْكم بعده إلى ابن رائق، وبعده إلى ناصر الدولة، فقلّده الرّحبة ، واستولى عليها وكثُر أتباعه ، فأنفذ ناصر الدولة ببدر الخرشنى لحرْبه .

فلمّا صار بدر بالدّالية ، توقّف عن المسير إلى عَدْلٍ ، وكاتب الإخشيد محمد بن طُغْج وهو بدمشق يستأذنه فى المسير إليه ، فأذِن له وأنفذ إليه القِرَبَ والجِمال والروايا ، فسلك بدر البرية ، ووصل دمشق ، فقلّده الإخشيد المعاون بها ، وجُعلت الرَّحبة وأعمال الفرات لعَدْل ، وعامله أبو على النّوبختى .

وحصل لعدلٍ من المصادرات ألفى ألف درهم ، فاتّسعت يده ، وكثر رجاله ، وأقبل الدَّيلم والأتراك يقصدونه من بغداد فى المرقّعات فخلَع عليهم .

وتمت على عدلٍ الحيلة من سهلون كاتب ناصر الدولة ، لأنه أراد المضىّ إلى يانس المؤنسى بالرّقة ، فمنعه عدلٌ من ذلك ، فقال له سهلون : قد كثر أتباعك ولا يفىء بمؤونتكم ما فى يديك ، وأنا أكتب عن ناصر الدولة إلى يانس ، بتسليم الرَّقة إليك ، فتبعه على ذلك .

وبلغا الخانوقة[3] ، فقال له سهلون: الرأى أن أتقدمك إليه ، فطلب منه رهينة فقال :

(١) تجارب الأمم ٢ : ٣٨ : « وفيا ينظر فيه صاحب الشرطة » .

(٢) فى الأصل : « صاحب » ، وما أثبته عن ابن الأثير . وعبارته : « وسبب ذلك أنّ عدلاً صار بعد قتل بجكم مع ابن رائق » .

(٣) الخانوقة : مدينة على شاطئ الفرات ، وفى الأصل : « الحالوقة » تصحيف صوابه من معجم ما استعجم ٤٨٥ .

إن رآك وقد أخذت رَحْلى فطِن ، فتركه ، فلما حصل بالرّقة مع يانس كاتبا بنى نُمير .

فلمّا عرف عدل الصورة ، سار إلى نصيبين ، فلقيه الحُسَين بن سعيد بن حمدان ، فاستأمن أصحاب عدْل إلى الحسين ، فأسره وابنه وسلّمهما وأنفذهما إلى ناصر الدولة وشَهّرهما على جملين .

وحصل سيف الدولة بواسط ، ودافعه أخوه ناصر الدولة بحمل المال .

وكان توزون (١) وجوجوج يسيئان الأدب عليه ، فضاق ذرعاً بتحكّمهما ، فأنفذ إليه ناصر الدولة أبا عبد الله الكوفى فى ألفى ألف درهم وخمسين ألف دينار.

فلمّا وصل إلى واسط ، قام توزون وجوجوج إلى الكوفىّ ، فشتماه وأسمعاه مكروهاً ، فخبأه سيف الدولة فى بيت وقال : أما تستحيان منى !

فلمّا كان يوم الأحد آخر شعبان كبس الأتراك سيف الدولة ، وأحرقوا سوادَه ، فهرب ولزم نهراً يقال له الجازور ، فأدّاه إلى قرية تعرف ببرقة ، ولزم البرية حتى وصل إلى بغداد وأتبعوه فرسخاً .

وعاد توزون وجُوجوج إلى معسكرهما .

ووصل الكوفىّ إلى بغداد لليلتين خَلَتَا من شهر رمضان ، ولقِىَ ناصر الدولة ، وعرَّفه الصورة ، فأصعد إلى الشماسية ، وركب المتقى لله إليه ، فسأله التوقّف عن الخروج من بغداد ، ونُهِبت داره رابع شهر رمضان .

وأفلت يانس غلام البريدىّ وعاد إلى صاحبه . فاستتر الكوفىّ وابن مقاتل .

وخرج الدَّيْلم إلى المصلى ، وضبط الأتراك الذين بالبلد بغداد ، ثم عاد الديلم .

ودبر الأمور القراريطىّ .

وانعقدت الرئاسة بواسط لتوزون ، بعد منازعة من جُوجوج له ، ثم تظاهرا ، وكانت مدة وقوع اسم الوزارة على أبى العباس الأصفهانى أحداً وخمسين يوماً ، ومدة إمارة ناصر الدولة أبى محمد الحسن عبد الله بن حمدان ثلاثة عشر شهراً وثلاثة أيام .

وتقدم تُوزون إلى جوجوج بالانحدار إلى نهر أبان ، وردّ البريدى عن واسط أنه قصدها .

---

(١) تجارب الأمم ٢ :٣٩ : « ويخجخ » .

ووافى رسولُ البريدىّ عيسى بن نصرٍ إلى توزون ، يهنّئه بالإمارة ويسأله أن يضمّنه أعمال واسط ، ويعرّفه أنّ الرّأى أن يعجّل إلى الحضرة ، ويُخْرِج ابن حمدان عنها ، فأجابه : إن عسكرى عسكر بَجْكم الذين جرّبت ، وإذا استقرت الأمور تكلّمنا فى الضمان ، وأتبعه جاسوساً يعرّفه ما يجرى بينه وبين جوجوج ، فعاد الجاسوس وعرّفه أن جوجوج على الاستئمان إلى البريدىّ ، فسار إليه توزون فى ثانى عشر شهر رمضان فى مائة من الأتراك فكَبَسه فى فراشه .

فلما أحس به ركب دابة النوبة ، وأخذَ لِتًّا[1] ودفع عن نفسه ، ثم أخِذ بعد ساعة وحمله توزون إلى واسط ، فسلّمه فى دار عبد الله بن يونس .

وزارة أبى الحسين بن مُقْلة

ولمّا انصرف ناصر الدولة من بغداد ، قلّد المتقى وزارته أبا الحسين علىّ بن محمد ابن مقلة ، وخلع عليه فى حادى عشر شهر رمضان .

وعاد سيف الدولة إلى بغداد ، فلمّا بلغ جرجرايا عرف سيف الدولة ذلك ، فأصعد عن باب حرب ، لسبع بقين من شهر رمضان ، ونزل دار مؤنس .

ولثلاثٍ بقين من شهر رمضان ، دخل البريدىّ واسطاً ، فأحرَق ونَهبت واحْتوى على الغلاّت .

إمارة توزون

وأقام توزون ، فخلَع عليه المتّقى وقلّده إمرة الأمراء ، وعقد له لواء ، فأسرف بالخلع إلى دار مؤنس ، واستكتب أبا جعفر الكرخىّ ، وقبض على جماعة من التجار وطالبهم بمالٍ .

وقبض على أبى بكر محمد بن الحسن بن عبد العزيز الهاشمىّ .

---

(١) تجارب الأمم ٢ : ٤٢ : « وفى يده لت » ، ولم أقف على معنى لت ولعله بعض الآلات الحربية .

واستتر منه ابنُ أبي موسى الهاشميّ لتحققه بناصر الدولة ، وكان قد أسر عند هزيمة سيف الدولة غلاماً حظيًّا عند سيف الدولة ، فأطلقه ووهبه لسيف الدولة ، وبعثه إليه حين حصل ببغداد ، فحَسُن[1] هذا الفعل من ناصر الدولة وسيفها ، حتى قال ناصر الدولة : قد قلَّدت توزون الحضْرة ، واستخلفتُه هناك ، فسكنتْ نفسه حينئذ .

وغلا السعرُ ببغداد ، حتى بيع أربعة أرطال بدرهم .

ووجّه بالديلم إلى قطيعة أم جعفر ، فكبسوا الدكاكين ، وأخذوا من الدقيق وَقْر زوْرقين عظيمين ، وواثبهم العامة .

وانحدر ثالث عشرَ ذى القعدة وخلّف ببغداد الترجمان .

وخطب ابنُ مقلة كتابة تُوزون لعمّه أبي عبد الله ، وأنفذ إليه هديةً ، منها عشرون ثوباً دَبِيقيًّا وعشرون رداءً قصباً ، وطيباً ، وذلك بعد أن استكتب توزون القراريطيّ وصرف النوبختى ، فلم يجب توزون إلى ذلك ، وقال : لا يحسن بى صرفُه بعد ثلاثة أيام من استخدامى له .

ووافاه بواسط ابنُ شيرزاد من البصرة فتلقّاه توزون فى دجلة وسُرَّ به ، وقال : يا أبا جعفر كمُلت إمارتى وهذا خاتمى فخذه ودبِّرنى بأمرك ، فأنت أبى ، فقبّل أبو جعفر يده .

فانصرف ابنُ شيرزاد إلى دار الصوفىّ فنزلها ، وأنفذ أبا الحسن طازاذ إلى الحضرة لخلعه ، وأنفذ معه صافياً غلام توزون فى خمسين غلاماً ، ليقوِّى يدَه وأمر بالقبض على القراريطىّ ، وأن يسلّمه إلى ابن مقلة ، ومطالبته بالعشرين ألف دينار .

وكان سبب تخلّص ابن شيرزاد من البريدى أن يوسف بن وجيه صاحب عمان ، وافَى البصرة فى ذى الحجة ، فى المراكب والشذاآت ، وغلب على الأبلّة ؛ فهرب ابنُ شيرزاد وطازاذُ وأبو عثمان سعيد بن إبراهيم كاتب بدر الخرشنىّ .

وانصرف يوسف ، وقد قارب أن يملِك البصرة ، حتى أتى البريدىّ بفلاح يعرف بالزبارىّ ، فقال : أنا أحرق مراكبه ، وكانت بالليل يُشَدُّ بعضها إلى بعض ، كالجسر فى عَرْض دِجْلة ، فاعتمد الزبارى إلى زورقين فملأهما زَعفاً[2]، وأضرمهما ناراً

(١) كذا فى الكامل ٦ : ٢٩ ، وفى الأصل : « إذ يحسن » .

(٢) تجارب الأمم ٢ : ٤٦ : « سعفاً » .

وأرسلهما ، فوقعت على المراكب ، فاشتعلت وتقطّعت وأُحرق مَنْ فيها ، وانتهب الناسُ منها مالاً عظيماً .

وهرب يوسف على وجهه ، واستشعر ابنُ مقلة الخوفَ من ابن شيرزاد ، وأوْقَع بين المتقى وتُوزون وقال : قد عزم على أن يأخذ منك خمسمائة ألف دينار كما أخذ من البريدىّ ، وقال : هذه بقية تركة بَجْكم .

ووافى ابن شيرزاد الحضرة فى ثلثمائة غلام ، ووصل إلى المتّقى ، وأشار عليه ابن مقلة والتّرجمان بالقبْض عليه فلم يفعَل .

وفى شهر رمضان وردَ الخبر بموت نَصْر بن أحمد صاحب خراسان ، وترتب ابنُه نوح فى موضعه .

واتّصلت الفتن ببغداد ، فانتقل كثير من تجارها مع الحاج إلى مصر والشام .

وورد من ملك الروم كتابٌ يلتمس فيه منديلاً ببيعة الرّها ، وذكر أن عيسى ابن مريم عليه السلام ، مسحَ به وجهه ، وأنه حصلت صورة وجهه فيه ، وأنه إن أنفذ إليه أطلق الأسارى ، فاستأمر ابنَ مقلة المتّقى ، فأمره بإحضار الناس ، فاستحضر علىّ ابن عيسى والفقهاء والقضاه ، فقال بعضُ من حضر : هذا المنديل منذ الدهر الطويل فى البِيعة ، ولم يلتمسْه ملك من الملوك ، وفى دفعه غضاضة على المسلمين ، وهمْ أحقّ بمنديل عيسى عليه السلام ، فقال علىّ بن عيسى : خلاص المسلمين من الأسْرِ أوجب ، فأمر المتّقى بتسليم المنديل وأن يخلّص به الأسارى ، وكُتِبَ بذلك عنه .

سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة

وافَى أبو عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان إلى باب حرب فى جيش كثير ، فخرج [إليه] المتّقى لله وحرمه وولده ، وابنُ مقلة وأبو نصر محمد بن ينال التّرجمان ، وخرج معه العمال والوجُوه ، وسلامة الطولونى وأبو زكريا السوسى وأبو محمد الماذرائىّ والقراريطى وأبو عبد الله الموسوىّ وغيرُهم .

واستتر ابنُ شيرزاد ونهب إقبال غلامُه بعضَ خزائن المتقى .

وظهر ابنُ شيرزاد من استتاره .

ووصل سيفُ الدولة إلى تَكْريت لأربع خلوْن من شهر ربيع الأول ، فتلقّاه الأمير أبو منصور ، وصار معه إلى المتقى لله ، وأشار بالإصعاد إلى الموصل ، فامتنع وقال : لِمَ توافقونى على هذا ؟

وأنفذ تُوزون حين بلغه الخبر موسى بن سليمان فى ألف رجل فنزل بالشمّاسية .

وعقد تُوزون واسطا على البريدىّ ، وأصعد فوصل بغداد عاشر ربيع الأول .

فعند ذلك ، أنفذ المتّقى حَرَمَه إلى الموصل ، وانحدر إليه ناصر الدولة فى بنى نمير وبنى كلاب وبنى أسد ، فتلقّاه المتقى وسارِ تُوزون إليهم ، إلى قصر الجصّ[1]، ودامَت الحرب فيه ، بين سيف الدولة وبين توزون ثلاثة أيام ، فانهزم سيف الدولة حينئذ ، وأصعد معه أخوه ناصر الدولة ، ونهب أعرابهما سوادَهما .

وملك توزون تكريت ، فشغب عليها أتراكه ، ولحق بعضهم بناصر الدولة ، فانحدر حينئذ تُوزون إلى بغداد ، وأنقذ بابن أبى موسى فى الصلح بينه وبين ناصر الدولة .

وانحدر سيفُ الدولة من الموصل ، ومعه الجيش للقاء توزون ، وكان تُوزون قد زوّج ابنته من أبى عبد الله البريدىّ .

وسار تُوزون إلى حَرْبَى[2] فالتقيا أوّل شعبان ، فانهزم سيفُ الدولة ، وسار

---

(١) تجارب الأمم ٢ : ٤٨ : « إلى قصر الجصّ بسرّ من رأى » .

(٢) حربى : بليدة فى أقصى دجيل بين بغداد وتكريت . ياقوت .

إلى الموصل فعند ذلك خرج أخوه ناصر الدولة والمتّقى لله وسائر مَنْ معهم إلى نَصيبين ، وخرج تُوزون وراءهم إلى الموصل ، ومعه ابنُ شيرزاد ، فاستخرج منها مائةَ ألف دينار .

وللنّامى يذكر وقعة سيف الدولة بتُوزون :

عَلَى رماحِك نصرُ الله قد نَــزَلا   فاسأل به يوم تَلقاك العِدى الأسَلاَ
إنْ ضلّ سعداً على مسراك مطلعُه   فقد دَعَتْه العِدى المرِّيخَ أوزُحَلاَ
يا ناصر الدِّين إنّ الدِّينَ فى وَزَرٍ   وموئِل المُلْك إن المُلْك قد وأَلاَ
هاتى صنائعَك الْحُسْنَى أبا حسنٍ   والَتْ لِمَنْ قد بَغَاكَ العَثْر والزَّلَلاَ

وسار المتقى لله إلى الرّقة فى حَرَمه وولده ، ووصلها أوّل يوم من شهر رمضان ، وأنْفَذ من هناك بأبى زكريا السوسىّ إلى تُوزون ، وقال : قل له : قد أوحشتْنى الظنونُ السّيئة من البريديّين ، وعرفتُ أنك وهم يد واحدة ، وقد عفا الله عما سلف ، فإن آثرت رضائى فصالح نصر الدولة وارجع إلى الحضرة ، فإن الأمور تستقيم لك برضائى عنك ، فقال أبو زكريا : (١) يا أمير المؤمنين إنى أخافه على نفسى ، فقال : إذا قصدت الصَّلاح كُفِيت ، فقلت له : فإن لم يتمّ الصلح أعود إلى وطنِى ؟ قال : قد أذنتُ لك ، فقبَّلْت يده(١) .

فلما جئتُ الموصِل ، همّ الأتراك بى ، وارتاب تُوزون بوصولِى ، فقلت : أيّها الأمير ، قدكنت أُسفِر بينك وبين ابنِ رائق ، فهل عرفتَنى إلا مستقيماً ؟ قال : صدقت : فقلت : أنا رجل سِنّى [كبير] وأرى طاعة الخليفة ، وخرجتُ معه احتساباً ، لا أطلب الدّنيا وقد أنفذني رسولا ، وأنتم أولادى ، ربّيتكُم وأرى الصلح. فأشار عليه ابن شير زاد بذلك .

ووردت الأخبار بمجىء معز الدولة إلى واسط ، فأحبّ تُوزون إتمام الصّلح .

وحصل لابن شيرزاد مائتا ألف دينار .

وعقد البلد على ناصر الدولة ثلاث سنين ، كلّ سنة بثلاثة آلاف ألف وستمائة ألف درهم ، ودخل تُوزون بغداد .

(١ – ١) « فقال أبو زكريا ، فلما وردت حضرة توزون اتهمنى وهمّ بقتلى فخلصنى ابن شيرازد » تجارب الأمم ٢ : ٤٩ .

وظهر ببغداد لصٌّ يعرف بابن حمدى ، فكان يعمل للعملات ، ورافَقه ابن شير زاد بعد أن خلع عليه ، على خمسة عشر ألف دينار ، فكان يؤدى الروزات [١] بها أوّلا أوّلا .

وكان أبو يوسف البريدى قد استوحش من أخيه ، فقال : قد حصل لأخى أبى عبد الله من واسط ثمانية آلاف ألف دينار بذّر فيها .

فصار فى بعض الأيام إلى دار أبى عبد الله من واسط ، فتلقّاه الغلمان وقتلوه .

وورد الخبر بأن نافعاً غلام يوسف بن وجيه صاحب عُمان قتل مولاه وملَك مكانه .

ودخل الرُّوم رأس عين ، وسَبَوْا من أهلها ثلاثة آلاف إنسان .

ووضع ابن شيرزاد على سائر مدائن بغداد ضريبَة ، وعمَّ الغلاء ، وصار ما كان يساوى فى أيّام المقتدر رحمه الله ديناراً يساوى درهماً .

وفى جُمادى الآخرة ، قبض أبو العباس الديلمىّ ، خليفة توزون ، على الشُّرطة ببغداد ، على ابن حمدان اللص ووسَّطه ، فخفّ عن الناس بعضُ المكاره بقتله .

وفى رجب مات أبو القاسم سليمان بن الحسن بن مَخْلد .

وقد قالوا : مريم بنت الحسن بن مخلد أبوها وزير ، تقلّد الوزارة ثلاث دفَعات ، وزوْجها القاسم بن عبيد الله ، وزير المعتضد والمكتفى ، وأخوها سليمان بن الحسن ابن مخلد ، تقلّد الوزارة للمقتدر والرّاضى والمتّقى ، وحموها عبيد الله بن سليمان وزير المعتضد ، وابنُها أبو علىّ الحسن بن القاسم بن عبيد الله وَزَرَ للمقتدر بالله .

وقد تقدّم قولُ الناس : امرأة يحلّ لها أن تضع قناعها بين يدى اثنى عشر خليفة ، كلّ لها محرم ، وهى عاتكة بنت يزيد بن معاوية ، أبوها يزيد وجدّها معاوية ، وأخوها معاوية بن يزيد ، وزوجُها عبد الملك بن مروان وأبو زوجها مَرْوان بن الحكم ، وابنُها يزيد بن عبد الملك ، وبنو زوجها الوليد وسليمان وهشام ، وابن ابنها الوليد بن يزيد ، وابن زوجها يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، وأخوه إبراهيم بن الوليد الّذى خُلِع .

وأصعَد معزّ الدولة من واسط ، على وعدٍ من البريدى فى نُصرته فلم يفِ [٢] .

---

(١) كذا فى الأصل وفى تجارب الأمم ٢ : ٥١ : «وروزات الجهبذ» ، وكلاهما غير واضح .

(٢) فى الأصل : «فلم يفى» .

وانحدر إليه توزون [محاربا] [١] فالتقيا [فى الموضع المعـروف] [١] بقبـاب حميد ، ودامت الحرب بينهم بضعة عشر يوماً وكان توزون يتأخر كل يوم ، وكَثُر القتلى فى الجانبين .

وعبر توزون [نهر][٢] ديالى ، واستولى على زواريق معزّ الدولة ، فضاقت عليه المِيرة ، فصارَ إلى جسر النهروان ، وعبر إليه توزون فى ألف عربىّ وخمسمائة تركىّ على غَفْلة ،وأخذ سوادَه ، وقتل من أصحابه خَلْقاً وأسر آخرين ، فى جملتهم ابنُ الأطروش المعروف بالدّاعى العلوىّ . وأبو بكر بن قرابة ، وكان قد وافَى مع الدَّيْلم ، فصُودر على عشرين ألف دينار ، وشُغِل توزون عن اتباعهم ما عاود من الصَّرَع [٣].

ونجا معز الدولة والصميرى ونفرٌ يسير بأسوأ حال .

ولليلة بقيت من شوال ، ورد الخبر بموت أبى طاهر سليمان بن الحسين الهجرىّ ، بالجُدرِىّ فى منزله بهَجَر ، فى شهر رمضان وصار الأمر لإخوته .

وكان ابن سنبر يُعادِى المعروف بأبى حفص الشريك ، وأحضَر رجلاً أصبهانيًّا ، فكشف له دفائن وأسراراً ، كان أبو سعيد [٤] كشفها لابن سَنْبر وحدَه ، من غير أن يُعلِم ابنَه أبا طاهر بذلك ، وقال الأصبهانى:امض إلى أبى طاهر [٥] ، وعرّفه أن أباه كان يدعو إليك وعرّفه الأسرار .

فلمّا أتاه وخبّره اعتقد صدقه ، وقام بين يديه وسلّم الأمر إليه ، فتمكّن وقتل أبا حفص ، وكان إذا قال لأبى طاهر : إن فلاناً قد مرض ، معناه شَكّ فى دينهم ، فطهّره، قتله أبوطاهر ولو كان أخوه . فخاف أبو طاهر على نفسه منه ، وقال : قد وقع لى فى أمره شبهة ، وليس بالرجل الذى يعرف الضمائر ويحيى الأموات ، وقال : إن أمى عليلة ، وغطّاها بإزار ، فلمّا جاء إليها الأصبهانى قال : هذه عليلة لا تبرأ فطهِّروها ،

---

(١) من تجارب الأمم ٢ : ٥٠ .
(٢) من الكامل ٦ : ٢٩٥ .
(٣) فى الأصل : « الرع » تحريف .
(٤) هو أبوسعيد الجنّابى ، كما فى تجارب الأمم .
(٥) هو سليمان بن الحسن بن أبى طاهر القرمطى أيضاً .

أى اقتلوها ، فجلست الأمّ ، فقال له أبو طاهر وإخوته : أنت كذّاب وقتلوه [١]

وكان له سبعة من الوزراء أكبرهم ابن سنبر .

وكان لأبى طاهر أخوان ، أبو القاسم سعيد بن الحسن ، وأبو العباس الفضل ابن الحسن ، وكان أمرهم واحداً ، فكانوا إذا أرادوا حالاً خرجوا إلى الصحراء ، واتّفقوا على ما يعملون ، فإذا انصرفوا تمّموا ما عوّلوا عليه ، وكان لهم أخ متشاغل باللّذات ، لا يدخل معهم فى أمورهم .

وفى هذه السنة تُوفّىَ أبو عبد الله البريدىّ ، بحمّى حادّة ، مكث به سبعة أيام ، وكان بين قتله لأخيه وبين موته ثمانية أشهر .

وانتصب ، أبو الحسين مكانَ أخيه ، فاستطال على أصحابه ، فمضى يانس إلى أبى القاسم ابن مولات[٢] ، وأخذ منه ثلثمائة ألف دينار ، ففرّقها فى الدّيلم حتى عقدوا له الرئاسة ، وكبَسُوا أبا الحسين بسماران ، فخرج من تحت ليلته ، وتنكّر ومضَى إلى الجعفرية ، ومضى إلى الهجرى فقبله ، وأقام عنده شهراً ، وسار معه أخو أبى طاهر ولم يتمكّنوا من دخول البلد ، فسفَرُوا بين أبى الحسين وبين عمّه فى الصلح ، وسألوه أن يؤمّنه ، فاختار الإصعاد إلى بغداد ، وكان من حاله ما يأتى ذكره .

واجتمع لشكرستان الدّيلمى ، ويانس ، على الإيقاع بأبى القاسم ، فلمّا خرج يانس من عند القائد اتّبعه بزوبين فى الليل ، فسلم منه وصار إلى خراب فأواه .

وكان أبو القاسم معوّلا على الهرب ، حين بلغه ما هُما به ، واستتر لشكرستان حين علم سلامة يانس .

وعُولِجَ يانس حتى بَرِئَ ، وصادره أبو القاسم على مائة ألف دينار ، وتلقّاه إلى عمان ، فلمّا صار فى الحديدى قتله غلمان أبى القاسم ، وتمكن أبو القاسم من الرئاسة .

وخرج فى هذه السنة ، عسكر الروسيّة إلى أذربيجان ، وفتحوا بَرْذعة ، وملَكُوها وسبوْا أهلها .

فجمع المرزبان بن محمد عسكره ، وأتته المطوّعة ، حتى صار فى مائتى ألف رجل ، فلم يقاومهم ، وكان أميرُهم يركب حماراً .

---

(١) فى الخبر غموض واختصار، وانظر تجارب الأمم ٢ : ٥٥ ، ٥٦ .

(٢) كذا فى الأصل ، وفى تجارب الأمم ٢ : ٦٠ « مولاد وابن مولاه » .

وكمن لهم المرزبان كميناً ، وهرب من بين أيديهم ، وسأل الناس العوْد ، فلم يعد أحد معه ، لِمَا تمكّن لهم فى النفوس من الهيبة ، فعاد وحدَه طالباً الشهادة ، فاستحى خلْقٌ من الديلم وعادوا معه ، فقُتِل أميرُهم وسبعمائة منهم ، وألجأهم إلى حصن .

ووقع فى الرّوسية الوباء حين أكلوا الفاكهة ، وكان الواحد منهم إذا مات ، كُفِّن بماله وسلاحه ، ودُفنت زوجته ومعه وغلامه إذا كان يحبُّه .

وأخرج المسلمُون ، لمّا مضوْا من قبورهم أموالا ، وحملوا على ظهورهم الأموال والجواهر ، وأحرقوا ما عدا ذلك ، وساقُوا النِّساء والصبيان ومضوْا إلى سُفُنٍ لهم .

واجتمع خمسةٌ منهم فى بستان ببرْذَعة فيهم أمرد ، ومعهم نسوة من سَبْى المسلمين ، فأحاط بهم المسلمون ، واجتمع قومٌ من الدَّيْلم عليهم ، ولم يصل إلى واحد منهم حتى قَتلوا من المسلمين أعداداً ، ولم يتمكَّن من واحدٍ منهم أسْراً ، وكان الأمرد آخر مَنْ بقى منهم ، فقتَل نفسَه .

وظهر للمتّقى من بنى حَمْدان ضجرٌ بمقامه عندهم ، فأنفذ بالحسن بن هارون وأبى عبد الله بن أبى مـوسى إلى تُوزون فى الصّلح ، فتلقّى ذلك بأحسن لقاء ، وحلف له ولابن مقلة بمحضرٍ من الناس .

سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة

أتى الأخشيد حلب ، فاستولى عليها ، وانصرف عنها أبو عبد الله الحسين بن سعيد ابن حمدان إلى الرّقة ، فلم يوصله المتّقى ، وغلّق أبوابَ البلد دونه ، فمضى إلى سيْف الدولة وهو بحرّان .

وأتى الأخشيد إلى الرّقة فخدَم المتّقى ، ووقف بين يديْه ، ومشى قُدّامه حين ركب ، فأمره بالركوب فلم يَفْعل ، وحمل إليه أموالا ، وحمل إلى ابن مقلة عشرين ألف دينار ، ولم يَدَعْ كاتباً ولا حاجباً إلاّ برّه .

واجتهد بالمتّقى ، أن يسير معه إلى مصر والشام فلم يَفْعل ، وأشار عليه بالمقام مكانه فلم يَقْبل .

وانحدر المتقى إلى هيت ، فأقام بها ، وأنفذ بالقاضى الخرَقى ، حتى جَدّد على توزون الأيمان والعهود والمواثيق ، بعد أن لُقِّب تُوزون بالمظفَّر .

وخرج توزون إلى السِّندية[١]، فلمّا وصلها المتّقى ، ترجّل له وقبّل الأرض بين يديه ، ووكّل به وبالوزير ، وارتجّت الدنيا بفعله ، ثم سَمَله[٢].

وكان المتقى يَتَألّه[٣]ويصلّى ويصوم كثيراً ، ولم يشرب النبيذ قَطّ ، وكان فيه وفاء وقناعة ، [و] لم يتحظ غير جاريته الّتى كان يتحظّاها قبل الخلافة .

ولما تمكّن ، استوزر كاتبه ابن ميمون قديماً ، ولم يَغْدِر بأحد ، وكان برّ النَّفس ، حسن الوجه ، وهرب وعنده ألف ألف دينار أخذها من بَجْكم ، ولم يُحْسن التدبير ولم تُنْهَب دارُ خليفة قبله .

قال ثابت بن سنان : وحدثنى أبو العباس التميمىّ الرازىّ – وكان خصيصاً بتُوزون –

---

(١) فى الأصل : « السدية » تحريف . والسندية ، ذكرها ياقوت ، وقال : قرية من قرى بغداد على نهر عيسى بين بغداد والأنبار .

(٢) سمله : فقأ عينه بمسمار أو حديدة محماة .. وانظر قصة غدر توزون فى تجارب الأمم ٢ : ٧٣ – ٧٥ .

(٣) يتأله : يتعبد .

أن إبراهيم الديلميَ سألني المصيرَ إلى دعوته ، وكان ينزلُ بدار القراريطيّ ، فجئتها وهي مفروشة ، فلما جلستُ قال : اعلم أنّي خَطَبْتُ إلى قوم ٍ وتجمَّلت عندهم ، بأن ادّعيت أن لى منزلةً من الأمير ، فقالت [لى](1)المرأة : إذا كنتَ بهذه المنزلة ، فإنّى أدلّك على شيء يعمّم صلاحُه الأمَّةَ ، وينفعك عند الأمير ، فقلت ما هو ؟ قالت : فإن هذا الخليفة المتّقى ، قد عاداكمْ وعاديتُموه ، واجتهَد فى هلاككم ببنى حمدان وبنى بُويه ، فلم يتمّ له ما أراد ، ولا يجوز أن يصفُوَ لكم ، وها هنا رجل من ولد الخلفاء يرجع إلى دين ورَجْلة (2)، فهل لكم أن تنصّبوه للخلافة وهو يثير(3) أموالا عظيمة .

وأطالت الكلام ، فَهَوَسَتْنِى(4) ، فعلمت أنّ محلّى لا يبلغ إلى مثل ذلك ، وكرِهْتُ أنى أكذب نفسى فى ادعاء المنزلة التى ذكرتُها ، فأطمعتُها فى ذلك بك ، وقد أطلعتُك عليه ، فقلت : أريد أن أسمع كلام المرأة ، فجاءنى بامرأة تتكلّم بالعربية والفارسية ، من أهل شِيراز ، جَزْلة شَهْمة فَهِمة ، فخاطبتْنى بنحو ما خاطبنى به [الرجل](5) فقلت [لها](5) : أريد أن ألقى الرجل ، فأتتْنى به فى خُفٍّ وإزار ، من دار ابنِ طاهر ، وعرّفنى أنّه عبد الله بن المكتفى [بالله] .

فرأيت رجلاً حَصِيفاً ، ورأيتُه يميل إلى التّشيّع ، ورأيتُه عارفاً بأمر الدنيا ، وضَمِن ستمائة ألف دينار يستخرجها ويُمَشّى بها الأمر ، ومائتى ألف دينار للأمير توزون ، وقال : أنا رجل فقير ، وأعرف هذه الأموال عند أقوام عندهم ذخائر الخلافة .

فصرت إلى تُوزون ، ولقيت أبا عمران موسى بن سليمان ، فأطلعتُه على الحال ، فقال : إنى لا أدخل فى هذه الأمور ، فلما آيسَنِى حلَّفته على الكتمان ، واستحلفتُ توزون على الكتمان بالمُصحف ، وأخبرته ، فطلب الرّجل أن يُبصِره،فقلت : بشرط أن تكتُمَ الحالَ من ابن شير زاد .

وأتى توزون معى إلى دار موسى بن سليمان ، فلقيَه هناك وخاطبَه وبايعَه .

فلمّا وصل المتقى لله إلى السِّندية ولقيه توزون ، قلت له : إن كنتَ عزمتَ على

(1) من تجارب الأمم ٢ : ٧٣ .

(2) تجارب الأمم ٢ : ٧٣ : « رجلته » . والرجلة : القوة على المشى .

(3) كذا فى تجارب الأمم ٢ : ٧٦ ، وفى الأصل : « يثر » .

(4) الهوس : طرف من الجنون .

(5) من تجارب الأمم .

إتمام ذلك الأمر فافعله الآن ، فإنه إن دخل بغداد ، تعذّر عليك الأمر ، فوكّل به .

وكانت المرأة التى سفرت للمستكفى المعروفة بعلم الشِّيرازية ، حماة أبى أحمد الفضل الشيرازىّ ، وصارت قَهْرمانة المستكفى ، واستولتْ على الأمور.

وكان سَمْل المتّقى وخلْعُه فى صَفَر .

خلافة المستكفى بالله

أبى القاسم عبيد الله بن المكتفى بالله بن المعتضد بالله ، أمه رومية اسمها غُصْن ، ولِى الخلافة ، وسنّه يومئذ إحدى وأربعون سنة وسبعة أيام ،وكان فى سنّ المنصور يوم وُلِّىَ ، وكانت خلافته سنة وأربعة أشهر .

فقلّد أبا الفرج محمد بن علىّ السرمزراىّ الوزارة ، ولم يكن إليه غير اسم الوزارة ، وأبو جعفر بن شيرزاد النّاظر فى الأمور .

وخلع على تُوزون ، وطوّقه وسوّره ، ووضع على رأسه التاج المرصّع بجواهر ، وجلَس بين يدى المستكفى بالله على كُرْسِىّ .

وفى شهر ربيع الأول ، تقلّد القاضى أبو عبد الله محمد بن عيسى المعروف بابن أبى موسى الضرير القضاءَ بالجانب الشرقىّ من بغداد ، وتقلّد أبو الحسن محمد ابن الحسن بن أبى الشّوارب القضاءَ فى الجانب الغربى منها .

وطلب المستكفى بالله الفضلَ بن المقتدر طلباً شديداً ، فاستتر منه ، فأمر بهدم داره الّتى على دِجْلة ، بدار ابن طاهر ، فهُدِمَتْ ، فلم يبق منها غير المُسَنَّاة[1] . وما زال فى أيّام المستكفى مستتراً ، فلما هدِم داره ، قال علىّ بن عيسى : اليوم بايعْ له بولاية العهد .

وقد ذكرنا حال أبى عيسى البريدى وهربه من أبى القاسم ابن أخيه ، فورد الحضرة بعد ما أمّنه أبو القاسم ، واختار الإصعاد إليها ، فوصلها فى شهر ربيع الأول ، ولقى تُوزون ، ونزل دار طازاد ، التى كانت بقصر فرج على دجلة ، وسَعَى فى ضمان

(١) المسناة : سد يبنى لحجز الماء .

البصرة إذا سيّر معه توزون جيشاً ، وأوصله توزون إلى المستكفى ، فخلَع عليه خلعاً سلطانية ، وسارَ الجيش معه إلى داره .

فبلغ ذلك ابنَ أخيه ، فأنفذ إليه توزون مالاً أقرّه به على عمله .

وبلغ ابن شيرزاد أنّ أبا الحسين يخطب كتابةَ توزون ، فتوصّل إلى القبض عليه ، وضُرِب بدار صافى مولى تُوزون ضرباً مبرّحاً ، وقُرِض لحم فخذيه بالمقاريض ، وانتُزِعت أظافره .

وكان أبو عبد الله بن أبى موسى[١] ، أخذ أيام ناصر الدولة فتوى الفقهاء بإحلال دم أبى الحسين[٢]، فأظهرها فى هذا الوقت .

فلما كان فى آخر ذى الحجة جلس المستكفى ، وأحضر القضاة والفقهاء ، وأحضر البريدىّ ، وبَسط النِّطع وجرّد السيف ، وحضر أبو عبد الله بن أبى موسى يقرأ ما أفتى به واحد واحد ، من إباحة دمه على رءوس الأشهاد ، وأبو الحسين يسمع ذلك ورأسه مشدود إلى جثته[٣] ، فأمر المستكفى بضرب عُنُقه من غير أن يحتج لنفسه بحجة .

وأُخِذ رأسُه وطِيف به فى بغداد ، ورُدّ إلى دار السلطان ، وصُلِبَتْ جثته على باب الخاصّة على دِجْلة ، فى الموضع الذى كان حديديه مشدوداً فيه ، فكان هذا خاتمة أمور الثلاثة ؛ وعُقْبى ما ارتكبوه من الظّلم وأهله ، ومن البلاء كله .

ومضى سيفُ الدولة إلى حلب ، بعد انصراف أبى بكر محمد بن طُغْج الإخشيد ، وبها يانس ، فتركها ومضى إلى الإخشيد ، وتسلّم سيف الدولة حلب .

وفى شهر ربيع الأوّل ، كان لسيف الدولة وَقْعة مع الروم ، رُزِق الظَّفَر فيها .

وأطلَق توزون أبا الحسين بن مُقْلة ، بعد أن صادره على ثلاثين ألف دينار .

ثمّ قبض على أبى الفرج السرمزراى[٤]،وصادره على ثلاثمائة ألف درهم ، فكان وقوع اسم الوزارة عليه اثنين وأربعين يوماً .

---

(١) فى تجارب الأمم : « أبو عبد الله محمد بن أبى موسى » .

(٢) أبوالحسين البريدى كما فى تجارب الأمم .

(٣) فى الأصل كلمة غامضة .

(٤) فى تجارب الأمم : « السامرى » .

وخرج القاهر إلى جامع المنصور ، ملتفًّا فى قطن يتصدّق ، ورآه ابنُ أبي موسى ، فمنعه بالرّفق وأعطاه خمسمائة درهم ،وقصد القاهر بذلك التّشنيع .

وأنفِذت إلى أبي القاسم البريدىّ الخلَع ، وذلك فى جمادى الآخرة .

وعزم المستكفى على الخروج مع تُوزون ، حين أخّر ناصر الدولة المال ، فسفَر أبو القاسم بن مكرم ،كاتب ناصر الدولة فى الصلح ، وحمل مالاً تقرّر .

وأخذ ابن شيرزاد خطوطَ النّاس بمال الضمان ، فدخل إليه أبو القاسم عيسى ابن علىّ بن عيسى فقال : اكتب عن والدك بألف دينار ، فكتَب ومضى إلى أبيه ، فأدّى خمسمائة ، وركب إلى ابن شيرزاد ، فخرج إليه أبو زكريا السوسى وطازاد مُعْتذِرين ، فقال علىّ بن عيسى : إنّى أريد أن ألقاه ولا أخاطبه فى البقية ، فمضى وعاد إليه ، [و] قالا إنه يستحيِي من لقائك ، فانصرف علىّ بن عيسى كئيباً من المذلّة أكثر من كآبته بالعزم .

وكان هو الّذى اصطنع ابنَ شيرزاد .

وخرج تكين الشيرزادى صاحب تُوزون إلى جزيرة بنى غبر ، وعاد إلى جسر سابور ، وأمر أصحابه بالتقدّم إلى واسط ، وأُجلِس فى بُستانٍ يشرب ، فأحاط به عسكر البريدىّ فأسروه وحملوه إلى البصرة .

وفى رجب دخل أبو جعفر الصّيمرىّ واسطا .

ودخلها معزّ الدولة . ولما علِم انحدارَ تُوزون إليه مع المستكفى بالله ، انصرف عنها .

وراسل تُوزون البريدىّ ، فأطلق تكيناً وضمَّنه واسطا .

وأصعد المستكفى وتوزون إلى بغداد .

وورد كتاب نُوح صاحب خُراسان بفتحه جرجان وطبرستان ، وكان بها الحسنُ ابن الفيروزان الدّيْلمى ، وملك الرّى .

وانصرف ركن الدولة إلى أصبهان ونزل نوح بنيسابور .

وورد الخبر بانهزام سيف الدولة من الإخشيد ، وأتباعهم له إلى الرّقة ، وذلك بعد أن أخذ منهم حلب وملك دِمشق ، وأسَر منهم ألفى رجل ، ثم انصرف عنه أصحابه فكانت هزيمته .

سنة أربع وثلاثين وثلثمائة

فى المحرّم خرج ابن شيرزاد إلى هِيت ، فصالحه أبو المرجّى عمرو بن كلثوم مقدّمها على ثمانمائة ألف وخمسين ألف درهم ، يُسقِطُها على أهل البلد ، وأقام لأخذها .

فورد عليه الخبر بوفاة تُوزون فى ثانى عشر المحرم ، وأنه دفن بتربة يانس الموفقى .

وكانت إمارة أبى الوفا تُوزون سنتين وأربعة أشهر وسبعة وعشرين يوماً ، كتب له ابن شيرزاد سنتين وشهراً ، فعقد العسكرُ الإمارة لابن شيرزاد .

وانحدر عن هيت ، وخلّف بها غلامه إقبالا ، فقبلوه ، وحلف له المستكفى بحضرة القضاة والعدول والعسكر ، وأنفذ ابنَ أبى موسى إلى ناصر الدولة ، فعاد من عنده بخمسمائة ألف درهم ودقيق ، فلم يكن لها موقع ، لغلاء السعر وانتشار الأمر .

وقسّط ابن شيرزاد على الكتاب والعمّال والتجار أرزاق الجند ، وكان فى البلد ساعيانِ ، يُعرفان بهاروت وماروت ، يسعيان إليه بمن عنده قوتٌ لعياله فيأخذه ، فصار البلد محاصَراً بهذا الفعل وبالضرائب التى قرّرها ، وانقطع الجَلَب .

وكان من جملة مَنْ صادر أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد العزيز الهاشمىّ ، أخذ منه عشرة آلاف دينار .

وقبض المستكفى على القاضى ابن أبى الشوارب ، ونفاه إلى سُرَّ مَنْ رأى ، وقسّم أعماله ، فولّى الشرقية أبا طاهر محمد بن أحمد بن نصر ، وولّى المدينة أبا السائب عتبة بن عبيد .

وكان إلى أبى عبد الله بن أبى موسى الهاشمى القضاء بالجانب الشرقىّ ، فدخل عليه اللصوص فى شهر ربيع الآخر فأخذوا أمواله وقتلوه ، فولِىَ أبو السائب مكانه .

وورد الخبر بوقوع الصُّلح بين سيف الدّولة والإخشيد ، وسلّم إليه سيف الدولة حلب وأنطاكية ، فتزوج ابنةَ أخيه عبيد الله بن طُغْج ، وتوسّط ذلك الحسن بن طاهر العلوىّ ، فقال النّامى يمدحُ سيف الدولة :

فَتًى قسَّم الأيام بين سيوفِــــــهِ ... وبين طريفات المكارم والتُّلْــدِ
فسوَّد يوماً بالعَجَاج وبالْقَنَـــــا ... وَبيَّض يوماً بالفضائل والمجْــدِ
سرى ابنُ طغج فى ثلاثين جَحْفَلاً ... وإحجامه فى الزَّحف عن فَارسٍ فرد
وكانت لسيف الدَّولة العزم عــادة ... إذا كَرَّ ألقى البيضَ حَدًّا على حَدِّ
أيا سائلى عن يومه اسمع فإنّـــه ... حديث المعالى قَصّه قَصَصُ الجهد
وقالت لها الهيجاءُ فى صدرِ سَيْفِــه ... وقد نهدت من صدر غير الشَّرى نَهْدِ
كأنك من ضغنٍ ودرعك مِنْ تُقًـى ... وطرفُك من رأيٍ وسَيْفُك من حِقْدِ
فأظمأْتهم والماء معترض لهـــمْ ... وأسقيتَهم ماءً على قَصَبِ الْهِنْدِ
ألم تر فرعوناً وموسى تنازعـــا ... فغودرت العُقْبى لذِى الحقّ لا الحشدِ
فغَرَّقَهُ فى الْبَحْرْ فاجعل فويقَهـــا ... لتغريقه كَالْبَحْرْ وامْدُدْه بالمـــدِّ
فلو جئتَ ثَمْداً ناصباً وَرفَدْتَــــهُ ... بجودك فاض البحرُ من ذلك الثَّمْدِ

وورد الخبرُ بموت أبى عبد الله الكوفىّ بحلب ، وقد تقدَّمَتْ أخباره .

وورد الخبر بوصول الأمير أبى الحسن معزّ الدولة إلى بَاجَسْرَى

وكان ابنُ شيرزاد قد استخلف بواسط ينال كُوشا ، فدخل فى طاعته ، فاستتر ابن شيرزاد حينئذ ، فكانت إمارتُه ثلاثة أشهر وخمسة أيام .

واستَتَرَ المستكفى ، حتى خرج الأتراك مصعدين إلى الموصل ، فظهر حينئذ وأتاه أبو محمد المهلبى[١] فخدَمه عن معزّ الدولة ، فى حادى عشر جمادى الأولى ونزل بالشمّاسية ، وأنفذ إليه المستكفى هدايا ، ووصل إليه بعد ثلاثة أيام ، فخلع عليه وطوَّقه،وعقد له اللواء ، وقلّده الإمارة ووقَف بين يدى الخليفة ، وأُخِذت عليه البيعه ، وحَلَف له بأيمان البيعة ، على أن يصون أبا أحمد الشيرازدىّ وحماته عَلَمَ القهرمانة ، والقاضى أبا السائب ، وولد ابن موسى ، وأبا العباس بن خاقان الحاجب .

ثم استخلف المستكفى ، الأميرَ أبا الحسين[٢] وإخوته ، ثم سأله فى أمر ابن شيرزاد ،

---

(١) هو أبو محمد الحسن بن محمد المهلبى ، صاحب معز الدولة ، كما فى ابن الأثير ٦ : ٣١٤ .

(٢) هو أبو الحسين معز الدولة وأخوه أبو الحسن على بن بويه عماد الدولة وأخوه أبو على الحسن بن بويه ركن الدولة ، كما فى تجارب الأمم ٢ : ٨٥ .

فأمّنه وحلف له ، ولبس الخلَع ولقِّب معز الدولة ، وكُنِّيَ ولُقِّب أخوه أبو الحسن علىّ عماد الدولة ، ولقّب أخوه أبو علىّ ركن الدولة ، وضربت ألقابهم على الدنانير ، وانصرف إلى دار مؤنس فنزلها .

ومن جملة دار مؤنس المدرسة النظامية اليوم . وظهر ابن شيرازاد ولقى معز الدولة . وقرّر المستكفى فى كلّ يوم خمسين ألف درهم لنفقته .

وكتب أبو عبد الله الحسين بن علىّ بن مقلة ، إلى معز الدولة رقعة يخطب فيها كتابته ، وكان قد ولّاها ابن شيرزاد ، فلم يؤثره عليه ، وقبض على أبى عبد الله .

وعملت علَم القهرمانة دعوةً عظيمة أحضرتها الديلم ، فقيل لمعز الدولة : إنها فعلت ذلك لتأخذ البيعة عليهم للمستكفى ، وعرّفوه أنها هى السبب فى ولايته ، فساء ظنه وانحدر إلى دار الخلافة ، كما جرت عادته ، وانحدر معه الصيمرى وابن شيرزاد ، وَوَقَفَا فى مراتبهم ، وكان أبو أحمد الشيرازى وولد ابن أبى موسى واقفيْن ، ودخل معز الدولة فقبّل الأرض ، وجلس على كرسىّ ، فأوصل رسول البريدىّ .

وتقدم نَفْسان[١] إلى المستكفى ، فظنّ أنهما يريدان تَقْبيل يده ، فمدّها ، فجذباه وطرَحاه إلى الأرض ، وحملاه إلى دار معزّ الدولة ماشياً ، وقبضوا على ابن أبى موسى وعلى علَم ، ونُهِبت الدار.

قال ابن البهلول : كنّا إذا كلمنا المستكفى ، وجدنا كلامه كلام العيّارين[٢] ، وكان جَلْداً بعيد الْغَوْر والحيلة ، وكان يلعب قبل الخلافة بالطيور ويرمى بالبندق ، ويخرج إلى البساتين للفرجة واللّعب ، وكان لا ينفُق عليه من الجوارى غير السودان ، ولا يعاشر غيرَ الرّجال .

وعزم معزّ الدولة على أن يبايع أبا الحسن محمد بن يحيى الزيدى العلوىّ ، فمنعه الصيمرى من ذاك ، وقال : إذا بايعته استنفر[٣] عليك أهل خراسان وعوام البُلدان ، وأطاعه الدّيلم ، ورفضوك وقبلوا أمره فيك ، وبنو العباس قوم منصُورون ،

---

(١) فى ابن الأثير ٦ : ٣٤٢ : « رجلان من الديلم » .

(٢) العيار من الرجال : الذى يخلّى نفسه وهواها ، لا يردعها ولا يزجرها .

(٣) فى الأصل : « استقرّ » تحريف .

تعتلّ دولتهم مرّة وتصِحّ مراراً ، وتمرض تارةً وتستقل أطواراً ، لأن أصلَها ثابت وبنيانها(١) راسخ .

فعدل معزّ الدولة عن تعويله ، وأحدر أبا القاسم الفضْل بن المقتدر بالله من دار ابن طاهر إلى دار الخلافة .

خلافة المطيع لله أبى القاسم الفضل بن المقتدر

كانت تسعة وعشرين سنة وأربعة أشهر .

بُويع له يوم الخميس لثمانٍ بقين من جمادى الآخرة ، أمه تدعى مشغلة(٢) ، وتُوفِّيَتْ في مستهلّ ذي الحجة سنة خمس وأربعين وثلثمائة ، بايعه معزّ الدولة ، وأحدر(٣) المستكفى إليه ، فسلّم عليه بالخلافة ، وأشهد على نفسه بالخلع ، وسُمِل واعتُقِل عنده .

وقام ابن شيرزاد بتدبير الأمر(٤) ، واستكتب على خاص [أمره] أبا الحسن طازاذ بن عيسى النصرانى ، واستحجب أبا العباس بن خاقان .

وأنشأ أبو العباس بن ثوابة يذكُر بيعتَه كتاباً إلى الآفاق .

وأقام معزّ الدولة لنفقته في كلّ يوم ألفيْ درهم .

وركب ومعزّ الدولة بين يديه والجيش وراءه ، إلى باب الشّماسية ، وعاد في المساء(٥) إلى دار الخلافة ، وصرف ابن نصر عن القضاء بالجانب الغربىّ ، وأعاد ابن أبى الشوارب .

وصادر ابنُ شيرزاد ابنَ أبى موسى وعلَم القهرمانة ، على أربعين ألف دينار ، وقطَع لسانَها وسلّمها إلى المطيع لله ، ولم يعارض أبا أحمد الشّيرزاى لقديم مودته .

ولما استولى ابنُ شيرزاد على الأمور ، قال أبو الفرج بن أبى هشام : بأىّ شىء نَفَق عليك ؟ وما يصلح لكتابةِ الإنشاء ولا لجبايةِ الخراج ، وإنما تَوَلّى(٦) ديوان النفقات ،

---

(١) فى الأصل : « وبيانها » تحريف .

(٢) فى تاريخ الخلفاء ٣٩٨ : « شغلة » .

(٣) فى الأصل : « حدر » .

(٤) فى الأصل : « الأمير » ، وفى تجارب الأمم ٢ : ٨٧ : « وقام بتدبير الأمور » .

(٥) فى الأصل : « الماء » .

(٦) فى تجارب الأمم ٢ : ٨٨ : « وإنّما ولى ديوان النفقات » .

وكتب لابن الخال تارةً وقد سألك المستكفى عَزْلَه بعد أن سألك فيه فلم تجب ، فقال : لَمّا رأيتُ عظيمَ لحيته ، قلت : لأن يكون هذا قَطّاناً أولى من أن يكون كاتباً ، ولكنْ رأيتُه قد ملك بغداد ، واستولى على الخلافة ، وصارَ لى نظيراً ، فأردتُ أن أحطّه من منزلة بعد أخرى ، حتى أجعله كاتباً لأحد قوادى .

وورد ناصر الدولة والأتراك معه إلى سرَّ مَنْ رأى .

ووافى أبو العطاف بن عبد الله بن حمدان ، أخو ناصر الدولة ، ونَزَل باب قطربّل ، وظهر له ابن شيرزاد وجماعة من العجم .

وكان معزّ الدولة قد أصْعِد ومعـــه المطيع إلى ناصر الدولة ، فتركهم ناصر الدولة وانحدر فى الجانب الشرقىّ ، ونزل مُقابل قطربّل ، فنهبَ الدّيلم تكْريت وسُرّ مَنْ رأى .

وانحدروا ومعهم المطيع لله إلى بغداد ، ومع ناصر الدولة الأتراك ، وقد جعلهم على مقدّمته مع أبى عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان ، وكان يخطب فى أعمالـــه للمستكفى وهو مخلوع .

ونزل معزّ الدولة فى قطيعة أم جعفر ، وأُنزِل المطيع لله فى دير النَّصارى .

وقد استولَى ناصر الدولة على السّفُن ، وجعلها بالجانب الشرقىّ ، فلحق النَّاسَ بالجانب الغربىّ مجاعة شديدة ، وكانت الأسعار بالشرقىّ رخيصة ، والقرامطة من أصحاب ناصر الدولة يعبُرون ويجُولون بين الدَّيْلم وبَيْن الْغَلّات .

فابتاع وكيل معزّ الدولة له كُرّ دقيق بعد الجهد بعشرين ألف درهم .

وكان ابنُ شيرزاد ، قد أثبت خَلْقًا من العيّارين ليحاربوا مع ناصر الدولة ، [وظفر] بكافور خادم معز الدولة فشهَّره ، فظفِر معزُّ الدولة بأبى الحسين بن شيرزاد فصلَبه حيًّا ، فأطلق أبو جعفر الخادم فحطَّ معزّ الدولة أخاه .

وكان جعفر بن ورقاء [يقول][1] لمعز الدولة : لقدْ سمعتُ أنّ رجلا يُعَدّ بألف رجل فلم أصدّق ، حتى رأيت ناصرَ الدولة ، وقد عَبَر بصافى التّوزونى لكَبْس معزّ الدولة ، فأنفذ إليه بى وبأبى جعفر الصيمرى وبأسفهدرست ، فرأيتُ أسفهدرست وقد هزمهم .

---

(١) زيادة يستقيم بها الكلام .

وبنى مُعِزّ الدولة فى [الحدق][(١)] نيِّفاً وخمسين زَبْزَباً ، وَعَبر فيها ، فانهزَمَ ناصرُ الدولة ، وملك الدّيلمُ الجانب الشرقىّ سَلْخَ ذى الحجة سَحَر يوم السبت ، وطرحوا النَّار فى المخرَّم ، ونهبوا باب الطاق وسوقَ يحيى ، وَهَرَب النّاس لِمَا أودعوه قلوبَ الدّيلم من السبّ ، فخرجوا حفاةً فى الحرّ ، وطلبوا عُكْبرا فماتوا فى الطريق .

قال بعضُهم : رأيت امرأةً تقول : أنا بنتُ ابن قرابة ، ومعى حلىّ وجواهر تزيد على ألف دينار ، فمَنْ يأخذها ويسقينى شربة ماء ؟ فما أجابها أحد ، وماتت وما فتّشها أحد ، لشغل كلِّ إنسان بنفسه .

وأمر معزّ الدولة برفع السَّيْف والكفّ من النهب ،

ولمّا وصل ناصر الدولة إلى عُكْبَرا ، ومعه الأتراك وابن شيرزاد ، أُنفِذ بأبى بكر ابن قرابة ، وطلب الصُّلح فتمّ ذلك .

وعرف الأتراكُ الحالَ ، فهمُّوا بالوثوب بناصر الدولة ، فهرَب إلى الموصل .

وقصد عيَّارٌ خيمة ناصر الدولة بباب الشماسية ليلاً ، فطفأ الشمعة ، وأراد أن يضع السِّكّين فى حلْقِه وهو نائم ، فوضعها فى المخدّة وظنّ أنه قتله ومضى إلى معز الدولة ، فأخبره فقال : هذا لا يُؤمَن ، ودفعه إلى الصيمرى وَقَتله .

وأكل الناس فى يوم الغلاء النَّوى والمِيتة ، وكان يُؤخذ البزر قطوناً ويُضْرَب بالماء ويبسط على طابق حديد ، ويوقد تحته النار ويُؤكل ، فمات الناس بأكله ، وكان الواحد يصيح : الجوع ! ويموت ، وَوُجِدت امرأة قد شوَتْ صبيًّا حيًّا فقُتِلَت .

وانحلّ السّعر عند دخول الغلاّت .

ونَظَر الصيمرىّ فيما كان ينظُر فيه ابنُ شيرزاد ، فاستخلفَ له أبا عبد الله بن مُقْلة ، فقبض على أبى زكريا السوسىّ ، والحسن بن هارون فشتَمهما، فقال الصيمرى : لم يكن غرضك غير التّشفِّى منهما .

وأطلق معز الدولة أبا زكريا السوسى ، ولم يُلزِمْه بشىء ، وألزم الحسن بن هارون خمسين ألف دينار ، وعزَل ابن مقلة ، وانفرد الصَّيمرى بالأمر ، وأقطع أصحابه ضياع السلطان وضياع ابن شيرزاد وضياع المستترين .

وفى شعبان انبثق فى البحر بثق الخالص والنَّهروان .

(١) من تجارب الأمم ٢ : ٩٢ .

وفى ذى الحجة مات الإخشيد أبو بكر بن طغج[١] بدمشق ، وتقلّد مكانه ابنه أبو القاسم .

وغلَب كافور على الأمر وكان ابن طُغْج جباناً شديد التيقظ فى حروبه ، وكان جيشه يحتوى على أربعمائة رجل ، وكان له خمسة آلاف مملوك يحرسونه بالليل بالنَّوْبة ، كلّ نَوْبة ألفا مملوك ، ويوكّل بجانب خيمته الخدم ، ثم لا يثق بعد ذلك فيمضى إلى خيَم الفراشين فينام .

قال التّنوخى : لَقّب الراضى أبا بكر محمد بن طُغْج أميرَ مصر بالإخشيد ، وسببُ ذلك أنّه فَرْغانىّ ، وكلّ ملك بفَرْغانَة يدعى إخشيد ، كما تدعو الرّوم ملكَها بقيصر ، والفرسُ بكَسْرى ، وشاهاً بشاه ، والمسلمون بأمير المؤمنين ، وملك أشروسنة صول ، وملك أذربيجان إصبهبذ ، وملك طبرستان يدعى سالار[٢].

وأبو بكر بن الإخشيد على مذهب الجُبّائى[٣]. كان جدُّه يدعى بحضرة المعتضد الإخشيد ، ولُقِّب علىٌّ ابنه بذلك ، وهو من أولاد الملوك بفَرْغانة .

---

(١) كذا فى تجارب الأمم ٢ : ١٠٤ .

(٢) ابن كثير ١١ : ٢١٥ : « أرسلان » .

(٣) هو محمد بن عبد الوهاب أبو على الجبائى ، من أئمة المعتزلة مات سنة ٣٠٣ ابن خلكان ١ : ٤٨٠ .

سنة خمس وثلاثين وثلثمائة

توفِّيَ هذه السنة علىّ بن عيسى بن داود بن الجراح ، وزير المقتدر بالله رحمهما الله ، وهو من دور قنى .

قال أبوسهل بن زياد القطان : كنتُ معه لما نُفِيَ إلى مكة ، فدخلناها فى حرٍّ شديد ، وقد كاد يتلف ، فطافَ وسَعَى ، وجاء فألقَى نفسه ، وهو كالميّت من الحرّ والتّعب ، وقَلِق قلقاً شديداً ، وقال : أشتهى على الله شَرْبَةَ ماء مثلوج ، فقلت : سيِّدنا أيده الله ، يعلم أن هذا مما لا يُوجد بهذا المكان ، فقال : هو كما قلت ، ولكنّ نفسى ضاقت عن ستر هذا القول فاسترحت إلى المُنَى .

قال : وخرجتُ من عنده ، فرجعت إلى المسجد الحرام ، فما استقررت فيه حتى نشأت سحابةٌ وكثفت ورَعدت رعداً شديدا متّصلا ، ثم جاء مطر شديد وَبَرَدٌ كثير ، فبادرتُ إلى الغلمان ، وقلت : اجمعوا ، فجمعنا شيئاً كثيراً وملأنا منه جِرَاراً .

فلما كان وقتُ المغرب وقد حان إفطاره ، جئته بذلك ، وقلت : أنت مقبل والنَّكبة ستزول ، ومن علامات الإقبال أنك طلبت ماء ثلج وهذا ما طلبته .

فأخذ يسقِى كلَّ مَنْ فى المسجد من المجاورين والصوفية السّويق بالسُّكّر والبلح ، ولم يشرب حتى مَضَى قطعةٌ من الليل وقد شربوا أجمع ، فقال : الحمد لله ، ليتنى كنت تمنَّيْت المغفرة ، بدلاً من الثلج ، فلعلِّى كنتُ أجاب .

ولم أزل به حتى شرب ، ومدحه بعضُ الشعراء فقال فيه :

بحسبك أنى لا أرى لك عائباً — سوى حاسدٍ والحاسدون كثيرُ
وأنّك مثل الغيث أمّا سحابُه — فَمُزْنٌ وأما ماؤه فَطَهُور

قال ابن كامل القاضى : سمعت علىّ بنَ عيسى يقول : كسبتُ سبعمائة ألف دينار ، أخرجت منها فى وجوه البرّ ستّمائة وثمانين ألفاً .

وحكَى هلال بن المحسّن ، قال : قال أبو علىّ بن محفوظ : لمَّا ورد معزُّ الدولة وأبو جعفر الصيمرىّ معه إلى بغداد ، أراد أبو الحسن علىّ بن عيسى الركوب إليه ،

وقضاء حقِّه ، فاتَّفق أنه نَزَل إلى داره ليجلس فى سميريّة[1] ، وأبو جعفر مجتاز فى طيَّاره ، وأنا وأخى وأبو الحسن طازاذ بن عيسى معه ، فقال لنا : مَنْ هذا ؟ فقلنا : الوزير أبو الحسن علىّ بن عيسى ، فقال لأبى الحسن طازاذ : قـدِّم بنا إليه فاسأله أن ينزل معنا فى الطيّار ، فقرُبنا منه وسلّمنا عليه ، فقال له أبو الحسن طازاذ : إلى أين توجّه سيدنا ؟ فقال : أشار فِتيانتا بلقاء الأمير الوارد ، وقضاء حقّه ، فعملت على ذلك ، فقال له : فينتقل سيدنا إلى الطيار فإنه أوْلَى ، فامتنع . ولم يزل يراجعه ، وكان معه ابنه أبو نصر ، فخاطبه حتى فعل وسهل عليه ذلك ، ونزل ، فقام له أبو جعفر الصيمرى عن موضعه ، وقد وصّانا ألاّ نعرِّفه إياه . وكان أبو نصر عرفه ، وأراد أن يُشعِر أباه ، فلم يدعه طاعةً لأبي جعفر . وسرنا مصعدين ، ووصلنا إلى معسكر معزّ الدولة بباب الشّماسية ، وقدِم الطيّار إلى المشرعة ، فقال أبو جعفر لأبى الحسن : تجلس يا سيدنا بمكانك ، حتى أصعد إلى الأمير وأعرّفه خبرك ، وأوذنه بحضورك ، فقال له : لك — أطال الله بقاءك — عند الأمير أثرة وبه أنسة ؟ قال : نعم ، وصعد،فلمّا صعد قال أبو نصر لأبيه : هذا الأستاذ أبو جعفر الصيمرى ، فارتاع وقال له : ألا أعلمتَنى ذلك لأوفِّى للرّجل حقه ! قال : منعنى أصحابنا ، وأقبل على طازاذ فقال له : لا أحسن الله جزاءك ، كذا يفعل الناس ، فقال : والله ياسيّدنا ما فعلت ما فعلته ، إلاّ لأنّ الأستاذ أمرنى به ، ولم تمكِّنى المخالفةُ له ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! وَوَجَم وُجوماً شديداً ، ثم قال : مَنْ هذان أعزهما الله ! وأشار إلىّ وإلى أخى ، فقال طازاذ أبناء محفوظ ، فاستثْبَتَه ، وقال : الذى كان يصحب جعفر بن الفرات؟ قال نعم ، فقال : قد كان جعفر من العمّال الظّلَمة .

ولما صعد الصيمرىّ إلى معزّ الدولة ، وجده على شراب ، فلم يقلْ له شيئاً ، وعاد إلى علىّ بن عيسى ، فنهض له وأعظمه ، وقال له : قد جَنَى علىّ أصحابُنا فى كِتْمانى موضعَ الأستاذ ، حتى كان من تقصيرى فى قضاء حقه مالم أعتمدْه ، وأنا أعتذر إليه أدام الله عزّه من ذلك ، فقال : فعل الله بك يا سيدنا وصنع ، وأى تقصير جرى؟فالتفتَ إلى طازاذ فقال : ألم أوصك بترك إعلامه أمرى ! فقال أبو نصر ولده : أعلمه ، وقد حصلت بين العتب أيها الأستاذ منك ومنه ، وقال له أبو جعفر : الأمير

(١) السيمرية : ضرب من السفن.

على حال لا يجوز لقاء مثلك عليها ، وهو يعتذر من تأخر الاجتماع باعتراض ما اعترض منها ، وإذا تكلّف سيّدُنا العوْد في غداة غدٍ ، لقيه ووفّاه من الحقّ ما يجب أن يوفّيه إيّاه ، والطيّار بباب كربابه . وانصرف أبو الحسن .

وعاد أبو جعفر إلى معزّ الدولة ، فقال له : وافى علىّ بن عيسى للقائك وخدمتك ، فاعتذرتُ إليه عنك بأنّك على نبيذٍ ، ولم يَجُزْ أنْ يراك عليه ، فقال : مَنْ ؟ علىّ بن عيسى فقال : وزير المقتدر بالله ؛ قال : ذلك العظيم ! قال : نعم ، قال : ما وجب أن تردّه ، فإنّى كنت أقوم إلى مجلسٍ آخر وألقاه فيه ، فقال : ما كان يحسُن أن يشمّ منك رائحةَ شراب ، وفى غد يُباكرك ، فقال معز الدولة : فكيف أعامله ؟ وما الذى أقول له ؟ فقال له الصيمرى : تنزعج له بعض الانزعاج ، وترفع مجلسَه ، وتُعطيه مخدَّةً من مخادّك وتقول له : ما زلتُ مشتاقاً إلى لقائك ، ومتشوقًا للاجتماع معك ، وأريد أن تُشيرَ علىّ فى تدبير الأمور ، وعمارة البلاد بما يكون الصواب فيه عندك .

وجاء أبو الحسن علىّ بن عيسى من غدٍ ، ودخل معزّ الدولة ، فوفّاه من الإجلال والإكرام أكثر مما وافقه عليه أبو جعفر ، وأعطاه مخدّة من دسته ، فقبلها أبو الحسن وقال له ما يقال لمثله ، فقال له معزّ الدولة : كنّا نسمع بك ، فيعظم عندنا أمرُك ، ويكثُرُ فى نفوسنا ذكرُك ، وقد شاهدتُ منك الآن ما كنتَ مؤثراً وإليه متطلعًا ، والدُّنيا خراب ، والأمور على ما تراه من الانتشار ، فأشِرْ علىّ بما عندك فى إصلاح ذلك .

فقال له أبو الحسن : هذه النّية منك أيّها الأمير داعية إلى الخير ، ومسهّلة للنجح ، وطريق العمارة ودرور المادة ، واستقامة أمر الجند والرعيّة والعدْل ، والّذى أهلكَ الدنيا ، وأذْهَب الأموال ، وأخرج الممالك عن يد السلطان خلافُه ، وإنّما يتأتّى الصّلاح وتطرد الأغراض بالولاة الموفّقين ، والأعوان الناصحين .

وحدثنا عمر بن شبّة قال : حدّثنا فلان — وذكر الإسناد عن النّبى صلى الله عليه وسلم — أنه قال : « إذا أراد الله بوالٍ خيراً قيَّض له وزير صدق ، إن غَفَل أذكَرَه ، وإن رقَد أيقظه ، وقد وفق الله للأمير من هذا الأستاذ ، — وأشار لأبى جعفر — مَنْ تَمّت فيه أسباب الكفاية ، وبانَتْ فيه شواهد المخالصة ، ويُوشك أن يجرِيَ الخيرُ على يده ويتأتّى المرادُ بحسن تدبيره .

فتراجع أبو جعفر عن [موضعه](١) ، وتوقّف عن تفسير هذا القول لمعزّ الدولة ، وفطِن معزّ الدولة أن توقّفه لأمرٍ كره ذكره ، فقال لأبي سهل العارض : انظرْ ما يقول ، ففسّر له تفسيراً لم يُفهم عنه ، ولا استوفَى القولَ فيه ، وتلجْلَج فى ذكر رجال الحديث حتى استفهم معزّ الدولة أسماءهم ، وقال : هؤلاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال أبو الحسن : لا ، هؤلاء رجال نقلوا لنا الحديث عنه .

ثم عاد أبو جعفر إلى التّرجمة بينهما ، وقال أبو الحسن : ومِنْ أولى ما نظر فيه الأمير وقدّمه ، سَدّ هذه البثوق التى هى أصلُ الفساد وخراب السواد ، فقال : وقد نذرت لله عند حضورى فى هذه الحضرة ، ألاّ أقدّم شيئاً على ذلك ، ولو أنفقت فيه جميع ما أملك ، قال : إذن يُحْسِن الله عونكَ ، ويذلِّل لك كلّ صعب ، ويُسَهِّل كلّ مراد بين يديك .

فلمّا انقضى القول بينهما فى ذاك ، قال معزّ الدولة ، أذكر حوائجك ، لأتقدّم فيها بما أقضِي به حقّك ، قال : الحاجة الحاضرة هى إلى الله تعالى فى أن يُطيلَ بقاءك ويديم عُلاك ، ومتى عرضتْ من بعدُ حاجة إليك ، كان المعوّلُ فيها عليك ، قال : لابدّ من أنْ تذكرَ شيئاً ، قال : حِراسة منازلى ، فإنها تشتمل على عدد كثير من بنين وبنات وعجائز وأهل وأقارب وأتباع وأصحاب ، قال : هذا أقل ما أفعله .

ونهض أبو الحسن ، وشيعه أبو جعفر ومشى الغلمان بين يديه .

وتوفى أبو الحسن بعد عبور معز الدولة ، وهزيمته ناصر الدولة بيومٍ ، فمضى أبو عمران موسى بن قتادة ، وكان معه مائتا رجلٍ من الدّيلم ، فنزل دارَه ، وركب الصيمرىّ إليها ، وقد فرغ من تجهيزه ، ووضع فى تابوته فصلّىَ عليه ، وقال لموسى : اخرج من هذه الدار ، فما يجوز نزولك فيها ، فقال : لا أخرج ، فقال : لا.لا أمكّنك منها ، فقال : لا أقبل منك ، قال : إذا لم تقبل أكرهتُك ، وتنابذا بالقول تنابذاً تولّدت منه فتنة ، واجتمع إلى موسى أصحابه ، وإلى أبى جعفر آخرون .

وعرفَ معزّ الدولة ذاك ، فبادر لإطفاء النائرة ، وقال للصيمرىّ : ليس هذا وقت ذاك ، قال : بلَى أيّها الأمير ، هذا وقته ، ومتى افتتحنا أمرنا بسقوط هَيْبَتنا استمرّ ذلك وبَعُد تلافيه ، وازداد الأمرُ مِنْ بعدُ وهناً ، والطمع استحكاماً .

(١) زيادة يقتضيها السياق .

فأخذ معز الدولة بيد موسى بن قتادة فأخرجه معه ، وقال له : يكون نزولك فى الدار التى أنزلها ، ولا تفتتح أمراً بما يقبح من انزعاج أولاد هذا الشيخ المشهور ذكره فى الدنيا وعياله عن منازلهم وأوطانهم .

وبقيت دور أبى الحسن على ولده ودور [ابن] أخيه أبى علىّ بن عبد الرحمن عليه فى حياته بفعل أبى جعفر ما فعله .

وكان علىّ بن عيسى لا يُخِلّ بالجُمَع ، ولما حُبِس كان يلبس ثيابه ويتوضأ ويقومُ ليخرج ، فيردُّه الموكّلون فيرفع يديه إلى السماء ويقول : اللّهم اشهد . وكان لا يفارق الدّرّاعة ولا يترك الوقار فى خَلَواته .

وحكى ابنه أبو القاسم : أنه كان يرتفع لأبيه من ضياعه فى كلّ سنة عند الاعتزال والعطلة بعد ما ينصرف فى نفقاته ، وما كان يصرفه إلى بنى هاشم ، وأولاد المهاجرين والأنصار ، فإنّ رسومهم عليه ، كانت نَيِّفاً وأربعين ألف دينار ، فكان الحاصل بعد هذا كله ، وهو يلزم منزله ، ثلاثين ألف دينار .

وكان حاصل ابن الفرات من ضِياعه إذًا تعطّل ألف ألف دينار ، وإذا وَزَرَ أضعِفَتْ .

وفى هذه السنة تمت إمارة معزّ الدولة أبى الحسين ، فكانت إمارته ببغداد إحدى وعشرين سنة وأحد عشر شهراً ويومين ، وذلك لمّا بعُد ناصر الدولة والأتراك وابن شيرزاد إلى الموصل ، واستُخلف المطيع لله ، ومضى إلى دار الخلافة ، وتقلّد أبو أحمد الشيرازى كتابتَه .

وتسلّم الخليفة من معزّ الدولة أقطاعاً بمائتى ألف دينار .

وكان أبو الحسين علىّ بن محمد بن مقلة يواصل معزّ الدولة فى أيام الحِصار بالهَدايا والأخبار ، فلما عَبَر إلى الجانب الشرقى حَمَى داره بها ، واستخدمه ، فأخذ فى المصادرات للتجّار والشهود . فصادف أحدُ العامة معزَّ الدولة منصرفاً منفرداً نصفَ النهار ، فعرّفه ما الناس فيه من الجَزَف ، فتقدّم بصرف ابن مقلة .

واحترقت دور ابن شيرزاد ، ودور أسبابه وأخيه ، وصودر على مائة وثمانين ألف ألف درهم .

وقلّد معزُّ الدولة الشُّرطةَ أبا العباس بن خاقان .

وورد الخبر باستيلاء ركن الدولة أبى علىّ على الرّى والجبَل .

واجتمع رأىُ الأتراك على الإيقاع بناصر الدولة ، فاستجار بأمّ ملهم حتى أمَرَتْ ولَدها بتسييره ، فسار ومعه ابنُ شيرزاد إلى مَرْج جهينة ، فلمّا أمِن سُمِل ابن شيرزاد .

وأمّرت الأتراكُ على نفوسها تكين الشيرزاذىّ َ وانفرد عنهم ينال كوساه ولؤلؤ ، واستأمنا إلى معزّ الدولة .

وغلب تكينُ والأتراك على الموْصل ، ومضى إلى سنجار ، ورأى ناصر الدولة ، فأنجد معزّ الدولة بأسفهدوست والصيمرىّ . والتقيا بتكين بالحديثة فى جمادى الآخرة واستؤسر تكين ، وانهزم أصحابُه ، وسار الصيمرىّ مع ناصر الدولة إلى الموصِل ، ودخل على الصَّيمرىّ خيمتَه ولم يَعُدْ إليه ، قال : لمَّا دخلتُها عليه علمت أنى قد أخطأتُ فبادرت بالانصراف . وندم الصيمرىّ عند خروج ناصر الدولة على تَرْك القبضِ عليه .

وسلّم إلى الصَّيمرىّ ابن شيْرزاد .

وضمن له طازاذ وأبو سعيد بن وهب النصرانىّ الكاتب — وهو الكاتب الذى مَدَحه ابنُ نباتة — خمسين ألف دينار على أنْ يطلقهما[1] فلم يفعل ، وسلّمهما إلى الصيمرىّ ، وكان الصيمرى مراعياً لطازاذ ، وأنفذ معهم تكين الشيرزادى مسمولاً ، وأنفذ ابنَه هبة الله بن ناصر الدولة رهينةً .

فلما وصلوا أطلق معزّ الدولة تكيناً ، وأقطعه أقطاعاً بأربعين ألف درهم .

وكتب أبو عبد الله بن ثوابة عن المطيع لله كتاباً بالفتح إلى عماد الدولة منه : فلم يسفر العَجاج إلا عن قتيلٍ مرسَل ، أو غريق معجّل ، أو جريح معطّل ، أو أسير مُكَبَّل ، أو مستأمن محصَّل ، أو حقيبة ملأها الله بلا تعب ، أو غنيمة أفاءها الله بلا نصب .

وكان مع ناصر الدولة قائد يقال له إبراهيم بن أحمد ، وأخوه صاحب خراسان ، فقتل ابنُ أخيه نوح بن نصر بن أحمد بعضَ أقارب أبى على بن محتاج ، فكاتبه أبو علىّ بن محتاج ، واستعانه على محاربة ابن أخيه .

ففارق ناصر الدولة بتكريت فى سبعين غلاماً ، فأنفذ إليه ناصر الدولة خِلَع الخليفة ولواءها مع جوجوخ التركى المسمول ولقَّبه .

(١) فى الأصل : « يطلقها » .

ومضى إبراهيم مــع ابن محتاج ، فهزَما نوحاً ، وملكَ إبراهيم ، ثم وقعت الوحشة بين أبى علىّ ، فمضى إبراهيم مستأمناً إلى ابن أخيه ، ومضى أبو علىّ إلى بلاد الصُّغْد .

وانتبهت رجال ابن شيرزاد ، لأن الصيمرى صَرَفه وطالبه بالأموال .

فاستخلف الصيمرىُّ بالحضرة طازاذ ، وانحدر فواقع أصحاب أبى القاسم البريدى ، فأسر خلقاً منهم .

وفى هذه السنة ، صُرِف أبو الحسن[1] بن أبى الشوارب عن القضاء بالجانب الغربىّ ، وأضيف إلى عمل القاضى أبى الحسن محمد بن صالح الهاشمىّ .

وفى النّصف من شعبان من هذه السنة ، خرجت العامّة لزيارة قبر الحسين عليه السلام وعُقِدت القباب بباب الطاق .

وورد الخبر أن سيف الدولة ، قبض على القراريطىّ ، واستكتب بعبده أبا عبد الله ابن فهد الموصلىّ .

وفى هذه السنة انقطعت قنطرة دهما بأسرها .

---

(١) تجارب الأمم ٦ : ١١٠ : « أبو الحسن محمد بن أبى الشوارب » .

سنة ست وثلاثين وثلثمائة

فى صفر انحدَر المطيع لله ومعزّ الدولة لمحاربة ابن البريدىّ، وسارا مِنْ واسط فى البرية إلى البصرة .

وأنفذ الصيمرى ومُوسى قتادة[1] فدَخلا دارَ البريدىّ بمسماران

ورَحل الخليفة ومعزّ الدولة ، فاستأمن إليه عسكر البريدىّ بالدرهمية .

وهرب أبو القاسم إلى هَجَر ، وقبض معزّ الدولة على أمواله وقواده وأحرق سُفُنَه .

ولما استولَى على البصرة ، قصد أخاه عماد الدولة بأرَّجان ، وكان يقف بين يديه ، واتفق وصولُه من عنده ووصول الصَّيمرى والخليفة إلى بغداد ، فى خامس عشر من شوَّال .

وورد الخبر ، بأنّ نوحاً صاحب خراسان ، عادَ إلى بخارى . وسَمَل عَمه إبراهيم ، وصار إليه ابن محتاج فى الأمان .

ولما وَرَد المطيع لله من البصرة ، وكان فى صحبته أبو السائب ، ولأَّه قَضاء القضاة ، وَصَرَف ابنَ أمِّ شيبان ، ولم يرتزق أبو السائب ، واستخلف أبا بشر عمر بن أكثم .

وورد الخبر بأنّ ركن الدولة فتح طَبَرستان وجُرْجان ، وهزم وشمكير بن زيار واستأسر من أصحابه مائة وثلاثة عشر قائداً .

وفى ذى القعدة ضمن روزبهان الدّيلمى السَّواد والضّرائب بعشرة آلاف ألف درهم ، واستكتب على ذلك ابن سنجلا .

وضمن الصّيمرىّ أعمالَ واسط ، واستكتب عليها أبَا الحسن طازاذ .

وفى ذى الحجّة ، خلع معزّ الدولة على هبة الله بن ناصر الدولة الّذى كان رهينةً عنده ، وأنفذه مع ابنِ قرابة إلى أبيه .

---

(١) تجارب الأمم ٢ : ١١٢ : = « فيادة »

سنة سبع وثلاثين وثلثمائة

ورد الخبر بانهزام سيف الدولة من الرّوم ، واستيلائهم على مَرْعش .

ودخل أبو القاسم البريدىّ بغدادَ فى الأمان ، فأقطعه معزّ الدولة أقطاعاً بنهر الملك بمائة وعشرين ألف درهم ، وأعاد عليه ضيعتَه المعروفة بفروخاباذ من بادوريا ، وأنزله فى الدار المعروفة بالموزه ، بمشرعة السّاج محتاطاً عليه .

وقبض على ابن أسهفدوسْت ، لأنه أشار على معز الدولة بمبايعة أبى عبد الله ابن الدّاعى ، فقال الصيمرى : إنه قَصَد أن يولّيَه الإمارة إذا صار الأمر إليه ، فكان ذلك سبباً لاعتقاله برامهرمز ، ومات بقلعتها مُعْتَقَلاً .

وأنفذ الصيمرى وروزهان إلى هِيت ، فقبضا على أبى المرجّى عمرو بن كلثوم ، واعْتُقِل ببغداد .

وأخّر ناصر الدّولة المال الّذى صولح عليه من معزّ الدولة ، فخرج معزّ الدولة طالباً له إلى نصيبين ، وأتى سيف الدولة أخاه ناصر الدّولة معاوناً له .

وسفر ابنُ قرابة فى الصلح ، على أن يَخْطُب ناصر الدولة لعماد الدولة ولمعزّ الدولة ولابنه بختيار ، وأن يحمل ابنه رهينةً ، ويؤدّى ثمانية آلاف ألف درهم فى السنة فتم ذلك .

وقال أبو الطيب المتنبى يذكر إنجاد سيف الدولة لأخيه فى قصيدة مَدَحه بها :

إنّ السعادة فيما أنت فاعلُــــه وُفِّقتَ مرتحِلا أو غيرَ مرتحِلِ(١)

أجْرِ الجياد على ما كنتَ مُجْرِيَها وخُذْ بنفسك فى أخلاقك الأوَلِ

يَنْظُرْن من مُقَلٍ أدْمَى أحِجَّتَها قَرْعِ الفوارس بالعسّالة الذُّبُــلِ

فلا هجمْتَ بها إلاّ على ظَفَــرٍ وَلاَ وَصَلْتَ بها إلاّ إلى أمــلِ

(١) ديوانه ٣ : ٤٢ .

واستولَى أصحابُ ركن الدولة على أذْرَبِيجان ، وخَلَتْ الرّيّ منهم ، فقصدها ابنُ قراتكين ، فأنفذ معز الدولة بِسُبُكْتُكِين ومعه القرامطة ، وأكثر الجيش وأمدَّه بروزهانَ معاونةً لأخيه ركن الدولة .

وفى ثانى شهر رمضان ، وهو الخامس من آذار ، بلغتْ زيادة دِجْلة إحْدَى وعشرين ذِراعاً وثُلُثاً ، فغرقت الضِّياع والدُّور.

سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة

فى شهر ربيع الأول مات أبو محمد الحسن بن أحمد الماذرائىّ الكاتب .

وفيه انحدر الصَّيْمرِىّ لمحاربة عمران بن شاهين، وهذا عمران من أهل الجَامِدة(١) جَنَى بها جنايةً ، فهرب من العامل ، وأقام بين القَصَب يصيد السمك ، ثم تلصَّص ، واجتمع معه جماعة من الصّيادين ، واستأمن إلى البريدىّ ، فقلّده الجامدة والأهواز ، فما زال أمرُه يقوى .

ولما انحدر الصيمرىّ لقتاله ، هَرَب من بين يديه ، فاستأسر الصّيمرىّ أهله وأولاده ، ولم يبقَ غيرُ استيلائه على البَطيحة ، فوردَ الخبر بموت عماد الدولة بشِيراز ، فكاتَب معزُّ الدولة الصيمرىَّ بالمبادرة إلى هناك ، فترك حرْب عمران وتوجّه .

وكان ركن الدولة قد وافَى أخاه عماد الدولة ، وسلَّما فارس إلى أبى شجاع فَنّاخسرو ابن ركن الدولة ، الملقّب بعد ذلك عُضَدَ الدولة .

وأنفذ الصيمرىُّ بأبى الفضل العباس فسانحس ، فقلَّده معزُّ الدولة الدواوين . ووافى سُبُكتكِين والجيش من الرّىّ .

وعاد الصيمرى من شِيراز ، وعاود محاربة عمران ، فمات بالمرمونىّ(٢) من أعمال الجامدة .

وكان الصّيمرىّ يحسد المهلَّبى ، على تخصيصه وأدبه ، فكان إذا جلس معه على الطعام ، رأى كلاَمه وفصاحتَه ، فيأمر الفراشين بعيْنه ، فيطرحُون المرقةَ على ثِيابه ، فكان المهلبىّ منغَّصاً به ، وكان يستصحب مع غلامه دائماً ثياباً يُغيِّر بها ما عليه .

وكان فى الصيمرىّ شجاعةٌ وقوّة نفس ، وهو الّذى فتح الجانب الشرقىّ لمعز الدولة ، لأنّ الديلم لم يقدم على العُبور ، فلمّا رأوا كاتباً قد تَقَدَّمهم أنِفوا .

وقال القاضى أبو حامد المروروذىّ : كنت واقفاً بين يدى معزّ الدولة ، فقال

---

(١) الجامدة : قرية كبيرة من أعمال واسط . ياقوت .

(٢) تجارب الأمم ٢ : ١٢٣ : « بالبزبوقى » .

للصيمرى : أريد خمسمائة ألف درهم لمهمٍّ ، فقال : من أين ؟ ودَخْلك لا يفِى بخَرْجك ، فقال : الساعة أحْبِسك فى الْكَنِيف ، حتى تحضر ما طلبتُه ، فقال : إذا حبستَنى فى الكنيف ، خريت لك بَقَرة وضربْتُها دراهم ، فضحك منه وأمسك .

ولما خرج الصيمرى فى هذا الوجه ، استخلف أبا محمد المهلبىّ ، فلما علم نفاقه عَلَى معزّ الدولة ، أطلق لسانه فيه ، فكان أبو محمد قد تيَقَّن أنه يهلكه على يد الصّيمرىّ ، فأنفذ إلى معسكره طُيوراً ، وأوْقَف مَنْ يكتب عليها أخباره ، فأتاه البرَّاج بطَيْر قد ابتلّ بالماء بكتاب لم يقف عليه ، فقال للصابئ : تلطَّفْ فى قراءته ، فقرأه بعد جَهد ، فإذا فيه هلاكُ للصَّيْمرِىّ ، فدخل إلى معزّ الدولة ، وعزَّاه وجلس للعزاء به .

وترشح للوزارة أبو علىّ الطبرىّ وهو عامل للأهواز .

قال التنوخى : من أعظم المصادرات مصادرة معزّ الدولة لأبى علىّ الحسن ابن محمد الطَّبرِىّ،صادره على خمسمائة ألف دينار ، فلما مات الصيمرىّ ، طمِع فى الوزارة ، وبَذَل فيها مَالاً عظيماً ، قَدَّم منه أوّل نوبة ثلثمائة ألف دينار ، فلم يرِن[1] عليه خروجُها ، فأخذها منه وقلّد المهلَّبىّ .

---

(١) كذا فى الأصل .

سنة تسع وثلاثين وثلثمائة

فى هذه السنة ، رَدّ القرامطة الحجَر الأسود إلى مكة ، وكان بَجْكم قد بذَل لهم إن ردّوه خمسين ألف دينار ، فلم يُجيبوه ، وكان بين قَلْعه وَردّه اثنتان وعشرون سنة .

وفى هذه السنة ، كانت وزارة أبى محمد الحسن بن محمد بن هارون المهلبىّ لمعزّ الدولة ، خلع عليه معزّ الدولة القَباء والسيف والمِنطقة ، وسارَ سُبُكتِكين بين يديْه إلى دار الخلافة ، فخلع عليه السَّواد والسَّيف والمِنْطقة .

وكان المهلبىّ ثقيل البدن ، ومشَى فى صحون الخلافة ، وقد أثقله ما عليه من اللباس ، فسقط بين يدى المطيع لله عند دُخوله من ذلك ، ومن شدّة الحر ، ووقَع على ظهره ، فأقيم وظن من معه أنه يُحْصر[1] بما جرى ، فتكلّم وأحسن وأطال فى الشكْر والقوْل ، وتمثّل بأبيات ، فتعجّب الناس من بديهته ، وركب إلى داره ، ومعه جميع الجيش وحجّاب الخلافة ، وداره هى الدار المعروفة بالمرشد ، ونزلها السّلطان ركن الدولة فى سنة سبع وأربعين وأربعمائة عند دخوله بغداد ، ونقضَها موفّق ، خادم القائم بأمر الله رضوان الله عليه فى سنة خمس وخمسين وأربعمائة وبنى بآلتها حجُرة للطيور ، بباب النوبىّ ، وعمّرها سعد الدولة الكهورانىّ ، فى سنة تسعين وأربعمائة ، ولما قُتِل وقفتها زَوْجَتُه نَقْد[2] ما كان نُقِضَ ما بقى فى الدّور الشاطبية بباب الطاق ، وما امتدّت يده من قصر بنى المأمون رضى الله عنه . ثم نَزَلها قَوام الدولة كريغا ، فى سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة ، ثم خلتْ بعد خروجه .

وقال أبو نصر عبد العزيز بن عمر بن نُباتة السعدىّ يمدح المهلّبى بقصائد منها :

دَعْ بين أثوابى وبَيْن وِسَادى ... شخصاً يصدّ فوارِسى وجِيادى

وقال فيه من أخرى :

أذم زياداً فى ركَاكة رأيِــــــه ... وفى قوله أىّ الرجال المهذبُ[3]

تكلّم والنُّعمان شمسُ سمائِــــه ... وكلُّ مليكٍ عِنْدَ نعمان كوْكَـبُ

(١) فى الأصل : « يحضر » بالضاد .

(٢) كذا فى الأصل

(٣) نقله فى مختارات البارودى ٢ : ١٧١ .

ولو أبصرَتْ عيناه شخصَك مَرَّةً لأبصر منه شمسَه وهو غَيْهَبُ

وفيها :

كَفَى وُزراء المُلْكِ فى الناس مَفْخَراً بأنّك منهم حين تُعْزَى وتُنْسَبُ

كان قد كَفَى الأبطال بأساً ونجدة بأنْ قيل منهم فى الْهَيَاج المهلَّبُ

وانحدر المهلّبى وروزهان لمحاربة عمران ، فهزمَهما واستأسر قُوَّادهما .

ومضى المهلّبى إلى البصرة .

وكاتب سيفُ الدولة الخليفة ، يستأذِنه فى الْغزْو ، فأذِن له ، فأَوْغَلَ فى بلاد الرُّوم ، وسبى وافتتح حُصوناً ، وعاد فى ثلاثين ألفاً ، فأخذ عليه الرُّوم الدَّرْب ، فلم يُفْلِتْ إلاّ فى عدد يسير ، وقال المتنبى قصيدة مِنْها :

قُلْ للدُّمُسْتقِ إن المسلمين لَكُمْ خانوا الأمير فجازاهم بما صَنَعُوا[1]

---

(١) ديوانه ٢ : ٢٢٩ .

سنة أربعين وثلثمائة

فيها تمّ الصلح بين عمران ومعزّ الدولة ، وقلّده البطائح ، وأطلق عياله المأسورين وأطلق القوّاد .

وورد الخبر بمعاودة ابن قراتكين(١) حربَ ركن الدولة بعد انهزامه ، ودخول ركن الدولة الرّىّ بعد أن تقابلا سبعة أيام .

وواصل ابن قراتكين الشُّرْب أياماً ، فمات فجأة ، وكُفِى ركن الدولة خَطْبَه بعد ما حلّ به وبعسكره من البلاء بحصاره .

وورد ابن وجيه صاحب عمان البصرة فقاتله المهلّبىّ ، وأخذ منه خمسةَ مراكب وهَزَمه ، ووصل المهلّبى إلى بغداد ومعه الأسارى والمراكب .

وفيها مات أبو القاسم الكلواذى بعد الفقر ، وقد مَضَتْ أخبارُه .

وفيها مات أبو الحسن عبيد الله بن الحسين الكرخى ، إمام أصحاب أبى حنيفة .

قال الخطيب : كان مع غَزارة علمه ، وكَثْرة روايته ، عظيمَ العِبادة ، كثيرَ الصَّلاة ، صبوراً على الفقر والحاجَة ، عزوفاً عما فى أيدى الناس . ولمّا أصابه الفالج فى آخر عمره ، حضره أصحابه فقالوا : هذا مرض يحتاج إلى نفقة وعلاجٍ ، وهو مُقِلٌّ ، ويجب ألاّ نبذله إلى الناس ، ونكتب إلى سيف الدولة فنطلب منه ما نُنْفق عليه ، ففعلوا ، وأحس أبو الحسن بما هم عليه ، فسأل عن ذلك ، فأخبِر به فبكى وقال : اللهمَّ لاتجعل رزقى إلاّ من حيث عَوَّدتَنِى ، فمات قبل أن يحمِل إليه سيف الدولة شيئاً . ثم ورد كتاب سيف الدولة ومعه عشرة آلاف درهم ، ووعد أن يُمِدّهُ بأمثالها ، فتصدّق أصحابُه بها .

ومات ليلة النصف من شعبان من هذه السنة ، ومولده سنة ستّين ومائتين ، وصلّى عليه القاضى أبو تمّام الحسن بن محمد الهاشمى الزينبىّ — وكان من أصحابه — بحذاء مسجده فى درب أبى زيد ، على نهر الواسطيّين ، وقد بقىَ من مسجده اليوم

(١) فى ابن الأثير ٦ : ٣٣٨ « وهو المنصور بن قراتكين » .

قطعةٌ من حائط القِبْلة ، يعرف اليوم بمقلع ابن صابر .

قال التَّنوخيّ : كان أبو زهير الجنّابى الفقيه ورعاً عارفاً بمذهب أبى حنيفة ، فدخل بغداد ، فبلَغه أخبارُ أبى الحسن الكرخىّ فى وَرَعه ، فلقيَه ، فقال : يا أبا الحسن ، بلَغنى أنك تأْخذ من السلطان رزقاً فى الفقهاء ، قال : نعم ، قال : ومثلُك فى علمِك ودينك يفعل هذا ؟ قال له أبو الحسن : أَوَلَيْس قد أخذ الحسن البصرىّ فى زمنِه ، وفلان وفلان ، فعدَّد خَلْقاً من الصَّالحين الفقهاء مِمّن أخذ من بنى أمية ، فقال أبو زهير : ذهاب هذا عليك أطرف ، بنو أمية كانَتْ مصائبهم فى أديانهم ، وجباياتهم الأموال سليمة ، لم يظلموا فى العُشْر ولا الخراج ، فكان الفقهاء يأخذون منهم الأموال مع سلامتها ، وهؤلاء الأمراء الذين تأخذ منهم أموالهم فاسدة ، مع أديانهم وجبايتهم لها بالظُّلم والغَشْم ، فسكت أبو الحسن ، ولم يأخذ شيئاً إلى أن مات .

سنة إحدى وأربعين وثلثمائة

ورد الخبر بدخول الرّوم سَروج ، وإحراقهم مساجدها وسَبْي أهلها .

وفيها بنى سيف الدولةَ مَرْعشاً(١)، فقال أبو الطيب المتنبي يمدحه بقصيدة :

فَدَيْنَاكَ مِنْ رَبْعٍ وإنْ زِدْتَنَا كَرْبا (٢)

يقول فيها :

هنيئاً لِهذا الثّغر(٣) رأيك فيهمُ ... وأنَّك حزبُ الله صِرْتَ له حِزْبا

فيَوماً لخيلٍ تَطْرد الرومَ عنهمُ ... ويوماً بجودٍ تطرُد الْفَقْر والْجَدْبا

سَرَاياك تَتْرى والدُّمُسْتُق هاربٌ ... وأصحابه قَتْلَى وأمواله نُهْبَى

أتى مَرْعشاً يَسْتقرب الْبُعْد مُقْبِلاً ... وأدْبَر إذْ أقبلت يستبعِدُ الْقُربا

وهَلْ ردَّ عنه بالُّلقان(٤) وُقُوفُه ... صدورَ العوالى والمطهَّمة القُبَّا

أرى كُلّنا يبغى الحياة لِسَعْيِه ... حريصاً عليها مستهاماً بها صَبَّا

فحبُّ الجبان النَّفْسَ أورده البقا(٥) ... وحبّ الشجاع الحرْبَ أورده الْحَرْبا

ويَخْتلِفُ الرِّزْقان والفعل واحدٌ ... إلى أن يرى إحسان هذا لذا ذَنْبَا

كَفَى عجباً أن يَعْجَبَ النَّاس أنّه ... أتى مَرْعَشاً تَبًّا لأَرْبابها تبَّا

وما الْفَرْقُ ما بين الأنام وبينَهُ ... إذا حَذِر المحذورَ واسْتَصْعَبَ الصَّعْبَا

لأمرٍ أعدَّتْهُ الخلافة للعِدَى ... وسَمَّتْه دون العالم الصَّارِمَ الْعَضْبَا

---

(١) مرعش : حصن بناه سيف الدولة .

(٢) القصيدة في ديوانه ١ : ٦٢ .

(٣) الديوان : « لأهل الثغر » .

(٤) اللقان : ثغر ببلاد الروم .

(٥) الديوان : التقى .

سنة اثنتين وأربعين وثلثمائة

ورد الخبر فى شهر ربيع الآخر ، بغزاة سيف الدولة وغنيمته وأسره لقسطنطين ابن الدُّمستق ، فقال النَّامى يمدحه بقصيدة منها :

ومن جَمَع الفخريْن فخر ربيعةٍ ... وفَخْر أبى الهيجاء كان بلا نِدِّ
يَمُرّ عليكَ الْحَوْلُ سيفُك فى الطِّلا ... وطِرْفُك ما بين الشَّكيمة واللِّبْدِ
ويمضِى عليك الدَّهْرُ فعلُك لِلْعُلَا ... وقولُك للتقوى وكَفُّك للرِّفْدِ
بنى الأصفر اصفرّت وجوهُ حُماتكمْ ... وقد رَدَّها فى البيض تحمرّ فى الرَّدِّ
فلم ترَ يوماً مثلكَ الخيلُ فارساً ... أجَرّ لخيلٍ فى الجهاد على الجُهْدِ
وقد سارَ فى الرُّوم الدُّمستق باغياً ... له ساعةٌ نكْراءُ فى نُوَبٍ نُكْدِ
فتسْقِى دمَ الأكباد وهى على ظماً ... وتخترم الأعمار وهْى على حِقْدِ
إذا حَبَسَتْ فى حدّ سيفك سخطَها ... توثّب أو تَلْقَى الظُّبَى مطلقَ الحدِّ
وكمِّن قسطنطين تَحْتَ صليبِه ... ومَدّ القنا من فَوْقِ أرْعَن مُعْتَدّ
كأنّك قد قَدَّمْت جنداً لهزمِها ... وقد سِرْتَ فى جُنْدٍ وحَزْمُك فِى جُنْدِ
وأسلم قسطنطين للأسْر بردَسٌ ... وولّى وقد خَدَّته فَوْهاءُ فى الْخَدِّ

وقال أبو الطيب قصيدة :

* لَيالِيَّ بَعْدَ الظَّاعِنِين شُكُولُ (١) *

فيها :

وما قَيْلَ سَيْفِ الدّولة اثَّارَ عَاشِقٌ ... ولا طُلِبَتْ عند الظَّلاَمِ ذُحُول

— قال ابن جنى : « اثّار افتعل » من الثأر ، وأصله اثتأر فأبدلت التاء ثاء لتوافقهما فى الشدّة وقرب مخرجهما ، وقال قيس (٢) :

---

(١) القصيدة فى ديوانه ٣ : ٩٥ - ١١١ .

(٢) هو قيس بن الخطيم والبيت فى ديوانه ٥

ثَأَرْتُ عديًّا والْخَطيمَ فلم أُضِـــعْ ... وصيّةَ أشياخٍ جُعِلْت إزاءهـــا

والذُّحول : جمع ذَحْل وهو الثأر.

فيها :

عَلَى قَلْب قُسْطَنْطِين منه تعجُّـــبٌ ... وإن كانَ فى سَاقَيْه مِنه كُبُــولُ

لعلَّك يوماً يادُمُسْتُق عائـــــدٌ ... فهلْ(١)هاربٌ مما إليه يــؤُول

نَجَوْتَ بإحدى مُهْجَتَيْك جَريحةً ... وخلّفت إحدى مُهْجَتَيْك تَسيل

أغرَّكُمُ طول الجيوش وعَرْضُهـــا ... علىٌّ شروبٌ للجيوش أكُـــول

وورد الخبر بموت أبى الفضل العباس بن فسانحس ، بالبصرة ، وسنّه سبعٌ وسبعون سنة ، وحُمِل تابوتُه إلى الكوفة .

وتقلّد الديوان بعده ابنُه أبو الفرج محمد .

وورد الخبرُ بتمام الصُّلح بين ركن الدولة وبين أبى علىّ بن محتاج ، بعد حُرُوب جَرَتْ بينهما على باب الرىّ ، ومنازلة ثلاثة أشهر ، وانْصرف ابنُ محتاج إلى خُراسان وركن الدولة إلى الرىّ .

وفى شوّال مات أبو عبد الله بن فَهْدٍ الموصلىّ .

وفى هذه السنة ماتَتْ بدعة الصَّغِيرة والمعروفة بالحمدونية عن اثنتين وتسعين سنة .

---

(١) الديوان : « وكم هارب » .

سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة

فى هذه السَّنة ، وردَ رسولُ أبى علىّ بن محتاج إلى معزّ الدولة ، فأوصلَهُ إلى الخليفة ، وذلك بعد موت نوحِ بن نصر ، فعُقِد لأبى علىّ عَلَى خُراسان ، وسُلِّم إليه العهْد والْخَلْع ، وضم إليه أبا بكر بن أبى عمرو الشرابىّ ، وأقام الخطبة للمطيع فى هذه السنة ، ولم تكن قد أقيمت له ببلاد خُراسان إلى هذه الغاية .

وبلغ الخبر بموت موسى قُتادة ، فانْحدر المهلّبى لحيازةِ تَركَتِه وكانتْ عَظِيمة .

وفى مستهلّ شَعْبان ، ورد الخبر بوقْعة كانَتْ بين الدُّمستق وبين سيف الدولة بالْحَدَث[١]،وقَتَل سيف الدولة خَلْقاً من أصحاب الدّمستق ، وأسر ابنَ ابنه وصهرَه وبطارقته ، وبَنَى الْحَدَث بعد أن أخربوها ، وقال السَّرىّ مذكِّراً إخرابَهم لها :

إن تَشْتَكِ الْحَدثُ الحسناء حادثةً ... سعى بها حائِن منهمْ وَمغْرُور[٢]

فإنّها نشوةٌ ولَّتْ عُذُوبتهـــا ... وخَرّ ذو التاج عَنْها وهو مَخْمُــور

سَيَنْقض الوِتْرَ من أعدائه مَلِكٌ ... عدوُّه حيث كانَ الدَّهْرَ مَقْهُــور

فحاذروا وَزَراً منه وهــل وَزَرٌ ... والسَّيْف فى يدِ سَيْفِ اللهِ مشهورُ !

وقال أبو الطيب قصيدته :

ذِى المعالى فليعلُوَنْ مَنْ تَعَالَــى ... هكَذا هكَذَا وإلا فَــلا لا[٣]

— قال ابن جِنّى : يريد أنهم بعثوا سيف الدولة على إتمام بنائه وإعلائِه ، فكانوا سبب ذلك ، يقول فيها :

قَصَدُوا هَدْم سُورِها فبَنَــوْهُ ... وأتَوْا كَىْ يُقَصِّروه فطَــالاَ

واستجرُّوا مكايدَ الحرْب حَتّـى ... تَركُوها لهم عَلَيْـه وَبَــالاَ

رُبّ أمرٍ أتَـاك لا تَحْمَـدِ الفُعَّـا ... لُ فيــه وتَحْمَــد الأفعــالا

---

(١) الحدث ، بالتحريك : قلعة حصينة بين ملطية وسميساط . ياقوت .

(٢) ديوانه ١٠٢ .

(٣) ديوانه ٣ : ١٣٤ .

— قال ابن جنى : الفُعّال : الهرّاب ، والأفعال انهزامهم —

وقِسِيٌّ رُمِيتَ عنها فـــردّتْ في قلوب الرُّماة عنك النِّصالا

أخذُوا الطُّرْق يَقْطَعون بها الرُّ سْلَ فكانَ انقطاعهمْ أرْسالا

وهمُ البحْــرُ ذو الغوارب إلاَّ أنّه صارَ عند بَحْرِكَ آلا(١)

الغوارب : الأمواج .

وفى شوال مات أبوجعفر محمد بن القاسم الكرخيّ .

وعُرِض لمعزّ الدولة مرضٌ فى إحليله ، وهو الإنعاظ الدّائم .

وورد الخبر بدخول ركن الدولة وابن محتاج جُرجان ومضى وشمكير هارباً إلى خراسان .

(١) الآل : السراب فى آخر النهار .

سنة أربع وأربعين وثلثمائة

عَقَد معزّ الدولة لابنه بَخْتِيار الرِّئاسة .

وأُرْجِف على معزّ الدولة عند عِمْران ، فاجْتَاز به مائة ألف دينار ، قد حُمِلت من الأهواز وأمثالها للتّجار فأخَذَها معزّ الدولة الكوكبيّ نقيب الطالبيين برسالته فى إطلاق ماله وأموال التّجار ، فردّ ما يتعلق بمعزّ الدولة ، ومضَتْ أمتعةُ التّجار .

وفى هذه السنة سدَّ معزّ الدولة فُوّهَةَ نهر الرّفيل ، وسَدّ بثق النّهروانات ، وحَفَر للخالص[١] فحوَّله ، وشَرَع فى سدّ بَثْق الرّوبانية ببادُوريا .

وفى رجب ورد الخبر بموت أبى على بن محتاج بالرّىّ ، فى وباء حَدَث بالبلد .

وورد رسولُ أبى الفوارس عبد الملك بن نوح ، فعقد الخليفة له على خُراسان .

وانحدر رُوزهان فى شَهْر رمضان لقتال عمران ، وجاء المهلّبىّ إلى زاوطا لِمُعاونته .

(١) الخالص : اسم كورة ببغداد ويبدو أن هناك نهراً باسمها .

سنة خمس وأربعين وثلثمائة

ترك روزبَهان مُحاربة عمران ، ومضى إلى الأهواز عاصياً ، واستكتب أبا عبد الله الجوينى واستأمن إليه رجال المهلبىّ .

وكان روزبهان مِنْ صنائع معزّ الدّولة لأنّه رقّاه إلى هذه المنزلة ، وكان يتبع موسى قتادة ، فاضطرب الدّيلم على معزّ الدولة ، وأظهرُوا ما فى نفوسهم .

وانصرف المهلّبىّ إلى الأبُلّة . وانحدر معزّ الدولة والمطيع لله .

وهمّ ناصر الدّولة بالانحدار إلى بغداد ، وأخذها ، فوصلها سُبُكْتِكين فلم يقدَم .

وواقع معزّ الدولة روزبهان بقنطرة أرْبق[١] ، سَلْخَ شهر رمضان ، وقاتَله بالأتراك ولم يثق بالدّيلم ، فأسره وأصعد به إلى بَغْداد فى زَبْزَب .

وكثر دعاء العامّة على روزهان ، ورجموه بالآجرّ ، وأشار عليه مسافر بإتلافه .

وعلم معزّ الدولة أنّ الدّيلم على أخذه ، وكُرْه قتله ، لأن معزّ الدولة كان يكره الدّماء ، ولم يكن متسرِّعاً إلى إراقتها ؛ ثم أخرجه ليلا إلى الإنايتين تَحْت البلد فغرّقه .

وكان أخوُرُوزهان قد عصَى بفارس ، فظُفِر به هناك .

ودخل الخليفةُ دارَه ، فى مستهلِّ ذى القِعدة ، بعد وصول معزّ الدولة .

ومات فى هذا اليوم أبو عبد الله الحسين بن أحمد الموسوىّ .

وفيها مات أبو عمر الزاهد ، غلام ثعلب ، وجوّز العالم جنازته فى الكرْخ ، فوقعت الفتنة لأجلها .

وحكى أبو عمر قال : كان سبب انفرادى فى هذه الخرِبة أننى أخَذْت كتاب سيبويه ، وتوجَّهْتُ لأقرأه على المبرِّد ، فسمعتُ الشِّبلىّ يقصّ فى الجامع وأنشد فى قصصه :

قَدْ نادتِ الدُّنيا على أهلِهـــا ... لو أنّ فى العالم مَنْ يَسْمَـــعُ

كم واثقٍ بالعمـــر واريتُـــه ... وجامعٍ فَرقّـــتُ مـــا يَجْمَـــعُ

(١) أربق ، من نواحى رامهرمز .

ووجدت بخط التّميمى قال : عاد أبو عمر مريضاً فلم يجده ، فكتب علَى بابِه :

وأعجَبُ شيءٍ سمِعْنا بــــه   مريضٌ يعاد فلا يُوجَــدُ

وحكى رئيس الرؤساء أبو الحسن بن صاحب النعمان قال : مضيتُ مع أبى إلى أبى عمر ، فلمّا دخلنا عليه قال : تأجّروا ، فأخذ كلّ واحد منا آجرّة وجلس عليها ، ثم أخذ أبى يعتذر من تأَخُّره عنه ، فقال : يا أبا الحسين،كم تعتذر ؟ أما علمت أنّ الصَّديق لا يحاسَب ، وأن العدوّلا يحسب ، ثم قال : يا أبا الحسن إن ابن عبيد الله كان يبرّنى ، وأراد منى الخروج إلى الكوفة لتعليم ولده برزقٍ سمّاه لى فلم أفْعل ، فغضِب وقطع ما كان يُعطينى ، أمَا علمت يا أبا الحسن أنّ رزقى علَى مَنْ إذا غضب لم يقْطَعْ . قال : وطال الحديث وودّعه أبى وانصرفنا .

سنة ست وأربعين وثلثمائة

خرج أبو الحسين بن مُقْلة إلى كربلاء ، للزيارة وبه فَالج ، فمات فى طريقه ، وأعيد إلى داره ، ودُفن بمربعة أبى عبد الله .

وفيها تزوّج بختيار بابنة سُبكتكين بحضرة الخليفة .

سنة سبع وأربعين وثلثمائة

وورد الخبر أن الرّوم نهبوا سواد ميّافارقين ، وقتلوا نادراً ، غلام سيف الدولة ، وأنّهم غلبوا على سُمَيْساط وأحرقوها ، وأنّ سيف الدولة أفلت منهم في عدد يسير ، وأسروا أهلَه وقرابته .

وأخّر ناصر الدولة حَمْل المال عن معزّ الدولة ، فسار إلى نصيبين وراءه وبَعُد ناصر الدّولة إلى ميّا فارقين .

وأنفذ[١] معزّ الدولة بسبر مردى ، وهو حَدَث ، في خمسمائة من الدَّيْلم إلى سنجاب ، فهرب منه أبو المرجّى جابر وهبة الله ، ابنا ناصر الدولة ، ألاّ ينفذه ، فلم يقبل منه ، فقال :

طفل يَرِقّ الماء فِـــــي[٢] وَجَناته ويَنضّ عُـــــوده[٣]
ويكاد من شبه العـــذارى منــــه أن تبدُو نُهـــوده[٤]
جعلـوه قائـــدَ عسكـــر ضاعَ الرَّعِيـل ومَنْ يقُـودُهْ

وقال السّرى المعروف بالرّفّاء يمدح أبا المرجّى :

الله أكبر فرّق السَّيْفُ العِـــدا فتفرّقت أيدِى سَبَا أخبارُهـــا[٥]
لا تجبُر الأيّام كَسْرَ عِصَابَـــةٍ كُسِرَتْ وذلّ بجابرٍ جبّارُهـــا
رَحلَتْ فكان إلى السيوف رحيلُها وثَوَتْ فكان إلى السيوف مزارُهـا
علِم الأعاجِم أنّ وقع سيوفكـــم نار تُشَبُّ وأنتمُ إعصارُهـــا
مَنْ ذا ينازِعُكـمْ كريمـات العلا وهى البُروج وأنتمُ أقمارهـــا
الحرب تعلم أنّكم آسادهـــا والأرض تشهد أنكم أمطارُهـا

---

(١) الخبر والشعر في يتيمة الدهر ٣ : ٢٠٣ ، ٢٠٤ ونسب الشعر إلى الوزير المهلبى .

(٢) اليتيمة : « ظبى يرق » .

(٣) اليتيمة : « ويرق عوده » .

(٤) بعده في اليتيمة :

ناطـــوا لمعقــــد خصره سيفاً ومنطقــــة تــؤوده

(٥) ديوانه ١١٢ .

في وقعــةٍ لك عِزها وسَنَاؤُهــا وعلى عدوِّك عارُهــا وشَنَارُهــا
عَمِرَتْ ديارُك من قُبور مُلُوكهــا وخلَتْ من الأنس المقيم دِيارُهــا

ولابن الحجاج في ذلك :

لله ياسيرُ مِرْدَى يَوْم حِجّــار حين دعاك إلى ذي لِبْدَةٍ ضَــارِ
سَرَى إليك وجُنْح اللّيل مُنْسَــدِلٌ بجحفلٍ مثل جُنْح اللّيلِ جَرّارِ
وصَبّحتْك جيوشُ اللهِ مُعْلَمَــةً من كلّ أغلبَ ماضى العزمِ مِغْوَارِ
يأبى له الضيمُ – إنّ الضيم مَنْقَصَةٌ – أنفٌ حَمِيٌّ وجَأْشٌ غير خَــوَّارِ
لمَّا سَمَا لك في الْهَيْجَاء منفــرداً بمُرْهَفِ القَدّ ماضى الحدِّ بَتَّــارِ
عَضْبُ المهزة لا يَبتزُّ رَوْنَقَــــه يومَ الكريهة إلاّ نَفْسَ جَبَّــــار
لقيتَم غيرَ أنكاسٍ ولا عُــــزُلٍ ولا نُكولٍ علَى الْهَيْجاءِ أغْمَــار
لَمَّا رأى العزَّ في إيراد مهجتِــه مضى فأوْرَدَها من غَيْرِ إحْــدَارِ
ليثٌ يَكُرّ إذا كرُّوا وإنْ لجئــوا إلى الفرار رَأَوْه غَيْرَ فَــــرَّارِ
أبى النّزولَ على حكمٍ نَزَلْتَ بــه فما انثنى بعد إقبالٍ لإدبــار
حتى هَوَى تحت أيْدِى الخيل يَخْبِطُه في سائلٍ من دَمِ الأوْدَاجِ مَوَّارِ
ثاوبسنجارلا يَغْدُوإذا ظعـــن الغـــا دُون عَنْها ولا يسري مع السّاري
يا آل أحمد إيهاً هَكَذَا أبَــــداً صُونوا الحريمِ وحُوطوا حَوْزَة الدار
واصلوا بنارِ الرَّدَى مِنْ دون شَحْنِكُم والحرُّ بالنّار أَوْلَى منه بالعــــارِ
لا تَرْهَبُوهُمْ فإنّ القومَ أكثرُهــــمْ مَنْ حَزْتموهم لِئاماً يوم سِنْجَــار
لله ذلك من يومٍ أعاد لَكُــــمْ يا شيعة الله فيهم يَوْمَ ذِي قــار
كُرُّوا فإنّ صدورَ الخَيْلِ عَابِسَــةٌ يحمِلْنَ كلَّ رحيبِ الصَّدْرِ كَرَّارِ
يحمِلْن أُسْداً بخَفّان مواطنهــــا منها الهَصُور ومنها المُشْبِل الضَّارِى

فأمَّا حال ناصرُ الدولة ، فإنّه توجّه من ميافارقين إلى حَلَب ، قاصداً لأخيه سيف الدولة ، واستأمن أكثر جيشه أخوه أبو زهير إلى معزّ الدولة .

وأكرم سيف الدولة أخاه ، ونزع خفّه بيده ، وتوسّط الحال بين معزّ الدولة وبين أخيه على ما تقرر ضِمْنَه .

وقال السَّرى يذكر ذلك لسيف الدولة :

رأَى من أخيك الشّام أكرمَ شيعـةٍ   وأصْدَقَ برقٍ فى المحول يُشَـام[1]

أرى الخائن المغرور قام بأرْضِكُـمْ   كأنَّ المنايا الحُمْرَ عنه تَنَـــامُ

فطوراً لكم فى العيش رَحْبُ منازلٍ   وطوراً لكم بين السُّيوف رِجَـامُ

وأنتمْ على أكباد قومٍ حــــرارةٌ   وبَرْدٌ على أكبادنا وســـلامُ

ورجع معزّ الدولة بضمان سيف الدولة إلى المَوْصِل ، وتقرّر معه دفع ألفى ألف وستمائة ألف درهم ، وإطلاق المأسورين من أصحابه .

فلمّا سار بين المؤنسية وأُدرمة ، وذلك فى ثالث ذى الحجة ، وهو الخامس عشر من شباط ، هَبّتْ ريحٌ مُغْرِب باردة ، فتَلِفَ من عسكره ثمانمائة رجل ، ولحق معزّ الدولة الغشى مِنَ البرد مع كثْرة ما عليه من الْخَزّ والوبَر ، وقَلَع العسكرُ سقوفَ أدرمة وأبوابها ، فأوقدوها ، وأطلق لهم معزّ الدولة ثلاثة آلاف درهم عوضاً عما أُخِذ من الخشب .

---

(١) ديوانه ٢٣٦ .

سنة ثمان وأربعين وثلثمائة

فى هذه السنة ، وافى أبو إسحاق القراريطىّ مصرَمع الحاجّ .

فى شهر ربيع الأول ، تُوُفِّىَ أبو بكر محمد بن جعفر الأدمىّ القارئ .

قال دُرّة الصوفىّ : كنت بائتًا بكَلْواذَى على سطح عال ، فلما هدِئ الليل قمتُ لأصلّى ، فسمعت صوتاً ضعيفاً يجىء من بعد . فأصغيتُ إليه وتأملْته شديداً ، فإذا صوتُ أبى بكر الأدمى ، فقدّرته منحدراً فى دجلة ، فلم أجد الصَّوْت يقرَب ، ولا يزيد على ذلك القَدْر ساعةً ثم انْقَطَع ، فَشككْتُ فى الأمر وصلّيت ونمت .

فبكَّرتُ فدخلتُ بغداد بعد ساعتين من النهار ، وكنت مجتازاً فى السّميريّة ، فإذا بأبى بكر الأدمى ينزل إلى الشطّ ، من دار أبى عبد الله الموسوىّ[1] العَلَوِىّ ، التى بقرب فُرْضة جعفر[2] على دِجلة ، فصعدتُ إليه وسألته عن خَبَره ،فأخبرنى بسلامته ، فقلت : أين بتّ البارحة ؟ فقال : فى هذه الدار ، فقلتُ : قرأت النوبة الفلانية ؟ قال : نعم قبل نصف الليل ، فعلِمت أنه الوقت الذى سمعت فيه صوته بكَلْواذى ، فعجبت من ذلك عجباً شديداً بأنّ [ما][3] فى له ، فقال : مالك ؟ فأخبرته ، قال : فاحكها لِلّناس عنى ، فأنا أحكيها دائماً[4] .

وقال أبو جعفر عبد الله بن إسماعيل الإمام : رأيتُ أبا بكر الأدمىّ فى النوم بعد مُدَيْدة من وفاته ، فقلت : ما فعل الله بك ؟ فقال : أوقفنى بين يديه وقاسيت شديداً وأموراً صعبة ، قلت له : فتلك الليالى والمواقف والقرآن ؟ فقال : ما كان شىءٌ أضرّ علىّ منها ، لأنها كانَتْ للدنيا ، قلت له : فإلى أىّ شىء انتهى أمرك ؟ قال : قال لى الله تعالى : آليْت على نفسى ألاّ أعذِّب أبناء الثمانين[5] .

---

(١) فى الأصل : « موساى » تصحيف .

(٢) فى الأصل : « قرضة » بالقاف تصحيف .

(٣) زيادة يقتضيها السياق .

(٤) الخبر فى المنتظم ٦ : ٢٦٤ وتاريخ بغداد ٢ : ١٤٨ .

(٥) الخبر فى تاريخ بغداد ٢ : ١٤٧ وفى الأصل : « اليمانين » .

وكان أبو بكر محبوباً إلى الناس ، قال : كسبتُ بالقرآن ثلثمائة ألف دينار .

وحكى قال : لما وَلَدابنى [١] أبو عبد الله ، قال : جئت إلى مؤنس المظفّر وحدّثته الحديث ، فوهَب لى دنانير كثيرة ، فلمّا كان بعد مُدّة سألنى ، فقال : يا أبا بكر أيْشٍ خبرُ الصبىّ المولود ؟ فقلتُ : قد احتاج إلى القميص أيها الأستاذ وهو عُرْيان ، فاستدعَى الخازن وقال : أحْضِر ما عندك من الخِرَق ، فجاء بأكثر من عشرين كَارة [٢]من القَصب والدّبيقىّ والدّيباج والعتّابى ، فقال للخازن : أعطِهِ من كلّ شىء الربع ، فأعطانى ما حمله جماعة من الحمالين ، وبعتُ الباقى عن كسوة ابنى وأهلى بتسعة آلاف درهم .

وقبر أبى بكر عند قبر [أبى] [٣] عمر الزاهد فى الصُّفّة التى تقابل قبر معروفٍ [الكرخى][٣]رحمه الله :

وفى هذه السنة كَثُر موت الفجأة بالطاعون ، فجلس أحد القضاة بسوادِه فى الجامع ليحكُم فمات .

وافتضّ رجل بِكْراً فمات على صدرها .

وكان كافور الإخشيدى ، قد ولّى شبيب بن جرير العُقَيلى عَمّان والبلقاء ، فعلتْ منزلته ، واشتدّت شوْكته ، وغزا العربَ وتجمّعت عليه ، فعصى على كافور وأخذ دمشق وسار إليها فى عشرة آلاف ، فخرَّ عن فرسهِ مَيّتاً ، ففى ذلك يقول المتنبى يمدحُ كافوراً :

عَـــدُوّك مذمـــومٌ بكلّ لسانٍ ولو كان من أعدائك القَمَران [٤]

قال ابن جنى : هذا مدح ويحتمل أن يكون هجاء ، بأن يجعله مستخلفاً ساقطاً والساقط لا يعاديه إلاّ مثله ، وخرج عن ذلك يقول :

ولله سِرٌّ فى عـــلاك وإنّمــا كَلامُ العِدَا ضَرْبٌ من الهَذَيان

(١) فى الأصل : « إتنى » تحريف .

(٢) الكارة : ما يجمع ويشدّ ويحمل على الظهر من طعام أوثيات . المعجم الوسيط .

(٣ ، ٣) تكملة يقتضيها السياق .

(٤) ديوانه ٤ : ٢٤٢ .

يقول فيها :

برغمِ شبيبٍ فارقَ السَّيف كَفَّهُ وكانَا علي العِـلاَّت يَصْطَحِبَان
أتتْـه المنـايا فى طريق خفيَّـةً على كُلِّ سَمْعٍ حـولَه وعيَـانِ
ولو سلكتْ طرق السِّلاح لرَدَّها[١] بطوله يمينٍ واتِّساع جَنَـانِ
تَقَصَّـدهُ المقـدارُ بين صِحَابهِ على ثقةٍ من دَرِّه وأمَـانِ
وهل ينفع الجيشَ الكثيرَ التفافُه علَى غَيْرِ مَنْصُورٍ وغَيْرِ مُعَـانِ

وفى هذه السّنة خلَع المطيع لله على بختيار ، وقلَّده إمرة الأمراء ولقَّبه عز الدولة .

وعقَد لأبى علىّ بن إلياس على كرْمان وتزوّج عزّ الدولة بنتَه فى رجب .

وفى رجب ماتت سَريرة الرّائقية ، اشتراها ابنُ رائق من ابنةِ ابن حَمْدون ، بثلاثة عشر ألف دينار ، وكانت مولَّدة سَمْرَاء حسنةَ الغناء . ولما قُتِل ابن رائق تزوّجها أبو عبد الله الحسين بن حمدان .

وحكى التنوخىّ : أن المهلّبى دعاها ، وأظهر من التحمّل ما أعياه فى مجالسه وسماطه ، وَتَبخَّر بما زاد على الحدّ ، فقالت له جاريته تُجْنى : إنّى أراك هود اتزانك[٢] حتى وَنَيْت بك ، فقال لها : ويحك ! إنّ هذه قد نشأتْ فى نعمة تستصغر فيها نعم ملكنا ، فما أريد أن تُزْرِى علينا إذا خرجت .

وفى شعبان مات أبو علىّ عبد الرحمن بن عيسى بن داود بن الجرّاح ، وزير الرّاضى بالله .

حكَى أبو محمد جعفر بن ورقاء قال : دخلتُ على أبى جعفر الكرْخى بعد تقليده للوزارة ، صارفاً عنها لأبى علىّ عبد الرحمن بن عيسى ، وقد كان الرّاضى بالله حلَف على ألاَّ يقنع من عبد الرحمن بأقلّ من مائة ألف دينار ، وراعاه الكرخىّ لحقوق أخيه ، وانكشف له أن جميع ما يملكه عشرة آلاف دينار ، فعدَل إلى أن قسّط تقسيطاً على الناس ، بدأ فيه بنفسِه ، والتزم ثلثمائة ألف درهم .

قال أبو محمد : فدخلتُ على الوزير فسلّم إلىّ الدّرج ، وخاطبنى فى التزام شىء ، فقلت : يدعُنى الوزير أدبر الأمر ، فَقَطَعْتُ الخطوط ، وكتبت : ضَمِن

---

(١) كذا فى الديوان،وفى الأصل : « طريق السلاح » .

(٢) كذا فى الأصل .

لمولانا أمير المؤمنين أطال الله بقاءه جعفر بن ورقاء ، أن يصحّح له لمن يأمره بتصحيح ذلك عنده ، عن عبد الرحمن بن عيسى مائة ألف دينار ، وأخذه أى وقت آمره بتصحيحها ، وقلت للوزير : أنفذها مع رسول عاقل ينظر ما يجرى ، فعاد الخادم الذى أنفذه وقال : استدعانى الخليفة حين عرض عليه الحاجب الخط ، فدخلت وهو جالس على كرسىّ كالمغتاظ ، وفى يده الرقعة مخرّقة ، فقال : مَنْ عند مولاك ؟ فقلت ولم أجسر على كذبه : جعفر بن ورقاء ، فقال : قل له يا أعرابىّ ، أردت أنْ تُرى الناس[١] أن نفسك تتسع ، لا تغرم غمرا لا حرمة له ، وهو خادمى ما ضاقت نفسى عن تركه عليه ، فتظهر بذلك[١] أنك أكرم منى ، والله لا كان هذا ، قل لمولاك : أطلق عبد الرحمن ، وتردّ خط هذا الأعرابى الجلْف ، وأنى أكفّر عن يمينى ، ورمى بالرقعة مخرّقة .

قال : فقلت للكرخى : كيف رأى الوزير رأيى ؟ والله ما اعتمدت إلا أن يقع فى نفسه مثل هذا ، فيفعل ما فعله لعلمى بجودة عقله وكرم نفسه ، ولو جرى الأمر بخلاف ذلك لوزنت جميع ما أملكه ، واستسمحتُ الوزير والناس بعده حتى أقوم بتصحيح المال ، فأطلِق أبو علىٍّ إلى منزله .

وفى هذه السنة ورد الخبر بأنّ الروم ، خذلهم الله ، أَسَرُوا محمد بن ناصر الدولة من نواحى حلب ، وأسروا أبا الهيثم بن القاضى أبى حصين بن عبد الملك بن بدر ابن الهيثم وغلمانه من سواد حرّان ، فكتب أبو فراس إلى أبيه[٢] :

أيا راكباً نحو الجزيرة جسرةً	عُذَافِرةً إنّ الحديث شُجون[٣]
تحمَّل إلى القاضى سلامِى وقل له	ألا إن قلبِى مذ حزِنْتَ حزينُ
وإنّ فؤادى لافتقادى أسيرَه	لعانٍ بأيدى الحادثات رهينُ
لعلّ زماناً بالمسرَّة ينثنى	وعطفةَ دهرٍ باللّقاء تكون
فأشكو ويشكُوْ ما بقلبِى وقلبه	كلانا على نجوى أخيه أمينُ
إذا غيَّر البعدُ الهوى فهوى أبى	حُصينٍ مَنيع الفؤاد حَصِينُ

(١ – ١) كذا فى الأصل والعبارة غامضة ، وهى غامضة أيضاً فى المنتظم .

(٢) ديوان ١٢٥

(٣) الجسرة : الناقة الضخمة الأعضاء ، والعذافرة : الشديدة من الإبل .

سنة تسع وأربعين وثلثمائة

ورد الخبر بغلاء السِّعر بالموصل ، وبلوغ الكُرّ من الحنطة بها ألفاً ومائتى درهم ، فهرَب النّاس عنها إلى بغداد والشام .

وفى هذه السنة انحدر أبو أحمد الشيرازيّ ، كاتب المستكفى بالله إلى شيراز ، فقبَّله[1] عضد الدولة ، وأقطع ابنه أبا الفضل مائة ألف درهم وحُصِّنَ به .

وورد الخبر بأنّ نجا غلام سيف الدولة واقع الروم ، وقَتَل منهم عِدّةً وافرة .

وأن سيف الدولة غزا فى جمع كثير ، فأثّر فى بلد الروم ، وفتح حصوناً كثيرة ، وانتهى إلى خَرْشَنة ، فأخذ عليه الرُّوم المضائق والدُّروب ، فى ثلثمائة من أصحابه بعد جهد ، ومضى باقى أصحابه قتلَى وأسْرى ، وأشار عليه أهل طَرَسوس بترك الخروج ، فلم يقبلْ ، فأُصيب .

وورد الخبر ، بأن أبا نصر بن المكتفى بالله ، ظَهَر بناحية إرمينية ، وتلقَّب بالمستجير بالله ، وَلبس الصوف ، وأمر بالمعروف ، ونهى عن المنكر ، وغلَب على أذَربيجان ، فسار إليه ابن سالار فأسره .

وفى مستهَل شهر رمضان ، ورد تابوتُ أبى عبد الله بن ثوابة من القَصْر ، وكان قد أحيل بحاريه[2] عليها ، فمات هناك .

وتقلد ديوانَ الرَّسائل أبو إسحاق الصابى .

وفى ذى الحجة ، مات أبو القاسم البريدىّ ببغداد .

وصودر أبو السائب قاضى القضاة ، على مائة ألف درهم .

---

(١) قبّله : ولاه الخراج .

(٢) كذا فى الأصل .

سنة خمسين وثلثمائة

فى هذه السنة بنى معز الدولة دارَه بقصر فرج عن بستان الصيمرىّ ، وهدم ما جاورها من العقارات وابتاعهَا من أهلها ، وكان أبو العباس بن مكرم ، وأبو القاسم ابن حسان العدلان وكيليه فى ذلك ، وقلَع الأبواب الحديد ، التى على مدينة المنصور ، والّتى بالرُّصافة ، ونقلها إليها ، ونقضِ قصور الخلافة بسُرّ من رأى ، ونزل فى المسنّاات ستًّا وثلاثين ذراعاً ، ولزمه على بنائها ثلاثة عشر ألف ألف درهم ، وكان المتولّى للبناء أبو الفرج بن فسانجس .

وفيها مات أبو الحسن أحمد بن الفضل بن عبد الملك الهاشمىّ ، وتقلّد ابنُه ما كان إليه من الصّلات ونقابة العباسيين .

وفى المحرم مات القاضى أبو بكر بن كامل ، عن سبعين سنة .

وفى شعبان ابتدئ ببناء المغيض بنهر الرّفيل ، تولى بناءه أبو بكر بن الحلبى .

وفى هذه السّنة توفى أبو السائب عتبة بن عبيد الله قاضى القضاة ، ولابن سُكَّرة فيه قصائد تجنّبت إثباتها .

وسفر أرسلان الجامدار لأبى العباس بن أبى الشوارب فى قضاء القضاة ، وقُرّر عليه مائتا ألف درهم فى كلّ سنة ، وامتنع الخليفة من تقليده ، فقلّده معز الدولة .

وورد الخبر بأنّ أبا بكر بن مقاتل تُوُفِّىَ بمصر وهو يتقلّد أعمال الخراج بها ، ووُجد له مدفُوناً فى داره ثلثمائة ألف دينار.

وورد الخبر بأن نجا غلام سيف الدولة ، دخل بلَد الروم ، وأسر وَغنِم وسبى خمسمائة ألف ، أتى بهم فى السّلاسل .

وتمطّر(١) فرس عبد الملك بن نوح به فمات ، ووليَ مكانه أخوه منصور بن نوح .

وفى آخر ذى الحُجّة ، انحدر عزّ الدولة إلى المطيع لله ، ووصل إليه ابن سالار صاحب أذرَبيجان ، حتى عقد له ، وسلّم إليه العَقْد مع خِلَع سلطانية .

(١) تمطّر الفرس : جرى وأسرع ، وفى الأصل : « وقطر » تصحيف .

سنة إحدى وخمسين وثلثمائة

ورد الخبر بأن أهل زربة دخلوا فى أمان الروم ، وأنهم غدروا بهم فقتلوهم ، وقطعوا منها أربعين ألف نخلة ، وأعاد سيف الدولة بناءها بعد ذلك .

وأتى الرُّوم منبِجاً ، وكان فيها أبو فراس بن أبى العلاء بن حمدان ، متوليًّا لَها ، فأسَرُوه فقال فى أسْرِه أشعاراً كثيرة منها(١) :

ارْثِ لصبٍّ بك قد زدتَه على بقايا أسْرِه أسْرَا
قد عدم الدّنيا ولذّاتِها لكنّه لم يعدِمِ الصّبْرا
فهو أسيرُ الجسم فى بلدةٍ وهو أسير القلب فى أخرى

وكتبه إلى أمه :

فيا أمتا لا تعدمى الصبر إنه إلى الخير والنجح القريب رسول(٢)
ويا أمّتا لاتحبطى الأجر إنه على قدر الصبر الجميل جزيلُ
أماَ لك فى ذاتِ النِّطاقين أُسْوَةٌ بمكّةَ والحربُ العوان تَجُول
أراد ابنُها أَخذَ الأمانِ فلم يُجِبْ وتعلم علماً أنه لقتيل
تأسَّىْ كفاكِ الله ماتحذرينه فقد غال هذا النّاسَ قبلك غُولُ
وكونِى كما كانتْ بأُحْدٍ صِفيَّةٌ إذاً لَعَلَتْها رَنَّةٌ وعويل
لقيتُ نجومَ الليل وهى صَوارِمٌ وخُضْتُ سوادَ اللّيلِ وهو وُحُولُ
ولم أرْعَ للنفس الكريمة حرمةً عَشيّةَ لم يعطِفْ علىَّ خَليلُ
وما لمْ يُرِدْه اللهُ فهو مُمزَّقٌ ومَنْ لم يُعِزّ اللهُ فهو ذليل
ومالم يرده الله فى الأمْرِ كلِّه فليس لمخلوق إليه سبيل

ووافى الدُّمستق إلى حلَب ومعه ابن أخت الملك ولمْ يعلمْ سيف الدولةِ بخَبَره ،

---

(١) يتيمة الدهر ١ : ٥٢ (٢) ديوانه ٣٥

وخرج عند علمه ، وحَارَبَه قليلاً ، فقُتِل جميعُ أولاد داود بن حمدان ، وابن الحسين ابن حمدان ، وانهزم سيفُ الدولة فى نفرٍ يسيرٍ ، وظفِر الدُّمستق بَداره ـ وهى خارج مدينة حلب ـ فوجَد لسيف الدولة فيها ثلثمائة وتسعين بَدْرة دراهم ، وألف وأربعمائة بَغْل ، فأُخذَ الجميع ، وأخذ له من السِّلاح مايجاوز الحدّ ، وأحرق الدَّارَ ، وملك الرَّبَض ، وقاتله أهلُ حلب من وراء سورهم ، فسقطت[١] ثلمة على قومٍ فقتلْتهم ، وقاتل عليها أهل البلد ، واجتمعوا باللَّيل وبَنَوْها ، وانصرف الرّوم عنهم ، فانتهب رجالُ الشرطة منازِلَ النَّاس ، وأمتعة التُّجار فمضوْا لحربهم .

فلما خَلا السُّور صعَد الروم ، وفتحوا الأبواب ، ووضعوا السيف ، وكان فى حلب عند المسلمين ألف ومائتـا أسير من الروم ، فأطلقوهم وسَبَوْا بضعة عشر ألف صبى وصبية ، وأخذوا من الأموال مالاَيُحَدّ ، وضَربوا الباقى بالنار ، وأقام الروم بها تسعة أيام ، وكـان عسكرهُم مائتى ألف وثلاثين ألف رجل بالجَواشن[٢] ، وكان معهم ثلاثون ألف صانع للهدم وتطريق[٣] الطرق ، وأربعة آلاف بغل ، عليها الْحَسَك الحديد يُخنْدِقون به على عَسكْرهم .

وقال ابن أخت ملكهم : لا أبرح أو أفتح القلعة ، وصَعَد إلى مدرجها ، فرماه ديلمىٌّ بخشب[٤] فى صدره فأنفذه .

وسار متقدم الروم إلى بلده عند ذلك ، ولم يتعرض للسّواد ، وأمر أهلَه بعمارته ، ووعدهم بالعوْد إليهم .

وفى جمادى الآخرة مات دعلج بن أحمد بن دعلج المحدّث العدْل ، وله خان بسُوَيقة غالب ، عند قبر ابن سريج ، وقفٌ على أصحاب الشافعىّ رحمه الله إلى اليوم ، وعَمّره نظام الملك رحمه الله ، وقد أطلق له مائة دينار ، فى أول نوبة دخلها حين مضى إليه أصحاب أبي رحمه الله ، وأعلمُوه مقاسَهم واستشفعوا بصحبته .

وحكى ابن نصر فى كتاب المفاوضة قال : أنزلنى الشيخ أبو الحسن العلَوىّ

---

(١) يقال:ثلم الجدار وغيره : أحدث فيه ثلماً ، أى شقًّا . والثلمة : الموضوع الذى فيه الثلم .

(٢) الجواشن : جمع جوشن ؛ وهو الدرع .

(٣) كذا فى الأصل ، ولعله يريد إصلاح الطرق .

(٤) كذا فى تجارب الأمم ٢ : ١٩٤ ، وفى الأصل « بحشت » تصحيف .

الحنفىّ الدار المعروفة بدعْلج ، فى درب أبى خلف ، بإزاء داره ، فقلت له : لم أزل أسمع النّاس يعظّمون شأنَ هذه الدار ، وما أجدها كما وُصفت ، فقال لى : كانَ دعْلج فى هذه الدار ، وكان شاهداً ومحدِّثاً وعظيم الحال مُوسراً . وكان المطيع لله قد أودع أبا عبدالله بن أبى موسى الهاشمىّ عشرة آلاف دينار قبل إفضاء الخلافة إليه ، فتصرّف فيها وأنفقها وأَدلّ بالقدرة عليها فى طلبها ، فلمّا وَلِىَ الخلافة ، طالبه بها ، فوعده بحمْلها ، ورجع إلى منزله ، وشرع فى بيع شىء من أملاكه وثماره فتعذّر ، فألحّ المطيع بالمطالبة بالوديعة ، فاعتذر بأنها مخبوءة لايقدِر عليها إلاّ بعد ثلاثة أيام ، فأنظره ، فلمّـا حضر وقت الوعد قَلِقَ ولم ينَمْ ،ولم يتّجه له وجه ، وخاف أنْ يُحرق به ، ولم يعـوِّد ثلم جاهه ، فركب فى بقية الليل بغير غلام ، وترك رأس البغلة تمشى حيث شاءت،فأفضت به إلى قطيعة الربيع ، فدخلها وعَطَف إلى دَرْب أبى خلف ، فإذا دعلج قد خرج وفى يده سمكة ، فتأمّله فقال له : خير ، فقال : لا ، أباالله انزل ، فَنزَل ودخل داره وقصَّ قصته ، فقال : لا بأس ، أى نقد كانت الدنانير ؟ فقال : النّقد الفلاني فقال : ياغلام ، أغلق الباب ، وحُطّ ما عندك من العين ، واجلس مع الشريف ، وانتقد النوع الفلاني إلى أن أرجع من الحمام . فلمّا عاد كان الغلام قد انتقد القدر ، فجعلها فى أكياس ، وأنفذها مع غلمانه ، ثم قال : اكتبْ خطّك فى دفترى ، فكتبتُ خطى بذلك ، إلى مدّة أربعة أشهر وانصرفت .

واستدعيت الظرف[1] التى كانت دنانير المطيع فيه ، فنقلتها إليه ، وختمتها بالإسريحات التى كانت عليه ، فأتانى رسولُ المطيع ، فحملت المال ووضعته بين يديه ، وقلت : إن رأى أميرُ المؤمنين أن يتقدم بوزنه ! فقال : ماأفعل ذلك وهى تحت خَتْمى ، فخفتُ أن يتأمّل الخَتم ، فعجّلت إلى كسره ، وحلفت بنعمته لابدّ مما تَزِنه ، فوزن .

واتفق أنه دخل من ضيعتى ثلاثة آلاف دينار قبل الأجل ، فحضرت عند دعلج ودفعتها إليه ، فقال : لا إله إلا الله،أيّها الشريف ، بمَ استحققتُ منك هذا ! ارتجعه قبل المدّة فأكون كذاباً ! فأمسكت الدنانير حتى تكاملتْ فى وقتها .

---

(١) فى الأصل : « الفرف » .

وفيها خَلَع معزّ الدولة على أبى الفرج محمد بن العباس ، وقلّده كتابة عزّ الدولة مضافاً إلى ما إليه من الديوان .

وفى ذى القعدة مات أبوعبد الله بن أبى موسى الهاشمىّ .

ومات بعده أبو بكر النقاش ، صاحب « شفاء الصدور فى تفسير القرآن » .

وفيه لُقّب عَضُد الدّولة بهذا اللقب .

سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة

فى هذه السنة ، خرج النساء منتشرات الشعور ، مسوّدات الوجوه ، يلطُمْن فى الشوارع يوم عاشوراء على الحسين رضى الله عنه ، وغُلِّقت الأسواق .

وفى جمادى الآخرة ، خرج المهلّبىّ لفتح عمان .

وورد الخبرُ بغزاة سيف الدولة لنواحى مَلَطْية وغنيمته ، فقال الببغاء يَمْدحُه بقصيدة منها :

وَرَدَ الدّمُستق دُونَ مَنْظَرِه ... خبَرٌ تضيق بشرحه الْكُتُبُ
ناجتْه عنك البيضُ من بُعُدٍ ... نُصْحا وأنفذ جيْشه الرُّعُبُ
ولّى ولو أحببتَ حين نجَا ... إدراكَه لم يُنْجِه الْهَرَبُ
يا كالئ الإسلام يحرُسه ... من أنْ يخالِجَ حقَّهُ الرِّيَبُ
إن كُنْتَ ترضىَ أن يطيعك ما ... سَجَدُوا له سجدتْ لك الصُّلُبُ

وفى رجب عَزَل ابنُ أبى الشَّوارب عن القضاء ، وقد ذكر أنّه ضمنه ، فكان النُّظّار يحيلون عليه بمشاهرة السّاسّة والنّفاطين ، فكانوا يجيئونه ويشدُّون نعالَهم على بابه ، ويَدْخلون يطالبونه ، كما يفعلون بضامِن الماخور ، فأتى أبوعبدالله بن الداعى العلوىّ ، معزَّ الدولة وقال له : رأيتُ فى المنام جَدِّى عَلِيًّا ، رضى الله عنه ، وهو يقول لك : أحب أن تُقطعَنى ما علَى القضاء ، وتأمر بإزالته ، قال : قد فعلت .

ولابن سُكَّرة فى ابنِ أبى الشّوارب :

نُوَبٌ تَنُوبك بالنّوائبْ ... وعَجَائبٌ فَوْق الْعَجَائِبْ
وغرائبٌ موصولةٌ ... فى كلّ يومٍ بالغرائبْ
مما جنى قاضى القضاة ... حَدَنْدلُ بنُ أبى الشّوارِبْ
قاض تولّى بالصَّبُوحِ ... وبالطُّبُول وبالدَّبادِبْ
ومناديانِ يناديانِ ... عليه فى وَسْط الكواكبْ

هذا الذى ضمن القضـــــاء مَعَ الفرُوج بغير واجـــبْ
هذا قِدَارُ زمانـنــــــا وأخو المثالــب والمعائـــبْ[١]

ولما عُزِل ابنُ أبى الشَّوارب تقلَّد أبوبشر عمر بن أكثم القضاء بغير رِزْق .

وقد ذكرنا خروجَ المهلّبيّ قاصداً عُمَان ، ولمّا بلغ الأبُلَّة ، تضجَّر خدمُه بسلوك البحر ، ومفارقة نِعمِهم ببغداد ، فسمُّوه ، ظنًّا منهم أنّ حالهم تبقى عليهمْ ، فنشبت به المنية وعَادَ إلى زَاوطا[٢] فى مَحفَّة ، يتناوبُها الرجال ، ومات بها فى آخر شعبان .

قال التنوخى : مضيت فى أول يوم من شهر رمضان لتهنئة أبى الغنائم الفضل بن المهلّبيّ ، وأبوه فى الطَّريق لم يأتِ الخبرُ بموته ، وهو جالس بداره على الصَّراة[٣] ، فى دَسْت ، ودخل عليه صهرُه أبوالعباس بن الحسين ، وأبوالفرج محمد بن العباس فما تحرَّك لهما ، فجاء خادمٌ للفضل ، فسارّه بشىء فقال : قم يا أبا الغنائم فقد طلبَك مولانا معزّ الدولة ، وقد مات أبوك ، فقام أبو الغنائم باكياً ، فقلنا : الآن[٤] كنّا بين يديه ، وهو الساعة ذَليل بين أيدينا ! وختَم أبو الفضل على دار المهلبيّ ، وعلى أمواله ، وعلى تُجْنَى جاريته .

وكان المهلبيّ ، قد اصطنع أبا العلاء عيسى بن الحسن بن أيزونا النَّصرانىّ الكاتب ، واستكتبه على خاصّهِ ، وأطلعه على أموال وذخائر دفَنها ، فأُخِذ أبو العلاء فى جملة المأخوذين ، وعوُقب أشدّ عقوبة ، وضُرِب أبرَح ضربٍ ، وهو لايقرّ بشىء ولا يعترف بذخيرة .

فعدل أبوالفضل وأبوالفرج إلى تجنى ، فأمرا بضرب ابنِها أبى الغنائم بين يديها ، فبكَى مَنْ عرفها من الّذى نمّ عليها ، وقالت لهم : إن مولاى المهلبيّ فعل هَذَا بى حين استدعى آلاتِ العقوبة لزوجة أبى على الطبرىّ ، لمَّا قبض عليها بعد وفاته ، ثم قالت : أحضرونى أبا العلاء بن أيزونا ، فأحضروه وحمل فى سُبْنِيَّة[٥] بين أربعة فراشين ، فطرِح بين يديها ، فجعلت تسأله عن شىء ، وهو يخبرها بمكانه ، حتى كان فى جُمْلة ذلك

---

(١) قدار : عاقر ناقة صالح عليه السلام .
(٢) زاوطا : بفتح الواو : بلد بين واسط وخوزستان والبصرة . ياقوت .
(٣) الصراة : علم على نهر ببغداد .
(٤) فى الأصل : « كانا » .
(٥) السبنية : ملابس سود للنساء .

ثلاثون ألف دينار ، فقال له مَنْ حضر : ويلك ! ألستَ من الآدميين تُقْتَل هذا القتل ، ويُفضِي حالك إلى التلف ، وأنت لاتعترف ! فقال : ياسبحان الله ! أكون ابن أيزونا والطّبيب الفَصّاد على الطريق بدانقٍ ونصفِ دانق ، يأخذنى الوزير أبومحمد ، ويصطنعنى ويجعلنى كاتبَ سره ، وأعرّف بخدمته ! وأطلع الناس على ذخيرة ذخرها لولَدِه ، والله ماكُنْت لأفعلَ هذا ولو هلكت ، فاستُحسِن فعله ، وكان ذلك سبباً لإطلاقه ، وتقدّم بذلك عند أبى الفضل وأبى الفرج وابن بقية ، وتُوُفِّىَ سنة تسع وستين وثلثمائة فى أيّام عَضدُ الدولة .

ومولد المهلّبى بالبصرة سنة إحدى وتسعين ومائتين ، وكان ظريفاً أديباً ، ومن شعره :

وَصَلَ الكتاب طليعة الْوَصْلِ وذخيرةَ الإفْضَالِ والْفَضْلِ

فشكَرته شكرَ الفقيرِ إذَا أغناه رَبُّ المَجْدِ بالْبَذْلِ

وحفِظْتُه حِفْظ الأسير وقد ورد الأمان له من القَتْلِ

وله :

وحياةِ الهوى ومُر التَّجنى وبخَطّ العِذار فى صحنِ خَدِّهْ

لأذِيبَنّ وجْنَتَيه بلحظِى مثل ماقد أذاب قلبِى بِصَدِّهْ

قال التَّنُوخى : وشاهدت المهلّبىّ ، وقد اشتُرِىَ له ورد بألف دينار فى ثلاثة أيام ، فشرب عليه ، وأنهبه .

قال أبو حيّان : كان المهلّبىّ يَطْرب على اصطناع الرِّجال ، كما يطرَبُ سامع الغناء على السَّتائر ويرتاحُ لذلك كما يرتاح مُدِير الكأس على العشائر ، وقال : لأكونَنّ فى دولة الدَّيْلَم أوّل مذكور ؛ إذ فاتنى أن أكون فى دولة بنى العباس رحمة الله عليهم آخرَ مذكور . .

فممّن نوه به أبو الفَضْل الشِّيرازىّ وأبو عبد الله البقرىّ وأبو معروف القاضى وأبو إسحاق الصابي وأبو العلاء صاعد وابن جعفر صاحب الديوان ، وغيرهم كأبي تَمَّام الزَّينَبي ، وابن مريعة ، وأبى حامد المورودى ، وأبى عبد الله البصرى ، وأبي سعيد السِّيرافىّ ، وابن دَرَسْتويه ، والسّرِى ، والخالدىّ ، إلى مَنْ لا يُحْصَى كثرة .

وكان أبو الفرج الأصبهانى ، يؤاكله ، وكان أقذرَ الناس ، فأفرد له المهلبىُّ مائدةً يجلس عليها وحده ، فقال يهجوه :

أَبِعَيْنِ مفتقرٍ إليك رأيتَنى ... بعد الغنى فرميتَنى مِنَ حالـــقِ
لَسْتَ الملومَ أنا الملوم لأنَّنى ... أمَّلت للإحسان غَيرَ الخالــقِ

وقال ابن الحجَّاج يرثى المهلَّبيّ :

يامعشرَ الشُّعراء دعوةَ مُوجَعٍ ... لايُرْتجى فرجُ السُّلُوِّ لَدَيْـــهِ[1]
عزُّوا القوافى بالوزير فإنّها ... تبكِىَ دَماً بَعْدَ الدّموع عليه
مات الّذى أمسَى الثناءُ وراءه ... وجميلُ عفوالله بَيْنَ يَدَيْـــــهِ
هَدَمَ الزّمان بموته الحصْن الّذى ... كنا نَفِرُّ من الزّمان إليـــــه
وتضاءلت هِمَمُ المكارم والعُلا ... وانبتَّ حبلُ المجدِ من طَرَفَيْهِ
ولتعلمَنّ بنو بويهٍ أنمـــــا ... فُجِعَتْ به أيَّام آلِ بُوَيْهِ

قال التَّنوخى : قال المهلبيّ : لما عزم معزّ الدولة على إنفاذى إلى عُمَان ، طَرَقَنِى أمرٌ عظيمٌ ، فبتٌّ بليلةٍ مابتٌّ فى عمرى مثلها ، لافى فَقْرِى ، ولا فى صغر حالى ، وما زِلْت أطلب شيئاً أتَسلّى به عما دهمنى فلم أجد إلا أنى ذكرت أنى كنت حصلت فى أيام صباى بسِيراف ، لمَّا خرجتُ إليها هارباً ، فعرفت هناكِ قوماً أوْلَونى جميلاً ، وحَصَلت لهم علىّ إيادى ، ففكرت وقلت : لعلِّى إذا قصدت تلك البلاد أن أجدهم أو بعضَهم أو أعقابَهم ، فأكافئهم على تلك الأيادى . فلما ذكرتُ هذا ، تسلَّيت عن المصيبة بالخروج ، وسَهُل على ، ووطنْت نفسى عليه. ودُفِن المهلّبى بالنُّوبختيّة بمقابر قريش .

وجعل معزّ الدولة أبا الفضل الشيرازىّ وأبا الفرج بن فسانحس ، المدبِّرَيْن للأمور من غير تسمية لواحدٍ منهما بوزارة .

وفى ليلة الخميس ، ثامن عشر ذى الحجة ، وهو اليوم الذى تسمِّيه الشيعة « غـــديرخُم » ، أُشعِلت النِّيران فى الأسواقُ ولم تُغْلق الدّكاكين ، كما يُعمل فى الأعياد ، وضرِبت الدَّبادب والبوقَات ، وبكَّر المتشيّعون إلى مقابر قريش ، وصلُّـوا هناك .

---

(١) معجم الأدباء ٩ : ١٣٩ .

سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة

استهدى القرامِطَةُ فى هذه السَّنة من سيف الدولة حديداً ، فقلَع أبواب الرَّقة ، وسدَّ مكانها ، وأُخذ كلُّ حديد بديار مُضر حتى صَنَجات البقّالين والباعة ، وأحدوه فى الفُرات إلى هِيت وحملوه منها إلى البريّة .

وأخذ ناصرُ الدولة المالَ عن معزّ الدولة ، فأصعد إلى الموصل ، ومَضَى ناصر الدولة إلى ميّافارقين ، فسارَ وراءه إلى نَصِيبين ، واستخلف على المَوْصِل سُبُكْتِكين ، فسارَ أبو تغلب [1] وإخوته لحربه ، فهزَمهم سبكتكين ، فأحرقوا زَبَازِبَ معزّ الدولة بالموصل ، وأسروا الأتراك ، وصعد أبو أحمد الطويل غلام موسى قتادة ، وكان قدضَمِن الأهواز ، وأصْعَد منها ، ليفسَخ ضَمَانَه .

وأخذ بنو حمدان كُراع معزّ الدولة وسلاحه ، وما وجدوه من ماله .

فأقبل معزّ الدولة إلى بَرْقَعِيد ، فأتاه حمدان بن ناصر الدولة مستأمناً ، وأتاه أبو الهيجاء حرب بن أبى العلاء بن حمدان مستأمناً أيضاً .

وأتى معزُّ الدولة الموصلَ ، واستأمن إليه المهيّا والمسيّب غلاما أبى تغلب ، فخلع عَلَيهما وطوّقهما وسوّرهما ، وأتاه أبو الحسن علىّ بن ميمون ، ورهَن نفسه عنده ، على ستّة آلاف ألف ومائتى ألف درهم ، وإطلاق الأسارى ، فرحل حينئذ ومعه ابنُ عمر وإلى الحديثه [2] ، وأتاه الأسارى والمالُ بها ، فانحدر إلى بغداد .

وفى هذه السنة خرج أبوعبد الله محمد بن القاسم المعروف بابن الداعى الحَسنِىّ ، إلى بلد الدَّيْلم .

وورد الخبر إلى بغداد سنة سبع وثلاثين وثلثمائة ، فلزم الكرخىّ الحنبلىّ ، وقرأ عليه الفقه ، وقرأ الكلام على أبى عبدالله البصرى ، ومنشؤه بطبرستان ، وكان يُجيب فى الفتاوى أحْسَنَ جواب .

---

(١) تجارب الأمم ٢ : ٢٠٥ : « ابن ناصر الدولة » .

(٢) الحديثة ، من قرى غوطة دمشق . ياقوت .

وألزمه معزُّ الدولة النَّظر فى نقابة الطالبيين ببغداد ، سنة تسع وأربعين وثلثمائة ففعل مجبراً وعَمَّر وُقُوفهم .

وسأله معزّ الدولة عن طلحةَ والزبير ، فقال : هُمَا من أهل الجنة ، لأنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم ، بَشَّرهما بالجنة ، وكان المهلّبيّ يخافُه ، فوضع عليه مَوْضوعات ، منها أنه كان يأخذ الْبَيْعةَ على الدَّيلم .

وبلغ من إجلال معزّ الدولة له ، أنه دخل عليه وهو مريض ، فقبَّل يَده استشفاءً بها .

ولمّا غاب معز الدولة فى هذه السَّفرة إلى نصيبين ، استخلَف ابنَه عزّ الدولة ببغداد ، فدخَل ابنُ الداعى ، فخاطبه بعض أصحاب عزالدولة فى مَعْنًى علوىّ خطأ أومى عليه ، فامتعض أبو عبد الله من ذلك وخرج مغضباً .

وكان ينزلُ بدارٍ على دِجْلة بباب الشَّعير ، فرتَّب قوماً معهم بالجانب الشرقىّ ، وأظهر أنه مريض ، وخرجَ مختفياً ومعه ابنهُ الأكبر ، وخلَّف أولاده وعياله وزوجته ببغداد ، ونعمتـه وكلّ ما تحويه داره ، ولم يستصحب غيرَ جُبّة صوفٍ بيضاء وسيف ومصحف ، وسلك طريق شهرزور ومضى إلى هَوْسم[1] . وسمّه علَوِىٌّ هناك قام بعده ، وكانت وفاته سنة تسع وخمسين وثلثمائة .

وأقام الدُّمستق على المَصِّيصة ثلاثة أشهر ، ووقَع الوباء فى أصحابه ، فأتى المستنفرون سيف الدولة ، فسارَ معهم وهو مريض ، فوَلَّى الدّمستق ، وكان المتنبى بالعراق ، فكتب إليه جواب كتابه ورد عليه :

فهمتُ الكِتَاب أبرَّ الْكُتُـبْ ... فَسَمْعاً لأمرِ أمير العـرب[2]
وَغرَّ الدمستقَ قولُ العـداة ... بأنَّ عليًّا ثَقِيلٌ وَصِـبْ
وقَدْ علمتْ خيلُه أنَّـه ... إذا هَمّ وهْوَ عليلٌ رَكِـبْ
أتاهمْ بأوسعِ من أرْضِهِـم ... طوال السَّبِيب قِصار العسب[3]
تَغيبُ الشّواهِقُ فى جيشـه ... وتَبْدُو صغاراً إذا لم تَغِـبْ
فَعَرَّقَ مُدْنُهمْ بالجيُـوش ... وأَخْفَتَ أصْوَاتَهم باللَّجَـبْ

(١) هوسم من نواحى الجبل خلف طبرستان والديلم . ياقوت .
(٢) ديوانه ١ : ١٠٠ .
(٣) السبيب : شعر الناصية . والعسب : جمع عسيب وهو منبت الذنب من الجلد والعظم .

سنة أربع وخمسين وثلثمائة

فيها قُتِل غلمان سيف الدولة بَحضْرته ، ونجا غَلامه ، فغُشِيَ على سيف الدولة لذلك ، فأمرتْ زوجته بنت أبي العلاء سعيد بن حمدان ، برَمْيِ من نجا من قَصْرها ، ولما أفاق قُتِلِ قتلته ، وبلغ الخبرُ أبا فراس ، فكتب إليه وهو مأسور شعراً :

مازلتَ تَسْعى بجِدٍّ برغم شانيك مقبلْ
ترى لنفسك أمراً وما يرى الله أفْضلْ

وأوصل معزُّ الدولة أبا أحمد خلف بن أبي جعفر بن يانو إلى الخليفة ، فقلَّده سجستان ، وخَلَع عليه ، وعقَد له لواءً .

وفيها دخل ملك الروم المَصِّيصة ، وساق من أهلها مائتى ألف إنسان ، وأعْطى أهلَ طَرَسوس الأمان ، وأمرهم بالانتقال عنها إلى أيِّ بلد اختاروا ، ومعهم من أموالهمْ ماشاءوا ، ففعلوا وحمَاهم إلى أنطاكية ، وجعل جامع طرسُوس إصطبلاً ، وأحرق المنْبر ، وتقدَّم لعمارة البلد ، واستخلف عليه بِطريقاً فى خمسين ألفاً .

وفى جمادى الآخرة قَلَّد معزُّ الدولة أبا أحمد الموسوى[1] نقابة الطالبيين بأسرهم ، سوى أبى الحسين بن أبى الطيب وولده ، فإنهم استَعْفَوْه فأعفاهم ، وردَّ إليه إمارة الحاج .

---

(١) فى الأصل : « الموسى » تحريف .

سنة خمس وخمسين وثلثمائة

فيها لُقِّب الخليفةُ الحبشيَّ بن معزّ الدولة سندَ الدَّولة .

وانحدر معزّ الدّولة لمحاربة عمران .

وانحدر إلى الأبُلّة ، ونَزَل فى دار البريدىّ بشاطئ عُمَان ، وبنى الشذاءات والمراكب .

ووافاه نافع الأسود ، مولَى يوسف بن وجيه مستأمِناً ، فقَبِله .

وأنفذ أبا الفرج محمد بن العبّاس مع نافعٍ فى مائة مركب ، فلمّا صارَ بسِيراف وافاهُ جيش عَضُد الدولة ، فى مركب وشذاءات ، نجدةً لعمّه معزّ الدولة .

ومَلَك أبو الفرج عُمَان ، وأحرَق لأهلها تسعة وتسعين مَرْكباً .

وأصْعَد معزّ الدولة إلى بغداد واستخلف على قتال عمران أبا الفضل العباس بن الحسين الشيرازىّ ، فأخذ فى سدّ الأنهار ، واستخلف على واسط سُبُكْتِكِين .

وفى رجب فادى سيف الدولة الرّوم ، وارتجع أبا فراس منهم ، فقال الببغاء يمدحه :

ما المال إلاّ ما أفاد ثنــاء ... ما العزُّ إلاّ ما ثنَى الأعـداء

شحَّت على الدنيا الملوكُ وعافَها ... مَنْ لم يُطِعْ فى حفظها الأهواء

باع الذى يَفْنى بما أبقَى لـه ... ذِكْراً إذا دَجَتِ الخُطُوب أضاءَ

فليهنِ سيفَ الدولة الشَّرفُ الذى ... لوكان مرئياً لكانَ سمـاء

وطهارة الخُلُق الّذى لو لم يكن ... عَرَضاً من الأعراض كان الماء

ورجاحة الحلم الذى لوحلّ بالـ ... هضبات من رَضْوَى ثَنَاه هَبَاء

بَدْرٌ تحقّقت البدور بأنهـا ... ليستْ وإن كَمَلَتْ له أكفاء

ألْقَى إليه الدَّهرُ صَعْبَ قِيَاده ... فاستخدم الأيّام فيا استـاء

أمُحقِّقَ الآمال بالكَرم الّذى ... أحْيَا العُفَاةَ وَبَخَّلَ الكُرمـاء

شكَرَ الإله من اهتمامك بالهدى ... مازاد باهرَ نوره استعـلاء

راعيته وسِواك فى سِنَةِ الهَوَى ... ما ذاد عنه لسيفك الأعـدَاء

وفديت من أَسر العدوّ معاشراً لولاك ماعَرفَ الزَّمان فــداء
كانوا عَبيد نَدَاك ثم شريتَهم فغدوا عبيدك نِعْمَةً وشراء
والأَسْرُ إحدى الميتتين وَطالَمَا خَلَدُوا به فأعَدْتَهمْ أحيــاء
وضمِنْتَ نفسَ أبي فراسٍ للعلا إذْ منه أصبحت النُّفوس بَــرَاءَ
ماكان إلاّ البَدْرَ طَالَ سرارُهُ ثم انْجَلَى وقد استَتَمَّ بَهَــاء
يومٌ غدا فيه سَماحُك يعتق الـ ـلأَسْرى ومنك بأسر الأمــراء
خُصَّت بنو حمدان منه بنعمةٍ عَمَّتْ بفضلك تَغْلِبَ الْغَلْبَاءَ

وقال ابن نباتة يمدحه بقصيدة منها :

تُطيع اللهَ في خَوْضِ المَنَايَا وسَيْفَ الدّولة المَلِكُ الجليـلا (١)
إذا طلبتْ ملوكهمْ إلينَا دخول الحرب زدناهم ذحولا(٢)
فداؤك مَنْ فَدَيتَ من البرايا وإن كانوا لأن تُفْدَى قَليــلا
فأنْت خلقتَهمْ خَلْقاً جديــداً وصَيَّرتَ السَّماح بهمْ كَفيــلا
تزيدُ بحسنِه الدُّنيا ضِيَاءً وأبصارُ المُلوك به كُلُــــولا
إذا ماجئتَ والأملاكَ جمْعاً غَدَوْتَ نباهةً وغدوْا خُمُــــولا
أحقُّهم ببذْل المال فينَــا فتى يُمْسى لمُهْجَتِه بَذُولا
وَأَوْلاَهُمْ بأن يُسْمَىَ جَواداً فتى يهب الرَّغَائِبَ والعُقُولا
تريك بنانُه في كلِّ يوم طِعَاناً مُحْيِياً ونَدًى قَتُــولاَ
وفَضْلاَ يستفيد الدَّهْرُ منــه كريم الطَّبع والخُلُقَ الجَميلا

وورد الخبر بأنّ ركن الدّولة ملك الطّرم (٣) ، ومضَى وهسودان مُنْصرِفاً عنها ، فقال المتنبى يَمْدَح عضد الدولة :

أَزَائِرٌ ياخيالُ أم عائــــدْ أمْ عند مَوْلاَكَ أنّنِي رَاقِـدْ (٤)

---

(١) مختارات البارودى ٢ : ٢٠٣ .

(٢) فى الأصل « دخولاً » وأثبت ما فى مختارات البارودى .

(٣) الطرم : ناحية كبيرة بالجبال المشرقة على قزوين فى بلاد الديلم . ذكرها ياقوت وذكر أنه دخلها .

(٤) القصيدة فى ديوانه ٢ : ٧٠ – ٧٩ .

يقول فيها :

نِلْتَ وما نِلْتَ من مَضَرَّةِ وَهْـــسُوذَانَ مازَالَ رَأيه الْفَاسِدْ

معناه : أنه جنى على نفسه الشر ، بتعرّضه لقتالكم .

يَبْدَأُ من كَيْدِهِ بغَايَتِهِ وإنّما الحربُ غايةُ الكائـــد

معناه : أنه من سبيله ألاّ يحارب إلاّ مضطرًّا ، والكائد : الذى يَبْغِى الغوائلَ والشَّرَّ .

مَاذا على مَنْ أتَى يُحارِبُكُمْ فذمَّ ما اختار لو أتى وَافِـــدْ

بلاَ سلاح سِوَى رجَائِكُمُ فَفَازَ بالنَّصْر وانْثَنَى رَاشِـــدْ

وَلَيْت يومِىْ فَنَاءِ عَسْكَرِهِ ولم تَكُنْ دَانياً ولا شَاهِـــدْ

ولم يَغِبْ غائبٌ خليفتُــــه جيشُ أبيه وَجَدُّهُ الصَّاعِـــدْ

وقَدِم أبوالفرج بن فسانحس من عُمان ، فقال ابنُ نباتة يمدَحهُ بقصيدة طويلة منها :

لَعَمْرِى لَقَدْ أهدى النصِيحة مَرَّةً لآل عُمان خيرُ حافٍ ونَاعِلِ (١)

وناشدَهم بالله حَتَّى تقطَّعَت عُرَى الْقَوْل وانحلَّتْ عُقُود الْوسائِل

فلمّا رآهم لاَ تثُوب حُلُومهُمْ رَمَاهُم بأمثال القِسِىّ العواطِـلِ

فركّب أغصان المنية فيهـــمُ وراء الأعالى ظامئات الأسافلِ

سَرَيْتَ لهمْ ليلاً تحولُ نجومُه وهمُّك فى أعجازه غيرُ حائلِ

كأنّك إذ جرّدْتَ رأيك فيهمُ طلعتَ عليهمْ بالقَنَا والْقَنَابـلِ

دَنَا الحق حتَّى نَالَهُ كلُّ طالبٍ وكان بعيداً من يدِ الْمُتَنَـــاوِلِ

وأصبح شَمْلُ النَّاسِ بعد تبدُّدٍ ينظّم فى سِلْكٍ من الحقِّ عَادِلِ

---

(١) مختارات البارودى ٢ : ٢٠٦ .

سنة ست وخمسين وثلثمائة

فيها قصد معزُّ الدولة عمرانَ بن شاهين ، وأبى أن يقبلَ منه مالاً ، وألاَّ يقْنَع إلاّ بحضور بساطه ، فاعتلَّ من ضَرْب ذَرَبٍ[1] لَحِقَهُ ، واستخلف على عسكره سُبُكْتكِين ، ورجَع إلى بغداد ، وعهِد إلى ابنه عزّ الدولة ، وأظهرَ التّوبة ، وأحضر أبا عبد الله الْبصْرىّ ، وتاب على يده .

وكان مع أبى عبد الله صاحبهُ أبو القاسم الواسطى ، فكانا إذا حضر وقتُ الصلاة خرجا من الدّار ، وصَلّيا فى مسجد عَلى بابها ، فسألهما عن السّبب فى خُروجها ، فقال أبو عبد الله : إن الصّلاة فى الدار المغصوبة عندى لا تصحّ ، وسأله عن عمر ابن الخطاب ، رضى الله عنه وعن الصحابة رضوان الله عنهم ، فذكر أبو عبدالله سابقتَهم ، وأنّ عليًّا زوّج عمرَ ابنته أم كلثوم رضى الله عنهم ، فاستعظم ذلك وقال : ماسمعتُ هذا قَطّ !

وتصدّق مُعزّ الدولة بأكثر ماله ، وأَعتَق مماليكه ، وردّ شيئاً كثيراً من المظالم ، وتُوُفّى فى شهر ربيع الآخر .

قال أبو الحسين بن الشِّيبة العَلَوىّ : بينما أنا فى دارى على دِجْلة بِمَشْرَعة الْقَصب ، وكانت ليلةٌ مظلمة ، والسّماء متغيّمة ، وقد اشتدّ الرّعد القاصف ، ولَمعَان البرق الخاطف ، ولم تَمْضِ ساعةٌ الليل ، حتّى هَطَلت السماء بعظيم السيل ، فخرجتُ إلى الرَّوْشَن[2] لأنظر إلى السماء ، وأسمع وقْع المطر على الماء ، فإنى لواقف إذ سمعت صوت الهاتف يقول :

لمّا بلغتَ أبا الحسين مُراد نفْسك فى الطَّلبْ[3]
وأمِنْتَ من حَدَثِ اللّيا لى واحتجبت عن النُّوبْ
مُدَّت إليكَ يد الرَّدى فأُخذْتَ من بَيْن[4] الذَّهبْ

---

(١) الذرب : داء يعرض للمعدة فلا تهضم الطعام ويفسد فيها ولا تمسكه . المعجم الوسيط .

(٢) الروشن : الرَّف ، فيه كوة .

(٣) الأبيات فى ابن كثير ١١ : ١٦٣ .

(٤) فى الأصل : « بيت » تصحيف .

فأرّخت الوقت ، وكان لأربع ساعات مضتْ من ليلة الثلاثاء سابعَ عشر شهر ربيع الأول .

ثم اتصَل الوابلُ فحبَس النَّاسَ أيّاماً فى المنازل ، فلما انقَشَع الغمام وانتَشَر النَّاس ، شاع الخبر بأن معزّ الدولة تُوُفِّيَ تلك الساعة ، فى تلك الليلة . ومولِدُ معزّ الدولة سنة ثلاث وثلثمائة .

ومن آثاره سَدّ بثق الرومانية ، وعمل المعيض بالسّندية [١] ، وسدّ البثق بالنّهْروان ، وأسْقط المواريث الْحَشَرية ، وأمرَ بردِّها إلى ذوى الأرحام ، وتسليم مالا مستحَقّ له إلى القضاة ليصرِفوه فى مصالح المسلمين .

وكان قد سأل المطيعَ لله أنْ يَطُوف فى دار الخلافة ، فشَرط عليه ألا يخترق الدار إلا فى نفسين ، وتقدم إلى شاهدٍ خادمه ، وابن أبى عمرو حاجبهِ ، أن يَمْشيا بين يَدَيْه .

فدخل معز الدولة ومعه الصيمرىّ وحاجِبه أبو الحسن الخراسانى ، فقال له الصيمرى بالفارسية — وأصحاب الخليفة لايعرفونها : فى أىّ موضع أنت حتى تسترسل ؟ أمَا تعلم أنّه قد فُتِك فى هذه الدار بألف أمير ووزير ! أليس لَوْ وقف لنا عشرة من الخَدم فى هذه الممرات الضّيقة لأخذونا ! فقال : صدقت ، وإن رجعنا الساعة ، عُلِم أنّنا قد فَزِعْنا وخِفْنا ، وضَعُفَتْ هيبُتنا ، فقال الصيمرّى : ادْنُ مِنّى ، فإنّ مائة من الخدَم لايقاومونى .

فانتهوْا إلى دارٍ فيها صنمٌ من صخر ، على صورة امرأة ، وبين يديْها أصنام صغار ، فسأل عنها ، فقيل : هذا حُمِل من بلدان الهِنْد ، وقد فُتِح فى أيام المقتدر رحمه الله ، وكان يُعْبَدُ هناك ، فقال : لوكان مكانه جارية لاشتريتُها بمائة ألف دينار على قلّة رغبتى فى الجوارى ، وأريد أنْ أطلبه من الخليفة . فمنعه الصَّيْمرىّ .

ومارجع إلى معزّ الدولة عقلُه ، حتَّى رجَع إلى طيّاره ، وقال : قد رأيتُ محبَّتى للخليفة وثقتى به ، ولو أراد بنا سوءًا لكنّا اليوم فى قبضته ، وتصدَّق بعشرة آلاف درهم ؛ شُكْراً لله على سلامته .

وفى هذه السنة قُتِل أبو الطيب المتنبى ، وكان عند عَضُد الدولة بشيراز ، فودَّعه بقصيدته [٢] التى نعى فيها نفسَه ، وقال فيها أشياء لم يَقُلْ فى عقبها إن شاء الله ، منها :

---

(١) السندية من قرى بغداد على نهر عيسى . (٢) القصيدة فى ديوانه ٣ : ٣٩٠ .

إذا التَّوديعُ أعْرَضَ قال قَلْبِي عَلَيْكَ الصَّمْتَ لاصَاحَبْتَ فَاكَا

وكمْ دون الثَّوِيَّه من حَزِينٍ يقول له قُدومى ذا بِذَاكَا

فَلَوْ سِرنَا وفى تَشْرِين خَمْسٌ راوْنى قبل أن يروُوا السِّمَاكَا

– قال ابن جِنِّى : بالغ وبغَى فى ذِكْر السرعة ، لأنّ السماك يطلُع لخمسٍ خَلَوْن من تَشْرين الأول ، أى كنت أسبقه إلى الكوفة بالطُّلوع عليهم –

ومَا أنَا غير سهم فى هَــواءٍ يَعُودُ وَلَمْ يَجِدْ فيه أمتِسَاكَا

يعنى فى سرعة الأوبة .

ولما قال :

وأيًّا شئْتِ ياطُرُقِى فكونِى أذاة أونجاة أوهَلاكَا[1]

قال عضُد الدولة : يُوشك أن تكون مِنيّته فى طَرِيقه ، وعاد وقد أوْقَره مالا ، ولمّا بلغ هُمَانيا[2] مقابلَ دير العاقول ، خَرَج عليه فاتك بن أبى الجهل الأسدى ، فقاتَل المتنبى قتالاً شديداً وقُتِل وأصحابه وأُخِذ مالُه :

وقال أبو أحمد العسكرى يجيب ابنَ هارون ، وقد رَثَى المتنبىَّ :

ياشَقْوة المتنبِّى ما أتيح لــه بَعْدَ الكرامة من ذُلٍّ ومن هُونِ

تقضى منيَّته فى أرضِ مضيَّعةٍ ويُستباح ويَرْثِيه ابنُ هارون

انى لأرثِى له مِمَّا رثاه بــه قولٌ ركيكٌ وشعرٌ غيرُ موزون .

لوكان يسمَعُ شعراً قد رَثَاهُ به لقَام من قَبْرِه فى زِىِّ مجنون

وقال أبو الحسن محمد بن يحيى الزَّيْدِى العلوى – وأقام بعَسْكر مكرم : كان المتنبى ينزِل فى جوارى بالكوفة ، وهو صبىٌّ وأبوه يسمَّى عَبْدون السَّقَّاء ، يستقِى لأهل المحلَّة ، ونشأ هو محبًّا للعلم والأدب ، وصحبة الأعراب بالبادية ، فجاءنا بعد سنين بَدَوِيًّا ، وكان لايعترف بنسبه ويقول : متى انتسبتُ لم آمنْ أن يأخذَنى بعضُ العرب بطائلة بينه وبين قبيلته ، وكان أخوه ضريرا يتصدَّق ببغداد ، وادّعى أنه حُسينى ، ثم ادّعى بكلب أنه نبىٌّ ، فأشرف على القَتْل ثم استتابوه .

---

(١) فى الأصل : « وأني شئت » تحريف .

(٢) فى ياقوت : « همانية قرية كبيرة بين بغداد والنعمانية بواسط » .

قال التنوخيّ : كنت أحبّ أن أسأل المتنبي عن سبب لقبه ، فكنتُ استَحيِي لكثرة مَنْ يحضر مجلسَه ببغداد ، فلمَّا جاء الأهواز ماضياً إلى فارس ، قلتُ : فى نفسي شيء : أحبّ أن أسألك عنه ، فقال : عن لقبى ؟ قلتُ : نعمْ ، فقال : هذا شيء كان فى الْحَداثة أوجبته . ضرورة[١]

قال التَّنُوخِي : فما رأيتُ فى دهشة[٢] ألف منها ، لأنه يحمل المعنى أنه كان نبيًّا إذا عمد الكذب ، أو أن عنده أنه كان صادقاً ، إلاّ أنه أعرف بذلك .

إمارة عز الدولة أبى منصور بختيار بن معزّ الدولة

كانت إمارته إحدى عشرة سنة وشهوراً .

وكان عزّ الدولة من أحسن الناس وأشدِّهم قوة ، كان يصْرع الثَّوْر الجَلْد بيده من غير حبال ولا أعوان ، يقبض على قوائمه ويطرحه إلى الأرض حتى يُذْبح ، وكان يقبض على رقبتىْ غُلامين بيده ، وهو قائم وهما قائمان ، ويرفعُهما من الأرض وهما يصيحان ويضطربان ولا يمكنهما الخَلاص .

وكان من قوّة القلب على أمر عظيم ، وبارز فى متصيّداته غير أسدٍ ، وَطَرَقه أسدٌ على غفلة وَثَب على كفل فرسه ، فضربه بخشبة وقتله .

وخلع عليه الخليفةُ ، وطوّقه وسوَّره وكتبَ عهده .

وفى هذه السنة ، لحقَ أبا علىّ بن إلياس[٣] علّةُ الفالج ، وخلفه[٤] أولادُه . فملَك عضُد الدّولة كِرْمان .

ومضى أبو علىّ إلى خراسان ، فنادم صاحبَها ، وأطمَعه فى مُلْك الديْلم ، فأنفذ صاحبه محمد بن سمحور ومعه هدايا إلى الحسين بن الفيرُوزان ، وإلى وشمكير ، وجعل إلى وشمكير تدبير الجيش .

وكاتب ركنُ الدولة عضدَ الدولة يَستمدّه ، وكُفِىَ وشْمكير بالموت ، فإنه ركب

(١) فى الأصل : « صورة » تحريف .

(٢) كذا فى الأصل .

(٣) سبق فى حوادث سنة ٣٢٤ أن أبا على بن إلياس ملك كرمان وصفت له .

(٤) فى الأصل : « وخالفه » . وفى الكامل ٧ : ٢٧ ذكر خبره مع أولاده الثلاثة : « اليسع وإلياس وسليمان » .

فرساً أدْهَم حسن الصورة ، ونهاه مُنَجِّمه على الركوب ، فعارضه خِنْزير قد أفلت من حَرْبَة رُمِيَ بها ، فشبّ الفرس وشمكير غافل ، فسقط على دِماغه ، فخرج من أنفه دم وحمل ميِّتاً ، وكتب ابن العميد فى ذلك كتاباً أوّله : الحمد لله الذى أغنى بالوحوش عن الجيوش ، وقال : أخذت هذا من كتاب كتبة صبيٌّ بين يدىْ عمرو بن مسعدة ، وقد ولَدت بقرة آدمياً ، فقال له عمرو : اكتب فى ذلك ، فكتب كتاباً أوله : الحمد لله خالق الأنام فى بطون الأنعام ، فحسد عمرٌو الصبيَّ ، وخاف أن يتمم فتسير بلاغته ، فأخذ الدرج من يده .

واجتهد عزّ الدولة بسُبُكْتِكين ، أن يخرج إلى الجيش لمساعدة عمّه ركن الدولة ، فلم يَفْعل ، فأنفذ الفتكين ، ووصل إلى الرّيّ وقد وقع الغَنَاء عنه .

وفى شعبان خَلَع على القاضى أبى محمد بن معروف ، ووُلّى القضاء بالجانب الغربّى .

وخلع على ابن سيار ، وقُلِّد القضاء بالجانب الشرقى .

وفيه تُوُفِّىَ أبو جعفر هارون بن المعتضد بالله .

وفى ذى الحجة تُوُفِّىَ مفلح الأسود ، خادم المقتدر بمصر .

وفيه قبض أبو تَغْلِب بن حمدان على أبيه ناصر الدولة ، حين كَبِر وساء خُلُقه ، فأنفذ إليه الخِلَع واللواء من الحضْرة .

وفى هذه السنة تُوُفِّىَ كافور الإخشيدىّ صاحب مصر .

قال أبو جعفر مسلم بن طاهر العلوىّ : مارأيت أكرم من كافور ، كنت أسايرُهُ يوماً ، وهو فى موكب خفيف مؤيَّد متنزهاً ، وبين يديه غلمانه ، وعدّة جنائب بمركب ذهب ومراكبَ فضة ، وخلْفَه بغال الموكب والفرش كما تكون الملوك ، فسقطت مَقْرَعَتُه من يده ، ولم يرها ركابيّه فنزلتُ من دابّتى ، وأخذتُها من الأرض ودفعتُها إليه ، فقال : يا أبا جعفر ، أعوذ بالله من بلوغ الغاية ، ماظننتُ أنْ الزمان يُبلِغنى إلى أنْ تفعل هذا ، ثم ودَّعنى ، فلما سِرْت التفتّ ، فإذا خلفِى البغال كلُّها والجنائب ، فقلت : ماهذا ؟ فقالوا : أمر الأستاذ أن يُحْمَل هذا إليك ، فأدخلتُه دارى ، وكانت قيمته زيادة على خمسة عشر ألف دينار ، وحكاياته عن المتنبى مشهورة .

وفى هذه السنة هَلَك سيفُ الدولة ، ونصَّب غلمانُه أبنه أبا المعالى بحلَب .

وغزا سيف الدولة الرّوم أربعين غَزْوة ، له وعليه .

ومن شعره :

تجنَّى علىَّ الذنبَ والذّنبُ ذنبُه وعاتبنى ظُلْما وفى جَنْبه الْعَتْبُ (١)

وأعرض لمّا صار قلبى بكفّه فهلاَّ جفَانى حينَ كان لىَ القَلْب

إذا بَرِم المولَى بخدمةِ عَبْده تجنَّى له ذنبا وإن لم يكُنْ ذنبُ

وكان(٢) قد ترك الشّرب لمواصلة الحرب ، فوردت مُغَنّيةٌ من بغداد ، ولم يُمَكّن أبا فراس أن يَدْعُوها قبله . فكتب إليه :

محلُّك الجوزاءُ أوْ أرفَعُ وصدْرُك الدَّهْناء أوْ أوْسَعُ(٣)

وقَلْبُكُ الرّحب الذى لم يَزَلْ للجدِّ والهزلِ به موضِعُ

رفِّه بصرْعِ العود سمعاً غدا قَرْعُ العوالى جُلّ ما يسمعُ

فأمر بعمل المجلس ، واستدْعَى بها والجماعة ، وبلغت الأبيات المهلَّبىّ ، فأمر أن يُصاغَ لها لحنٌ(٤).

وحُكِىَ ان سيف الدولة ، لَمّا ورد إلى بغداد وقت توزون ، اجتاز وهو راكب فرسهُ ، وبيده رمحُه ، وبين يديه عبدٌ له صغير ، وقَصَد القُرْجة ، وألاّ يُعْرف ، فاجْتاز بشارع دار الرقيق ، على دُور بنى خاقان وفيها فتيان ، فدَخل وسمِع وشرب معهمْ وهم لايعرفونه ، وخَدموه ، ثمّ استَدْعى عند خروجه الدواءة ، فكتب رقعةً وتركها فيها ، ثم انصرف ففتحوا الدواءة ، فإذا فى الرّقعة ألفُ دينار على بعض الصيارِف ، فتعجبوا وحملُوا الرُّقعة ، وهم يظنُّونها ساذَجَة ، فأعطاهم الصيرفى الدنانير فى الحال والوقت ، فسألوه عن الرجل فقال : ذاك سيف الدولة بن حمدان .

وقال الببغاء يرثيه بقصيدة ، منها :

خلف المدائحَ بعدك التَّأبين عن أىّ حادثةٍ يُعزَّى الدِّينُ

ماكانَ فى الدنيا كيومكِ مشهدٌ بَهَر العقول ولا نَراه يَكُون

---

(١) يتيمة الدهر ١ : ٢٥ .

(٢) الشعر والخبر فى يتيمة الدهر ١ : ٢٨ .

(٣) ديوانه ٢ : ٢٢٤ .

(٤) فى اليتيمة : « فأمر القيان والقوّالين بحفظها وتلحينها » .

لم يبق محذوراً فكلُّ مصيبة جللٌ لديه وكلّ خَطْبٍ دُونُ
هبْ للهدى من بعد فقدك سلوةً فحِراكه مذْغبت عنه سُكُــون
أبْقَى نَعيُّك فى القبائل لَوْعَــةً فيها لمنسرب الدموع مَعِــينُ
أربيعة الفرس استجدِّى نجدَةً فسهول عزّك بالمُصاب حُزُون
كُنْ كأنت أسىً ولكن بالحجى يتفاضل المحزون والمحـــزون
ولى بسيف الدولة العزّ الذى كانت عليه به الخطوب تهــون

سنة سبع وخمسين وثلثمائة

وزارة أبي الفضل الشيرازي

فيها قلّد عز الدولة أبا الفضل العبّاس بن الحسين الوزارة ، وخلَع عليه ، وأقطعه إقطاعاً بخمسين ألف دينار .

وأظهر أبوالفرج الامتناعَ عن العمل ، فألزمه ، وخلَع عليه الدُّرّاعة .

وقال ابنُ الحجّاج ، يهنئ أبا الفضل[1]:

هَذَا لواءُ العُلا والمجدِ قد رُفِعا ... والْبَدْر بَدْرُ الدُّجى للتِّمِّ قد طَلَعَا
وكان بالأمس لَطْخٌ دُونَ رؤيته ... فانجاب بالأمس هذا اللَّطْخُ وانقَطَعَا
فاليوم أصبح شَمْلُ الخوفِ مجتَمِعاً ... يشكو الشَّباب وشملُ الأمن مجتمعا
قد أذعن النَّاسُ وانقادُوا لسيِّدهمْ ... فمَنْ تحرّك منهمْ بعدها صُفِعَا
فديتُ مَنْ لم أكن بالغمض مكتحِلاً ... خوفاً عليه ولا بالْعَيْشِ منتفعا
حتّى كفى الله مولانَا وخيَّب مَنْ ... سعى عليه وفى أيامّه طَمِعا
ومرّ بى سائراً فى موكبٍ لجِـــبٍ ... لو جَلْجَل الرّعدُ فى قُطْرَيْه ماسَمِعا
مضى علىّ وقلبى طائرٌ جَزَعاً ... أخشى العِثار على مولاىّ أن يَقَعا
فليت لى بدرة منها مكسرة ... ألف وسائرها ضَرْب كما طبعا
حتى إذا مرّ مجتازٌ بعسكـــــره ... نثرت منها الصّحاح الدّقّ والقطعا
والضرب فى البيت عندى كنت أرفعه ... فإنهُ جوف بيتِى ربَّما نَفَعا
ولو تلوح من مولاى لى فـــرجٌ ... نثرتُ غلّتها ثم الصِّحاح معا
لكنْ أبقى لنفسِي ما أعيش بـــه ... فإنّ رزقىَ مرفوعٌ قد انقطعـــــا

وكان الحبشىّ بن معزّ الدولة ، قد تغلّب على البصرة فانحدر الوزير أبو الفضل إلى الأهواز ، واستخلَف أبا العلاء صاعداً ، وكاتب الحبشىّ يسكّنه ويأمره بإنفاذ مال ، فأنفذ إليه مائتى ألف درهم ، فأنفذها الوزيرُ إلى عِزّ الدولة .

(١) فى الأصل : «أبو» .

ثم ظفر الوزير بالحبشيّ ، وأمّنه وأنفذه إلى عمّه ركن الدولة ، واستخلف على البَصرةِ المرزبان بن عزّ الدولة .

وفى ليلة النصف من شعبان ، مات المتّقى لله إبراهيم بن المقتــدر بالله فى داره التى على دِجْلة ، المعروفة بابن كنداحميق ، ودُفِنَ فى دارٍ تُحاذيها .

وفى شوّال قَدِم أبو أحمد الشيرازى من شيراز ، فأخبر أنَّ عَضُد الدولة توجّه إلى كرمان لينتزعها من يد اليسَع ، وخطبَ بنت عزّ الدولة للأمير أبى الفوارس بن عَضُد الدولة ، وكان الخطيب فى العَقْد أبا بكر بن قريعة ، وثبتتْ وكالة أبى أحمد عند ابن معروف ، من عَضُد الدولة ، بَعقدَ النكاح لابنهِ لصغره ، وكتب كتابين من نِسُخْةٍ واحدة على صداقٍ مائة ألف دينار :

وورد الخبر بوفاة الحسن بن الفيرزان بالبلاد الّتى تغلّب عليها من جُرجان .

وفى هذه الســنة تُوُفّى أبو الفرج علىّ بن الحسين الأصفهانىّ ، صاحب الأغانى ، وهو من ولد مروان بن محمد الأموىّ ، ومولده سنة أربع وثمانين ومائتين ، ولم يُعْرَف أمويٌّ يتشيّع سواه ، وله فى المهلّبىّ تهنئة بابن ولدٍ له من سُرِّية روميّة :

أَسْعِد بمولودٍ أتاك مُبَــاركاً ... كالبدْر أشرقَ جُنْح لَيْلٍ مُقْمِرِ[1]
سعدٌ لوقتِ سعادَةٍ جاءت به ... أُمٌّ حَصانٌ من بَنَات الأصفــر
مُتَبجّح فى ذِرْوَتى شَرَفِ الْوَرَى ... بين المهلّب مُنتماه وقَيْصَرِ
شمس الضحى قُرِنتْ إلى بدْرِ الدُّجى ... حتَّى إذا اجتمعتْ أتَتْ بالمشترى

ويروى أن المهلبى ، دخل إلى تُجْنى ، فلما رآها تمثل :

فما أنس لاأنس إقبالَهـــا ... وتَميس كغصنٍ سَقَتْهُ الرُّهُمْ[2]
وقد بَرَزَتْ مثلَ بدرِ السمـا[3] ... سما فى العلوّ علوًّا وتَــمّ
على رأسهـــا مِعْجَرٌ أزرق ... وفى جِيدها سُبْحَةٌ من بَرَمْ[4]

(١) يتيمة الدهر ٣ : ٩٦ .

(٢) يتيمة الدهر : ٣ : ٩٨ ، وفيها « سقتة الديم » .

(٣) اليتيمة : « بدر الدجى » .

(٤) البريم : حبل فيه لونان مزين بجوهر تشده النساء على الوسط والعضد .

ولم تَرْتقَب لطلوع الرَّقيب ولم تحتشِمْ من حُضُورالْحَشَم(١)
لقد سؤتنى يانظام السُّرُور وأسقمتْنى يا شِفَاء السَّقَمْ
بجودك عن عفر فى الْكَرَى وبخلك مسئولة عن أمَمْ
أهذا المزارُ أم الازورا ر وإلمامكم ألَمٌ أو لَمَمْ

فقالت له تُجنى : تتمثلّ بشعر قائله ولاتزُيل شعَثه ، قال : ومَنْ هو قائله ؟ قالت : الأصبهانى ، يمدحك به ويقولُ فيه :

فداؤك نفسى هذا الشِّتَاء عَلَيْنَا بِسُلْطَانِه قدْ هَجَمْ
ولم يبق من سنتى دِرْهَمٌ ولا منْ ثيابىَ إلاَّ رِمَمْ
يؤثِّر فيها نسيمُ الْهَوَا وتَخْرِقُها خافيات الْوَهَمْ
فأنتَ العماد ونَحْن العفاةُ وأنتَ الرئيس ونحنُ الخدَمْ

فأمَر له بمال .

(١) اليتيمة : « لطلوع الحشم » .

سنة ثمان وخمسين وثلثمائة

فى المحرّم ماتَ أبو أحمد الفضل بن عبد الرحمن بن جعفر الشّيرازىّ ، ومن شعره :

أهلاً وسهلاً بالحبيب الّذى يصفينىَ الودّ وأصْفيهِ
محاسنُ الناس الّتى فُرِّقتْ فيهم غَدَتْ مجموعةً فيهِ
قد وَضح البدر بإشراقه والغُصْن غَضًّا بتثنّيه
أفديه أحميه وقلت له من عبده أفديه أحميه

وفى هذه السنة أتى الهجريُّون عين التَّمْر ، فتحصَّن منهم صنبة العينّىُ بشفاثا ، فاستاقُوا المواشىَ وانصرفوا .

وأتى ملك الروم طرابلسَ ، فأحرق رَبَضها ، وأخذ من بلدان الساحل مائة ألف شابٍّ وشابَّة ، وعزَم على قصد بَيْت المقدِس ، فهاب القرامطة ، وقد كانُوا نزلوا الشام ، وأوقعوا بابن عبدالله بن طُغْج .

وفى جمادى الآخرة مات الأمير أبو جعفر بن الراضى بالله ، وكان نازلاً بالرُّصافة . وفيه كثُر ببغداد موت الْفَجْأة .

وبلغ الكُرّ زيادة على تِسْعين ديناراً .

ولم تزدْ دجلة والفرات والنَّهروان فى هذه السنة .

وفى هذه السنة خُطِب لعضُد الدولة بسجستان ، واستخلَف على كِرمان ابنه شيرزيل ووجَد الأكراد فى جبل جلود الوقيعة ، بسيل كثيف عزارج[1] ، معقود فيه مالٌ وصِيَاغَاتٌ ودراهم ، فى كلّ درهم منها خمسة دراهم ، وفى أحد وجْهيه صورة بَقَرةٍ ، وعلى الوجْه الآخر صورة إنسان وعليه كتابَةٌ روميّة .

وكان أبوتغلب قد سلّم إلى أخيه حمدان الرّحبة ، ثم أساء إلى وكلائه ، فكتب إليه حمدان يَحْلِف بطلاق ابنهِ سعيد بن حمدان ، وبكلّ يمين أنه إن أحوَجَه استعان عليه بالدَّيْلَم ، فإن انتصف وإلّا استعان بالقرامطة ، فإن بلَغ غَرضاً وإلا استعان بملك الروم ،

(١) كذا فى الأصل .

فكان جوابُ ذلك من أبى تغلب ، أن قَبضَ ضِياعه ، وطردَ وُكلاءه ، وأنفذ أخاه أبا البركات ، فانتزع الرحبة من يد حَمْدان .

فدخل حمدان بغداد فى شهر رمضان ، وتلقّاه عزّ الدولة وسُبُكْتِكين فى مَيدان الأشنان ، وأنزله فى دار ابن رزق الكاتب النصرانىّ ، وحمل إليه مائة وخمسين ألف درهم ، وثلثمائة ثوب ، أصنافاً من ديباج وعتابىّ ودَبيقى ، وثلاثين رأساً بغالاً وخيالاً وجمالاً وسَبع مراكب ذهباً ، وكاتب أخاه يُسفر فى الصُّلح بينهم ، فتَمّ ذلك ، ولمّاً خرج شيَّعه عزّ الدولة ، وحمل إليه أكثر ممّا حمله أوّلاً عند قدومه .

وحُكى أنّه يوم دخوله صدم سبكتين العجم أحَد القوّاد ، فقتلَه ، ورضخ فرسه صاعداً فاعتلّ ، فلمّا وصل وافاه القاضى أبوبكر بن قريعة مُسَلِّما ، فقال حاجبه : إنّ الأمير نائم ، فعاد فلقيَه إنسان ، فقال : من أين جاء القاضى ؟ فقال : أتانا حمدانُ وافداً ، لأخيه مباعداً ، فَقَتل قائداً ، ورضخ صاعِداً ، وظلّ راقداً .

وقال ابنُ نباته فى حمدان قصيدةً ، منها :

إليك صَحِبْنَا اليومَ تُرْعَدُ شمسه ... وحيرة ليل أسود النجـم فاحمِ
ودهراً سمتْ حيتانُه فى سمائه ... وأنجمه فى بحره المتلاطـــمِ
إلى صدّه أن يستخفّ عتابنا ... وما الظلمُ فيه غير شَكْوَى المظالم
تكون بها أنفاسنا وحديثنـــا ... مدائح حمدان المليك القُماقِمِ
فتى لم تُرِقْ مساءَ الشبيبة شَعْرَهُ ... على الخدِّ حتى رام شمَّ المراومِ
أخو الحرب يَثْنى جيدَها وهو صارمٌ ... ويَسْلَمُ منها والْقَنَا غيرُ سالـــمِ
فتى لايرى أن الهموم مصائب ... وأن سرور العيش ضربة لازمِ
يؤمّل فى أمواله كلَّ آمـــلٍ ... ويرحم من أسيافه كلَّ راحـــم
إذا السيف لم يستنزل الهام لمعُه ... فما هو من آرائه والعزائـــمِ
ليهنيك جَدٌّ يفلّق الصخرَ جَدُّه ... ويهتك صدر الجحفل المتلاطمِ
إنّك لاتلقى الندى غير باســمٍ ... إليه ولاصَرْف الرَّدى غيرى حازِمِ

وسار حَمْدان عن بغداد ، وخلّف حَرَمه وأولاده ، وشيَّعه عزُّ الدولة ، فلمَّا وصلَ إلى الرحبة ، عاد الخُلف بَيْنه وبين أخيه ، وأنفذ أبو تَغلبٍ أخاه أبا البركات ، فانتزع الرحبة من يد حَمْدان ، وسار حمدان عنها فى البّر إلى تدمر ، فنفذ زادُه ، ولحقه

عطشٌ شديد ، فعاوَدَ الرَّحبة ، ودخلَها من ثَلْمٍ عَرَفها ، وقد ترك أبو البركات أصحابَه فيها ، وأصعد إلى الرَّقة ، فاستولى حمدان على ذخائره وأمواله وأصحابه .

فبلغ ذلك أبا البركات ، فانحدرَ ، فتلقّاه حَمْدان وعُدّته قليلة ، وقال لأصحابه : لا بدّ من الصبر ، فقاتل فنُصِر ، وقتل أبا البركات ، وأنفذه إلى أخيه أبي تغلب فى تابوت فكفّن بسلّ توبة ، واعتذر بأنه دفع عنَ نفْسه بقتله ، فقال أبوتغلب : والله لألحقنّه به ولو ذهب مُلْكى .

وقَبَض أبوتغلب علَى أخيه أبي الفوارس محمد ، صاحب نَصيبين ، وعَرَف أنه وافق حمدان على الْفَتك به .

ولمّا عرف هبة الله بن ناصر الدّولة ماجَرى على أبي الفوارس ، ثار به المرار ، وأنكرَ فِعْلَ أبي تغلب .

وكتب الحسين بن ناصر الدولة إلى أخيه أبي تَغْلب ، وهو صاحب الحديثة يقول : إنّ الله قد وفّق الأميرَ فى أفعاله ، ونحن وإن كنّا إخوة ، فنحن عَبيد ، ولو أمرنى بالقبض عليه لفعلت ، فقال أبوتغلب : هذا كتاب مَنْ يريد أن يَسْلَم .

وانْحدر حمدان وأخوه أبوطاهر إبراهيم إلى بغداد .

وكان عزّ الدولة بواسط فانحدرا إليه فتلقاهما ، ونزل حِمْدان دار أبي قرة ، وأنزل أباطاهر إبراهيم فى دار أبي العباس بن عروة ، وحمَل إليهما هدايا كثيرة ، وأصعدا معه إلى بغداد .

وفى شهر رمضان قَدِم الوزير أبوالفضل العباس بن الحسن من الأهواز وتلقّاه عزّ الدولة وأصعد إلى بغداد .

وفيه مات أبو الحسين الكوكبي العلَويّ الذى كان يتقلّد نقابة الطالبيين .

وفى ذى القعدة انحدر أبو إسحاق بن معزّ الدولة إلى دار السلطان ، ووصل إلى المطيع لله وعقَد لعضد الدّولة على كِرْمان ، وأنفذ إليه الخِلَع واللّواء والطوْق والسوّارَيْن .

وفيه نَقَل عزّ الدولة أباه معزّ الدولة إلى تربة بُنِيَتْ له بمقابر قريش ، بعد أن كفّنه وطيّبه ، ومشى بين يدىْ تابوته الوزير أبو الفضل ، والرئيس أبو الفرج والأمراء من الدّيْلم والأتراك .

وملَك الرّوم أنطاكية يوم النّحر .

سنة تسع وخمسين وثلثمائة

فيها فتح الرّوم منازكردم ، من أعمال إرمينيَة بالسَّيف .

وفى شهر ربيع الأولّ صُرِف القاضى أبوبكر بن سيار عن القضاء فى حريم دار الخلافة ، وتولّاه أبومحمد بن معروف .

وفى هذه السنة أقام أبوالمعالى بن سيف الدولة الخطبة فى أعماله وأعمال فرعونة للخارج بالمغرب .

وفى آخرها قُبض على الوزير ابن أبى الفضل الشيرازىّ ، وتولى الوزارة مكانه أبوالفرج محمد بن العباس بن فسانحس ، وقال ابن الحجاج يَمْدحُه :

يا وزيــــراً بنــوه طلـ عت أنجم العِــــدى
صحن خــدِّى لأرض نعلـ ـك ياسيِّدى الفِـــدَا
بك قامت سوق النَّــوا ل وقد أصبحَتْ ســدى
وسَمِعْنا فيها النِّــــدا ء على الجُودِ والنَّــدَى

فأما أبو الفضل العباس بن الحسين الشيراىّ ، فمولده بشِيراز سنة ثلاث وثلثمائة .

وورد مع معزّ الدولة بَغداد ، وناب عن المهلّبىّ ، وصاهره على بنته زينه من تُجْنَى ، وكان ذلك سببَ تقدّمه ، ثم فسد مابينهما . وكان واسعَ المروءة والصدر ، وداره على الصَّرَاة ودِجْلة ، وهى التى كانت بستاناً لنقيب النقباء الكامل ، وانتقلت إلى الفضلونى ، وأنفق عليها أبو الفضل زائداً على مائة ألف دينار ، ثم احترقت ، فأمر عضد الدولة ببسْطها بستاناً .

وعمل دعوة لمعزّ الدولة ، وجعل فى وسط السماط قصوراً من السكر، فيها مخانيث أغان يغنُّون ويرقصون ولا يشاهَدون ، وقطع دجلة من فوق الجسر إلى دار الخلافة بالقُلُوس [1] الغلاظ وطرح الورد فيها حتى ملأها ، وغطّى دِجْلة

ولم ينزل بغدادَ قيَّانٌ إلّا أحضره ، وذلك فى سنة أربع وخمسين وثلثمائة .

(١) القلوس : حبال السفن الغليظة .

فلمّا كان فى سنة خمس وخمسين ، قال له معزّ الدولة : يا أبا الفضل ، تلك الدعوة فريدة بلا أخت ؟ فقال : بلْ هى فى كلّ سنة .

وعمل دعوة أنفق فيها ألفى ألف درهم ، ووهب فيها جوارى وغلماناً وأتراكاً وضياعات واستعدّ بعد عملها عند الشوائين ألف جمل مشوىّ .

وحمل إلى أبى الفضل أصحابه ما أمكنهم من الهدايا .

وكان لابن الحجاج كُمَيتٌ[1] فأراد أن يقودَه ، ثم خاف أن يقبِّله ، فكتب إليه :

وصاحبٍ لى أمسِ شاورتــــه كيف ترى لى اليوم أن أفعلا[2]

فقال قُدْ هذا الكُمَيتْ الــذى قد جمع الحسن وقد أكمــلا

فقلت لا والله لاقُدْتُـــــه أخاف ياأحمق أن يَقبَّــلا

وأمّا أبو الفرج محمد بن العباس بن فسانجس ، فمولده بشيراز سنة ثلاث وثلثمائة ، وورد مع معزّ الدولة فى ذى الحجة سنة ثمان وثلثمائة .

وأبوه مِن أصحاب النعم الوافرة بفارس ، صادَره عماد الدولة على ستّمائة ألف دينار . وقال : إنى كسبت معه خمسين ألف ألف درهم ، وجاء مع معزّ الدولة إلى بغداد ، وولاّه الزمام على المهلبىّ ، وتُوفِّىَ سنة اثنتين وأربعين ثلثمائة ، وتكفَّل المهلبىّ بأمر ابنه ، حتى رَدّ إليه الديوان .

---

(١) الكميت من الخيل:ما كان لونه بين الأسود والأحمر .

سنة ستين وثلثمائة

فى صفر لحقت المطيعَ لله سكنه ، استرخى فيها جانبُه الأيمن ، وثقُل لسانه .

وفيه تُوُفِّىَ أبوالفضل محمد بن الحسين بن العميد ، كاتب ركن الدولة ، فاستكتب مكانه أبا الفتح ، ووالدُه أبو عبد الله العميد ، كان يكتب لمرداويج بن زيار ، ولأخيه وشْمَكير .

ورتّب ركن الدولة أبا الفضل بن العميد ، مع عضد الدولة ، فهذّبه وأدبه ، ثم تغيّر عليه ، فحلف ألاّ يقيم بفارس ، ومضى إلى ركن الدولة ، ومات بالرىّ ، وقدِم عليه المتنبى وهو بأرجّان فمدحه بقصيدته التى أولها :

بادٍ هَوَاك صَبَرْتَ أم لم تَصْبِرَا وبكاك إن لم تَجْرِ دمعُك أوجرى[1]

و] منها :

فدَعاك حسّدُك الرئيس وأمسَكُوا ودعاك خالقُك الرَّئيس الأكبرَا

خَلَقَتْ صفاتُك فى العيون كلامَه كالخطِّ يملأ مِسْمَعَىْ مَنْ أبصرا

— قال ابن جنّى : أى ، فكما أنّ الخط يقوم لقارئه مقام ما تسمعه أذُنه ، فكذلك مايشاهدَ من فضلك ، يقوم مَقامَ خالقِك —

مَنْ مبلغُ الأعراب أنّى بعدَها شاهَدْتُ رَسْطاليسِ والإسكَنْدَرا

ومَلِلْتُ نَحْر عشارَها فأضافنى مَنْ يَنْحَرُ البِدَر النُّضار إذا قَرَى[2]

وسمعتُ بطليموسَ دارِسَ كُتْبِهِ متملِّكاً متبدِّيــــاً متحضِّراً

أى جَمع المُلوكيَّة والبدويّة والحَضَريَّة ، ونصب دارس على الحال .

ولقيتُ كلَّ الفاضلين كأنّما ردّ الإلهُ نفوسَهُمْ والأعْصُرا

أى اجتمع فى زمانه الفُضلاء المتقدمون .

---

(١) القصيدة فى ديوانه ١٦٠ – ١٧٢

(٢) العشار : جمع عُشَرَاء وهى التى أتى لحملها عشرة أشهر . والبدر : جمع بدرة ، وهى التى فيها عشرة آلاف . والنضار : الذهب .

نُسِقوا لنا نَسْقَ الحساب مقدَّما وأتى فَذَلِك إذ أتيت مُؤَخَّـراً (١)

– أى مضوا مثل الحسابِ الّذى يُذكر تفاصيله ، ثم يقال فى الأخير : والجميع كذا ، فلمّا جئت أنتَ آخرَهم ، كُنت كأنك جملة التفصيل

ياليتَ باكيةً شجانِى دمعُهـــا نَظَرَتْ إليك كما نظرتُ فتعذِرا

شجانى أحزننى ، يقول : ليتَ من بكى لفراقك ، نظر إليك فيعذرنى ، ونصب فتعذرَ على التمنّى .

وترى الفضيلةَ لاتردُّ فضيلـــةً الشّمسَ تُشْرِق والسَّحاب كَنَهْوَرَا

– الكَنَهْوَر : القطع من السحاب ، أى وترى الفضيلة فيك مشرقة ، غير مشكوك فيها ، كما ترَى الشّمس إذا أشرقت ، والسحاب إذا كثر ، ونصب الشمس والسحاب بفعل مضمر تقديره : ترى برؤية فضائلك الشّمس والسحاب ، ونصب فضيلةٍ على الحال .

أَنَا من جميع النَّاس أطيبُ منزِلاً وأَسَرُّ راحلةً وأَرْبحُ مَتْجَـــــراً

ووصله ابنُ العميد لهذه القصيدة ، بثلاثة آلاف دينار .

وقال يودّعه من قصيدة :

تَفَضّلَت الأيام بالجمْع بَيْنَنَـــا فلمَّا حمِدْنا لم تُدْمِنَا على الحمْدِ (٢)

– أى لم تَدُم على حمدنا ، وجعلَ الحمد منها جميعاً ، لأنّ كُلّ واحدٍ منا أحبّ لقاء صاحبه وكرِهَ فراقَهُ .

جَعَلْنَ وداعِى واحداً لثلاثـــةٍ جمالِك والعِلْمِ المبرِّحِ والْمَجْدِ

المبرّح : الّذى يكشف حقائق الأمور من قولهم : بَرِح الخفاء ، أى انكشف الأمر .

وقد كنتُ أدركتُ المُنَى غير أنّنِى يُعَيِّرنِى أهل بإدراكها وَحْدِى

---

(١) فى شرح العكبرى عن الواحدى : «جمع لنا الفصحاء فى الزمان ومضوا متتابعين متقدّمين عليك فى الوجود ، فلمّا أتيت بعدهم كان فيك من الفضل ما كان فيهم مثل الحساب يذكر تفاصيله أولاً ثم تجمل تلك التفاصيل فيكتب فى آخر الحساب : «فذلك كذا وكذا» فيجمع فى الجملة ما ذكر فى التفصيل ، كذلك أنت جُمع فيك ماتفرق فيهم من الفضائل والعلم والحكمة» .

(٢) ديوانه ٢ : ٦٩ .

— أى أدركت بلقائك المُنى ، إلاّ أنّ أهلي يعيِّروننى كيف لم أشاركهم فى ذلك —

وَكلّ شريكٍ فى السروريمُصْبَحِى　　أرى بَعْده مَن لا يَرى مثلَه بعدِى

أى كلّ مَنْ يشاركنى فى السرور بقدومى يَرَى ما أفدْتَنيه .

فُجُدْ لى بقلبٍ إن رحلتُ فإنّنِي　　مُخَلِّفُ قَلْبى عند مَنْ فضلُه عندى

قال ابن الصابى : قيل إن ممّا نفَق به ابن العميد على ركن الدولة ، أن ركنَ الدّولة أراد أن يحدَث بناء بالرّىّ ، واختار له موضعاً ، وكانت فيه شجرة ، ذاتُ استدارة عظيمة ، وعروقٍ نازلة متشعبة ، فقدَّر لقلْعها وإخراج عروقها جملةً كثيرة ، ولم تقع ثقتُه بأنّها تُسْتَأصل استئصالاً قاطعاً ، فقال ابن العميد : أنا أكفى الأمير هذه الكُلْفة ، وأقطع هذه الشجرة بعروقها بأهون شيء ، فى أقرب أمد ، وأقل عدد .

فاستبعد ذلك ركنُ الدّولة ، وقال من طريق الإزراء : افعل ، فاستدعى حبالاً وأوتاداً وسلك هذا السلك المعروق فى جرّ الثقيل ، فلمّا رتّب مارتّبه ، ونصبَ مانصبه ، أقام نفراً قليلاً حتى مدُّوا ، ومنع أن يقف أحد على جُرُبّان[1] كثيرة من الشَّجَرة ، بحسب ماقدّره من وشوج أصولها ورسوخ عروقها .

ووقف ركنُ الدولة فى موكبه ينظر ، فما راعهمْ إلا تَزَعْزع الأرض وانفتاحها وانقلابُ قطعة كبيرة منها ، وسقوط الشجرة منْسلّةً بجميع عُروقها ، فتعجَّب ركن الدولة من ذلك ، واستظرفه واستعظمه ، ونظر إلى أبى الفضل بعين الجلالة .

وهذا أمر لايعظُم عِنْدَ مَنْ يعرف الحيلة فيه ، والطريقَ المقصود إليه .

ومن شعر ابن العميد يذكر حال حبيبٍ له بعد :

أما آن أنْ تُغْضِى العواذلُ فيه　　هَبِيـــه كما قال العذولُ هَبِيـــه[2]

أفانين إن لم تُفْنه سَتُرِيــــــه　　دَعِيه ولاترضىْ لإتلاف جِسْمِه

له نُوَبُ الأيام تسلُبُنِيـــــه　　إذ اعتلقتْ كفّى خليلاً تعرَّضتْ

وفى شهر ربيع الأول ، وصل أبو الحسن علىّ بن عمرو بن ميمون ، وقد ثَبَتَتْ وكالته عند القاضى أبى محمد بن معروف بن أبى تغلب ، وتزّوج له بنت عز الدولة

---

(١) الجربّان : غمد السيف ، ولعلّ المراد قشر الشجرة .

(٢) انظر اليتيمة ٣ : ١٥٩ .

[بختيار] (١) ، وسِنّها ثلاث سنين على صداق مائة ألف دينار ، وكنّاه الخليفةُ أبا تغلب ، وجدَّد له ضمانَ الموصل ، وسائر أعماله بديار ربيعة ومُضَر فى كلّ سنة بألف ألفٍ ومائتى ألف درهم .

ووصل ابن عمرو إلى المطيع لله مع أبى عمر محمد بن فسانجس الخازن ، حتى سلَّم إليه الخِلَع لصاحبه والسَّيف .

وانحدر الوزير أبو الفرج إلى الأهواز ، فشرع أبو الفضل الشيرازىّ فى الوزارة ، فتمَّ ذلك له .

وأنفذ عزُّ الدولة بَمنْ قَبَض على أبى الفرج بالأهواز ، وقبض على أخيه أبى محمد الخازن ببغداد ، وأطلق أبا الفضل من اعتقاله بدار أبى الفرج ، فكانت وزارة أبى الفرج ثلاثة عشر شهراً وثلاثة أيّام .

وزارة أبى الفضل العباس
ابن الحسن الشيرازى الثانية

قال التَّنوخى : كنَّا جلوساً فى دار أبى الفضل الثانية ، ننتظر خروجه حتى يُخْلَع عليه ، وكان معنا ابن الحجاج ، صاحب السُّفَه فى شعره ، فأنشدنا مديحاً لأبى الفضل منه :

ياسيِّداً طلعتُه لم تَـــــزَلْ   أشهى إلى عينى من النَّوْمِ
لم تَظْلِمِ القومِ وحاشاك أن   تُنْسب فى الظُّلم إلى القـــوم
جازيتَهم مثلَ الذى أسلفُــوا   فى الدّار والمجلس والْيَــوْمِ

وكان معنا ابن زنجى حاضراً ، فأنشدنا أبياتَ ابن رزيق :

إنا لقينا حجاباً منك أعرضنا   فلا يكن ذُلُّنا فيه لك الْغَرَضا
فاسْمَعْ مقالِى ولاتغضَبْ علىّفَمَا   أبغى بنصحك لامالاً ولاَعَرَضَا
الشُّكْر يبقى ويفْنَى ماسواه فكَمْ   سواك قد نال مُلْكاً فانقضىومضى
فى هذِهِ الدّار فى هذاالرِّواق على   هذِى الوسادة كانالعزّ فانقرَضا

---

(١) فى تجارب الأمم ٢ : ٢٨٣ : « وفى هذه السنة ورد حاجب لأبى تغلب بن حمدان وهو عدّة الدولة فعقد مصاهرة بين أبى تغلب بإحدى بناته وبين عزّ الدولة بختيار » .

وهذه الأبيات قالها أبومحمد بن زُرَيْق ، وقد أتى إلى باب الكوفى ، وقد استكتبه بَجكم ، وعزل ابن شيرزاد ، وأنزل الكوفى دار ابن طومار بخان أبى زيادة ، وكانتْ من قبلُ ديواناً لابن شيرزاد ، فجاء ابن زُرَيْق[1] فحجب عن الكوفى ، فقال لحاجبه حين أنشده الأبيات : ويلك ! أما كان له أسوة بَمنْ دخل ، ولكنّك أردتَ أن يُمزِّق عرضْى ، ويواجهنى به ، وَرفَق بابن زريق ، ولم يَزَلْ به حتى جلَس ورَضِىَ .

وفى رجب ، تقلّد ابنُ معروفٍ قضاء القضاة .

وانحدر عز الدولة والوزير أبوالفضل لمحاربة عمران ، وأقام أبوالفضل لحربه .

ولابن الحجاج فى ذلك ، وقد كسر عمرانُ عسكرَ الوزير غير مرة ، أنشدنى ذلك شرف المعالى ابن أيوب ، وكان أحسن الرؤساء محاضرة ، وأجملهم معاشرة ، وكمْ له مِنْ مكارِمَ أجزلَها وكم لبيته من مناقبَ أثّلَها :

إن عمران مذ نَشَا النَّصْرُ فينـــا قد صَفَعْنَا قَفَاه حتى عَمِينـــا
قال قوم حِرِمٌ مَنْ صفعـــوه قلتُ لابل حِرِمٌ مَنْ يعنِّينـــا

فى أبيات .

وقام أبو الفضل يحارب عمران سنة ، حتى ملك تَلّه ، فانتقل عمران إلى هوكولان .

وفى هذه السنة قُبِض على أبى قرة بالجامدة ، وحُمِل إلى جنديسابور ، فمات تحت المطالبة ، وكان قد نقل القبَّة التى على قبر الوزير القاسم بن عبيدالله ، وهى قُبّةٌ مشهورة بالشؤم،ونصبها على مجلسٍ فى داره ، وكان القاسم قد تَنَوّق فى عَمَلها ، ودُفن تحتها حين تَمّت .

(١) فى الأصل : « ابن رائق » وانظر ما يلى .

سنة إحدى وستين وثلثمائة

فى شهر ربيع الأول ، خُلِع على أبى أحمد محمد بن حفص بواسط ، وقلِّد الديوان مكان أبى قُرَّة . وانحدر عزُّ الدولة إلى البصرة .

وفيها مات أبو القاسم سعيد بن أبى سعيد الجَنَابىّ بهَجَر ، وعَقَد القرامطةُ لأخيه أبى يعقوب ، لم يبق من أولاد أبى سعيد غيره .

وفى هذه السنة صالح ركنُ الدولة وابنهُ عضد الدولة صاحبَ خراسان ، على أن يحملا إليه مائةً وخمسين ألف دينار .

وتزوّج صاحب خراسان بنتَ عضد الدولة ، وتوسط الأمر عَابد .

وفى شعبان قَبِل ابن معروف شهادةَ أبى طالب بن الميلوس العلوى .

وفى شهر رمضان ، تُوُفِّى عيسى بن المكتفى بالله .

وفيه تُوُفِّىَ أبو الغنائم الفضل بن أبى محمد المهلبىّ بالبصرة ، وحُمِل تابوته إلى بغداد .

سنة اثنتين وستين وثلثمائة

خرج الدمستق فى جموع كثيرة إلى بلاد الإسلام ، فوطئها وأثّر الآثار القبيحة فيها ، واستباح نصيبين ، وأقام بها خمسةً وعشرين يوماً ، وأنفذ إليه أبو تغلب مالاً هادَنه به .

وأتى المستغيثون من أهل تلك البلاد إلى بغداد ، وضجوا فى الجامع ، وكسرُوا المنابر ، ومنعوا من الخطبة ، وصارُوا إلى دار المطيع لله ، وقَلعوا بعض شبابيكها .

وكان عزّ الدولة بالكوفة ، فخرج إليه أبوبكر الرازى ، وأبو الحسين علىّ بن عيسى الرُّمَّانى ، وأبو محمد الدّاركى وابن الدقّاق ، فى خَلْق من أهل العلم والدين ، مُسْتَنْفِرين ووبّخوه على حرب عمران بن شاهين ، وصرف زمانه إلى القبض على أرباب الدواوين وعدوله عن مصالح المسلمين .

فأدّى اجتهاد أبى الفضل الشيرازى ، أن قال للمطيع لله : يجب أن تُعْطَى ماتصرفه فى نفقة المجاهدين ، فقال المطيع لله : إنما يجب علىّ ذلك ، إذا كنتُ مالكاً لأمرى ، وكانت الدّنيا فى يدى ، فأمّا أن أكون محصوراً ليس فى يدى غير القوت ، الّذى يُقَصِّر عن كفايتى ، فما يلزمنى غَزْوٌ ولاحجّ ، وإنما لى منكم الاسم على المِنْبر ، فإن آثرتم أن أعتزل اعتزلت .

والتُزم له بعد ذلك أربعمائة ألف درهم باع بها أنقاضَ داره وثيابه .

ثم وصل الخبر بأنّ الدّمستق قصد امِد ، فخرج إليه واليها هزار مرد ، مولى أبى الهيجاء بن حمدان ، وانضمّ إليه هبة الله بن ناصر الدولة ، وساعدهم أهلُ الثغور ، فنصرهم الله تعالى ، وكثر القتل والأسر لأصحاب الدُّمُسْتق ، وأخذ ماسوراً ، وذلك فى ثانى شوال .

وكان أكثر السبب فى خذلان الله تعالى للرّوم أن هِبة الله تعالى متقدِّمهم فى مَضِيق ، وقد تقدّم عسكره ولم يتأهّب ، فكانت الحال فى أسره كما وصفنا .

وكتب أبو تغلب كتاباً إلى المطيع لله ، يخبره بالحال ، وكتب الصابى الجواب عنه ،

وهو مذكور فى رسائله . ومات الدّمستق من جِراح به .

وفى شعبان قتلت العامة والأتراك خَمّاراً صاحب المعونة برأس الجسر من الجانب الشرقىّ ، وأحرقوا جسده ، لأنه كان قد قَتل رجلاً من العوام وولّى مكانه الحبشى ، فقتل أحد العيّارين فى سوق النخّاسين ، فثارت العامة وقاتلته ،وأنفذ أبو الفضل الشيرازى حاجبَــه صافياً لمعاونة صاحب الشّرطة ، وكان صافى يَبْغض أهلَ الكرخ ، فاحترق النخّاسين إلى السماكين ، فذهب من الأموال ما عظُم قدره .

وأحرق الرّجال والنَساء فى الدّور والحمّامات . وأُحْصِى ما احترق فكان سبعة عشر ألفاً وثلثمائة دكان وثلثمائة وعشرين داراً ، أجرة ذلك فى الشهر ثلاثـــة وأربعون ألف دينار واحترق ثلاثة وثلاثون مسجداً .

وكلّم أبو أحمد الموسوىّ أبا الفضل الشيرازىّ ، بكلامٍ كرِهَه ، فصرفه عن النّقابة ، وولّى أبا محمد الحسن بن أحمد بن الناصر العلوىّ .

وركب أبوالفضل إلى دار ابن حفص التى على باب البركة ، وأحضَر التّجارَ وطيَّب قلوبهم ، فقال : له شيخ منهم : أيّها الوزير أريتنا قدرتك ، ونحن نؤمل من الله تعالى أن يُرِيَنا قدرتَه فيك ، فأمسك أبوالفضل ولم يُجبه ، وركب إلى داره .

نزول الخارج بالمغرب بمصر

وكان جوهر صاحب الخارج بمصر ، قد أتى مصرَ ، وأقام الدعوة لصاحبها وبنى له قَصْرَه ، وأتاها أبوتميم معدّ بن إسماعيل ، الملقّب بالمعزّ فنزَلها .

وفى سادس عشر ذى القعدة خُلِع على إسحاق بن معزّ الدولة من دار الخلافة بالسيف والمِنْطقة ، ورسم بحجبة المطيع لله على رسم أخيه عزّ الدولة فى أيام أبيه ، ولقّب عُمْدة الدولة .

وفى سادس ذى الحجة قُبض على أبى الفضل الشيرازى ، وقد كثُر الدعاء [عليه] فى المساجد والبيَع والكنائس ، وقد ذكرنا مصادراته للمطيع لله ، وإحراق غلامِه الكرخ ، وما بثّ من المصادرات ، وسُلِّم إلى الشريف أبى الحسن محمد بن

عمر ، فأنفذه إلى الكوفة ، فسُقِيَ ذَرارِيح [١] في سكنجبين ، فتقرَّحت مثانَتُه ، ومات من ذلك .

قال أبو حيَّان : قيل له في وزارته الثانية : كنتَ قد وَعَدْتَ من نفسك ، إن أعاد الله يدك إلى البسطة ، وردَّ حالك إلى السّرور والغبطة ، أنّك تُجْمِل في المعاملات ، وتَنْسى المقابلة ، وتلقَى وليَّك وعدوَّك بالإحسان إلى هذا والكفّ عن هذا ! فكان جوابه مادلّ على عُتُوِّه لأنه قال : أما سمعتم قول الله تعالى : ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لعادُوا لما نُهُوا عنه ﴾ [٢] .

فما لَبِث بعد هذا الكلام إلا قليلا حتى أورد ولم يُصْدر ، ولم يَنْعش بعد أن عَثَر ، وتولَّى ابنُ بقيَّة مصادرته ، فصادره على مائة ألف دينار .

وزارة أبي طاهر بن بقيّة لمعزّ الدولة

كنّاه الخليفة ، وخلَع عليه ، ولقّبه الناصح ، وكان يخدم في مطبخ معزّ الدولة ، حتى خدم أبا الفضل الشيرازيّ ، وكان واسعَ النفس ، وكانت وظيفته في كلّ يوم ألف رطل ثلجاً ، وفي كل شهر أربعة آلاف مَنًّا شمعاً ، وكان يفعل كما يفعل وزراء الخلفاء ، من الجُلُوس في الدسوت الكاملة ، ويضع وراء مجلسه أساطين الشمع ، وبين يَدَيْه عدة أتوار [٣] فيها الموكبيّات والثّلاثيات ، وفي كلِّ مجلس من الدار تَوْر فيه ثلاثية ، وإن كان المكان خالياً ، وفي أيدي الفراشين الموكبيَّات ، بين يدى مَنْ يدخل ويخرج ، وفي الشتاء يُتْرَك بين يديه كوانينُ الفحم ، فيها جَمْر الغضا ، ويُترك عليه أقطاع الشمع ، فكان يشتعل أحسن اشتعال .

وفي هذه السنة تُوُفِّيَ القاضي أبو حامد أحمد بن عامر بن بشر المروروذي بالبَصْرة .

---

(١) الذراريح : نوع من الأدوية ، ذكره في المعتمد ١٢٣ .

(٢) سورة الأنعام ٢٨ .

(٣) التور : إناء .

سنة ثلاث وستين وثلثمائة

طولب أبو محمد بن معروف أن يستحلّ بيع دار ولد أبي الحسن محمد بن أبي عمرو الشرابيّ حاجب الخليفة ، وكان أبوه قد مات ، والبائع لها وكيلٌ نصبَه المطيع لله . فامتنع وأغلق بابه ، واستَعْفَى من القضاء ، فقلّد مكانه القاضي أبو الحسن محمّد بن صالح بن أمّ شيبان الهاشميّ ، بعد أن امتنع ، وأجاب على ألّا يقبل رِزْقاً ، ولاخلعة ، ولا شفاعة ، وأن يُدْفَع إلى كاتبه من بيت مالِ السلطان ثلثمائة درهم ، ولحاجبه مائة وخمسون درهماً ، وللقاضي فى الفروض على بابه مائةُ درهم ، ولخازن ديوانه وأعوانه ستمائة درهم ، وأن يصل إليهم ذلك من الخزانة ، فأجيب .

وركب معه ابن بقية والوُجوه ، وتسلَّم عهده بحضرة المطيع لله ، فتولّى إنشاءه أبو منصور أحمد بن عبيدالله الشيرازيّ ، صاحب ديوان الرسائل يومئذ ، وقرِئَ عهدُه فى جامع المدينة .

وصُرِف أبوتمام الزينبيّ عن نقابة العباسيّين ، وتقلّدها أبو محمد عبدالواحد بن الفضل بن عبدالملك الهاشميّ .

وفى رجب لُقّب أبو تغلب عُدّةَ الدولة ، وخرج باللّقب إليه أبوالحسن بن عمرو كاتبه .

وأضاق[1] عز الدولة ، فانحدر إلى الأهواز ، فتنازع تركيّ وديلميّ فى مِعْلَفٍ بالأهواز ، فوقعت بينهم وقعة ، فقيل أرسلان التركيّ وهو لعرجنة[2]، وكان قد ظهر بين سُبُكتكين وعزّ الدولة ، فقبض عزّ الدولة على الأتراك الذين عنده .

وحلّ أقطاع سبكتكين بالأهواز ، وقُبِض على عماله ووكلائه ، وفُعِل بأصحابه بالبصرة كذلك وكتب على الأطيار إلى أخيه أبي إسحاق ، وأمره ليقبض على سُبُكْتكين .
فأشاع أبوالحسن عمدة الدولة أنّ عز الدولة أخاه قدمات ، وقَصَدَ أن يأتيه سُبُكتكين

---

(١) أضاق : صار فى ضيق .
(٢) كذا فى الأصل .

معزِّيا ، فيقبض عليه ، وحسب ذلك ، ووردت عليه كتب أصحابه بالشرح .

وجمعت أم عزّ الدولة الدَّيْلَم بالسلاح .

وركب سبكتكين إلى دار عمدة الدولة ، وهي دار مؤنس ، فحاربهم يومين ، فاستسلموا وسألوه أن يُفْرج لهم لينحدروا ، ففعل وانْحَدَرُوا .

وتفرّق الديلم بمرقّعات إلى عزّ الدولة ، واستولى سبكتكين على أموال عزّ الدولة وسلاحه .

وانحدر المطيع لله فأنفذ سُبكتكين وردّه .

ونَهبت الأتراك دوَر الدَّيلم ، ثم نهبُوا دوَر التجار ، فافتقر الناس ، واعتزل المطيع لله الخلافة ، ونَذْكر سببَ عزله .

وكان المطيع لله كريمـاً أديباً ، حكى أبو الفضل التميميّ ، عن المطيع لله قال : سمعت شيخي ابن منيع يقول : سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول : إذا مات صدقاً الرجل ذلك ذل(١) .

خلافة الطائع لله أبي بكر عبد الكريم بن المطيع لله

كانت سبع عشرة سنة ، وثمانية أشهر ، وستّة أيام .

لمّا وقف سُبكتكين على حالِ المطيع لله ، رحمة الله عليه ، في حالِ العلّة التي لحقته ، وللفالج الّذى تمادَى به ، حتى ثَقُل لسانه ، دعاه إلى خَلْع نفسه ، وجَعَل الأمر إلى ولده الطائع لله .

وبُويع له يوم الأربعاء ، لثلاث عشرة ليلةٍ خلت من ذى القعدة ، سنة ثلاث وستين وثلثمائة ، ولم يتقلّد الخلافة مَنْ له أب حَيٌّ غيره ، وغير أبي بكر الصديق رضى الله عنه .

وركب الطائع لله يوم بويع له ، وعليه البُرْدة ، وقد خلع على سُبُكْتكين ، وكنّاه ولقّبه نصير الدولة ، وطوّقه وسوّره ، وسار سُبكتكين بين يديه ، وركب في يوم

---

(١) كذا فى الأصل

الأضحى إلى المصلَّى ، وصلّى بالناس وخطب وخلع على أبي الحسن عليّ بن جعفر كتابته .

وأصْعد[١] عزُّ الدولة من الأهواز إلى وَاسط .

وصارتَ بغداد حزيين ، فالسنّية تنادى بشعار سُبُكْتِكين ، والشّيعة تنادى بشعار عز الدولة .

و واصل عزّ الدولة استنجادَ ركن الدولة وأبي تغلب وعمران بن شاهين .

(١) أصعد : ارتقى .

سنة أربع وستين وثلثمائة

توفّى فى المحرّم أبومنصور إسحاق بن المتّقى لله على إحدى وخمسين سنة .

وقدم حمدان بن ناصر الدولة على سُبكتكين ، وأحدره على مقدّمته ، وأصعد دبيس بن عفيف عـــلى مقدّمة عز الدولة ، فالتقى دبيس بحمدان تحت جبل ، فـأسر حِمدانُ من أصحاب دبيس خَلْقاً ، وقَتَل آخرين ، واستأمن بعد ذلك إلى عزّ الدولة .

وانحدر سُبكتكين والأتراك ، لقتال عزّ الدولة .

وانْحدر الطائع لله ومعه أبوه المطيع ، فلمّا بلغُوا ديرَ العاقول ، تُوُفِّىَ المطيع ليلة الاثنين لثمان بقين من المحرم ، وتُوُفِّىَ سُبكتِكين بعده ، ليلة الثلاثاء لسبع بَقِين منه ، لذَرَبٍ[1] ناله ، فكانت مدة إمارته شهرين وثلاثة عشر يوماً ، فنى ذلك يقول ابن الحجاج :

أغْضَوْا وفى الأحشاء جَمْرُ الغَضَا — واستقبلوا الْحُزْن على مامَضَى

عجبت من أمركم مابَـــدَا — حتى تولّى معرضـــاً وأنقضَى

تفسحت دودتكم هيبـــة — للصّلّ فى واسطَ إذ فَضَنَضَا

لَمّا سما مولاه فى جَحْفَـــلٍ — أسود كالليل يسدّ الفَضَـــا

ولاحَ برقُ الموت من سَيْفِـــه — والموت من حَدَّيْه قد أوْمضـــا

أمرضه الخوف ومِنْ حقٍّ مَنْ — ساوره الرئبالُ أن يَمرضَـــا

وانفتحت ثلمةُ باب استِـــه — فلم يزل يَسْلَحُ حتى قضـــى

يامعشر الأتراك لاتُعرِضـــوا — عن قولِ من صَرَّحَ أو عَرَّضـــا

نُوحوا وصيحوا ياقتيلَ الخـــرا — قد كنتَ فينا ثقةً مرتَضَـــى

قال الرئيس أبو الحسن : وجدت بخطّ سابور نسخةً ، ماخلّفه سُبكتِكين ألف ألف دينار مُطِيعية ، وعشرة آلاف ألف درهم ورقاً ، وصندوقان طويلان فيهما جوهر ؛

---

(١) الذرب : داء يعرض للمعدة ، فلا تهضم الطعام ويفسد فيها ولا تمسكه .

وستون صُنْدوقاً طُوالا ، منها خمسة وأربعون فيها آنية الذهب والفضة ، وخمسة عشر منها بلّور محكم . وثلاثون مَرْكَب ذهب ، ومنها خمسون ، كلّ واحد وزنه ألف مثقال ، وستمائة مركب فضّة ، وأربعة آلاف ثوب ديباجاً ، منها ألفانْ وخمسمائة تُسْتَرِيّة ، وخمسمائة رومية ملكية ، والباقى بغدادية وعشرة آلاف رأس جمالاً ، وثلثمائة دارية ، وأربعون خادماً .

وحُمِل المطيع لله إلى بغداد ، ودُفن فى تربة والده المقتدر بالله رحمة الله عليهما بالرّصافة ، وصلّى عليه ابنُ معروفٍ ، وكَبّرَ عليه خَمْساً .

ودُفن سُبكتكين بالمخِرِّم .

وعَقَدت الأتراك الأمر لفتكين بن منصور ، مولى معزّ الدولة ، وعَرَض عليه الطائع اللّقب فامتنع وكان يكتبُ من أبى منصور ، مولى أمير المؤمنين .

وانحدروا إلى واسط وعزّ الدولة نازل بغربيّها ، وأقامت الأتراك بشرقيّها ، وعَبَرُوا إليه وقاتلوه ، واستظهروا عليه أياماً كثيرة .

وبينما حمدان يُقاتلهم مع الدّيْلم رماه تركى بنشابة [١] فوقعت فى صِماخ دابته ، فتمطّرت [٢] به فوقَع ، فضربه الأتراك بالدّبابيس حتى انحلّ وِركه ، وأخذوه أسيراً .

وكان عزّ الدولة قد كاتب أبا تغلب ، يستدْعيه إلى بغداد ، فاستولى عليها العيّارون [٣] ، فدخلها أبوتَغْلب ، وقتل منهم جماعة ، وأخذما وجده الأتراك .

وذكر أبو حيان فى كتاب الإمتاع والمؤانسة ، قال : حَصَل ببغداد من العيّارين قُوّاد منعوا الماء أن يصل إلى الكرخ ، وكان فيهم قائد يعرف بأسود الزّبد ، لأنه كأن يأوى [إلى] قَنْطرة الزّبد ، ويستطعم مَنْ حضر ، وهو عُرْيانٌ لا يتوارَى .

فلمّا فَشا الهرْج ، رأى هذا الأسود مَنْ هو أضعف منه ، قد أخذ السيف ، فطلب سيفاً ونهب وأغار ، وظهَر منه شيطانٌ فى مَسْك إنسان ، وضَح وجهُه ، وعَذُب لفظه ، وحَسُن جسمه ، وأطاعه رجال ، فصار جانِبه لايرام ، وحريمه لايُضام ، وظهر من حسن خلقه مع شَرهٌ ، ولعنه وسفكه الدّم ، وهتكِه الحريم ، وركوبه الْفَواحش ، وتمرّده على

---

(١) النشاب : النبل ، واحدته نشابة .

(٢) تمطرت : جرت وأسرعت ، وفى الأصل : « قطرت » تحريف .

(٣) العيار من الرجال : الذى يخلّى نفسه وهواها لا يردعها ولا يزجرها ، ويطلق على اللّص .

ربّه القاهر ، ومالكه القادر ، إنه اشترى جاريةً بألف دينار ، فلما حصَلت عنده ، حاوَل منها حاجته فمنعته ، فقال : ماتكرهين منى ؟ فقالت : أكرهك كما أنت . فقال : ماتحبين ؟ قالتْ : أن تبيعَنى ، قال : أو أفعل معك خيراً من ذلك ؟ وحملها إلى مسجد ابن رغبان ، فأعتقها بين يدى القاضى ابن الرّقاق ، ووهب لها ألف دينار ، فعَجب الناس من نفسه وهِمته وسماحته وصبره على خلاَفها ، وترك مكافأتها على كراهتِها ، ثم صار فى جانب أبى أحمد الموسوى ، فحماه وسيَّره إلى الشام ، فهلك بها .

وقال ابن الحجاج ، يذكر دخول أبى تغلب إلى بغداد :

و أنْتِ يابغداد قُولِى فقد سألتُك الحقَّ ولا تكذِبِى
أرأيتِ بَدْراً قطُّ فى تِمِّه أحْسَن مِنْ وَجْه أبى تَغْلَبِ
دُلِّى عليه أو فهاتِيه من أىّ مكانٍ شئتِ أو فاطْلُبى
هيهات هذا طلبٌ فائتٌ مختلفُ المعنى فلا تَتْعَبى
وكنتُ قد أخبرت حاشاك يا نظيرة الجنّة أن تُخْرَبى
جاءتك من تَغْلبٍ ساداتُها وطال ما اسْتعجمْتِ فاستعربِى
فوالذى يَعْفُو بإحسانه مقتدراً عن ذَلّة المُذْنِب
لونطقتْ بغداد قالت نَعَمْ سبحان مَنْ فَرّج ماحَلّ بِى
أعاش حتى بعد ماماتَ أمْ[1] فى ليلة القدر دَعَا لِى النّبى
ياعدّة الدّولة كم دعوةٍ مُجابَةٍ فيك ولم تُحْجَب

ولمّا بلغ الأتراكَ استيلاءُ أبى تغلب على دُورهم ، وأخذُه ماوجد فيها من أنقاضٍ وغيرها ، أصعدوا معهم الطائع ، فلمّا قاربوها أصعد أبو تغلب عنها فأصعدوا وراءه الأنبار ، وانحدروا وقد بَعُد ودخلُوا بغداد . وانحدر الطّائع إلى داره .

وجدّد الفتكين التّوثقة على حمدان بن ناصر الدّولة ، ثم أطلقه وخَلَع عليه .

وأنفذ ركن الدولة جيشَ الرىّ مع أبى الفتح بن العميد ، وساروا إلى عضد الدولة ، وأمر بالنّفوذ لمعارضة عزّ الدولة ، فالتقَوْا بأرّجان ، وساروا ، وكان أكثر خوفهم أن

---

(١) كذا فى الأصل .

يتلقاهم الأتراك بباذبين[١] وهم تَعِبون فكفُوا ذلك بإصعاد الأتراك .

ولمّا وصل عَضُد الدولة اجتمع به بختيار ، وأصعدوا عن واسط ، وسار عَضُد الدولة فى شرقىّ دجلة ، وعزّ الدولة فى غربيها .

فأحضر الطائع الأشراف والقضاة ، وأخذ على الأتراك الأيْمان بالطّاعة ، والمناصحة فى الثّبات والمكافحة ، وركِب إلى باب الشّماسية ، واستقرّ النّاس لقتال عَضُدِ الدّولة ، واجتمع من العامّة إليه الجمّ الغفير .

وكان عزّ الدولة ، مع إيثاره لنصرة ابن عمّه ، يخاف من مجيئه ومشاهدة نعمته .

ولما قاربُوا بغداد ، انحدر المطيع والفتكين ، وَعَبَرُوا ديالى ، وَعسْكَرُوا ما بينه وبين المدائن ، والتقوْا بعضُد الدولة ، فكانت للأتراك أولا ، ثم انهزموا ، فغرِق منهم خَلْقٌ كثير ، واستأمن آخرون ، ودخل بغداد فى النصف من جمادى الأولى ، ونزلُوا عند باب الشّماسية ، ثم رحلُوا عند إسفار الصبح ، وقد أخذوا عيالاتِهم وأسبابهم ، وتَبِعهم الْخَلْق الكثير من أهل بغداد .

وأنفذ عَضُد الدولة ، ونادى ببغداد بالتّسْكين لأهلها ، والعفو عن جُناتِها[٢] ، ونَزَل بباب الشماسية عند دخوله .

فلمّا وصلَ خبرهُم من تكريت بِتَشَتُّتِهم ، نزل عضد الدولة ، فى دار سُبكْتِكين ، ونزل عزّ الدولة داره ، وهى دار المتّقى لله .

وقال ابن الحجّاج يستعطف عَضُد الدّولة لأهل بغداد :

يأيها الملك الرءوف المنعـــــمُ ارحَمْ فمثلُك مَنْ يرقّ ويرحـــم
مولاى وَصْفُك كان يَعْظُم عِندنـا فالآن أنْتَ أجلُّ منه وأعظـــمُ
بغداد كانت جَنّة مسكونــــةً فيما مضى فالآن فهْى جهنَّـــمُ

وراسل عَضُد الدّولة الطائعَ لله ، بأبى محمد بن معروف حتى استعاده ، ودخل إلى بغداد فى حديدىّ ، جلس على سَطْحه ، وخرج عضد الدولة فى طَيَّاره ، فتلقّاه قريبـــا من قطيعة أم جعفر ، وصعد الحديدى[٣] ، وقبَّل البَساط ، ويدَ الطائع

(١) باذبين : قرية كبيرة كالبلدة تحت واسط على ضفّة دجلة .

(٢) فى الأصل : « حناتها » .

(٣) يبدو أنه نوع من المراكب .

لله ، وطُرِح له كرسىٌّ بين يديه ، فجَلَس عليه ، وكان عَضُد الدولة عليه قَباء أسود وسيف ومِنْطقة ، وأحدقت الطيّارات والزّبازب بالحديدىّ .

وانحدروا كذلك إلى دار الخلافة ، وكان عضد الدولة تقدم بعمارتها وتطريتها ، وإنفاذ الفرش والآلات إليها .

وحَمَل إلى الطائع مالاً وثياباً وطيباً ، وخُطِب له يوم الجمعة عاشرَ رجب ، بعد أن قُطِعت الخطبة له ، من عاشر جمادى الأولى ، ولم يُخْطَبْ إلى هذه الغاية لأحد .

وكتب الصابى عن عَضُد الدولة : لمَّا ورد أميرُ المؤمنين البرَدَان[١] أُنعِم بالإذن لنا فى تلقِّية على الماء ، فامتثلناه وتقبّلناه ، وتلقّانا من عوائد كَرمِهِ ، ونفحات شِيمَه ، والمخايل الْوَاعدة بجميل رأيه ، وعواطف إنجابه وإرعائه ما كَنَفنا يَمينُه ، وشايَعنا عِزُّه ، إلى أن وصلْنا إلى حضرته البهيّة ، شرّفها الله فى الحديدية التى استقلّت منه بسليل النبوّة ، وعقيد الخلافة ، وسيد الأنام ، والمستنزل بوجهه دار الْغَمام ، فَتَكَفَّأَت علينا فى ظلال نوره ونَشْرِه ، وغمرتْنا حُمَيَّاتٌ بفضله وفضيلته ، وأوسعنا من جميل لقياه وكريم نَجْواه ، ما وسم بالعز أعقال النعم ، وتضمّن الشرف فى النَّفْس والعقِب ، وتكفَّل من الفوز فى الدِّين والدُّنْيا بغايات الأمل .

وكانت لنا فى الوُصول إليه ، والمُثول بين يديه ، فى مواقع ألحاظه ، وتَوارد ألفاظه ، مراتب لم يبلغها أحد فيما سَلَف ، ولم تَجُد الأيّام بمثلها لمن تَقَدّم .

وسِرْنا فى خِدْمتـــه على الهيئة الّتى ألقى شرفها علينا ، وحضّ جمالها مدى الدهر لنا ، إلى أن سار إلى سُدّة دار الخليفة ، والسُّعود تُشايعُه ، والميامن تُواطئه ، وطالِع الآمال يستشرف له ، وثغر الإسلام يتبسّم إليه ، فعزَم علينا بالانقلاب عنه على ضروب من التّشريف ، لا مورد بعدها فى جلال ، ولا موقف وراءها لمذهبٍ فى جمال ، واجتلت الأعين عينَ محاسن ذلك المنظر ، وتهادت الألسن من مناقب ذلك المشهد ، ما بَهت النَّاظر ، وعاد شمل الإسلام مجموعاً ، ورواقُ العزّ ممدوداً ، وصلاح الدَّهْماء مأهولا .

ومدح عضَد الدولة أبو نصر بن نُباتة ، بقصيدة يذكر فيها الفتح ، منها :

---

(١) البردان من قرى بغداد .

فما ذابَ شطرُ اليوم حتى تَصَافَحَتْ ... أسنَّة أرماح العِدَى وخُدودهـــا
وأقدم وثّاباً على الهول خيلَـــه ... إذا كَمَلَت لا تقشعرّ جلودُهـــا
يُعيد إلى جرّ الطعـان صدورَهـا ... ولا يدرك الغايات إلاّ مُعيدهـا
رميتَ جباه التُّرْك يوم لقيتَهُــم ... بشهبـاء من سرّ النِّزال قيودُهـا
وكلّ فتًى تحت العجاجة وَكْــدهُ ... إذا الخيلُ جالت ميتة يستجيدُهـا
تداركْت أطناب الخلافة بعدمـا ... وَهِيَ سُمْكها العالى ومالَ عمودُهـا
فأعفيت من تدبيرها متكلِّفـاً ... يحلّ به يوم الحِفَاظ عُقُودُهـا
وَسرْبَلْت إيوانَ المدائن بهجـةً ... أناف به والحاسدُون شهودُهـا
هو الملك المخلوق من خَطَراتــه ... طريفُ المعالى كلِّها وتليدُهـا
ملوكُ بنى ساسان تَزْعـم أنـه ... له حُفِظتْ أسرارُهـا وعُهُودهـا
فتاها ومولاها ووارث مَجْدِهـا ... وسيِّدها إن كان ربٌّ يسودُهـا
قبيلة بهرامٍ وأسرة بهمـنٍ ... يُميت ويُحْيِى وعدُهـا ووعيدُهـا
على زمن الضّحاك كانت عصابـة ... ولوعاً بهاماتِ الملُوك حديدهـا
إذا سترت غبّ الحروب جراحَهـا ... أتتْها العوالى والسُّيوف تعودهـا
ولم أك أدرى أنّ إخوتها القنـا ... وأن الظُّبى آباؤها وجدودُهـا
تفارق فى رحْبَ الثناء نفوسُهـا ... وقد عَلِمَتْ أنَّ الثناء خُلُودهـا
فلا تجعلوا الأقدار مثلَ سيوفها ... فقد تسبق الأقدار فيمن يَكيدهـا
أقول وقد سلت عشيـة جـازر ... ولاذت بها أغمادُهـا تَسْتَعيدُهـا
أتلك رقابٌ زايلتْهـا رءوسهـا ... لَقًى أو سيوفٌ زايلتها غُمودهـا

وفى شهر رمضان ، أعيد أبو تمام الزينبىّ إلى النّقابة على العباسيين وصُرِف أبو محمد عبد الملك عنها ، وأُمِّر على الصلاة فى الجوامع ، وأعيد ابن معروف إلى قضاء القضاة ، وصُرِف ابن أم شَيْبان .

وأعيد أبو أحمد الموسوىّ إلى نقابة الطالبيين .

ومات أبو العباس أحمد بن خاقان المفلحىّ ، عن تسعين سنة ، وحَجَب أربعة خلفاء ، وتقلّد المعونة بالحضْرة دَفَعات .

وزادت الأسعار ، وعُدِمت الأقوات ، وبيع الكُرُّ من الدقيق بمائة وخمسة وسبعين

ديناراً ، وكانت الدَّراهم أربعة عشر بدينار ، وبيع كلّ ثلاثة أرطال بدرهم .

ووافق عَضُد الدولة الدّيلم حتى شَغَبُوا على عزّ الدولة ، فأراد استصلاحَهم ، فقال لعضد الدولة : تقلّد الأمر ، وأنفذ حينئذ إلى داره فختَم على خزائنها ، وتولّى له ابنُ بقية ذلك .

وقُبِض على أبى إسحاق وأبى طاهر ، أخَوَىْ عزّ الدولة .

وقرئ على القضاة والشهود والأشراف والأماثل بالجامع ، كتاب يتضمّن استعفاء عزّ الدولة من النظر ، وردّ الأمر إلى عضد الدولة ، ووُعِدُوا بإفاضة العدل وإحسان الرعية .

واختارَ ابنُ بقية أن يضمن واسط وتكريت وعُكْبَرا وأوانا ، فأجيب إلى ذلك ، وخُلِع عليه ، وأُقطع خمسمائة ألف درهم فى كلّ سنة ، وانحدر إلى واسط .

وقد كان عضُد الدولة ، قد عاهد عمران بن شاهين ، وأعفى أبا تغلب من حمل مال ، وكان بينهما مودّة قديمة ومكاتبة .

ولما حصل ابنُ بقيّة بواسط ، خلَع الطاعة ، وعوّل على أنه متى قُصِد التجأ إلى نهر الفضل[1] وأعمال عمران[2] ، فكاتبه عضد الدولة بتسكينه ، وبَذَلَ الأمان فى كتابه ، فأجابه : إنّنى أفلتُّ إفلات المجروح المكلوم ، وتخلّصت تخلُّص المصلوب المظلوم ، وقد حصلت على أهلى بين قوم ٍسيوفُهم حِداد ، وجعلتُ دونَ كلّ واحد منهم أناساً على البغاةِ غلاظٌ شداد ، وقد وجدتُه أعطى قبلى أماناً لقوم قولاً ، وأسقَطه فعلا ، فلم يَفِ بشىء منه ، بل صدق فى الجميع عنه ، فليتَ شعرى أىّ الأمانات يعطينى ؟ أمان بنى شيرزيل ، وقد عاهدهم الصّيْمرىّ له ، واستعان بهم على سائر عساكره ، بعد وفاة عماد الدولة ، وحلفَ لهم أيماناً نَقضَ جميعَها ، وأبطل سائرَها ، وأباد خضراءهم ، وقلَع من فارس أصولَهم ! أم بنى شكرسنان ، وقد كانوا الممهِّدين له الدولة ، والمصلحين له الجُملة ، أم الموصلين وقد أوردهم بساطَه ، وأظهر بتقريبهم سرورَه واغتباطه ، فلمَّا حَصَّلهم ببلاده وأراضيه ، قضى فيهم بالغدر أقبح قَواضيه .

---

(١) نهر الفضل من نواحى واسط .

(٢) هو عمران بن شاهين .

وحكى لى أبو الزيان صاحبه متبجّحا ، أنه ما بقى منهم صاحبه بأرض إلا ستّة نَفَر ، وما بقى من أماناته فهو أكبرها وأجلُّها ، وهو وروده تحت الرِّكاب لنصرة ابن عمّه ، على رَغْمه .

فلمّا ورد على تلك الصورة ، وقع التشكّك فيه قبل أنْ يُحكِم أموره ، وأعطاه من الأيمان والعهود ما استدعى التائبين بفعلِه ، واستجلبَ السكون إلى ما أضمره من اغتيالِه وخَتْله ، وعزّ الدولة يُنْسَب إلى ما يأتيه إلى الجميل ، ولا يستريب به فى كثيرٍ ولا قليلٍ .

فلمّا سكن إليه ، واعتمد فى التَّوسط بينه وبين أوليائه عليه ، وانتهز فرصتَه ، واستلب غِرّته ، واستولى على الأمور كأنه مالكُها ، وأنشب مخالبَه فيها ، فكأنّه لم يزل مدبِّرَها ، وجعل أرش مسيرهِ لمعاونته انتهاك محارِمه ، وتشتيت أصحابه وحُرَمه ، وتناسى أفعال معز الدولة له ولوالده منذ ثلاثين سنة ، وبذله عنهما عظيم الأموال ، ونفيس الأحوال ، فى دفع أصحاب خراسان كل دفعة ، وكسرَ عساكر وشمكير ، والله تعالى يهلك الظالمين ، ويأخذ الباغين .

ورأى أنه متَى عاجلنى ظهرَ تمويهُه ، وثار به سائرُ الأولياء ، وانكشف تدبيرُه ، فأسرّ أمْرى فى نفسه ، ولم يتمكّنْ من إظهاره فى وقتِه ، فأطمعتُه كلَّ الإطماع فى ارتفاع ما ضمِنْتُه من الأموال ، واعتمدت فى أموره على مَنْ أعطاني المقدرَة عليها ، ولجأتُ إلى كرمه فيما عُوِّد منها ، حتى قَفَزْت من بين يديه قفزة يالهفةً عليها لو أدركها ، وأسفه على ما تمّ لى فيها ، وكُنْت بحولِ الله فى تدبيرى ، كما قال ثابت الخُزاعىّ :

إذا المرء لم يَحْتَلْ وقد جدَّ جـــدُّه ... أضاع وقاسى أمره وهو مدبـــرُ

ولكن أخو الحزم الذى ليس نازلاً ... به الخطب إلا وهو للقَصْدِ مُبْصِرُ

وكانتْ نفسى تنازعنى تقديمَ ما تأخّر ، وتجاذبنى تعجيل ما تأجل ، فأجبتها بما قاله علىّ بن محمد البصرى العلوىّ :

وإذا تُنَازِعنى أقـــول لها اصْبِرِى ... موتاً يُرِيحُكِ أو صعـــودَ المِنْبَرِ

ما قد قضى سيكون فاصْطَبِرى له ... ولكِ الأمان من الّذى لم يُقْدَرِ

وقد لقيتُ كافّةَ جيوشه ، وعامة أصحابه ، وهى كعَدد أهل أحد كثرة ، بفتيانٍ كعدد أهلِ بَدْرٍ قلة ، فما زلت معهم فى كلّ الأيام ، كما قال علىّ بن محمد أيضاً :

وإنّا لَتُصْبحُ أسيافُنَـــــا ... إذا ما انْتُضِينَ ليـــوم سَفُـــوكِ

مَنَابرهنَّ بُطون الأكُفّ وأغمادهنّ رءوس المُلوك

وأنا أعرض عليه ، ضدّ ما عُرِض علىّ ، لأنه صحيح وأنا به ملىء وفىّ ، وقد آمنت عضد الدولة فنّاخسره بن ركن الدولة أبى علىّ ، مولَى أمير المؤمنين ، على نفسِه ومماليكه ، ومَنْ يختار المسيرَ معه من أصحابه ، بأمان الله ، وأمان رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأمان مولانا عزّ الدولة ، وأمانى إلاّ أن يكون سفك دماً فى بلادنا ، فالحكم يجمعه وأصحاب القوّاد ، أو أخذ مالا من غير واجب ، فلا سبيل إلى غير رَدّه ، أو ظَلَم أحداً فى ممالكنا ، أو أخذ مالا من غير واجب ، فلا سبيل إلى غير رَدّه ، أو ظَلَم أحداً فى ممالكنا ، فلا طريق إلى الصفح عنه ، إلا بعد الانتصاف للمظلوم منه .

واعتدّ عضد الدولة بإطلاق ابن بقية فى كتابه ، فأجابه ابن بقية :

فَمَا بُقْيا علىَّ تَرَكْتُمانى ولكنْ خِفْتُما صَرَدَ النِّبالِ (١)

وحصّل عضد الدولة من المصادرات ، ألف ألف وتسعمائة وخمسين ألف درهم ، منها من أبى عمرو بن عمر ، أدّى كاتبُ سبكتكين ألف ألف وخمسمائة ألف درهم ، ومن أبى بكر الأصفهانى ألفا ألف درهم ، ومن ابن قريعة مائة ألف درهم .

وقبض ابن بقية على مَنْ أصحبه عضد الدولة من القوّاد ، واجتمع والمرزبان ابن عزّ الدولة ، وكان بالبصرة ، على مكاتبة ركن الدولة ، بالاستغاثة من عَضُد الدولة وأبى الفتح بن العميد ، فوردت كتب ركن الدولة إليهما ، يأمرهما بالتّمسك بمكانهما ، ويَعِدُهما المسيرَ بنفسه .

وكتب بمثل ذلك إلى أبى تغلب ، فلمّا عرفوا نيّته فيه تجاسروا عليه ، وأقدمت عليه العامّة ، فأنفذ بابن العميد وابنِ بندار ، وقال لهما(٢) . قُولا لأبى(٣) إنْ أنا خرجتُ من بغداد انفسدتْ علىّ الممالك ، وأنا أقاطعه على ثلاثين ألف ألف درهم فى كلّ سنة ، وأقدّم منها عشرة آلاف ألف .

فلمّا وصلا إلى ركن الدولة ، أراد قتلَهما وسُئِل فيهما ، فأوصلهما وقال : عودا

---

(١) اللسان (صرد) ونسبه إلى للعين المنقرى .

(٢) أى عضد الدولة .

(٣) أى ركن الدولة .

إليه ، وقولا : تريد أن تمن على بَنِي أخي بدرهمين أنفقتهما ، وأمراه بالخروج عن بَغْداد وتسليمها إلى عزّ الدولة .

فعاد ابنُ العميد إلى عضُد الدولة وحدَه ، وعرَّفه الحال ، فاضطُر إلى الخروج عن بغداد إلى فارس ، وأفرج عن عزّ الدولة وإخوته ، وخلَع عليهم .

وثار عليه العيّارون والعامة ، [فقابلهم][1] بالاستخفاف والسّب ، ووافق ابن العميد على ألاَّ يتخلّف بعده أكثر من ثلاثة أيام .

فلما خرج ، طابتْ بغداد لابن العميد ، ونزل فى الدور على دجلة ، وحصلت له الزّ يازب والأغانى ، وكانت قد حَصَلَتْ بينه وبين ابن بقية مودَّة .

وامتنع ابنُ العميد عن الشُّرب ، لمَّا قبضَ عضُد الدولة على بختيار ، فكتب إليه ابن الحجاج ، وقد شرب ابن بقية :

حَقٌّ على الأستاذ قد وَجَبَـــا ... فإلَيْهِ قد أصبحتُ مُنْتَسِبـــا
يا بن العميد وأنت سيّدنـــا ... ما قلتُها زُورًا ولا كَذِبـــا
يا خير أهلِ الأرض كلِّهـــمُ ... أمًّا ويا أسرى العبـــاد أبـــا
مولاىَ تَرْكُ الشُّرب ينكـــرُه ... مَنْ كان فى بغدادَ مُحْتَسِبَـــا
إن كان من غَمّ الأمير فلـــمْ ... ووزيرُه بالرَّطل قَدْ شَرِبـــا
إن الملوك إذا همُ اقتتلـــوا ... أصبحْتُ فيهم كَلْبَ مَنْ غَلَبـــا
فلذاك أسكـــر غير مـــكترثٍ ... وألفُّ من خيشومىَ الذَّنَبـــا
يا سادتى قـــد جاءنـــا رَجَبٌ ... فتفضَّلوا واسْتَقْبِلوا رَجَبـــا
بمُدامـــةٍ لـــولا أبوَّتُهـــا ... ما كنتَ قَطّ أشرفَ العِنَبـــا
خمرٌ كمثلِ النّـــار موقـــدةً ... لم تلق لا نارًا ولا حَطَبـــا
من قال إن المِسْك يشبهـــا ... ريحاً فلا والله مـــا كَذَبـــا

وكان ابنُ العميد ، قد سأل ابنَ الحجاج الحضورَ عنده ، فامتنع واعتذر بانقطاعه إلى خدمة عزّ الدولة ، فسأل عزَّ الدولة حتى أنفذه إليه ، وشُغِف به وقال له : لِمَ تأخَّرت عنّى ؟ فقال له ابن الحجاج : إنّنى تركتُ ما كان عليه أسلافى من الكتابة ، وعدَلْتُ

(١) زيادة يقتضيها السياق .

إلى الشعر السخيف ، الّذى هتك سِتْر تَجَمُّلى ، وفكّرت فى أنّك مِمّن لا يسامَى قدرُه ، ولا يردُّ أمره ونهيه ، واتّهمتُك بأنّك جَبلىّ الأخلاق ، فظّ العشرة ، ولم آمن مِنْ ألاّ أنفُق عليك ، أو لا تنفُق أنت علىّ ، فتذهب قطعة من عُمْرى ، وقد تنغَّص عيشى ، فقال له ابن العميد : فكيف رأيتنِى ؟ قال : بالضدّ ممّا اتهمتك فيه ، فاجعلنى فى حلّ ، فقال له : قد تساوينا ، لك علىّ مثل مالى عليك ، فإننى كنت أقرأ أشعارك فأظنّك سخيفاً ، قليل المروءة ، كثير العيوب ، حتى شاهدتك فكنت بخلاف ذلك ، فإن أحللتنى أحللتُك .

واعتدّ ابنُ العميد على بختيار بما صنعه معه من إبعاده عَضُد الدولة ، فعرَض عليه وزارتَه ، فقال : لا يمكنُنى ، فإنّنى وأهلى فى خدمة ركن الدولة ، منذ خمسين سنة وهو هالك ، فإذا مَضَى جئتُك بقطعة من عَسْكره . وكان ذلك يبلُغ عضد الدولة ، فحنَق عليه .

وورد ابنُ بقية بغدادَ فى ذى القعدة ، وملأ عينَ ابنِ العميد بالهدايا ، وقال فى بعض الأيّام : لابدّ أن أخلع عليه ، فلمّا أكل وقعدا على الشّرب ، أخذ ابن بقية بيدِه فرجية ورداء فى غاية الحسن والجلالة ، ووافَى بهما إلى ابن العميد ، وقال : صرت يا أستاذ جامدارك[1] ، فانظرْ هل تُرْضينى لخدمتك ، فطرح الفرجية عليه ، فأخذ الرّداء منه ولبسه .

وقصد الفتكين فى ثلثمائة غلام دمشقَ ، وكان العيّارون قد استَولَوْا عليها ، فخرج إليه أشرافها وشيوخها ، وسَلّمُوها إليه ، فأحسن السيرة ، وقَمع أهل الفساد ، وقامت هيبتُه ، وَعظُمت منزلتُه ، وقصد العرب وأبعدَهم ، وظهرت شجاعته ، وكان أعور .

وكان ابن الشمشقيق ، قد جاء فى الروم ، فأخذ بلاد الثغور ، وصالح أهلَ دمشق على مال كثير ، فخرج إليه الفتكين ، ولعِب بين يديه بالرّمح ، فأعجبَتْه فُروسيته ، ووهب ما قرّره على أهل دمشق له ، فسأله أن يهدَى له سلاحه ، فقاد مع فرسه وسلاحه عشرين فرساً بتجافيفها[2] ، فردّها ابن الشمشيق ، ولم يقبل غير فرس الفتكين وسلاحِه وحده .

---

(١) كذا ولعله لقب .

(٢) التحفاف : ما يلبسه المحارب كالدروع ، وجمعه تجافيف .

وانصرف عنه إلى جبلة[١] وبيروت ، ففتحهما عَنْوة ، وتحصّن منه أهل أنطاكية ، فاستخلف عليها صاحباً له ، فقطع شجرها التين ، وهو يَجْرى مجرى النخل بالبصرة ، وفُتِحت له بعد ذلك .

وسار ابن الشمشقيق إلى قسطنطينية ، فما بعدت وفاته .

ومضى إلى الفتكين ، والدُه عزّ الدولة ، وأخواه أبو إسحاق وأبو طاهر ، وابنه المرزبان بعد قتله ، على ما نشرحه ، فأولاهم الجميل ، وأحسن إليهم ، وقصدته العساكر من مِصْر متكاثرة ، وكان ما يأتى ذكره فى السنة الآتية ، وما بعدها .

---

(١) جبلة قلعة بساحل الشام من أعمال حلب .

سنة خمس وستين وثلثمائة

تُوفِّى المعزّ بمصر ، فى شهر ربيع الآخر ، سنة خمس وستين ، ومدّة عمره خمس وأربعون سنة وسبعة أشهر ويومان ، ومدّة نظره ثلاث وعشرون سنة وخمسة أشهر وسبعة عشر يوماً ، منها بمصر ثلاث سنين .

وقام ابنُه نِزار مقامَه ، ولقِّب بالعزيز ، فكاتب الفتكين بالاستمالة ، فأغلظ فى جوابه ، وقال : هذا بلد أخذته بالسيف ، ولا أدين لأحدٍ فيه بطاعة . فأنفذ إليه جوهراً فى عساكر كثيرة ، فدعا أهلَ البلد وأعلمهم ما قد أضلَّهم ، وأنه على مفارقتهم ، فقالوا : إنّ أرواحنا دونك ، وإنا باذلون نفوسَنا دون نَفْسِك .

ولمَّا حصل جوهر بالرَّملة[1] ، كاتب الفتكين ، وعرّفه أنه قد استصحب له أماناً ، وكتاباً بالعفو عمَّا فرّط فيه ، وخِلعاً يُفِيضُها عليه ، وأموالاً ، فأجابه الفتكين إجابة مغالط ، وأحال على أهلِ دمشق فِعْل جوهر على الحرب ، وسار إليه ، فالتقيا بالشّماسية[2] ، ودامت الحرب واتصلت مدة شهرين ، وظهر من شجاعة الفتكين وغلمانه ، ما عُظِّمُوا به فى النفوس .

وعاضد الفتكين الحسنُ بن أحمد القَرْمطىّ ، واجتمعا فى خمسين ألفاً ، فانصرف جوهر إلى طبريّة ، ومنها إلى عَسْقلان ، فحاصراه بها ، وقَطَعا عنه الماء .

وكان جوهر فى الشجاعة معروفاً ، فكان يبارز الفتكين ، ويَعْرِض عليه الطاعة لصاحبه ، فيكاد أن يجيبه فيعترضهما القرمطىّ ، فلا يمكِّن الفتكين من ذلك .

فاجتمعا يوماً ، فقال جوهر : قد علمتَ ما يجمعنى وإيّاك من تعظيم الدين ، وقد طَالَتِ الْفِتْنة ، ودماءُ مَنْ هلك فى رِقابنا ، وإن لم تُجبْ إلى الطاعة ، فأسألك أن تمنّ علىّ بنفسى وبأصحابى وتذِمّ لنا ، وتكون قد جمعتَ بين حقْن الدماء واصطناع المعروف ، فقال الفتكين : أنا أفعلُ ، على أن أعلّق سيفى ورمح القرمطىّ ، على باب

(١) الرملة : مدينة بفلسطين وكانت قصبتها .

(٢) الشماسية : محلة بدمشق .

عَسْقلان ، ونخرج من تَحْتِهما ، قال : رضيت ، وأخذ خاتم الفتكين على الوفاء .

وأنفذ إليه جوهر مالاً وألطافاً ، فاجتهد القرمطىّ بالفتكين أن يغدر ، فلم يفعل ، فخرج وخرج جوهر وشرح لصاحبه الحال ، فأمر بإخراج المال ، وإثبات الرجال ، وسار جوهر على مقدّمته ، واستصحب توابيتَ آبائه .

ولما عرف الفتكين ، والقرمطىّ الحالَ ، عاد إلى الرملة واحتشد ، وتقارَب العسكران ، واصطفّا للقتال ، وجال الفتكين بين الصفّين ، فكبّر وحمل وطعَن وضرب .

فعَلا العزيز على رابِية ، وعلى رأسه المِظَلّة ، وقال لجوهر : أرنى الفتكين ، فأراه إياه ، وكان على فرسٍ أدهم بتجفاف من مرايا ، وعليه فزاعند[١] ، أصفر وهو يطعَنُ تارة ، ويضرب باللت أخرى ، والنّاس يَتحامونه .

فالتفت العزيز إلى ركابى[٢] يختصّ به ، وقال له : امض إلى الفتكين وقل له : أنا العزيز ، وقد أزعجتَنى من سرير ملكى ، وأخرجتنى لمباشرة الحرب ، وأنا أسامحك بجميع ذلك ، ولك علىّ عهد الله ، بأنى أهب لك الشام بأسره ، وأجعلك اسلسهار[٣] عسكرى .

فمضى الركابىّ وأعاد الرسالة ، فخرج الفتكين ، بحيث يراه الناس ، وترجَّل وقبّل الأرض مراراً ، ومرّغ خديه ، وقال : قل لمولانا ، لو تقدَّم القولُ لسارعتُ ، فأمّا الآن فليس إلا ما ترى .

فعاد إلى العزيز بالجواب ، فقال : ارجع إليه وقل له : تقرّب منّى بحيث أراك وترانى ، فإن استحققتُ أن تضرِب وجهى بالسيف فافعل .

فمضى ، فقال الفتكين : ما كنتُ بالذى أشاهد طلعته وأنابذه الحرب ، وقد خرج الأمر عن يدى .

وحمل عند ذلك على الميسرة فهزَمها ، وقتل كثيراً من أهلها ، فحَمل العزيز ، والمظلة على رأسه ، فانهزم الفتكين والقرمطىّ ، ووضع السيف فى عسكرهِما ، فقتَل منه عشرين ألف رجل .

---

(١) كذا فى الأصل .

(٢) ركابى : من يستعان به فى الركوب .

(٣) وظيفة عندهم .

ومضى القرمطى هارباً ، وبذل لمن يأتيه بالفتكين مائة ألفَ دينار .

وكان الفتكين يميل إلى المفرج بن دغفل بن الجراح الطائى ، وبتمرّده لملاحته ، وشاع ذلك عنه ، فانهزم يطلبُ ساحل البحر ، ومعه ثلاثة من غلمانه ، وبه جراح ، وقد جَهَده العطش ، فلقيته سرية فيها المفرّج ، فلمّا رآه ، التمس منه ماء ، فسقاه ، وقال له : سيِّرنى إلى أهلك ، فحمله إلى قرية تعرف بلبنى ، وأحضر له ماء وفاكهة ، ووكّل به جماعة ، وبادر إلى العزيز فأخبره ، فأعطاه المال الّذى ضَمِنه ، ومضى معه جوهر فتسلّمه .

وتقدّم بضرب مضارب ، وأحضر كلَّ مَنْ حصل فى الأسر من أصحاب الفتكين ، فأمّنهم وكساهم ، وجعل كلَّ واحد منهم فيما كان فيه معه ، ووصل الفتكين فأخرج العسكرَ لاستقباله ، وهو لا يشكّ أنه مقتول .

فلمّا وصل إلى النّوبة ، ورأى أصحابه مكرّمين ، وترجّل الناس له ، وحُمل إلى دست قد نُصب ليجلس فيه ، رَمَى بنفسه إلى الأرض ، وألقى عمامته ، وعفّر وبكَى بكاء شديداً ، وقال : لم استحققتُ هذا الإبقاء ! وامتنع من الجلوس فى الدّست .

ووافاهُ أمينُ الدولة أبو الحسن بن عمّار ، وجوهر والخدم على أيديهم الثياب ، وأعلموه رضا العزيز عنه ، وألبسوه الخِلَع ، وتقدّم إلى البازيار به وأصحاب الجوارح بالمصير إلى مضربه ، وراسله بالرّكوب إلى الصيد تأنيساً له ، وقادَ إليه عدّة دوابّ ، وعاد عشاء ، واستقبله الفرّاشون والنّفّاطون بالمشاعل ، ونزل وركب العزيز إليه ليلا ، فقبّل الأرض وخاطبه بما سكن منه ، وجعله حاجب حُجّابه .

وعفا عن الحسن بن أحمد القرمطىّ ، وأقام بطبرية ، وجعل له سبعين ألف دينار فى كلّ سنة ، وتوجّه إليه جوهر ، وقاضى الرّملة فاستخلفاه .

ومضى الفتكين مع الْعزيز إلى مصر ، وقد استأمن إليه أخو عزّ الدولة وابنه ، فزاد فى إكرام الفتكين .

وكان يتكبَّر على أبى الفرج يعقوب بن يوسف بن كلس ، وتدرّجتِ الوحشة ، وأمرهما العزيز بالإصلاح ، فلم يفعل الفتكين ، فدسّ عليه أبو الفرج سمّاً فقتله ، وحَزِن عليه العزيز ، وقبض على أبى الفرج ، وقد اتّهمه بقتله نيِّفاً وأربعين يوماً ، وأخذ منه خمسمائة ألف دينار ، ووقفت الأمور باعتزاله النظر ، فأعاده حين لم يجد منه بُدًّا .

وتزوّج الطائع بنتَ عزّ الدولة على صداق مائة ألف دينار ، وخطب أبو بكر ابن قريعة خطبة النّكاح .

وفى ذى القعـــدة تُوُفِّىَ أبو الحسن ثابت بن سنان بن قصرة الصّابى صاحب التاريخ .

وقسّم ركن الدولة الممالك بين أولاده ، فجعل لعضُد الدولة فارس وكِرْمان وأرجّان ، ولمؤيد الدولة الرّىّ وأصبهان ، ولفخر الدولة هَمَذَان والدينور .

ومرِض ركن الدولة ، فسار إليه عضد الدولة ، وقبّل الأرض بين يديه ، والتقيا بأصبهان ، وعمل ابْنُ العميد دعوةً ، جمع فيها ركن الدولة وأولاده الأمراء ، وخاطبهم ركن الدولة ، بأن عضد الدولة ولىُّ عهده ، وخلع ابن العميد على القوّاد ألف قباء وألف كساء .

وأخذ عزّ الدولة لسهلان بن مسافر خِلَعاً من الطائع ، ولقّبه عنه عصمة الدولة وأنفذها له .

وأنفذ إلى فخر الدولة مثلَها ، فلم يلبساها ، ولم يتلقّب سهلان مراقبةً لعضُد الدولة .

سنة ست وستين وثلثمائة

توفّى ركنُ الدّولة أبو علىّ بالرّى فى ثامن عشر المحرّم، وقال أبو بكر الخوارزمىّ يرثيه :

أَحِين جرَى ملكه فى المُلُوكِ ... وردَّ به الله مُلْك العَجَمْ (١)

وخَطّ الفَناء على قَبْرِهِ ... بخطّ البلى وبنَان السَّقَمْ

إذا تمّ أمرٌ بدا نَقْصُه ... توَقَّع زوالاً إذا قِيل تَمّْ

وأتاها مؤيّد الدولة ، وانفصل عن أصبهان ، وأقرَّ أبا الفتح بن العميد على ما كان إليه . وكان يكتُب له فى حياة أبيه الصاحب أبو القاسم محمد بن العميد ، حَسَده الصاحب وغيظه مِنْ قُرْبه أن حَمَل الجند على الشَّغَب ، فحسم مؤيّد الدولة المادّة بإعادة الصاحب إلى أصبهان .

وكان فى نَفْس عَضد الدولة على ابن العميد ما ذكرناه ، حتى إنه كان يقول : خرجت من بغداد ، وأنا زريق الشارب ، وابن العميد خرج ملقّباً بذى الكفايتين ، لأنّ أهل بغداد كانوا يلقّبون عضد الدولة بزريق الشارب .

ونَشَط ابنُ العميد للشرب ، وتداخَله ارتياح ، فعمل مجلساً عظيماً ، وشَرِب ببقية نهاره وعامّة ليلة ، وعَمِل شعراً وهو يشرب ، وأمر بتلحينه والغناء له به ، ففعل المغنّون ذلك ، والشعر :

دعوت الُمنَى ودعوتُ العُلاَ ... فلمّا أجابا دعوت الْقَدَحْ (٢)

وقلتُ لأيام شَرْخِ الشباب ... إلىّ فهذا أوانُ الفرحْ

إذا بلغ المرءُ آماله ... فليس له بعدها مُقْتَرح

ولمّا غُنِّىَ له بشعره ، استفزّه الطّرب ، وشرِب حتى سَكِر ، وقال لغلمانه : غَطّوا المجلس واتركوه على حاله ، حتى نَشرب عليه ونَصْطبح ، وقام إلى بيت منامه .

---

(١) انظر يتيمة الدهر ٤ : ٢١١ .

(٢) اليتيمة ٣ : ١٦٥ .

وباكره رسول مؤيد الدولة يستدعيه ، فركب وعنده أنه يخاطبه على مهمٍّ ، ويعود سريعاً ، فلمّا دخل إليه قبض عليه وأخذ أمواله .

ومن شعر أبي الفتح :

يَقُول لِيَ الْوَاشون كَيْف تُحِبُّها فقلتُ لَهُمْ بين المقصِّر والْغَالِي (١)

ولولا حِذارِي منهمْ لصَدَقْتُهم وقلت هوًى لم يهوَه قطُّ أمثالي

وكم من شفيقٍ قال : مالك واجماً فقلت : أبي مابي وتسألني مالي

وترامت به الحال إلى قتله .

وحُكِي أن أباه رآه وهو يخطِر خَطْرةً أنكرها من مشيةِ أمثاله ، فقال لمن حضره : إنّي لآخذه بالأدب حتّى لأُنغِّص عليه عَيْشَه ، فإنّه قصير العمر ، وعُمْره على مايدلّ عليه نَجْمه ثمان وعشرون سنة ، هذا ماحكاه الثعالبي في اليتيمة .

وقال ابن الحجاج يرثيه من قصيدة :

رُويدك إن الحزْن ضَربْه لازمِ ألاَ فليقمْ نَاعِي البحورِ الْخَضَارم

ألاَ إنّ هذاالمجدَ قد ساخ طَوْدُه فأصبح منهدَّ الذُّرا والدَّعائم

ألا إنّ بحرَ الجُودِ قد غاض لُجُّه فمَنْ للقلوب الصَّاديات الحوائمِ

فيا صارماً فلّ البِلَى غَرْبَ حَدِّه وكتّابه تَقْرِي متونَ الصَّوَارمِ

مضى جسمَك الْفاني وخلَّفْت بعدَه معالي تلك الْمأثُرات الجسائمِ

أخِلاَّيَ بالرّيّ الَّذين عهدتُهمْ يُوفونَنِي حَقَّ الصديق المساهِمِ

ألِمُّوا جميعاً أوفُرادَى بقبرِه وقولوا له عَنْ أجْدَعِ الأنف رَاغمِ

كظيمٍ ومازال الأسى متحامِلاً على كلّ موتور السرائر كاظِمِ

أيا راحلاً عن قومِه غير آيبٍ ويا غائباً عن أهله غيرَ قادِمِ

لمثلك فلتبْك العيونُ بأربعٍ وما فائضاً بعد الدُّموع السَّوَاجم

وماكُنْتَ إلاّ صارماً فُلَّ حَدُّه بآخر مشحوذِ الغِرَارين صارم

فلا هزّ هنديٌّ سقَى دمَك الثَّرَى غداةَ الْوَغَا إلاّ بأوْهَنَ قائمِ

وممَّا يسلِّي الحُزْنَ أنّكَ وَارِدٌ على فرحٍ في جَنَّةِ الْخُلْدِ دَائم

---

(١) معجم الأدباء ١٤ : ٢٠١ .

ولِمْ لاَ وقدْ قَدَّمْتَ زاداً من التُّقى نَهَضْتَ به مستبشراً غيرَ نَـــادم
تجيء إذ صُحُف المظالم نُشِــرَتْ ببيضاء غفل من سمات المظالم
وكنتَ إذا الفحشاءُ نادَتْكَ مُعْرِضاً أصَمَّ غضيض الطَّرْف دون المحارم
عجبتُ لمن أنْحَى عليكَ بسيفه فأنحى على غصنٍ من البانِ ناعمِ
أما راعه ذاك الشباب وحُسْنُــه فتدركَه فى الحال رِقَّةُ راحــمِ
أبا الفتح يأبى سَلْوتى عنك إنّنى جعلت عليك الحزن ضَرْبَةِ لازم
فما قَصُرَتْ بى عن حقوقك وَنْيَةٌ ولا أخذتنى فيك لَوْمَةُ لائِـــم

[و] لمّا بلغ عزَّ الدَّولة وفاة ركن الدولة،قال : أنا ولىّ عهد عمى ركن الدولة ، وحلَف لعمران بن شاهين ، وتزوج أبو محمد عمران ابنةَ عزّ الدولة ، وحَضَر بين يدىِ الطائع، وحَلَف لعدّة الدولة أبى تغلب ، فقال ابن الحجاج من قصيدة :

أنْتَ علَّمْتَنى ٱلْمَدائِحَ حتَّى صِرْتُ فيها مجــوِّداً مَطْبوعا
أنت واصلتنى وكنـــت علــى الباب طريداً مُبعَّداً مَمْنُوعــا
أنْتَ جدَّدْتَ ثوب عزّى وقَدْ كـــان لبيساً مفتّتاً مَرْقُوعـــا
ملك عين مَنْ يعاديه لاتطعـــم غَمْضــاً ولا تذُوق هُجُوعا
أيها السَّيد الَّذى طاب فى المجْـــدِ أصولاً كريمةً وفروعـــا
إنَّ يومَ الخميس أصبح فيه عَلَمُ المجــد والعُلا مَرْفوعــا
رُفعت رايةُ الهُدى بيد النَّصـــر وخرَّ النِّفاق فيــه صريعـا
دولةٌ عزُّها وعمدتُهـــا اليـــوم أضافا إلى الجموع الجموعـا
وصلا الحبل بالتَّصافى فأضحى ظَهْر مَنْ يُظْهِر الخِلاَف قطيعا
وله راية إذا ضحِك النصــــر إليها تبكى السُّيوف نَجيعــا
فى جُيُوشٍ تُطَبِّق الأرض خَيْلاً وسيوفاً قواطعاً ودُرُوعـــا
ينصرون الإمام خَيْرَ إمــام لم يَكُنْ خالعاً ولا مَخْلُوعـــا
ورث الأمرَ عن أبيه بحــقّ لم يكنْ مُحْدَثاً ولا مَصْنُوعـــا
فُهَو مثلُ الهلال فى الأفق نُوراً وعلوًّا ورفعَةً وطُلُـــوعا
وترانى بدرتى أصفـــع الحا سد فى أخْدَعَيْه صَفْعــاً وَجيعا
لا أحابِى وحقّ من خلق الجنّـــة لا تابعاً ولا مَتْبوعـــا

ولو أنى حابيتهمْ كنتُ نَذْلاً سَاقطاً سفلةً خسيساً وضيعـــا

وفى رجب ، قُبض على أبى الفرج بن فسانجس ، وحُمِلَ إلى سُرَّ مَنْ رأى ، وتحرّك ما كان فى نفس عضد الدولة من قَصْد العراق ، فاستخلف عزّ الدولة على بغداد الشّريفَ أبا الحسن محمد بن عسر ، وخرَج معه ابنُ بقيَّة ، فزارَا مشهد الحسين عليه السلام .

وقصد ابنُ بقيَّة الكوفة وحده ، فزار واجتمع ، وانحدر إلى واسط ، وقال ابن الحجاج يودعه :

يامَنْ إليه الآمالُ تختلِـــفُ ومَنْ عليه القلوبُ تنْعطِـــفُ
ومَنْ بنو عمِّه وإخوتـــــه ملوكُ أهل الدّنيا به شَرُفـــوا
مَنِ استقلّتْ بنو بويهٍ بـــه كما استقلّت بالعاتِقِ الكَتِـفُ
مولاى صبرا فإنّ سائر مَـــا تَراه عما تُحبُّ ينْكَشِــــفُ
وكلّ ماتشتهى وتؤثـــــره يأتى كما تَشْتَهى ولا يَقِـــفُ
ومن أتانَا يَسُوقه طَمَـــــعٌ عَنْكَ بخُفَّىْ حُنَيْنٍ يَنْصــرفُ
تُثْنيه عن هَفْوةِ الشَّباب غَــدا رَأْىٌ بعيد من النَّوى نَصَـفُ
أولا فعزيه ململمـــــةٌ تستر منها السيوف والحُجُـف
وذيل يحكم الطعان لَهَـــا بأنّها فى الصُّدُور تنقصــف
وشُرْبٌ ضُمَّرٌ فَوَارِسُهَـــا لا عزلٌ فوقَهـــا ولا عُنُفُ
هذا ونفسى الأمير دونك لِلرِّمـــاة فى حَوْمَةِ الْوَغَى هَــدَفُ
فانهضْ بِهِ نَحْوهمْ إذا نَهَضُوا وازحَفْ إليهم به إذا زَحَفُـوا
وأنت أعْلَى بنى بويه يَـــداً وإنْ تَساوى القديمُ والْخَلَفُ
كنتم بنى أهل بيت مكرمـــة تُوصَف منهم بمثْلِ ماوُصِفُـوا
حتَّى تلوناكم فكان لكم الفَ ضْلُ عليهم والمجدُ والشَّرَفُ
والدُّر جِنْسٌ لكن له قِيَـــمٌ فى الفضل عند التجار يختلـف
وليس يدرِى ما فضل فاخـره الـ ـمكنون حتى يفتح الصَّدَفُ
يامن إذا أحلفَ البحارُ فنى نداهُ من كلِّ فائتٍ خَلَــف
ينتظُم المدح فيك متَّزنـــاً وفى سواك المديح يَتْزَحِـــفُ
مولاى لما بعدْتَ فاشتعلت نِيـــرَان قَلْبِى وطاربى الأسَـــفُ

جئتك أعدو والشوق يعجلنى إليك يا دافنى وأنصـــــــرف

وسأل عزُّ الدولة الطائعَ الانحدار ، فأجاب وانحدر إلى واسط فى عاشر شعبان ، ومعه ابن معروف ، ونزل فى دار الوزارة بها .

وساروا إلى الأهواز ، فوصلوها عاشرَ رمضان .

وكتب عزّ الدولة عن الطائع كتاباً يدعو إلى الصلح ، ونفذ به خادم ، فقال عضد الدولة للخادم : قل لمولانا أمير المؤمنين ، لا يمكننى الجواب ، إذا مثلتُ بحضرتك ولم يجب علىّ الكتاب .

ولما أشْرَفت الحالُ على الحرب ، أصعد الطائع إلى بغداد ، وكانت الحرب بناحية يقال لها مَشَانُ[1] من أعمال البَاسِيان ، فى نصْف تَمّوز ، وهو يوم الأحد مستهلَّ ذى القعدة ، وكان دبيس بن عفيف الأسدىّ على مَيْسَرة عزّ الدولة ، فاستأمن وعَطَف على النَّهب ، فنُهِب ، فانهزم عزُّ الدولة ، وقتل من أصحابه خلق ، وغرِق آخرون على جِسْرٍ عقده بُدَجيل[2] .

وكان حِمدان فى جملة المنهزمين ، وتفرّقت المذاهب بالمنهزمين ، فالتقوْا بمطارى .

واجتمع عزّ الدولة وبه جراح بأخيه عمدة الدولة ، وابن بقية بها على أسوأ حال .

وأنفذ عمران بابنه الحسن وكاتبه وقوّاده ، فى عِدة سفن إلى عزّ الدولة ، وأنفذ إليه وإلى ابن بقية بمالٍ وثياب ، وأنفذ المرزبان بن بختيار إلى أبيه بمثل ذلك من البصرة .

وانحدروا إلى البصرة ، وهى مُفْتَتِنة ، فاراد ابنُ بقية أن يصلحها ، فازدادت فساداً واحترقت الأسواق ، ونُهبت الأموال .

وورد أبوبكر محمد بن على بن شاهويه صاحب القرامطة الكوفةَ فى ألف رجل منهم ، وأقام الدعوة بها وبسُورا[3] ، وبالْجَامِعَيْن[4] والنِّيل[5] ، لعضُد الدولة .

---

(١) المشان : بلدة قريبة من البصرة . ياقوت .

(٢) دجيل : اسم نهر فى موضعين أحدهما مخرجه من أعلى بغداد والآخر بالأهواز . ياقوت .

(٣) سورا : موضع بالعراق من أرض بابل . ياقوت .

(٤) الجامعين ، بلفظ المثنى المجرور : حلة بنى مزيد التى بأرض بابل بين بغداد والكوفة . ياقوت .

(٥) النيل : بليدة فى سواد الكوفة قرب حلة بنى مزيد . ياقوت .

وأشفق بختيار أن يَسِير عضُد الدولة إلى واسط ، فيملكها ، فتفوته النّجاة ، فاحترق البطائح ، فتلقاه عِمران فى عَسكره ، وأقام ابن بقية عنده ثلاثة أيام .

وكان عمران قد قال لعزّ الدولة ، لمَّا قصد حربَه : سترى أنّك تحتاج إلىّ ، وأعاملك من الجميل بخلاف ماعاملنى به أبوك من القُبْح ، فعجب النَّاس من هذا الاتّفاق .

واستدعى البصريون من عَضد الدولة ، مَنْ يتسلّم بدلَهم ، فأنفذ أبا الوفا طاهر بن محمد فدخَلها .

وأقام بختيار بواسط ، وتراجَع إليه أصحابُه وجنده .

ورجع ابنُ بقية إلى ذخيرة له بها ، واستمال الجندَ ، فرغبُوا فيه وآثروه على صاحبه .

وقال بعض البصريين فى بختيار :

أقام على الأهواز خمسين ليلةً يدبّر أمرَ المُلك حتى تَدَمَّرا
يدبّر أمراً كانَ أوَّلُه عمًى وأوسطه بَلْوى وآخرُه خُسرَا

ومن أعجب ما اتُّفق عليه ، أنه أُسر له غلام اسمه باتكين ، ولم يكن[1] يميل إليه ، فجُنَّ عليه ، وتَسَلَّى عن مُلْكهِ إلا عنه ، وانقطع إلى البكاء ، وامتنع من الغِذاء ، واحتجب عن الناس فخفّ ميزانهُ ، واستهان به ابنُ بقية ، وأنفذ بالشريف أبى أحمد الموسوىّ ، والحرب قائمة ، يسأل عَضُدَ الدولة فى رد الغلام ، وبَذَل فى فدائه جَارِيتَيْن ، [كان] بذل أبو تغلب بن حمدان فى إحداهما مائة ألف درهم ، وقال لأبى أحمد : إنْ لم يرض عَضُدُ الدولة بهما ، فاعطه هذا العِقْد — وكان فاخراً نادراً . وأضمنُ له ما أراد .

ولما مضى أبو أحمد إلى عضد الدولة ، وأدّى الرسالة ، أمر بردّ الغلام ، وكان قد حُمِل فى عِدّة غلمان إلى أبى الفوارس بن عضد الدولة ، فأعيد إلى عضد الدولة ، ولم يكن بين الغلام وبين غيرِه من الأسرى فَرْق ، فأمسكه عنده ، وقال لأبى أحمد : لا أنفذه حتى تمضى إليه برسائل ، وتقرّر معه القبضَ على ابن بقية ، وأضاف إليه أبا سعد بهرام بن أردشير الكاتب .

فلمّا وصلا إلى بختيار ، وخلوا به ، أوحش ذلك ابنَ بقية .

---

(١) كذا فى الأصل وفى الكامل ٧ : ٨١ : « يميل إليه » وهو الصواب .

وكان بختيار ينزل فى الجانب الغربى ، وعولّ ابنُ بقية على طرد بختيار ، وأن ينفرد هو بالحرب ، فعدَل بختيار إلى تسكينه وتلافيه .

فلما كان فى ذى الحجة ، أشار إبراهيم بن إسماعيل – وكان بختيار قد استحجبه بعد أن كان نقيباً – بالقبض عليه إذا عبر إليه ، ففعل ذلك ، وانفذ أمواله وخزائنه ووجد له ستّة آلاف رطلٍ ثلجاً ، كان أعدّها لسماط عزم على اتخاذه للجند ، وطلب عز الدولة منه شيئاً قبل القبض عليه ، فأنفذ إليه ثلاثين رطلاً .

فكانت وزارة ابنُ بقية أربع سنين وأحد عشر يوماً .

واستخلص عزُّ الدولة أبا العلاء صاعد بن ثابت النصرانىّ ، من مجلس ابن بقية ، وكتب إلى بغداد على الأطيار بالقبض على أهله ، فوقعت الكتب فى أيديهم ، فهربوا إلى بنى عقيل بالْبَادِية .

وقُبِض على ابن بقية بمشهد ابن بهرام بن أرد شير ، وأعاد معه الشريف أبا أحمد ، وجرتْ أقاصيص حتَّى عاد إليه باتكين .

وقال ابنُ الحجاج يمدَحُ أبا سعد بن بهرام :

أبا سعدقد انكشف الغِطــاء ... وأمكَنَنَا الحضورُ كما نَشَــاء

وزالتَ رقْبــة الواشين حتَّى ... شفى من لَوْعه الشّوق اللقــاءُ

بنفسى أنتَ من قمرٍ منيــرٍ ... له فى كلٍّ ناحيةٍ ضِيَــاء

هزمتَ القوم أمسِ بغيرِ حربٍ ... فأمست فى خفارتك الدِّمَــاءُ

وكان القوم فى داءٍ ولكــن ... لطفت فصادَف الدّاءَ الدَّوَاءُ

بقولٍ ماخلطت بــه نفاقــاً ... ورأىٍ لم يَكُنْ فيــه رِيَــاءُ

فأضحوْا والرِّجال لكمْ عبيــدٌ ... وأمسوا والنّساءُ[1] لكمْ إماءِ

ولما حصل باتكين بالبصرة ، تواترت البشائر إلى بَخْتيار ، وأظهر من السرور ما لم يعهد ، وضمِن أنه إذا ردّ الغلام ، عاد إلى بغداد ، وأظهر الطاعة .

وأمر عَضُد الدولة أبا أحمد ، ألّايسلّم الغلام ، حتى يصعد بختيار إلى بغداد .

وكان قد ورد عليه عبدُ الرازق وبدر ابنا حسنويه ، فى ألف فارس لنُصْرته ،

---

(١) فى الأصل : « والرجال » .

فلمَّا رأيا أفعالَه ، كاتبا أباهما بالصورة ، وعرّفاه ضعفَ رأيه ، واختلالَ تدبيره ، وأصعدا ، وفارقه عبدالرازق بجرجرايا ، واستحيا بدرٌ من مفارقته .

وعادت الرِّسالة إليه بسمْل ابن بقية ، ففغل وسُمِل بعده صاحبُه ابن الراعى ، وأُخِذَتْ عليه الأيمان بطاعةَ عَضُد الدولة ، وإثبات اسمه على راياتِه ، وإقامة الخطبة له فى كلِّ بلدٍ دخله .

فانصرف عنه بَدْر بن حسنويه حينئذ .

وكان فى جملة ماشرط عليه عضد الدولة ، أن يرحل عن بغداد إلى الشام ، وألاَّ يؤذى أبا تغلب .

وأتى عضد الدولة الأهواز ، فرتَّب أمورها ، وسار منها إلى البصرة ، وقد انصرف عنها المرزبان بن بختيار ، فوجَدها مُفْتَتِنة ، فأصلحها وضمن أكابرُ أهلِها أصاغرَهم .

سنة سبع وستين وثلثمائة

فى صفر ورد الخبرُ إلى الكوفة بوفاة أبى يعقوب يوسف بن الحسن الجنابىّ صاحب هَجَر ، فأغلقوا أسواقهمْ ثلاثة أيام ، إجلالاً لمصيبته ، ومولده سنة ثمانين ومائتين ، وعقدوا الأمر لستّة نفرٍ من أهل بيته ، أُشرِكوا فى الأمر ، وسُمُّوا السادة .

وصار أبو الحسن محمد بن يحيى العلوىّ إلى عَضُد الدولة ، وسار فى مقدِّمته إلى بغداد .

وسار عز الدولة عنها لليلتين بقَيتا من شهر ربيع الآخر ، وتفرّق ديلمهُ عنه ، ففرقةٌ انحازوا إلى الحسن بن فيلسار ، وسار بها إلى جسر النهروان ، وأنَفذ عَضُد الدولة بمَن أتاه به أسيراً ، وبه عدّةُ ضربات .

وفِرْقةٌ صاروا إلى عضد الدولة ، وفِرْقةٌ ثبتوا معه .

فقال ابن الحجاج فى خروجه :

فديتُ قوماً ساروا ولكنْ ساروا على صورة خسيسهْ
نُودِىَ عليهم كما يُنَادى بسوقِ يَحْيَى على الْهَرِيسهْ
كأنهمْ من يهود هطرى قد طَرَدُوهم من الكنيسَهْ

آخر الجزء الأول ، ويتلوه فى الثانى مملكة عضد الدولة أبى شجاع . والحمد لله حق حمده وصلواته على سيدنا محمد النبى وآله الطاهرين وسلم تسليماً .

فهرس الموضوعات

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

١ - فهرس الأس...

(غ)

(ف)

(ن)

٢ – فهرس القبائل والجماعات

٣ - فهرس البلاد والأمكنة والأنهار

٤ – فهرس الأشعار

* * *



المنتخب من كتاب ذيل المذيل

من تاريخ الصحابة والتابعين

تصنيف

محمد بن جرير الطبري



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال أبو جعفر محمد بن يزيد الطبرى فى كتاب ذَيل المُذَيل من تأريخ الصحابة والتابعين

من النساء اللواتى متن قبل الهجرة

وأما من النساء اللواتى متن قبل هجرةْ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فزوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خُوَيلد بن أسد بن عبد العزّى بن قصى ، وكانت تكَنَّى أم هند رضى الله عنها ، وهند ابنٌ لها من أبى هالة بن النبَّاش بن زُرارة (زوج ، كان لها قبل النبى صلى الله عليه وسلم كُنِيَتْ به) ، وتُوفِّيت قبل الهجرة بثلاث سنين ، وهى يومئذ ابنة خمس وستين سنة ، كذاك حدثنى الحارث عن ابن سعد عن محمد بن عمر عن محمد بن صالح وعبد الرحمن بن عبد العزيز[١] .

وكانت وفاتُها فى شهر رمضان من هذه السنة ، ودُفنتْ بالحَجُون[٢] رحمها الله .

---

(١) انظر طبقات ابن سعد فى أخبار خديجة ١ : ١٣١ – ١٣٣ ، ٨ : ٥٢ .

(٢) الحجون : جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها . ياقوت .

وممن مات فى سنة ثمان من الهجرة

قال : وممن مات فى سنة ثمان من الهجرة فى أولها زَينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وكانت أسنّ بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان سببُ وفاتها أنها لما أُخرِجَتْ من مكة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أدركها هبَّار بن الأسود ، ورجل آخر ، فدفعها أحدُهما فيما قيل فسقطت على صخرة فأسقطتْ ، فأهراقت الدّمَ فلم يزل بها وجعُها حتى ماتت منه .

قال : وممن قُتِل منهم جعفر بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، قُتِل بمُؤتَة شهيداً .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلَمة وأبو تُمَيلة ، عن ابن إسحاق عن يحيى ابن عباد عن أبيه ، قال : حدّثنى أبى الذى أرضعنى ، وكان أحد بنى مُرّةَ بن عوف ، وكان فى تلك الغزوة غزوة مؤتة قال : والله لكأنّى أنظر إلى جعفر عليه السلام حين اقتحم عن فرس له شَقراء فعقرها[1] ، فقاتل القومَ حتى قُتِل ، وكان جعفر عليه السلام أوّلَ رجل من المسلمين - فيما قيل - عقَر فى الإسلام .

قال محمد بن عمر : حدثنى عبد الله بن محمد بن عمر بن علىّ عن أبيه ، قال : ضربه - يعنى جعفراً - رجل من الروم فقطعه بنصفين ، فوقع أحد نصفيه فى كَرْم فوُجِد فى نصفه ثلاثون أو بضعة وثلاثون جرحاً .

وكان إسلام جعفر عليه السلام قبل أن يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دارَ الأرقم ، ويدعوَ فيها ، وهاجر إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية ومعه امرأته أسماء بنت عُمَيْس ؛ فلم يزلْ بأرض الحبشة حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ثم قدم عليه من أرض الحبشة وهو بخيبر سنة سبع وقتل سنة ثمان من

---

(١) عقر الفرس والبعير عقراً ، قطع قوائمه . وفى ابن هشام ٣ : ٤٣٣ : اقتحم عن فرس له شقراء ، فعقرها ثم قاتل القوم حتى قتل . وفى حواشى السهيلى ١ : ٢٥٨ : « وأما عقر جعفر فرسه ، ولم يعب ذلك عليه أحد ، فدلّ على جواز ذلك إذا خيف أن يأخذها العدوّ فيقاتل عليها المسلمين ؛ فلم يدخل هذا فى باب النهى عن تعذيب البهائم وقتلها عبثاً : ثم نقل عن أبى داود أن هذا الحديث ليس بالقوىّ .

الهجرة فى جمادى الأولى منها ، وهو أحدُ أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم على السّرية التى وجهها إلى الروم ، وكان جعفر يكنى أبا عبد الله .

وزيد الحِبّ بن حارثة بن شَرَاحيل بن عبد العزّى بن امرئ القيس بن عامر ابن النعمان بن عامر بن عبد وُدّ بن عوف بن كنانة بن عوف بن عُذْرة بن زيد اللاّت ابن رُفَيْدة بن ثَوْر بن كلب بن وَبَرَة بن تَغلِب بن حُلْوان بن عمران بن الحافِ ابن قُضاعة — واسمه عمرو — بن مالك بن عمرو بن مُرّة بن مالك بن حِمْيَر بن سبأ ابن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان .

ذُكرَ أنّ أم زيد — وهى سُعْدَى بنت ثعلبة بن عبد عامر بن أفلت بن سِلسِلة من بنى معن — من طيئ — زارت قومها وزيد معها ، فأغارت خيلٌ لبنى القَيْن بن جَسْر فى الجاهلية ، فمرّوا على أبيات بنى مَعْن رهط أم زيد فاحتملُوا زيداً ، وهو يومئذ غلامٌ يَفَعَة[١] قد أوْصَفَ[٢]، فَوافَوْا به سوقَ عُكاظ ، فعرضوه للبيع ، فاشتراه منهم حَكيم بن حِزَام بن خويلد بن أسد بن عبد العزّى بن قصىّ لعمّته خديجة بنت خويلد بأربعمائة درهم ، فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهَبَته له ، فقبضه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه ، وقد كان أبوه حارثة بن شراحيل حين فقده ، قال :

بكيتُ على زيدٍ ولم أدر ما فعلْ ... أحىٌّ يُرجَّى أمْ أَتَى دُونه الأجلْ
فوالله ما أدرى وإن كنت سائلا ... أغالكَ سهْلُ الأرض أم غالك الجبَلْ
فياليتَ شعرى هل لك الدهرَ رَجْعَةٌ ... فحسبى من الدنيا رجوعُك لى بَجلْ
تُذَكِّرُنيه الشمسُ عند طلوعها ... وتَعْرِضُ ذكراهُ إذا قاربَ الطَّفَلْ
وإن هبّتِ الأرواحُ هَيّجْنَ ذكرَه ... فياطُولَ ماحُزْنى عليه وما وجَلْ
سأُعملُ نَصّ العِيسِ فى الأرض جاهداً ... ولا أسأمُ التطْوافَ أو تَسأمَ الإبلْ
حيــاتِىَ أو تأتى علىّ مَنيّــتى ... وكلُّ امرئ فانٍ وإنْ غرّهُ الأملْ
وأُوصى به عمرًا وقيْسًا كِلَيهمـا ... وأوصى يزيداً ثم من بعدهم جَبَلْ

قال : يريد جبلة بن حارثة أخا زيد بن حارثة ، وكان أكبر من زيد ، ويعنى بيزيد أخا زيد لأمّه ، وهو يزيد بن كعب بن شراحيل .

(١) غلام يافع ويفعة : شاب .
(٢) أوصف الغلام : تمّ قده .

وحجّ ناسٌ من كلب فرأوا زيداً فعرفهم وعرفوه فقال : أبلغوا أهلى هذه الأبيات ، فإنى أعلم أنهم قد جزعوا علىّ ، وقال :

ألكْنى إلى قَوْمى وإن كنتُ نائيـــاً بأنّى قَطينُ البيت عنــــد المشاعِرِ

فكفُّوا من الوَجــــدِ الذى قــد شجاكُمُ ولا تُعْمِلوا فى الأرض نصّ الأباعر

فإنى بحمــــد الله فى خــيرِ أسْرَةٍ كرامِ مَعَــدٍّ كابرًا بعــد كابرِ

فانطلق الكلبيّون ، فأعلموا أباه ، فقال : ابنى وربِّ الكعبة ، ووصفوا له موضعه وعند مَن هو ، فخرج حارثة وكعب ابنا شراحيل بفدائه ، وقَدِما مكة فسألا عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فقيل : هو فى المسجد ، فدخلا عليه ، فقالا : يابن عبد الله يابن عبد المطلب يابن هاشم ، يابن سيد قومه : أنتم أهل حرم الله وجيرانه وعند بيته تفكّــــون العانى ، وتطعمون الأسير ؛ جئناك فى ابننا عندك ، فامْنُنْ علينا ، وأحسنْ إلينا فى فدائه فإنا سنرفع لك فى الفداء .

قال : من هو ؟ قالوا زيد بن حارثة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فهلاّ غير ذلك ؟ قالوا : ما هو ؟ قال : ادعوه فأُخيِّره ، فإن اختاكم فهو لكما بغير فداء وإن اختارنى فوالله ما أنا بالذى أختارُ علىَ مَنْ اختارنى أَحداً ، فقالا : قد زدتنا على النَّصَف وأحسنت ، فدعاه فقال : تعرف هؤلاء ؟ قال : نعم قال : من هما ؟ قال : هذا أبى ، وهذا عمى ، قال : فأنا مَنْ قد علمتَ وعرفتَ ، ورأيت صحبته لك فاخترنى أو اخترْهما ، فقال زيدٌ : ما أنا بالذى أختارُ عليك أحداً . أنت منى مكان الأب والعمّ ، فقالا له : ويحك يا زيد ! أتختارُ العبوديةَ على الحرية ، وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك ! قال : نعم ، إنىّ قد رأيت من هذا الرجل شيئاً ما أنا بالذى أختارُ عليه أحداً أبــداً ، فلمّا رأى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه إلى الحِجْر فقال : يا من حضر ، اشهدوا أنّ زيداً ابنى ، أرثه ويرثنى ، فلمّا رأى ذلك أبوه وعمّه طابت أنفسهما وانصرفا ، فدُعى زيد بن محمد حتى جاء الله عز وجل بالإسلام ، حدثنى بذلك كله الحارث عن ابن سعد عن هشام بن محمد عن أبيه وعن جميل ابن مرثد الطائى وغيرهما[١] .

وقد ذكر بعض الحديث عن أبيه عن أبى صالح عن ابن عباس وقال فى إسناده،

---

(١) الخبر فى طبقات ابن سعد ٣ : ٤٠ – ٤٢ .

فزوّجه رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش بن رئاب الأسدية وأمها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم ، فطلقها زيد بعد ذلك فتزوّجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتكلّمّ المنافقون فى ذلك ، وطعنوا فيه ، وقالوا : محمد يُحرِّمُ نساء الولد ؛ وقد تزوّج امرأة ابنه زيد ! فأنزل الله عز وجل : (ما كانَ محمدٌ أبا أحدٍ منْ رجالكمْ ولكنْ رسولَ اللهِ وخاتم النبيين)[١] إلى آخر الآية . وقال : (ادْعُوهُم لآبائهم) [٢]. فدُعى يومئذ زيد بن حارثة ، ودُعى الأدعياءُ إلى آبائهم ، فدُعى المقدادُ إلى عمرو — وكأن يقال له المقداد بن الأسود .

وكان الأسود بن عبد يغوث قد تبنّاه[٣]

وقُتِل زيد فى جمادى الأولى من هذه السنة وهو ابن خمس وخمسين سنة ، وكان يكنى أبا سلمة فيما قيل ، فقال محمد بن عمر : حدثنا محمد بن الحسن ابن أسامة بن زيد ، عن أبيه قال : كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين زيد عشر سنين ، رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبرُ منه ، وكان زيد رجلا قصيراً آدمَ شديد الأُدْمة[٤] فى أنفه فَطَس ؛ وكان يكنى أبا أسامة ، وشهد زيد بدراً وأُحُداً . واستخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة حين خرج إلى المُرَيْسِيع[٥] ، وشهد الخندق والحديبية وخيبَر ، وكان من الرُّماة المذكورين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : وثابت بن الجذْع من بنى سَلِمة من الأنصار، وهوثابت بن ثعلبة بن زيد ابن الحارث بن حرَام بن كعب ، والجذع ثعلبة بن زيد وسُمِّىَ بذلك فيما قيل لِشدّة قلبه وصَرَامته . ويقال أيضاً ثابت بن ثعلبة الجَذَع وشهد ثابت العقبة مع السبعين الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة من الأنصار وشهد بدراً وأُحُداً والخندق والحديبية وخيبر وفتح مكة ويوم حُنين والطائف وقتل يومئذ شهيداً .

---

(١) سورة الأحزاب ٤٠ .

(٢) سورة الأحزاب ٥ .

(٣) طبقات ابن سعد ٣ : ٤٢ ، ٤٣ .

(٤) الأدمة فى الإنسان السمرة .

(٥) المريسيع : ماء فى ناحية قديد إلى الساحل ، سار إليه النبىّ صلى الله عليه وسلم فى سنة خمس — وقبل سنة ست — لغزو بنى المصطلق .

قال : وفى سنة تسع من الهجرة

ماتت أمُّ كلثوم ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شعبان ، فصلّى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونزل فى حفرتها – فيما قيل – علىّ بن أبى طالب عليه السلام والفضل بن العباس وأسامة بن زيد ، وهى التى روُى عن أمّ عطية أنها قالت : غسلتُ إحدى بنات النبى صلى الله عليه وسلم .

وروى عن أنس بن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لما وُضعت فى قبرها : لا ينزل فى قبرها أحدٌ قارفَ أهله الليلة ، وقال : أفيكم أحد لم يقارف أهله الليلة ؟ فقال أبو طلحة : أنا يا رسول الله ، فقال : انزل ، فنزل .

قال : وفى سنة إحدى هشر من الهجرة

تُوفيت فاطمة ابنة محمد صلى الله عليه وسلم ، لثلاث ليالٍ خلَوْن من شهر رمضان ، وهى ابنة تسع وعشرين سنة أو نحوها . وقد اختُلف فى وقت وفاتها فرُوِىَ عن أبى جعفر محمد بن علىّ عليه السلام ، أنه قال : توفِّيَتْ فاطمة عليها السلام بعد النبى صلى الله عليه وسلم بثلاثة أشهر .

وأما عبد الله بن الحارث فإنه فيما رَوى يزيد بن أبى زياد عنه ، قال : تُوفِّيت فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد رسول الله بثمانية أشهر .

وقال محمد بن عمر : حدثنا معمر عن الزهرىّ عن عروة عن عائشة ، قال : وحدثنا ابن جُريج عن الزهرىّ عن عروة ، أن فاطمة عليها السلام تُوُفِّيَتْ بعد النبى صلى الله عليه وسلم بستة أشهر .

قال ابن عمر : وهو الثَّبتُ عندنا .

قال : توفيت ليلة الثلاثاء لثلاث خلوْن من شهر رمضان سنة إحدى عشر .

وذكر عن جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال : كانت كنية فاطمة عليها السلام أمّ أبيها .

قال : وأبو العاص بن الربيع ابن عبد العُزّى بن عبد شمس بن عبد مناف ابن قصيّ واسمه مقسم وأمّه هالة ابنة خويلد بن أسد بن عبد العزّى بن قصيّ ، وخالته خديجة ابنة خويلد زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم زوّجه ابنته زينب ابنة رسول الله قبل الإسلام ، فولدتْ له عليًّا وأمامة ، فتوفّيَ عليّ وهو صغير وبقيت أمامة فتزوجها عليّ بن أبي طالب عليه السلام بعد وفاة فاطمة ابنة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان أبو العاص بن الربيع فيمن شهد بدراً مع المشركين فأسَرَه عبد الله بن جبير ابن النعمان الأنصارى ، فلما بعث أهلُ مكة فى فداء أساراهم قَدِم فى فداء أبى العاص أخوه عمرو بن ربيع .

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سَلَمَة عن محمد ، قال : حدثنى يحيى ابن عبّاد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد ، عن عائشة ، قالت : لمّا بعث أهلُ مكة فى فداء أساراهم ، بعثت زينبُ بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فداء أبى العاص بمال ، وبعثت فيه بقلادَةٍ كانت خديجة أدخلتها بها على أبى العاص حين بنى عليها . قالت : فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم رقّ لها رقةً شديدة وقال إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتَرُدّوا عليها الذى لها فافعلوا ، فقالوا : نعم يا رسول الله ، فأطلقوه وردّوا عليها الذى لها .

ولم يزل أبو العاص معها على شركه حتى إذا كان قُبَيْلَ الفتح ، فتح مكّة خرج بتجارة إلى الشأم وبأموال من أموال قريش أبضعوها معه ؛ فلما فرغ من تجارته وأقبل قافلا لقيتْه سريّة لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وقيل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان هو الذى وجّه السريةّ للعِير التى كان فيها أبو العاص قافلة من الشأم ، وكانوا سبعين ومائة راكب ، أميرهم زيد بن حارثة ، وذلك فى جمادى الأولى من سنة ست من الهجرة ، فأخذوا فى تلك العير من الأثقال ، وأسروا أناساً ممن كان فى العير ، فأعجزهم أبو العاص هَرَباً ، فلما قدِمَت السريةُ بما

أصابوا أقبل أبو العاص من الليل ؛ حتى دخل على زينب ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستجار بها فأجارته فى طلب ماله ، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صلاة الصبح ، وكبّر وكبّر الناسُ معه ، فحدثنا ابن حميد قال : حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثنى يزيد بن رُومان ، قال : صرختْ زينب : أيها الناس ، إنى قد أجرتُ أبا العاص بن الربيع ، فلما سلّم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة ، أقبل على الناس ، فقال : يأيها الناس ؛ هل سمعتم ما سمعتُ ؟ قالوا ، نعم ، قال : أمَا والذى نفسُ محمد بيده ما علمتُ بشىء كان حتى سمعتُ منه ما سمعتم ؛ إنه يُجير على المسلمين أدناهم . ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل على ابنته زينب ، فقال : أى بُنيَّة ، أكرمى مثواه ولا يخلُصَنّ إليك فإنك لا تَحِلّين له .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى السريّة الذين أصابوا مال أبى العاص فقال لهم : إن هذا الرجل منّا حيث قد علمتم ، وقد أصبتم له مالا ، فإن تُحسنوا تردّوا عليه الذى له ؛ فإنا نحبُّ ذلك ، وإن أبيتم ذلك فهو فىءُ الله الذى أفاءه إليكم ، وأنتم أحقّ به ، قالوا : يا رسول الله بل نردّه عليه ، قال : فردّوا عليه ماله ؛ حتى إنّ الرجل ليأتى بالحبل ، ويأتى الرجل بالشّنة والإداوة ؛ حتى إن أحدهم ليأتى بالشِّظاظِ[1] حتى ردّوا عليه ماله بأسره ، لا يفقد منه شيئاً . ثم احتمل إلى مكة فأدّى إلى كلّ ذى مال من قريش مالَه ممنّ كان أبضع معه ، ثم قال : يا معشر قريش ، هل بقِى لأحدٍ منكم عندى مال لم يأخذه ؟ قالوا : لا ، جزاك الله خيراً ، فقد وجدناك وفيًّا كريما ، قال : فإنى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وما منعنى من الإسلام عنده إلا تخوُّف أن تظنوا أنى إنما أردت أكْلَ أموالكم ، فلما أداها الله عز وجلّ إليكم وفرغت منها أسلمت — ثم خرج حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : فحدثنى داود بن الحصين ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، عن ابن عباس قال : رَدّ رسول الله صلى الله عليه وسلم زينبَ بالنكاح الأوّل لم يحدثْ

---

(١) الشّظاظ : ككتاب : خشبة توضع فى عروتى الجواليق

شيئاً بعد ستّ سنين . ثم إنّ أبا العاص رجع إلى مكة بعد ما أسلَم ، فلم يشهد مع النبيّ صلى الله عليه وسلم مشهداً ، ثم قدم المدينة بعد ذلك ، وتُوُفِّيَ فى ذى الحجة سنة اثنتى عشرة فى خلافة أبى بكر وأوصى إلى الزبير بن العوّام .

قال : وذكر هشام بن محمد أنّ معروف بن خَرَّبوذ المكىّ حدّثه قال : خرج أبوالعاص بن الربيع فى بعض أسفاره إلى الشام ، فذكر امرأته زينب ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنشأ يقول :

ذكرتُ زينبَ لمّـــا وركَتْ إرَمَا ... فقلتُ سقياً لشخصٍ يسكن الحرَما[1]

بنتُ الأمين جزاها الله صالحـــةً ... وكلُّ بَعْلٍ سَيُثْنى بالذّى علِمـــا

قال : وعِكْرِمة بن أبي جهل – واسم أبى جهل عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم – ذكر محمد بن عمر أن أبا بكر بن عبد الله بن أبى سبرة حدثه عن موسى بن عُقْبة ، عن أبى حبيبة مولى الزبير عن عبد الله بن الزبير ، قال : لما كان يوم فتح مكة هرب عِكْرِمة بن أبى جهل إلى اليمن ، وخاف أن يقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت امرأته أمّ حكيم ابنة الحارث بن هشام امرأة لها عقل ، وكانت قد اتّبعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : ابن عمى عِكْرِمة قد هرب منك إلى اليمن ، وخاف أن تقتله ، فآمِنْه . قال : قد آمنتُه بأمان الله ، فمن لقيه فلا يعرضْ له ، فخرجتْ فى طلبه ، فأدركته فى ساحل من سواحل تِهامة ، وقد ركب البحر ، فجعلتْ تُليح إليه وتقول : يابن عمّ ، جئتك من أوصل الناس ، وأبر الناس ، وخير الناس لا تهلِكْ نفسك ، وقد استأمنتُ لك منه فآمَنك . فقال : أنت فعلتِ ذلك ؟ قالت : نعم ، أنا كلّمتُه فآمنك ، فرجع معها ، فلما دنا من مكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : يأتيكم عكرمة بن أبى جهل مؤمناً مهاجراً ؛ فلا تسبُّوا أباه ؛ فإن سبّ الميت يؤذى الحىّ ، ولا يبلُغ الميّت . قال : فقدم عِكْرِمة ، فانتهى إلى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجتُه معه ، فسبقته فاستأذنَتْ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخلت فأخبر عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدو

---

(١) الخبر والشعر فى طبقات ابن سعد ٨ : ٣١ .

عِكْرمة فاستبشر ، ووثب قائماً على رجليه ، وما على رسول الله صلى الله عليه وسلم رداءٌ ، فرحاً بعكرمة ، وقال : أدخليه ، فدخل فقال : يا محمد ؛ إنّ هذه أخبرَتنى أنك آمنتنى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأنت آمن ، قال عكرمة : فقلت أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنك عبد الله ورسوله ، وقلتُ : أنت أبرُّ الناس ، وأصدق الناس ، وأوفى الناس ، أقول ذلك وإنى لمطأطئٌ رأسى استحياءً منه . ثم قلت : يارسول الله استغفر لى كل عداوة عاديتُكها ، أومركب أو ضعتُ فيه ، أريد إظهار الشِّرك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهمّ اغفر لعكرمة كلّ عداوة عادانيها ، أو مركب أوضع فيه ، يريد أن يصدّ عن سبيلك ، قلت : يارسولَ الله ، مُرنى بخير ما تعلم ، فأعلمه قال : قل أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وجاهِدْ فى سبيله . ثمّ قال عكرمة : أما والله يا رسول الله ، لا أدع نفقةً كنتُ أنفقها فى صدٍّ عن سبيل الله إلا أنفقت ضعفَها فى سبيل الله عز وجل . ثم اجتهد فى القتال حتى قُتِل شهيداً يوم أجنادَيْن فى خلافة أبى بكر ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمله عام حَجِّه على هَوازن يصدّقها ، فتُوُفِّىَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعِكْرِمة يومئذ بتَبالة[1] .

قال : وممن هلك سنة أربع عشرة من الهجرة

نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ؛ وكان يكنى أبا الحارث بابنه الحارث ، وكان نوفل – فيما قيل – أسنَّ مَن أسلم من بنى هاشم ، وكان أسنّ مِنْ عَميْه حمزة والعباس وأسنّ من إخوته : ربيعة وأبى سفيان وعبد شمس بنى الحارث ، وأسر نوفل بن الحارث ببدر .

قال ابن سعد : أخبرنا علىّ بن عيسى النوفلى عن أبيه ، عن عمه إسحاق بن عبد الله بن الحارث ، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل ، قال : لما أُسِر نوفل ابن الحارث ببدر ، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : افْدِ نفسك يانَوْفل ، قال : مالى شىء أفدى به يارسول الله ، قال : افدِ نفسك برماحك التى بجُدّة ،

(١) تبالة : موضع ببلاد اليمن .

قال : أشهد أنك رسول الله ، وفدى نفسه بها ، وكانت ألف رمح ، وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين نوفل والعباس بن عبد المطلب ، وكانا قبل ذلك شريكَيْن فى الجاهلية متفاوضين فى المال متحابَّيْن ، وشهد نوفل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فَتْح مكة وحُنيناً والطائف ، وثبت يوم حُنين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأعان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة حُنين بثلاثة آلاف رمح ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : كأنى أنظر إلى رماحك يا أبا الحارث تقصف أصلاب المشركين .

وتوفِّىَ نَوْفل بن الحارث بعد أن استخلف عمرُ بن الخطاب بسنة وثلاثة أشهر فصلّى عليه عمر ، ثم مشى معه إلى البَقيع ؛ حتى دُفن هناك .

وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم ، كان أخَا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرّضاعة أرضعتْه حليمة أياماً وكان يألفُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عاداه وهجاه وهجا أصحابه ، فمكث عشرين سنة مناصباً لرسول الله ، لا يتخلّف عن موضع تسير فيه قريش لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ذُكِر شخوصُ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة عام الفتح ألقى الله عزّ وجل فى قلبه الإسلام ، فتلقّى رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقّيَه قبل نزوله الأبواء ، فأسلم هو وابنه جعفر ، وخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشهد فتح مكّة وحنيناً .

قال أبو سفيان : فلما لقينا العدوّ بحُنين اقتحمتُ عن فرسى وبيدى السيف صَلْتًا[1] ، والله يعلم أنى أريد الموت دونه ، وهو ينظر إلىّ فقال العباس : يا رسولَ الله ، هذا أخوك وابن عمك أبو سفيان بن الحارث ، فارْضَ عنه ، قال : قد فعلت ، فغفر الله عز وجل له عداوة عادانيها ، ثم التفت إلىّ فقال : أخى لعمرى ! فقبّلت رجلَه فى الركاب .

قالوا : ومات أبو سفيان بن الحارث بالمدينة بعد أخيه نَوْفل بن الحارث بأربعة أشهر إلا ثلاث عشرة ليلة ، ويقال : بل مات سنة عشرين وصلىّ عليه

---

(١) يقال : سيف صلت ومنصلت : منجرد ماض فى الضريبة ، وبعضهم يقول : لا يقال : الصلت الا لما كان فيه طول .

عمر بن الخطاب ، ودُفن فى ركن دار عَقِيل بن أبى طالب بالبَقِيع ، وكان هو الذى حفر قبر نفسه قبل أن يموت بثلاثة أيام .

قال : وممن قُتِل فى سنة ست عشرة

سعد بن عبيد بن النعمان بن قيس بن عمرو بن زيد بن أمية بن زيد ، وهو الذى يقال له : سعد القارئ ، ويكنى أبا زيد ، وهو أحد الستة الذين رُوى عن أنس بن مالك أنهم جمعوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، شهد بدراً وأُحُداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقُتِل يَوْمَ القادسية شهيداً سنة ست عشرة ، وهو ابن أربع وستين سنة .

وفيها كانت وفاة مارية أم إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلَّى عليها عمر بن الخطاب ، وقبرُها بالبقيع .

ذكر من قتل أو مات منهم فى سنة ثلاث وعشرين من الهجرة

قال : منهم عمر بن الخطاب بن نُفيل بن عبد العزّى بن رياح بن عبد الله ابن قُرْط بن رَزَاح بن عدىّ بن كعب ، وكان يكنى أبا حفص .

قال ابن سعد : أخبرنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن صالح ابن كيسان ، قال : قال ابن شهاب : بلغنا أن أهل الكتاب كانوا أوّل من قال لعمر : الفاروق ، وكان المسلمون يأثرون ذلك من قولهم . ولم يبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من ذلك شيئاً[1].

قال ابن عمر : حدثنى أبو بكر بن إسماعيل بن محمد بن سعد عن أبيه قال : طُعِن عمر يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين ، ودفن يوم الأحد صباح هلال المحرم سنة أربع وعشرين .

---

(١) طبقات ابن سعد ٣ : ٢٧٠ .

قال : وممنّ توفى سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة

الطُّفيل بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف ، أخو عبيدة بن الحارث الذى بارز عتبة بن ربيعة يوم بدر ، وشهد الطُّفيل بن الحارث بدراً وأحُداً والمشاهد كلَّها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتوفى سنة اثنتين وثلاثين وهو ابن سبعين سنة .

والحصين بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف ، وهو أخو عبيدة والطُّفيل ابنى الحارث ، تُوُفِّىَ فى هذه السنة بعد أخيه الطفيل بأشهر ، وقد شهد الحصين بدراً وأحداً والمشاهد كلّها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والعباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمه نُتَيلة ابنة جناب بن كليب بن مالك بن عمرو بن عامر بن زيد مناة ابن عامر وهو الضَّحْيان بن سعد بن الخزْرج بن تيم الله بن النَّمِر بن قاسط بن هِنب بنَ أفصى بن دُعمىّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معدّ بن عدنان . وكان العباس يكنى أبا الفضل ، وكان الفضل أكبر ولده ، وكان العباس — فيما قيل — أسنَّ من رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين . وُلد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل ، ووُلد العباس رحمه الله قبل ذلك بثلاث سنين ، وشهد العباس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وحُنيناً والطائف وتَبوك ، وثبت معه يوم حنين فى أهل بيته حين انكشف الناس عنه .

قال ابن عمر: حدثنا خالد بن القاسم البياضىّ ، قال : أخبرنى شُعبة مولى ابن عباس ، قال : كان العباس معتدل القَناة ، وكان يخبرنا عن عبد المطلب أنه مات وهو أعدلُ قناةً منه ، وتوفِّىَ العباس يوم الجمعة لأربع عشرة ليلة خلت من رجب سنة ثنتين وثلاثين فى خلافة عثمان بن عفان ، وهو ابن ثمان وثمانين سنة ، ودُفن بالبقيع فى مقبرة بنى هاشم .

وذُكر أن الذى ولى غسل العباس حين مات علىّ بن أبى طالب وعبد الله وعبيد الله وقُثم بن العباس . وروى عن محمد بن علىّ أنه كان يقول : مات العباس بن عبد المطلب سنة أربع وثلاثين ، وصلّى عليه عثمان ودُفن بالبقَيع .

ذكر من مات أو قتل منهم فى سنة ثلاث وثلاثين من الهجرة

قال : منهم المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن ثمامة بن مطرود ابن عمرو بن سعد بن زهير – وكان بعضهم يقول ابن سعد بن دَهير – بن لؤىّ بن ثعلبة ابن مالك بن الشّريد بن أهون بن فاس بن دُريم بن القيْن بن أهود بن بهراء بن عمرو ابن الحافِ بن قضاعة . وكان يكنَّى أبا معبد .

وكان حَالف الأسود بن عبد يغوث الزهرى فى الجاهلية فتبنّاه ، فكان يقال له : المقداد بن الأسود فلما نزل القرآن : (ادْعوهُمْ لآبائِهِمْ) : قيل له المقداد بن عمرو. وهاجر المقداد إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية فى رواية ابن إسحاق وابن عمر ، شهد المقداد بدراً وأُحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من الرُّماة المذكورين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن سعد : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثنا موسى بن يعقوب ، عن عمّته عن أمها كريمة ابنة[1] المقداد ، أنها وصفت أباها لهم ، فقالت : كان رجلا طُوالاً آدم ذا بطن كثير شعر الرأس يصفّر لحيته وهى حسنة ، ليست بالعظيمة ولا بالخفيفة ، أعينَ مقرون الحاجبين أقنى[2]. قالت : ومات المقداد بالجُرف على ثلاثة أميال من المدينة ، فحُمل على رقاب الرجال حتى دفن بالمدينة ، وصلَّى عليه عثمان بن عفان وذلك سنة ثلاث وثلاثين ، وكان يوم مات ابن سبعين سنة أو نحوها[3].

قال ابن سعد : وأخبرنا محمد بن عبد الله الأسدىّ قال : حدثنا عمرو بن ثابت عن أبيه ، عن أبى فائد ، أنّ المقداد بن الأسود شرب دُهْن الخِرْوَع فمات[4].

---

(١) الطبقات : « بنت » .

(٢) القنا فى الأنف ؛ وهو ارتفاع أعلاه واحديداب وسطه وسبوغ طرفه . وفى الطبقات : « أقنأ » . والقنأ : شدة الحمرة .

(٣) طبقات ابن سعد ٣ : ١٦١ .

(٤) طبقات ابن سعد ٣ : ١٦١ .

قال : وممن قتل فى سنة ست وثلاثين من الهجرة

الزبير بن العوام بن خُويلد بن أسد بن عبد العزَّى بن قصىّ . كان قديمَ الإسلام قيل كان رابعاً أو خامساً حين أسلم ، وأسلم – فيما ذكر هشام بن عروة عن أبيه ، قال : – أسلم الزبير ، وهو ابن ست عشرة سنة ، ولم يتخلّف عن غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقُتِل وهو ابنُ بضعٍ وخمسين سنة قال : وهاجر إلى أرض الحبشة الهجرتيْن معاً ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى بينه وبين ابن مسعود ، وكان – فيما ذُكر – رجلا ليس بالطويل ، ولا بالقصير ، خفيفَ اللحية ، أسمر اللون أشعر .

حدثنى الحارث قال حدثنا عبد الله بن مسلمة بن قعنب قال : حدثنا سفيان ابن عيينة قال : اقتُسم ميراثُ الزبير على أربعين ألف ألف . وقالوا : خرج الزبير يوم الجمل ، وذلك يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة من هذه السنة بعد الوقعة على فرس له يقال له ذو الخمار ، منطلقاً نحو المدينة ، فقتِل بوادى السباع ، ودُفن هنالك . وذكر عن عروة أنه قال : قتل أبى يوم الجمل ، وقد زاد على الستين أربع سنين.

وطلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ، وكان يكنى أبا محمد ، وأمّه الصعبة ابنة عبد الله الحضرمىّ قُتِل يوم الجمل ، قتله مروان بن الحكم ، وكان له ابن يقال له محمد ؛ وهو الذى يدعى السجّاد ، وبه كان طلحة يكنى ، وقُتِل مع أبيه طلحة يوم الجمل ، وكان طلحة قديم الإسلام ، ولم يشهد بدراً .

ذكر من مات أو قتل منهم في سنة سبع وثلاثين من الهجرة

منهم عمّار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحُصين بن الوَذِيم بن ثعلبة بن عوف بن حارثة بن عامر الأكبر بن يام بن عَنْس ، وهو زيد ابن مالك بن أُدد بن زيد بن يشجُب بن عَرِيب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجُب بن يعرُب بن قحطان ، وبنو مالك بن أدد من مَذحِج .

ذُكر أن ياسر بن عامر ربَّى عمار بن ياسر وأخويه الحارث ومالكاً ، قدموا من اليمن إلى مكة ، في طلب أخ لهم ، فرجع الحارث ومالك إلى اليمن ، وأقام ياسر بمكّة ، وحالف أبا حُذَيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وزوَّجه أبو حذيفة أمَةً له ، يقال لها سُميَّة بنت خبَّاط ، فولدت له عماراً فأعتَقه أبو حذيفة ، ولم يزل ياسر وعمّار مع أبي حذيفة إلى أن مات وجاء الله بالإسلام . فأسلم ياسر وسميّة وعمار وأخوه عبد الله بن ياسر ، وكان لياسر ابنٌ أكبرُ من عمار وعبد الله يقال لهُ حُرَيث ، فقتلته بنو الدِّيل في الجاهلية ، وخلَف على سُمَيّة بعد ياسر الأزرقُ ، وكان روميًّا غلاماً للحارث بن كلَدة الثقفي ، وهو ممن خرج يوم الطائف إلى النبي صلى الله عليه وسلم مع عَبيد أهل الطائف وفيهم أبو بكْرة ، فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فولدَت للأزرق سلمة بن الأزرق ، فهو أخو عمار لأمّه ، ثمّ ادّعى ولدُ سلمة أن الأزرق بن عمرو بن الحارث بن أبي شِمْر من غسان وأنه حليف لبني أمية وشَرُفوا بمكة ، وتزوّج الأزرق وولدُه في بني أميَّة ، كان لهم منهم أولاد . وكان عمار يكنى أبا اليقظان ، وهاجر عمار بن ياسر في قول جميع من ذكرتُ من أهل السِّيَر إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية .

وذكر ابن عمر عن عبد الله بن جعفر أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى بين عمار بن ياسر وحُذَيفة بن اليمان ، قال عبد الله بن جعفر : إن لم يكن حذيفة شهد بدراً ، فإنّ إسلامه كان قديماً ، وقالوا جميعاً : شهد عمار بن ياسر بَدْراً وأُحداً والخندق والمشاهد كلّها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال ابن عمر :

حدّثنى عبد الله بن نافع ، عن أبيه ، عن ابن عمر .

قال : رأيت عمار بن ياسر يوم اليمامة على صخرة وقد أشرف ، يصيح : يا معشر المسلمين ، أمِن الجنة تفرون ؟ أنا عمار بن ياسر ، هلمّ إلىّ ، وأنا أنظر إلى أذنه قد قطعت فهى تُذبذِبُ وهو يقاتلُ أشدَّ القتال [١] .

قال ابن عمر : وحدّثنى عبد الله بن أبى عبيدة عن أبيه ، عن لؤلؤة مولاة أمّ الحكم بنت عمار بن ياسر ، قالت : لما كان اليوم الذى قُتِل فيه عمار ، والرّاية يحملها هاشم بن عتبة ، وقد قتِل أصحاب علىّ عليه السلام ذلك اليوم حتى كانت العصر ؛ ثم تقرّب عمار من وراء هاشم يقدمه ، وقد جنحَتِ الشمس للغروب ، ومع عمار ضَيْحٌ [٢] مِن لبن ينتظر وُجوب الشمس أن يُفْطِر ، فقال حين وجبت الشمس وشرب الضَّيح : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : آخر زادك من الدنيا ضَيْحٌ من لبن . قال : ثم اقترب فقاتل حتى قُتِل وهو ابن أربع وتسعين سنة رحمه الله .

قال ابن عمر : حدثنى عبد الله بن الحارث ، عن أبيه ، عن عمارة بن خزيمة ابن ثابت ، قال : شهد خزيمة بن ثابت الجمل وهو لا يَسُلّ سيفاً ، وشهد صِفِّين وقال : أنا لا أضلّ أبداً ، حتى يقتل عمار فأنظر من يقتله ، فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « تقتله الفئةُ الباغيةُ » ، قال : فلما قُتِل عمار قال خزيمة : قد بانت لى الضلالة ، ثم اقترب فقاتل حتى قُتِل .

وكان الذى قَتَل عمار بن ياسر أبو غادية المزنى ، طعنه برمح فسقط وكان يومئذ يقاتل فى محَفَّة فقتل يومئذ وهو ابن أربع وتسعين [٣] . فلما وقع أكبَّ عليه رجل آخرُ فاحتز رأسه فأقبلا يختصمان فيه كلاهما يقول : أنا قتلته ، فقال عمرو ابن العاص : والله إن يختصمان إلا فى النار ، فسمعها منه معاوية فلما انصرف الرجلان قال معاوية لعمرو : ما رأيت مثل ما صنعتَ ، قومٌ بذلوا أنفسهم دوننا تقول لهما : إنكما تختصمان فى النار ! فقال عمرو : هو والله ذاك ؛ والله إنك

---

(١) طبقات ابن سعد ٣ : ٢٥٤ .

(٢) الضيح هنا : اللبن الخاثر يصب فيه الماء ثم يخلط . وانظر النهاية لابن الأثير .

(٣) طبقات ابن سعد ٣ : ٢٥٨ .

لتعلمه ولوَدِدتُ أنى متّ قبل هذا بعشرين سنة [١].

قال ابن عمر : وحدثنى عبد الله بن جعفر عن ابن أبى عوْن قال : قُتِل عمّار وهو ابن إحدى وتسعين سنة ، وكان أقدم فى الميلادِ من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وكان أقبل إليه ثلاثة نفر : عُقْبة بن عامر الجهنىّ وعمر بن الحارث الخولانى ، وشريك بن سلمة المرادىّ ، فانتهوْا إليه جميعاً وهو يقول : والله لو ضربتمونا حتى تبلغوا بنا سَعَفات هَجَر لعلمنا أنّا على حق وأنتم على باطل ، فحملوا عليـــه جميعاً فقتلوه .

وزعم بعض الناس أن عقبة بن عامر هو الذى قتله ، ويقال : بل الذى قتله عمر بن الحارث الخولانى .

قال أبو جعفر : وأما هشام بن محمد ، فإنه ذكر عن أبى مِخْنَف ، أن عماراً لم يزل بهاشم بن عتبة حتى حُمِل ومع هاشم اللواء ، فنهض عمّار فى كتيبته ، ونهض إليه ذو الكلاع فى كتيبته ، فاقتتلوا فقتِلا جميعاً ، واستُؤصلت الكتيبتان ، وحمل على عمار حُوَىّ السكّسكىّ وأبو غادية المُزنىّ فقتلاه ، فقيل لأبى الغادية : كيف قتلتَه ؟ قال : لما دَلف إلينا فى كتيبته ودَلفنا إليه نادى : هل من مبارز ؟ فبرز إليه رجلٌ من السّكاسك ، فاضطربا بسيفيهما فقَتَل عمارٌ السّكسكىَّ ، ثم نادى : هل من مبارز ؟ فبرز إليه رجل من حِمْير فاضطربا بسيفيهما ، فقتَل عمارٌ الحميرىَّ وأثخنه الحميرىّ ونادى : من يبارز ؟ فبرزْتُ ، فاختلفنا ضربتين ، وقد كانت يدُه ضعُفت فأنتحىَ عليه بضربةٍ أخرى ، فسقط ، فضربتُه بسيفى حتى برَدَ . قال : ونادى الناسُ : قتلتَ أبا اليقظان ، قتلك الله ! فقلت : اذْهب إليك فوَالله ما أبالى مَن كنتَ ، وبالله ما أعرفه يومئذ ، فقال له محمد بن المنتشر : يا أبا الغادية خَصْمُك يوم القيامة مازَنْدَر – يعنى ضخماً – ، قال : فضحك [٢].

قال ابن عمر : وحدثنا عبد الله بن أبى عبيدة بن محمد بن عمار عن أبيه عن لؤلؤة مولاة أم الحكم بنت عمار ، أنها وصفت لهم عماراً ، فقالت : كان رجلا آدمَ

---

(١) طبقات ابن سعد ٣ : ٢٥٩ .

(٢) طبقات ابن سعد ٣ : ٢٦١ ، ٢٦٢ .

طوالا مُضطرباً ، أشهل العينين ، بعيد ما بين المنكبين ، وكان لا يغيّر شيبه .

قال ابنُ عمر : الذى أُجمع عليه فى عمار أنه قتِل رحمه الله مع على بن أبى طالبٌ عليه السلام بصِفّين فى صفر سنة سبع وثلاثين وهو ابن ثلاث وتسعين ، ودُفن هنالك بصفين .

وعبد الله بن بُدَيل بن ورقاء بن عبد العزى بن ربيعة بن جُرَىّ بن عامر بن مازن بن عدىّ بن عمرو بن ربيعة . شهد مع النبى صلى الله عليه وسلم فَتْح مكة وحُنينا وتبوك ، وقتِل يوم صفين مع أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام .

وخُزَيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة بن ساعدة بن عامر بن غيَّان بن عامر ابن خَطْمةَ بن جُشَم بن مالك بن الأوس ، وهو ذو الشهادتين ، يكنى أبا عمارة . وكان لخزيمة أخوان ، يقال لأحدهما : وحْوَح وللآخر عبد الله ، وكانت راية خَطْمة بيده فى غزوة الفتح ، وشهد خزيمة مع علىّ بن أبى طالب عليه السلام صِفِّين ، وقتِل يومئذ سنة سبع وثلاثين من الهجرة .

وسعد بن الحارث بن الصِّمَّة بن عمرو بن عتيك بن عمرو بن مبذول ، وهو عامر بن مالك بن النّجار ، صحب النبى صلى الله عليه وسلم ، وشهد مع علىّ بن أبى طالب عليه السلام صِفِّين ، وقتِل يومئذ وهو أخو أبى جُهَيم بن الحارث بن الصِّمة .

وأبو عمرة ، واسمه بَشِير بن عمرو بن محصن بن عمرو بن عتيك بن عمرو ابن مبذول ، وهو أبو عبد الرحمن بن أبى عمرة ، الذى روى عن عثمان بن عفان ، وقُتِل أبو عمرة بصِفِّين مع علىّ بن أبى طالب عليه السلام .

وهاشم بن عتبة بن أبى وقاص بن أهَيْب بن عبد مناف بن زهرة . أسلمَ بن هاشم بن عتبة يوم فتح مكة وهو المِرْقالُ ، وكان أعور فُقِئت عينه يوم اليرموك ، وهو ابن أخى سعد بن أبى وقاص . شهد صِفّين مع على بن أبى طالب عليه السلام وكان يومئذ على الرَّجالة ، وهو الذى يقول :

أعوَرُ يبغى أهله مَحَلاًّ   قد عالج الحياةَ حتى ملاًّ

لابدَّ أن يَفُلَّ أو يُفَلّا

وقتل يوم صفين .

وأبو فضالة الأنصاريّ ، من أهل بدر ، قُتل مع عليّ عليه السلام بصِفين .

وسهل بن حُنيف بن واهب بن العُكَيْم بن ثعلبة بن عمرو بن الحارث بن مجدعة ابن عمرو بن حَنَش بن عوف بن عمرو بن عوف ، ويكنى أبا سعد ، وقيل : يكنى أبا عبد الله ، وجدُّه عمرو بن الحارث ؛ وهو الذى يقال له : بحْزَج .

وشهد سهل بدراً وأحُداً ، وثَبتَ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أُحُد حين انكشف الناس عنه ، وبايعه على الموت ، وجعل ينضِحُ يومئذ بالنبل ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نبّلوا سَهْلاً ، فإنه سهل . وشهد أيضاً الخندق والمشاهد كلَّها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشهد سهل بن حُنيف صفين مع علىّ بن أبى طالب عليه السلام .

قال ابن عمر : حدثنى عبد الرحمن بن عبد العزيز عن محمد بن أبى أُمامة ابن سهل عن أبيه ، قال : مات سهل بن حُنيف بالكوفة سنة ثمان وثلاثين وصلى عليه علىّ بن أبى طالب عليه السلام .

ذكر من مات منهم أو قتل سنة أربعين

فممن قتل منهم فيها أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام واسمُ أبى طالب عبدُ مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى ، وكان يكنى أبا الحسن . ضُرِب – فيما قيل – ليلة الجمعة لسبع عشرة خلت من شهر رمضان منها ، ومات ليلة الأحد لإحدى عشرة بقيت منه منها ، وقد مضت أخباره فى كتابنا المسمى المذيّل .

وذُكر عن إسحاق بن عبد الله بن أبى فَرْوة ، أنه قال : سألت أبا جعفر محمد ابن علىّ عليه السلام قال : قلت : ما كانت صفة علىّ عليه السلام ؟ قال : رجل آدمُ شديد الأدمة ثقيل العينين ذو بطن ، أصلعُ ، هو إلى القِصَر أقرب.

ذكر مَنْ هلك منهم سنة خمسين

قال : منهم سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيْل بن عبد العزّى بن رياح بن عبد الله ابن قُرْط بن رَزاح بن عدىّ بن كعب بن لؤىّ ، وكان يكنى أبا الأعور ، وكان أبوه زيد بن عمرو بن نُفيل قد فارقَ دين قومه من قريش ، وتوفّىَ وقريش تَبْنِى الكعبة ، وذلك قبل أن يوحَى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس سنين ، فروىَ عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يُبْعَثُ أمّةً وحَده » ؛ وأسلم سعيد بن زيد قبل أن يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دارَ الأرقم ، وقبل أن يدعُوَ فيها ، وشهد سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أُحُداً والخندق والمشاهدَ كلّها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يشهد بدراً .

وذكر ابن عمر أن عبدَ الملك بن زيد من ولد سعيد بن زيد ، حدثه عن أبيه ، قال : تُوفِّىَ سعيد بن زيد بالعقيق ، فحُمل على رقاب الرجال ، فدفن بالمدينة ونزل فى حفرته سعد وابن عمر وذلك سنة خمسين أو إحدى وخمسين . وكان يوم مات ابنَ بضع وسبعين سنة ، وكان رجلا طُوالا آدم أشعَرَ .

والمغيرة بن شعبة بن أبى عامر بن مسعود بن معتِّب بن مالك بن كعب بن عمرو ابن سعد بن عوف بن ثقيف ، واسمه قسِىّ بن منبه بن بكر بن هوازن بن عكرمة ابن خَصَفَة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار ، وكان يكنى أبا عبد الله ، وكان يقال له : مغيرة الرأى ، كان داهيةً ، وقَدم على النبىّ صلى الله عليه وسلم فأسلم وأقام معه حتّى اعتمر عمرة الحديبية فى ذى القعدة سنة ست من الهجرة .

وذكر ابن عمر أن عبد الله بن محمد بن عمر بن علىّ حدثه عن أبيه ، قال : قال علىّ عليه السلام : لما ألقى المغيرة بن شعبة خاتمة فى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قلت : لا يتحدث الناسُ أنك نزلتَ فى قبر رسول الله ، ولا تُحدِّث أنت الناس أن خاتمك فى قبره ، فنزل علىٌّ عليه السلام وقد رأى موقعَه ، فتناوله ، فدفعه إليه .

قال ابن عمر : حدثنا محمد بن أبي موسى الثقفيّ عن أبيه ، قال : مات المغيرة بالكوفة فى شعبان سنة خمسين فى خلافة معاوية ، وهو ابن سبعين سنة . وكان رجلا طوالا أعور ، وقيل كان أصهب الشعر أكشفَ جَعْداً ، يفرُق رأسه فروقاً أربعة ، أقلص[1] الشفتين ، مهتوماً ضخمَ الهامَة ، عبلَ الذراعيْن ، بعيدَ ما بين المنكبين .

قال أبو جعفر : والحسنُ بن علىّ بن أبى طالب عليه السلام ، قال ابن عمر : حدثنى عبد الله بن جعفر ، عن أمّ بكر بنت المِسْوَر ، قالت : كان الحسن بن علىّ عليه السلام سُمّ مراراً ، كلّ ذلك يُفلت حتى كانت المرّة الآخرة التى مات فيها ، فإنه كان يختلف[2] كبده ، فلما مات أقام نساءُ بنى هاشم النوح عليه شهراً .

قال ابن عمر : وحدثنا حفص بن عمر عن أبى جعفر قال : مكث الناس يبكون على الحسن بن علىّ عليه السلام سبعاً ما تقوم الأسواق .

قال ابن عمر : وحدّثتنا عبيدة بنت نابل عن عائشة بنت سعد ، قالت : حَدَّ نساءُ بنى هاشم على الحسن بن علىّ سنَة[3]

قال : وحدّثنا داود بن سنان ، قال : سمعتُ ثعلبة بن أبى مالك ، قال : شهدنا حسن بن علىّ عليه السلام يوم مات ، ودفنّاه بالبقيع ؛ ولقد رأيتُ البقيع ولو طرحتُ فيها إبرَة ما وقعت إلا على رأس إنسان .

وقال علىّ بن محمد : حدّثنى مسلمة بن محارب ، قال : مات الحسن بن علىّ عليه السلام سنة خمسين فى ربيع الأولّ لخمس خلوْن منه .

قال علىّ بن محمد : ويقال . بل مات سنة إحدى وخمسين وهو ابن ست وأربعين سنة .

---

(١) قلوص الشفة : انزواؤها .
(٢) يختلف كبده : يستأصلها .
(٣) حدت المرأة : تركت الزينة

ذكر الخبر عمّن مات أو قتل منهم سنة ثنتين وخمسين

منهم أبو أيوب ، واسمه خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد بن عوف بن غنْم بن مالك بن النجار ، وهو أحد السَّبعين الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلةَ العقبة من الأنصار فى قول جميعهم ، وآخى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين مُصعَب بن عميْر ، وشهد بدراً وأُحُداً والخندق والمشاهد كلها ، مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتُوُفِّىَ عام غزا يزيد بن معاوية القسطنطينية فى خلافة أبيه معاوية ، وقبرُه بأصل حصن القسطنطينية بأرض الروم . فالرومُ – فيما ذكر – يتعاهدون قبره ، ويُرَمّونه ويستسقون به إذا قَحِطُوا .

ذكر الخبر عمن مات أو قتل سنة أربع وخمسين

منهم حَكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزّى بن قصىّ ، ذكر ابن عمر أنّ المنذر بن عبد الله حدّثه عن موسى بن عقبة ، عن أبى حَبيبة مولى الزبير ، قال : سمعت حَكِيم بن حزام يقول : وُلدت قبل قدوم أصحاب الفيل بثلاث عشرة سنة . وأنا أعقِل حين أراد عبد المطلب أن يذبح ابنه عبد الله حيْن وقع نَذْره ؛ وذلك قبل مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس سنين . وشهد حَكِيم بن حزام مع أبيه الفِجَار ، وقُتل أبوه حزام بن خويلد فى الفِجَار الآخر ، وكان حكيم يكنى أبا خالد ، وكان له من الولد عبد الله وخالد ويحيى وهشام ، وأمهم زينب ابنة العوّام بن خويلد ابن أسد بن عبد العُزّى بن قصىّ ، ويقال : أمّ هشام بن حكيم مليكة ابنة مالك بن سعد من بنى الحارث بن فهر .

وقد أَدرك ولدُ حكيم بن حزام كلُّهم النبىَّ صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ، وصحبوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وكان حكيم بن حزام – فيما ذكر – قد بلغ عشرين ومائة سنة .

ومرّ به معاوية عام حجّ ، فأرسل إليه بلَقوح[1] يشرب من لبنها ، وذلك بعد أن سأله : أىّ الطعام يأكل ؟ قال : أما مضغ فلا مضغ فىّ ، فأرسل إليه باللَّقوح ، وأرسل إليه بصِلَة ، فأبى أن يقبلها ، وقال : لم آخذ بعد النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً ، ودعانى أبو بكر وعمر إلى حقّى فأبيت أن آخذَه .

قال ابنُ عمر : وحدثنى ابن أبى الزناد عن أبيه ، قال : قيل لحكيم بن حزام : ما المال يا أبا خالد ؟ قال : قِلّة العيال.

قال ابن عمر : وقَدِم حكيم بن حزام المدينة ونزلها وبنى بها داراً ، ومات بالمدينة سنة أربع وخمسين فى خلافة معاوية ، وهو ابن مائة وعشرين سنة .

ومَخرمة بن نوفل بن أُهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ، وأمّه رُقَيْقة ابنة أبى صَيْفىّ بنِ هاشم بن عبد مناف ، فولد مخرمة صفوانَ ، وبه كان يكنى ، وهو الأكبر من ولده – والمسْوَر والصَّلتَ الأكبر وأمَّ صفوان ، وأمُّهم عاتكة ابنة عوف ابن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة ، أخت عبد الرحمن بن عوف . وكانت من المهاجرات وأمُّها الشّفاءُ ابنة عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة ، وهى من المهاجرات أيضاً . والصَّلتَ الأصغر وصفوانَ الأصغر والعطّاف الأكبر والعطّاف الأصغر ومحمداً .

وأسلم مخرمةُ بن نوفل عند فتح مكة ، وكان عالماً بنسَب قريش وأحاديثها ، وكانت له معرفة بأنصابِ الحرَم ؛ فكان عمر يبعثه ، وسعيدَ بن يربوع أبا هود وحُوَيْطِبَ بن عبد العُزّى وأزهرَ بن عبد عوف ، فيجدِّدون أنصابَ الحرم ؛ لعلمهم بها . ثم ذهب بصرُ مخرمة بن نوفل فى خلافة عثمان ، وشهد مخرمةُ بن نوفل مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم حنين ، وأعطاه من غنائم حنين خمسين بعيراً .

قال ابن عمر : رأيتُ عبدَ الله بن جعفر ينكر أن يكون أخذ مَخْرمة من ذلك شيئاً ، وقال : ما سمعت أحداً من أهلى يذكر ذلك ، قال : ومات مخرمة بالمدينة سنة أربع وخمسين فى خلافة معاوية ، وكان يوم مات ابنَ مائة وخمس عشرة سنة .

---

(١) اللقوح : الناقة الحلوب .

قال : وحُوَيطب بن عبد العزى بن أبى قيس بن عبد وَدّ بن نصر بن مالك ابن حِسْل بن عامر بن لؤىّ .

قال ابن عمر : حدثنى إبراهيم بن جعفر بن محمود بن محمد بن مسلمة الأشهلىّ عن أبيه ، قال : كان حُويطب بن عبد العزى العامرىّ قد عاش عشرين ومائة سنة ، ستين سنة فى الجاهلية وستين فى الإسلام . فلما وُلّىَ مَرْوان بن الحكم المدينة فى عمله الأول ، دخل عليه حُوَيطب مع مشيخة جِلّة حكيم بن حزام ومخرمة ابن نوفل ، فتحدّثوا عنده ، وتفرّقوا ، فدخل عليه حويطب يوماً بعد ذلك ، فتحدّث عنده ، فقال مروان : ما سنُّك ؟ فأخبره ، فقال له مروان : تأخر إسلامك أيها الشيخ حتى سبقك الأحداثُ ، فقال حويطب : الله المستعان ، لقد هممتُ بالإسلام غير مرّة كلّ ذلك يَعُوقنى أبوك عنه وينهانى ، ويقول : تضَعُ شرفك ، وتدعُ دينَ آبائك لدِينٍ مُحْدَثٍ وتَصِيرُ تابعاً ! قال : فأسكت والله مروان ، وندم على ما كان قال له ، ثم قال له حويطب : أما كان أَخبرك عثمان ما لقِىَ من أبيك حين أسلم ، فازداد مروان غمًّا ، ثم قال حويطب : ما كان من قريش أحدٌ من كبرائها الذين بقُوا على دين قومهم إلى أن فتحت مكة ، كان أكرَه لما هو عليه منى ، ولكن المقادير . ولقد شهدتُ بدراً مع المشركين ، فرأيتُ عِبَرَاً ، رأيت الملائكة ، تقتُل وتأسر بين السماء والأرض ، فقلتُ : هذا رجل ممنوع ، ولم أذكر ما رأيت . فانهزمنا أجمعين إلى مكة ، فأقمنا بمكة وقريش تُسلم رجلا رجلا ، فلما كان يوم الحديبية حضرتُ ، وشهدت الصلح ، ومشيت فيه حتى تمّ ، وكلّ ذلك أُريد الإسلام ويأبى الله جل وعزّ إلا ما يريد . فلما كتبنا صلح الحديبية ، كنتُ أحد شهوده ، وقلتُ : لا ترى قريش من محمد صلى الله عليه وسلم إلا ما يَسُوءُها ، قد رضيتُ أن دافعتُه بالرّاحِ . ولّما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم لعُمرة القضيّة ، وخرجتْ قريش عن مكة ، كنت فيمن تخلّف بمكة أنا وسُهيل بن عمرو ، لأنْ نُخرِجَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مضَى الوقتُ ، وهو ثلاث ، فلما انقضت الثلاثُ ، أقبلتُ أنا وسهيل بن عمرو ، فقلنا : قد مضى شرطُك فاخرُج من بلدنا ، فصاح : يا بلال لا تَغِبِ الشمسُ وأحدٌ من المسلمين بمكّة ممّن قدِم معنا .

قال ابن عمر : وحدثنى إبراهيم بن جعفر بن محمود ، عن أبيه قال : وحدثنى

أبو بكر بن عبد الله بن أبي سَبْرة ، عن موسى بن عقبة ، عن المنذر بن جهم قال :
قال حويطب بن عبد العُزّى : لمّا دخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مكّة عام الفتح ،
خِفتُ خوفاً شديداً ، فخرجتُ من بيتى ، وفرّقتُ عيالى ، فى مواضع يأمَنُون فيها . ثم
انتهيتُ إلى حائط عوف ، وكنتُ فيه ، فإذا أنا بأبى ذرّ الغِفَارى ، وكانت بينى وبينه
خُلّة – والخُلّة أبداً نافعة – فلما رأيتهُ هربتُ منه ، فقال : أبا محمد ! قلتُ :
لبّيك ، قال : مالك ؟ قلتُ : الخوف ، قال : لا خوف عليك ، تعالَ أنت آمِن
بأمان الله جلّ وعزّ . فرجعتُ إليه وسلّمتُ عليه ، فقال : اذهب إلى منزلك ، قلتُ :
هل لى سبيل إلى منزلى ؟ والله ما أرانى أصِلُ إلى بيتى حيًّا حتى أُلقَى فأقتَل ، أو يُدْخل
علىَّ منزلى فأقتَل ، وإنّ عيالى لفى مواضع شتّى ، قال : فاجمع عيالك فى موضع ،
وأنا أبلغ معك منزلك ، فبلغ معى وجعل ينادى على بابى : إن حويطباً آمن ، فلا يُهَج ،
ثم انصرف أبو ذرّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال : أو ليس قد آمنا
الناس كلّهم إلا من أمرتُ بقتله ، قال : فاطمأننت ، ورددت عيالى إلى مواضعهم ،
وعاد إلىّ أبو ذرّ ، فقال : يا أبا محمد ، حتّى متَى وإلى متى ؟ قد سُبقتَ فى المواطن كلها
وفاتك خير كثير ، وبقى خير كثير ، فأتِ رسول الله فأسلَم تَسْلَمْ ، ورسول الله أبرّ
الناس ، وأحلم الناس ، وأوصل الناس ، شرفهُ شرفك ، وعِزّه عزّك . قال : قلت فأنا
أخرج معك ، فآتيه ، فخرجت معه حتى أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبطحاء ،
وعنده أبو بكر وعمر ، فوقفتُ على رأسه ، وسألت أبا ذرّ : كيف يقال إذا سُلّم عليه ؟
قال : قل السلام عليك أيّها النبي ورحمة الله ، فقلتُها ، فقال : وعليك السلام ،
أحويطب ؟ قال : قلت : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : الحمد لله الذى هَداك . قال : وسُرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلامى ،
واستقرضنى مالاً ، فأقرضتُه أربعين ألف درهم ، وشهدت معهُ حنيناً والطائف ، وأعطانى
من غنائم حنين مائة بعير .

قال أبو جعفر : ثم قَدِم حويطب بعد ذلك المدينة ، فنزلها وله بها دار بالبلاط
عند أصحاب المصاحف .

قال ابن عمر : حدّثنى عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، قال : باع
حويطب بن عبد العزى دارَه بمكة من معاوية بأربعين ألف دينار ، وقيل له : يا أبا

محمد ، أربعين ألف دينار ! قال : وما أربعون ألف دينار لرجل عنده خمسة من العيال ! قال عبد الرحمن بن أبي الزناد : وهو والله يومئذ يُوفِّر عليه القوت فى كل شهر .

ومات حويطب بن عبد العزى بالمدينة سنة أربع وخمسين فى خلافة معاوية ، وكان له يوم مات مائة وعشرون سنة .

ومنهم الأرقم بن أبي الأرقم بن أسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . واسم أبي الأرقم عبد مناف ، وكان الأرقم يكنى أبا عبد الله .

وذكر ابن عمر أن محمد بن عمران بن هند بن عبد الله بن عثمان بن الأرقم ابن أبي الأرقم المخزومى ، حدّثه : أخبرنى أبي عن يحيي بن عمران بن عثمان بن الأرقم قال : أخبرنى جدّى عثمان بن الأرقم ، أنه كان يقول : أنا ابنُ سُبْع الإسلام ، أسلم أبي سابعَ سبعة وكان دارهُ على الصّفا ، وهى الدار التى كان النبي صلى الله عليه وسلم يكون فيها فى أول الإسلام ، وفيها دعا الناس إلى الإسلام فأسلم فيها قومٌ كثير . وشهد الأرقمُ بن أبي الأرقم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدراً وأُحداً والخندق والمشاهد كلها .

قال ابن عمر : أخبرنا محمد بن عمران بن هند عن أبيه ، قال : حضرت الأرقمَ بن أبي الأرقم الوفاة فأوصى أن يصلِّيَ عليه سعد ، وكان مروان بن الحكم والياً لمعاوية على المدينة ، وكان سعد فى قَصْره بالعقيق ، ومات الأرقم ، فاحتبس عليهم سعد ، فقال مروان : أيُحبَسُ صاحبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل غائب ! وأراد الصلاة عليه ، فأبى عبيد الله بن الأرقم ذلك على مروان ، وقامت معه بنو مخزوم ووقع بينهم كلام ، ثم جاء سعد فصلّى عليه ، وذلك سنة خمس وخمسين بالمدينة . وهلك الأرقم وهو ابن بضع وثمانين سنة .

قال : وأبو مَحذُورة ، واسمه أوْس بن مِعير بن لَوْذان بن ربيعة بن عويج بن سعد ابن جُمح ، وكان له أخ من أبيه وأمه ، يقال له : أنيس ، قُتِل يوم بدر كافراً . قال ابن سعد : سمعت من يَنسِب أبا محذورة ، فيقول اسمه سَمُرة بن عُمير بن لوذان ابن وهب بن سعد بن جُمح ، وكان له أخ من أبيه وأمه ، اسمه أوس ، قال : فولَد أبو محذورة عبدَ الملك وحُذَيراً ، وتوفى أبو محذورة بمكة سنة تسع وخمسين ولم يهاجر ،

ولم يزل مقيماً بمكة حتى مات .

والحسين بن علىّ بن أبى طالب عليه السلام. وُلد فى ليال خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة ، يكنى أبا عبد الله ، ووَلدَ الحسين عليه السلام عليًّا الأكبر ، قُتِل مع أبيه بالطَّفّ ، وأمه آمنة بنت أبى مرّة بن عروة بن مسعود بن معتب ، من ثقيف وأمّها ابنة أبى سفيان بن حرب ، وفيها يقولُ حسان بن ثابت فى رواية محمد بن عمر :

طافت بنا شمسُ النهارِ ومَنْ رأى ... من الناس شمساً بالعشاءِ تطوفُ(١)

أبو أمّهـــا أوفَى قريشٍ بذِمّـــةٍ ... وأعمامُهـــا إمّا سألتَ ثقيفُ

قال أبو جعفر : هذان البيتان ينسبان إلى عمر بن أبى ربيعة ، وأنهما من شعره ، وينشد :

طافتْ بنا شمسٌ عِشاء ومَنْ رأى ... من الناس شمساً بالعشاء تطوفُ

أبو أمّهـــا أوفى قريش بذمـــةٍ ... وأعمامها – إما نسبتَ – ثقيف

وعليًّا الأصغر ، وله العقب من ولد الحسين عليه السلام ، وأما علىّ الأكبر فلا عَقِبَ له ، وأم الأصغر أم ولد . قال علىّ بن محمد : كانت تُدعى سُلافة .

قال أبو جعفر : ويقال إن اسمها جيْداء – وكان فاضلا سيداً – وجعفراً لا بقيةَ له – وفاطمةَ وأمّها أم إسحاق ابنة طلحة بن عبيد الله ، وكانت قبله عند الحسن بن علىّ فلما حضرته الوفاةُ أوصى حسينا أن يتزوَّجها فتزوجها حسين ، فولدت له فاطمة وعبد الله ، قُتِل مع أبيه ، وسُكينةَ ، وأمّها الرباب ابنة امرئ القيس بن عدىّ بن أوس بن جابر بن كعب ابن عُليم بن هُبَل بن كنانة بن بكر بن عوف بن عُذرة بن زيد اللات بن رُفَيدة ابن ثور بن كلب .

وفى الرباب وسكينة يقول الحسين بن علىّ عليه السلام .

لعمـــرُكَ إنّنى لأحب دارًا ... تضيّفهـــا سُكينـــةُ والرّبابُ

أحبهما وأبذُلُ بعـــدُ مالى ... وليس للائمى فيهـــا عتابُ

ولستُ لهم وإن عتبوا مطيعاً ... حيـــاتى أو يُغيِّبَنى الترابُ

قال علىّ بن محمد ، عن حماد بن سلمة عن أبى المُهَزِّم ، قال : كنّا مع

(١) لم يرد البيتان فى ديوان حسان ، وهما بالرواية التالية فى ملحق ديوان عمر بن أبى ربيعة ٤٩٧ .

أبي هريرة فى جنازة ، فلمّا رجعنا أعيا الحسين عليه السلام[1] صَعَدٌ ، فجعل أبو هريرة ينفُض التراب عن قدميه بثوبه ، فقال له الحسين : أنت يا أبا هريرة تفعل هذا ! قال : دعني منك ، فلو يعلم الناس منك ما أعلم لحملوك على عَواتقهم :

قال أبو جعفر : وحُدّثتُ عن خالد بن خداش قال : لما قُتل أهل فَخّ[2] ، لبث حمّاد نحواً من شهر لا يجلس ، وكنتُ أراه محزوناً ثم جلس بعد ذلك رقيقاً تدمع عينه كثيراً شهرين أو ثلاثة ، وسمعتُه يقول : نحبّ ولد عليّ حبَّ الإسلام .

وقال محمد بن عمر عن أبي معشر : قُتِل الحسين عليه السلام لعشر خَلَوْن من المحرّم .

قال الواقديّ : وهذا الثَّبت .

قال محمد بن عمر : وحدثنا عطاء بن مسلم ، أخبره عن عاصم بن أبي النَّجُود عن زرّ بن حُبيش قال : أوّل رأس رُفِع على خشبة رأس الحسين عليه السلام .

وقال عليّ بن محمد : حدّثني عليّ بن مجاهد عن حَنَش بن الحارث عن شيخ من النَّخع ، قال : قال الحجّاجُ : مَنْ كان له بلاء فليقم ، فقام قومٌ فذكروا ، وقام سنان بن أنس ، فقال : أنا قاتلُ الحسين عليه السلام ، فقال بلاء حسنٌ ، ورجع إلى منزله فاعتُقل لسانه ، وذهب عقله ، فكان يأكل ويُحْدِث مكانَه .

---

(١) الصعد : المشقّة .

(٢) فخ : بفتح أوله وتشديد ثانيه: وادٍ بمكة،ويوم فخ كان أبو عبد الله الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، خرج يدعو لنفسه سنة ١٦٩ وبايعه جماعة من العلويّين بالخلافة بالمدينة ، وخرج إلى مكة،فلما كان بفخ لقيته جيوش بني العباس،فالتقوا يوم التروية من هذا العام ، فبذلوا الأمان له ، فقال : الأمان أريد ، فيقال : إن مباركاً التركيّ رشقه بسهم فمات ، وحمل رأسه إلى الهادى وقتلوا جماعة عسكره وأهل بيته،فبقى قتلاهم ثلاثة أيام حتى أكلتهم السباع ؛ فلم تكن مصيبة بعْد كربلاء أشدّ وأفجع من يوم فخ ، وفى ذلك يقول عيسى بن عبد الله :

فلأبكيَنّ على الحُسَـــيْن بعَوْلَةٍ وعلى الحسَنْ
وعلى ابن عاتكة الّذِى وارَوْه ليس بذى كَفَنْ
تركوا بفخٍّ غـدوةً فى غير منزلة الوَطنْ
كانوا كراماً هيجوا لا طائشــين ولا جُبُن
غسلوا المذلّة عنهمُ غسل الثياب من الدَّرَن
هُدِى العباد بجدّهمْ فلهمْ على الناسِ المِنَنْ

وانظر تاريخ الطبرى (حوادث سنة ١٦٩) ومعجم البلدان - فخ.

قال : وممن هلك سنة أربع وستين

المِسْور بن مخرمة بن نوفل بن أُهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ، ويكنى أبا عبد الرحمن ، وأمه عاتكة ابنة عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث ، ابن زهرة بن كلاب ؛ وهي أخت عبد الرحمن بن عوف ، وكانت من المهاجرات المبايعات، وقبِض رسول الله صلى الله عليه وسلم والمِسْور بن مخرمة ابن ثمان سنين .

وذكر ابن عمر أن عبد الله بن جعفر حدّثه عن أمّ بكر ابنة المِسْوَر بن مخرمة وأبي عون قالا : أصاب المسور بن مخرمة حجرٌ من المِنجنيق ، ضرب البيت ، فانفلقت منه فلقة أصابت خدَّ المسور وهو قائم يصلّي ، فمرض منها أياماً ، ثم هلَك في اليوم الذي جاء فيه نعيُّ يزيد بمكة ، وابن الزبير يومئذ لا يتسمَّى بالخلافة ، الأمرُ شُورى .

قال محمد : وحدثني عبد الله بن جعفر ، عن أبي عون وأمّ بكر ابنة المسور قالا : مات المِسْوَر في اليوم الذي جاء فيه نعيُّ يزيد بن معاوية لهلالِ شهر ربيع الآخر ، والمِسْوَرُ يومئذ ابن ثنتين وستين سنة .

قال أبو جعفر : ولد المِسْوَر بعد الهجرة بسنتين وتُوُفِّيَ لهلال شهر ربيع الآخر ، سنة أربع وستين . وكان يحيى بن معين — فيما حُدِثتُ عنه — يقول : مات المسور بن مخرمة سنة ثلاث وسبعين .

قال أبو جعفر : وهذا غلط من الْقول .

ذكر من هلك في سنة خمس وستين

منهم سليمان بن صُرد بن الجَوْن بن أبي الجون ، وهو عبد العزّى بن مُنقِذ بن ربيعة ابن أصْرمَ بن ضَبيس بن حرام بن حَبْشيّة بن كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة ابن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء بن حارثة الغِطْريف بن امرئ القيس بن ثعلبة

ابن مازن بن الأزْد ، ويكنى أبا مطرِّف .

أسلم وصحب النبي صلى الله عليه وسلم ، كان اسمه يَسار ، فلمّا أسلم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سليمان ، وكانت له سنن عالية وشرف فى قومه ، ونزل الكوفة حين نزلها المسلمون ، وشهد مع علىّ عليه السلام صِفّين ، وكان ممّن كتب إلى الحسين بن علىّ عليه السلام يسأله قدوم الكوفة ، فلمّا قدمها ترك القتال معه ، فلما قُتِل الحسين عليه السلام ندِمَ هو والمسيب بن نَجَبة الفزارىّ وجميع من خذَله فلم يقاتل معه ، ثم قالوا : مالنا توبة مما فعلنا إلا أن نقتلُ أنفسنا فى الطلب بدمه ، فعسكروا بالنُّخَيْلة مستهلّ شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين وولّوْا أمرهم سليمان بن صُرد ، وخرجوا إلى الشام فى الطلب بدم الحسين عليه السلام فسُمُّوا التوّابين ، وكانوا أربعة آلاف ، وقد ذكرنا خبرَهم فى كتابنا المسمى « المذيل » ، فقُتل سليمان بن صُرد فى هذه الوقعة ، رماه يزيد بن الحصين بن نمير بسهم فقتله ، وحَمَل رأسه ورأس المسيب ابن نَجَبة إلى مروانَ بن الحكم أدْهَمُ بن مُحرز الباهلىّ ، وكان سليمان يوم قُتل ابنَ ثلاث وتسعين سنة .

ذكر من مات أو قتل سنة ثمان وستين

قال : ومنهم عبد الله بن العباس عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصىّ . أمه أم الفضل ، وهى لُبابة الكبرى ابنة الحارث بن حَزْن من بنى هلال بن عامر . قال علىّ بن محمد : ولد عبد الله بن عباس عليًّا وهو سيد ولده ، وُلِدَ سنة أربعين . ويقال : ولد عام الجمل سنة ست وثلاثين ، وكان أجملَ قرشىّ على الأرضَ ، وأوسمه وأكثره صلاة ، وكان يدعى السَّجّاد ، وفى عقبه الخلافة ، وعباساً وهو أكبر ولده — وبه كان يكنى — ومحمداً ، وعبيد الله والفضل ، ولُبابة أمهم زَرْعة ابنة مِشْرَح بن مَعدِ يكرب بن وَليعة ، ومشرح أحد الملوك الأربعة ، ولا بقيّة للعباس وعبيد الله والفضل ومحمد بنى عبد الله بن عباس ، وأما لُبابة ابنة عبد الله فإنها كانت تحت علىّ بن عبد الله ابن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه ، فولدت له ، ولولدها أعقاب ، وأسماء ابنة عبد الله ، كانت عند عبد الله بن عبيد الله بن العباس ، فولدتْ له حسناً وحسيناً ، أمُّها أم ولد .

قال ابن عمر : لا اختلاف عند أهل العلم عندنا أنّ ابن عباس وُلِد فى الشِّعب وبنو هاشم محصورون ، قبل خروجهم منه بيسير ، وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين ، فتوفِّى رَسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عباس ابن ثلاث عشرة سنة ، ألَا تراه يقول فى حديث مالك عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله عنه : مررت فى حجّة الوداع على حمار أنا والفضل ، وقد راهقتُ يومئذ الاحتلام ، والنبى صلى الله عليه وسلم يصلّى .

وذكر داود بن عمرو الضّبى أن ابن أبى الزناد حدّثه عن أبيه وعبد الله بن الفضل ابن عيَّاش بن أبى ربيعة بن الحارث أخبرهما الثقة أن حسان بن ثابت ، قال : إنّا معاشرَ الأنصار طلبنا إلى عمر أو إلى عثمان — يشكّ ابن أبى الزناد — فمشينا بعبد الله ابن عباس وبنفر معه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتكلّم ابن عباس ، وتكلّموا ، وذكروا الأنصار ومناقبهم ، فاعتَلّ الوالى . قال حسان : وكان أمراً شديداً طلبناه . قال : فما زال يراجعهم حتى قاموا وعَذَرُوه إلّا عبد الله بن عباس قال : لا والله ، ما للأنصار من مُتَّرَك ، لقد نصروا وآووْا ، وذكر من فضلهم . وقال : إن هذا لَشاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمنافح عنه ، فلم يزل عبد الله يراجعه بكلام جوامع يسدّ عليه كلّ حجة فلم يجد بدًّا من أنْ قضى حاجتنا . قال : فخرجنا وقد قضى الله عزّ وجل حاجتَنا بكلامه ، فمررت فى المسجد بالنَّفر الذين كان معه ، فلم يبلغوا ما بلغ ، فقلت حيث يسمعون : إنّه كان أولاكم بها ، قالوا : أجل فقلت لعبد الله : إنّها والله صُبابة النبوة ووراثة أحمد صلى الله عليه وسلم ، كان أحقَّكم بها . قال حسان : فقلت وأنا أشير إلى عبد الله :

إذا قال لم يترُك مقــالا لقائلٍ ... بملتقطاتٍ لا ترى بينها فَصْلَا [(١)]

كَفَى وشفَى ما فى الصدور [(٢)] فلم يدَعْ ... لِذِى إربَة فى القول جدًّا ولا هَزْلا

سَمَوتَ إلى العُليا بغير مشــقةٍ ... فنِلتَ ذراها لا دنيئاً ولا وَغْلا

وحدثنى خالد بن القاسم البَيَاضى ، عن شعبة قال : سمعت ابن عباس يقول : ولدت قبل الهجرة بثلاث سنين ، ونحن فى الشِّعب ، وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن ثلاث عشرة سنة ، وتوفى ابن عباس سنة ثمان وستين وهو ابن احدى وسبعين سنة .

---

(١) ديوانه ٣٥٩ . وملتقطات : متخيرات .

(٢) الديوان « النفوس » .

قال ابن عمر : وحدثنى محمد بن عقبة ومحمد بن رفاعة بن ثعلبة بن أبى مالك عن شعبة مولى ابن عباس ، قال : مات عبد الله بن عباس بالطائف سنة ثمان وستين وهو بن اثنتين وسبعين سنة .

وقال ابن عمر : حدثنى إسحاق بن يحيى ، قال : حدثنا أبو سلمة الحضرمىّ قال : رأيت قبر ابن عباس وابن الحنفيّة قائم عليه ، فأمر به أن يسطح .

وقال علىّ بن محمد ، عن حفص بن ميمون ، عن أبيه ، قال : توفّى عبد الله ابن عباس بالطائف ، فجاء طائر أبيض، فدخل بين النَّعش والسرير ، فلما وضع فى قبره سمعنا تالياً يتلو : (يأيتها النفس المطْمَئنة * ارْجَعِى إلى رَبّكِ راضِيَةً مَرضِية) [1] .

وذكر بعضهم عن علىّ بن محمد أنه قال : توفى عبد الله بن عباس وهو ابن أربع وسبعين سنة .

ذكر من توفى أوقتل منهم سنة أربع وسبعين

منهم أبو سعيد الخُدرى ، واسمه سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة بن عبيد ابن الأبجر ، واسمه خُدْرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج . وقد زعم بعضهم أن خُدْرة هى أم الأبجر ، وأخو أبى سعيد لأمّه قتادة بن النعمان الظَّفرىّ من أهل بدر .

قال ابن عمر : حدثنى الضحاك بن عثمان عن محمد بن يحيى بن حَبَّان ، عن ابن محيريز وأبي صِرْمَة عن أبي سعيد الخُدرىّ قال : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة بنى المصطلق .

قال ابن عمر : وهو يومئذ ابن خمس عشرة سنة ، قال : وشهد أيضاً الخندق وما بعد ذلك من المشاهد .

قال ابن عمر : وحدثنا سعيد بن أبى زيد عن رُبيح بن عبد الرحمن بن أبى سعيد عن أبيه عن أبى سعيد ، قال : عُرِضتُ يوم أُحد على النبى صلى الله عليه وسلم وأنا ابن ثلاث عشرة سنة ، فجعل أبي يأخذ بيدى ، فيقول : يا رسول الله ، إنه عَبْل [2]

---

(١) سورة الفجر ٢٧ ، ٢٨ .

(٢) العبل : الضخم .

العظام ، وإن كان مؤدَنا [١] ، قال : وجعل النبى صلى الله عليه وسلم يصعد فىّ البصر ويصوبه ثم قال : ردّه فردّه [٢].

قال ابن عمر : حدثنى عبد العزيز بن عقبة عن إياس بن سلمة بن الأكوع ، قال : مات أبو سعيد الخدرى سنة أربع وسبعين .

ذكر الخبر عمن هلك منهم سنة ثمان وسبعين

منهم جابر بن عبد الله بن عمرو بن حَرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب بن غَنْمٌ ابن كعب بن سلمة بن سعد بن علىّ بن أسد بن ساردة بن تَزِيد بن جُشَم بن الخزرج ، وكان يكنى أبا عبد الله .

شهد العَقَبة فى السبعين من الأنصار الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عندها ، وكان مِنْ أصغرهم يومئذ . وأراد شهود بدر ، فخلّفه أبوه على أخواته ، وكنّ تسعاً ، وخلَّفه أيضاً حين خرج إلى أحُد ، وشهد ما بعد ذلك من المشاهد .

قال ابن عمر : حدثنا إبراهيم بن جعفر ، عن أبيه ، قال : سألت جابر بن عبد الله : كم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : سبعاً وعشرين غزوة ، غزا بنفسه ، وغزوتُ معه منها ست عشرة غزوة ، ولم أقدر أن أغزوَ حتى قتل أبى بأُحُد ، كان يخلّفنى على أخْواتى ، وكنّ تسعاً ، فكان أوّل غزوة غزوتُها معه حمراء الأسد إلى آخر مغازيه .

قال محمد بن عمر : وحدثنى خارجة بن الحارث ، قال : مات جابر بن عبد الله سنة ثمان وسبعين ، وهو ابن أربع وتسعين سنة ، وكان قد ذهب بصره ، قال : ورأيت على سريره بُرداً ، وصلّى عليه أبان ابن عثمان وهو والى المدينة .

---

(١) المؤدن : القصير .

(٢) أسد الغابة « فردّى »

ذكر من مات أو قتل سنة ثمانين

منهم عبد الله بن جعفر بن أبى طالب بن عبد المطلب ، كان يكنى أبا جعفر ، أمّه أسماء بنت عُميس ، قال ابن عمر : مات عبد الله بن جعفر رضى الله عنه بالمدينة عام الجُحاف – سيْلٌ كان ببطن مكة جَحف بالحاج وذهب بالإبل وعليها الحمُولة – فصلّى عليه أبان بن عثمان ، وكان والياً على المدينة من قِبَل عبد الملك بن مروان . قال : وكان له يوم توفى تسعون سنة .

وقال علىّ بن محمد : توفِّىَ عبد الله بن جعفر سنة أربع أو خمس وثمانين سنة .

وعمرو بن حُريث بن عمرو بن عثمان بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، ويكنى أبا سعيد ، وقُبِض النبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن اثنتى عشرة سنة .

وقال أبو نعيم الفضل بن دُكين . مات عمرو بن حريث بالكوفة سنة خمس وثمانين فى خلافة عبد الملك بن مروان .

وعَقِيل بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، وكان فيمن أسِر يوم بدر ، وكان لا مال له ، ففدَاه العباس بن عبد المطلب ؛ ذكر ابن سعد أن علىّ بن عيسى النوفلى أخبره عن أبيه ، عن عمه إسحاق بن عبد الله عن عبد الله بن الحارث ، قال : فدى العباسُ نفسَه وابن أخيه عَقِيلا بثمانين أوقية ذهب ، ويقال بألف دينار.

قال ابن سعد : وأخبرنا علىّ بن عيسى ، قال : حدّثنا أبان بن عثمان عن معاوية ابن عمّار الدُّهنى ، قال : سمعتُ أبا عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر : انظروا مَنْ ها هنا من أهل بيتى من بنى هاشم. قال : فجاء علىّ بن أبى طالب عليه السلام ، فنظر إلى العباس ونوفل وعَقيل ، ثم رجع ، فناداه عقيل : يابن أمّ علىّ : أما والله لقد رأيتَنا ، فجاء علىٌّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، رأيت العباس ونوفلا وعَقِيلاً ، فجاء رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى قام على رأس عَقِيل ، فقال : أبا يزيد ، قُتِل أبو جهل . قال : إذاً لا تنازَع[١] فى تهامة ، إن كنتَ أثخنت القوم وإلا فاركب أكتافهم[٢] .

(١) ابن سعد : « إذًا لا ينازعوا » .
(٢) طبقات ابن سعد ٤ : ٤٢ .

قال أبو جعفر : وقيل:رجع عقيل إلى مكة ، فلم يزل بها ، ثم خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجراً فى أول سنة ثمان ، فشهد غزوة مؤتة ثم رجع ، فعرض له مرض ، فلم يُسْمَعْ له بذكر فى فتح مكة ولا الطائف ولا فى حُنين ، وقيل: مات عقيل ابن أبي طالب بعد ما عَمِيَ فى خلافة معاوية .

وربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، وهو الذى قال النبىّ صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة : « ألا إن كل دم ومأثُرة فى الجاهلية فإنها تحت قدمَىَّ هاتين ، وإن أول دم أضعُه دمُ ربيعة بن الحارث » ؛ وإنما قال النبى صلى الله عليه وسلم : وإن أول دم أضعه دمُ ربيعة بن الحارث وربيعة حىٌّ ، لأنّ ذلك كان دماً لربيعة الطلبُ به فى الجاهلية ، وذلك أن ابنا لربيعة صغيراً ، كان مسترضَعاً فى بنى ليث بن بكر ، وكان بين هذيل وبين ليث بن بكر حرب ، فخرج ابن ربيعة ابن الحارث ، وهو طِفْل يحْبو أمام البيوت ، فرمته هُذيل بحجر فأصابه الحجر ، فرضخ رأسه ، فجاء الإسلام قبل أن يَثأَر ربيعة بن الحارث بدم ابنه ؛ فأبطل النبىّ صلى الله عليه وسلم الطلب بذلك الدم ؛ فلم يجعل لربيعة السبيل على قاتل ابنه ، فكان ذلك معنى وضع النبى صلى الله عليه وسلم دمه ، وهو إبطاله أن يكون له الطلب به ، لأنّه كان من ذحول[1] الجاهلية . وقد هدم الإسلام الطَّلب بها . وأما ابنُ ربيعة المقتول ؛ فإنه يختلف فى اسمه ، فأمّا ابن عمر فإنه قال : اسمه آدم بن ربيعة ، وقال بعضهم : كان اسمه تمّام بن ربيعة .

وقال بعضُهم : كان اسمه إياس بن ربيعة ، وقالوا جميعاً : كان ربيعة بن الحارث أسنَّ من عمه العباس بن عبد المطلب بسنين. قالوا : ولم يحضر ربيعة بن الحارث بدراً مع المشركين كان غائباً بالشام ، ثم قدم بعد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجراً أيام الخندق ، وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حُنين فيمن ثبت معه من أهل الخندق ، وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حُنين فيمن ثبت معه من أهل بيته وأصحابه ، وتُوُفِّىَ ربيعة بعد أخويه : نوفل وأبى سفيان فى خلافة عمر ابن الخطاب .

---

(١) ذحول : جمع ذحل ، وهو الطلب بمكافأة بجناية .

وعبد الله بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وكان اسمُه عبدَ شمس ، فسمّاه النبي صلى الله عليه وسلم حين أسلم عبد الله ، خرج من مكة قبل الفتح مهاجراً إلى رسول الله ،ثم خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض مغازِيه فمات بالصَّفْراء ، فدفنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قميصه – يعنى قميص النبي صلى الله عليه وسلم – وقال له سعيد : أدركتْه السعادة .

وجعفر بن أبى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم ، وكان جعفر ابن أبى سفيان ممن ثبت يوم حنين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه ، ولم يزل مع أبيه ملازماً لرسول الله حتى قبِض ، وتُوُفّىَ جعفر فى وسط خلافة معاوية لعنه الله .

والحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم .كان رجلاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، صحب رسول الله عند إسلام أبيه ، ووُلد ابنه عبد الله على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأُتِيَ به رسولَ الله فحنّكه ودعا له .

قال ابن سعد : أخبرنا علىّ بن عيسى ، عن أبيه ، قال : انتقل الحارث بن نوفل إلى البصرة ، واختطَّ بها دارا ، ونزلها فى ولاية عبد الله بن عامر بن كُرَيز ، ومات بالبَصْرة فى آخر خلافة عثمان[١].

وعبد المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم ، وقد روى عبد المطلب بن ربيعة عنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان رجلاً على عهد رسول الله ، قال ابن عمر : وحكاه ابن سعد عن علىّ بن عيسى النوفلى ، إنّ عبد المطلب بن ربيعة لم يزل بالمدينة إلى زمن عمر بن الخطاب.، ثم تحوَّل إلى الشام ، فنزلها وابتنى بها داراً ، وهلك بدمشق فى خلافة يزيد بن معاوية [٢]

وعُتْبة بن أبى لهب ، واسم أبى لهب عبد العزّى بن عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف ، قال ابن سعد : أخبرنا علىّ بن عيسى بن عبد الله النوفلىّ عن حمزة ابن عتبة بن إبراهيم اللّهبىّ ، قال : حدثنا إبراهيم بن عامر بن أبى سفيان بن معتّب

---

(١) طبقات ابن سعد ٤ : ٧٦ .

(٢) طبقات ابن سعد ٤ : ٧٦ .

وغيره من مشيختنا الهاشميين ، عن ابن عباس ، عن أبيه العباس بن عبد المطلب قال : لما قَدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فى الفتح ، قال لى : يا عباس ، أين أبنا أخيك : عُتْبة ومعتّب لا أراهما ؟ قال : قلت : يا رسول الله تنحّيا فيمن تنحّى من مشركى قريش ، فقال لى : اذهب فأتنى بهما ، قال العباس : فركبت إليهما بعُرنة[1] فأتيتهما ، فقلت : إن رسول الله يدعوكُما ، فركبا معى سريعَين حتى قدما على النبى صلى الله عليه وسلم ، فدعاهما إلى الإسلام ، فأسلما وبايعا . ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ بأيديهما ، وانطلق بهما يمشى بينهما ؛ حتى أتى بهما الملتزَم – وهو ما بين باب الكعبة والحجر الأسود – فدعا ساعةً ثم انصرف ، والسرور يُرى فى وجهه . قال العباس : فقلت له : سرَّكَ الله يا رسول الله ، فإنى أرى فى وجهك السرور ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « نعم إنى استوهبتُ ابنىْ عمى هذين ربِّى فوهَبَهما لى[2] » .

قال حمزة بن عتبة : فخرجا معه فى فوره ذاك إلى حُنين ، فشهدا غزوة حنين ، وثبتا مع رسول الله يومئذ فيمن ثبت من أهل بيته وأصحابه ، وأصيبت عينُ معتّب يومئذ ، ولم يُقم أحد من بنى هاشم من الرجال بمكّة ، بعد أن فُتِحت غير عتبة ومُعتّب ابنىْ أبى لهب[3].

وأسامة بن زيد بن حارثة وهو حِبُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويكنى أبا محمد ، وأمُّه أم أيمن ، وأسمها بَركَةَ حاضنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومولاته ، وولد أسامة بمكّة ونشأ حتى أدرك لم يعرف إلا الإسلام ولم يَدِن بغيره ، وهاجر مع أبيه إلى المدينة ، وكان أبوه زيد فى قول بعضهم أوّلَ الناس إسلاماً ، ولم يفارق رسولَ الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن سعد : أخبرنا الفضل بن دُكين ، قال : حدّثنا حَنَش ، قال : سمعت أبى يقول : استعمل النبى صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد وهو ابن ثمان عشرة سنة[4] .

(١) عرنة : واد بحذاء عرفات .

(٢) طبقات ابن سعد ٤ : ٦٠ .

(٣) طبقات ابن سعد ٤ : ٦٠ .

(٤) طبقات ابن سعد ٤ : ٦١ .

قال ابن عمر : لم يبلغ أولاد أسامة من الرجال والنساء فى كل دهر أكثر من عشرين إنساناً ، قال : وقُبِض النبيّ صلى الله عليه وسلم وأسامة ابن عشرين سنة ، وكان قد سكن وادى القُرى بعد النبى صلى الله عليه وسلم ثم نزل المدينة ، فمات بالجُرْف فى آخر خلافة معاوية .

وأبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واسمه أسلم ، كان عبداً للعباس ابن عبد المطلب ، فوهبه للنبى صلى الله عليه وسلم ، فلما بُشِّر النبيَّ صلى الله عليه وسلم بإسلام العباس أعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهاجر أبو رافع إلى المدينة بعد بدر ، فأقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشهد أحداً والخندق والمشاهد كلها ، وزوّجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مولاته سَلْمَى ، وشهدت معه خيبر ، وولدت لأبى رافع عبيد الله بن أبى رافع ، وكان كاتباً لعلىّ بن أبى طالب عليه السلام .

وسلْمان الفارسىّ ، وكان يكنى أبا عبد الله ، وأوّل غزاة غزاها سلمان الخندق .

وذُكِر عن جعفر بن سليمان عن هشام بن حسان عن الحسن قال : كان عطاء سلمان خمسة آلاف . وكان على ثلاثين ألفاً من الناس يحطب فى عباءة ، يفترش نصفها ويلبس نصفَها ، وكان إذا خرج عطاؤه أمضاه ، ويأكل من سَفِيف يده(١).

قال ابن عمر : تُوُفِّىَ سلمان الفارسى فى خلافة عثمان بن عفان .

والأسود بن نوفل بن خُوَيلد بن أسد بن عبد العُزَّى بن قصى . كان قديم الإسلام بمكّة ، وهاجر إلى أرض الحبشة فى المرة الثانية ، وكان موسى بن عقبة يقول : هو نوفل بن خويلد الّذى أسلم ، وهاجر إلى أرض الحبشة .

محمد بن عبد الرحمن بن الأسود بن نوفل بن خويلد ، ويكنى أبا الأسود ، وهو الذى يقال له : يتيم عروة بن الزبير .

وأبو الروم عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصىّ ، وأمه رومية ، وهو أخو مصعب بن عمير لأبيه .

---

(١) السفيف : الخوص المنسوج ، وفى الاستيعاب ٦٣٥ : عن ابن وهب : « كان سلمان يعمل الخوص بيده ، فيعيش منه ، ولا يقبل من أحد شيئاً » .

قال ابن عمر : كان أبو الروم قديم الإسلام بمكة وهاجر إلى أرض الحبشة فى الهجرة الثانية وشهد أحداً .

وجهم بن قيس بن شُرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصىّ . كان قديم الإسلام ، وهاجر إلى أرض الحبشة فى المرة الثانية فى قول جميعهم ، ومعه امرأته حُرَيملة بنت عبد الأسود بن خزيمة بن أُقيش بن عامر بن بياضة الخزاعيَّة ، ومعه ابناه منها عمرو وخزيمة ابنا جَهْم ، وتُوُفِّيت حُرَيملة بأرض الحبشة .

والوليد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، قال ابن عمر : حدثنى محمد بن عبد الله ، عن الزهرىّ ، عن عروة قال : وأخبرنا إبراهيم بن جعفر ، عن أبيه قالا : خرج سلمة بن هشام وعياش بن أبى ربيعة والوليد بن الوليد مهاجرين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فطلبهم ناس من قريش ليردُّوهم فلم يقدروا عليهم ؛ فلمّا كانوا بظهر الحَرَّة انقطعت إصبع الوليد فدَمِيَتْ ، فقال :

هل أنتِ إلا إصبَعٌ دَميتِ وفى سبيل الله ما لَقيتِ

قال : وانقطع فؤاده ، فمات بالمدينة، فبكته أم سلمة ابنة أبى أمية فقالت :

يا عينُ فابْـكى للوليـد بن الوليدِ بن المغيرَهْ
مثل الوَليد بن الوليـدِ أبى الوليد كفى العشيرَهْ

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تقولى هكذا ، يا أمّ سلمة ، ولكن قولى : (وجَاءتْ سكْرَةُ الموتِ بالْحقِّ ذَلِكَ ما كنتَ مِنْهُ تَحِيد)(١) .

وابن أم مكتوم ، واختلِف فى اسمه فأما أهل المدينة فيقولون : اسمه عبد الله ، وأما أهل العراق وهشام بن محمد ، فيقولون : اسمه عمرو بن قيس بن زائدة بن الأصم ابن رواحة بن حَجَر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤى ، ونُسب إلى أمّه أم مكتوم ، واسم أمّه أم مكتوم عاتكة ابنة عبد الله بن عنْكثة بن عامر بن مخزوم بن يقظة . أسلم ابن أم مكتوم بمكة قديماً ، وكان ضرير البصر ، وقدم المدينة مهاجراً ، فاختُلف فى وقت قدومه إيّاها ، فقال محمد بن عمر : قدمها بعد بدر بيسير ، فنزل دار القرّاء ، وهى دار مخرمة بن نوفل ، وكان يؤذّن للنبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة مع بلال ،

---
(١) سورة ق ١٩ .

وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يستخلِفه على المدينة ، يصلِّي بالناس فى عامة غزواته ، وكان صاحبَ راية المسلمين يوم القادسيّة ، ثم رجع إلى المدينة فمات بها .

وأبو ذرّ جُندب بن جُنادة بن سفيان بن عُبيد بن حَرام بن غفار بن مُلَيْل بن ضمرة ابن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار .

ذكر ابن عمر أنه سمع موسى بن عبيدة يخبر عن نُعيم بن عبد الله الْمُجْمِر عن أبيه ، قال : اسم أبى ذرّ جندب بن جنادة ؛ وكذلك كان يقول محمد بن عمر وهشام ابن محمد ، وغيرهما من أهل السِّيَر . قال ابن عمر : وسمعت أبا معشر نَجيحاً يقول : اسم أبى ذرّ بُرير بن جندب . قال : وحدّثنى أبو بكر بن عبد الله بن أبى سَبْرة ، عن موسى بن عقبة ، عن عطاء بن أبى مروان ، عن أبيه ، قال : قال أبو ذَرّ : كنت فى الإسلام خامساً .

قال أبو جعفر : ثم رجع أبو ذرّ حين أسلم إلى بلاد قومه ، فأقام بها حتى مضت بدر وأُحُد والخندق ، ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة بعد ذلك .

قال ابن سعد : أخبرنا عبد الله بن عمر وأبو معمر المنقرىّ حدثنا عبد الوارث ابن سعيد عن الحسين المعلم عن أبى بُريدة ، قال : لمّا قدم أبو موسى الأشعرىَ لقىَ أبا ذَرّ ، فجعل أبو موسى يلزمه ، وكان الأشعرىّ رجلا خفيفَ اللحم قصيراً ، وكان أبو ذرّ رجلاً أسود كثير الشعر ، فجعل الأشعرىُّ يلزمه ، ويقول أبو ذرّ : إليك عنى ، ويقول الأشعرى : مرحباً يا أخى ، ويدفعه أبو ذرّ ، ويقول : لست بأخيك إنما كنت أخاك قبل أن تُستعمَل ، قال : ثم لقىَ أبا هريرة فالتزمه فقال : مرحباً يا أخى ، فقال له أبو ذرّ : إليك عنّى ، هل كنت عملت لهؤلاء ؟ قال نعم ، قال : هل تطاولتَ فى البنيان ، أو اتّخذت زرعاً أو ماشية ؟ قال : لا قال : أنت أخى[١]. قال ابن سعد وأخبرنا الفضل بن دكين ، قال : حدثنا صالح بن رستم أبو عامر ، عن حميد بن هلال عن الأحنف بن قيس قال : رأيت أبا ذرّ رجلا طويلا آدم أبيض الرأس واللحية[٢].

قال أبو جعفر : وتوفى أبو ذر فى خلافة عثمان بالرَّبَذة .

بريدة بن الحُصَيب بن عبد الله بن الحارث بن الأعرج بن سعد بن رِزاح

---

(١) طبقات ابن سعد ٤ : ٢٣٠ .

(٢) طبقات ابن سعد ٤ : ٢٣٠ .

ابن عدىّ بن سهم بن مازن بن الحارث بن سلامان بن أسلم بن أفصى بن حارثة ابن عمرو بن عامر ، وهو ماء السماء . وكان بُرَيدة يكنى أبا عبد الله ، وأسلم حين مرّ به رسول الله صلى الله عليه وسلم للهجرة ، وذكر ابن عمر أن هاشم بن عاصم الأسلمىّ حدّثه عن أبيه ، قال : لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكّة إلى المدينة ، فانتهى إلى الغَميم ، أتاه بُريدة بن الحُصَيب ، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام فأسلم هو ومن معه ، وكانوا زُهاء ثمانين بيتا ، وصلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء ، فصلّوا خلفه .

قال : فحدثنى هاشم بن عاصم الأسلمىّ ، قال : حدثنى المنذر بن جهْم ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد علّم ابنَ الحُصيب ليلتئذ صدراً من سورة مريم ، وقدم بُرَيدة بعد أن مضت بدر وأُحد على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فتعلّم بقيّتها ، وأقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان من ساكنى المدينة ، وغزا معه مغازيَه بعد ذلك ، ولم يزل بُريدة مقيماً بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، حتى فُتحت البصرة ومُصّرتْ ، فتحوّل إليها ، واختطّ بها ، ثم خرج منها غازياً إلى خُراسان ، فمات بمَرْو ، فى ولاية يزيد بن معاوية وبقى بها ولده .

ودِحْية بن خليفة بن فَرْوة بن فضالة بن زيد بن امرئ القيس بن الخزرج ، وهو زيد مناة بن عامر بن بكر بن عامر الأكبر بن عوف بن بكر بن عوف بن عُذْرة ابن زيد اللات بن رُفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن تغلب بن حُلوان بن الحافِ ابن قُضاعة . أسلم دِحية قديماً ، ولم يشهد بدراً ، وكان يشبَّه بجبريل صلى الله عليه وسلم ، وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم دحية المشاهد بعد بدر ، وبَقِى إلى خلافة معاوية .

واوس بن قيظى بن عمرو بن زيد بن جُشَم بن حارثة ، وابناه كَبَاثة وعبد الله ابنا أوس ، شَهِدا أُحُداً ، وحضر معهما عرابة بن أوس بن قيظى يوم أُحُد ، فاستُصغِر فردّ ، وعرابة هو الذى قال الشماخ بن ضرار فيه :

إذا بلّغتنى وحَمَلْتِ رحلــى عَرابة فاشرقى بدَمِ الوتين(١)

(١) ديوانه ٣٧ ، وروايته : « وحططت رحلى » .

وعثمان بن حُنيف بن واهب بن عُكَيم بن ثعلبة بن الحارث بن مَجْدعة بن عمرو ابن حَنَش بن عوف بن عمرو بن عوف ، كان يكْنَى أبا عبد الله ، وكان عمر بن الخطاب بعثه على مسح أرض العراق ، وكان عاملَ علىٍّ عليه السلام على البصرة ، حين بُويع له ، وتُوفىَ فى خلافة معاوية .

وحسّان بن ثابت بن المنذر بن حَرَام بن عمرو بن زيد مناة بن عدىّ بن عمرو ابن مالك بن النجار . شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويكنى أبا الوليد ، وكان قديم الإسلام ، ولم يشهد مع رسول الله مشهداً ، وكان يَجْبُن ، وتوفى فى خلافة معاوية وله عشرون ومائة سنة ، عاش فى الجاهلية ستين سنة وفى الإسلام ستين سنة .

ونوفل بن معاوية بن صخر بن يعمر بن نُفَاثة بن عدى بن الدِّيل بن بكر بن عبد مناة ابن كنانة . وهم بيت بنى الدِّيل ، وكان معاوية أبو نوفل على بنى الدِّيل يوم الفِجَار ، وله يقول تأبّط شرا :

فلا وأبيها ما نزلنا بعامرٍ ولا عامرٍ ولا النّفاثىّ نوفلِ

وابنه سلمى بن نوفل . كان أجود العرب ، وله يقول الشاعر الجعفرى :

نسوّدُ أقواماً وليسوا بســـــادةٍ بل السيّد المحمود سَلْمَى بن نوفلِ

وذكر محمد بن عمر أن أبا بكر بن عبد الله بن أبى سبرة حدّثه عن مُجوثة بن عبيد الديلى ، قال عَمرٌ نوفل بن معاوية الديلىّ فى الجاهلية ستين سنة ، وفى الإسلام ستين سنة . قال : وكان شهد مع المشركين من قريش بدراً وأُحُداً والخندق ، وكانت له نكاية وذكرٌ ، ثم أسلم بعد ذلك ، وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتحَ مكة وحُنيناً والطائف ، ونزل المدينة فى بنى الدِّيل ، وقد روى نوفل بن معاوية عن النبىّ صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم . وتُوُفِّىَ نوفل بالمدينة فى خلافة يزيد بن معاوية ، لعنهما الله .

وعرابة بن أوس بن قيظىّ بن عمرو بن زيد بن جُشَم بن حارثة بن الحارث ، شهد أبوه أوْس بن قيظى وأخواه عبد الله وكَبَاثة ابنا أوس أُحُداً واستُصغِر عرابة فَرُدّ ، وأجيز فى الخندق .

قال ابن عمر : حدّثنا عمر بن عقبة ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : كان عَرابة بن أوس يوم أُحُد ابنَ أربع عشرة سنة وخمسة أشهر ، فردّه رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، وأبَى أن يجيزه .

قال محمد : وعَرابة بن أوس هو الذى مدَحه الشَّماخ بن ضِرار ، وكان قدم المدينة ، فأوْقَر له راحلته تمراً ، فقال :

رأيتُ عَرابة الأوسيَّ يَنمِــــى ... إلى الخيراتِ منقطعَ القرينِ[1]

إذا ما رايةٌ رُفعتْ لمجــــدٍ ... تلقَّـــاها عرابةُ باليمـــينِ

وعبيد الله بن العباس بن عبد المطلب ، ولَد عُبيد الله محمداً — وبه كان يكنى — والعباس ، والعالية ، تزوجها علىٌّ بن عبد الله بن العباس ، فولدت له محمدَ بن علىّ — وفى ولده الخلافة من بنى العباس — وعبد الرحمن وقُثَم — وهما اللّذان قتلهما بسرُ ابن أبى أرطاة العامرىّ باليمن — وكان عبيد الله بن العباس أصغر سنًّا من عبد الله ابن العباس بسنة ، وقد سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وروى عنه ، وبقى عبيد الله ابن العباس إلى أيام يزيد بن معاوية ، واستعمل علىّ بن أبى طالب عليه السلام عبيد الله بن عباس على اليَمن ، وأمَّره على الموسم ، فحجّ بالناس سنة تسع وثلاثين ، فاصطلح الناس تلك السنة على شيبة بن عثمان بن أبى طلحة ، فحجّ بهم . وكان عبيد الله بن العباس سيّداً شجاعاً سخيًّا ، كان ينحرَ كلَّ يوم جَزوراً ، وكان على مقدّمة الحسن بن علىّ عليه السلام إلى معاوية ، وأخوه لأبيه وأمّه قُثَم بن العباس ، غزا خراسان وعليها سعيد بن عثمان ، فقال : أضربُ لك بألف سهم ؟ فقال : لا بل أخْمِس[2] ثم أعْطِ الناس حقوقهم ، ثم اعطِنِى بعدُ ما شئتَ . وكان ورِعاً فاضلا ، وتوفى قُثَم بِسَمَرْقند .

قال أبو جعفر : وقال علىّ بن محمد : ولىَ قُثَم بن عباس لعلىٍّ مكة ، وأقام للناس الحج ، وكان يشبّه بالنبى صلى الله عليه وسلم .

ومعبد بن العباس وكثير بن العباس ، قال علىّ بن محمد المدائنىّ : أم كثير وتمام أمّ ولد رومية ، يقال لها مُسْلية ، ومات كثير بينبع بالذّبْحة ، وتَمّام بن العباس ، وكان من أشدّ أهل زمانه بطشاً ، وكان أصغر ولد أبيه .

وعبد الله بن زَمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصىّ ،

---

(١) ديوانه ٣٧ .

(٢) أخمس ، أى أعطى من خمس الغنائم .

وأمه قَريبة الكبرى ابنة أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وأمّها عاتكة ابنة عبد المطلب بن هاشم .

وعامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى ، وأمه البيضاء وهى أم حكيم ابنة عبد المطلب بن هاشم ، أسلم عامر بن كريز يوم فتح مكة ، وبقىَ إلى خلافة عثمان بن عفان ، وقدم على ابنه عبد الله بن عامر البصرة ، وهو واليها لعثمان بن عفان .

وأبو هاشم بن عقبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف ، أسلم أبو هاشم يوم فتح مكة ، وخرج إلى الشأم فنزلها حتى مات .

وقيس بن مَخْرمة بن المطلب بن عبد مناف .

والصلت بن مَخْرمة بن المطلب بن عبد مناف بن قصى أسلم الصلت يوم فتح مكة .

وجُهَيم بن الصّلت بن مَخْرَمة بن المطلب بن عبد مناف .

وعبد الله بن قيس بن مَخْرَمة بن المطلب بن عبد مناف . أسْلَم يوم فتح مكّة .

وركَانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف بن قصى ، أسلم فى الفتح ، وقدم المدينة بعد ذلك ، فنزلها إلى أن مات بها فى أول خلافة معاوية ، وأخوه لأبيه وأمّه عُجير بن عبْد يزيد بن هاشم بن المطلب .

وأبو نَبقة ، واسمه عبد الله بن علقمة بن المطلب بن عبد مناف .

والأسود بن أبى البخترىّ ، واسم أبى البخترىّ العاص بن هاشم بن الحارث ابن أسد بن عبد العزى بن قصىّ ، أسلم يوم الفتح ، وأما أبوه أبو البخترىّ فقتل يوم بدر ببدر مشركاً .

وهبّار بن الأسود بن المطلب بن الأسد بن عبد العزى بن قصى . وكان هبّار — فيما ذُكِر عنه — يقول : لمّا ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا إلى الله كنت فيمن عاداه ونصب له وآذاه .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى زينب ابنته مَنْ يقدَم بها من مكّة ،

فعرض لها نفر من قريش فيهم هبّار . فنخَس(١) بها ، وقرع ظهرها بالرُّمح ، وكانت حاملا فأسقِطت فرُدَّت إلى بيوت بنى عبد مناف . وكان هبّار بن الأسود عظيم الجُرْم فى الإسلام ، فأهدرَ دَمَهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان كلّما بعث سرية أوصاهم بهبّار وقال : إن ظفرتم به فاجعلوه بين جَذْمتين من حطب ، وحرِّقوه بالنار ، ثم يقول : إنما يُعذّب بالنار ربّ النار ، إن ظفرتم به فاقطعوا يديه ورجليه ، ثم اقتلوه .

قال أبو جعفر : وذكر محمد بن عمر أن واقد بن أبي ثابت حدثه عن يزيد بن رُومان قال : قال الزّبير بن العوّام :ما رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سريّة قطّ إلاّ قال : إن ظفرتم بهبّار ، فاقطعوا يديه ورجليه ، ثم اضربوا عنقه ؛ فوالله لقد كنت أطلبه وأسأل عنه ، والله يعلم لو ظفرتُ به قبلَ أن يأتىَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقتلتُه ، ثم طلع علَى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا عنده جالس فجعل يعتذر إلى رسول الله ، ويقول : سُبَّ يا محمد من سبّك ، وآذِ من آذاك ، فقد كنتُ موضِعاً فى سبّك وأذاك ، وكنت مخذولا وقد نصرنى الله عز وجل ، وهدانى إلى الإسلام . قال الزبير : فجعلت أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وإنه ليطأطئ رأسه استحياء منه ، مما يعتذر هبّار ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : قد عفوتُ عنك ، والإسلام يجبّ ما كان قبله . وكان أشنا(٢) من أحد ، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم حِلْمُه وما يُحمل عليه من الأذى ، فقال : ياهبّار سبّ مَنْ سَبّك . قال ابن عمر : وحدثنى هشام بن عمارة عن سعيد بن محمد بن جبير بن مُطْعِم ، عن أبيه عن جَدّه ، قال : كنت جالساً مع النبى صلى الله عليه وسلم فى أصحابه فى مسجده مُنصرَفه من الجِعِرَّانة ، فطلع هبّار بن الأسود من باب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما نظر القوم إليه ، قالوا : يارسول الله ، هبّار بن الأسود ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد رأيته فأراد بعض القوم القيام إليه ، فأشار إليه النبى صلى الله عليه وسلم أن اجلس ، ووقف عليه هبّار ، فقال : يا رسول الله ، السّلام عليك ، إنى أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله ، ولقد هربتُ منك فى البلاد وأردتُ اللحوق

(١) كذا فى الأصل والاستيعاب وفى اللسان : « نخس الدابة وغيرها ينخسها نخساً : غرز جنبها أو مؤخرها بعود أو نحوه . وفى سيرة ابن هشام : « ... فروّعها هبّار بالرمح وهى فى هودجها ، وكانت المرأة حاملاً فيما يزعمون فلما ريعت طرحت ذا بطنها » وفى أسد الغابة : « ونخس هودجها » .

(٢) كذا فى أصل الطبرى .

بالأعاجم ، ثم ذكرتُك وعائدتك وفضلك وبرّك وصَفْحَك عمّن جهل عليك ، وكنا يا رسول الله أهل شِرْك فهدانا الله عز وجل بك ، وتنقّذنا[1] من الهلكة ، اصفح عن جهلي ، وعمّا كان يبلغك عني ؛ فإني مقرٌّ بسوءتي معترف بذنبي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد عفوتُ عنك ، وقد أحسن الله بك حيث هداك للإسلام ، والإسلام يَجُبُّ ما قبله .

وهند بن أبي هالة ، واسم أبي هالة النبّاش بن زُرارة بن وَقْدان بن حبيب بن سلامة ابن غُوَيّ بن جِرْوَة بن أسيّد بن عمرو بن تميم ، قدم أبو هالة مكّة ، وأخواه عوف وأنيس ، فحالفوا بنى عبد الدار بن قصيّ بن كلاب ، وأقاموا معهم بمكّة ، وتزوّج أبو هالة خديجة ابنَة خويلد ، فولدت له هنداً وهالة رجُلين ، فمات هالة وأدرك هند الإسلام فأسْلَم ، وكان الحسن بن عليّ عليه السلام يحدّثُ عنه يقول : حدثني خالى هند ابن أبي هالة .

وذُكر عن معمر بن المثنى أنه قال : مرّ هند بالبصرة مجتازاً ، فمات بها ، فلم تقم يومئذ سُوق ولا كلاء[2] ، وقالوا : أخو فاطمة أخو فاطمة صلوات الله عليها !

والمهاجر بن أبي أميّة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، أخو أم سلمة ابنة أبي أمية زَوْج النبيّ صلى الله عليه وسلم لأبيها وأمها ، وكان اسم أبي أمية بن المغيرة سُهَيل ، وهو زاد الركب ، وكان إذا سافر أنفق على أصحابه وأهل رفقته في سفرهم ذلك من عنده فسمِّيَ بذلك زاد الرَّكْب .

قال ابن عمر : حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة ، عن المهاجر بن مسمار ، قال : كان المهاجر بن أمية قد وَجَد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لأمّ سلمة : كلّمي لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهذا يومُه عندك ، فأدخلته في بيتها ، فلمّا دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يُرُعْه إلا مهاجراً آخذ بحَقْوَيْه من خلفه ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : أم سلمة : ارض عنه رضي الله عنك ،

---

(١) في أسد الغابة : « وأنقذنا » .

(٢) الكلاء : مرفأ السفن بالبصرة . وفي الاستيعاب : « إن هند بن أبي هالة هو الذي مات بالبصرة مجتازاً إذ مرّ بها فلم يقم سوق البصرة يومئذ وقالوا : مات أخو فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فرضي عنه ، وولّاه صنعاء ، فانطلق حتى أتى مكّة ، فبلغه أن العَنْسيّ قد خرج بصنعاء ، فرجع إلى المدينة ، فلم يزل بها حتى تُوُفِّيَ النبي صلى الله عليه وسلم ، وولّاه أبو بكر صنعاء ، فمضى فى ولايته ، قال : فقلت لابن أبى سَبْرة : فإن رِوَايتنا أن النبيّ صلى الله عليه وسلم بعثه عاملا ، فتُوُفِّيَ النبي صلى الله عليه وسلم وهو بصنعاء فقال : هكذا أخبرنى مهاجر بن مسمار .

وصفوان بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جُمح بن عمرو بن هَصيْص ، كان يكنى أبا وهب .

قال ابن عمر : حدّثنا عبد الله بن يزيد الهذلىّ ، عن أبى حصين ، قال : استقرض رسول الله صلى الله عليه وسلم مِنْ صفوان بن أمية بمكّة خمسين ألفاً ، فأقرضه .

قال محمد بن عمر : ولم يزل صَفْوان صحيح الإسلام ، ولم يبلغنا أنه غزا مع رسول الله ولا بعده ، ولم يزل مقيماً بمكّة إلى أن مات بها فى أول خلافة معاوية .

وعبد الله بن سعد بن أبى سرْح بن الحارث بن حبيب بن جَذيمة بن مالك ابن حِسْل بن عامر بن لؤى . أسلم قديماً ، وقد كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ارتدّ عن الإسلام ، ثم أسلم يوم فتح مكة ، وقد مضى خبره فى كتابنا المسمّى المذّيل من مختصر تاريخ الرّسل والملوك .

والأقرع بن حابس بن عِقَال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك ابن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم،وكان فى وفد بنى تميم الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه من غنائم حُنَين مائة من الإبل ، وفيه قال عباس ابن مرداس[1] ما قال .

---

(١) قال صاحب الاستيعاب فى ترجمة العباس بن مرداس : ولمّا أعطى رسول الله المؤلفة قلوبهم من سبى حنين الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن مائة من الإبل ونقص طائفة من المائة ، منهم العباس بن مرداس جعل عباس بن مرداس يقول ؛ إذ لم يبلغ به من العطاء ما بلغ بالأقرع بن حابس وعيينة :

أتجعلُ نَهْبى ونهب العبيـــــدِ بين عيينة والأقرعِ

فما كان حَصنٌ ولا حابسٌ يفوقان مرداس فى مجمعِ

وما كنت دونَ امرئ منهمَا ومَنْ تضعِ اليوم لا يُرْفعِ

وصعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع . وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم .

ومن ولده الفرزدق الشاعر بن غالب بن صعصعة ، ومن ولده أيضاً عقال ابن شبّة بن عقال بن صعصعة الخطيب .

والزّبرقان بن بدر بن امرئ القيس بن خلف بن بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد ابن زيد مناة بن تميم ، وكان اسمُ الزّبرقان الحُصين ، وكان شاعراً جميلا ، وكان يقال له قمر نجد ، وكان فى وفد تميم الذين وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم الزّبرقان بن بدر على صدقة قومه بنى سعد ابن زيد مناة بن تميم ، وقُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عليها وارتدّت العرب ، ومنعوا الصدقة وثبت الزّبرقان على الإسلام ، وأخذ الصدقة من قومه فأدّاها إلى أبى بكر.

ومالك بن نُويرة بن جمرة بن عُبيد بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك ابن زيد مناة بن تميم . وقال ابن عمر : حدثنى عتبة بن جَبيرة عن حُصين بن عبد الرحمن ابن عمرو بن سعد بن معاذ ، قال : لما صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحج سنة عشر قدم المدينة فلمّا رأى هلال المحرم سنة إحدى عشرة بعث المصّدّقين فى العرب فبعث مالك بن نويرة على صَدقة بنى يربوع ، وكان قد أسلم، وكان شاعراً ، قال : وكان مالك بن نويرة يسمّى الجَفُول .

ولَبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب الشاعر.

قال ابن عمر : حدثنا موسى بن شيبة بن عمرو بن عبد الله بن كعب بن مالك ابن خارجة بن عبد الله بن كعب ، قال : قدم وفد بنى كلاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم ثلاثة عشر رجلا ، فى سنة تسع ، فيهم لَبيد بن ربيعة،فنزلوا دار رملة

وقد كنت فى القوم ذاتُدْرأ ... فلم أعط شيئًا ولم أمنعِ
فصالاً أفائل أعطيتها ... عديد قوائمها الأربعِ
وكانت نهاباً تلافيتُها ... بكرّى على المهر فى الأجرَع
وإيقاظىَ القوم إن يرقدوا ... إذا هجع الناس لم أهجعِ

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذهبوا فاقطعوا عنى لسانه ، فأعطوه حتى رضى .

بنت الحدث ، ثم جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسلّموا عليه سلام الإسلام ، وأسلموا ورجعوا إلى بلاد قومهم .

قال ابن سعد : أخبرنا نصر بن باب ، قال : حدّثنا داود بن أبي هند عن الشّعبيّ ، قال : كتب عمر بن الخطاب إلى المغيرة بن شعبة وهو عامله على الكوفة ، أن ادعُ مَن قِبَلك من الشعراء فاستنشدهم ما قالوا من الشعر فى الجاهلية والإسلام ، ثم اكتبْ بذلك إلىّ ، فدعاهم المغيرة فقال لِلبَيد : أنشدنى ما قلتَ من الشعر فى الجاهلية والإسلام ، قال : أبدلنى الله عز وجل بذلك سورة البقرة وسورة آل عمران . وقال للأغلب العجلىّ أنشدنى ، قال :

أَرَجَزاً تُريد أمْ قصيدَا لقد سألتَ هيّناً موجودَا

قال : فكتب بذلك المغيرة إلى عمر ، فكتب أن أنقص الأغلب خمسمائة من عطائه ، وزدها فى عطاء لبيد ، فرحل إليه الأغلب ، فقال : أتنقصنى على أن أطعتُك ، قال : فكتب عمر إلى المغيرة أن زد على الأغلب الخمسمائة التى نقصت وأقرّها زيادةً فى عطاء لَبِيد بن ربيعة .

وحُبْشيّ بن جُنادة بن نصر بن أسامة بن الحارث بن مُعيط بن عمرو بن جندل ابن مرة بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ، وبنو مرة بن صعصعة هم بنو سَلول ، وسَلول امرأة وهى أم بنى مرّة ، وهى سلول ابنة ذُهْل بن شيبان بن ثعلبة بها يعرفون وصحب حبْشِىّ بن جنادة النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وشهد مع علىّ عليه السلام مشاهده .

وأبو أمامة الباهلىُّ واسمه صُدَىّ بن عَجلان ، من بنى سَهْم بن عمرو بن ثعلبة ابن غَنْم بن قتيْبة بن معن بن مالك بن أعصُر ، وهو مُنَبِّه بن سعد بن قيس بن عيلان .

وزَيْدُ الخيلُ بن مهلهل بن زيد بن مُنهِب بن عبد رَضا بن المختلس بن ثُوب ابن كنانة بن مالك بن نابل بن أسْوَدان ، هو نَبْهان بن عمرو بن الغوْث بن طيِّئ بن أدد ابن زيد بن يشجُب بن يعرُب بن قحطان . وأمُّ طيِّئ دلّةُ بنت ذى مَنْجشان بن كِلّة ابن ردَمان بن حمير ، ولدتْها أمها على أكَمة يقال لها مَذْحج ، فسمِّيت دَلّة مذحج بتلكَ الأكمة ، فولدُها كلُّهم يقال لهم بنو مذحج ، واسم طيِّئ جُلْهمة وإنما سُمّىَ طيِّئاً فى قول بعضهم ؛ لأنه أوّل من طَوَى المناهل ، وقال بعضهم : لأنه أوّل من طَوَى بئراً ، ومات

زيد الخيل بعد منصرَفه من عند النبي صلى الله عليه وسلم فى موضع ، يقال له فَرْدة . قال هشام عن أبيه : كان يقال لبطن زيد الخيل الذى هو منه بنو المختلس ، وكان لزيد من الولد مِكنف بن زيد ، وبه كان يكنى ، وقد أسلم وصحب النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وشهد قتال أهل الرِّدّة مع خالد بن الوليد ، وكان له بلاء .

وحُرَيث بن زيد ، وكان فارساً صحب النبي صلى الله عليه وسلم ، وشهد قتال أهل الرِّدّة مع خالد بن الوليد وكان شاعراً .

وعروة بن زيد شهد القادسية وقُسّ الناطف ويوم مهران فأبلى ، وقال فى ذلك شعراً وكان زيد الخيل شاعراً .

وعَدِيّ بن حاتم الجواد بن عبد الله بن سعد بن الحشْرج بن امرئ القيس بن عدىّ بن أخزَم بن ربيعة بن جَرْول بن ثعل بن عمرو بن الغوث ابن طَيِّئ ، وكان يكنَى أبا ظريف . شهد عدىّ بن حاتم القادسيّة ويوم مهران وقسّ الناطف والنُّخيلة ، ومعه اللواء ، وشهد الجمل مع أمير المؤمنين علىّ بن أبي طالب عليه السلام ، وفُقِئت عينه يومئذ ، وقتل ابنه وشَهد صفين والنّهروان مع علىّ بن أبي طالب عليه السلام ، ومات فى زمن المختار بالكوفة ، وهو ابن مائة وعشرين سنة .

وعمرو بن المسبّح بن كعب بن طريف بن عَصَر بن غَنْم بن حارثة بن ثوب ابن معن بن عتود بن عُنين بن سلامان بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طَيِّئ ، وكان أرمى العرب ، وله يقول امرؤ القيس :

رُبَّ رامٍ من بنى ثعـــــلٍ مُخرِجٍ كَفَّيْهِ من سُتَرِهْ[١]

وقال وبرة بن الجحْدر المعنى من بنى دَغْش :

زعَبَ الغرابُ وليْتَه لم يَزْعَبِ[٢] بالبَيْن من سَلْمَى وأُمِّ الحَوْشبِ
ليتَ الغرابَ رمَى حَماطَةَ قلبه عمْرٌو بأسهُمِه التى لم تُلغَبِ[٣]

(١) ديوانه ١٢٣ وروايته : « مُتْلِج » أى يدخل كفيه فى القتر ؛ وهى بيوت الصائد التى يكمن فيها لئلا يفطن له الصيد فينفر منه .

(٢) الشطر الأول فى اللسان غير منسوب ؛ قال : يكون زعَب بمعنى أبدل الميم باء .

(٣) حماطة القلب : سواده ، أو حبته . واللغاب : بطن الريش ، وألغب السهم : جعل ريشه لغاباً ، والبيت فى اللسان — لغب ، حمط من غير نسبة .

وعاش عمرو بن المسبّح خمسين ومائة سنة ، ثم أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووفد إليه وأسلم .

والأشعث بن قيس ، وهو الأشجّ بن معد يكربَ بن معاوية بن جبلة بن عدى ابن ربيعة بن معاوية الأكرمين بن الحارث بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور ابن مُرتّع بن كندة ، وهو كندىّ ، واسمه ثور بن عفير بن عدىّ بن الحارث بن مرّة ابن زيد بن يشجُب بن عريب بن كهلان بن سبأ بن يشجُب بن يَعـرُب ابن قحطان . وكان اسم الأشعث معد يكرب ، وكان أبداً أشعث الرأس ، فسمّى الأشعث ، وكان يكنى أبا محمد ، وفَد على النبي صلى الله عليه وسلم فى سبعين راكباً من كِنْدة ، ثم ارتدَّ وأُسِر ، فبُعث به إلى أبى بكر ؛ فتاب فلم يزل مقيماً بالمدينة حتى ندب عمر بن الخطاب فى خلافته الناسَ إلى غزو العراق ، فشخص مع سعد ابن أبى وقاص فشهد القادسيّة والمدائن وجَلولاءَ ونَهاوند ، واختطّ بالكوفة حين اختطها المسلمون ، وبنى بها داراً فى كندة ، ونزلها إلى أن مات . وشهد الأشعث تحكيم الحَكَمَيْن ، وأراد علىّ عليه السلام أن يحكّمَ عبد الله بن العباس مع عمرو بن العاص ، فأبى الأشعث بن قيس ، وقال : لا يحكّمُ فيها مُضريّان ؛ حتى يكون أحدهما يمانيًّا ، فحكّم علىّ عليه السلام أبا موسى الأشعرى ، وكان الأشعث أحد شهود الكتاب . وأخوه سيف بن قيس ، وفد مع الأشعث بن قيس إلى النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ، فأمره أن يُؤذّن لهم ، فلم يزل يُؤذّن حتى مات .

وإبراهيم بن قيس أخوهما وفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، مع الأشعث فأسلم .

والحارث بن سعيد بن قيس بن الحارث بن شيبان بن العاتك بن معاوية الأكرمين ، وفد إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم .

وأماناة بن قيس بن الحارث بن شيبان بن العاتك بن معاوية الأكرمين ، وفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وأسلم ، وقد كان عاش دهراً ، وله يقول عُوضة بن بدا[1] الشاعر :

---

(١) فى الإصابة : « عوضة من بنى براء الشاعر النخعىّ » .

ألا ليتنى عُمِّرتُ يا أمَّ خالدٍ[١] ... كعُمْرِ أماناة بن قيس بن شيبان

لقد عاشَ حتى قيل ليس بميّت ... وأفنى فئاماً من كهولٍ وشُبَّان

حلَّتْ به من بعد[٢] جرْشٍ وحِقْبَةٍ ... دُوَيْهِيةٌ حلّت بنَصر بن دُهمَانِ

فأضحَى كأن لم يَغْنَ فى الناس ساعة ... رهينَ ضريحٍ فى سبائبِ كتان

وكان مع أماناة فى الوفد ابنه يزيد بن أماناة ، وأسلم ، ثم ارتد فقتل يوم النُّجير[٣] مرتداً فى رواية هشام بن محمد .

ومَعْدان بن الأسود بن عبد الله بن الحارث الوَلّادة بن عمرو بن معاوية بن الحارث الأكبر ، وكان يقال لمعدان الجِفْشِيش ، وفد إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، مع الأشعث بن قيس وهو الذى قال : يا رسول الله ألستَ منّا ؟ فسكت مرّتين ثم قال فى الثالثة : إنا لا نَقْفُو أُمنا ولا ننتفى من أبينا ، نحن بنو النَّضر بن كنانة . فقال الأشعث : فضّ الله فاك ألّا سكتَّ ! الجفشيش القائل فى رواية كندة :

أطعنا رسولَ الله إذ كان صادقاً ... فيا عجباً ما بالُ مُلكِ أبى بكر !

أيُورثها بَكراً إذا كان بَعـــدَهُ ... فتلك إذاً واللهِ قاصمةُ الظهرِ

وهذا فى رواية هشام بن محمد ، وأما محمد بن عمر ، فإنه كان يذكر أن هذين البيتين لحارثة بن سراقة بن معد يكرب الكندى ، الذى منع زياد بن لَبيد الصدقة ، وانحاز فيمن ارتدّ .

وقيس بن المَكشُوح ، واسم المكشوح هُبيرة بن عبد بغوث بن الغُزَيلِّ بن سلمة ابن بِدَا بن عامر بن عَوْبَثان بن زاهر بن مُراد ، وإنما سُمِّىَ أبوه المكْشوح ،واسم المكشوح هُبيرة لأنه كُشِح بالنار، أى كُوِى على كَشْحِهِ ، وكان سيّد مراد ، وابنه قيس ، وكان فارس مَذحِج وهو الذى احتزّ رأس العنسى فيما قيل ، فسمَّته مُضَر قيس غُدَرَ ، فقال : لستُ غُدَرَ ؛ ولكنى حَتْف مضر.

وقال محمد بن عمر : حدّثنى عبد الله بن عمرو بن زهير عن محمد بن عمارة بن خزيمة

---

(١) الإصابة : « أم مالك » .

(٢) الجرش والحقبة : المقدار من الوقت .

(٣) النجير : حصن باليمن لجأ إليه أهل الردّة مع الأشعث بن قيس فى أيام أبى بكر ، فحاصره زياد بن لبيد البياضى حتى افتتحه عنده ، وقتل من فيه وأسر الأشعث بن قيس ، وذلك فى سنة ١٢ . ياقوت .

ابن ثابت ، قال : قال عمرو بن معديكرب لقيس بن مكشوح المرادىّ : حين انتهى إليه أمرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا قيس ، أنت سيّد قومك اليوم ، وقد ذُكِر لنا أن رَجُلاً من قريش ، يقال له : محمد ، قد خرج بالحجاز ، يقول : إنه نبيّ ، فانطلق بنا إليه حتى نعلم عِلْمَه ، فإن كان نبياً كما يقول ، فإنه لا يخفى علينا إذا لقيناه اتّبعناه ، وإن كان غير ذلك عِلِمْنا علمه . وإنه إن سبق إليه رجل من قومك سادنا وترأّس علينا ، وكنّاله أذناباً ، فأبى عليه قيس وسفّه رأيه ، فركب عمرو بن معديكرب فى عشرة من قومه ، حتى أتى المدينة ، فأسلم ثم انصرف إلى بلاده .

وصفوان بن عسّال من بنى الرَّبَض بن زاهر بن عامر بن عَوْبثان بن زاهر بن مراد ، وعِداده فى جَمَل أسلم ، وصحب النبى صلى الله عليه وسلم .

وعمرو بن الحمِق بن الكاهن بن حبيب بن عمرو بن الْقَيْن بن رَزَاح بن عمرو ابن سعد بن عمرو بن كعب بن عمرو ، بايع النبى صلى الله عليه وسلم فى حجّة الوداع ، وصحبه بعد ذلك ، ثم كان أحد الذين ساروا إلى عثمان بن عفان ، وشهد المشاهد بعد ذلك مع علىّ بن أبى طالب عليه السلام ، ثم قتِل فى الجزيرة ، قتله ابنُ أم الحكَم .

قال ابن عمر عن عيسى بن عبد الرحمن عن الشعبىّ قال : أوّل رأس حُمِل فى الإسلام رأس عمرو بن الحمِق .

وكُرْز بن علقمة بن هِلاَل بن جُرَيْبة بن عبد نُهم بن حُلَيل بن حبشية بن سَلول بن كعب ابن عمرو بن حارثة بن عمرو مُزَيقِيَاء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغِطريف بن امرئ القيس ابن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ ابن يشجب بن يعرب بن قطحان . أسلم كُرْز يوم فتح مكة ، وكان قد عُمِّر عُمْراً طويلا ، وكان بعض أعلام الحرَم قد عمِىَ على الناس ، فكتب مرْوان بن الحكم إلى معاوية بذلك فكتب إليه : إن كان كرز بن علقمة حيًّا فمرْه ، فليوقفكم عليه ، ففعل فهو الذى وضع مَعالِمَ الحرَم فى زمن معاوية ، وهو على ذلك إلى الساعة .

والحيْسَمان بن إيـاس بن عبد الله بن ضُبيعة بن عمرو بن مازن بن عدىّ بن عمرو ، وكان شريفاً فى قومه ، أسلم فحسُن إسلامه .

ومخنف بن سليم بن الحارث بن عوف بن ثعلبة بن عامر بن ذُهْل بن مازن ابن ذبيان بن ثعلبة بن الدُّول بن سعد مناة بن غامد بن عبد الله بن كعب بن الحارث ابن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد ، أسلم مِخْنَف ، وصحب النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وهو بيت الأزد بالكوفة ، وكان له إخوة ثلاثة ، يقال لأحدهم : عبد شمس ، قُتل يوم النُّخيلة ، والصَّقْعب قُتِل يوم الجمل ، وعبد الله قتل يوم الجمل ، وكان من ولد مِخْنف بن سليم أبو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف ابن سليم الذى يروى عنه أيام الناس .

وفيْروز بن الدّيلمىّ ، ويكنى أبا عبد الله ، وهو من أبناء فارس الذين بعثهم كسرى إلى اليمن ، فنفوا عنها الحبشة ، وغلبوا عليها . قال عبد المنعم : ثم انتسبوا إلى بنى ضَبّة ، وقالوا : أصابنا سباءٌ فى الجاهلية — قد غلط عبد المنعم فيما قال — وإنما كان ذلك أن ضبّة بن أدّ كان له بنون ثلاثة عدَا أحدُهم على أحد ولد ضَبّة فقتله ، فأراد أبوه أن يقتله ، فهرب فلحق بجبال الدَّيْلم ، فولد له أولاد هنالك ، وأولاده إلى اليوم يَذكرون أن عندهم سرجه وأثاثه . وفيروز هو الذى قتل العَنسى الأسود بن كعب الكذّاب الذى تنبّأ باليمن ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قتله الرجل الصالح فيروز بن الديلمىّ . وقد وفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عنه وبعضهم يروى عنه ، فيقول : حدّثنى الديلمىّ الحميرىّ ، وبعضهم يقول: عن الديلمى : وهو واحد ، وهو فيروز الديلمىّ ، وإنما قيل له الحميرىّ لنزوله فى حمير ومخالفته إياهم ، ومات فيروز فى خلافة عثمان .

ذكر أسماء من عاش بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه فرُوى عنه أو نُقِل عنه علم

ذكر أسماء مَنْ عاش بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف .

منهم العباس بن عبد المطلب ، عمّ رسول الله ، وبنوه: الفضل ، وعبد الله ، وعُبيد الله . وكلّ هؤلاء أدركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ورَوَوْا عنه ونُقل عنهم العلم ، وأكبر مَنْ ذكرت من ولد العباس وأسنّهم الفضل ، وبه كان يكنَى العباس ، وهو أقدمهم موتاً . وتوفِّىَ بالشام فى طاعون عَمَواس[1] قبل أبيه .

ثم عبد الله وهو الذى أوسع الناس علماً ومُدّ له فى العمر ، فعاش إلى أيام فتنة ابن الزبير . وعبد الملك بن مروان ، وقد مضى ذكرى تأريخ وفاته وغير ذلك من أموره ، .

ثم عبيد الله ، وكان أصغر الثلاثة من ولد العباس سنًّا ، كان عبد الله أسنَّ منه بسنة ، وتوفِّىَ عبيد الله قبل عبد الله ، كانت وفاة عبيد الله فى أيام يزيد بن معاوية ووفاة عبد الله بعد ذلك بسنين .

وكانت أمّ الفضل وعبد الله وعبيد الله وقُثَم واحدة ، أمُّهم جميعاً أمّ الفضل ، وهى لُبابة الكبرى بنت الحارث بن حَزْن من بنى هلال بن عامر ، وقد كان فى ولد العباس لصُلْبه ممن نقل عنه العلم ، ورويت عنه الآثار غير هؤلاء ، ككثير وتمّام ومعبَد ، غير أنه لا يُعلم لأحدٍ منهم سوى مَنْ ذكرت سماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم يصحُّ .

ومنهم علىّ وعقيل ابنا أبى طالب بن عبد المطلب ، والحسن والحسين ابنا علىّ ابن أبى طالب وعبد الله بن جعفر بن أبى طالب عليهم السلام ، كلّ هؤلاء عاشوا

---

(١) عمواس ، بفتح أوله وثانيه كورة بفلسطين بالقرب من بيت المقدس ، وكان ابتداء الطاعون بها فى أيام عمر بن الخطاب ثم فشا فى الشام فمات فيه خلق كثير من الصحابة وذلك فى سنة ١٨ – ياقوت .

بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونُقِل منهم العلم ورويت عنهم الآثار ، وقد مضى ذكرى تأريخ وفاتهم ومدة آجالهم .

ومنهم الحارث بن نوفل بن الحارث بن المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، من ولده عبد الله بن الحارث بن نوفل ، الذى اصطلح عليه أهلُ البصرة أيام الزبيرية والمروانيّة ببّـة لقّب ، أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عنه .

ذكر بعض ما روى الحارث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآثار

حدثنى علىّ بن سهل الرملىّ ، قال : حدثنا مؤمل بن إسماعيل ، قال : حدّثنا سفيان عن عاصم بن عبيد الله عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عبد الله ابن الحارث بن نَوْفل عن أبيه ، أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم كان إذا سمع المؤذن يقول : أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، قال : كما يقول ، وإذا قال : حىَّ على الصلاة قال لا حول ولا قوّة إلا بالله ، وإذا قال : حىَّ على الفلاح ، قال : لا حول ولا قوة إلا بالله .

حدثنى هلال بن العلاء الرّقىّ ، قال : حدّثنا حفص بن عمر أبو عمر الحوْضىّ ، قال : حدثنا همام ، عن ليث عن علقمة بن مرْثد عن عبد الله بن الحارث عن أبيه ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم علّمهم الصلاة على الميّت : اللهمَّ اغفر لأحيائنا وأمواتنا ، وأصلح ذات بيننا ، وألّف بين قلوبنا ؛ اللّهم هذا عبدُك فلان بن فلان لا نعلم إلّا خيراً كنتَ أعلم به ، فاغفر لنا وله . فقلتُ وأنا أصغر القوم : فإن لم أعلمْ خيراً قال : لا تقل إلا ما تَعْلَم .

ومنهم عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف . كان فيما ذكر أهل السير على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديثَ ؛ منها ما حدّثنا أبو كُريب ، قال : حدثنا ابن فُضيل ، عن يزيد بن أبى زياد ، عن عبد الله بن الحارث ، قال : حدّثنى

عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، أنّ العباس دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مغضَب ، وأنا عنده ، فقال : ما أغضبك ! فقال : يا رسول الله . مالنا ولقريش ! إذا تلاقَوْا تلاقَوْا بوجوه مستبشرة ، وإذا لَقُونا لَقُونا بغير ذلك ، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احمر وجهه ، حتى استدرّ عِرْق بين عينيه - وكان إذا غضب استدرّ - فلما سُرّى عنه ، قال : والذى نفس محمد بيده ، لا يدخل قلب امرئ من الإيمان أبداً حتى يحبّكم لله ولرسوله ، ثم قال : أيها الناس مَنْ آذى العباس ، فقد آذانى ، إنما عمّ الرجل صِنْوُ أبيه .

وربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم ، كان يكنَى أبا أروى ، وهو الذى قال النبيّ صلى الله عليه وسلم يوم فَتْحَ مكة : ألا إن كل دمٍ ومأثرة كانت فى الجاهلية فهو تحت قدمىّ ، وإنّ أوّل دم أضعُه دمُ ربيعة بن الحارث ؛ وذلك أنه كان قُتِل لربيعة ابن فى الجاهلية فأبطل الطلب به فى الإسلام ، ولم يجعل لربيعة التّباعةَ[1] ، قتْلَ قاتلِ ابنه . وعاش ربيعة بعد النبى صلى الله عليه وسلم إلى خلافة عمر ، وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم . وكان - فيما ذكر - أسنَّ من عمه العباس ابن عبد المطلب بسنتين .

ذكر بعض ما روى عنه من الأثر : حدثنا محمد بن حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن عطاء ، عن عبد الله بن ربيعة ، عن أبيه عن رجل من قريش ، قال : رأيتُ النبى صلى الله عليه وسلم فى الجاهليّة وهو واقف بعرَفات مع المشركين ، ورأيتُه فى الإسلام واقفاً موقفه ذلك ، فعرفتُ أن الله عزّ وجلّ وقّفه ذلك .

ذكر موالى بنى هاشم الذين عاشوا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورووا عنه ونُقل عنهم العلم

منهم سلمان الفارسى يكنَى أبا عبد الله ، حدثنى الحارث بن محمد ، قال : حدّثنا ابن سعد قال : أخبرنا إسماعيل بن عبد الله بن زرارة الجرمى ، قال : حدثنا جعفر بن سليمان ، قال : حدّثنا هشام بن حسان ، عن الحسن قال : كان عطاءُ سلمان خمسة آلاف وكان على ثلاثين ألفاً من النّاس يخطب فى عباءة يفترش نصفها

---

(١) التباعة ، بالكسر : ما أتبعت به صاحبك من ظلامة ونحوها ، والمراد بها هاهنا الطلب بالثأر.

ويلبس نصفها . وكان إذا خرج عطاؤه أمضاه ، ويأكل من سفيف[١] يده .

حدثني إسماعيل بن موسى السدّيّ ، قال أخبرني شريك عن أبي ربيعة الإياديّ ، عن ابن بُريدة عن أبيه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله تعالى أمرني بحبّ أربعة ، قيل : يا رسول الله مَنْ هم ؟ سَمّهم لنا ، فقال : عليّ منهم يقول ذلك ثلاثا ، وأبو ذرّ والمقداد وسلمان ، أمرني بحبهم ، وأخبرني أنه يحبّهم . وتُوفي سلمان بالمدائن في خلافة عثمان .

ومنهم أبو رافع مولَى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واسمه أسلم ؛ كان مملوكاً للعباس بن عبد المطلب فوهَبه للنبيّ صلى الله عليه وسلم ، فأعتقه النبيّ صلى الله عليه وسلم وزوّجه مولاته سلمى ، فولدت ابنه عبيد الله بن أبي رافع .

ومنهم أسامة بن زيد الحِبّ بن حارثة ، كان يكنى أبا محمد ، وأمه أمّ أيمن حاضنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومولاته ، وقيل : إنّ أسامة كان يوم تُوُفِّيَ النبيّ صلى الله عليه وسلم ابنَ عشرين سنة ، فسكن بعد النبيّ صلى الله عليه وسلم وادي القرى ، ثم رجع إلى المدينة ، فمات بالجُرف[٢] في آخر خلافة معاوية .

وثَوْبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يكنى أبا عبد الله ، ممّن أنعم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعِتْق ، ولم يزل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى قَبَض الله رسولَه صلى الله عليه وسلم ، فتحوّل إلى الشأم ، ونزل حمص ، وله بها دار صدقة ، وقيل : إنّه من حَكَم بن سعد العشيرة .

ومنهم ضُمَيرة بن أبي ضُمَيرة ، روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني ابن أبي ذئب ، عن حسين بن عبد الله بن ضُمَيْرة ، عن أبيه ، عن جدّه ضميرة ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ بأمّ ضُميرة وهي تبكي ، فقال : ما يبكيك ؟ أجائعةٌ أنت أعاريةٌ أنت ؟ قالت : يا رسول الله ، فُرّق بيني وبين ابني ، فقال رسول الله صلى الله

---

(١) السفيف : الخوص وانظر ص٣٣ .

(٢) الجرف : موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام . ياقوت .

عليه وسلم : لا يفرّق بين والدةٍ وولدها ، ثم أرسل إلى الذى عنده ضُميرة ، فدعاه فابتاعه منه ببكْر .

وزيد أبو يسار ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، روَى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حُدِّثت عن موسى بن إسماعيل ، قال : حدثنا حفص بن عمر الشَّنّىّ ، قال : حدّثنى أبى عمرُ بن مرّة عن بلال بن يسار بن زيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : سمعتُ أبى يحدّث عن جدّى ، أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « من قال : أستغفر الله الذى لا إله إلا هو هو الحىّ القيوم وأتوب إليه غفر له وإن كان فرّ من الزَّحْف » .

ومن حلفاء بنى هاشم

أبو مِرْثد الغنوىّ ؛ حدّثنا محمد بن بشار ، قال : حدّثنا عبد الرحمن ، قال : حدثنا عبد الله بن المبارك ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، قال : حدّثنى بُسْر بن عبيد الله ، قال : سمعت أبا إدريس قال : سمعت واثلةَ بن الأسقع ، يقول : سمعت أبا مرثد الغنوىّ ، يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا تجلسوا على القبور ولا تصلّوا إليها .

وابنه مرثد بن أبى مرثد قُتِل يوم الرَّجيع[1]، حدثنا سليمان بن عبد الجبار قال : حدثنا إسماعيل بن أبان ، قال : حدثنى يحيى بن يعلى الأسلمى ، وكان ثقة ، عن علىّ بن موسى ، عن القاسم ، عن مرثد بن أبى مرثد الغنوىّ ، وكان بَدْرِيًّا ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنْ سركم أن تقبَل صلاتكم فليؤمَّكم خياركم فإنّهم وفدكم فيما بينكم وبين ربكم عز وجل » .

وابن ابنه أُنيس بن مرثد بن أبى مرثد الغَنَوِىّ ، وكان يكنى أبا يزيد ، وكان بينه وبين أبيه فى السنّ إحدى وعشرون سنة . شهد أنيس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فَتْحَ مكّة ، وحُنيناً ، وكان عينَ النبى صلى الله عليه وسلم بأَوْطاس[2] ،

---

(١) الرجيع ماء لهذيل ، به غدر بمرثد بن أبى مرثد وسريّته لما بعثها صلى الله عليه وسلم مع رهط عضل والقارة .

(٢) أوطاس : واد فى هوازن .

وكان أبو مَرْثد حليف حمزة بن عبد المطلب .

حدثني زكرياء بن يحيي بن أبان المِصريّ ، قال : حدثنا أبو صالح كاتب الّليث ، قال : حدّثني الليث بن سعد ، عن يحيي بن سعيد ، قال : كتب إليّ خالد بن أبي عمران ، أنّ الحكم بن مسعود النّجرانيّ ، حدّثه أن أنيس بن أبي مرْثد الأنصاريّ حدّثه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :« ستكون فتنة صَمّاء بَكْماء وعَمْياء ، المضطجع فيها خير من القاعد ، والقاعد خير من القائم ، والقائم خير من الماشي ، والماشي خير من الساعي . ومن أتي فليمدد عنقه » . هكذا حدّثني به زكرياء ابن يحيي ، قال أنيس بن أبي مرثد الأنصاري : وإنما هو أنيس بن مرثد بن أبي مرثد الغنويّ من غنيّ بن يَعصُر بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر.

ذكر من روى عن النبيّ صلى الله عليه وسلم من بني المطلب بن عبد مناف بن قصيّ

فمنهم رُكانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف بن قصيّ ، وهو من مُسْلِمة الفتح ، عاش بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم مات في أول خلافة معاوية .

ومنهم قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف بن قصيّ .

ومنهم جبير بن مُطْعِم بن عديّ بن نوفل بن عبد مناف ؛ كان يكْنَى أبا محمد ، وقيل : أبا عليّ أسلم قبل الفتح ، ونزل المدينة ، ومات بها في خلافة معاوية ، وكان أبوه مطعِم بن عديّ من أشراف قريش ، وكان أجار رسول الله صلى الله عليه وسلم مِنَ المشركين ، فلما كان يوم بدر ، وأُسِر مَنْ أُسر من قريش ، قال : لوكان مطعم بن عديّ حيًّا لوهبت له هؤلاء النَّتْنَى ، لِيده التي كانت له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وله يقول حسان بن ثابت :

فلو كان مجدٌ يُخلِد اليوم واحداً ... من الناس أنجى مَجْدُه اليوم مُطْعِمَا [1]

أَجَرْتَ رسولَ الله منهم فأصبحوا ... عبيدَك ما لَبَّى مُلَبٍّ وأحرما

وقد روى جبير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا كثيراً .

---

(١) ديوانه ٣٩٨ .

ومنهم عقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف بن قصى ، روى عقبة عن النبي صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدّثنا عبد الوهاب ، قال : حدثنا أيوب عن عبد الله ابن أبى مُليكة ، عن عُقْبة بن الحارث ، قال جيء بالنُّعيْمان – أو ابن النعمان – شارباً ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مَنْ كان فى البيت أن يضربوه ، قال : فكنتُ أنا فيمن ضربَه ، فضربناه بالنّعال والجريد .

ومن حلفاء بنى نوفل بن عبد مناف بن قصىّ

عتبة بن غزوان بن جابر بن أهيب بن نُسَيْب بن زيد بن مالك بن الحارث ابن عوف بن مازن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفَةَ بن قيس بن عيلان بن مضر . يكنى أبا عبد الله ، وقيل : أبا غَزْوان قديم الإسلام ممّن هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية ، وهو الذى مَصّر البصرة واختطّها ، وبنى بها المسجد ، روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمِمّا روى عنه ما حدثنا به محمد بن بشار قال : حدّثنا صفوان ابن عيسى الزُّهرىّ ، قال : حدثنا عمرو بن عيسى أبو نعامة العدَوىّ ، قال : سمعتُ خالد بن عمير وشُوَيْساً أبا الرقاد ، قالا : قال عتبة بن غزوان : لقد رأَيتُنى وإنى لسابعُ سبعةٍ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مالنا طعام إلا ورق السَّمُر حتى تقرّحت أشداقنا ، والتقطتُ بُرْدة[1] فشققتُها بيني وبين سعد .

ومن حلفائهم يَعْلَى بن أميّة بن أبىٍّ بن عبيدة بن همام بن الحارث بن بكر ابن زيد بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . وأمه مُنْية بنت جابر ابن أُهيب بن نُسَيب بن زيد بن مالك بن الحارث بن عوف بن مازن بن منصور ، هى عمة عتبة بن غزوان ، وعتبة ويعلَى بن أمية من حُلفاء الحارث بن نوفل بن عبد مناف ابن قصى ، وأسلم يَعْلَى بن أمية وأبوه أمية بن أُبىّ وأخوه سلمة بن أمية ، وأخته نفيسة بنت مُنْية ، شهد يعلَى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حُنيناً والطائف وتبُوك ، وروى هو وأخوه سلمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) البرد : تمر جيد .

ذكر أسماء من نُقِل عنه العلم ممن صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاش بعده من بنى أسد بن عبد العزّى بن قصيّ بن كلاب

منهم الزّبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزّى بن قصيّ ، أمه صفية بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يُكْنَى أبا عبد الله.كان رابع الإسلام أو خامسه يوم أسلم فيما قيل ، وهاجر الهجرتين إلى أرض الحبشة ، ولم يتخلّف عن غزاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وآخى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين عبد الله بن مسعود ، قُتِل بوادى السباع وهو ينصرف عن وقعة الجمل منطلقاً به إلى المدينة يوم الخميس لعشر ليال خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين،ودفن هنالك وهو يومئذ ابن أربع وستين ، وقد روى عن النبيّ صلى الله عليه وسلم حديثاً كثيراً .

وابنه عبد الله بن الزبير وأمه أسماء بنت أبى بكر ، ولد فى شوّال فى السنة الثانية من الهجرة ، وقيل إنّ أمّه أسماء هاجرت إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم وهى حامل به وكان يكنى أبا بكر وأبا خُبيب .

وحكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصيّ وأمه أمّ حكيم بنت زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزّى بن قصيّ ؛ حدثنى الحارث عن ابن سعد عن محمد بن عمر قال : حدثنى المنذر بن عبد الله عن موسى بن عُقبة عن أبى حَبيبة مولى الزبير ، قال : سمعتُ حكيم بن حزام يقول : وُلدت قبل قدوم أصحاب الفيل بثلاث عشرة سنة ، أنا أعقل حين أراد عبد المطلب أن يذبح ابنه عبد الله حين وقع نذره ؛ وذلك قبل مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس سنين ، وكان يكنى أبا خالد . ومات بالمدينة فى خلافة معاوية ، وهو ابن مائة وعشرين سنة . روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من مُسلِمة الفتح ، وابناه خالد وهشام،أسلما معه يوم فتح مكة وأسلم معهما يومئذ أخواهما عبد الله ويحيى ابنا حكيم بن حزام .

ذكر أسماء من روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من بني عبد الدار بن قصيّ بن كلاب

منهم شيبة الحاجب بن عثمان ، وهو الأوقص بن أبي طلحة ، واسمه عبد الله ابن عبد العزّى بن عثمان بن عبد الدار بن قصيّ ، أسلم بحُنين ورسول الله صلى الله عليه وسلم يحارب هَوازن ، روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومنهم عثمان بن طلحة بن أبي طلحة بن عبد العزّى بن عثمان بن عبد الدار ابن قصيّ بن كلاب .هاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هدنة الحديبية فى صفر سنة ثمان .

ومنهم أبو السنابِل بن بَعكك بن الحارث بن السَّباق بن عبد الدار بن قصيّ ابن كلاب،وهو من مُسلِمة الفتح .

ذكر أسماء مَن روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من بني زهرة بن كلاب أخي قصيّ بن كلاب

منهم عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب .

ومنهم سعد بن أبي وقاص واسم أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة ابن كلاب بن مرة ، يكنى أبا إسحاق .

ومنهم المسوّر بن مَخْرَمة بن نوفل بن أُهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ، يكنى أبا عبد الرحمن ، وهو ابن أخت عبد الرحمن بن عوف ، قُبِض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابنُ ثماني سنين ، وقد روى عن رسول الله أحاديث ؛ فمما روى عنه من ذلك ما حدّثني معمر البحرانيّ قال : حدثنا أبو عامر ، قال : حدثنا عبد الله ابن جعفر بن المِسْوَر بن مخرمة ، عن أمّ بكر بنت المسور عن المِسْوَر، قال : مرّ بي يهودى ، وأنا خلف النبي صلى الله عليه وسلم قائم ، والنبي صلى الله عليه وسلم يتوضّأ ،

فقال اليهوديّ : ارفع ثوبه عن ظهره ، فذهبت أرفع ثوبه فنضحَ النبيّ صلى الله عليه وسلم فى وجهى الماء .

ومنهم نافع بن عُتبة بن أبى وقاص بن أُهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ، وهو من مُسلِمة الفتح ، أسلم يوم فتح مَكّة ، وهو أخو هاشم بن عتبة المِرْقال ، وروى نافع بن عتبة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . حدّثنى محمد بن خَلَف العسقلانىّ ، قال : حدّثنا رَوّاد بن الجراح ، عن المسعودىّ عن عبد الملك بن عمير ، عن جابر ابن سمرة عن نافع بن عتبة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تقاتلون جزيرة العرب ، فيفتحها الله عز وجلّ ، وتقاتلون الروم فيفتحهم الله ، وتقاتلون فارس فيفتحهم الله ، وتقاتلون الدّجال ، فيفتحه الله عز وجل » .

ومنهم عبد الرحمن بن أزهر بن عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب ، شهد حُنيناً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنى يونس بن عبد الأعلى الصّدَفى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى أسامة بن زيد الليثىّ ، عن ابن شهاب ، حدّثه عن عبد الرحمن بن أزهر ، قال : كأنّى أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الآن ، وهو فى الرّحَال يلتمس رَحْل خالد بن الوليد يوم حُنين ، فبينا هو كذلك ؛ إذ أُتِيَ برجل قد شرب الخمر ، فقال للناس : اضربوه ، فمنهم مَنْ ضربه بالنعال ، ومنهم مَنْ ضربه بالعصا ، ومنهم مَنْ ضربه بالمِتّيخة — يريد الجريدة الرطبة — ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم تراباً من الأرض فرمى به وَجْهَه .

ومنهم عبد الله بن الأرقم بن عبد يغوث بن أُهَيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب . روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فممّا روى عنه ما حدّثنا به تميم بن المنتصر الواسطى ، قال : أخبرنا يزيد — يعنى ابن هارون — قال أخبرنا محمّد — يعنى ابن إسحاق — عن هشام بن عروة عن أبيه ، عن عبد الله بن الأرقم بن عبد يغوث ، أنّه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : « إذا وجد أحدكم فى بطنه شيئاً ، فحضرت الصلاة فليبدأ بالغائط »

ومنهم صفوان الزهريّ ، حدثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا الحكم بن بشير ، قال : حدثنا بشير بن سلمان ، عن القاسم بن صفوان الزهريّ ، عن أبيه ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « أبْرِدوا بالظهر فإن الحرّ من نوز جهنم » .

وعبد الله بن عديّ بن حَمْراء الزهريّ ؛ حدثني عبد الله بن يوسف الجبيريّ ، قال : حدثنا أحمد بن عبد الرحمن الحرّانيّ ، قال : حدثنا حجاج بن أبي منيع ، عن عبيد الله بن أبي زياد عن الزهريّ ، قال : أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن ؛ أن أبا عمرو بن عديّ بن حمراء الزُّهريّ أخبره ، أنه سمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم وهو واقفٌ بالحَزَوَّرَة في سُوق مكة ، يقول : « والله إنكِ لخيرُ الأرض » ، أو « أحبّ أرض الله عز وجل إليَّ ، ولولا أني أُخرجتُ منك ما خرجتُ » .

ذكر من روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلفاء بني زهرة

عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شَمْخ بن فار بن مخزوم بن صاهلة ابن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر .

ويُكْنَى أبا عبد الرحمن ، وكان مسعود بن غافل أبو عبد الله حالف في الجاهلية عبد بن الحارث بن زهرة .

والمقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة ، الذى يقال له المقداد بن الأسود . كان حالف الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب في الجاهلية ، فتبنّاه الأسود ، وكان يُدعى المقداد بن الأسود ؛ حتى أنزل الله تعالى نَكِرَةً على نبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ادْعُوهمْ لِآبائهم هو أقسطُ عند الله﴾ [1] فقيل له : المقداد بن عمرو .

ومنهم خبّاب بن الأرَتّ بن جَنْدلة بن سعد بن خزيمة بن كعب من بني سعد ابن زيد مناة بن تميم ، كان أصابه سبيٌ ، فبيع بمكة فاشترتْهُ أم أنمار بنت ابن سِبَاع الخُزاعية ، حلفاء عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة ، فأعتقته .

(١) سورة الأحزاب ٥ .

وقيل : بل أم خبّاب وأم سباع واحدة ، فانضم خبّاب بن الأرتّ إلى آل سِباع ، وادّعى حلْف بنى زهرة بهذا السبب ، وقد روى خبّاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً كثيراً .

ومنهم شُرَحبيل بن حَسَنة – وحَسَنة أمه – وهى عَدَوْلِيَّة ، وأبو شُرَحبيل عبد الله ابن المطاع بن عمرو بن كندة حليف لبنى زهرة .

ذكر أسماء من روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى تيم بن مرة

منهم أبو بكر عبد الله بن أبي قُحافة ، واسمه عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب ابن سعد بن تيم بن مرَّة .

ومن بني مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب

خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وكان يكَنَى أبا سليمان وأمّه عَصْماءُ ، وهى لُبَابَة الصغرى بنت الحارث بن حَزْن بن بُجَيْر بن الهُزم بن رُويبَة ابن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة ، وهى أخت أم الفضل بنت الحارث أمّ بنى العباس بن عبد المطلب . وكانت أمّ الفضل أيضاً تسمى لُبابة ، فخالد بن الوليد ابن خالة عبد الله بن العباس ، وابن أخت ميمونة بنت الحارث زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وروى خالد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث .

ومنهم عَيَّاش بن أبى ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وهو أخو أبى جهل بن هشام لأمّه ، أمهما جميعاً أسماءُ بنت مخرّبة بن جندل بن أُبَيْر ابن نَهْشَل بن دارم بن غَنْم ، ممّن هاجر إلى أرض الحبشة مع زوجته أسماء بنت سلمة ابن مُخرِّبة ، فولدت له بأرض الحبشة ابنه عبد الله بن عيّاش ، ثم رجع إلى مكة حتى قُبِض رسول الله ثم رجع إلى الشأم ، فجاهد ثم رجع إلى مكة ، وأقام بها حتى مات بها . وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فممّا روى عنه ما حدثنى به محمد بن سهل بن عسكر البخاريّ قال : حدثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر عن أيوب عن نافع عن عيّاش بن أبى ربيعة ، قال سمعتُ النبي صلى الله عليه وسلم

يقول : « تجيء ريح بين يدى الساعة فتقبض روح كل مؤمن » .

ومنهم عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . أمّه عاتكة بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، وهو أخو أم سلَمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، شهد مع النبي صلى الله عليه وسلم فَتْح مكة ، وحُنيناً والطائف ، فرُمِىَ يوم الطائف بسهم ، فأصابه فقتله – فيما يقول أهل السير – لا اختلاف بينهم فى ذلك .

ومنهم عمر بن أبي سلَمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، ربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو فيما ذكر – ابن تسع سنين ، وشهد مع علىّ عليه السلام الجمل ، ثم استعمله على فارس وتُوُفِّىَ فى خلافة عبد الملك بن مروان بالمدينة ، روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديثَ ، وقد عاش أخوه سلمَة ابن أبى سلَمة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خلافة عبد الملك بن مروان ؛ إلاّ أنه لا تُحفظ له عن رسول الله رواية ، وكان أسنَّ من أخيه عمر بن أبى سلَمة ، وهما جميعاً ابنا أم سلمَة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، فأمّا أبوهما أبو سلمة فتوُفِّى على عهد رسول الله ، واسمه عبد الله بن عبد الأسد .

ومنهم عمرو بن حريث بن عمرو بن عثمان بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . وكان يكنى أبا سعيد ، قُبِض النبيّ صلى الله عليه وسلم – وهو فيما ذَكر – ابن اثنتى عشرة سنة ، سكن الكوفة فمات بها سنة خمس وثمانين .

وقد رَوَى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث ، فممّا رُوِىَ عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ما حدّثنا أبو كُرَيب قال : حدّثنا ابن نمير ووكيع عن إسماعيل ابن أبى خالد عن الأصبَغ مولى عمرو بن حريث عن عمرو بن حريث ، أنه قال : صلّيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان يقرأ فى صلاة الفجر ، فكأنى أسمع صوته : (فلا أقسم بالخُنَّس * الجَوَار الكُنَّسِ) (١) . قال أبو كريب : قال وكيع : قرأ : (إذا الشمسُ كُوِّرَتْ) .

حدثنا عبد الحميد بن بيان القنّاد ، قال : أخبرنا محمد بن يزيد ، عن إسماعيل ابن أبي خالد عن أصبغ – مولًى لعمرو بن حريث – عن عمرو بن حريث ، قال : صلّيتُ

---

(١) سورة التكوير ١٥ ، ١٦ .

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر ؛ فكأني أسمع صوته يقرأ : (فَلاَ أُقْسِمُ بالخُنَّس * الجوار الكُنَّس) ، قال : فذهبتْ بي إليه أمّي فدعا لي بالرزق .

ومنهم أخوه سعيد بن حُريث ؛ وهو أسنّ من عمرو ، ذُكِر أنه شهد فتح مكة مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو ابن خمس عشرة سنة ، ثم نزل بالكوفة بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، مع أخيه عمرو ، وقد رَوَى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمما روى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حدّثنا به ابن بشار ، قال : حدّثنا عبد الوهاب بن عبد المجيد ، قال : حدّثنا إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر عن عبد الملك ابن عمير عن عمرو بن حريث ، عن أخيه سعيد بن حريث ، قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَنْ باع داراً فلم يشتر مكانها داراً فإنه مال قَمِنٌ ألَّا يُبَارَك فيه له » .

ومنهم عبد الله بن أبي ربيعة ، واسم أبي ربيعة عمرو بن مخزوم ، وهو أخو عيّاش ابن أبي ربيعة لأبيه وأمه ، وأبو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة الشاعر ، وأسلم عبد الله ابن أبي ربيعة يوم فتح مكّة ، وكان اسمه بَحِير ، فلما أسلم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدَ الله ، وقد روَى عن النبي صلى الله عليه وسلم .

حدثني سليمان بن عبد الجبار قال : حدّثنا زكرياء بن عديّ ، قال : حدّثنا حاتم ، عن إسماعيل بن إبراهيم المخزوميّ ، عن أبيه عن جده ؛ أنّ النبي صلى الله عليه وسلم : استسلف منه بضع عشر ألفا ، فلما رجع من حُنين دعا به ، فقال : خذْ مالك بارك الله لك في أهلك ومالك « فإنما جزاء السلف الوفاء والحمد » .

ومنهم عِكْرِمة بن أبي جهل ، واسم أبي جهل عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم ، أسلم بعد فتح مكة .

حدّثني أحمد بن عثمان بن حكيم الأوديّ ، قال : حدثنا شريح بن سلمة ، قال : حدّثنا إبراهيم بن يوسف ، عن أبيه ، عن أبي إسحاق ، عن عامر بن سعد ، أن عكرمة بن أبي جهل لما أتى النّبي صلى الله عليه وسلم قال له : « مرحباً بالراكب المسافر ، أو المهاجر » ، قال : فقلتُ : ما أقول يا رسول الله ؟ قال : « قل أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله » ، قال : فقلت : قال ثم قلتُ : ماذا أقول يا رسول الله

قال : « تقول إنى أشهدك يا رسول الله أنى مهاجر » ؛ قال : فقلت : قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما أنت لتسألنّى اليوم شيئاً أعطيه أحداً من الناس إلا أعطيتكه » قال : فقلت : ما أنا لأسألك مالاً إنى لمن أكثر قريش مالا ، ولكن أسألك أن تستغفر لى على قتال قاتلتك ، وعلى نفقة أنفقتها لأصدّ بها عن سبيل الله عزّ وجل ، لئن طالت بى حياة لأضعفنّ ذلك كله .

ومنهم السائب بن أبى السائب أبو عبد الله بن السائب ، وهو فى قول محمد ابن عمر الذى يذكر أنه كان شريكَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجاهليّة ، كذلك حدثنى الحارث عن بن سعد عنه ، فأمّا هشام بن محمد بن الكلبى ، فإنّه قال : كان شريك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجاهلية عبد الله بن السائب ابن أبى السائب ، وأما الوارد فى الخبر فإنّه السائب .

حدّثنا أبو كريب ، قال : حدّثنا مصعب بن المقدام ، عن إسرائيل عن إبراهيم ابن مهاجر ، عن مجاهد عن السائب ، قال : جاء بى عثمان بن عفان وزهير بن أمية ، فاستأذنّا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأثنيا علىّ عنده ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :«أنا أعلم به منكما ، ألم تكن شريكى فى الجاهلية ؟» قلت نعم ، بأبى أنت وأمى ، فنعم الشريك كنتَ لا تمارِى ولا تبارِى ، فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يا سائب انظر الأخلاق الحسنة التى كنت تصنعها فى الجاهلية ، فاصنعها فى الإسلام ؛ أقْرِ الضيف ، وأحسنْ إلى اليتيم ، وأكرِم الجار » .

والسائب بن أبى السائب وابنه عبد الله أسلما يوم فتح مَكّة ، وكان عبد الله ابن السائب يكنى أبا عبد الرحمن ، وأما قيس بن السائب فإنه ابنُ عمّ عبد الله ابن السائب،وهو قيس بن السائب بن عويمر بن عائذ بن عمران بن مخزوم ، وهو مولى مجاهد .

كذلك ، قال الواقدى : إن عبد الحميد بن عمران حدثه عن موسى بن أبى كثير عن مجاهد ، قال : هذه الآية نزلت فى مولاى قيس بن السائب . (وعَلَى الذين يُطيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مسْكين)[١]، فأفطر وأطعم لكل يوم مسكيناً .

---

(١) سورة البقرة ١٨٤ .

ومن حلفاء بنى مخزوم ممن عاش بعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عنه

عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن مَذْحِج ، كان ياسر – فيما ذكر – قدم مكة مع أخويه : الحارث ومالك من اليمن فى طلب أخ لهم ، فرجع الحارث ومالك إلى اليمن ، وأقام ياسر بمكة ، فحالف بها أبا حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، واسم أبى حذيفة بن المغيرة مهشّم – وقيل مُهاشم – وكان من المستهزئين ، فزوّجه أبو حذيفة أمَةً له يقال لها سُميّة بنت خباط ، فولدت له عماراً فأعتقه أبو حذيفة ، فلما جاء الإسلام أسلم ياسر وسميّة وعمار ، وشهد عمار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد كلّها ، وعاش بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عنه ، وقُتِل مع علىّ عليه السلام بصِفين .

ومن بنى عدى بن كعب بن لؤى بن غالب ممن عاش بعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عنه

عمر بن الخطاب بن نُفَيْل بن عبد العزى بن رِياح بن عبد الله بن قُرْط بن رزاح ابن عدىّ بن كعب ، وكان يكنى أبا حفص ، وابنه عبد الله ، وكان يكنى أبا عبد الرحمن .

وأخوه زيد بن الخطاب بن نُفيل ، وكان يكنى أبا عبد الرحمن . وكان زيد أسنّ من أخيه عمر ، وأقدم إسلاماً منه ، وكانت معه راية المسلمين يوم اليمامة ، فلم يزل يتقدّم بها – فيما ذكر – ويُضارب بسيفه حتى قُتِل .

وسعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل بن عبد العزّى بن رياح بن عبد الله بن قُرْط بن رَزاح بن عدىّ بن كعب بن لؤىّ ، يكنَى أبا الأعور ، قديم الإسلام ، أسلم قبل أن يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم ، وقبل أن يدعوَ فيها ، ولم يشهد بدراً ، ولكنه شهد أُحداً وما بعد أُحُد من مشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وصفْوان بن أُمية بن خلَف بن وهب بن حذافة بن جُمَح . عاش بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وروى عنه ، وهو من مُسْلِمة الفتح ؛ حدثنى يوسف بن حماد المعنِىّ ، قال : حدثنا عثمان بن عبد الرحمن الجُمحىّ ، عن محمد بن الفضل بن العباس ، قال :

كانت فينا وليمة ، فدخل علينا صفوان بن أُمية فأُتِيَ بالطعام ، فقال : انتهسوا اللحم ؛ فإني سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم يقول : « انتهسوا[1] اللحم فإنه أشهى ، وأهنى وأمرى » .

ومنهم أبو محذورة المؤذن أوس بن مِعْيَر بن لَوْذان بن ربيعة بن سعد بن جُمَح ، وقد قيل في اسمه ونسبه غير ذلك ؛ قيل : إن اسمه سَمُرة بن عُمير بن لَوْذان بن وهب بن سعد ابن جُمَح ، وأنه كان له أخ من أبيه وأمه يقال له أوس ، وعاش بعد النبي صلى الله عليه وسلم حيناً من الزمان ، وروى عنه .

حدثني موسى بن سهل الرملي ، قال : حدثنا محمد بن عمرو بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مُحَيريز ، قال : حدثني أبي عمرو بن عبد الرحمن عن أبيه عن جده عبد الله ابن مُحيريز ، قال : رأيت أبا محذورة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وله شَعْرة ، فقلت : يا عمّ ألا تأخذ من شعرك ؟ فقال : ما كنت لآخذ شعراً مسحه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعا فيه بالبركة .

ومن بني عامر بن لؤيّ بن غالب

ابن أمّ مكتوم مؤذّن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واختُلف في اسمه فقالت : نسّابة المدنيّين اسمه عبد الله ، وقالت نسابة العراقيين اسمه عمرو ، وهم مجمعون على نسبه أنه ابن قيس بن زائدة بن الأصمّ بن رَوَاحة بن حَجَر بن مَعِيص بن عامر بن لؤيّ : وقد قيل في زائدة بن الأصمّ بن هَرِم بن رواحة:عاش بعد رسول الله وروى عنه .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا يحيى بن الضُّريس ، عن أبي سنان ، عن عمرو ابن مرّة ، عن أبي البختريّ ، عن ابن أم مكتوم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً » .

وعامر بن مسعود ، روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثني محمد بن عُمارة الأسدى ، قال : حدّثنا عبيد الله بن موسى ، قال :

---

(١) نهس اللحم : أخذه بمقدم الأسنان ، وفي حديث آخر : « أنه أخذ عظماً فنهس ما عليه من اللحم » .

أخبرنا إسرائيل عن أبي إسحاق ، عن شيخ من قريش ، يقال له عامر بن مسعود ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الصوم في الشتاء الغنيمة الباردة ، أمّا ليله فطويل وأمّا نهاره فقصير» .

ونوفل بن معاوية بن عمرو بن صخر بن يعمر بن نُفَاثة بن عديّ بن الدّيل عاش بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وروى عنه .

حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : حدثنا أبي فُديك ، قال : حدثني ابن أبي ذئب ، عن ابن شهاب ، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، عن نوفل بن معاوية الدّيلي ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من فاتته الصلاة فكأنما وُتِر أهلَه ومالَه .

ومنهم سليمان بن أكيمة الليثي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . حدثنا سعيد بن عمرو السّكوني ، قال : حدثنا الوليد بن سلمة الفلسطيني ، قال : حدثني يعقوب بن عبد الله بن سليمان بن أكمية الليثي ، عن أبيه عن جده ، قال : قلنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنّا لنسمع الحديث لا نقدر على تأديته ، كما سمعناه ، قال : «إذا لم تُحلّوا حراماً ولم تُحرّموا حلالاً وأصبتم المعنى فلا بأس» .

ومنهم فَضَالة الليثيّ . روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثني الحسن بن قَزَعَة الباهليّ قال : حدثنا مسلمة بن علقمة ، عن داود بن أبي هند ، عن أبي حرب ، عن عبد الله بن فضالة ، عن أبيه ، قال : أتيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت ، وعلّمني مواقيت الصلاة ، فقلت : يارسول الله ، إن هذه ساعات متواترات ، وأنا رجل ذو شغل فأخبرني بشيء جامع ، قال : «فما استطعتَ فلا تَدَعنّ العصرين ، قلت : يارسول الله ، وما العصرَان ؟ قال : صلاة قبل طلوع الشمس ، وصلاة قبل غروبها» .

وحدثني إسحاق بن شاهين الواسطيّ ، قال : حدثنا خالد بن عبد الله عن داود عن أبي حرب عن عبد الله بن فضالة الليثي عن أبيه ، قال : علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان فيما علّمني أن قال : «حافظ على الصلوات الخمس» قال : قلت : إن هذه ساعات لي فيهن أشغال ، فأمرني بأمر جامع ، إذا أنا فعلت أجزأ عني . قال :

« حافظ على العصرين » ، قال : وماكانت من لغتنا ؟ قال : قلت وما العصران ، قال : صلاة قبل طلوع الشمس ، وصلاة قبل غروبها .

وشداد بن أسامة بن عمرو ، وهو[1] الهاد بن عبد الله بن جابر بن بشر بن عُتْوارة ابن عامر بن ليث . وكانت عند شداد بن أسامة سَلْمَى بنتُ عميس ، أخت أسماء بنت عميس الخثعمية .

روى شداد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما حُدِّثت عن موسى بن إسماعيل ، قال : حدثنا جرير بن حازم عن محمد بن عبد الله بن أبي يعقوب الضبيّ ، عن عبد الله بن شداد بن الهاد ، عن أبيه ، قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في إحدى - أراه قال : - صلاتَي العشي وهو حامل ، أحد ابني ابنته الحسن أو الحسين عليه السلامَ فتقدّم ، فوضعه عند قدمه اليمنى ، وسجد رسول الله بين ظهرانَيْ صلاته سجدةً أطالها، قال : أبي: فرفعتُ رأسي من بين الناس ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ساجدٌ ، وإذا الغلام على ظهرِه ، فعدتُ فسجدتُ ، فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الناس : يارسول الله ، لقد سجدتَ في صلاتك هذه سجدةً ما كنت تسجدها ، أَفَشَيْءٌ أُمِرْت به أو كان يوحَى إليك ؟ قال كلٌّ ذلك لم يكنْ، ولكن ابني هذا ارتحلني ، فكرهت أن أعجله حتى يقضيَ حاجته .

ومنهم خُفاف بن إيماء بن رَحْضة. بن خُرْبة بن خلاف بن حارثة بن غفار .

روى خُفاف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حدّثنا به ابن بشار ، قال : حدثنا عبد الوهاب بن عبد المجيد ، قال : حدّثنا محمد بن عمرو ، عن خالد بن عبد الله بن حرملة ، عن الحارث بن خُفاف بن إيماء بن رَحْضة ، عن خُفاف بن إيماء ، قال : ركع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم رفع رأسه فقال : « غِفار عفر الله لها ، وأسلم سالمها الله ، اللهم الْعن رِعْلاً وذَكوان وعُصيّة » ، قال خُفاف : فمن أجل ذلك لُعِنَتِ الكفرة .

ورافع بن عمرو أخو الحكم بن عمرو ، روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) في الاستيعاب : « شداد بن الهادي » .

حدثني عبد الرحمن بن الوليد الجرجانيّ قال : أخبرنا مسلم بن إبراهيم ، قال : حدّثنا سليمان بن المغيرة ، قال : حدّثنا حُميد بن هلال ، عن عبد الله بن الصامت ، عن أبي ذرّ ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن مَنْ بعدي من أمتي — أو قالَ « سيكون من أمتي قوم يقرءون القرآن لا يجاوز حلوقهم ، يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرميّة ثم لا يعودون فيه ، شرار الخلق والخليقة » . قال سليمان : وأكثر ظني أنه قال : « سيماهم التخالق » . قال عبد الله بن الصامت : فلقيت رافع ابن عمرو الغِفاري أخا الحكم بن عمرو ، فقلت ما حدِّثت سمعته من أبي ذرّ يقول : كذا وكذا ، وذكرت هذا الحديث له ، فقال : وما أعجبك من هذا ؟ فأنا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومنهم نصر بن عبيدة النصري ، روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا محمد بن عمارة الأسديّ ، قال : حدّثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن عَبَدة بن حَزْن النَّصْرِيّ ، قال : تفاخر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحاب الإبل وأصحاب الغنم ، فقال أصحاب الإبل : ما أنتم يا رعاء الشاء ! هل تحبُّون شيئاً أو تصيبونه ما هي إلا شويهات ، أحدكم يرعاها ، ثم يروّحها ؛ حتى أصْمَتوهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بُعث داود عليه السلام وهو راعي غنم ، وبُعث موسى عليه السلام وهو راعي غنى ، وبُعثتُ أنا وأنا أرعى غنم أهلي بأجْياد » ، فغلبهم أصحاب الغنم .

ومنهم عمُّ الفرزدق ، روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حُدّثتُ عن يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا جرير بن حازم ، قال : حدّثنا الحسن ، عن صعصعة بن معاوية عمّ الفرزدق الشاعر — هكذا قال يزيد — إنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خيراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ)[1] ، قال : حسبي لا أسمع غيرها .

ومنهم سُلَيم بن جابر الهُجيمي أبو جُرَيّ .

حدثني إسحاق بن إبراهيم الصواف ، قال : حدثنا يوسف بن يعقوب السدوسيّ ،

(١) سورة الزلزلة ٧ ، ٨ .

قال : حدثنا عبد الواحد بن واصل ، عن أبي غِفار عن أبي تميمة ، عن أبي جُرَيّ ، قال : انتهيتُ إلى رجل والناس حوله يَصدُرون عن رأيه ، ما قال لهم من شيء رَضَوْا به ، فقلت في نفسي : إنّ هذا لَرَجلٌ ، مَن هذا ؟ قالوا : هذا رسول الله ، قلت : عليك السلام يا رسول الله ، عليك السلام يا رسول الله ، قال : «عليك السلام تحية الميّت ، ولكن قل السّلام عليك » ، قلت : السلام عليك يا رسول الله ، أنت رسول الله ؟ قال : « نعم ، أنا رسول الله الذى إذا أصابك ضرّ فدعوتَه استجاب لك ، وإذا أصابك عام سَنة فدعوته استجاب لك ، وإذا كنت فى أرض — قال : أو فى أرض قَفْر — فضلّت راحلتك فدعوتَه ردّها عليك » ، قال : قلت : بأبي وأمّى يا رسول الله ! اعهد إلىّ عهداً ، قال : « لا تسبنّ أحداً » ، قال : فما سببت بعده حرًّا ولا عبداً ولا شاة ولا بعيراً ، قال : «ولا تزهَدَنّ فى المعروف ، وأن تكلم أخاك وأنت منبسط إليه بوجهك ، فإن ذلك من المعروف ، وارفع الإزار إلى نصف الساق ، وإلاّ فإلى الكعبين ، وإياك وإسبال الإزار ، فإن ذلك من المخيلة ، وإن الله لا يحبّ المخيلة ، وإذا عيّرك رجل بأمر يعلمه فيك فلا تعيّره بأمر تعلمه فيه فيكون وبال ذلك عليك » .

ومنهم حَرْملة العنبرىّ ، روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن المثنىّ ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن مهدىّ قال : حدثنا قرة بن خالد ، عن ضِرْغامة بن عُلَيّة بن حَرْملة العنبرىّ ، قال : حدثنى أبى عن أبيه ، قال : انتهيتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفود من الحىّ ، فصلّى بنا صلاة الصبح ، فجعلت أنظر فى وجوه القوم ، ما أكادُ أن أعرفهم — أىْ من الغَلَس .

سلمان بن عامر الضبّىّ . روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث ؛ منها ما حدثنى بشر بن دِحيةَ البصرى ، قال : حدثنا حمّاد بن زيد ، قال : حدثنا عاصم ، عن حفصة بنت سيرين ، عن الرَّباب ، امرأة من بنى ضَبّة ، أنَّ سلمان بن عامر الضبىّ رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « إذا أفطر أحدكم فليُفطر على تمر ، فإن لم يجد تمراً فليُفْطِر على ماءٍ ، فإنّ الماءَ طهور » .

ومنهم عبد الله بن سَرْجس المُزَنىّ ، روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ .

حدثنا نَصْر بن على الجهضميّ ، قال : حدّثنا نوح بن قيس ، قال : حدّثنا عبد الله ابن عمران عن عاصم الأحول ، عن عبد الله بن سرجس المُزَني ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « السَّمتُ الحسن والتُّؤدة والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزءًا من النبوّة » .

ومنهم ميسرة الفجر ، وهو — فيما قيل — أبو بُديل بن ميسرة ، روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حدثنا بن بشار قال : حدثنا عبد الرحمن ، قال : حدثنا منصور بن سعد عن بُدَيل عن عبد الله بن شقيق عن ميسرة الفجر ، قال : قلت : يا رسول الله ، متى كتِبتَ نبيًّا ؟ قال : « وآدم بين الروح والجسد » .

ومن بنى جَعْدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصة

نابغة بنى جعدة الشاعر ، واسمه قيس بن عبد الله بن عُدَس بن ربيعة بن جعدة روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنى عمر بن إسماعيل الهمْدانىّ ، قال : حدثنا يعلى بن الأشدق العُقيلىّ ، قال : سمعتُ النابغة ، يقول : أنشدتُ النبى صلى الله عليه وسلم شعراً فقلتُ :

بَلغْنا السماء مَجْدَنا وجُدُودَنا ... وإنا لَنَرجو فوق ذلك مَظْهرًا [1]

ولا خيرَ فى حِلمٍ إذا لم تكن له ... بَوَادِرُ تَحْمِى صفوَهُ أن يُكَدَّرَا

ولا خير فى جهلٍ إذا لم يكن له ... حليمٌ إذا ما أوردَ الأمرَ أصدرَا

قال : فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أجدت يا أبا ليلى — ثلاثاً — لا يُفضّ فوك ألاَ أين المظهر يا أبا ليلى ؟ » قلت الجنة ، قال : « الجنة إن شاء الله » .

ومنهم حميد بن ثور الهلالىّ الشاعر .

ومن بنى نمير بن عامر بن صعصعة

أبو زهير النميرىّ ، روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديثَ منها :

ما حدثنى محمد بن عوف الطائى ، قال : حدثنا محمد بن إسماعيل ، قال : حدثنى

(١) الخبر والشعر فى العقد ٢ : ٥٤ .

ضَمْضَم عن شريح ، قال : حدّث أبو زهير النميريّ أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : « لا تقاتلوا الجراد فإنه من جند الله الأعظم » .

ومنهم يزيد بن عامر السُّوائيّ ، كان مع المشركين يوم حُنين ، ثمّ أسلم ، وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا محمد بن يزيد الأدَميّ ، قال : حدثنا معن – يعني ابن عيسى – القزاز ، عن سعيد بن السائب الطائفيّ ، عن أبيه ، عن يزيد بن عامر ، قال : لما كانت انكشافة المسلمين حين انكشفوا يوم حُنين ضَرَب النبي صلى الله عليه وآله وسلم يده إلى الأرض ، فأخذ منها قَبْضةً من تراب فأقبل بها على المشركين ، وهم متبعون المسلمين ، فحثا بها في وجوههم ، وقال : « ارجعوا ؛ شاهت الوجوه ! » قال : فانصرفنا ما يَلْقَى منّا أحدٌ أحداً إلا وهو يمسح القذى عن عينيه .

وحُبْشيّ بن جنادة بن نصر بن أسامة بن الحارث بن مُعيط بن عمرو بن جندل ابن مرة بن صعصعة . صحب النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه أحاديث .

حدثني إسماعيل بن موسى السُّدّيّ ، قال : أخبرنا شريك عن أبي إسحاق عن حبشيّ ابن جنادة السَّلوليّ ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عليٌّ منّي وأنا من عليّ ، لا يؤدِّي دَيْني إلا أنا أو عليّ » .

وحدثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا حكام ، عن عنبسة ، عن أبي إسحاق عن حُبشيّ ابن جنادة السلوليّ ، قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « عليٌّ مني وأنا منه لا يُبلِّغ عنّي إلا أنا أو علي » ، قالها في حجة الوداع .

ومنهم أبو مريم مالك بن ربيعة السَّلوليّ أبو بُرَيد بن أبي مريم . روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن عطاء عن بُرَيد بن أبي مريم عن أبيه ، قال : قام النبي صلى الله عليه وسلم فينا مقاماً حدثنا بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة .

ومنهم الهرماس بن زياد الباهليّ ، روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث منها :

ما حدثني العباس بن أبي طالب ، قال : حدثنا عبد الله بن عمران الأصبهانيّ ،

قال : حدثنا يحيى بن ضُريس الرازيّ ، عن عكرمة بن عمار عن هرماس ، قال : كنتُ رديفَ أبي ، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم على بعير ، يقول : « لبّيك بحجّة وعمرة معاً » .

ومنهم من تغلب جدّ حرب بن عبيد الله من قِبَل أمه ، روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدثنا جرير عن عطاء عن حرب بن عبيد الله عن جدّه أبي أمّه – رجل من بني تغلب – قال : أسلمنا فأتينا النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقلت : إن قومي قد أسلموا ، فعلّمنا ، قال : اذهب فعلّمْهم الصلاة والزكاة ، فحدّثني بزكاة الإبل والبقر والغنم والذهب والفضة ، فأدبرت فحفظت كلّ شيء علّمنيه إلا الزكاة ، فرجعت إليه ، فقلت : إني قد حفظت كل شيء إلا الزكاة فأعادها عليّ ، فلما أدبرت نسيتُها ، فرجعت إليه ، فقلت : قد حفظتُ كلّ شيء إلا الزكاة ، أعشّرهم[1] ؟ قال : لا ، إنما العشور على اليهود والنصارى وليس على المسلمين عشور .

ذكر أسامي من روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن آمن به واتبعه في حياته وعاش بعده من قبائل اليمن

فمنهم – من ولد أوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغَوْث بن نَبْت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ ابن يشجُب بن يعرُب بن قحطان ، وإلى قحطان جِمَاع نسب اليمن ، ثم يختلف في نسب قحطان النسّابون فمنهم من ينسبُه إلى إسماعيل بن إبراهيم فيقول : هو قحطان بن الهمَيسع ابن تَيمُن بن نَبْت بن إسماعيل بن إبراهيم ؛ كذلك كان هشام بن محمد ينسبه ، ويذكر عن أبيه أنه أدرك أهل النسب والعلم ينسبون قحطان كذلك . ومنهم من يقول : هو قحطان بن فالغ بن عابر بن شالخ – قيل بالخاء والحاء – بن أرفخشد بن نوح صلوات الله عليه وعلى جميع الأنبياء . وأمّ الأوس والخزرج – وهما ابنا حارثة – العنقاء

---

(١) عشرهم : أخذ عشر أموالهم ؛ والعشار : قابض العشر .

قَيْلَةُ بنت كاهل بن عُذْرة بن سعد – وهو سعد بن هُذَيْم ، نُسِب إلى هذيم ، وهذيم عبدٌ حبشيّ كان يسمّى هُذَيماً ، لأنه حَضَنَ سعداً فغلب عليه فقيل سعد بن هُذيم. وإنما هو سعد بن زيد بن ليث بن سُود بن أسلم بن الحافِ بن قضاعة . وكان سيّدهم حتى ماتَ – منصرف النبي صلى الله عليه وسلم عن بني قريظة

سعد بن معاذ ، وقد مضى ذكرى أخباره .

ومنهم خزيمة بن ثابت الفاكه بن ثعلبة بن ساعدة بن عامر بن غيّان بن عامر بن خطْمة ، روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث .

حدثني العباس بن أبي طالب ، قال : حدّثنا سعد بن عبد الحميد بن جعفر الأنصاريّ ، قال : حدثنا عبد الله بن محمد بن عمران بن إبراهيم بن محمد بن طلحة ابن عبيد الله . قال : حدثني خُزيمة بن محمد بن عمارة بن خزيمة بن ثابت عن أبيه عن جده عن خزيمة بن ثابت ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتقوا دعوة المظلوم فإنها تُحمل على الغمام ، لقول الله عزّ وجلّ : « وعزتي وجلالي لأنصرنّك ولو بعد حين » .

ومنهم أخو خزيمة بن ثابت ، روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث ؛ منها ما حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : حدثنا أبو زُرْعة ، قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، عن عمارة بن خزيمة بن ثابت ، وخزيمة بن ثابت الذى جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته شهادة رجلين . قال عمارة أخبره عمّه – وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم – أن خزيمة بن ثابت رأى فى المنام أنه سجد على جبهة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتى خُزيمة رسول الله ، فحدّثه ، قال : فاضطجع رسول الله ، ثم قال له : « صدّقْ رؤياك فسجَد على جبهته » .

ومنهم عبد الله بن حنظلة بن الراهب ، روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثني محمد بن إسماعيل السُّلمى ، قال : حدثنا الحسن بن سوّار أبو العلاء ، قال : حدثنا عكرمة بن عمّار عن ضَمْضَم بن جَوْس ، عن عبد الله بن حنظلة بن الراهب ، قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يطوف بالبيت على ناقة لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك .

ومنهم ثمّ من بنى حارثة بن الحارث عُويمر بن أشقر ؛ روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنى العباس بن الوليد البيروتىّ ، قال : أخبرنى أبى قال : حدثنا الأوزاعىّ ، قال : حدثنى يحيى بن سعيد الأنصارىّ ، عن عبّاد بن تميم ، عن عويمر بن أشقر الأنصارى ، ثم المازنىّ ، أنه ذبح أُضحيَّته قبل أن يُصلِّىَ رسول الله ، ثم إنه ذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره ، قال : فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعود لضحيّته .

وحدثنى يونس بن عبد الأعلى الصّدفى ، قال : أخبرنى ابن وهب ، قال : حدثنا عمرو بن الحارث ومالك بن أنس أن يحيى بن سعيد الأنصارى حدّثهما عن عبّاد بن تميم عن عويمر بن أشقر الأنصارى،أنه ذبح ضحيّته قبل أن يغدوَ يوم الأضحى ، وأنه ذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأمره رسول الله أن يعود بضحيّة أخرى .

وحدثنى ابن سنان القزّاز ، قال : حدثنا موسى ، عن حماد عن يحيى بن سعيد عن عباد بن تميم ، عن عويمر بن أشقر ؛ أنّه ذبح قبل أن يصلِّىَ النبى صلى الله عليه وسلم ، فأمره النبى صلى الله عليه وسلم أن يُعيد .

ومنهم مجمِّع بن جارية ، من بنى عمرو بن عوف ، روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث .

حدثنى الحسن بن عرفة ، قال : حدثنا إسماعيل بن عيّاش الحمصىّ ، عن عبد العزيز بن عبيد الله عن يعقوب بن مجمِّع بن جارية ، عن أبيه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج فى جنازة رجل من بنى عمرو بن عوف حتى انتهى إلى المقبرة ، فقال : « السلام على أهل القبور » ، ثلاث مرات ، « مَنْ كان منكم من المؤمنين والمسلمين ، أنتم لنا فَرَطٌ[1] ونحن لكم تَبَعٌ ، عافانا الله عز وجلّ وإياكم » .

ومنهم حذَيفة بن اليمان أبو عبد الله ، أصله من عَبْس بن بَغِيض ، وهو حليف لبنى عبد الأشهل ، روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً كثيراً .

---

(١) فرط ، أى سابقون .

ومنهم أبو أيوب خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد بن عوف بن غَنْم بن مالك بن النّجار ، وهو تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج ، شهد العقبة مع السبعين من الأنصار ، وشهد بدراً وأُحُداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وروى عن رسول الله حديثاً كثيراً .

ومنهم ثابت بن قيس بن شمّاس بن امرئ القيس بن مالك الأغرّ بن ثعلبة بن كعب ابن الخزرج بن الحارث بن الخزرج ؛ روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث .

حدثني يونس بن عبد الأعلى الصَّدفىّ ، قال : أخبرنا ابن وهب قال : حدثنا داود بن عبد الرحمن المكىّ ، عن عمرو بن يحيي المازنى ، عن يوسف بن محمد بن ثابت بن قيس بن شمّاس ، عن أبيه عن جدّه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه دخل عليه فقال : « اكشف الباس ، ربّ الناس ، عن قيس بن شمّاس » ، ثم أخذ تراباً من بُطحان ، فجعله فى قدح فيه ماءٌ فصبّه عليه .

ومنهم أبو اليَسَر كعب بن عمرو ، روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا حميد بن مَسعدة السَّامىّ ، قال : حدثنا بشر بن المفضّل ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن إسحاق ، عن عبد الرحمن بن معاوية ، عن حنظلة بن قيس ، عن أبي اليسَر البدرىّ ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ أحبّ أن يُظله الله فى ظله – وأشار بيده – فلْيُنظِر معسراً أو ليضع له » .

ومنهم عُبيد بن رِفاعة الزُّرقى .

حدثني حوثرة بن محمد المنقرى وسعيد بن الربيع الرازى ، قالا حدثنا سفيان عن عمرو عن عروة بن عامر عن عبيد بن رفاعة الزُّرقى ، قال : قالت أسماءُ : يارسول الله ، إن بنى جعفر تُصيبهم العين أفنَسترقى لهم ؟ قال : « نعم ، فلو كان شيء يسبق القَدَر لسبقت العين .

ومنهم خلاد بن رفاعة بن رافع ، روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا عبيد الله بن سعد الزُّهرىّ ، قال : حدثنا عمى ، عن شريك ، عن عبد الله ابن عون عن علىّ بن يحيي ، عن خلّاد بن رفاعة بن رافع – وكان بدرياً – قال :

جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس ، فصلّى قريباً منه ، ثم انصرف ، فوقف على نبي الله فسلّم عليه فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم : « أعِدْ صلاتك ، فإنك لم تصلّ » ، فصلّى نحواً مما صلّى ثم انصرف . فوقف على النبيّ صلى الله عليه وسلم فسلّم ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « أعِدْ صلاتك ، فإنك لم تصلّ » ، فقال يا نبي الله ، علّمني ، قال : « إذا توجّهت إلى القبلة فكبّر » ثم اقرأ بما شاء الله أن تقرأ ، فإذا ركعت فاجعل راحتيك على ركبتيك ، وامدُد ظهرك ، ومكّن لركوعك ، فإذا رفعت فأقم صُلْبك حتى ترجع العظام فى مفاصلها ؛ فإذا سجدت فمكّن سجودك ، فإذا رفعت ، فاجلس على فخذك اليسرى ، ثم افعل مثل ذلك فى كلّ ركعة وسجدة حتى تفرغ » .

ومنهم زياد بن لَبِيد بن ثعلبة بن سنان ، أحد بني بياضة بن عامر بن زريق . روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبي عن الأعمش ، عن سالم بن أبي الجعْد ، عن زياد بن لبيد ، قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً ، فقال : « وذاك عند أوان ذهاب العلم » ، قلنا : يارسول الله ، وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونقرئه أبناءنا ويُقرئه أبناؤنا أبناءهم إلى يوم القيامة ؟ قال : ثكلتك أمّك زياد ! إن كنتُ لأراك من أفقه رجل بالمدينة أوليس هذه اليهود والنصارى يقرءون التوراة والإنجيل ولا يعملون بشيء مما فيهما !

ومنهم أبو أبي إبراهيم الأنصارى .

حدثني محمد بن عبد الله بن بَزِيع ، قال : حدثنا بشر بن المفضل ، قال : حدثنا هشام الدَّستوائي ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي إبراهيم الأنصارى ، عن أبيه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول فى الصلاة على الميت : « اللهمّ اغفر لحيّنا وميّتنا ، وشاهدنا وغائبنا ، وذكرنا وأنثانا ، وصغيرنا وكبيرنا » . وحدثنيه ابن المثنىّ قال : حدثنا الوليد بن مسلم ، قال : حدثنا الأوزاعيّ ، أنّ يحيى حدثه عن أبي إبراهيم — رجل من بنى عبد الأشهل — حدّثه أن أباه حدّثه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلّى على جنازة ، يقول : « اللهمّ اغفر لأوّلنا وآخرنا وحيّنا وميّتنا ، وذكرنا وأنثانا ،

وصغيرنا وكبيرنا ، وشاهدنا وغائبنا . اللهم لا تحرِمْنا أجره ولا تضلّنا بعده » .

قال يحيى : وحدثني أبو سلمة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله وزاد فيه « ومَنْ أحييْته فأحْيِه على الإسلام ، ومن توفَّيْتَه فتوفّه على الإيمان » .

وعمير الأنصارى روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبي سعيد بن سعيد التغلَبي ، أو الثعلبي — شك الطبرى — عن سعيد بن عمير الأنصارى ، عن أبيه وكان بدريًّا ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : من « صلّى عليَّ من أمتي صلاةً مخلصاً بها من نفسه ، صلى الله عليه بها عشر صلوات ، ورفعه بها عشر درجات ، وكتب له بها عشر حسنات ، ومحا عنه بها عشر سيئات » .

ذكر بعض أسماء من عاش بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن آمن به واتبعه فى حياته وروى عنه بعد وفاته فى سائر قبائل اليمن

ثم من الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب ابن يعرب بن قحطان . ثم من خزاعة وهم بنون لكعب ومُلَيح وعديّ بني عمرو بن ربيعة ابن حارثة بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس ابن ثعلبة بن مازن .

منهم الحصين بن عُبيد بن خلَف بن عبد نُهم بن جُرَيبة بن جهمة بن غاضرة بن حُبْشِيّة بن كعب بن عمرو ، وهو أبو عمران بن حصين ، روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا هارون بن المغيرة ، قال : حدثنا عمرو — يعني بن أبي قيس — عن منصور ، عن ربعيّ ، عن عمران بن الحصين عن أبيه ، أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يُسلم ، فقال : يا محمد ، عبدُ المطلب كان خيراً لقومه منك ، كان يُطعمهم الكَبِد والسّنام ، وأنت تنحرُهم ، ثم قال : علّمني ، فقال : « قل اللهمّ قِني شرّ نفسي واعزم لى على أرشد أمرى » ، ثم أتاه وقد أسلَم ، فقال : ما أقول ؟ قال « قل : اللهم اغفر لى ما أسررتُ وما أعلنت ، وما أخطأت وما عمدت ، وما علمت وما جهلت » .

ومنهم سليمان بن صُرَد بن الجون بن أبى الجَوْن ، وهو عبد العزّى بن منقذ – وكان سليمان يكنى أبا مطرّف . وكان اسمه قبل أن يُسلم يسار ، فلما أسلم سمّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سُليمان – وشهد مع علىّ بن أبى طالب عليه السلام الجمل وصِفّين ، وقد قيل إنه لم يشهد الجمل ، فأما فى شهوده معه صِفّين فلم يُختلفْ فيه ، وقتِل بعين الوردة بناحية قَرْقيسياء قتله يزيد بن الحصين بن نمير، وهو يومئذ رئيس التّوابين وصاحب أمرهم . روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث .

حدثنا نصر بن علىّ الجهضمى ، قال : حدثنا أبى عن شعبة عن عبد الأكرم – رجل من أهل الكوفة – عن أبيه ، عن سليمان بن صُرَد ، قال: أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فمكثنا ليالىَ لا نقدر – أو لا يُقدر – على طعام .

ومنهم حُبَيْش بن خالد الأشعرى بن خُلَيْف روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ما حدثنى أبو هشام محمد بن سليمان بن الحكم بن أيوب بن سليمان بن ثابت بن يسار الكعبى الربعيّ ، قال : حدثنى عمى أيوب بن الحكم بن أيوب عن حزام بن هشام ، عن أبيه هشام بن حبيش ، عن جـده حبيش بن خالد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّ رسـول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج من مكة خرج منها مُهاجراً إلى المدينة ، هو وأبو بكر ومولى أبى بكر عامر بن فُهيرة ، ودليلهما الليثيّ عبد الله بن الأريقط فمرّوا على خيمتىْ أم مَعْبَد الخُزاعية – وكانت بَرْزة جلْدة ، تحتبى بفناء القبّة ثم تسقى وتطعمْ – فسألوها لحماً وتمراً ليشتروه منها ، فلم يصيبوا مَنْ ذلك شيئاً ، وكان القوم مُرْملين – قال أبو هشام مُشتين – ، قال الطبرى . وإنما هو مُسْنِتِين – فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شاة فى كِسْر الخيْمة ، فقال : ما هذه الشاة يا أمّ معبد ؟ قالت : شاة خلّفها الجهد عن الغنم ، قال : هل بها من لبن ؟ قالت : هى أجهدُ من ذلك ، قال : أتأذنين لى أن أحْلُبَها ، قالت : نعم بأبى وأمى ، إن رأيتَ بها حلباً فاحلبها – فدعا بها رسول الله فمسح بيده ضرعها ، وسمّى الله ، ودعا لها فى شاتها ، فتفاجّت[1] عليه ، ودرّت واجترّت ودعا بإناء يُربِض[2] الرّهط ، فحلب فيه ثجًّا حتى علاه البهاء ، ثم سقاها حتى

---

(١) الخبر فى الفائق ١ – ٧٧ تفاجت : التفاج : المبالغة فى تفريج ما بين الرجلين ؛ وهو من الفجّ الطريق .

(٢) الإرباض : الإرواء .

رويت ، وسقى أصحابه حتى رَوَوا ، ثم شرب آخرهم ، ثم أراضوا [١] ، ثم حلَبَ فيه ثانياً بعد بدءٍ حتى ملأ الإناء ، ثم غادره عندها وبايعها ، وارتحلوا عنها ، فقلَّ ما لبثت حتى جاءها زوجها أبو معبد ، يسوق أعنزاً عِجافاً ، تساوكْن [٢] هزلاً ضُحًى ، مُخُّهن قليل . فلما رأى أبو معبد اللبن عَجِب ، وقال : من أين لكِ هذا يا أم معبد ؟ والشاة عازبٌ حِيال [٣] ولا حَلوبَ [٤] فى البيت ، قالت: لا والله إلا أنه مرّ بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا ، قال : صِفيه لى يا أم معبد ، قالت : رأيتُ رجلاً ظاهر الوضاءة ، أبلج الوجه ، حسن الخَلْق ، لم يَعبه نُحلة ولم تُزْرِ به صَعْلة [٥] .

هكذا قال : أبو هشام ، وإنما هو لم تعبهُ ثُجلة ، ولم تُزْرِ به صُقلة [٦] وسيمٌ قسيم [٧] ، فى عينيه دَعَجٌ ، وفى أشفاره وطَف — قال أبو هشام : عَطَف [٨] ، وفى صوته صهل ، قال الشيخ : وهو خطأ وإنما هو صَحَلٍ بالحاء — وفى عنقه سَطَع [٩] . وفى لحيته كثافة أزجّ أقرنُ إن صمت فعليه الوقار ، وإن تكلم سما [١٠] وعلاه ، البهاء ، أجمل الناس وأبهاه من بعيد ، وأحسنه وأحلاه من قريب ، حلو المنطق فصْلٌ [١١] لا نزر ولا هذر ؛ كأن منطقه خرزات نظم يتحدّر ، ربْعة [١٢] لا يأس من طول [١٣] ، ولا تقتحمهُ [١٤]

---

(١) أراضوا ، من أراض الحوض إذا استنقع فيه الماء ، أى نقعوا بالرىّ مرة بعد أخرى .

(٢) تساوكن هزلاً ؛ التساوك : التمايل من الضعف .

(٣) عازب حيال ، أى بعيدة المرعى ، لا تأوى إلى المنزل إلا فى الليل ، والحيال : جمع حائل ؛ وهى التى لم تحمل .

(٤) الحلوب : التى تحلب ، فعول بمعنى فاعلة .

(٥) النحلة : النحول . والصعلة : صغر الرأس .

(٦) الثجلة : عظم البطن . والصقلة : طول الصقل ، وهو الخَصْر .

(٧) القسام : الجمال ؛ ورجل مقسم الوجه وقسيم الوجه .

(٨) العطف : طول الأشفار . والصَّهَل : صوت فيه بحّة .

(٩) السطع : طول العنق .

(١٠) سما : ارتفع وعلا على جلسائه .

(١١) فصل ، أى منطقة وسط .

(١٢) قالوا : رجل ربعة فأنثوا والموصوف مذكر على تأويل نفس ربعة .

(١٣) يروى أنه كان فويق الربعة .

(١٤) لا تقتحمه ؛ أى لا تزدريه .

عينٌ من قِصر ، غصن بين غصنين ، فهو أنضَرُ الثلاثة منظـراً ، وأحسنهم قدراً ، له رفقاءُ يحُفّون به ، إن قال نصتوا لقوله – قال الطَبريّ : وإنما هو أنصتوا لقوله – وإن أمر تبادروا إلى أمره ــ محفودٌ [1] محشود لا عابسٌ ولا مفنّدا – قال أبو هشام : ولا معتدٍ – وهو خطأ . قال أبو معبد هو والله صاحب قُريش الذى ذُكِرلنا من أمره ما ذكر بمكة ، ولقد هممتُ أن أصحبَه إن وجدتُ إلى ذلك سبيلا ، فأصبحَ صوتٌ بمكة عالياً يسمعون الصوت ، ولا يدرون مَنْ صاحبه ، وهو يقول :

جزى اللهُ ربُّ الناسِ خيرَ جزائه ... رفيقيْن قالا خَيمتَىْ أمِّ مَعبـــد
هما نَزَلاها بالهدى واهتدتْ به ... فقد فاز مَن أمسَى رفيقَ محمــدِ
فيالَ قصيٍّ مازَوَى اللهُ عنكُمُ [2] ... به من فَعالٍ لا يُجازى وسُودَد
لِيَهْنِئْ بنى كعبٍ مقـــامُ فَتاتِهم ... ومقعَدُها للمؤمنينَ بمَرْصَـــد
سَلوا أختكم عن شاتهـــا وإنائها ... فإنــكُم إن تسألوا الشاة تَشهَد
دعاها بشـــاةٍ حائلٍ فتحلّبَتْ ... عليــه صَريح ضَرَّةِ الشاةِ مُزبِدِ [3]

قال الطبرى : هكذا أنشدنيه أبو هشام وإنما هو : فتحلبت له بصريحٍ ضرةُ الشاة مزبدِ

فغادَرَها رَهْناً لديها لحالبٍ ... يُردّدُها فى مصدرٍ ثم مَوْرِدِ

فلما سمع بذلك حسان بن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم شبّب يجاوب الهاتف وهو يقول :

لقد خاب قومٌ زال عنهـــم نبيُّهم ... وقُدّسَ مَن يَسرِى إليهم ويَغتدى [4]
تَرحّلَ عن قومٍ فضَلّت عقولهـــمْ ... وحلَّ على قومٍ بنورٍ مجـــدَّدِ
هَدَاهم به بعد الضـــلالة ربُّهم ... وأرشَدَهم ، من يتبعِ الحقَّ يُرشَد
وهل يستوى ضُلاّلُ قوم تَسفَّهوا ... عمًى وهُداةٌ يهتدون بمُهتـــدِ
وقد نزلَت منه على أهـــل يثربٍ ... ركابُ هدى حلّت عليهم بأسعَدِ
نبيٌّ يَرَى مالا يَرَى الناس حولـــه ... ويتلو كتابَ الله فى كلِّ مســجد

---

(١) محفود : مخدوم . ومحشود : مجتمع عليه ، تعنى أن أصحابه يزفون فى خدمته .

(٢) ما زوى الله عنكم ، تعجب أيضاً ، أى شىء زوى الله عنكم .

(٣) الضرّة : أصل الضرع لا يخلو من اللبن .

(٤) ديوانه ٨٧ .

– قال الطبريّ . والذى نرويه « فى كل مشهد » : –

وإن قال فى يوم مقالةَ غائبٍ فتصديقُها فى اليوم أوفى ضُحَى الغَدِ

لِيَهْنِ أبا بكر سعادةُ جَدِّه بصحبته مَن يُسعِدِ اللهُ يَسعَدِ

ليهن بنى كعب مقامُ فتاتهم ومقعدُها للمؤمنين بمرصَدِ

قال : فلحقه فأسلم .

حدثنى إبراهيم القارئ أبو إسحاق الكوفىّ ، قال : حدثنا بشر بن حسن أبو أحمد السكرى ، قال : حدثنا عبد الملك بن وهب المَذْحِجى ، عن الحُرّ بن الصيّاح النّخَعى ، عن أبى مَعْبَد الخُزاعى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ليلة هاجر من مكة إلى المدينة هو وأبو بكر وعامر بن فُهيرة مولى أبى بكر ، ودليلهم عبد الله بن أُرَيْقِط الليثىّ ، فمروا بخيمتى أم معبد الخزاعية – وكانت امرأة بَرْزَةً [1] جلْدة تحتبى وتجلس بفناء الخيمة ثم تطعم وتسقى – فسألوها تمراً ولحماً ليشتروا فلم يصيبوا عندها شيئاً من ذلك ، وإذا القوم مُرمِلون [2] مسنتون فقالت : لو كان عندنا شىء ما أعوزكم القِرَى ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شاة فى كِسْر خيمتها فقال : ما هذه الشاة يا أم معبد ؟ قالت شاة خلَّفها الجَهْد عن الغنم ، قال : فهل بها من لَبنٍ ؟ قالت : هى أجهد من ذلك ، قال : أفتأذنين أن أحلبها ؟ قالت : نعم بأبى وأمى ، إن رأيت بها حلباً ، فاحلُبها فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشّاة فمسح ضَرْعها ، وذكر اسم الله عز وجل ، فتفاجّت ودرّت ، واجترّت ، فدعا بإناءٍ لها يُربِض [3] الرهط ، فحلبَ فيه ثجًّا حتى غلبه الثُّمال [4] ، فسقاها فشربت حتى رَويت ، وسقوا حتى رووا ، وقال : ساقى القوم آخرهم ، فشربوا جميعاً عَللا بعد نَهَل حتى أراضوا ، ثم حلبوا فيه ثانياً عَوْداً على بدءٍ ، فغادَرَه عندها ، فقلّما لبثتْ أن جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزاً حُيَّلاً عِجافاً ، تساوَكُ [5] هزلاً ، مخّهن قليل ، لا نِقْىَ [6] بهنّ ، فلما رأى اللبن عَجِبَ وقال : من أين هذا لكم والشاءُ عَازبة ولا حلوبة فى البيت ؟ قالت : لا والله إ أنه

---

(١) البرزة : العفيفة الرزينة التى يتحدث إليها الرجال .
(٢) المرمل : الذى نفد زاده .
(٣) الإرباض : الإرواء .
(٤) أى يثج لجا . والثمال : الرغوة .
(٥) التساوك : التمايل ضعفاً .
(٦) النقى : مخ العظام .

مرَّ بنا رجل مبارك ، كان من حديثه كيت وكيت ، قال : أراه والله صاحب قريش الذى ذُكِر لنا صِفيه لى يا أم معبد ، قالت : رأيت رجلا ظاهر الوضاءة ، مُتبَلِّج الوجه ، حسن الخلْق لم تَعبْه ثُجْلة ، ولم تزْربه صَعْلة ، وسيم قسيم ، فى عينيه دَعَجٌ ، وفى أشفاره وطَفٌ ، وفى صوته صهل – قال : الطبرى وإنما هو صَحَل – أحور أكحل أزجٌ أقرن ، رجل فى عنقه سطَعٌ ، وفى لحيته كثافة – قال الطبرى : وإنما هو كثاثة – إذا صمت فعليه الوقار ، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء ، كأنَّ منطقه خرزاتٌ نظم يتحَدَّرن ، حُلْوُ المنطق ، فَصْل لا نَزْر ولا هذْر ، أجهر الناس ، وأجمله من بعيد ، وأحلاه وأحسنه من قريب ، رَبْعة لا تشنؤه من طول ولا تقتحمه عين من قصَر ، غصن بين غصنين ، فهو أنضر الثلاثة منظراً ، وأحسنهم قدراً ، له رفقاءُ يحفُّون به ، إن قال سمعوا لقوله ، وإن أمر تبادروا إلى أمره ، محفود محشودٌ لا عابس ولا مفنّد . قال : هذا والله صاحب قريش الذى ذُكِر لنا ، ولوكنت وافقته لالتمست صحبتَه ، ولأفعلنّ ذلك إن وجدت إليه سبيلا ، وأصبح صَوت بمكة عال يسمعونه ولا يدرون من يقوله بين السماء والأرض ، وهو يقول :

جزَى الله ربُّ الناس خيرَ جزائه ... رفيقيْن حَلّا خَيْمتى أم معبَدِ
هُمَا نزلا بالبِرّ وارتحــــلاَ به ... فأفلحَ مَن أمسَى رفيقَ محمــدِ
فيَالَ قصيّ ما زَوَى الله عنــكُم ... به من فَعال لا يجازَى وسُودَد
سَلُوا أختكمْ عن شاتِها وإنائها ... فإنكم إن تسألوا الشاةَ تَشْهَدِ
دعاها بشــــاةٍ حائل فتحلّبَتْ ... له بصَريحٍ ضرَّةُ الشاةِ مُزبِــدِ
فغــادَرَه رَهناً لدَيها بحالِبٍ ... يُدِرُّ لها فى مَصْدَر ثم مَوْرِدِ

فأصبح الناس وقد فقدوا نبيَّهم صلى الله عليه وسلم ، فأخذوا على خيمتىْ أمّ معبد حتى لحقوا النبى صلى الله عليه وسلم . وأجابه حسان ، وهو يقول :

لقدْ خاب قومٌ زالَ عنهم نبيهــمْ ... وقدِّس من يَسْرِى إليه ويَغتدى
ترحَّلَ عن قومٍ فزالتْ عقولهــمْ ... وحلَّ على قوم بنورٍ مجَــدَّدِ
وهلْ يستوى ضُلَّال قوم تَسكَّعُوا ... عَمًى وهُداةٌ يهتدون بمُهتــدِ
نبيٌّ يرى مالا يرَى الناس حولَــه ... ويتلُو كتابَ الله فى كلّ مشهدِ
وإن قال فى يومٍ مقــــالةَ غائبٍ ... فتصديقُها فى ضحْوة اليوم أو غدِ

لِيَهْنِ أبا بكرٍ سعــادةُ جَــدِّه بُصحبْته من يُسْعِدِ الله يَسعَدِ
ويَهْنِ بني كعب مكان فَتاتِهـم ومَقعدُها للمؤمنين بمَرصــدِ

ومنهم هنيدة بن خالد الخزاعى .

حدثنى محمد بن عمارة الأسدىّ ، قال : حدثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن هنيدة بن خالد الخزاعى ، قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل ، إذ أتاه رجل ، فقال : يا رسول الله أعطنى سيفاً ، فلأقاتل به ، قال : لعلك أن تقوم فى الكيُّول[1] قال : فأعطاه سيفاً فأخذ يرتجز وهو يقول :

إنى امرؤ بايعنى خليــلى ونحنُ عند أسفلِ النَّخيلِ
ألاَّ أَخُونَ الدهرَ فى الكَيُّولِ أضربْ بسيفِ اللهِ والرسولِ

قال : فما زال يقاتل حتى عطفوا عليه فقتلوه .

ومنهم نمير الخُزاعىّ .

حدّثنى محمد بن خلَف العسقلانى ، ومحمد بن عوف الطائىّ من أهل حمص ، قالا : حدّثنا الفِرْيابىّ قال : حدثنا عصام بن قدامة ، قال : حدثنا مالك بن نمير الخُزاعىّ ، قال : حدّثنى أبى أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعداً فى الصلاة ، واضعاً ذراعه على فخذه اليمنى رافعاً أصبعه السبّابة قد حناها شيئاً وهو يدعو .

ومنهم نافع بن عبد الحارث .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا عبد الرحمن ، قال : حدثنا سفيان عن حبيب عن رجل عن نافع بن عبد الحارث ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من سعادة المرء المسلم المسكنُ الواسع والجار والصالح والمركب الهنىّ » .

ومنهم عمرو بن شأس .

حدثنا ابن حميـد ، قـال : حدثنا سلمة عن ابن إسحاق ، عن أبـان ابن صالح قال : كنت مع عيسى بن الفضل بن معقل بن سنان الأشجعىّ ، قال : حدّثنى أبو بُردة بن نِيَار مكرَز الأسلمىّ ، عن خاله عمرو بن شأس ، أنّ النبى صلى الله

---

(١) الكيول : آخر الصفوف فى الحرب . والخبر والرجز فى اللسان — كيل مع اختلاف فى الرواية .

عليه وسلم قال : « من آذى عليًّا فقد آذاني » .

ومنهم القعقاع بن أبي حَدْرَد ، روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدّثني محمد بن إبراهيم المعروف بابن صدران ، ويعقوب بن إبراهيم بن جبير الواسطيّ ، قالا : حدثنا صفوان بن عيسى ، قال : حدثنا عبد الله بن سعيد ، عن أبيه ، عن القعقاع بن أبي حَدْرَد الأسلميّ ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « تَمَعْدَدوا [1] واخْشَوْشنوا وانْتَضِلوا وامشوا حفاةً » .

ومنهم معاذ بن أنس الجهنيّ ، حدثنا أبوكريب ، قال : حدثنا سعيد بن الوليد عن ابن مبارك ، عن يحيي بن أيوب ، عن عبد الله بن سليمان ، عن إسماعيل بن يحيي المعافريّ ، أخبره عن سهل بن معاذ بن أنس الجُهني ، عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « مَنْ حمى مؤمناً من منافق يغتابه بعث الله عز وجل إليه ملكاً يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم ، ومن قَفَّى مؤمناً بشيء يريد شينه حبسه الله جل وعز على جسر جهنم حتى خرج مما قال » .

ذكر أسماء من روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأشعريّين

وهم بنو الأشعَر . واسمه نبْت بن أدد بن زيد بن يَشْجُب بن عَرِيب بن زيد ابن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

منهم أبو موسى عبد الله وأخوه أبو بردة .

ومنهم أبو مالك الأشعرى ؛ حدثني يونس بن عبد الأعلى قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني معاوية بن صالح عن حاتم بن كُريب عن مالك بن أبي مريم ، عن عبد الرحمان بن غَنْم الأشعرى ، عن أبي مالك الأشعرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لَيشربن ناسٌ من أمتي الخمر يسمّونها بغير اسمها ويضرب على رءوسهم المعازف ، يخسف الله عز وجل بهم الأرض ، ويجعل منهم قِرَدَةً وَخنَازير »

---

(١) قال في الفائق ٢ : ٢٦٦ : « التمعدد : التشبه بمعدّ في تقشفهم وخشونة عيشهم واطراح زى العجم وتنعمهم وإيثارهم لليان العيش » وقيل : التمعدد الغلظ وانظر النهاية لابن الأثير .

ذكر أسماء مَنْ روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حَضَرموت

منهم وائل بن حُجْر الحضرمى .

ومنهم عبد الرحمن بن عائش الحضرمى .

حدثنى العباس بن الوليد ، قال : أخبرنى أبى قال : حدثنا ابن جابر ، قال : وحدثنا الأوزاعى أيضا قال : حدثنى خالد بن اللجلاج قال : سمعت عبد الرحمن بن عائش الحضرمىّ ، يقول : صلّى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة ، فقال له قائل : ما رأيتُك أسفر وجهاً منك الغداة ! قال : ومالى وقد تبدّى لى ربى فى أحسن صورة ، فقال : فيم يختصم الملأ الأعلى يا محمد ؟ قال : قلت أنت أعلم ياربّ ، فوضع يده بين كتفى ، فوجدت بَرْدها بين ثديىَّ ، فعلمتُ ما فى السماء والأرض ، ثم تلا هذه الآية (وَكَذَلِكَ نُرِى إبراهيم مَلَكوتَ السمواتِ والأرضِ وليكونَ من المُوقِنِين)[1] ، قال : فيم يختصم الملأ الأعلى يا محمد ؟ قلت : فى الكفّارات ربّ ؟ قال : وماهنّ ؟ قلت : المشى على الأقدام إلى الجمعات ، والجلوس فى المساجد خلاف الصلوات ، وإبلاغ الوضوء أماكنه فى المكاره . وقال: من يفعل ذلك يَعِش بخير ويمت بخير ، ويكن من خطيئته كيوم ولدته أمه ، ومن الدّرجات إطعام الطعام ، وبذل السلام ، وأن تقوم بالليل والناس نيام ؛ سَلْ تعطَه . قال : اللهم إننى أسألك الطيبّات وترك المنكرات وحبّ المساكين وأن تتوب علىَّ ، وإذا أردتَ فتنة فى قومٍ ، فتوفّنى غيرَ مفتون فتعلموهنّ ، فوالذى نفسى بيده إنهنّ لحقٌّ .

ومن كندة

غَرَفَة بن الحارث الكَندى .

حدّثتُ عن ابن مهدى عن ابن المبارك عن حرملة بن عمران ، عن عبد الله ابن الحارث الأزدى ، قال : سمعت غرفة بن الحارث الكندىّ قال : شهدتُ

---

(١) سورة الأنعام ٧٥ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حِجّة الوَداع ، وأُتِىَ بالبُدْن[١] ، فقال: ادعوا إلى أبا حسن ، فدُعِىَ فقال : خذ أسفل الحربة ، وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعلاها ، ثم طعنا بها البُدْن ، فلمّا فرغ ركب بغلته ، وأردف عليًّا عليه السلام .

ومنهم عبد الله بن نفيل .

حدثنا عبد الرحمن بن الوليد ، قال : حدّثنا عمر بن سعيد الدمشقى ، قال : حدثنا أبو بكر النهشلى ، عن عبد الله بن سالم عن أبى سلمة سليمان بن أبى سليم ، عن عبد الله بن نُفَيل الكندى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاث قد فرغ الله عزّ وجل من القضاء فيهنّ ، فلا تنتهكوا منهنّ شيئاً ، لا يبغين أحدكم فإن الله عز وجل يقول : (يا أيها الناس إنما بغيُكم على أنفسكم)[٢] ، ولا يمكرنّ أحدكم فإن الله تبارك وتعالى يقول : (ولا يَحيقُ المكرُ السيِّئ إلا بأهلِه)[٣] ولا يَنكُثَن أحدكم ، فإن الله تعالى يقول : (فَمنْ نكَثَ فإنما ينكُثُ على نفسِهِ)[٤].

ومن سائر الأزد ممن روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

مُنيب الأزدى .

حدّثنى موسى بن سهل ، قال حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقى ، قال : حدثنا عتبة بن حماد ، قال : حدثنا منيب بن مدرك الأزدىّ عن أبيه ، عن جدّه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجاهليّة يقول للناس : « قولوا لا إله إلا الله تُفلِحوا » ، حتى انتصف النهار ، فجاءت جارية بُعسّ من ماء ، فغسل وجهه ثم قال : يا بنيّة أبشرى ولا تحزنى ، ولا تخشى على أبيك غلبةً ولا ذلًّا فقلت : مَنْ هذه ؟ فقالوا : زينب ابنته ، وهى يومئذ وَصيفة .

وحدّثنى بهذا الحديث عبد الله بن محمد بن عمرو الغَزّىّ قال : حدثنا إسحاق

(١) البدن ، وواحدها بدنة ، بالتحريك : ما يهدى إلى مكة فى الحج من الأضحية من البقر والإبل والغنم .
(٢) سورة يونس ٢٣ .
(٣) سورة فاطر ٤٣ .
(٤) سورة الفتح ١٠ .

ابن إبراهيم الرمليّ ، قال : حدثنا سليمان بن عبد الرحمن أبو أيوب الدمشقيّ ، قال : حدثنا أبو خليد عتبة بن حماد الحَكَميّ ، قال : حدثنا منيب بن مدرك الأزديّ عن أبيه عن جدّه ، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجاهلية وهو يقول للناس : « قولوا لا إله إلا الله تُفْلِحوا » ، فمنهم من تَفَل فى وجهه ، ومنهم من حثا عليه التراب ، ومنهم من سبّه حتى انتصف النّهار ، فجاءت جارية بعُسّ من ماء ، فغسل وجهه ، ثم قال : « يا بنية أبشرى » ، ثم ذكر سائر الحديث مثل حديث موسى بن سهل .

ومن هَمْدان

وهو أسلَة بن مالك بن يزيد بن أسلَة بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد ابن كهلان بن سبأ .

عبد خير بن يزيد الخَيْوانى ، ويكنى أبا عمارة أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ، وذكر أن كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ورد عليهم ، وأنه يذكر ذلك ، وكان يُعَدّ من أصحاب علىّ بن أبى طالب عليه السلام ، شهد معه صِفّين :

حدثني محمد بن خالد ، قال : حدّثنا مُسهِر بن عبد الملك بن سلع ، قال : حدّثنا أبى ، قال : قلت لعبد خير ، يا أبا عُمارة ، إنّك قد كبرت ، فكم أتى عليك ؟ قال : عشرون ومائة سنة ، قلت : وهل تذكر من أمر الجهّال شيئاً ؟ قال : أذكر أن أمى طبخت لنا قِدْراً ، فقلت ؟ أطعمينا ، فقالت : حتى يجىء أبوكم ، فجاء أبى ، فقال : إن كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاءنا ينهانا عن لحوم الميتة ، قال : فأذكر أنها كانت لحم ميتة ، فأكفأناها .

ومنهم سُويد بن هبيرة من سكان البصرة .

حدثنى عبد الله بن إسحاق الناقد الواسطىّ والحسين بن علىّ الصّدائى ، قالا : حدثنا رَوْح ، قال : حدّثنا أبو نَعامة العدوىّ ، عن مسلم بن بُديل ، عن إياس بن زُهير ، عن سويد بن هبيرة ، قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « خيرُ مال المرء له مُهرةٌ مأمورة أو سِكةٌ مأبورة » . إلى ههنا حديث الصدائى ، وزاد الناقد فى حديثه قال : السكة . النخل ، والمهرة المأمورة . الكثيرة الولد .

ومنهم أبو أبي المنهال .

حدثني زُرَيق بن السُّخْت ، قال : حدثنا شَبَابة بن سوَّار ، قال : حدّثنا سلم ابن أبي هلال عن عبد الملك بن أبي بشير ، عن أبي المنهال ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أدْوأ ما تكون السِّنة ما بين سقوط النّجم إلى طلوعه » .

وعمير بن وهب خال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثني محمد بن عبد الله الهلاليّ أبو مسعود المكتّب ، قال : حدثنا سعيد ابن سلّام ، قال : حدثنا هشام بن الغاز عن محمد بن أبان ، عن عمير بن وهب خال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : أقبل عمير فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم بَسطَ له رداءه ، فقال اجلس ، فقال : أعَلى ردائك أجلس يا رسول الله؟ ! قال : « اجلس فإنما الخال والد » ؛ فلما جلس قال : « ألا أعلّمك كلمات ، مَنْ أراد الله به خيراً علّمه إياه ثم لم يُنسه ذلك حتى يموت ؟ » قال : بلى يا رسول الله ، قال « قل : اللهم إني ضعيف فقوِّني في رضاك ضعفي ، وخذ إلى الخير بناصيتي ، وبلّغني برحمتك ما أرجو من رَحْمتك ، واجعل الإسلام منتهى رغبتي ، واجعل إليّ وُدّاً عند الناس وعهداً عندك » .

وعبد الله بن هلال .

حدثني بشر بن آدم ، قال : حدثنا زيد بن الحُباب ، قال : حدثني بشر بن عمران ، قال : حدّثني مولاي عبد الله بن هلال قال : ذهب بي أبي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فوضع يده على رأسي ، وبرّك عليّ . قال : فرأيته شيخاً كثيراً ، كثير الشَّعر ، صائم النهار ، قائم الليل ، قال : فما أنسى بَرْد يدِ رسول الله صلى الله عليه وسلم على يا فُوخي .

ومنهم عمّ معاذ بن عبد الله بن خُبيب .

حدثني محمد بن معمر ، قال : حدثنا أبو عامر ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي سليمان - شيخ من أهل المدينة - قال : حدثنا معاذ بن عبد الله بن خُبيب ، عن أبيه ، عن عمه ، قال : كنا في مجلس ، فاطلع علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى

رأسه أثرُ ماء ، فقلنا يا رَسول الله ، نراك طيّب النفس ، قال : أجل ، ثم خاض الناس فى ذكر الغنى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا بأس بالغنى لمن اتّقى ، والصحّة لمن اتقى خير من الغنى ، وطيب النّفس من النِّعم » .

أبو فاطمة [1] روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنى محمد بن عوف ، قال : حدثنى محمد بن إسماعيل ، قال : حدثنى أبى ، قال : حدثنى ضمضم عن شُريح بن عُبيد ، قال : كان كَثير بن مرة يحدّث أن أبا فاطمة حدّثهم أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، حَدِّثنى بعمل أستقيم عليه ، فقال : « عليك بالهجرة ، فإنه لا مثل لها » ، فقلت : يا رسول الله ، حدّثنى بعمل أستقيم عليه ، قال : « عليك بالصيام ، فإنه لا مِثْلَ له » ، قال : فقلت : حدّثنى يا رسول الله بعمل أستقيم عليه ، قال : «عليك بالسجود لله عز وجل ، فإنك لن تسجد من سجدة إلا رفعك الله عز وجل بها درجة ، وحطّ عنك بها خطيئة » .

ووهب بن حذيفة .

حدثنا أبوكريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا خالد عن عمرو ابن يحيى ، عن عمه واسع بن حبّان ، عن وهب بن حذيفة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الرجل أحقّ بمجلسه ، فإن قام إلى حاجة ثم رجع فهو أحقّ بمجلسه » .

والحارث بن مالك .

حدّثنى سهل بن موسى الرازىّ ، قال : حدثنا الحجاج بن مهاجر ، عن أيوب ابن خُوط ، عن ليث ، عن زيد بن رُفيع ، عن الحارث بن مالك ، أنه قال : عند رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني مؤمن حقًّا ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انظر ما تقول ، فإن لكلّ قول حقيقة » ؛ قال : يا رسول الله ، عزفتُ نفسى عن الدنيا ، واطمأنّتْ ، فأظمأت نهارى ، وأسهرت ليلى ، فكأنى أنظر إلى عرش ربى عز وجل ، وإلى أهل الجنة حين يتزاورون فيها ، وإلى أهل النار حين يتعاوون فيها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عزفتَ فالزم ، عزفت فالزم » . ثم قال :

---

(١) ذكره فى الاستيعاب ٤ : ١٧٢٦ ، فى الكنى وقال : « أبو فاطمة الليثى ، ويقال : الأزدى ويقال : الدوسى » وأورد حديث السجود .

« مَنْ سره أن ينظر إلى عبدٍ نوّر الله الإيمان فى قلبه ، فلينظر إلى الحارث بن مالك »
فقال الحارث : ادْعُ الله لى بالشهادة ، فدعا له ، فاستُشهد .

وأبو الحمراء ، روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا عبد الأعلى بن واصل . وسفيان بن وكيع ، قالا : حدثنا أبو نعيم الفضل ابن دُكَين ، قال : حدثنا يونس بن أبى إسحاق ، قال : أخبرنى أبو داود عن أبى الحمراء ، قال : رابطت المدينة سبعةَ أشهر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا طلع الفجر جاء إلى باب علىّ وفاطمة عليهما السلام ، فقال : الصلاةَ الصلاةَ (إنما يريد الله لِيُذهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أهلَ البيت ويُطَهِّرَكُمْ تطهيراً)[1] .

والهدّار .

حدثنى محمد بن عوف ، قال : حدثنى أبى قال : حدّثنى شقير مولى العباس ، أنه سمع الهدّار صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول للعباس – ورأى منه إسرافاً فى طعامه من خبز السّميذ وغيره – ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم شبع من خبز البُرّ حتى قبضه الله عزّ وجلّ .

زياد بن مطرف .

حدثنى زكرياء بن يحيى بن أبان المصرىّ قال : حدثنا أحمد بن إشكاب ، قال : حدثنا يحيى بن يعلى المحاربى ، عن عمار بن رُزيق الضبىّ ، عن أبى إسحاق الهمْدانى ، عن زياد بن مطرف ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من أحبّ أن يحيا حياتى ويموت مِيتتى ويدخل الجنة التى وعدنى ربى قضبانا من قضبانها غرسها فى جنة الخلد ، فليتولّ علىَّ بن أبى طالب وذريّته من بعده ، فإنهم لن يخرجوهم من باب هدى ، ولن يُدخلوهم فى باب ضلالة » .

وجنادة بن مالك .

حدثنا أبو كريب ومحمد بن عمر بن الهياج الهمْدانى ، قالا : حدثنا يحيى

---

(١) سورة الأحزاب ٣٣ .

ابن عبد الرحمن ، قال : حدثني عبيدة بن الأسود ، عن القاسم بن الوليد عن مصعب ابن عبد الله الأزديّ عن عبد الله بن جنادة عن جنادة بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : «ثلاث من أخلاق أهل الجاهلية لا يَدَعهنّ أهل الإسلام أبداً : استسقاء بالكواكب ، وطعن في النسبة ، والنّياحة على الميت » .

وأبو أُذَينة(١).

حدثني عُبيد بن آدم بن أبي إياس ، قال : حدّثني أبي ، قال : حدثنا الليث ابن سعد ، عن موسى بن عَلَيّ بن رباح ، عن أبيه عن أبي أذينة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «خير نسائكم الولود الودود المواتية المواسية ، إذا اتّقين الله . وشرّ نسائكم المتبرّجات المختالات هـنّ المنافقات لا تدخل الجنة منهنّ إلا مثل الغراب الأعْصم » .

وابن نضيلة .

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : حدثنا أيوب بن سويد ، قال : حدثني الأوزاعيّ ، عن أبي عبيد ، قال : حدثني القاسم بن مخيمرة ، عن ابن نضيلة . قال : أصابَ الناس في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مجاعة ، فقالوا : يا رسول الله سعّر لنا ، فقال : «لا يسألني الله عن سُنة أحدثتها فيكم لم يأمرني بها ، ولكن سلوا الله عزّ وجلّ من فضله » .

وأبو أبي المعلّى : حدّثني الفضل بن سهل الأعرج ، قال : حدثنا معلّى بن منصور ، قال : حدثنا عبيد الله بن عمرو ، عن عبد الملك بن عمير ، عن أبي المعلّى عن أبيه ، قال : قام النبي صلى الله عليه وسلم عند المنبر ، فقال : «إن قَدَميَّ على تُرْعة من ترع الجنة » .

ومُرّة .

حدثنا الحسن بن عرفة . قال : حدثنا عمر بن عبد الرحمن عن محمد بن جُحادة ، عن محمد بن عجلان ، عن ابنة مرة ، عن أبيها ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

---

(١) ذكره ابن عبد البر في الكنى ، وأورد الحديث المذكور.

« كافل اليتيم له أو لغيره إذا اتقى معى فى الجنة » هكذا – وأشار بأصبعيه المسبحة والوسطى.

وعبيد الله بن مِحْصَن .

حدثنا صالح بن مسمار ، قال : حدّثنا محمد بن عبد العزيز ، قال : حدّثنا مروان عن عبد الرحمن بن أبى شُمَيلة الأنصارى ، عن سلمة بن عبيد الله بن محصن ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أصبح منكم آمناً فى سِرْبِه مُعافًى فى بدنه ، عنده طعام يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا »

وعاصم بن حَذْرة ، حدثنى عمران بن بكار الكَلاعى ، قال : حدثنا يحيى ابن صالح ، قال : حدثنا سعيد بن بشير ، قال :

حدّثنا قتادة عن الحسن ، قال : دخلنا على عاصم بن حَذْرة ، فقال : ما أكل النبى صلى الله عليه وسلم على خوانٍ قطّ ولا مشى معه بوسادة قطّ ، وما كان له بوابٌ قط .

وأبو مريم الفلسطينى .

حدثنا محمد بن سهل بن عسكر ، قال : حدثنا أبو مسهر ، قال : حدثنى صدقة بن خالد ، قال : حدثنا يزيد بن أبى مريم ، قال : حدثنا القاسم بن مخيمرة ، عن رجل من أهل فلسطين يكنّى أبا مريم ، أنه قَدِم على معاوية ، فقال له معاوية : حدّثنا حديثا سمعتَه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من ولاه الله عزّ وجلّ من أمر المسلمين شيئاً فاحتجب عن حاجتهم وخَلّتهم وفاقتهم ، احتجب الله تعالى يوم القيامة عن حاجته وفاقته وخلّته » .

وراشد بن حبيش .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا محمد بن بكر ، قال : حدّثنا سعيد عن قتادة ، عن مسلم بن يسار ، عن أبى الأشعث الصنعانىّ ، عن راشد بن حُبيش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد عُبادَةَ بن الصّامت فى مرضه ، فقال : أتعلمون مَنْ شهداء أمتى ؟ قال : فأَرَمَّ القومُ ، فقال عبادة بن الصامت : سانِدُونى فساندوه ، فقال : الصابر المحتسب ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « إنّ شهداء أمتى إذا لقليل القتل فى سبيل الله

عز وجلّ شهادة ، والطاعون شهادة ، والغرق شهادة ، والبَطن[١] شهادة ، والنُّفَساء يجُرّها ولدها بسَرَرِه[٢] إلى الجنة . وزاد أبو العوّام : سادن بيت المقدس والحَرَق والسّلّ .

وأوس بن شرحبيل ، حدثنى عبد الله بن أحمد بن شبّويه ، قال : حدثنا إسحاق ابن إبراهيم ، قال : حدثنى عمرو بن الحارث ، قال : حدثنى عبد الله بن سالم ، عن الزّبيدِى ، قال : حدّثنا عيّاش بن مؤنس ، أنّ أبا نِمْران الرّحَبِيّ حدّثه أن أوس ابن شرحبيل أحد بنى المجمّع ، حدّثه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَنْ مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلم أنه ظالم ، فقد خرج من الإسلام » .

وعبد الرحمن بن خَنْبَش .

حدثنا عن عبيد الله بن عمر ، قال : حدثنا جعفر بن سليمان الضُّبَعِىّ ، قال : حدثنا أبو التيّاح ، قال : سأل رجل عبد الرحمن بن خَنْبَش — وكان شيخاً كبيراً — فقال يابن خَنْبَش ، كيف صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كادته الشياطين ؟ قال : تحدّرت عليه الشياطين من الجبال والأودية ، يريدون رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم شيطان معه شُعلةٌ من نار ، يريد أن يحرق بها رسول الله . قال : فلمّا رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فزع منهم ، قال : وجاءه جبريل عليه السلام ، فقال : يا محمد ، قل ما أقول . قل : « أعوذ بكلمات الله التى لا يجاوزهن برٌّ ولا فاجر ، من شرّ ما خلق وبَرَ أوذرأ ، ومن شرّ ما ينزل من السماء ، ومن شرّ ما يعرج فيها ، ومن شرّ ما ذرأ فى الأرض ، ومن شرّ ما يخرج منها ، ومن شرّ فِتَنِ الليل والنهار ومن شرّ كلّ طارق إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن ، قال : فطفِئت نارُ الشياطين وهزَمَهم الله عزّ وجلّ .

وابن جُعدُبَه . روَى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا العباس بن الوليد ، قال : أخبرنا سعيد بن منصور عن يعقوب بن عبد الرحمن وعبد العزيز بن أبى حازم ، عن أبى حازم ، عن محمد بن كعب عن ابن جُعدُبة ،

---

(١) البطن : النفاس . وفى ابن الأثير : « أن امرأة ماتت فى بطن » . قال : أراد به النفاس ..

(٢) السّرر : ما تقطعه القابلة .

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله عزّ وجلّ رضىَ لكم ثلاثاً ، وكره لكم ثلاثاً ؛ رضىَ لكم أن تعبدوا الله عز وجل ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا ، وأن تطيعوا مَنْ ولاّه الله تعالى أمركم . وكره لكم قيلا وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال » .

وأبو معتب بن عمرو .

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن الحسن ابن دينار ، عن عطاء بن أبى مَرْوان الأسلمىّ عن أبيه ، عن أبى معتّب بن عمرو ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه حين أشرف على خَيْبر وأنا فيهم : قِفُوا ، ثم قال : « اللهمّ ربّ السموات وما أظلَلْنَ وربّ الأرضين وما أَضْلَلْن ، وربّ الشياطين وما أضْلَلْن ، وربّ الرياح وما ذرَّيْن ، إنّا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ، ونعوذ بك من شرّها وشرّ أهلها وشرّ ما فيها ، أقدموا باسم الله . قال : وكان يقولها لكلّ قرية دخلها .

ذكر تأريخ النساء اللواتى أسلمن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

ذكر من هلك منهن قبل الهجرة :

فمنهن خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العُزّى بن قُصىّ . كانت تكنى أمّ هند ، بابنة لها ولدتْها من عتيق بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، يقال لها : هند ، وبابن لها ولدته من أبى هالة بن النّباش بن زُرارة بن وقْدان بن حبيب ابن سلامة بن غُوَىّ بن جِروة بن أُسيّد بن عمرو بن تميم ، يقال له هند .

قال ابن عمر : حدثنى المنذر بن عبد الله الحزامىّ ، عن موسى بن عقبة ، عن أبى حبيبة مولى الزبير ، قال : سمعت حَكيم بن حزام يقول : توفيت خديجة عليها السلام بنت خويلد فى شهر رمضان سنة عشر من النبوّة ، وهى يومئذ ابنة خمس وستين سنة ، فخرجنا بها من منزلها حتى دفناها بالحَجُون ، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حُفْرتها ، ولم تكن يومئذ سُنّة الجنازة الصلاة عليها . قيل : ومتى ذلك يا أبا خالد ؟ قال : قبل الهجرة بسنوات ثلاث أو نحوها ، وبعد خروج بنى هاشم من الشِّعب

بيسير ، وكانت أوّلَ امرأة تزوّجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولاده كلُّهم منها ، غير إبراهيم بن مارية ، وكانت تُكْنَى أمّ هند بولدها من زوجها أبى هالة التميمىّ .

ذكر من هلك منهن فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة

منهن من بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنتُه رقية وأمّها خديجة .

وكان زَوّجها قبل أن يوحَى إليه عُتْبة بن أبى لهب بن عبد المطلب ، فلما بُعِثَ النبى صلى الله عليه وسلم وأنزل الله عز وجل عليه : (تبّتْ يَدَا أبى لهبٍ) ، قال له أبوه : رأسى من رأسك حرام إن لم تطلّق ابنة محمد ، ففارقها ولم يكن دخل بها ، وأسلمت حين أسلمت أمّها خديجة،وبايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بايعه النساءُ ، فتزوّجها عثمان بن عفان ، وهاجرْت معه إلى أرض الحبشة الهجرتين جميعاً ،وأسقَطت فى الهجرة الأولى من عثمان سِقْطاً [١] ، ثم ولدت له بعد ذلك ابناً ، فسمّاه عبد الله ، وهاجرت إلى المدينة بعد زَوْجها عثمان حين هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومَرِضت ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتجهّز إلى بدر ، فخلّف رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان ، فتوفّيت ورسول الله صلى الله عليه وسلم ببدْر فى شهر رمضان ، على رأس سبعة عشر شهراً ، من مُهاجَر رَسول الله صلى الله عليه وسلم . وقدم زيد ابن حارثة من بدر بشيراً ، ودخل المدينة حين سُوِّىَ التراب عليها .

وزينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمّها خديجة ، وهى أكبر بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوّجها ابن خالتها أبو العاص بن الربيع ، قبل أن يُبعث النبى صلى الله عليه وسلم ، وأمّ أبى العاص هالة ابنة خويلد بن أسد خالة زينب ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وولدت زينب لأبى العاص عليًّا وأُمامة فتوفى علىّ وهو صغير ، وبقيت أُمامة فتزوّجها أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام بعد وفاة فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ذكر محمد بن عمر أن يحيى ابن عبد الله بن أبى قتادة حدّثه عن عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، قال : توفّيت زينب ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أول سنة ثمان من الهجرة .

---

(١) السقط ، بالكسر : الولد يولد لغير تمام

قال الطبريّ : وكانت علّة وفاتها فيما ذُكر أن هبّار بن الأسود كان فيما ذكر لمّا خرجت من مكة تريد المدينة واللحاق بأبيها لحقها ، وهى فى هودجها فدفعها فوقعتْ على صخرة وهى حامل ، فأسقطت وأهراقت الدماءَ فلم يَزل بها وجعها ذلك حتى ماتت منه .

وأمّ كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمّها خديجة كان زوْجها قبل أن يُبعث عُتيبة بن أبى لهب ففارقها للسبب الذى ذكرتُ أن أخاه عُتْبة فارق أختها رقية ؛ وذلك قبل أن يدخل بها ، وهاجرت إلى المدينة مع عيال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما تُوُفِّيت رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم زوَّجها رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان ، وذلك فى شهر ربيع الأول من سنة ثلاث من الهجرة ، فلم تزل عنده حتى ماتت ، ولم تلِدْ له ، وكانت وفاتها فى شعبان سنة تسع من الهجرة ، وغسّلها نساء من الأنصار فيهنّ أم عطية ، ونَزَل فى حفرتها أبو طلحة .

ذكر من توفى من أزواجه على عهده صلى الله عليه وسلم

منهن زينب ابنة خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال ابن عامر بن صعصعة ؛ وهى أمّ المساكين ، كانت تسمَّى بذلك فى الجاهلية فيما ذكر.

وذكر محمد بن عمر أنّ محمد بن عبد الله حدَّثه عن الزهريّ ، قال : كانت زينب ابنة خزيمة الهلالية تُدْعَى أمّ المساكين ، وكانت عند الطفيل بن الحارث ابن المطلب بن عبد مناف ، فطلَّقها .

قال ابن عمر : فحدّثنى عبد الله – يعنى ابن جعفر – عن عبد الواحد بن أبى عون ، قال : فتزوّجها عبيدة بن الحارث ، فقتِلَ عنها يوم بدر شهيداً .

قال ابن عمر : وحدثنا كثير بن زيد عن المطلب بن عبد الله بن حنطب ، قال : وحدّثنا محمد بن قدامة عن أبيه ، قالا : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب ابنة خزيمة الهلالية أمّ المساكين ، فجعلت أمرَها إليه ، فتزوّجها رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، وأشهد أن أصدَقَها اثنى عشرة أوقية وَنَشًّا .(١) وكان تزوّجه إياها فى شهر رمضان على رأس أحد وثلاثين شهراً من الهجرة ، فمكثت عنده ثمانية أشهر ، وتُوُفِّيت فى آخر شهر ربيع الآخر على رأس تسعة وثلاثين شهراً ، وصلّى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفنها بالبقيع . قال ابن عمر : سألتُ عبد الله بن جعفر : مَنْ نَزل فى حفرتها ؟ قال : إخوة لها ثلاثة ، قلتُ له : كم كان سنّها يوم ماتت ؟ قال : ثلاثين سنة أونحو ذلك .

ومنهن ريحانة بنت زيد بن عمرو بن خُناقة بن سمعون بن زيد من بنى النضير ، وكانت متزوّجة رجلا من بنى قريظة ، يقال له الحكَم ، فنسبها بعضُ الرواة إلى بنى قُريظة لذلك .

وذكر محمد بن عمر أنّ عبد الله بن جعفر حدّثه عن يزيد بن الهاد عن ثعلبة ابن أبى مالك ، قال : كانت ريحانة بنت زيد بن عمرو بن خنافة من بنى النَّضير ، متزوّجةً فيهم رجلا ، يقال له الحكم . فلما وقع السِّباءُ على بنى قريظة سَبَاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعتقها وتزوّجها وماتت عنده . قال محمد بن عمر : ولم تزل ريحانة عند رسول الله حتى ماتَتْ مرجعَه من حِجّة الوداع ، فدفنها بالبقيع وكان تزويجه إياها فى المحرم سنة ست من الهجرة .

ومُليكة بنت كعب الليثى ، ذكر ابن عمر أن عبد العزيز بن الجُندَعِىّ ، حدّثه عن أبيه ، عن عطاء بن يزيد الجُندَعى قال : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم مُليكة بنت كعب الليثى فى شهر رمضان سنة ثمان ودخل بها ، فماتت عنده .

قال ابن عمر : حدثنى محمد بن عبد الله عن الزّهرى مثل ذلك ، قال ابن عمر : وأصحابنا ينكرون ذلك ، ويقولون : لم يتزوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم كنانيةً قطّ .

قال ابن عمر : حدثنى أبو معشر ، قال : تزوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم مُليكة بنت كعب ، وكانت تُذكر بجمال بارعٍ ؛ فدخلت عليها عائشة فقالت : أما تستحين أن تَنْكحى قاتل أبيك ! فاستعاذت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

---

(١) النش: نصف أوقية ، عشرون درهماً .

فطلّقها ، فجاء قومها إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فقالوا : إنها صغيرة ، وإنه لا رأى لها ، وخُدعت فارتجعْها ، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستأذنوا أن يزوّجوها قريباً لها من بنى عُذرة ، فأذن لهم ، فتزوّجها العُذرىُّ ، وكان أبوها قُتِل يوم فتح مكة ؛ قتله خالد بن الوليد بالخَنْدَمَة .

ومنهن سَنَا ابنة الصلت بن حبيب بن حارثة بن هلال بن حرام بن سَمّال بن عوف السُّلمية ، قال هشام بن محمد الكلبي : حدَّثنى رجل من رهط عبد الله بن خازم السُّلميّ ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم تزوّج سنا بنت الصلت بن حبيب السُّلمية ، فماتت قبل أن يَصِل إليها .

وخَوْلة ابنة الهذيل بن هبيرة بن قَبيصة بن الحارث بن حبيب بن حُرْقَة بن ثعلبة ابن بكر بن حُبيب بن عمرو بن غَنْم بن تغلب ، وأمُّها ابنة خليفة بن فروة بن فضالة ابن زيد بن امرئ القيس بن الخزرج الكلبيّ أخت دحية بن خليفة .

قال هشام بن محمد : حدثنى الشرقىّ بن قطامى أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوّج خَوْلة ابنة الهُذيل ، فهلكت فى الطريق قبل أن تصلَ إليه ، وكانت ربَّتْها خالتها خِرْنق ابنة خليفة أخت دِحْية بن خليفة .

ذكر تاريخ مَنْ مات من بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم وعماته وأزواجه بعد وفاته

منهنّ فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أمّها خديجة بنت خويلد عليها السلام ، ولدتها وقُرَيش تبنِى البيت ؛ وذلك قبل أن نُبِّئَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس سنين .

ذكر محمد بن عمر ، أن أبا بكر بن عبد الله بن أبى سَبْرة حدّثه عن يحيى ابن شِبْل ، عن أبى جعفر ، قال : دخل العبّاس بن عبد المطلب على علىّ وفاطمة عليهما السلام وهى تقول . أنا أسنّ منك ، فقال العباس : أما أنتِ يا فاطمة فوُلدتِ وقريش تبنِى الكعبة والنبيّ صلى الله عليه وسلم ابن خمس وثلاثين سنة ، وأمّا أنتَ يا علىّ ، فولدت قبل ذلك بسنوات .

قال الطبريّ : وتزوج عليّ فاطمة عليها السلام فى رجب بعد مقدَم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة بخمسة أشهر ، وبنى بها مرجعَه من بدر وفاطمة يوم بنى بها عليّ عليه السلام ابنة ثمانى عشرة ؛ كذلك ذكر محمد بن عمر عن عبد الله بن محمد بن عمر ابن عليّ عن أبيه .

واختلف فى وقت وفاتها عليها السلام بعد إجماع الجميع على أن وفاتها كانت بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال بعضهم : تُوُفِّيت بعد النبى صلى الله عليه وسلم بستة أشهر.

وقال ابن عمر : حدّثنا معمر ، عن الزّهرى عن عروة عنْ عائشة ، قال : وحدّثنا ابن جُرَيج عن الزهريّ عن عُروة ، أن فاطمة بنت النبيّ صلى الله عليه وسلم تُوُفِّيت بعد النبى صلى الله عليه وسلم بستة أشهر – قال ابن عمر وهو الثَّبت عندنا – وتوُفّيت ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من شهر رمضان سنة إحدى عشرة ، وهى بنت تسع وعشرين سنة أو نحوها .

قال ابن عمر : وحدّثنى ابن جريج عن عمرو بن دينار ، عن أبى جعفر ، قال : تُوُفِّيت فاطمة بعد النبى صلى الله عليه وسلم بثلاثة أشهر.

قال ابن عمر : وحدثنا عمر بن محمد بن عمر بن عليّ ، عن أبيه عن على ابن الحسين عن ابن عباس ، قال : فاطمة أول من جُعِل لها النعش ، عملت لها أسماء بنت عُمَيس ، وكانت قَدْرأته يصنع بأرض الحبشة .

قال ابن عمر : وحدّثنا عبد الرحمن بن عبد العزيز عن عبد الله بن أبى بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم عن عَمْرة بنت عبد الرحمن ، قالت : صلّى العباس ابن عبد المطلب على فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونزل فى حفرتها ، هو وعليّ والفضل بن العباس .

قال ابنُ عمر : وحدثنا عمر بن محمد بن عمر بن عليّ ، عن أبيه ، عن عليّ ابن الحسين عليه السلام ، قال : سألتُ ابنَ عباس : متى دفنتم فاطمة ؟ قال : دفناها بليل بعد هُدْأةٍ ، قلت : فمن صلّى عليها ؟ قال : عليّ بن أبى طالب عليه السلام .

قال ابن عمر : وسألت عبد الرحمن بن أبى الموالى ، قلت : إنّ الناس يقولون :

إنّ قبر فاطمة عند المسجد الذى يصلّون إليه على جنائزهم بالبقيع ، فقال : والله ما ذلك إلا مسجد رقيّة – يعنى امرأة عمرته – وما دُفنت فاطمة عليها السلام إلا فى زاوية دار عَقيل ممّا يلى دار الجَحْشيّين مستقبلَ خوخة بنى نُبيه من بنى عبد الدار بالبقيع ، وبين قبرها وبين الطريق سبعة أذرع .

قال ابنُ عمر : وحدثنا عبد الله بن جعفر ، قال : حدثنى عبد الله بن حسن ، قال : وجدت المغيرة بن عبد الرحمن واقفاً ينتظرنى بالبقيع نصف النهار ، فى حرّ شديد ، فقلت : ما يقفك يا أبا هاشم ؟ قال : انتظرتك ، بلغنى أنّ فاطمة دفنت فى هذا البيت فى زاوية دار عَقِيل ممّا يلى دار الجَحشيّين ، فأحبُّ أن تبتاعه لى بما بلغ ، أدفَنُ فيه ، فقال عبد الله : والله لأفعلنّه ، قال : فجهدنا بالعقيليّين فأبوا على عبد الله بن حسن ، قال عبد الله بن جعفر : وما رأيت أحداً يشكّ أنّ قبرها فى ذلك الموضع .

حدثنى الحارث ، قال : حدثنا محمد بن جعفر الوركانىّ ، قال : حدّثنا جرير ابن عبد الحميد ، عن يزيد بن أبى زياد ، عن عبد الله بن الحارث ، قال : تُوُفِّيت فاطمة بنت رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم بعده بثمانية أشهر ، وكانت تذوب ، فشكتْ إلى أسماء نحول جسمها ، وقالت : أتستطيعين أن توارينى بشىء ؟ قالت : إنى رأيت الحبشة يعملون السرير للمرأة ويشدّون النعش بقوائم السرير ، فأمَرتهم بذلك ، قال الحارث : وقال المدائنى : قال أبو زكرياء العجلانى : إنّ فاطمة عليها السلام عُمِل لها نعش قبل وفاتها فنظرت إليه فقالت : سَتَرْتُمونى ستركم الله .

وصَفِيّة بنت عبد المطلب بن هاشم وأمّها هالة بنت وُهيب بن عبد مناف بن زهرة ابن كلاب ، وهى أخت حمزة بن عبد المطلب لأبيه ولأمّه ، كان تزوّجها فى الجاهلية الحارث بن حرب بن أمية بن عبد شمس ، فولدت له صفيًّا ، ثم خلّف عليها العوّام ابن خُويلد بن أسد ، فولدت له الزّبير والسائب وعبد الكعبة ، وأسلمت صفيّة . وبايعت رسول الله ، وهاجرت إلى المدينة ، وتُوُفِّيت فى خلافة عمر بن الخطاب ، وقُبِرت بالبقيع بفناءِ دار المغيرة بن شعبة .

وقال علىّ بن محمد : قتَلت صفية ابنة عبد المطلب رجلا مبارزةً .

ذكر تاريخ وفاة أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم اللاتى توفين بعده

منهنّ سودة ابنة زَمْعة بن قيس بن عبد وَد بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر ابن لؤىّ ، وأمها الشموس ابنة قيس بن عمرو بن زيد بن لبيد بن خِدَاش بن عامر ابن غَنْم بن عدىّ بن النجار من الأنصار ، تزوجها السكران بن عمرو ، وخرجا جميعاً مهاجرين إلى أرض الحبشة فى الهجرة الثانية .

قال ابن عمر : حدثنى مَخْرَمة بن بكير ، عن أبيه ، قال : قدم السكران ابن عمرو مكّة من أرض الحبشة ، ومعه امرأته سودة بنت زمعة ، فتُوُفِّىَ عنها بمكّة . فلما حلّت أرسل إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فخطبها ، فقالت : أمرى إليك يا رسول الله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مُرى رجلا من قومك يزوّجك ، فأمرت حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبدودّ فزوّجها ، فكانت أوّل امرأة تزوّجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد خديجة .

قال ابن عمر : وحدّثنا محمد بن عبد الله بنُ مسلم ، قال : سمعت أبى يقول : تزوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم سَوْدة فى رمضان سنة عشر من النبوّة ، بعد وفاة خديجة ، وقبل أن يتزوج عائشة ، فدخل بها مكّة وهاجر إلى المدينة ، وتُوُفِّيت سودة ابنة زمعة فى شوال سنة أربع وخمسين بالمدينة ، فى خلافة معاوية بن أبى سفيان .

قال ابن عمر : وهذا الثَّبَت عندنا . قال هشام بن محمد ، عن أبيه ، عن أبى صالح عن ابن عباس ، قال : كانت سودة بنت زمعة عند السّكران بن عمرو أخى سهيل بن عمرو ، فرأت فى المنام كأن النبى صلى الله عليه وسلم أقبل يمشى حتى وطئ على عُنقها ، فأخبرت زوجها بذلك ، فقال : وأبيك لئن صدقتْ رؤياك لأموتنّ وليتزوّجك محمد ، فقالت : حِجْراً وستراً ، قال هشام : والحجر تنفى عنها ذاك ، ثم رأت فى المنام ليلة أخرى أن قمراً انقضّ عليها من السماء وهى مضطجعة ، فأخبرت زَوجَها ، فقال : وأبيك لا ألبث إلا يسيراً حتى أموت ، وتزوّجيه من بعدى ، فاشتكى السكران من يومه ذلك ، فلم يلبث إلا قليلا حتى مات ، وتزوّجها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال الحارث : حدّثنا داود بن المُحبَّر ، قال : حدّثنا عبد الحميد بن بهرام ،

عن شهر ، قال : حدثني ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب امرأة من قومه ، يقال لها سودة ، وكانت مُصْبِيةً ، لها خمسة صبية أو ستة من بَعْل لها مات ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يمنعك مني ؟ قالت : يا نبيَّ الله ، ما يمنعني منك إلا أن تكون أحبَّ البرية إليّ ، ولكن أكرمك أن تَضغُوَ هؤلاء الصبية عند رأسك بكرة وعشية ، فقال : هل يمنعك منّي من شيء غير ذلك ؟ قالت : لا والله ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن خير نساءٍ ركبن أعجاز الإبل صالح نساءِ قريش ، أحناه على ولد فى صغره ، وأرعاه على بعل فى ذات يدٍ» .

وعائشة بنت أبى بكر ، وأمها أم رُومان بنت عمير بن عامر من بنى دُهمان ابن الحارث بن غَنْم بن مالك بن كنانة ، تزوّجها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شوال سنة عشر من النبوة قبل الهجرة بثلاث سنين ، وعرّس بها فى شوال على رأس ثمانية أشهر من الهجرة ، وكانت يوم ابتنى بها ابنة تسع سنين .

قال ابن عمر : حدثنا موسى بن محمد بن عبد الرحمن ، عن رَيْطة ، عن عمرة عن عائشة ، أنها سئلت : متى بَنَى بك رسول الله ؟ فقالت : لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة خلّفنا وخلّف بناته ، فلما قدم المدينة بعث إلينا زيد بن حارثة ، وبعث معه أبا رافع مولاه ، وأعطاهما بعيرين وخمسمائة درهم ، أخذها رسول الله من أبى بكر ، يشتريان بها ما يحتاجان إليه من الظَّهْر ، وبعث أبو بكر معهما عبد الله ابن أريقط الدّيليّ ببعيرين أو ثلاثة ، وكتب إلى عبد الله بن أبى بكر يأمره أن يحمل أهله أمّ رومان ، وأنا وأختى أسماء امرأة الزبير ، فخرجوا مصطحبين فلما انتهوا إلى قُديد ، اشترى زيد بن حارثة بتلك الخمسمائة درهم ثلاثة أبعرة ، ثم دخلوا مكة جميعاً ، وصادفوا طلحة بن عبيد الله يريد الهجرة بآل أبى بكر ، فخرجنا جميعاً ، وخرج زيد ابن حارثة وأبو رافع وفاطمة وأم كلثوم وسَوْدة بنت زمعة ، وحمل زيد أم أيمن وأسامة ابن زيد ، وخرج عبد الله بن أبى بكر بأمّ رومان وأختيه ، وخرج طلحة بن عبيد الله واصطحبا جميعاً حتى إذا كنا بالبيض من تمنّي[1] نفر بعيرى ، وأنا فى مِحَفّة معى فيها أمى ، فجعلت أمى تقول : وابنتاه واعَرُوساه ! حتى أدرك بعيرنا ، وقد هبط من لِفْتٍ[2] ،

(١) تمنى : أرض إذا انحدرت من ثنية هرشى تريد المدينة ، صرت فيها . وبها جبال يقال لها بيض . ياقوت .
(٢) اللفت : شق الشئ .

فسلم . ثم إنا قدمنا المدينة ، فنزلتُ مع عيال أبي بكر ، ونزل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله يومئذ يبني المسجد ، وأبياتنا حول المسجد ، فأنزل فيها أهله ، ومكثنا أياماً في منزل أبي بكر ، ثم قال أبو بكر : يا رسول الله ما يمنعك أن تبنيَ بأهلك ؟ قال رسول الله : الصداق ، فأعطاه أبو بكر الصداق اثني عشر أوقية ونشًّا ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلينا وبنى بي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي ، هذا الذي أنا فيه ، وهو الذي تُوُفِّيَ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعل رسول الله لنفسه باباً في المسجد ، وِجَاهَ[1] باب عائشة .

وقال : وبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بسودة في أُحد تلك البيوت التي إلى جنبي ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون عندها ، وتوفيت سنة ثمان وخمسين في شهر رمضان .

ذكر من قال ذلك :

ذكر ابن عمر ، عن عبد الرحمن بن عبد العزيز ، عن عبد الله بن أبي بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم ، قال : صلّى أبو هريرة على عائشة في رمضان سنة ثمان وخمسين وتوفيت بعد الإيتار.

وقال محمد بن عمر: توفيت عائشة ليلة الثلاثاء لسبع عشرة مضت من رمضان سنة ثمان وخمسين ، ودفنت من ليلتها بعد الوتْر ، وهي يومئذ ابنة ست وستين سنة .

قال ابن عمر : وحدّثنا ابن أبي سبرة ، عن موسى بن ميسرة ، عن سالم سَبَلان . قال : ماتت عائشة ليلة سبع عشرة من شهر رمضان ، بعد الوتر ، فأمرت أن تدفن من ليلتها . فاجتمع الأنصار وحضروا ، فلم تُرَ ليلةٌ أكثر ناساً منها ، نزل أهل العوالي ، فدفنت بالبقيع .

قال ابن عمر : حدثني ابن جُريج ، عن نافع ، قال : شهدت أبا هريرة صلّى على عائشة بالبقيع ، وابن عمر في الناس لا ينكره ، وكان مروان اعتمر تلك السنة فاستخلف أبا هريرة .

---

(١) وجاه ، أي تجاه .

وحفصة ابنة عمر بن الخطاب ، وأمها زينب ابنة مظعون ، أخت عثمان بن مظعون .

وذكر ابن عمر أن أسامة بن زيد بن أسلم ، حدّثه ، عن أبيه عن جدّه ، عن عمر قال : ولدت حفصة وقريش تَبْنِي البيت قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بخمس سنين .

قال : وحدّثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة ، عن حسين بن أبي حسين ، قال: تزوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة في شعبان على رأس ثلاثين شهراً ، قبل أُحُد ، قال ابن عمر : تُوُفِّيَتْ حفصة في شعبان سنة خمس وأربعين في خلافة معاوية ، وهي يومئذ ابنة ستين سنة .

قال ابن عمر : حدثنا معمر ، عن الزّهرى ، عن سالم عن أبيه ، قال تُوُفِّيَتْ حفصة ، فصلّى عليها مروان بن الحكم ، وهو يومئذ عامل المدينة .

قال : وحدّثني عليّ بن مسلم عن المَقبرىّ عن أبيه ، قال : رأيت مروان حمل بين عمودىْ سريرها من عند دار آل حزم إلى دار المغيرة بن شعبة ، وحملها أبو هريرة من دار المغيرة إلى قبرها .

قال : وحدثني عبد الله بن نافع عن أبيه قال : نزل في قبر حفصة عبد الله وعاصم ابنا عمر وسالم وعبد الله وحمزة بنو عبد الله بن عمر .

وأم سلمة،واسمها هند بنت أبي أمية ، واسمه سهيل زاد الركب بن المغيرة بن عبد الله ابن عمـر بن مخزوم ، وأمّها عاتكة بنت عامر بن ربيعة بن مالك بن جَذيمة بن علقمة جِذْل الطِّعان ابن فِراس بن غَنْم بن مالك بن كنانة . تزوجها أبو سلمة ، واسمه عبد الله ابن عبد الأسد بن هلال ، وهاجر بها إلى أرض الحبشة في الهجرتين جميعا ، فولدت له هناك زينب بنت أبي سلمة ، وولدت له بعد ذلك سلمة ، وعمر ودُرّة بنى أبي سلمة .

قال ابن عمر : حدثنا عمر بن عثمان عن عبد الملك بن عُبيد عن سعيد بن عبد الرحمن بن يَرْبوع عن عمر بن أبي سلمة ، قال : خرج أبي إلى أُحُد ، فرماه أبو أسامة الجُشَمىّ في عضده بسهم ، فمكث شهراً يداوى جُرحه ، ثم برأ الجرح ، وبُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي إلى قَطن في المحرّم على رأس خمسة وثلاثين شهراً ، فغاب تسعاً وعشرين ليلة ، ثم رجع فدخل المدينة لثمان خلون من صفر سنة أربع،والجرح

منتقض[١] ، فمات منها لثمان خلون من جمادى الآخرة سنة أربع من الهجرة ، فاعتدّت أمي وحلّت لعشر ليال بقين من شوال سنة أربع ،وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ليال بقين من شوال سنة أربع ، وتوفيت فى ذى القعدة سنة تسع وخمسين .

قال ابن عمر : حدثنا كثير بن زيد عن المطّلب بن عبد الله بن حنْطب ، قال : دخلت أيّمُ العرب على سيد المسلمين أول العشاء عروساً ، وقامت من آخر الليل ، تطحن — يعنى أم سلمة .

قال ابن عمر : وحدّثنا مَعمر عن الزّهرىّ عن هند ابنة الحارث الفراسية ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن لعائشة منّى شُعبة ما نزلها أحد ، فلما تزوّج أم سلمة سئل رسول الله ، فقيل : يا رسول الله ما فعلت الشُّعبة ، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعلم أن أم سلمة قد نزلت عنده .

وقال ابن عمر : ماتت أم سلمة رحمها الله فى شوال سنة تسع وخمسين .

قال ابن عمر : وحدثنى عبد الله بن نافع عن أبيه قال : صلى أبو هريرة على أم سلمة بالبقيع ، وكان الوالى الوليد بن عتبة بن أبى سفيان ، وكان ركب فى حاجة إلى الغابـة ، وأمر أبا هريرة أن يصلِّىَ بالناس ، فصلّى عليها . قال : إنّما ركب لأنها أوصت ألاّ يصلِّىَ عليها الوالى ، فكره أن يحضر ولا يصلّى ، فركب عمداً وأمر أبا هريرة .

حدثنى الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد فى موضع آخر ، قال : قال الواقدى : ماتت أم سلمة حين دخلت سنة تسع وخمسين فى خلافة معاوية ، وصلَّى عليها ابن أخيها عبد الله بن عبد الله بن أبى أمية .

قال الحارث : وحدثنى محمد بن سهيل عن أبى عبيدة معمر بن المثنى ، قال : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة قبل وقعة بدر فى سنة ثنتين من التأريخ أم سلمة ، واسمها هند ابنة أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

وقال أبو معشر : زينب أوّل مَنْ مات من أزواج النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وأم سلمة آخر مَنْ مات منهنّ .

وأمّ حبيبة واسمها رملة بنت أبى سفيان بن حرب ، وأمها صفيّة بنت أبى العاص

---

(١) تنقض الدم : تقطّر . القاموس .

ابن أمية بن عبد شمس عمة عثمان بن عفان ، تزوّجها عبيد الله بن جحش بن رِئاب حليف حرب بن أمية ، فولدت له حبيبة ، فكنيت بها ، فتزوج حبيبة داود بن عروة ابن مسعود الثقفى ، وكان عبيد الله بن جحش هاجر بأم حبيبة معه إلى أرض الحبشة فى الهجرة الثانية ، فتنصّر وارتدّ عن الإسلام ، وتُوُفِّىَ بأرض الحبشة ، وثبتت أم حبيبة على دينها الإسلام وهجرتها ، وكانت قد خرجت بابنتها حبيبة بنت عبيد الله معها فى الهجرة إلى أرض الحبشة ، ورجعت بها معها إلى مكة .

وقال ابن عمر : حدثنا عبد الله بن جعفر عن عثمان بن محمد الأخنسىّ أن أم حبيبة بنت أبى سفيان ولدتْ حبيبة ابنتها من عبيد الله بن جحش بمكّة قبل أن تهاجِر إلى أرض الحبشة ، قال ابن عمر : فأخبرنى أبو بكر بن إسماعيل بن محمد بن سعد عن أبيه : قال : خرجتْ من مكة وهى حامل بها ، فولدتها بأرض الحبشة .

قال ابن عمر : وحدّثنا عبد الله بن عمرو بن زهير عن إسماعيل بن عمرو بن سعيد ابن العاص ، قال : قالت أم حبيبة : رأيت فى النوم كأنّ عبيد الله بن جحش زَوْجى بأسوأ صورة وأشوهها ، ففزعت ، فقلت : تغيّرتْ والله حاله ، فإذا هو يقول حين أصبح ، يا أمّ حبيبة ، إنى نظرت فى الدين فلم أرديناً خيراً من النصرانية ، وكنت قد دِنْتُ بها ، ثم فقلتُ فى دين محمد ثم رجعت إلى النصرانية ، فقلت : والله ما خيرَ لك ، وأخبرته بالرؤيا التى رأيت له ، فلم يحفل بها وأكبّ على الخمر حتى مات ، فأرى فى النوم كأن أتانى آتٍ يقول يا أمّ المؤمنين ، ففزعت وأوّلتها أنّ رسول الله يتزوجنى ، قالت : فما هو إلا أن انقضت عدّتى ، فما شعرتُ إلا برسول النجاشى على بابى ، يستأذن فإذا جارية له يقال لها أبرهة ، كانت تقوم على ثيابه ودُهنه ، فدخلت علىّ فقالت : إن الملك يقول لك : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلىّ أن أزوِّجكه ، فقلتُ : بشرك الله بخير ، وقالت : يقول لك الملك وكِّلى مَنْ يزوّجك ، فأرسلت إلى خالد ابن سعيد بن العاص فوكّلته . وأعطت أبرهة سوارَين من فضة وخَدَمتين[1] كانتا فى رجليها ، وخواتيم فضة كانت فى أصابع رجليها سُرُوراً بما بشرتها به . فلما كان العشىّ أمر النجاشى جعفر بن أبى طالب ومَنْ هناك من المسلمين ، فحضروا فخطب النجاشى فقال : الحمد لله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار ، أشهد أن لا إله إلا الله

---

(١) الخدمة : الخلخال .

وأن محمداً عبده ورسوله ، وأنه الذى بشّر به عيسى بن مريم عليه السلام .

أما بعد ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلىّ أن أزوّجه أم حبيبة بنت أبى سفيان فأجبت إلى ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أصدقتُها أربعمائة دينار ثم سكب الدنانير بين يدى القوم ، فتكلم خالد بن سعيد ، فقال : الحمد لله أَحمده وأَستعينه وأستنصره ، وأَشهد أن لاإله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، أَرسله بالهُدى ودِينِ الحقِّ لِيُظهِرهُ على الدين كله ولو كَرِهَ المشركونَ .

أَما بعد ، فقد أَجبت إلى ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزوّجته أم حبيبة ابنة أَبى سفيان ، فبارك الله لرسوله ، ودفع الدنانير إلى خالد بن سعيد فقبضها ، ثم أَرادوا أَن يقوموا ، فقال : اجلسوا ، فإن سنة الأنبياء إذا تزوجوا أَن يؤكل طعام على التزويج ، فدعا بطعام فأكلوا ثم تفرّقوا .

قالت أَم حبيبة : فلما وصل إلىَّ المال أرسلت إلى أبرهة التى بشَّرتْنى ، فقلت لها : إنى كنتُ أَعطيتُك ما أعطيتك يومئذ ولا مالَ بيدى ، فهذه خمسون مثقالا فخذيها ، واستغنى بها ، فأخرجتْ إلىَّ حُقًّا فيه كلّ ما أعطيتُها ، فردّته إلىّ ، وقالت : عزَمَ علىّ الملك ألاّ أرزأك شيئاً ، وأنا التى أقوم على ثيابه ودُهنه ، وقد اتّبعتُ دينَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأسلمتُ لله ، وقد أمر الملك نساءه أن يبعثن إليك بكلّ ما عندهنّ من العطر ، فلمّا كان الغد جاءتنى بعُودٍ وورس وعنبر وزباد كثير ، فقدمت بذلك كله على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يراه علىّ وعندى فلا ينكر . ثم قالت أبرهة : فحاجتى إليك أن تُقرِئى رسول الله منى السلام ، وتعليمه أنى قد اتّبعت دينه ، قالت : ثم لطفت بى ، وكانت التى جهّزتنى ، وكانت كلّما دخلت علىّ تقول : لا تنسَىْ حاجتى إليك ، قالت : فلمّا قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرته ، كيف كانت الخطبة ، وما فعلت بى أبرهة ، فتبسّم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقرأته منها ، فقال : وعليها السلام ورحمة الله .

قال ابن عمر ، وحدثنا إسحاق بن محمد ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضَّمْرى إلى النّجاشىّ يخطب عليه أمّ حبيبة بنت أبى سفيان ، وكانت تحت عبيد الله بن جحش ، فزوّجها إياه وأصدقها النجاشىّ من عنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة دينار .

قال ابن عمر : فحدّثني محمد بن صالح ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : وحدثني عبد الرحمن بن عبد العزيز عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم قالا : كان الذى زوّجها وخطب إليه النجاشي خالد بن سعيد بن العاص وذلك سنة سبع من الهجرة ، وكان لها يوم قدم بها المدينة بضع وثلاثون سنة ، وتُوُفِّيت سنة أربع وأربعين فى خلافة معاوية.

وزينب بنت جحش بن رئاب أخت عبد الرحمن بن جحش ، وأمها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم .

قال ابن عمر : حدثني عمر بن عثمان الجحْشى ، عن أبيه ، قال : قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ، وكانت زينب ابنة جحش ممن هاجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وكانت امرأة جميلة ، فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم على زيد ابن حارثة ، فقالت : يا رسولَ الله لا أرضاه لنفسى ، وأنا أيِّم قريش ، قال : فإنى قد رضيت لك ، فتزوجها زيد بن حارثة .

قال ابن عمر : وحدثني عبد الله بن عامر الأسلميّ ، عن محمد بن يحيى ابن حَبان : قال : جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت زيد بن حارثة يطلبه ، وكان زيد إنّما يقال له : زيد بن محمد ، فربّما فقده رسول الله الساعة ، فيقول : أين زيد ؟ فجاء منزله يطلبه فلم يجده ، وتقوم إليه زينب ، فتقول : ها هنا يا رسول الله فولّى يُهَمْهِمُ بشىء لا يكاد يفهم منه إلا سبحان الله العظيم،سبحان الله مُصَرِّف القلوب ، فجاء زيد إلى منزله ، فأخبرته امرأته أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى منزله ، فقال زيد : ألا قلتِ له : يدخل ! قالت : قد عرضتُ ذلك عليه وأبى ، قال : فسمعتِيه يقول شيئاً ؟ قالت: سمعته حينَ ولّى يكلم بكلام لا أفهمه وسمعته يقول : سبحان الله العظيم ، سبحان مُصَرِّف القلوب ! قال : فخرج زيد حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إنه بلغنى أنك جئتَ منزلى ، فهلّا دخلت بأبى أنت وأمى يا رسول الله ! لعلّ زينب أعجبتك فأفارقها ، فيقول رسول الله : أمسِك عليك زوجَك ، فما استطاع زيد إليها سبيلا بعد ذلك ، ويأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره ، فيقول : أمسك عليك زوجك ، فيقول : يا رسول الله أفارقها،فيقول رسول الله:احبس عليك زوجَك ، ففارقها زيد واعتزلها وحلّت . قال : فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلّم يتحدّث مع عائشة إلى أن أخذت رسول الله صلى الله عليه وسلم غَمْيَةٌ فَسُرِّىَ عنه وهو يبتسم وهو

يقول : مَنْ يذهب إلى زينب يبشرها أن الله عز وجل زوّجنيها من السماء، وتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم : (وإذْ تَقُولُ لِلّذِى أنْعَمَ اللهُ عليه وأنعمتَ عليه)[1] القصة كلها .

قالت عائشة: وأخذنى ما قرب وما بعد لما يبلغنا من جمالها ، وأخرى هى أعظم الأمور وأشرفها ما صُنع لها، زوّجها الله عز وجل من السماء وقلت: هى تفخر علينا بهذا .

قالت عائشة: فخرجتْ سلْمَى خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم تشتدُّ ، فتحدثها بذلك ، وأعطتها أوضاحاً عليها .

قال : وحدثني عمر بن عثمان بن عبد الله الجحشى ، عن أبيه قال : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش لهلال ذى القعدة سنة خمس من الهجرة .

قال : وحدثنى عمر بن عثمان الجحشى عن أبيه ، قال : ما تركت زينب ابنة جحش ديناراً ولا درهما ، كانت تصدّقُ بكل ما قدرتْ عليه ، وكانت تأوِى المساكين ، وتركت منزلها، فباعوه من الوليد بن عبد الملك حين هدم المسجد بخمسين ألف درهم .

قال : حدثنا عمر بن عثمان الجحشيّ عن إبراهيم بن عبد الله بن محمد ، عن أبيه ، قال : سئلت أمّ عُكاشة بن محصن : كم بلغت زينب ابنة جحش يوم تُوفِّيت ؟ فقالتْ : قدمنا المدينة للهجرة ، وهى بنت بضع وثلاثين ، وتوفيت سنة عشرين .

قال عمر بن عثمان : كان أبى يقول : توفيت زينب بنت جحش ، وهى ابنة ثلاث وخمسين .

قال الحارث : حضرت مجلس علىّ بن عاصم ، وهو يحدّث الناس ، فحدّث عن داود بن أبى هند ، عن عامر قال : كانت زينب تقول للنبى صلى الله عليه وسلم : أنا أعظم نسائك عليك حقًّا ، أنا خيرهُنّ منكحاً ، وأكرمهنّ ستراً ، وأقربهنّ رحِماً . ثم تقول: زوّجنيك الرحمن من فوق عرشه ، وكان جبريل عليه السلام هو السفير بذاك ، وأنا بنت عمّتك ، وليس لك من نسائك قريبة غيرى .

وجُوَيرية بنت الحارث بن أبى ضرار بن حبيب بن عائذ بن مالك بن جَذيمة المصطلق ، من خُزاعة تزوَّجها مُسَافع بن صفوان ذى الشُّفر بن أبى سَرْح بن مالك ابن جَذيمة فقُتِل يوم المُرَيْسيع .

قال ابن عمر : حدثنا يزيد بن عبد الله بن قُسيط ، عن أبيه عن محمد

---

(١) سورة الأحزاب ٣٧ .

ابن عبد الرحمن بن ثَوْبان ، عن عائشة،قالت : أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءً من بنى المصطلق ، فأخرج الخمس منه ، ثم قسمه بين الناس،وأعطى الفارس سهمَيْن، والراجل سهمًا ، فوقعت جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار فى سهم ثابت ابن قيس بن شماس الأنصارى ، وكانت تحت ابن عم لها يقال له صفوان بن مالك ابن جَذيمة ذى الشُّفر ، فقتِل عنها ، وكاتبها ثابت بن قيس على نفسها على تسع أواق ، وكانت امرأة حُلوةً،لا يكاد يراها أحدٌ إلا أخذتْ بنفسه ؛ فبينا النبى صلى الله عليه وسلم عندى ، إذ دخلت جويرية تسأله فى كتابتها ، فوالله ما هو إلا أن رأيتها ، فكرهتُ دخولَها على النبى صلى الله عليه وسلم ، وعرفت أن سيَرَى فيها مثل الذى رأيت، فقالت : يا رسول الله،أنا جويرية بنت الحارث سيد قومه ، وقد أصابنى من الأمر ما قد علمت، فوقعتُ فى سهم ثابت بن قيس ، فكاتبنى على تسع أواق ، فأعنّى على فكاكى ، فقال : أو خيرٌ من ذلك ؟ قالت : وما هو ؟ قال : أؤدى عنك كتابتك وأتزوّجك ، قالت : نعم يا رسول الله ، فقد فعلت . وخرج الخبر إلى الناس ، فقالوا : أصهار رسول الله يُسْتَرقُّون ، فأعتقوا ما كان فى أيديهم من سَبْى بنى المصطلق ، فبلغ عتقُهم مائة أهل بيت بتزويجه إياها ، فلا أعلم امرأة كانت أعظمَ بركة على قومها منها ، وذلك منصرَفَه من غزوة المُرَيْسيع .

قال ابن عمر : وحدثنى عبد الله بن أبى الأبيض مولى جُويرية عن أبيه ، قال : سَبَى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى المصطلق ، فوقعت جُويرية فى السبى ، فجاء أبوها فافتداها وأنكحها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدُ .

قال : وحدثنا إسحاق بن يحيى بن طلحة ، عن الزهرىّ ، عن مالك بن أوْس ، عن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضَرب على جُويرية الحجاب ، وكان يَقسم لها كما يقْسِم لنسائه

قال:وحدّثنى عبدالله بن عبدالرحمن عن زيد بن أبى عتّاب ، عن محمد بن عمرو ، عن عطاء ، ، عن زينب بنت أبى سلمة ، عن جويرية ابنة الحارث ، أنّ اسمها كانت برّة،فغيّره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسمّاها جويرية ، وكان يكره أن يقال : خرج من عندَبرّة .

قال : وحدثنى عبدالله بن أبى الأبيض عن أبيه ، قال : تُوفيت جويرية بنت

الحارث زوج النبي صلى الله عليه وسلم فى شهر ربيع الأول سنة ست وخمسين فى خلافة معاوية بن أبى سفيان ، وصلّى عليها مروان بن الحكم وهو يومئذ والى المدينة .

قال : وأخبرنى محمد بن يزيد ، عن جدته – وكانت مولاة جويرية بنت الحارث عن جويرية : قالت : تزوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابنة عشرين سنة ، قالت : وتوفيت جويرية سنة خمسين ، وهى يومئذ ابنة خمس وستين سنة ، وصلّى عليها مروان بن الحكم .

قال ابن عمر : وحدّثنى حزام بن هشام عن أبيه ، قال : قالت جويرية : رأيت قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم بثلاث ليال،كأنّ القَمر أقبل يسيرُ من يثرب ، حتى وقع فى حِجْرى فكرِهت أن أخبر بها أحداً من الناس حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما سُبينا رجوت الرؤيا، فلما أعتقنى وتزوّجنى ، والله ما كلمته فى قدومى ، حتى كان المسلمون هم الذين أرسلوهم، وماشعرت إلا بجارية من بنات عمى تخبرنى الخبر ، فحمدت الله عز وجل .

وصفيّة بنت حُيَىّ بن أخطب بن سَعْية بن عامر بن عبيد بن كعب بن أبى الخزرج ابن أبى حبيب بن النّضير بن النحّام بن تنحوم ، من بنى إسرائيل ، من سبْط هارون بن عمران، وأمها برّة بنت سموءل أخت رفاعة بن سموءل ، من بنى قُريظة أخو النضير وكانت صفّية تزوّجها سلام بن مِشْكَم القُرَظىّ ، ثم فارقها ، فتزوجها كنانة بن الربيع ابن أبى الحُقَيق النَّضْرِى ، فقُتِل عنها يوم خيبر .

قال ابن عمر : حدَّثنى كثير بن زيد عن الوليد بن رباح عن أبى هريرة ، قال : لمّا دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفية بات أبو أيوب على باب النبي صلى الله عليه وسلم ، فلمّا أصبح فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم كبر ، ومع أبى أيوب السيف ، فقال : يارسول الله كانت جارية حديثة عهد بعُرْس ، وكنتَ قتلتَ أباها وأخاها وزوْجها ، فلم آمنها عليك . فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال له خيراً .

قال : وحدثنى محمد بن موسى ، عن عمارة بن المهاجر ، عن آمنـــة ابنة أبى قَيْس الغفارية ، قالت : أنا إحدى النساء اللاتي زَفْفن صَفيّة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسمعتها تقول : ما بلغتُ سبع عشرة أو جهدى أَن بلغت سبع عشرة سنة – ليلةَ دخلتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : وتوفيت صفية سنة ثنتين

وخمسين فى خلافة معاوية وقبرت بالبقيع .

وميمونة بنت الحارث بن حزْن الهلالىّ،وأمها هند بنت عوف بن زهير بن الحارث ابن حَمَاطـة بن جُرَش ، كانت تزوّجت مسعود بن عمرو بن عمير الثّقفىّ فى الجاهلية ، ثم فارقها فخلَف عليها أبورُهْم بن عبد العُزّى بن أبى قيس من بنى مالك بن حِسْل بن عـامرْ بن لؤى ، فتوفى عنها فتزوّجها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، زوّجها إياه العباسُ ابن عبد المطلب ، وكانَ يلِى أمرها ، وهى أخت أم.ولده الفضل ابنة الحارث الهلالية لأبيها ، وأمها ، وتزوّجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بسَرِف على عشرة أميال من مكّة ، وكانت آخر امرأة تزوّجها رسول الله صلى الله عليه وسلم،وذلك سنة سبع فى عمرة القضية .

قال ابن عمر : حدّثنا ابن جُريج عن أبى الزبير ، عن عِكرمة،أن ميمونة ابنة الحارث وهبتْ نفسها لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : وحدّثنى موسى بن محمد بن عبدالرحمن ، عن أبيه عن عمْرَة ، قال : قيل لها:إنّ ميمونة وهبَتْ نفسها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : تزوّجَها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على مهر خمسمائة درهم ، وولىَ إنكاحَ رسول الله إياها العباس بن عبدالمطلب .

قال ابن عمر : وتوفِّيت ميمونة سنة إحدى وستين فى خلافة يزيد بن معاوية ، وهى آخر مَنْ مات من أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان لها يوم تُوفِّيت ثمانون أو إحدى وثمانون سنة ، وكانت جَلْدةً .

والكِلابية ، واختُلِف فى اسمها ، فقال بعضهم : هى فاطمة ابنة الضحاك بن سفيان الكلابى ، وقال بعضهم : هى عمرة بنت يزيد بن عبيدة بن رُواس بن كلاب ابن ربيعة بن عامر،وقال بعضهم : هى عالية بنت ظبيان بن عمرو بن عوف بن كعب بن عبدبن أبى بكر بن كلاب . وقال بعضهم : هى سَنَا ابنة سفيان بن عوف بن كعب بن عبد بن أبى بكر بن كلاب . وقال بعضهم : لم يكن إلاّ كلابية واحدة،غير أنه اختُلِف فى اسمها . وقال بعضهم : بل كنّ جميعاً ؛ ولكن لكل واحدة منهن قصّة غير قصة صاحبتها .

قال ابن عمر : حدثنا محمد بن عبد الله ، عن الزهرىّ ، عن عروة ، عن عائشة قالت : تزوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم الكِلابيّة ، فلما دخلت عليه فدنا منها ، قالت إنى أعوذ بالله منك،فقال رسول الله:لقد عُذتِ بعظيم،الحقى بأهلك . قال : وحدثنا عبدالله بن جعفر ، عن عبدالواحد بن أبى عون ، عن ابن منّاح قال : استعاذت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت قد ذُهلت وذهب عقلها . وتقول إذا استأذنتْ على أزواج رسول الله : أنا الشقيّة ، وتقول : إنما خُدِعت .

قال : وحدثنا محمد بن عبد الله عن الزهرىّ ، قال : هى فاطمة بنت الضحاك بن سفيان ، استعاذت منه ، فطلّقها ، وكانت تلقط البعر ، وتقول : أنا الشقيّة . وتزوّجها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذى القعدة سنة ثمان من الهجرة وتوفيت سنة ستين .

قال : وحدّثنا عبدالله بن سليمان عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه عن جده ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دخل بها ولكنه لماخيّر نساءه اختارت قومها ، ففارقها ، فكانت تلقط البعر ، وتقول : أنا الشّقيّة .

قال : وحدّثنا عبدالله بن جعفر ، عن موسى بن سعيد وابن أبى عَوْن ، قالاَ : إنما طلّقها رسول الله صلى الله عليه وسلم لبياض كان بها .

قال : وحدّثنا عبدالله بن جعفر وابن أبى سَبْرة وعبد العزيز بن محمد عن ابن الهاد عن ثعلبة بن أبى مالك ، عن حُسين بن علىّ عليه السلام ، قال : تزوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة من بنى عامر ، فكان إذا خرج تطلّعت إلى أهل المسجد ، فأُخبرَ بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أزواجُه فقال : إنّكن تبغين عليها ، فقلن : نحن نريكَها ، وهى تطلّع ، فقال رسول الله : نعم فأرينه إيّاها وهى تطلّع ، ففارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابنُ عمر : فحدثت بهذا الحديث عُبيد الله بن سعيد بن أبى هند فأخبرنى عن أبيه قال : إنما استعاذت منه ، فأعاذها ولم يتزوّجْ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى عامر غيرها ، ولم يتزوّجْ من كندة غير الجونيّة .

قال ابن عمر : وحدثنا إبراهيم بن وَثيمة عن أبى وَجْزَة قال : تزوّجها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذى القعدة سنة ثمانٍ منصرفَه من الجعرانة .

قال : وحدثني أبو مصعب إسماعيل بن مصعب عن شيخ من رهطها أنها توفيت سنة ستين .

وأما هشام بن محمد ، فإنه ذكر أن العَرْزَمى حدّثه عن نافع عن ابن عمر ، قال : كان فى نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم سَنَا بنت سفيان بن عوف بن كعب بن أبي بكر بن كلاب . قال : قال ابن عمر : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا سَيْد الساعدى يخطب عليه امرأة من بنى عامر ، يقال لها : عمرة ابنة يزيد بن عبيد ابن رُواس بن كلاب ، فتزوّجها ، فبلغه أن بها بياضاً فطلّقها .

قال هشام : وحدثني رجل من بنى أبي بكر بن كلاب أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوّج العالية بنت ظبيان بن عمرو بن عوف بن كعب بن عبد بن أبي بكر ابن كلاب ، فمكثت عنده دهراً ثم طلقها .

وأسماء ابنة النعمان بن أبي الجوْن الأسود بن الحارث بن شراحيل بن الجون بن آكل المُرار الكندىّ .

قال ابن عمر : حدّثنا محمد بن يعقوب بن عتبة ، عن عبد الواحد بن أبي عون الدّوسىّ قال : قدم النعمان بن أبي الجوْن الكندى ، وكان ينزل وبنو أبيه نجداً ممّا يلى الشَّرَبَّة فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلماً ، فقال : يارسول الله ، ألا أزوّجك أجملَ أيّم فى العرب كانت تحت ابن عمّ لها ، فتُوُفِّىَ عنها فتاهت ، وقد رغبتْ فيك ، وحطّت إليك ؟ فتزوّجها رسول الله صلى الله عليه وسلم على اثنتى عشرة أوقية ونش فقال : يا رسول الله لا تقصر بها فى المهر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أصدقت أحداً من نسائى فوق هذا ، ولا أُصْدِق أحداً من بناتي فوق هذا ، فقال النعمان : ففيك الأسى ، قال : فابعث يارسول الله إلى أهلِك مَنْ يحملُهم إليك ، فإنى خارج مع رسولك،فنرسل أهلك معه ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معه أبا أسيّد الساعدىّ ، فلما قدما عليها جلست فى بيتها فأذنتْ له أن يدخل ، فقال أبوأسيْد : إن نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم لايراهُنّ الرجال .

قال أبو أسيْد : وذلك بعد أن نزل الحجاب ، فأرسلت إليه فيسِّرْنى لأمرى ، قال : حجاب بينك وبين من تكلّمين من الرجال إلاّ ذا محرم منك . ففعلت ، فقال

أبو أسيْد : فأقمت ثلاثة أيام ، ثم تحمّلت معى على جمل ظَعينة فى مَحَفّة ، وأقبلتُ بها حتى قدمت المدينة ، فأنزلتها فى بنى ساعدة ، فدخل عليها نساء الحىّ فَرِحين بها،وسهّلن وخرجن من عندها فذكرن جمالها ، فشاع بالمدينة قدومها .

قال أبو أسيد الساعدىّ : ووجّهت إلى النبى صلى الله عليه وسلم،وهو فى بنى عمرو بن عوف فأخبرته ، ودخل عليها داخل من النساء ، قد بيّنّ لها لما بلغهنّ من جمالها ، وكانت من أجمل النساء ، فقالت : إنكِ من الملوك ، فإن كنت تريدين أن تحظىْ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستعيذى عنه ، فإنك تحظيْن عنده ، ويرغب فيك.

قال : وحدّثنى عبدالله بن جعفر ، عن ابن أبى عون ، قال : تزوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم الكِنْدِيّة فى شهر ربيع الأول سنة سبع من الهجرة .

قال : وحدثنى عبدالرحمن بن أبى الزّناد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، أنّ الوليد بن عبدالملك كتب إليه يسأله : هل تزوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم أختَ الأشعث بن قيس ؟ فسأله فقال : ماتزوّجها رسول الله صلى الله عليه وسلم قطّ،ولا تزوج كِنْديّة إلا أخت بنى الجوْن ، فَملكها ، فلما أتى بهاوقدمت المدينة نظر إليها وطلّقها ولم يَبْن بها .

قال : وحدّثنى معمر عن الزهرىّ قال : لم يتزوج النبى صلى الله عليه وسلم كِنْدية إلا أخت بنى الجون ولم يَبْنِ بها وفارقها .

وذكر هشام بن محمد أن ابن الغُسَيل حدّثه عن حمزة بن أبى أسيْد الساعدىّ عن أبيه – وكان بَدْرياً – قال : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أسماء ابنة النعمان الجونّية ، وأرسلنى ، فجئتُ بها ، فقالت حفصة لعائشة أو عائشة لحفصة:أخضِبيها انت وأنا أمشُطها ، ففعَلتا ثم قالت لها إحداهما : إنّ النبى يُعجبه من المرأة إذا أُدخِلَتْ عليه أن تقول:أعوذ بالله منك ، فلمّا دخلت عليه وأغلق الباب ، وأرخى الستر مدّ يده إليها ، فقالت : أعوذ بالله منك فقال بكمّه على وجهه فاستتر به ، وقال : عُذْت معاذاً ثلاث مرات . قال أبو أسيْد : ثم خرج علىّ وقال : يا أبا أسيد ألحقها بأهلها ، ومتّعها برازقيّتيْنِ – يعنى كرباسين – فكانت تقول : ادعونى الشقيّة .

قال هشام : وحدّثنى زهير بن معاوية الجعفى أنّها ماتت كمداً .

قال ابن عمر : فحدثنى سليمان بن الحارث ، عن عباس بن سهل ، قال :

سمعت أبا أسيد الساعدىّ يقول : لما طلعتُ بها على الصِّرم تصايحوا ، وقالوا: إنك لغير مباركة ، مادهاك ؟ فقالت خُدعتُ ، فقيل لى كيت وكيت للذى قيل لها ، فقال أهلها : لقد جَعَلْتِنا فى العرب شهرة ، فنادت أبا أسيْد ، فقالت : قد كان ما كان ، فالذى أصنع ماهو ؟ قال : أَقيمى فى بيتك فاحتجبى إلا من ذى محرم ، ولا يطمع فيك طامع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فإنك من أمهات المؤمنين فأقامت لايطمع فيها طامع ، ولا يراها إلا ذو محرم ، حتى توفيت فى خلافة عثمان ابن عفان عند أهلها بنجد .

وذكر هشام بن محمد الكلبيّ ، أن زهيْر بن معاوية الجُعفى حدثه أنها ماتت كمداً .

قال الحارث : وحدّثنى محمد بن سهيل، عن أبى عبيدة معمر بن المثنى ، قال : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن أسماء بنت النعمان بن الجون بن شراحيل بن النعمان ، من كْندة ، فلما دخل عليها ، فدعاها إليه ، فقالت : تعال أنت ، وأبتْ أن تجىء فطلّقها .

وقال آخرونّ: بل كانت أجمل النساء ، فخاف نساؤه أن تغلبهنّ عليه ، فقلن لها : إنا نرى إذا دنا منك أن تقولى : أعوذ بالله منك ، فلما دنا منها قالت : أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيًّا ، فقال : قد عذتِ بمعاذ ، وإنّ عائذ الله عز وجل أهلٌ أن يُجَار ، وقد أعاذك الله منى . فطلّقها ، وأمر الساقط بن عمرو الأنصارى فجهّزها ، ثم سرّحها إلى أهلها ، فكانت تسمّى نفسها الشقية .

ذكر تاريخ من عرف وقت وفاته من النساء المهاجرات والأنصار وغيرهن ممّن أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم وآمن به واتّبعه .

منهن أم أيمن مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاضنته واسمها بركة .كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثها خمسة أجمال وقطعة غنم – فيما ذكر – فأعتق رسول الله صلى الله عليه وسلم أمّ أيمن حين تزوّج خديجة ، فتزوجها عُبيد بن زيد

(١) الصرم : الجماعة من الناس .

من بني الحارث بن الخزرج ، فولدت له أيمن ، وقُتِل يوم حنين شهيداً ، وكان زيد بن حارثة لخديجة ، فوهبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم،فأعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوَّجه أم أيمن بعد النبوّة ، فولدت له أسامة بن زيد .

وذكر محمد بن عمر عن يحيى بن سعيد بن دينار عن شيخ من بني سعد بن بكر ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأم أيمن : ياأمّهْ ، وكان إذا نظر إليها قال : هذه بقية أهل بيتي .

قال ابن عمر : تُوَفِّيت أم أيمن في أول خلافة عثمان بن عفان .

قال ابن عمر : خاصم ابن أبي الفرات مولَى أسامة بن زيد الحسن بن أسامة بن زيد ، ونازعه فقال له ابن أبي الفرات في كلامه:يابن بركة – يريد أم أيمن – فقال الحسن : أشهدوا ، ورفعه إلى أبي بكر بن محمدبن عمرو بن حزم ، وهو يومئذ قاضي المدينة أووالٍ لعمر بن عبدالعزيز ، فقصّ عليه القصّة ، فقال أبوبكر لابن أبي الفرات : ما أردتَ إلى قولك له : يا بن بركة ؟ قال : سميتها باسمها ، فقال إنما أردتَ بهذا التصغير بها ، وحالها من الإسلام حالها ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها : يا أمّهْ ويا أم أيمن ؟ لاأقالني عز وجل إن أقلتُك ، فضربه سبعين سوطاً .

وأروى ابنة كُريز بن حبيب بن عبد شمس ، أسلمت وهاجرت إلى المدينة ، وماتت في خلافة عثمان .

وأسماء بنت أبي بكر ، أمّها قُتَيْلة ابنة عبدالعزى بن عبد أسعد بن جابر بن مالك بن حِسل بن عامر بن لؤي ، وهي أخت عبدالله بن أبي بكر لأبيه ، وأمه أسلمت قديماً بمكة ، وبايعت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، تزوّجها الزبير بن العوام ، فولدت له عبدالله وعروة وعاصماً والمهاجر وخديجة الكبرى وأم الحسن وعائشة بني الزبير . قال الحارث : حدثنا داود بن المحبّر ، قال : حدثنا حمّاد بن سلمة عن هشام بن عروة ، عن أسماء ابنة أبي بكر ، أنّها اتّخذت خنجراً في زمن سعيد ابن العاص في الفتنة ، فوضعته تحت مرفقتها ، فقيل لها : ماتصنعين بهذا ؟ قالت : إن دخل عليَّ لص بعجت بطنه . وكانت عمياء ، قالوا : ماتت أسماء بعد قتل ابنها عبدالله بن الزبير بليال ، وكان قتله يوم الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من جمادى الأول سنة ثلاث وسبعين .

ومارية سرية رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم،وأمّ ابنه إبراهيم عليه السلام ، كان المقوقس صاحب الإسكندرية أهداها مع أخت لها يقال لها سيرين مع أشياء أُخَر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وذكر ابن عمر أن يعقوب بن محمد بن أبى صعصعة حدّثه عن عبدالله بن عبد الرحمن بن أبى صعصعة ، قال : بعث المقوقس صاحب الإسكندرية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة سبع من الهجرة بمارية وأختها سيرين ، وألف مثقال من ذهب ، وعشرين ثوباً ليّنا وبغلته دُلدُل، وحماره عُفير - ويقال يعفور - ومعهم خصىّ يقال له مابور ، شيخ كبير كان أخا مارية ، وبعث به كلّه مع حاطب بن أبى بلتعة ، فعَرض حاطب على مارية الإسلام ، ورغّبها فيه ، فأسلمت وأسلمت أختها ، وأقام الخصىّ على دينه حتى أسلم فى المدينة بعد فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم معجَباً بأمّ إبراهيم ، وكانت بيضاء جميلة ، فأنزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعالية فى المال الذى يقال له اليوم مشربة أمّ إبراهيم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يختلف إليها هناك ، وضرب عليها الحجاب ، وكان يطؤها بملك اليمين ، فلما حملت وضعت هناك وقبِلتهاسَلْمى مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء أبورافع زوْج سلمى ، فبشّر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإبراهيم ، فوهب له عبداً ، وذلك فى ذى الحجة من سنة ثمان،وتنافست الأنصار فى إبراهيم ، وأحبوا أن يفرغوا مارية للنبى صلى الله عليه وسلم لما يعلمون مِنْ هواه فيها .

قال ابن عمر : وكانت مارية من حَفْن من كورة أنِصْنَا .

قال : وحدثنا أسامة بن زيد الليثى عن المنذر بن عبيد عن عبدالرحمن بن حسان بن ثابت عن أمه ، وكانت أخت مارية يقال لها سيرين ، فوهبها النبىّ صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت ، فولدت عبد الرحمن .

قالت:رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حُضِر إبراهيم ، وأنا أصيح وأختى ما ينهانا عن الصّياح وغسّله الفضل بن العباس ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم والعباس جالسان ، ثم رأيته على شفير القبر ، ومعه العباس إلى جنبه ، ونزل فى حفرته الفضل وأسامة بن زيد ، وكُسفت الشمس يومئذ ، فقال الناس : كُسفت لموت إبراهيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاتكسف لموت أحد ولا لحياته ، ورأى

رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجةً فى القبر ، فأمر بها تُسدّ ، فقيل للنبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : أما إنها لاتضرّ ولا تنفع ، ولكنها تقرّ عين الحىّ ، وإن العبد إذا عمل عملاً أحبّ الله عز وجل أن يُتْقنه .

قال ابن عمر : وحدّثنى موسى بن محمد بن عبدالرحمن عن أبيه ، قال: كان أبوبكر ينفق على مارية ، حتى توفّىَ ، ثم صار عمر ينفق عليها حتى تُوفيت فى خلافته .

قال ابن عمر : تُوفيت مارية أم إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المحرم سنة ست عشرة من الهجرة ، فرئىَ عمر يَحشر الناس لشهودها وصلّى عليها عمر وقــبرها بالبقيع .

ذكر أسماء من عاش بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من النساء المؤمنات فروت عنه ونقل عنها العلم ثم من بنى هاشم .

منهن فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم،عاشت بعد رسول الله ورُوى عنها عنه أحاديث ، منها ماحدّثنا به عمران بن موسى ، قال : حدثنا عبدالوارث قال : حدّثنا ليث ، عن عبدالله بن الحسن ، عن أمّه فاطمة ، عن جدّته فاطمة الكبرى ، عن النبّى صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا دخل المسجد صلّى على النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال : اللهمّ اغفرلى ذنوبى ، وافتح لى أبواب فضلك .

حدثنى محمد بن عبيد المحاربى قال : حدثنا المطلب بن زياد ، عن ليث عن عبدالله بن الحسن ، عن فاطمة الصغرى ، عن فاطمة الكبرى ، عن النبى صلى الله عليه وسلم على أنه قال فى دخول المسجد : « باسم الله اللهمّ صل على محمد ، وآله واغفر لى ذنوبى ، وافتح لى أبواب رحمتك » . وإذا خرج قال : « باسم الله ، اللهمّ اغفرلى ذنوبى ، وافتح لى أبواب فضلك » .

وحدثنى يعقوب بن إبراهيم والفضل بن الصبّاح ، قالا : حدّثنا إسماعيل بن عُليّة ، قال : أخبرنا ليث عن عبد الله بن حسن بن حسن ، عن أمّه فاطمة بنت الحسين ، عن جدّتها فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : كان رسول الله صلى الله

عليه وسلم إذا دخل المسجد صلّى على محمد وسلّم ، ثم قال : « اللهم أغفرلى ذنوبى ، وافتح لى أبواب رحمتك» ، وإذا خرج صلّى على محمد وسلم ثم قال : «اللهم اغفرلى ذنوبى ، وافتح لى أبواب فضلك » .

وحدثنا الرّبيع بن سليمان ، قال : حدّثنا أسد ، قال : حدّثنا قيس بن الربيع عن عبدالله بن الحسن ، عن فاطمة بنت الحسين ، عن فاطمة الكبرى ، قالت : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد ، قال : اللهمّ صلّ على محمد وسلم ، اللهمّ اغفر لى ذنوبي ، وافتح لى أبواب رحمتك » ، وإذا خرج من المسجد قال : « اللهمّ صل على محمد وسلّم ، اللهمّ اغفر لى ذنوبي ، وافتح لى أبواب فضلك » .

ومنهن أمّ هانئ ابنة أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبدمناف ، واسمها فاختة ، وكان هشام بن الكلبيّ يقول : اسمها هند ، وأمّها فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبدمناف ، ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبها إلى أبى طالب ، قبل أن يوحَى إليه ، وخطبها معه هُبيرة بن أبى وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ، فزوّجها هبيرة . فقال له النبّى صلى الله عليه وسلم : ياعمّ زوجّت هبيرة ، وتركتنى ، قال : يابن أخى،إنّا قد صاهرنا إليهم ، والكريم يكافئ الكريم . ثم أسلمت ، ففرّق الإسلام بينها وبين هُبيرة ، فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى نفسها ، فقالت : والله إن كنت لأحبّك فى الجاهلية ، فكيف فى الإسلام ! ولكنى امرأة مصبية ، وأكره أن يؤذوك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خير نساء ركبن الإبل نساء قريش ، أحناه على ولد فى صِغَره ، وأرعاه على زوج فى ذات يد ، عاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وروت عنه أحاديث ؛ منها ما حدّثنا أبو كُريب ، قال : حدّثنا عبيدالله ، عن إسرائيل عن السدّى ، عن أبى صالح عن أم هانئ ، قالت : خطبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرتُ إليه ، فعذرنى ، ثم أنزل الله عز وجل : (إنا أَحْلَلْنَا لكَ أَزْوَاجَكَ اللاتي آتيتَ أجُورَهُنَّ) — إلى قوله — (اللاتي هاجَرْنَ مَعَكَ) [1] ، قالت : فلم أحلّ له لم أهاجر معه ، كنتُ من الطلقاء .

ومنهن ضباعة ابنة الزبير بن عبد المطلب بن هاشم ، زوّج رسول الله صلى الله

---

(١) سورة الأحزاب ٥٠ .

عليه وسلم المقدادَ بن عمرو بن ثعلبة ضُباعة بنت الزبير هـذه ، فولدت له عبد الله وكريمة ، وقتِل عبد الله يوم الجمل مع عائشة فمرَّ به عليّ عليه السلام قتيلاً ، فقال : بئس ابن الأخت روت عـن رسول الله أحاديث ، حدّثنا ابن بشار ، قال:حدّثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، قال : حدّثنا همام بن يحيى ، عن قتادة ، عن إسحاق بن عبدالله بن الحارث ، عن جدته أمّ الحكم ، عن أختها ضباعة بنت الزبير،أنها رفعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لحماً فنهس منه ، ثم صلّى ولم يتوضّأ .

وأمّ الحكم ابنة الزبير بن عبد المطلب بن هاشم. تزوجها ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، فولدت له محمداً وعباساً وعبد شمس وعبد المطلب وأميّة ، وأروى الكبرى ؛ روت أمّ الحكم عن رسول الله .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا معاذ بن هشام ، قال : حدثني أبي عن قتادة ، عن إسحاق بن عبدالله بن نوفل ، عن أم الحكم ابنة الزبير ، أنها ناولت النبيّ صلى الله عليه وسلم كَتِفاً من لحم ، فأكل منها ثم صلّى .

وأمّ حكيم بنت عبدالمطلب ، وهى التى يقال لها البيضاء لم تدرك الإسلام ، وهى أم عامر بن كريز ، وهى جدّة عثمان بن عفان من قِبَل أمه ، كان كريز بن ربيعة تزوّج أم حكيم البيضاء ، فولدتْ له عامراً ، وأروى ، وطلحة ، وأم طلحة ، فتزوّج أرْوَى بنت كريز عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، فولدتْ له عثمان بن عفان ، ثم خلّف عليها عقبة بن أبى مُعَيْط ، فولدت له الوليد وخالداً وأم كلثوم بنى عقبة بن أبى معيط .

وصفية بنت عبد المطلب بن هاشم ، وأمها هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ، وهى أخت حمزة بن عبدالمطلب لأمّه كان تزوّجها فى الجاهلية الحارث بن حرب بن أمية بن عبد شمس ، فولدت له صُفيًّا ، ثم خلف عليها العوام ابن خويلد بن أسد ، فولدت له الزبير والسائب ، وعبد الكعبة ، وأسلمتْ وبايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهاجرت إلى المدينة ، وعاشت بعده إلى خلافة عمر بن الخطاب .

وأمامة ابنة حمزة بن عبد المطلب بن هاشم ، وأمها سلمى ابنه عميس بن مَعْد بن تيم بن مالك بن قُحافة بن خثعم أخت أسماء ابنة عميس ؛ هكذا سماها هشام بن محمد . وقال غيره : هي عمارة ابنة حمزة .

وقال هشام : عمارة رجل وهو ابن حمزة ، وبه كان يكنى ، عاشت بعد النبي صلى الله عليه وسلم وروتْ عنه .

ومن مواليهم

أمّ أيمن مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنى الحسين بن علىّ الصُّدائى ، قال : حدثنا شبابة ، قال : حدثنى أبومالك النخعى ، عن عبد الملك بن حسين ، عن الأسود بن قيس ، عن فُليح العَنَزىّ عن أم أيمن ، قالت : قام النبي صلى الله عليه وسلم من الليل إلى فخارة فى جانب البيت ، فبال فيها ، فقمت من الليل أنا عطشى فشربت مافى الفخارة ، وأنا لاأشعر ، فلما أصبح النبيصلى الله عليه وسلم قال : يا أمّ أيمن ، قومى إلى تلك الفخارة فأهريق مافيها ، قلت : قدوالله شربت مافيها ، قالت فضحك رسول الله حتى بدت نواجذه ، ثم قال أما إنك : لاتيجعين بطنك بعده أبداً

وسلمى مولاة رسول الله عاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروت عنه أحاديث .

حدثنى على بن شعيب السمسار ، قال : حدّثنا معن بن عيسى ، قال : حدّثنا فائد مولى عبيد الله بن علىّ بن أبي رافع ، عن عبيد الله بن علىّ بن أبى رافع ، عن جدّته سلمى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا كانت به القُرْحة أو الشىء ، جعل عليه الحنّاء .

وميمونة بنت سعد مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ روت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عبيد الله عن إسرائيل ، عن زيد بن جبير ،

عن أبي يزيد الضبي ، عن ميمونة بنت سعد ، قالت : سئل رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم عن ولد الزِّنا ، فقال : « نعلان أجاهِد بهما أحبُّ إليّ من أن أعتق ولد زنا » .

وأميمة مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم روت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا أبوكريب ، قال : حدثنا يونس بن بكير ، عن يزيد بن سنان أبي فروة الرُّهاويّ ، قال : حدثنا أبو يحيي الكلاعي ، عن جُبير بن نُفير ، قال : دخلت على أميمة مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : حدّثيني شيئاً ، سمعتيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : كنت يوماً أفرغ على يديه ، وهو يتوضأ إذ دخل عليه رجل ، فقال : يارسول الله إني أريد الرجوع إلى أهلي فأوصني بوصية أحفظها عنك قال : « لاتشركَنَّ بالله شيئاً ، وإن قُطعت وحُرّقت بالنار ، ولا تَعصينّ والديك ، وإن أمراك أن تخلّى من أهلك ودنياك فتخلّ ، ولا تتركنّ صلاةً متعمداً ، فمن تركها متعمداً برئت منه ذمة الله عز وجل وذمّة رسوله ، ولا تشرَبنّ الخمر فإنها رأس كل خطيئة ، ولا تَزْدادنّ فى تخوم الأرض ، فإنّك تأتى يوم القيامة على عنقك مقدار سبع أرضين ، ولا تَفِرَّنّ يوم الزَّحف ، فإنه مَنْ فرّ يوم الزحف فقدباءَ بِغَضَبٍ مِنَ الله ومأواه جهنمُ وبئس المصيرُ ، وأنفقْ على أهلك من طَوْلك ، ولاترفعَ عصاكَ عنهم ، وأخِفْهم فى الله عز وجل

ومن غرائب نساء العرب اللواتى عشن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، فروين عنه وكنّ قد بايعنه ، وأسلمن فى حياته

أمُّ الفضل وهى لبابة الكبرى بنت الحارث بن حَزْن بن بُجير بن الهُزم ابن رُويبة ابن عبدالله بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكْر بن هوازن بن منصور بن عِكْرِمة بن خَصَفة بن قيس بن عيلان بن مضر . وأمها هند ، وهى خَوْلة بنت عوف بن زهير بن الحارث بن حَمَاطة بن جُرَش ؛ وهم إلى حمير . وقيل إن أم الفضل أول امرأة أسلمت بمكة بعد خديجة ابنة خويلد ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم — فيما ذكر — يزورها ، ويقيل فى بيتها .

وأخوات أم الفضل ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وهى أختها لأبيها وأمها ولُبابة الصغرى ، وهى العصماءُ بنت الحارث ابن حزن وهى أختها لأبيها وهُزيلة بنتُ الحارث بن حزنٌ أختها أيضاً لأبيها ، وعَزّة أختها لأبيها وإخوتها ، وأخواتها لأمّها محمية بن جَزْء الزبيدىّ ، وعون وأسماء وسلْمى ، بنو عميس بن معْد بن الحارث من خَثْعم ، فتزوّج أم الفضل بنت الحارث العباس بن عبد المطلب ، فولدتْ له الفضل وعبدالله وعبيدالله ومعبَداً وقُثَم وعبد الرحمن وأم حبيب . وقال عبد الله بن زيد الهلالى :

ماوَلدَتْ نُجْبَيّة من فَحْــــلِ كسِتَةٍ من بطنِ أمِّ الفضـــلِ
* أكرمْ بها من كَهْلةوكهلِ *

وقال ابن عمر : هاجرت أم الفضل بنت الحارث إلى المدينة بعد إسلام العباس ابن عبدالمطلب .

ولبابة الصغرى ، وهى العصماءُ بنت الحارث وأمها فاختةبنت عامر بنمُعَتب بن مالك الثقفى ، تزوجها الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم بمكّة ، فولدت له خالد بن الوليد ، ثم أسلمت بعد الهجرة ، وبايعت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم .

وأسماءُ بنت عُميس بن مَعْد ، وأمها هند ، وهى خَوْلة بنت عوف بن زهير بن جُرَش ، قال الحارث : حدثنا خالد بن خداش قال : حدّثنا حماد بن زيد ، عن أيوب عن محمد ، أن أسماء ولدت لجعفر محمدا ، ولأبى بكر محمداً .

وأختها لأبيها وأمها سلمى بنت عميس أسلمت قديماً ، وتزوجها حمزة بن عبدالمطلب فولدت له ابنته عمارة ، وقتل حمزة بأحُد فتأيّمت سلمى ابنة عميس ، فتزوّجها شداد بن الهاد الليثى ، فولدت له عبدالله بن شداد ، فهو أخو ابنة حمزة لأمّها ، وهو ابن خالة ولد العباس بن عبدالمطلب ، وابن خالة خالد بن الوليد بن المغيرة ، فأما أسماء بنت عميس فإنها عاشت بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم حيناً وروت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث .

وأم عَبْد الله بن مسعود ، وهى أم عَبْد بنت عبد وُدّ بن سَواء بن قُرَيم بن صَاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هُذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر ، وأمها

هند بنت عبْد بن الحارث بن زهرة بن كلاب أسلمت وبايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد روت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حدثنى محمد بن معاوية الأنماطىّ قال : حدثنا عبَّاد بن العوّام عن أبان عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبدالله قال : حدثتنى أمى أنها باتت عندهم ليلة فقام النبى صلى الله عليه وسلم فصلى، قالت : فرأيته قُنَت فى الوِتْر قبل الركوع .

وزينب بنت أبى معاوية الثّقفية امرأة عبدالله بن مسعود ، أسلمت وبايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وروت عنه أحاديث .

منها ما حدثنا الربيع بن سليمان ، قال : حدثنا أسد بن موسى قال : ابن لهيعة ، قال : حدثنا بكير ، عن بُسر بن سعيد ، عن زينب امرأة عبد الله قالت ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيّتكُنّ جاءت المسجد فلا تقربنّ طيباً » .

وأم سنان الأسلميّة روت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر محمد بن عمر أن عبدالله بن أبى يحيى حدّثه عن ثُبيتة بنت حنظلة الأسلمية ، عن أمها أم سنان الأسلمية ، قالت : لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج إلى خيبر جئته ، فقلت : يارسول الله أخرُجُ معك فى وجهك هذا أخرزُ السقاء وأداوى المرضى والجرحى ، إن كانت جراح وإلاّ تكن ، فأنصر الرجل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اخرجى على بركة الله تعالى ؛ فإن لك صواحب معك ، فأذنتُ لهنّ من قومك ومن غيرهم فإن شئت فمع قومك ، وإن شئت فمعنا » قالت : معك ، قال : « فكوني مع أمّ سلمة زوجتى » ، قالت : فكنت معها .

وابنة أبى الحكم الغفارية ، روت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنى محمد بشار ومحمد بن المثنى قال : حدّثنا محمد بن أبى عون ، عن محمد بن إسحاق ، عن سليمان بن سُحَيم ، عن أمّه ابنه أبى الحكم الغِفارية ، قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنّ الرّجل ليدنو من الجنة ؛ حتى مايكون بينه وبينها قبّة ذراع ، فيتكلّم بالكلمة فيتباعد منها أبْعَدَ من صَنْعاء » .

وأم شريك روت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا عمرو بن بَيْدَق قال : حدثنا سفيان عن عبد الحميد بن جُبير بن شيبة ، عن سعيد بن المسيب ، أخبرته أم شريك أن النبي صلى الله عليه وسلم أمرَها بقتل الأوزاغ[1] .

حدّثني يونس ، قال : أخبرَنا ابن وهب ، قال : أخبرنى ابن جُريج ، عن عبد الحميد بن جُبير بن شيبة أن سعيد بن المسيّب أخبره ، قال : أخبرتنى أمّ شريكٍ إحدى نساء عامر بن لؤى ؛ أنها استأمرتْ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قتل الوِزْغان ، فأمرها بقتلها .

حدثنا أبو كُريب ، قال : حدثنا عبيدالله بن موسى عن ابن جريج ، عن عبد الحميد بن جبير بن شيبة ، عن سعيد بن المسيب ، عن أم شريك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الأوزاغ ، وقال : كان ينفخ على إبراهيم عليه السلام .

أم مرثد . روت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهرى ، قال : حدثنا محمد بن وهب بن أبى كريمة الحرّانىّ ، عن محمد بن مسلمة ، عن أبى عبد الرحيم بن العلاء ، عن محمد بن عبدالله بن أبى صعصعة ، عن أبيه عن أم خارجة بنت سعد بن الربيع ، عن أم مرثد ، وكانت ممنّ بايعْن رسول الله صلى الله عليه وسلم – قالت : خرجنا معه ، فقال : « أوّل مَنْ يشرف عليكم رجل من أهل الجنّة ، فأشرف علىٌّ عليه السلام . . .

وأم الدرداء روت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث ،

منها ماحدثنى سعد بن عبدالله بن الحكم ، قال : حدثنا أبوزرعة قال : حدثنا أبو حَيْوه قال : أخبرنا أبوصَخْر ، أنّ عيسى أبا موسى مولًى لجعفر بن خارجة الأسدىّ ، حدّثه أنّ أم الدرداء حدّثته أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لقيَها يوماً فقال لها : « مِنْ أين جئتِ يا أمّ الدرداء ؟ » قالت : من الحمام ، قال لها رسول الله

(١) الأوزاغ ، والوزغان : جمع وزغة ، وهى الحشرة المعروفة بسام أبرص .

صلى الله عليه وسلم : « مامن امرأة تنزع ثيابها فى غير بيتها إلا هتكت ما بينها وبين الله عز وجل من سِتْر » .

حدثنا الربيع ، قال : حدثنا أسد بن موسى ، قال : حدثنا ابن لهيعة ، قال : حدثنا زبان بن فائد عن سهل بن معاذ ، عن أَبيه ، أنه سمع أمّ الدرداء تقول : خرجتُ من الحمام فلقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « مِنْ أين يا أمّ الدرداء ؟ » قلت : من الحمام ، فقال : « والذى نفسى بيده مامن امرأة تضع ثيابها فى غير بيت إحدى أمهاتها إلا وهى هاتكة كلّ ستر بينها وبين الرحمن عز وجل » .

وأم المنذر بنت قيس بن عمرو بن عُبيد بن عامر بن عدى بن عامر بن غَنْم بن عدىّ بن غنم بن النجار ، وهى أخت سَليط بن قيس ، الذى شهد بدراً ، وقُتِل يوم جسْر[1] أبى عُبيد شهيداً لأبيه وأمه : بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورَوَتْ عنه .

ماحدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا زيد بن حُباب العُكلى ، قال : حدثنا فليح بن سليمان المدنىّ قال : حدثنا أَيوب بن عبدالرحمن الأنصارى ، عن يعقوب بن أَبى يعقوب ، عن أم المنذر الأنصارية ، وهى بعض خالات رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : دَخَل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلىٌّ عليه السلام معه ، وعلىٌّ ناقِهٌ من مرضه ، وعذق فى البيت معلّق فأكل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم ، فأكل منه علىّ عليه السلام ، فقال : « إنه لايوافقك ، فكفّ قالت : فصنعت سِلْقا[2] وشعيراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعته بين يديه ، فقال : « ياعلىُّ كلْ من هذا فإنه أوفق لك » .

---

(١) هو أبو عبيد بن مسعود الثقفى ؛ وهو صاحب الجسر المعروف بجسر أبى عبيد ؛ من أيام الفارسية ؛ على عهد عمر بن الخطاب سنة ١٣ .

(٢) السلقة : نبات يجلو ويحلّل ويلين ويسرّ النفس ؛ نافع فى بعض الأدواء .

القول فى تاريخ التابعين والخالفين والسلف الماضين من العلماء ونقلة الآثار

ذكر من هلك من التابعين سنة ثنتين وثلاثين

منهم كعب الأحبار بن ماتع ، يكنى أبا إسحاق ، وهو من حمير من أهل ذى رُعين ، وكان من ساكنى حِمْص ، وبها توفى سنة ثنتين وثلاثين فى خلافة عثمان بن عفان. وذكر العلائىُّ عن ابن معين ، أنه قال : هو كعب بن ماتع بن ذى هجن الحميرى .

حدثنا العباس قال : سمعت يحيى يقول : كعب الأحبار مات فى خلافة عثمان سنة أربع وثلاثين قبل أن يقتل عثمان بعام .

حدثنا ابن المثنى ، قال : حدثنى أحمد بن موسى ، عن داود ، قال : حدثنى ابن عم كعب أنّ كعباً كان يتعلّم سورة البقرة ويعلّمها إياه رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ؛ حتى انتهى إلى قوله : (فإن زَلَلْتُمْ مِن بعد ماجاءتْكُم البَيِّنَاتُ فاعلمُوْا أنَّ اللهَ غفورٌ رحيمٌ) . فقال كعب : ما أعرف هذا فى شىءٍ من كتب الله عزوجل ، أن ينهى عن الذنب ، ويَعِدَ عليه المغفرة ، فأبى الرجل أن يرجع عن ذلك ، وأبى كعب أن يتابعه حتى مرّ عليهما رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، فقالا له : هل تقرأ سورة البقرة ؟ فقال : نعم ، فقالا : (فإن زللتمْ مِنْ بَعْدِ ما جاء تْكم الْبَيِّنات) ، فقال الرجل : (فاعلموا أنّ الله عزيزٌ حكيم) فقال : نعم هكذا ينبغى أن يكون .

ومنهم أويس بن الخلَيص القَرنىّ كذلك ذكر ضمرة بن ربيعة عن عثمان بن عطاء الخُراسانى ، عن أبيه قال : سمعتُ من رجل من قومى – يعنى من قوم أويس – وأنا أحدّث بحديثه ، فقال : تدرى ياأبا عثمان أويس ابن مَن ؟ قلت : لا قال . أويس بن الخليص . وأما يحيى بن سعيد القطان فإنه قال : حدّثنا يزيد بن عطاء عن علقمة بن مرثد ، بأنه . قال : أويس بن أنيس القرنىّ.واختلف فى وقت مهلكه ، فقال بعضهم : قتل مع علىّ عليه السلام بِصفّين .

---

(١) سورة البقرة ٢٠٩ .

روى محمد بن أبى منصور ، قال : حدّثنا الحِمّانىّ قال : حدّثنا شَريك ، عن يزيد بن أبى زياد عن عبدالرحمن بن أبى ليلى ، قال : نادى منادى علىّ عليه السلام يوم صِفِّين ألا اطلبوا أويساً القرنى بين القتلى ، فطلبوه فوجدوه فيهم ، أوكلاماً هذا معناه .

ذكر من هلك منهم سنة إحدى وثمانين

منهم سويد بن غفلة :

ومحمد بن علىّ بن أبى طالب الأكبر ، وأمّه الحنفيّة خَوْلة بنت جعفر بن قيس بن مسلمة بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدّول بن حَنيفة بن لُجيم بن صَعب بن علىّ بن بكر بن وائل ، وقيل : إنها كانت من سَبْى اليمامة ، فصارت منه إلى علىٍّ بن أبى طالب عليه السلام .

وقال ابن عمر : حدثنا عبدالرحمن بن أبى الزناد ، عن هشام بن عُروة ، عن فاطمة ابنة المنذر ، عن أسماء ابنة أبى بكر قالت : رأيت أم محمد بن الحنفية سِنْديَّة سوداء ، وكانت أمةً لبنى حنيفة ، ولم تكن منهم ؛ وإنما صالحهم خالد بن الوليد على الرقيق ، ولم يصالحهم على أنفسهم .

وكان محمد بن الحنفية يكنى أبا القاسم ، وكان فاضلا ديّناً ذا علم جمّ وورع ، وقد ذكرنا خبره مع ابن الزبير فى أيام المختار بن أبي عبيد فى كتابنا المسمى « المذيل » .

وممن هلك فى سنة ثلاث وثمانين

أبو البَخْتَرىّ الطائىّ مولى لبنى نَبْهان من طَيِّئ ، واختُلِف فى اسمه ، فقال ابن المدينىّ : هو سعيد بن أبى عمران ، وقال يحيى بن معين : هو سعيد بن جُبير ، وجبير يكنى أبا عمران ، وقال بعضهم : هو سعيد بن عمران ، وكان من الشِّيعة .

وعبدالله بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب بن هاشم . ولد علَى عهد النبى صلى الله

عليه وسلم وكان يُشَبَّه برسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال علىّ بن محمد : تُوُفِّىَ عبدالله ابن نوفل بن الحارث سنة أربع وثمانين .

قال محمد بن عمر : حدثنى عبدالعزيز بن محمد وأبوبكر بن عبد الله بن أبى سَبْرة عن عثمان بن عمر عن أبى الغيث ، قال : سمعت أبا هريرة لما وَلِىَ مَرْوان بن الحكم المدينة لمعاوية بن أبى سفيان سنة ثنتين وأربعين فى الإمرة الأولى ، استقضى عبدالله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بالمدينة ، فسمعت أبا هريرة يقول : هذا أول قاضٍ رأيتهُ فى الإسلام

قال ابن سعد : وقال محمد بن عمر : وأجمع أصحابُنا على أن عبدالله بن نوفل بن الحارث أوّل من قَضَى بالمدينة لمروان بن الحكم ، وأهلُ بيته يُنكرون ذلك ، وأن يكونَ وَلِىَ هو أو أحد من بنى هاشم القضاء بالمدنية . قال : وأهل بيته يقولون : توفِّىَ فى خلافة معاوية ، قال : ونحن نقول إنه بقى بعد معاوية دهراً ، وتوفى فى سنة أربع وثمانين فى خلافة عبد الملك بن مروان

ومنهم سعيد بن وهب الهمْدانى ، من بنى يَحِمد بن موهب بن صادق بن يَنَاع ابن دومان — وهم اليَنَاعون من هَمْدان — سمع من معاذ بن جبل باليمن ، قبل أن يهاجر فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان من ملازِمى علىّ بن أبى طالب عليه السلام ، فكان يقال له القَرّاد للزومه له ، وكان من ساكنى الكوفة ، وكان ممنّ لايشَكّ فى صدقه وأمانته ، على ماروِىَ وحدّث من خَبر ، وكانت وفاته فى سنة ست وثمانين فى خلافة عبدالملك . قال الطبرىّ : قد مرّ اسمه فيمن توفى سنة ست وسبعين وأعيد هاهنا للاختلاف فى وقت وفاته .

قال : ومنهم علىّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب عليه السلام . وأمه غزالة أم ولد ، خلف عليها بعد حسين زُبيد مولى الحسين فولدتْ له عبد الله بن زُبَيْد ، وهو أخو علىّ بن الحسين ، ولعلىّ بن حسين هذا العقب من ولد حسين وهو على الأصغر ابن حسين .

وأما علىّ بن الحسين الأكبر ، فقتِل مع أبيه بنهر كربلاء ، وليس له عقب .

وشهد عليّ بن الحسين الأصغر مع أبيه ، كربلاء وهو ابن ثلاث وعشرين سنة ، وكان مريضاً نائماً على فراش ، فلما قُتِل الحسين عليه السلام قال شَمِر بن الجوشن : اقتلوا هذا ، فقال له رجل من أصحابه : سبحان الله أنقتل فتًى حدثاً مريضاً لم يُقاتل ! وجاء عمر بن سعد ، فقال : لا تَعَرّضوا لهؤلاء النسوة ولا لهذا المريض . قال عليّ : فلما أدخِلتُ على ابن زياد ، قال : ما اسمك ؟ قلت : عليّ بن حسين ، قال : أولم يقتُل الله عليًّا ؟ قال : قلت : كان لى أخٌ أكبر منى يقال له عليّ قتله الناس ، قال : بل الله قتله ، قلت : (الله يَتَوفّى الأنفس حين موتها) . فأمر بقتِله فصاحت زينب بنت عليّ : يا بنَ زياد ، حَسْبك من دمائنا ! أسألك بالله إن قتلته إلا قتلتَنى معه ! فتركه ،

وكان عليّ بن الحسين يكنى أبا الحسين ذكر عليّ بن محمد عن سعيد بن خالد عن المقْبرىّ ، قال : بعث المختار بن أبى عبيد إلى عليّ بن حسين بمائة ألف ، فكره أن يقبلها ، وخاف أن يَرُدّها ، فاحتبَسها عنده ، فلما قُتِل المختار كتب عليّ بن الحسين عليه السلام إلى عبدالملك بن مروان : إنّ المختار بعث إلىَّ بمائة ألف ، فكرهت أن أردَّها ، وكرهت أن آخذها ، وهى عندى ، فابعث مَنْ يقبضها ، فكتب إليه عبدُ الملك : يابن عمّ ! خذها فقد طيبتُها لك .

قال عليّ بن محمد عن يزيد بن عياض ، قال : أصاب الزهريُّ دماً خطأ ، فخرج وترك أهله ، وضرب فُسْطاطا ، وقال : لا يُظلُّلِنى سقف بيت فمر به عليّ بن الحسين عليه السلام ، فقال : يابنَ شهاب ، قنوطك أشدُّ من ذنبك ، فاتّقِ الله واستغفرْه ، وابعث إلى أهله بالدِّية ، وارجع إلى أهلك ، وكان الزّهرىّ يقول : عليّ بن الحسين عليه السلام أعظمُ الناسِ عليَّ منةً .

وقال عليّ بن محمد ، عن عليّ بن مجاهد عن هشام بن عروة ، قال : كان عليّ بن الحسين عليه السلام يخرج على راحلته إلى مكّة ، ويرجع لا يقرعها .

وقال ابن سعد : أخبرنا مالك بن إسماعيل ، عن سهل بن شُعيب النِّهمىّ – وكان نازلا فيهم يؤمّهمَ عن أبيه ، عن المنهال – يعنى ابن عمرو – قال : دخلت على عليّ بن الحسين عليه السلام ، فقلت : كيف أصبحتَ أصلحك الله ؟ قال : ما كنت أرى أن شيخاً من أهل المِصْر مثلك لا يدرى كيف أصبحنا ! فأمّا إذا لم تَدْر

أو تعلم ، فسأخبرك ، أصبحنا فى قومنا بمنزلة بنى إسرائيل فى آل فرعون ، إذ كانوا يذبّحون أبناءهم ويستحيون نساءهم ، وأصبح شيخنا وسيّدنا يتقرّب إلى عدّونا بشتمه أو سبّه على المنابر ، وأصبحت قريش تُعِدّ أن لها الفضل على العرب ، لأن محمداً منها لاتعدُّ لها فضلاً إلا به وأصبحت العرب مُقِرّةً لهم بذلك ، وأصبحت العرب تَعُدّ أن لها فضلاً على العجم ؛ لأنّ محمداً منها لاتعدّ لها فضلاً إلا به ، وأصبحت العجم مقرةً لهم بذلك ، فلئن كانت العرب صدقتْ أن لها فضلاً على العجم ، وصدقت قريش أنّ لها الفضل على العرب ؛ لأن محمداً منها ، إن لَنا أهل البيت الفضل على قريش ، لأنّ محمداً منّا ، فأصبحوا يأخذون بحقّنا ، ولا يعرفون لنا حقًّا ، فهكذا أصبحنا ؛ إذ لم تعلم كيف أصبحنا ، قال : فظننت أنه أراد أن يُسمع من فى البيت[1] .

وقال محمد بن عمر : حدثنى ابن أبى سبْرة ، عن سالم مولى أبى جعفر ، قال : كان هشام بن إسماعيل يؤذى علىّ بن الحسين وأهلَ بيته يخطب بذلك على المنبر ، وينال من علىّ عليه السلام . فلما وَلِىَ الوليد بن عبدالملك عزلَه ، وأمر به أن يوقف للناس . قال : وكان يقول لا والله ماكان أحدٌ من الناس أهمّ إلىَّ من علىّ بن الحسين كنت أقول : رجل صالح يُسمع قوله ، فوُقفَ للناس . قال : فجمع علىّ بن حسين ولده وحامّته[2] ، ونهاهم عن التعرض له ، قال : وغدا علىّ بن حسين عليه السلام مارًّا لحاجة ، فما عرض له ، فناداه هشام بن إسماعيل : (الله أعلم حيثُ يجعلُ رسالاته)[3] .

وقال محمد بن عمر : حدثنى عبد الحكيم بن عبد الله بن أبى فَرْوة قال : مات على بن الحسين عليه السلام بالمدينة ، ودُفِن بالبقيع سنة أربع وتسعين ، ويقال لهذه السنة سنة الفقهاء ؛ لكثرة مَنْ مات منهم فيها .

قال ابن سعد : أخبرنا عبدالرحمن بن يونس ، عن سفيان عن جعفر بن محمد عليه السلام ، قال : مات علىّ بن الحسين ؛ وهو ابن ثمان وخمسين سنة . قال : وهذا يدُلّك على أن علىّ بن حسين كان مع أبيه ، وهو ابن ثلاث أو أربع وعشرين سنة ، وليس قول مَنْ قال : إنه كان صغيراً ، ولم يكن أنبت بشىء ؛ ولكنه

---

(١) طبقات ابن سعد ٥ : ٢١٨ .
(٢) الحامة : خاصة الرجل من أهله .
(٣) سورة الأنعام : ١٢٤

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كان يومئذ مريضاً فلم يقاتل وكيف يكون يومئذ لم يُنبت ، وقد وُلد له أبو جعفر محمد بن علىّ عليه السلام : ولقىَ جابر بن عبد الله وروى عنه وإنما مات جابر سنة ثمان وسبعين (١)

وقال إسحاق بن أبى إسرائيل : حدّثنا جرير عن شيبة ابن نعامة قال : كان علىّ ابن حسين عليه السلام يُبخَّل ، فلما مات وجدوه ، يقوتُ مائة أهل بيت بالمدينة فى السرّ.

ومنهم — فى قول عمرو بن علىّ — ابو عثمان النّهدىّ واسمه عبد الرحمن بن ملّ بن عمرو ابن عدى بن وهب بن ربيعة بن سعد بن جذيمة ابن كعب بن رفاعة بن مالك بن نهد بن زيد بن ليث بن سُود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة ؛ حدثنا العباس بن محمد ، قال : حدّثنا الفضل بن دُكين ، قال : حدثنا أبو طالب عبدالسلام بن شداد ، قال : رأيتُ أبا عثمان شرطيًّا يجىء فيأخذ من صاحب الكمأة . الكمأة .

قال ابن سعد : أخبرنا أبو غسان مالك بن إسماعيل النَّهدىّ ، قال : كان أبو عثمان النهدى من ساكنى الكوفة ، وله بها دار فى بنى نَهْد ، فلما قتل الحسين عليه السلام تحوَّل فنزل البصرة ، وقال : لا أسكن بلداً قُتِل فيه ابن ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم(٢) .

وخالد بن معدان الكلاعى ، قال ابن سعد : أجمعوا على أنّ خالد بن معدان توفى سنه ثلاث ومائة فى خلافة يزيد بن عبدالملك(٣).

وقال عبدالقدوس بن الحجاج ، عن صفوان بن عمرو ، قال : سمعت خالد بن معدان يقول : أدركت سبعين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنى الحارث عن الحجاج قال : حدّثنى أبو جعفر الحُدّانى ، عن محمد بن داود ، قال : سمعت عيسى بن يونس ، يقول : كان خالد بن معدان صاحبَ شرطة يزيد بن معاوية ، وكان خالد غير متهم فيما روى ، وحدّث من خبر فى الدين . وقيل : إنه مات وهو صائم ، وكان من ساكنى الشأم وبها مات .

(١) طبقات ابن سعد ٥ : ٢١١ .
(٢) طبقات ابن سعد ٧ : ٢٧١ .
(٣) طبقات ابن سعد ٧ : ٤٥٥ .

ذكر من هلك منهم سنة خمس ومائة

فمنهم عكرمة مولى عبد الله بن عباس بن عبدالمطلب ، يكنى أبا عبدالله ، قال ابن سعد : أخبرنا عامر بن سعيد أبو جعفر قال : حدّثنا هشام ين يوسف قاضى أهل صنعاء ، عن محمد ابن راشد ، قال : مات ابن عباس ، وعكرمة عبْدٌ ، فاشتراه خالد بن يزيد بن معاوية من علىّ بن عبدالله بن العباس بأربعة آلاف دينار ، فبلغ ذلك عكرمة ، فأتى عليًّا فقال : بعتَنى بأربعة آلاف دينار؟ قال : نعم ، قال : أما إنه ما خير لك بعت علم أبيك بأربعة آلاف دينار ! فراح علىّ إلى خالد ، فاستقاله فأقاله فأعتقه[1].

وكان عكرمة لايدفعه أحد يعلمه عن التقدّم فى العلم بالفقه والقرآن وتأويله وكثرة الرواية للآثار .

حدثنى الصرار بن إسماعيل ، قال : أخبرنا إسماعيل ، قال : حدثنا إبراهيم ابن سعد عن أبيه ، قال : كان سعيد بن المسيّب يقول : لِبْردٍ مولاه : يابرد ، لاتكذب علىّ كما كذب عكرمة ، على ابن عباس ، كلٌّ حديث حدّثكموه بُرْدٌ عنى مما تنكرون ، وليس معه فيه غيره ، فهو كذب .

حدثنا ابنُ حميد قال : حدثنا جرير ، عن يزيد بن أبى زياد ، قال : دخلت على علىّ بن عبدالله بن عباس ، وعكرمة مقيّد على باب الحَشّ ، قال : قلت له مالهذا كذا قال : إنه يكذب على أبى .

وقال يحيى بن معين : حدّثنى مَنْ سمع حماد بن زيد ، يقول : سمعت أيوب — وسئل عن عكرمة كيف هو — قال أيوب : لولم يكن عندى ثقة لم أكتب عنه .

وقال آخرون ممن لايرى الاحتجاج — بخبر عكرمة : لم نُنْكر من أمر عكرمة ، روايته ماروى من الأخبار ، وإنما انكرنا من أمره مذهبه ، وقالوا : إنه كان يرى رأى الصُّفرية من الخوارج ، وذكر انه نحل ذلك الرأي إلى ابن عباس ، وكان ذلك كذبُه على ابن عباس .

---

(١) طبقات ابن سعد ٥ : ٢٨٧ .

وحُدِّثت عن مُصعب الزبيريّ قال : كان عكرمة يرى رأى الخوارج ، فطلبه بعض وُلاة المدينة ، فغُيِّب عند داود بن الحصين ، ومات عنده .

وذكر عن يحيي بن معين أنه قال : إنّما لم يذكر مالك بن أنس عكرمة ، لأن عكرمة كان ينتحل رأى الصُّفرية .

وقد آختلفوافى وقت وفاة عكرمة ، فقال بعضهم : توفى سنة خمس ومائة ذكر محمد بن عمر أن ابنة عكرمة حدثته أن عكرمة توفى سنه خمس ومائة وهو ابن ثمانين سنة .

قال ابن عمر : وحدثنى خالد بن القاسم البياضى ، قال : مات عكرمة وكثّير عزة الشاعر فى يوم واحد سنة خمس ومائة ، فرأيتهما جميعاً ، صُلّىَ عليهما فى موضع واحد بعد الظهر فى موضع الجنائز ، فقال الناس : مات اليوم أفقه الناس وأشعر الناس .

قال : وقال غير خالد بن القاسم : وعجب الناس لاجتماعهما فى الموت ، واختلاف رأيهما ؛ عكرمة يُظَنُّ به أنه يَرى رأى الخوارج ، يكفّر بالنظرة ، وكثّير شيعى يؤمنُ بالرَّجْعَة .

حدثنى يحيي بن عثمان بن صالح السهمى، قال : حدثنا ابن بكير ، قال : حدثنا الدراوردىّ قال : توفِّىَ عكرمة وكثّير عزة الشاعر بالمدينة فى يوم واحد ، فما حَمَل جنازتهما إلا الزّنج .

وقال أبونعيم :الفضل بن دُكين : مات عكرمة فى سنة سبع ومائة .

وروى عن يحيي بن معين أنه قال : مات عكرمة سنة خمس عشرة ومائة . وكان عكرمة جوّالاً فى البلاد قدم البصرة فسمع منه أهلها ، والكوفة فحمل عنه كثير ممنّ بها واليمن ، فكتب عنه بها كثير من أهلها ، والمغرب فسمع منه جماعة من أهله والمشرق ، فكتب عنه به .

حدثنى يحيي بن عثمان بن صالح ، قال : حدثنا نعيم بن حمّاد ، قال : حدثنا عبد المؤمن بن خالد الحنفىّ ، قال : قدم علينا عكرمة خُراسان ، فقلت له : ما أقدمك إلى بلادنا ؟ قال : قدمت آخذُ من دنانير وُلاتكم ودراهمهم .

وأما أبو تُميلة ، فإنه روى عن عبد العزيز بن أبى رواد ، قال : قلت لعكرمة : تركت

الحرمين ، وجئت إلى خراسان ، قال : أسعى على بناتى . غير أنّ وفاته كانت بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وذكر عن إبراهيم ابن خالد عن أمية بن شبْل عن معمر ، عن أيوب ، قال : قَدِم علينا عكرمة ، واجتمع الناس عليه حتى أصعدوه فوق ظهر بيت .

وعامر بن شرَاحيل بن عبْد الشعبيّ قال ابن سعد : هو من حمْير وعِداده فى هَمْدان فقال : أخبرنا عبدالله بن محمد بن مرة الشعبانىّ ، قال : أخبرنا أشياخ من شعبان ، منهم محمد بن أبى أمية ، وكان عالماً أن مطراً أصاب اليمن ، فجعف السيل موضعاً فأبدى عن أزج[1] عليه بابٌ من حجارة ، فكسر الغلق ، فدخل فإذا بهوٌ عظيمٌ فيه سرير من ذهب ، وإذا عليه رجل ، قال : شبَرْناه فإذا طوله اثنا عشر شبراً ، وإذا عليه جبابٌ من وَشْيٍ منسوجة بالذهب ، وإلى جنبه محْجَن من ذهب ، على رأسه ياقوتة حمراء ، وإذا رجل أبيض الرأس واللحية ، له ضفران ، وإلى جنبه لوح مكتوب فيه بالحميرية : باسمك اللهمّ ربّ حمير ، أنا حسان بن عمرو والقيْل إذلا قيل إلا الله ، عشت بأمل ، ومت بأجل ، أيام وَخْزهيد ، هلك فيه اثنا عشر ألف قَيْل ، وكنت آخرهم قَيْلاً ، وأتيت جَبلَ ذى شَعْبين ليجيرنى من الموت فأخفرنى ، وإلى جنبه سيف مكتوب فيه بالحميرية ، أنا قبار ، بى يُدْرك الثار .

قال عبدالله بن محمد بن مرة الشعبانىّ : هو حسان بن عمرو بن قيس بن معاوية ابن جُشَم بن عبد شمس بن وائل بن غَوْث بن قمن بن عريب بن زهير بن أيمن بن حمير ، وهو حَسّان ذو الشُّعبين ، وهو جبل باليمن ، نزله هو وولده ، ودفن به . ونسب إليه هو وولده ، فَمنْ كان بالكوفة قيل لهم شعبيون ، منهم عامر الشعبى ، ومن كان بالشأم قيل لهم شعبانيون ، ومن كان باليمن قيل لهم : آل ذى شَعْبَيْن ، ومَنْ كان منهم بمصر والمغرب قيل لهم : الأشعوب ، وهم جميعاً بنو حسان بن عمرو ذى شعبين فبنو علىّ بن حسان ابن عمرو ورهط عامر بن شراحيل بن عبد الشعبيّ ، ودخلوا فى أحْمور همْدان باليمن فعدادهم فيه ، والأحمور خارف والصائديُّون وآل ذى بارق والسَّبيع وآل ذى جُدَّان وآل ذى رضوان وآل ذى لَعْوة وآل ذى مَرَّان ، وأعراب هَمْدان عُذَر ويام

---

(١) جعف : قلع ، والأزج : نوع من الأبنية .

ونهم وشاكر وأرحب . وفى همدان من حمير قبائل كثيرة منهم آل ذى حَوَال ، وكان على مقدمة تبّع منهم يعفر بن الصباح المتغلّب على مخاليف صنعاء اليوم ، وكان الشعبي يكنى أبا عمرو ، وكان ضئيلا نحيفاً ، وكان فقيهاً عالماً راوية الشعر والأخبار وأيام الناس .

ومنهم طاوس بن كيسان ، وكان يُكْنَى أبا عبد الرحمن . وكان فقيهاً عالماً عابداً ورعاً فاضلاً ؛ حدثنا أبو كريب ، قال : حدّثنا يحيى ، عن زهير . عن ليث عن طاوس ، قال : أدركت سبعين شيخاً من أصحاب رسول الله .

وقال يحيى بن معين : حدثنا المعتمر بن سليمان ، قال : قال أبي : وما على خالد الحذّاء لو صُنِع كما صنع طاوس ! قال : وما صنع طاوس ؟ قال : كان يجلس فإن أتاه إنسان بشيء قَبِله وإلا سكت . قال يحيى : وأنا أقول : كان طاوس على العشور ، وكان خالد الحذّاء على العشور .

وذُكِر عن على بن المديني أنه قال : يحيى بن سعيد ، قال سفيان بن سعيد : كان طاوس يتشيّع .

وقال ابن عمر عن سيف بن سليمان قال : مات طاوس بمكّة قبل التروية بيوم ، وكان هشام بن عبدالملك وهو خليفة قد حج تلك السنة سنة ست ومائة ، فصلّى على طاوس ، وكان له يوم مات بضع وسبعون سنة .

حدثنى الحارث ، قال : حدثنا سُريج بن يونس ، قال : حدثنا يحيى بن سليمان ، قال : بلغنى أن طاوساً قال لمجاهد : لو كان من قِصَرِك فى طولى ، ومن طُولِى فى قصرك جاء منا رجلان مستويان .

وذكر عن زيد بن حباب ، أنه قال : قال إبراهيم بن نافع : هلك طاوس فى سنة ست ومائة .

وقال ابن عمر : كان طاوس مولى بَحِير بن رَيْسان الحميرى ، وكان ينزل الجَنَدَ .

ومنهم الحسن بن أبى الحسن ، واسم أبى الحسن يسار ، يقال : إنه من سَبْيِ مَيْسان ، وقع إلى المدينة ، فاشترته الربيّع بنت النضر عمة أنس بن مالك .

وقال علىّ بن محمد : أبو الحسن بن أبى الحسن البَصْرِىّ من سَبْي مَيْسان ، وكانت

أم الحسن خادمةً لأم سلمة زوج النبيّ صلى الله عليه وسلم .

وقال الأصمعيّ عن حَمّاد بن سلمة ، عن عليّ بن زيد بن جُدْعان ، وكان أعلم الناس بالحسن . أنه وُلد وهو مملوك .

وذكر عن يحيي بن معين أنه قال : اسم أم الحسن بن أبي الحسن خيْرَة .

وقال عليّ بن محمد عن سلمة بن عثمان عن بن عون قال : قال الحسن : قتل عثمان وأنا ابن أربع عشرة سنة . وكان الحسن عالماً فقيهاً فاضلاً قارئاً لايُشكّ فى صدقه ، فيما روى . ونقل غيره أنه كان كثير المراسيل كثير الرواية عن قوم مجاهيل ، وعن صحفٍ قد وقعت إليه لقوم أخذها منهم وعنهم .

حدثنى محمد بن هارون الحربيّ قال : حدثنا نعيم ، قال : حدّثنا سفيان عن مساور الوراق ، قال : قلت للحسن البصرى : عمّن تحدث هذه الأحاديث ؟ قال : عن كتاب عندنا سمعته من رجل .

وحدثنا عمرو بن عليّ ، قال : حدثنا عفان ، قال : حدّثنا وُهيب عن أيوب ، قال : لم يسمع الحسن من أبى هريرة .

حدثنا عمرو بن عليّ ، قال : حدثنا أبو قتيبة ، قال : حدثنا شعبة ، قال : قلت ليونس : أسمع الحسنُ من أبى هريرة ؟ قال : لا ولا حرفاً .

وقال ابن سعد : قال يحيي بن سعيد القطان ، فى أحاديث سَمُرة التى يرويها الحسن عنه . أنها من كتاب ، وقد نسبه قوم إلى أنه كان يقول بقول القَدَرِيّة ، وأنكر ذلك على مَنْ نسبه إليه قوم .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا جرير ، عن مغيرة ، قال : أعلمُهم بالديات والقضاء وأيام الناس الشّعبى ، وأعلمهم بالصلاة والزكاة والحلال والحرام إبراهيم النَّخَعيّ ، وأعلمهم بالمناسك عَطَاء بن أبى رَباح ، وأعلمهم بالتفسير سعيد بن جبير ، وأعلمهم بالتّجارة والصَّرف ابنُ سيرين ؛ والحسن البصرى سيّدهم .

وقال ابن سعد : أخبرنا موسى بن إسماعيل ، قال : حدّثنا حماد بن زيد ، قال : قال عمرو بن عبيد : ما كنا نأخذ علم الحسن إلا عند الغضب .

حدثنى عليّ بن سهل ، قال : حدثنا الوليد عن خليد ، أن رجلا سأل الحسن عن مسألة ، فتكلّم فيها فقال السائل : يا أبا سعيد إن العلماء يخالفونك ، قال :

ثكلتْك أمك ! وهل رأيت عالماً ؟ ذَهَبَ والله العلماء فى كل بلد ، فكان آخرهم موتاً بالمدينة جابر بن عبدالله ، وبمكة عبد الله بن عمر أو عمرو – قال الطبرىّ وأنا أشك وفى كتابى ابن عمر – وبالبصرة أنس بن مالك ، وبالكوفة عبدالله بن أبى أوفى ، وبالشأم أبو أمامة .

وقال علىّ بن محمد عن أبى إسحاق عن الحسن قال : دخلت على الحجّاج فقال : يا حسن ، ما جرّأك علىّ ! ثم قعدتَ تفتى فى مسجدنا ؟ قلتُ : الميثاق الذى أخذه الله عز وجل على بنى آدم ، قال : فما تقول فى أبى تراب ؟ يعنى علىّ بن أبي طالب عليه السلام ؟ قلت : وما عسى أن أقول إلا ما قال الله عز وجل ، قال : وما قال الله ؟ قلت : قال الله عزوجل :(وما جَعلنا القِبْلَةَ التى كنتَ عَليها إلا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتّبعُ الرَّسُولَ مِمّنْ ينقلِبُ على عَقِبيْهِ وإن كانتْ لكَبِيرَةً إلا علَى الّذى هَدَى الله) (١) ، وكان علىّ عليه السلام ممّنْ هدى الله ، فغضب ثم أكبّ ينكت الأرض ، وخرجتُ لم يعرض لى أحد ، فتواريتُ حتى مات ، توارَى تسع سنين .

حدثنى الحارث ، قال : حدّثنا داود بن المحبَّر ، قال : حدّثنا الربيع بن صبيح ، قال : سمعت الحسن يقول : ليس للفاسق المعلن بالفسق غِيبة ، ولا لأهلِ الأهواء والبدع غِيبة ، ولا للسلطان الجائر غِيبة .

حدّثنى الحارث ، قال : حدثنا العباس بن الفضل العبدى ، قال : حدّثنا ابن عيينة قال : أخبرنا أبو موسى ، قال : لمّا خرج الحسن من عند الحجاج قال : خرجت من عند أُحَيْول قصير يُطبطب ، شُعيرات له ، أخرج إلىّ بناناً له قصيرة ، قلّما عرفت فيها الأعنّة فى سبيل الله عزّ وجلّ ، أمَا والله إنّهم وإن ركبوا البراذين وصعدوا المنابر ؛ إنَّ ذلَّ المعاصى لفى أعناقهم ، أبى الله تعالى إلا أن يذلّ مَنْ عصاه ، ما زال الله يريهم فى أنفسهم العِبَر ، ويرى المؤمنين فيهم المعتبَر ، اللهمّ أمِته كما أمات سُنّتك .

حدثنى الحارث ، قال : حدّثنا خالد بن خداش ، قال : حدّثنا عمارة بن زاذان الصيدلانى قال : رأيت على الحسن بُرْداً عدنياً مصلباً ، وقميصاً شَطَوِيّاً (٢) ونعلا مثل حذو الفتيان .

---

(١) سورة البقرة ١٤٣ . (٢) شطويًّا ، منسوب إلى شطاة ، بلدة بمصر.

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنى علىّ بن محمد عن عبدالله بن مسلم ، قال : أُتِىَ الحسن بفالوذج ، فقال لابنه سعيد : ادْنُ يابنىّ فأصب منه ، قال : أخاف مغبّته . فقال يابنىّ ، لباب القمح بلعاب النحل بخالص السمن ماغِبٌ هذا بسوء قطّ ، أو قال ، ما غِبٌ هذا بشرٍّ قطّ .

وقال يونس : أخبرنا موسى ، قال : حدثنا سهل بن حُصَين بن مسلم الباهلىّ قال : بعثت إلى عبدالله بن الحسن بن أبى الحسن : ابعث إلىّ بكتُب أبيك ، فبعث إلىّ أنه لما ثقِل قال : اجمعهالى ، فجمعتها له ، وماندرى مايصنع بها ، فأتيته بها ، فقال للجارية : اسجرى التّنور ، ثم أمر بها فأحرِقت غير صحيفة واحدة ، فبعث بها إلىّ . ثم لقيتُه بعد ذلك فأخبرنى مشافهة بمثل الذى أخبرنى الرسول عنه .

وحدثنى علىّ بن سهل قال : حدثنا ضمرة بن ربيعة عن ابن شوذب قال : مات الحسن سنة عشر ومائة ومات ابن سيرين بعده بمائة ليلة .

حدثنى أبوالسائب ، قال : حدثنا ابن إدريس ، قال : سمعت شعبة يقول : هلك الحسن سنة عشر ومائة وكان بينه وبين ابن سيرين مائة يوم ، والحسن قَبْل .

وقال ابن سعد : قال معاذ بن معاذ . كان الحسن أكبرَ من محمد بن سيرين بعشر سنين .

وحدثنى علىّ بن مسلم الطوسىّ قال : حدثنا سعيد بن عامر ، قال : مات الحسن فى سنة عشر ومائة وولد فى إحدى وعشرين ، وصلّى عليه رجل من أهل الشأم ، يقال له النّضر بن عمرو ، وكان على الصلاة ، وبلغ تسعاً وثمانين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : سمعتُ أبى يقول : سمعت حماد بن زيد يقول : قال أيوب : خاصمتُ الحسن فى القَدَر حتى هدّدته بالسلطان .

حدثنى أبوعثمان المقدّمى قال : حدثنا الفروىّ قال : سمعتُ مالكاً وهو يقول : ابن سيرين عندنا أفضل من الحسن ، فقلت له : يا أبا عبدالله ، بأىّ شىء ؟قال : إن الحسن زَيّغه القَدَرِيّة .

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا الحكم بن بشير ، قال : حدثنا زكرياء بن سلام ، قال : جاء رجل إلى الحسن فقال : إنه طلّق امرأته ثلاثاً ، فقال : إنك عصيْتَ ربّك ، وبانت منك امرأتك ، فقال الرّجل : قضى الله ذلك علىّ ، فقال

الحسن : وكان فصيحاً : ما قَضى الله ، أىْ ما أمرَ الله عزّ وجّل ، وقرأ هذه الآية : (وَقَضَى ربُّكَ ألّا تَعْبُدُوا إلّا إيّاه) [(١)] .

وحدّثنى إسماعيل بن مسعود الجَحْدرىّ قال : حدّثنا المعتمر بن سليمان عن قُرّة بن خالد عن أبى رباح بن عَبيدة ، قال : أخوف ما أخاف على الحسن قولُه فى القَدر : يفرِّق به بين الناس .

ومنهم محمد بن سيرين ، ويكنَى أبا بكر مولى أنس بن مالك ، وكان به صمَم فيما ذكر .

قال ابن سعد : حدثنا خالد بن خداش قال : حدثنا حماد بن زيد ، عن أنس بن سيرين قال : وُلِدَ محمد بن سيرين لسنتين بقيتا من خلافة عثمان وُلدت أنا لسنة بقيت من خلافته .

قال : وقال بكّار بن محمد : وُلد لمحمد بن سيرين ثلاثون ولداً من امرأة واحدة لم يبق منهم غير عبدالله بن محمد .

ومنهم وهب بن منبه بن كامل بن سيّج ، وهو رجل من أبناء فارس الذين كان كسرى وجّههم إلى اليمن لحرب مَنْ كان بها من الحبشة ، فأجْلَوْهم عنها ، وغلبوا على اليمن ومخاليفها[(٢)] . وكان وهب يكنى أبا عبد الله ، وكان رجلا قد قرأ كتب الأنبياء وعلم أخبار الأولين ، وكان من ساكنى صنعاء هو وإخوته .

قال محمد بن عمر وعبد المنعم بن إدريس : مات وهب بن منبه بصنعاء سنة عشر ومائة فى أول خلافة هشام بن عبدالملك بن مروان .

وقال بعضهم : كانت وفاته فى سنة أربع عشرة ومائة .

ذكر من هلك منهم فى سنة إحدى عشرة ومائة

منهم عطية بن سعد بن جُنادة العوْفى ، من جديلة قيس ، ويكنى أبا الحسن ، قال ابن سعد : أخبرنا سعيد بن محمد بن الحسن بن عطية قال : جاء سعد بن جُنادة

---

(١) سورة الإسراء ٢٣ .

(٢) المخاليف : جمع مخلاف ؛ وهو الكورة أو الإقليم فى بلاد اليمن .

إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام وهو بالكوفة ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إنه ولد لى غلام فسمِّه ، فقال : هذا عطية الله ، فسمّى عطية . وكانت أمّه رومية ، وخرج عطية مع ابن الأشعث .

هرب عطيّة إلى فارس وكتب الحجاج إلى محمد بن القاسم الثقفى : أن ادع عطية فإنْ لعن عليّ بن أبي طالب عليه السلام وإلاّ فاضربْه أربعمائة سوط ، واحلق رأسه ولحيته ، فدعاه وأقرأه كتاب الحجاج ، وأبَى عطية أن يفعل ، فضربه أربعمائة سوط وحلَق رأسه ولحيته فلما ولى قتيبة بن مسلم خراسان خرج إليه عطية ، فلم يزل بخراسان حتى ولِيَ عمر بن هبيرة العراق فكتب إليه عطيّة يسأله الإذن له فى القدوم ، فأذن له فقدم الكوفة فلم يزل بها إلى أن توفِّىَ فى سنة إحدى عشرة ومائة . وكان كثير الحديث ثقة إن شاء الله

ذكر من هلك منهم فى سنة ثنتى عشرة ومائة

منهم عبدالرحمن بن أبي سعيد الخُدرىّ ، واسم أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان ، واختُلف فى كنيته ، فقال محمد بن عمر : كنيته أبو محمد ، وقال ابن عمر : توفِّىَ عبدالرحمن بن أبي سعيد بالمدينة سنة ثنتى عشرة ومائة وهو ابن سبع وسبعين سنة . روَى عن أبيه .

وأبو جعفر محمد بن على بن حسين بن على بن أبي طالب عليه السلام وأمه أمّ عبدالله ابنة حسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

قال ابنُ عمر : حدّثنا عبدالرحمن بن عبدالعزيز ، عن حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف ، قال : رأيتُ أباجعفر يتكئ على طيلسان مطوىّ فى المسجد .

قال ابن عمرَ : ولم يزل ذلك من فعل الأشراف وأهل المروءة عندنا الذين يلزمون المسجد ، يتكئون على طيالسة مطوية سوى طيالستهم وأرديتهم الّتى عليهم

أخبرنا عبد الرحمن بن يونس ، عن سفيان بن عيينة ، عن جعفر بن محمد ، قال : سمعتُ محمد بن عليّ يذاكر فاطمة ابنة حسين شيئاً من صدقة النبى صلىالله عليه وسلم ، وقال : هذه توفى لى ثمانياً وخمسين ، ومات لها .

قال ابن عمر : فأمّا فى روايتنا فإنه مات سنة سبع عشرة ومائة وهو ابن ثلاث وسبعين سنة .

وقال أبو نعيم فيما حدثنى محمد بن إسماعيل عنه : مات محمد بن علىّ أبو جعفر سنة أربع عشرة ومائة .

وقال علىّ بن محمد المدائنى : توفِّىَ أبو جعفر محمد بن علىّ بن حسين عليه السلام سنة سبع عشرة ومائة وهو ابن ثلاث وستين سنة .

وقال يحيى بن معين : توفِّىَ أبو جعفر محمد بن على بن حسين سنة ثمان عشرة ومائة .

وحدّثنى محمد بن عبدالله الحضرمىّ قال : حدثنا سويد بن سعيد ، قال : حدثنا مفضّل بن عبدالله ، عن أبان بن تَغْلِب عن أبى جعفر ، قال : جاءنى جابر بن عبدالله وأنا فى الكتّاب ، فقال لى اكشف لى عن بطنك ، فكشفت له عن بطنى ، فقبَّله ثم قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنى أن أقرئك السلام .

ومنهم الحكم بن عُتيبة ، واختُلِف فى كنيته ، فقيل : كنيته أبو محمد .

وقال ابن سعد أخبرنا الفضل بن دُكين ، قال : حدّثنا أبو إسرائيل أنّ الحكم بن عتيبة كان يكنَى أبا عبد الله(١) .

واختُلف فى ولائه ، فقال ابن سعد : كان مولًى لكندة وقال علىّ بن محمد : الحكم بن عتيبة كِندىّ ، قال : ويقال : أسدىّ مولى لهم ، وكان الحكم بن عتيبة مقدماً فى العلم والفقه كثير الحديث(٢) .

وقال عبد الرحمن بن صالح : حدّثنا نوح بن درّاج عن ابن أبى ليلى ، قال : كنت عند الحكم ، فجاءه داود الأَوْدِىّ فقال : إن الناس يزعمون أنك تنال من أبى بكر وعمر ، فقال : ما أفعل ، ولكنى أزعم أن علياً خير منهما .

وحدثنى أبو السائب ، قال : حدثنا ابن إدريس ، قال : سمعتُ شعبة يقول : هلك الحكم بن عُتيبة سنة خمس عشرة ومائة .

---

(١) طبقات ابن سعد ٦ : ٢٣١ .

(٢) طبقات ابن سعد ٦ : ٣٣١ .

وحدثني محمد بن إسماعيل ، قال : قال أبو نعيم الفضل بن دُكين : مات الحكم بن عتيبة فى سنة خمس عشرة ومائة .

وسعيد بن يسار أبو الحباب مولى الحسن بن علىّ عليه السلام من ساكنى المدينة وبها كانت وفاته فى سنة سبع عشرة ومائة

ومحمد بن كعب بن حيّان بن سليم بن أسد القُرظي . من حلفاء الأوس ويكنى أبا حمزة واختلف فى وقت وفاته فقال أبو نعيم الفضل بن دكين – فيما ذكر : حدثني به محمد بن إسماعيل عنه : مات سنة ثمان ومائة . وكان عالماً فاضلاً غير مدفوع وكان كثير الرواية .

وقتَادة بن دِعَامة السدوسى ويكنى أبا الخطاب ، وكان أعمى حافظاً فطناً . وذكر عن ابن معين أنه قال : مات قتادة سنة سبع عشرة .

وعلىّ بن عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب ، وأمه زُرعة بنت مِشْرَح بن معديكرب بن ولَيعة بن شرَحبيل بن معاوية بن حُجر القَرِد بن الحارث الولّادة بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مُرَتِّع بن ثور ، وهو كندى يكنى أبا محمد ، ذكر أنه وُلد ليلة قُتِل أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام فى شهر رمضان سنة أربعين فسمِّى باسمه وكُنِّىَ بكنيته أبا الحسن ، فقال له عبد الملك بن مروان : لا والله ماأحتمل لك الاسم والكنية جميعاً ، فغيّر أحدَهما ، فغيّر كنيته فصيّرها أبا محمد . وكان علىّ بن عبد الله هذا أصغرَ ولد أبيه سنًّا وكان أجمل قرشي – فيما قيل – وأوسمه وأكثره صلاة ، وكان يُدْعَى السجّاد لعبادته .

واختلف فى وقت وفاته ، فقال محمد بن عمر : توفِّىَ علىّ بن عبدالله بن العباس سنة ثمان عشرة ومائة .

ومنهم حماد بن أبى سليمان ويكنى أبا إسماعيل وهو مولى لإبراهيم بن أبى موسى الأشعرىّ . وكان ممنّ أرسل به معاوية إلى أبى موسى الأشعرى ، وهو بدُومة الجندل . وكان حمّاد مقدماً فى الفقه .

حدثنى أبو السائب ، قال : حدثنا ابن إدريس ، قال : سمعتُ شعبة يقول : هلك حماد بن أبي سليمان سنة عشرين ومائة .

ومنهم زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام . أمه أم ولد ، وقد ذكرتُ مقتله فى كتابنا المسمى المذيّل .

وقد حدثنى الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثنا عبدالله بن جعفر قال : دخل زيد بن عليّ عليه السلام على هشام بن عبدالملك ، فرفع دَيْناً كثيراً وحوائج ، فلم يقض له هشام حاجة ، وتجهّمه وأسمعه كلاماً شديداً . قال عبدالله بن جعفر . فأخبرنى سالم مولى هشام وحاجبُه ، أنّ زيد بن عليّ خرج من عند هشام ، وهو يأخذ شاربه بيده ويُفتله ، ويقول : ماأحبَّ الحياةَ أحدٌ قطّ إلاذل . قال : ثم مضى ، وكان وجهه إلى الكوفة ، فخرج بها ويوسف بن عمر الثقفىّ عاملٌ لهشام بن عبد الملك على العراق ، فوجّه إلى زيد بن عليّ مَنْ يقاتله فاقتتلوا وتفرّق عن زيد مَنْ خرج معه ، ثم قُتِل وصُلِب . قال سالمٌ : فأخبرت هشاماً بعد ذلك بما كان قال زيد عليه السلام يوم خرج من عنده ، فقال : ثكلتك أمّك ! ألا كنت أخبرتَنى بذلك قبل اليوم ؛ وما كان يُرضيه ! إنما كانت خمسمائة ألف درهم ، وكان ذلك أهونَ علينا ممّا صار إليه .

قال محمد بن عمر : فلما ظهر ولد العباس عمد عبدالله بن عليّ بن عبدالله بن عباس إلى هشام بن عبد الملك فأمر به فأخرج من قبره ، وصَلَبه وقال : هذا بما فعل بزيد[1] بن عليّ عليه السلام ، وقُتِل زيد عليه السلام يوم الاثنين لليلتين خلتا من صفر سنة عشرين ومائة ، ويقال : سنة ثنتين وعشرين ومائة ، وكان له فيما قيل اثنتان وأربعون سنة وكان مسكنه بالمدينة وقُتِل بالكوفة .

وسلَمَة بن كُهَيل الحضرمى ، وكان من ساكنى الكوفة ، وبها مات فى آخر يوم من سنة إحدى وعشرين ومائة

وقال بعضهم : بل توفى سنة ثنتين وعشرين ومائة حين قتل زيد بن عليّ عليه السلام .

---

(١) فى الأصل : « يزيد » .

ومنهم محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله الأصغر بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زُهرة بن كلاب بن مُرَّة ، وأمه عائشة ابنة عبد الله الأكبر بن شهاب ، ويكنى محمد بن مسلم أبا بكر ، وكان محمد بن مسلم الزهريّ مقدّماً فى العلم بمغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبار قريش والأنصار ، راويةً لأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

ومحمد بن علىّ بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب ، وأمه العالية ابنة عبيد الله بن العباس بن عبدالمطلب ، فولد محمد بن علىّ عبَد الله الأصغر ، وهو أبو العباس القائم بالخلافة من ولد العباس وداود بن محمد وعبيد الله وريّطة هلكت ولم تَبرُزْ ، وأمّهم ريطة ابنة عبيدالله بن عبدالله بن عبد المدان بن الديان من بنى الحارث بن كعب ، وعبدالله الأكبر وهو أبوجعفر المنصور ، ولى الخلافة بعد أخيه أبى العباس وأمه أم ولد .

وإبراهيم بن محمد وهو الإمام الذى كان أهلُ دعوة بنى العباس يصيرون إليه ويصدُرون عن رأيه ، وأمه أم ولد ويحيى بن محمد والعالية بنت محمد وأمها أم الحكم بنت عبدالله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب ، وموسى بن محمد وأمّه أم ولد ، والعباس بن محمد وأمه أم ولد ، وإسماعيل ويعقوب ؛ وهو أبوالأسباط ، ولبابة بنت محمد ، تزوّجها جعفر بن سليمان بن علىّ ، هلكت عنده ولم تلِدْ له ؛ وهم لأمهات شتى .

وذُكِر عن العباس بن محمد أن محمد بن علىّ بن العباس توفى بالشّراة من أرض الشأم فى خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان سنة خمس وعشرين ومائة وهو يومئذ ابن ستين سنة ؛ وكان أبو هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية أوصى إليه ودفع إليه كتبه ؛ فكان محمد بن علىّ وصىّ أبى هاشم ، وقال له أبوهاشم : إن هذا الأمر إنما هو فى ولدك ؛ فكانت الشيعة الذين كانوا يأتون أبا هاشم ويختلفون إليه قد صاروا بعد ذلك إلى محمد بن علىّ .

وثابت البُنانى بن أسلم ، يكنى أبا محمد من ولد سعد بن لؤى بن غالب ، وبنانة أمهم كذلك قال هشام عن أبيه ، وقال علىّ بن محمد : توفِّىَ ثابت البنانى سنة سبع

وعشرين ومائة وكان ثابت من سكان البصرة ، وبها توفّيَ وكان ثقة كثير الحديث .

وعبد الله بن دينار مولى عبدالله بن عمر بن الخطاب ويكنى أبا عبدالرحمن توفى سنة سبع وعشرين مائة ، وكان من سكان المدينة وبها توفى وكان كثير الحديث ثقة

ووهب بن كيسان ويكنى أبا نعيم مولى عبد الله بن الزبير بن العوام . توفى سنة سبع وعشرين ومائة .

وبُكير بن عبدالله بن الأشج مولى المسْوَر بن مخرمة الزهريّ ، ويكنى أبا عبدالله توفى بالمدينة سنة سبع وعشرين ومائة .

ومالك بن دينار يكنى أبا يحيي مولًى لامرأة من بني سامة بن لؤي ذكر عن ابن عائشة ، قال : مالك بن دينار كان كابلياً وكان عابداً حافظاً قارئاً للقرآن وكان يكتب المصاحف

وجابر بن يزيد الُجعفى وكان متشيّعاً وكان من ساكنى الكوفة ، وبها كانت وفاته فى سنة ثمان وعشرين ومائة .

حدثنى سعيد بن عثمان التنوخيُّ قال : حدثنا إبراهيم بن مهدى المصيصى ، قال : سمعت إسماعيل بن عليّة قال : قال شعبة : أما جابر ومحمد بن إسحاق فَصدُوقان .

حدثنى عبدالرحمن بن بشر النيسابوريّ قال : سمعت سفيان بن عيينة يقول : كان جابر الجعفى يؤمن بالرجعة وذكر عن يحيي بن معين أنه قال مات جابر الجعفى سنة اثنتين وثلاثين ومائة .

حدثنا العباس الدّورىّ ، قال : حدّثنا أبو يحيي الحِمّانى عبد الحميد بن بشمير عن أبى حنيفة النعمان بن ثابت قال : مارأيتُ أحداً أكذب من جابر الجعفى .

قال العباس : وحدثنا يحيي بن يعلَى المحاربى عن زائدة قال : كان جابر الجعفى كذّاباً يؤمن بالرجعة .

وعاصم بن أبي النَّجود الأسدى وهو عاصم بن بَهْدَلة مولًى لبنى جذيمة بن مالك بن نصر بن قُعين بن أسد ، وكان يكنى أبا بكر كذلك ؛ حدّثنا عن أبى نعيم الفضل بن دكين ، قال حدّثنا أبو الأحوص – وكان مقرئ أهل الكوفة بعد يحيى بن وثّاب ، وكان ثقة ، غيرَ أنه كان كثير الخطأ ، وكان من ساكنى الكوفة وبها كانت وفاته فى سنة ثمان وعشرين ومائة .

أبو إسحاق السَّبيعىّ ، واسمه عمرو بن عبدالله بن أحمد بن ذى يحمد بن السَّبيع بن سبع بن صعب بن معاوية بن كثير بن مالك بن جشم بن حاشد بن جشم بن خَيْوان بن نَوْف بن هَمْدان ، قال الأسود بن عامر : قال شريك : ولد أبو إسحاق السَّبيعى فى سلطان عثمان – أحسب شريكا – قال : لثلاث سنين ، بَقِين منه وكان كثير الحديث صدوقاً قارئاً للقرآن .

وقال أبو نُعيم : بلغ أبو إسحاق ثمانياً – أو تسعاً – وتسعين سنة ، ومات سنة ثمان وعشرين ومائة .

وأبو إسحاق الشيبانى واسمه سليمان بن أبى سليمان مولى لبنى شيبان وكان من ساكنى الكوفة ، وبها توفى فى قول محمد بن عمر فى سنة تسع وعشرين ومائة .

ومطر بن طهمان الورّاق ، وكان من أهل خراسان ؛ وهو مولى عِلباء السُّلَمِى ، وكان فيه ضعف فى قول بعضهم ، ويكنى مطر أبا رجاء ، وذكر عن جعفر بن سليمان أنه قال : مات مطر بن طهمان الوراق سنة خمس وعشرين ومائة .

ويحيى بن أبى كثير الطائى ، ويكنى أبا نصر ، قال علىّ بن المدينى : سمعت يحيى بن سعيد قال : قال شعبة : حديث يحيى بن أبى كثير أحسن من حديث الزهرىّ وقال عبد الرزاق قال : معمر : أُريدَ يحيى بن أبى كثير على البَيْعة لبعض بنى أمية فأبى ، حتى ضرب وفُعِل به كما فُعِل بسعيد بن المسيب . وكان يحيى بن أبى كثير كثير التدليس . وقيل : مات يحيى بن أبى كثير سنة تسع وعشرين ومائة ، كان من ساكنى اليمامة ، وبها كانت وفاته .

ومحمد بن المنكَدر بن عبدالله بن الهُدير بن عبد العزى بن عامر بن حارثة بن

سعد بن تيْم بن مرّة ، وأمه أم ولد ، ويكنى أبا عبد الله . ولَد محمد بن المنكدر عمر وعبد الملك والمنكدر وعبدالله ويوسف وإبراهيم وداود لأمّ ولد ، وحسَبه بعضهم ، فقال : محمد بن المنكدر بن عبدالله بن الهدير بن محرز بن عبد العزّى وقيل مات محمد بن المنكدر بالمدينة وكان من ساكنيها فى سنة مائة وثلاثين أو إحدى وثلاثين ومائة .

وأبو الحويرث ، واسمه عبدالرحمن بن معاوية ، روى عنه ابن عيينه قال يحيى : هو مدينى ثقة .

وقال محمد بن بَكّار : حدثنا أبومعشر عن أبي الحويرث عبد الرحمن بن معاوية قال : إنما كلم الله سبحانه موسى عليه السلام بقدر مايطيق من كلامه ، ولو يكلمه بكلامه كلّه لم يطقه ، ومكث موسى أربعين ليلة لايراه أحد إلا مات من نور رب العالمين وكان أبو الحويرث من ساكنى المدينة وبها كانت وفاته فى سنة ثلاثين ومائة

ويزيد بن رومان مولى آل الزبير بن العوام ، كان عالماً بالمغازى مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ثقة ، وكان من ساكنى المدينة ، وبها كانت وفاته فى سنة ثلاثين ومائة

وشُعيب بن الحبحاب من ساكنى البصرة ، وبها كانت وفاته فى سنة ثلاثين ومائة وكان يكنى أبا صالح وهو من موالى بنى رافد ، بطن من المعاول ، والمعاول من الأزد .

ومنصور بن المعتمِر السلمى ، ويكنى أبا عتاب . وكان فاضلاً ورعاً ديّناً ثقة أميناً . القراءة ، وكان يريد أن يترسّل فلا يستطيع . قال محمد بن عمر : مات منصور بن زاذان سنة تسع وعشرين ومائة وقال يحيى بن معين مات سنة سبع وعشرين ومائة .

ومنصور بن المعتمر السلمى ، ويكنى أباعتاب وكان فاضلاً ورعاً ديناً ثقة أميناً .

حدثنا ابن حُميد قال : حدثنا جرير ، قال : صام منصور سنين وقامها حتى سقم .

وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا جرير ، قال : كان منصور خلَق الثياب ، خلَق الجلد ، وكان فى مرضه إذا شرب الماء يُرَى مجراه فى صدره .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا جرير ، قال : مات منصور ، فرئى فى النوم ، فقيل له : يا أبا عتاب ماحالك ؟ فقال : كدت أن ألقى الله عز وجل بعمل نبي .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا جرير قال : أراد ابن هُبيرة منصوراً على القضاء فأبى ، فحبسه شهرين ، ثم خلّى سبيله وأجازه ، فقبل منصور جائزته ، وحجّ مع ابنه هو والقاسم .

وحدثنى الحسين بن علىّ الصُّدائىّ ، قال : حدثنا خلف بن تميم قال : حدّثنا زائدة أن منصور بن المعتمر صام سنة فأقام ليلَها وصام نهارها ، وكان يبكى الليل ، فتقول له أمه : يابنىّ قتلت قتيلاً فيقول أنا أعلم بما صنعْتُ بنفسى ، فإذا أصبح كحل عينيه ، ودهن رأسه وبرّق شفتيه بالدُّهن ، وخرج إلى الناس .

قال : وأراده يوسف بن عمر عامل الكوفة على القضاء فامتنع من ذلك منصور ، فأرسل إليه فقيّده ، فقيل له : لو نثرت لحم هذا الشيخ ماجلس على عمل ؛ قال : فأتى خصمان فجلسا ، فتكلّما فلم يجبهما ، فأعفاه وخلّى سبيله ، وكان منصور من ساكنى الكوفة ، وبها كانت وفاته فى سنة ثنتين وثلاثين ومائة كان منصور من الشيعة .

ومحمد بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، أمّه فاطمة بنت عمارة بن عمرو ابن حزم ويكنى أبا عبدالملك ، وكان قاضياً بالمدينة .

قال ابن سعد : أخبرنا معن بن عيسى ، قال : حدثنى سعيد بن مسلم ، قال : رأيت محمد بن أبى بكر بن محمد بن عمْرو بن حزم يقضِى فى المسجد .

قال : وأخبرنا مُطرِّف بن عبدالله اليسارىّ ، عن مالك بن أنس ، قال : كان محمد بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم على القَضاء بالمدينة ، فكان إذا قضى بالقضاء مخالفاً للحديث ورجَع إلى منزله قال له أخوه عبدالله بن أبى بكر . — وكان رجلاً صالحاً : أى أخى قضيت اليوم فى كذا وكذا بكذا وكذا فيقول له محمد : نعم أى أخى فيقول له عبدالله : فأين الحديث أى أخى ؛ عزّ الحديث أن يقضَى به ، فيقول محمد ايهاه فأين العملُ ؟ يعنى ما أجمع عليه من العمل بالمدينة ، والعملُ المجتمع عندهم أقوى من الحديث .

وقال محمد بن عمر : توفِّيَ محمد بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم سنة أثنين وثلاثين ومائة فى أول دولة بنى العباس وهو ابن ثنتين وسبعين سنة .

وصفوان بن سليم مولى حميد بن عبدالرحمن بن عوف الزّهرىّ ، يكنى أبا عبدالله ، وكان من العباد من ساكنى المدينة وبها كانت وفاته فى سنة ثنتين وثلاثين ومائة وكان إن شاء الله ثقة .

وعبدالله بن أبى نَجيح ، ويكنى أبا يَسار وهو مولى لثقيف ؛ وكان من ساكنى مكة وبها كانت وفاته ، واختلف فى وقت وفاته ، فقال محمد بن عمر : مات بمكة سنة ثنتين وثلاثين ومائة ، وقال عبد الرحمن بن يونس : أخبرنا سفيان قال : مات ابن أبى نجيح قبل الطاعون ، وكان الطاعون سنة إحدى وثلاثين ومائة .

وذُكِر عن علىّ بن المدينى أنه سمع يحيى بن سعيد يقول : كان ابنُ أبى نَجيح معتزليًّا .

قال يحيى : قال أيوب : اىّ رجل أفسدوا ! وكان بن أبى نَجيح مفتى أهل مكة بعد عمرو بن دينار .

وربيعة بن أبى عبد الرحمن الذى يقال له ربيعة الرأى ، واسم أبيه أبى عبد الرحمن فرُّوخ ، وكان ربيعة يكنى أبا عثمان ، وهو مولًى لآل الهُدَير من بنى تَيْم بن مرة ، وكان ربيعة من ساكنى المدينة وبها كانت وفاته فى سنة ست وثلاثين ومائة فى آخر خلافة أبى العباس .

وعبد الله بن حسن بن حسن بن علىّ بن أبى طالب عليه السلام ، وكُنِىَ أبا محمد ، وكان من العبّاد ، وكان ذاعارضة وهيبة ولسان وشرف ، وكانت الخلفاء من بنى أمية تكرمه ، وتعرف له شرفه . ووفد على أبى العباس فى دولة بنى العباس بالأنبار ذُكرمحمد بن عمر أنّ حفص بن عمر أخبره ، قال : قدم عبدالله بن حسن على أبى العباس بالأنبار ، فأكرمه وحَبَاه وقرَّبه وأدناه وصنع بهشيئاً لم يصنعه بأحد ، وكان سَمَر معه الليل ، فسمر معه ليلة إلى نصف الليل وحادثه ، فدعا أبو العباس بسَفَط جوهر ، ففتحه فقال : هذا والله يا أبا محمد ماوصل إلىّ من الجوهر الذى كان فى أيدى بنى أمية ، ثم قاسمَه إياه ، فأعطاه نصفه وبعثَ أبو العباس بالنصف الآخر إلى

امرأته أم سلمة ، وقال : هذا عندك وديعة ثم تحدَّثا ساعة ونعس أبو العباس فخفق برأسه ، وأنشأ عبدالله بن حسن يتمثّل بهذه الأبيات :

أَلم ترَ حَوْشبـــاً أمْسَى يُبَنّى قصُوراً نَفعُها لبنى نُتَيْـلهْ
يؤمّل أن يُعَمَّر عمْرَ نوحٍ وأمرُ الله يَطرقُ كلَّ ليلهْ

قال : وانتبه أبو العباس ، ففهم ماقال ، فقال : يا أبا محمد ، تتمثّل بمثل هذا الشعر عندى ، وقد رأيتَ صنيعى بك وإن لم أذخرك شيئاً ! فقال : يا أمير المؤمنين هفوة كانت ، والله ماأردت بها سوءاً ، ولكنها أبيات حضرت ، فتمثلت بها ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يحتمل ماكان منّى ، فليفعل . قال : قد فعلت ، ثم رجع إلى المدينة ، فلما وَلِيَ أبو جعفر ، وكان أبو العباس قد سأله عن ابنيه محمد وإبراهيم ، فقال : بالبادية حُبِّب إليهما الخلوة ، ألحّ فى طلبهما ، فطلبا بالبادية ، واغتم أبو جعفر بتغيّبهما ؛ فكتب إلى رياح بن عثمان عامله على المدينة ، أن يأخذ أباهما عبد الله بن حسن وإخوته ، فأُخذوا فقدم بهمْ إلى الهاشمية فحبُسوا بها فمات عبد الله بن الحسن فى الحبس ؛ وهو — يوم مات — ابن اثنتين وسبعين سنة وكانت وفاته فى سنة خمس وأربعين ومائة .

حدثنى القاسم بن دينار القرشى ، قال : حدثنا إسحاق بن منصور ، عن أبى بكر ابن عياش ، عن سليمان بن قرم ، قال : قلت لعبد الله بن الحسن : أفى قِبلتنا كفار ؟ قال : نعم ، الرافضة .

ومحمد بن السائب بن بشربن عمرو بن الحارث بن عبد الحارث بن عبدالعزّى ابن امرئ القيس بن عامر بن النعمان بن عامربن عبد ودّ بن عوف بن كنانة بن عوْف بن عُذْرة بن زيد اللات بن رُفيدة بن ثور بن كلب ، ويكنى محمد بن السائب أبا النضر ، وكان جدُّه بشر بن عمرو ، وبنوه السائب وعبيد وعبد الرحمن شهدوا الجمل وصِفِّين مع أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام ، وقُتِل السائب بن بشر مع مصعب بن الزبير ، وله يقول ابن ورْقاء النَّخَعىّ :

مَنْ مُبلِـغٌ عنى عُبيـداً بـأنَّـنِي علوْت أخاه بالحُسَام المُهَنّدِ
فإن كنتَ تَبْغى العلم عنه فإنه مقيم لدَى الدَّيْريْن غيرَ موَسَّدِ
وعمْداً علَوْتُ الرأسَ منه بصارمٍ فأثكلته سفيانَ بعد محمدِ

وسفيان ومحمد ابنا السائب ، وشهد محمد بن السائب الجماجم[١] مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، وكان محمد بن السائب عالماً بالتّفسير والأنساب والأحاديث العرب ، وتوفى بالكوفة وبها كان يسكن فى سنة ست وأربعين ومائة فى خلافة أبى جعفر ، ذكر ذلك كله ابن سعد[٢] عن هشام بن محمد بن السائب أنه أخبره بذلك كله .

وسليمان بن مِهْران الأعمش مولى بنى كاهل من الأسد ، يكنى أبا محمد ، كان ينزل فى بنى عوف من بنى سَعْد ، وكان يصلّى فى مسجد بنى حرام من بنى سعد ، وكان مهران أبو الأعمش من طَبِرستان ، وكان الأعمش من ساكنى الكوفة وبها كانت وفاته فى سنة ثمان وأربعين ومائة وهو ابن ثمان وثمانين سنة ، وكان ولد يوم عاشوراء فى المحرم سنة ستين يوم قتل الحسين بن على عليه السلام .

وجعفر بن محمد بن علىّ بن حسين بن علىّ بن أبى طالب عليه السلام وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق فولد جعفر بن محمد إسماعيل الأعرج وعبدالله وأمّ فروة أمّهم فاطمة ابنة الحسين الأثرم بن حسن بن علىّ بن أبى طالب وموسى ابن جعفر ، حبسه هارون الرشيد فى السجن ببغداد عند السندىّ ، فمات فى حبسه .

وإسحاق ومحمدا وفاطمة ، تزوّجها محمد بن إبراهيم بن محمد بن علىّ بن عبدالله بن عباس ، فهلكت عنده ، وأمهم أم ولد ويحيى بن جعفر والعباس وأسماء وفاطمة الصغرى وهمْ لأمهات شتى .

قال محمد بن عمر : سمعت جعفر بن محمد يقول لغلامه مُعتّب : اذهب إلى مالك ابن أنس فسله عن كذا وكذا ثم ائتنى . فأخبرنى قال محمد : وأخذ أبو جعفر المنصور معتباً هذا ، فضربه ألف سوط حتى مات ، وكان جعفر بن محمد كثير الحديث ثقة ، وكذلك كان يحيى بن معين يقول فيما ذكر عنه .

وذكر عن القطان أنه سئل فقيل له : مجالد بن سعيد أحب إليك أم جعفر ؟

---

(١) الجماجم ؛ هى المعروفة بدير الجماجم ، بظاهر الكوفة ، وذكر ياقوت أنه كان بها وقعة بين الحجاج وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث .

(٢) طبقات ابن سعد ٦ : ٣٥٨ .

ابن محمد ؟ فقال : مجالد أحب إلىّ من جعفر وكان جعفر من ساكنى المدينة وبها كانت وفاته فى سنة ثمان وأربعين ومائة فى خلافة أبى جعفر فى قول الواقدى والمدأنى .

وكان جعفر بن محمد يكنى أبا عبدالله ؛ حدثنا العباس بن محمد قال : سمعت يحيى يقول : جعفر بن محمد ثقة .

ذكر من هلك منهم سنة خمسين ومائة

منهم أبوحنيفة النعمان بن ثابت مولى تيم الله بن ثعلبة من بكر بن وائل. قال أبوهشام الرّفاعىّ : سمعت عمى كَثير بن محمد يقول : سمعت رجلاً من بنى قَفَل من خيار بنى تيم الله يقول لأبى حنيفة : ما أنت مولاى ؟ فقال : أنا والله لك أشرف منك لى .

وذكر الوليد بن شجاع أن علىّ بن الحسن بن شقيق حدّثه ، قال : كان عبدالله بن المبارك يقول : إذا اجتمع هذان على شىء ، فذلك قولى – يعنى الثورى وأبا حنيفة . قال سليمان بن أبى شيخ : وكان أبو سعيد الرانى يمارى أهل الكوفة ويفضّل أهلَ المدينة ، فهجاه رجل من أهل الكوفة ، ولقبه شرشير ، وقال : كليب فى جهنم اسمه شرشير فقال :

هذِى مسائلُ لا شَرْشِيرُ يُحْسِنها … إنْ سِيلَ عنها ولا أصحابُ شَرْشِيرِ
وليس يعرفُ هذا الدينَ نَعلَمُه … إلا حنيفةُ كوفيّةُ الدُّورِ
لا تَسألنَّ مدِينيًّا وتُسكْفِرُهُ … إلا عن البَمِّ والمثناة والزِّيرِ (١)

وقال بعضهم : والمثنى أو الزير .

قال سليمان : قال أبو سعيد : فكتبتُ إلى المدينة : قد هُجيتم بكذا وكذا فأجيبوا ، فأجابه رجل من أهل المدينة فقال :

لقد عجبْتُ لِغَاوٍ ساقَهُ قَدَرٌ … وكلّ أمرٍ إذا ماحُمَّ مَقدُورُ
قال المدينةُ أرضٌ لايكون بها … إلا الغِناءُ وإلا البمُّ والزيرُ
لقد كذبتَ لَعَمْرُ اللهِ إن بها … قبرَ الرسول وخير الناس مقبُور

(١) البم والمثناة والزير : من أوتار العود .

قال سليمان : وحدثني عمرو بن سليمان العَطّار ، قال : كنت بالكوفة أجالس أبا حنيفة ، فتزوج زُفَر ، فحضره أبو حنيفة ، فقال له . تكلّم ، فخطب فقال فى خطبته . هذا زفر بن الهُذيل ، وهو إمام من أئمة المسلمين ، وعلَم من أعلامهم فى حسبه وشرفه وعلمه فقال بعض قومه : مايَسُرّنا أن غير أبى حنيفة خطب حين ذكر خصاله ومدحه ، وكرِه ذلك بعضُ قومه وقالوا له : حضر بنو عمك وأشراف قومك وتسأل أبا حنيفة يخطب ؟ فقال لو حضر أبى قدّمتُ أبا حنيفة عليه : وزفر بن الهذيل عنبرىٌّ من بنى تميم .

وقال إبراهيم بن بشار الرّمادىّ : قال ابن عيينة : ما رأيت أحداً أجرأ على الله من أبى حنيفة أتاه رجل من أهل خُراسان بمائة ألف مسألة ، فقال له : إنى أريد أن أسألك عنها ، فقال : هاتها قال سفيان : فهل رأيتم أجرأ على الله عز وجل من هذا !

حدثنى عبدالله بن أحمد بن شبّويه قال : حدثنى أبى قال : حدثنى علىّ بن الحسين بن واقد ، عن عمه الحكم بن واقد ، قال : رأيتُ أبا حنيفة يُفتى من أول النهار إلى أن تعالى النهار ؛ فلما خف عنه الناس دنوت منه ، فقلت : يا أبا حنيفة ، لو أن أبا بكر وعمر فى مجلسنا هذا ثم ورد عليهما ماورد عليك من هذه المسائل المشكلة لكفّا عن بعض الجواب ، ووقفا عنده ، فنظر إلىّ وقال : أمحموم أنت !

حدثنا أحمد بن خالد الخلال ، قال : سمعت الشافعىّ يقول : سئل مالك يوماً عن البَتّىّ ، فقال : كان رجلاً مقارباً ، وسئل عن ابن شُبرُمَة فقال : كان رجلا ، مقارباً ، قيل : وأبو حنيفة ؟ قال لوجاء إلى أساطينكم هذه وقايسكم لجعلها من خشب .

ومحمد بن إسحاق بن يَسار ، مولى عبدالله بن قيس بن مخرَمة بن المطلب بن عبد مناف بن قصىّ ، ويكنى أبا عبدالله وقال محمد بن عمر : هو مولى قيس بن مخرمة ، وكان جدّه يسار منَ سبْى عين التمر ، وهو أوّل سبْيٍ دخل المدينة من العراق .

وقد روى عن أبيه إسحاق بن يسار وعن عمّيه موسى وعبد الرحمن ابنى يسار . وكان من أهل العلم بالمغازى مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبأيام العرب وأخبارهم وأنسابهم ، راويةَ لأشعارهم ، كثيرَ الحديث غزير العلم طلّابَةً له ، مقدّماً فى العلم بكل ذلك ثقة .

حدثني سعيد بن عثمان التنوخيّ قال : حدثنا إبراهيم بن مهدي المِصِّيصيّ قال : سمعتُ إسماعيل بن عُلية قال : قال شعبة : أما محمد بن إسحاق وجابر الجعفي فصَدُوقان .

قال ابن سعد : أخبرني ابن محمد بن إسحاق ، قال : مات أبي ببغداد سنة خمسين ومائة ، ودفن في مقابر الخيزران .

ومسعر بن كدام بن ظُهَيْر الهلاليّ ، من أنفسهم ، ويكنى أبا سلمة .

حدثنا أبو السائب ، قال : سمعت أبا نعيم يقول : سمعت مسعراً يقول : أخوالي أنت ؟ قلت : أنا رجل من بني هلال ، قال : مالي أم أحبّ إليّ من الأم التي أخوالي ؟ قلت : أنا رجل من بني هلال ، قال : مالي أم أحبّ إليّ من الأم التي منكم ، قال : قلت يا أمير المؤمنين تدري ما قال الشاعر فينا وفيكم ؟ قال لي : وما قال ؟ قلت ، قال :

وشارَكْنا قريشاً في تقَاهـــا وفي أنسابها شِرْكَ العِنَان[1]
بما ولدَتْ نساءُ بني هلال وما ولدت نساءُ بني أبَان

قال : قلت يا اميرَ المؤمنين ، إن أهلي بعثوني أشتري بالدرهم شيئاً ، فردّوه عليّ ، قال : بئسما صنَع بك أهلك ، خُذ هذه العشرة آلاف فاقسمها .

واختُلف في وقت وفاته فقال ابن سعد قال محمد بن عبد الله الأسدي : توفِّيَ مسعر بالكوفة سنة اثنتين وخمسين ومائة في خلافة أبي جعفر . وقال أبو نعيم الفضل بن دُكين فيما حدثني به محمد بن إسماعيل عنه : مات مسعر بن كدام سنة ست وخمسين ومائة .

وحمزة بن حبيب الزيات ، مولى بني تيم الله . كان من القراء المتقدمين في حفظ القرآن وهو قليل الحديث ، ثقة ، وكان من ساكني الكوفة ، وتوفِّيَ في سنة ست وخمسين ومائة .

وحدثني محمد بن منصور الطوسيّ ، قال : حدثنا صالح بن حماد عن

---

(١) شركة العنان : شركة في شيء خاص دون سائر أموالهما ؛ كأنه عنّ لهما شيء ، أي عرض فاشترياه واشتركا فيه ؛ والبيتان للنابغة الجعديّ،وهما في اللسان – عنن .

شيخ قد سمّاه عن حمزة الزيات ، قال : رأيتُ النبي صلى الله عليه وسلم فى النوم ، فعرضت عليه عشرين حديثاً فعرف منها حديثين .

عبد الرحمن بن عمرو ويكنى أبا عمرو ، وقيل له : الأوزاعىّ ، وهو سيبانىّ بسكناه فيهم .

وأما هشام بن محمد الكلبي ، فإنه ذكر عن أبيه أنه قال : الأوزاعىّ عبد الرحمن ابن عمرو ، وهو من الأوزاع ، وهم مالك ومرثد ابنا زيد بن شدد بن زرْعة ، وشدد زوج بلقيس صاحبة سليمان ، وكان يسكن بيروت ساحل من سواحل الشأم ، وكان فى زمانه أحد مفتى تلك الناحية ومحدّثيهم وذوى الفضل منهم ، وتوفِّىَ الأوزاعى ببيروت سنة سبع وخمسين ومائة فى آخر خلافة أبي جعفر وهو اين سبعين سنة فى قول محمد ابن عمر .

وشعبة بن الحجاج بن ورد من الأزْد مولى للأشاقر عَتاقة ، ويكنى أبا بسطام ، وكان أكبر من الثَّورىّ بعشر سنين :

حدثنى أحمد بن الوليد ، قال : حدثنا الربيع بن يحيى ، قال : سمعت سفيان الثورىّ يقول : مابقِىَ على ظهر الأرض مثل شُعبة وحماد بن سلمة .

قال الطبرىّ قال لى محمد بن إسحاق الصاغاني : سمعت أبا قطن قال : قال لى شعبة : ما شيء أخوف علىّ أن يدخلنى النار من الحديث ، وكان شعبة من ساكنى البصرة ، وبها كانت وفاته فى أول سنة ستين ومائه ، وهو ابن خمس وسبعين سنة .

وبَحْر بن كنيز السقاء الباهلىّ ويكنى أبا الفضل ، وكان من ساكنى البصرة ، وبها كانت وفاته فى سنة ستين ومائه فى خلافة المهدىّ ، وكان ممن لا يُعتمد على روايته .

والأسود بن شيبان من ساكنى البصرة ، وكان رجلا صالحاً ثقة وبالبصرة كانت وفاته فى سنة ستين ومائة فى قول علىّ بن محمد .

وزائدة بن قدامة الثقفىّ من أنفسهم ، ويكنى أبا الصلت ، وكان منحرفاً عن علىّ ابن أبي طالب عليه السلام .

ذكر من هلك منهم فى سنة إحدى وستين ومائة

منهم سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله بن موهبة ابن أُبي بن عبد الله بن مُنْقذ بن نصر بن الحارث بن ثعلبة بن عامر بنَ ملْكان بن ثور ابن عبد مناة بن أدّ بن طابخة بن الياس بن مضر ويكنى أبا عبد الله ، ولد فيما ذكر محمد بن عمر سنة سبع وتسعين وكان فقيهاً عالماً عابداً ورعاً ناسكاً راوية للحديث ، كثير الحديث ، ثقة أميناً على ما روى وحدّث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيره ممن أثَّر فى الدين .

حدّثنى محمد بن خلف ، قال : حدثنا يعقوب بن إسحاق الحضرمى ، قال : حدثنا شعبة بن الحجاج ، قال : حدثنا سفيان بن سعيد الثورىّ قال : حدثنى علىّ ابن الأقمر عن أبي جُحيفة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما أنا فلا آكل متكئاً » .

حدثنى محمد بن إسماعيل الضرارىّ قال : سمعت أبا نُعيم يقول : سمعت سفيان يقول : ما من عمل شيءٌ أخوفُ منه ؛ ولقد مرضت فما ذكرت غيره ، ولوددت أنى نجوت منه كَفافاً — يعنى الحديث ، سمعت عبد الله بن أحمد بن شبويه ، قال : سمعت أبى يقول : حدثنا أبو عيسى الزاهد ، قال : سمعت معداناً يقول : زاملت سفيان الثورى فلما خلفنا الكوفة بظهر ، قال لى سفيان يا معدان ما تركت ورائى مَنْ أثق به ، ولا أقدمُ أمامى على من أثق به — يعنى الثقة فى الدين .

وذكر عن زيد بن حُباب ، قال : كان عمار بن رزيق الضبى وسليمان بن قرم الضبىّ وجعفر بن زياد الأحمر وسفيان الثورىّ ، أربعة يطلبون الحديث ، وكانوا يتشيّعون ، فخرج سفيان إلى البصرة فلقىَ ابن عَوْن . وأيوب ، فترك التشيُّع قال وكانت وفاته بالبَصرة سنة إحدى وستين ومائة فى خلافة المهدى .

والحسن بن صالح وصالح هو حىّ ويكنى حسن أبا عبد الله ، وكان رجلا ناسكا فاضلا فقيهاً من رجل كان يميل إلى محبّة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويرى إنكار المنكر بكلّ ما أمكنه إنكاره ، وكان كثيرَ الحديث ، ثقة ، وكان فيما ذُكر

زوّجَ ابنته عيسى بن زيد بن عليّ بن الحسين ، فأمر المهديُّ بطلب عيسى والحسن ، وجدّ فى طلبهما .

قال ابن سعد[1] سمعت الفضل بن دُكين يقول : رأيت الحسن بن صالح فى الجمعة قد شهدها مع الناس ، ثم اختفى يوم الأحد إلى أن مات ، ولم يقدر المهدىّ عليه ولا على عيسى بن زيد ، وكان اختفاؤه مع عيسى بن زيد فى موضع واحد سبع سنين ، ومات عيسى قبل الحسن بن صالح بستَّة أشهر ، وكان حسن بن حىّ من ساكني الكوفة ، وبها كانت وفاته سنة سبع وستين ومائة ، وهو يومئذ ابن اثنتين—أو ثلاث— وستين سنة .

وذكر عن يحيى بن معين أنه قال : ولد الحسن بن صالح بن حىّ سنة مائة .

قال العباس : وسمعت يحيى يقول : الحسن بن صالح بن ، هو حسن بن صالح ابن صالح بن مسلم بن حيان ، والناس يقولون : ابن حىّ وإنما هو ابن حيّان . وجعفر ابن زياد الأحمر ، مولى مزاحم بن زُفر من تَيم الرّباب من ساكنى الكوفة وبها كانت وفاته فى سنة سبع وستين ومائة ، وكان كثير الحديث شيعياً . وعبيد الله بن الحسين بن الحصين ابن مالك بن الخشخاش بن جُناب بن الحارث بن خلف بن مُجفِر بن كعب ابن العنبر بن عمرو بن تميم ، وكان من فقهاء أهل البصرة وذوى الأدب منهم والعَقْل ، ولِىَ قضاء البصرة بعد سوّار بن عبد الله .

قال علىّ بن محمد : ولد عبيد الله بن الحسن سنة مائة ، وقيل : سنة ست ومائة ، وولِىَ القضاء سنة سبع وخمسين ومائة . ذكر ابن سعد[2] أن أحمد بن مخلد قال : سمع عبيد الله بن الحسن العنبرى على منبر البصرة يقول :

أين الملوكُ التى عن حظّها غفلت ... حتى سقاها بكأس الموت ساقيها
أموالُنا لذوى الميراثِ نجمعُها ... ودُورُنا لخرابِ الدَّهْرِ نَبْنِيها

وقال محمد بن عمر : مات عبيد الله بن الحسن العنبرى فى ذى القعدة سنة ثمان وستين ومائة .

وقال فضيل بن عبد الوهاب : حدثنا معاذ بن معاذ قال : دخلت على عبيد الله

---

(١) طبقات ابن سعد ٦ : ٤٠٠ .

(٢) طبقات ابن سعد ٧ : ٢٨٥ .

ابن الحسن قاضى أهل البصرة أعوده ، فقلت : أراك اليوم بحمد الله صالحاً،فقال :

لا يغرّنْكَ عِشاءٌ سالمٌ ... سوف يأتى بالمنيّات السَّحَرْ

فلما كان السَّحَر سمعتُ الواعية[١] عليه. وحسن بن زيد بن حسن بن على ابن أبى طالب عليه السلام ، وكان الحسن بن زيد يكنى أبا محمد ، وولد الحسن ابن زيد محمداً والقاسم وأم كلثوم بنت حسن ، تزوّجها أبو العباس أمير المؤمنين ، فولدت له غلامين هلَكا صغيرين ، وعليًّا وزيداً وإبراهيم وعيسى وإسماعيل وإسحاق الأعور وعبد الله.وكان حسن بن زيد عابداً ، فولاه أبو جعفر المدينة فوليها خمس سنين ، ثم تعقّبه فغضب عليه ، وعزَله ، فاستصفى كلّ شىء له فبــاعه وحبَسه ، فكتب محمد المهدىّ وهو ولى عهد أبيه إلى عبد الصمد بن علىّ سرًّا ! إياك إياك . ولم يزل محبوساً حتى مات أبو جعفر ، فأخرجه المهدىّ وأقدمه عليه وردّ عليه كلّ شىء ذهب له ، ولم يزل معه حتى خرج المهدى يريد الحج فى سنة ثمان وستين ومائة ، ومعه حسن بن زيد، وكان الماء فى الطريق قليلا ، فخشى المهدىّ على مَنْ معه العطش ، فرجع من الطريق ولم يحجّ تلك السنة ، ومضى الحسن بن زيد يريد مكة ، فاشتكى أياماً ثم مات بالحاجر فدفن هناك سنة ثمان وستين ومائة.ومالك بن أنس بن أبى عامر بن عمرو بن الحارث ابن غيمان بن خُثَيل بن عمرو بن الحارث ، وهو ذو أُصبَح من حمير ، وعِداده فى تَيْم بن مرة من قريش إلى عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمىّ ، وكان مالك يكنى أبا عبد الله ، وكان مفتى أهل بلده فى زمانه ومحدثهم .

حدثنى العباس بن الوليد قال : حدثنى إبراهيم بن حماد الزّهرىّ المدينى ، قال سمعت مالكا يقول : قال لى المهدىّ : يا أبا عبد الله ضعْ كتاباً أحملُ الأمة عليه ، قال يا أمير المؤمنين ، أما هذا الصُّقْع – وأشار إلى المغرب وقد كفيتكه – وأما الشأم ففيهم الذى قد علمته – يعنى الأوزاعى – وأما أهل العراق فهم أهل العراق .

وأما محمد بن عمر فإنه ذكر هذه القصة عن مالك بخلاف ما حدثنى به العباس عن إبراهيم بن حماد،والذى ذكر محمد بن عمر من ذلك ما حــدثنى به الحارث ، عن ابن سعد[٢] عنه ، قال : سمعت مالك بن أنس يقول : لما حج أبو جعفر المنصور

---

(١) الواعية : الصراخ على الميت .

(٢) طبقات ابن سعد ٧ : ١٩٢ .

دعانى فدخلت عليه ، فحادثته ، وسألنى فأجبته ، فقال : إنّى قد عزمت أن آمر بكتبك هذه التى قد وضعتها – يعنى الموطأ – فتنسخ نسخاً ثم أبعث إلى كلّ مصر من أمصار المسلمين منها نسخة ، وآمرهم أن يعملوا بما فيها لا يتعدّونه إلى غيره ، ويَدَعوا ما سوى ذلك من هذا العلم المحَدث ، فإنى رأيت أصْلَ العلم رواية أهل المدينة وعلْمهم . قال : فقلت يا أميرَ المؤمنين لا تفعل هذا ؛ فإن الناس قد سبقتْ إليهم أقاويل ، وسمعوا أحاديث ورووا روايات ، وأخذ كلّ قوم بما سبق إليهم ، وعملوا به ، ودانوا به من اختلاف الناس وغيرهم وإنّ ردّهم عما قد اعتقدوه شديد ، فدع الناس وما هم عليه ، وما اختار أهل كل بلد لأنفسهم ، فقال : لعمرى لو طاوعتَنِى على ذلك لأمرتُ به .

وقال ابن سعد : أخبرنا ابن أبى أوَيْس ، قال : اشتكى مالك بن أنس أياماً يسيرة ، فسألت بعض أهلنا عمّا قال عند الموت ، قالوا : تشهّد ثم قال : لله الأمر من قبل ومن بعد ، وتوفى صبيحة أربع عشرة من شهر ربيع الأول من سنة تسع وسبعين ومائة فى خلافة هارون ، فصلّى عليه عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن علىّ ابن عبد الله بن العباس ، وهو ابن زينب ابنة سليمان بن علىّ ، وكان يعرَف بأمّه يقال له: عبدالله بن زينب ، وكان يومئذ والياً على المدينة ، فصلّى على مالك فى موضع الجنائز ، ودُفن بالبقيع ، وكان يوم مات ابن خمس وثمانين سنة : قال ابن سعد فذكرت ذلك لمصعب بن عبد الله الزبيرى فقال : أنا أحفظ الناس لموت مالك مات فى صفر سنة تسع وسبعين ومائة .

وعبد الله بن المبارك ويكنى أبا عبد الرحمن ، وكان من طلبة العلم ورواته ، وكان من الفقه والأدب والعلم بأيام الناس والشّعر بمكان ، وكان مع ذلك زاهداً سخيًّا ، وولد ابن المبارك فى سنة ثمانى عشرة ومائة ، وكان من سكان خراسان ومات بهيت منصرفاً من غزو الروم سنة إحدى وثمانين ومائة وله ثلاث وستون سنة . سمعت عبد الله بن أحمد ابن شبُّويه ، قال : سمعت علىّ بن الحسن يقول : سمعت ابنَ المبارك يقول : إنا لنحكى كلام اليهود والنصارى ، ولا نستطيع أن نحكى كلام الجهميّة . سمعت عبد الله بن أحمد ابن شبُّويه يقول : سمعت علىّ بن الحسن يقول : قلنا لعبد الله بن المبارك : كيف

(١) طبقات ابن سعد ٧ : ١٩٢ .

تعرف ربنا ؟ قال : فوق سبع سموات على العرش بائناً من خلقه بحدّ ، ولا نقول كما قالت الجهمية : إنه ها هنا – وأشار بيده إلى الأرض.ومحمد بن الحسن ، ويكنى أبا عبد الله ، وهو مولى لبنى شيبان ، كان أصله من الجزيرة ، وكان أبوه فى جند الشأم ، فقدِم واسطاً فوُلد محمد بها سنة ثنتين وثلاثين ومائة ، ونشأ بالكوفة ، وطلب الحديث ، وسمع ثم جالس أبا حنيفة ، وسمع منه فغَلب عليه مذهبه ، وعُرِف به ، ثم قدم بغداد فنزلها ، وسمع منه بها ، ثم خرج إلى الرَّقة وهارون الرشيد بها،فولاه قضاء الرّقة ، ثم عزله ، فقدم بغداد،فلما خرج هارون إلى الرّى الخرْجة الأولى أمره فخرج معه ، فمات بالرىّ فى سنة تسع وثمانين ومائة وهو ابن ثمان وخمسين سنة . ويوسف بن يعقوب بن إبراهيم القاضى ، وكان قد سمع الحديث ونظر فى الرأى ، وولِىَ قضاء بغداد الجانب الغربىّ منها فى حياة أبيه ، وصلّى بالناس الجمعة فى مدينة أبى جعفر بأمرِ هارون ، فلم يزل قاضياً بها إلى أن توفِّىَ فى رجب سنة ثلاث وتسعين ومائة.وسفيان بن عيينة بن أبى عمران ، ويكنى أبا محمد مولى لبنى عبد الله بن رويبة،من بنى هلال بن عامر بن صعصعة،وكان أبوه عيينة من عمال خالد بن عبد الله القسرى ، فلما عُزِل خالد عن العراق ، وولى يوسف بن عمر الثقفىّ طلب عمّال خالد فهربوا منه ، فلحق عيينة بن أبى عمران بمكة فنزلها .

وقال ابن سعد : أخبرنا محمد بن وعمِّر ، قال : أخبرنى سفيان بن عيينة أنه ولد سنة سبع ومائة ، وطلب العلم قديماً ، وكان حافظاً وعمِّر حتى ماتَ ذُووأسنانه ، وبقَى بعدهم .

قال سفيان : وذهبت إلى اليمن سنة خمسين ومائة وسنة ثنتين وخمسين ومائة ومعمر حىّ ، وذهب الثورىّ قبلى بعام .

وقال ابن سعد : أخبرنى الحسن بن عمران بن عيينة ابن أخى سفيان قال : حججتُ مع عمِّى سفيان آخر حجة حجها سنة سبع وتسعين ومائة ، فلما كان بجَمْع وصلّى استلقى على فراشه ، ثم قال لى : قد وافيت هذا الموضع سبعين عاماً أقول فى كل عام : اللّهمّ لا تجعله آخر العهد من هذا المكان ؛ وإنى قد استحييت من الله عزّ وجلّ من كثرة ما أسأله ذلك ، فرجع فتُوفِّىَ فى السنة الداخلة يوم السبت أول يوم من رجب سنة ثمان وتسعين ومائة ، ودفن بالحَجُون ، وتُوفِّىَ وهو ابن إحدى وتسعين سنة .

وأُويس القرنى ، من مُرادَ ، وهو يحابر بن مالك من مذحِج ، وهو أويس بن عامر ابن جزء بن مالك بن عمرو بن سعد بن عُصْوان بن قرن بن ردمان بن ناجية بن مراد ، وهو يحابر بن مالك ، وكان ورعاً فاضلا ، رُوِى أنه قتل يوم صِفين .

حدثنا أبو كُريب ، قال : حدثنا أبو بكر ، قال : حدثنا هشام عن الحسن ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليدخلنَّ الجنة بشفاعة رجل من أمتى مثل ربيعة ومضر ؛ قال هشام : فأخبرنى حوشب أنه قال : هو أويس القرنى.وحضين بن المنذر الرُقاشىّ ، وكان يكنى أبا محمد ، وكان يكنى فى الحرب بأبى ساسان ، قال الحارث : حدثنى علىّ ابن محمد ، قال : حدّثنى علىّ بن مالك الجشمىّ قال : ذكروا الحُضين بن المنذر عند الأحنف ، فقالوا : ساد وما اتّصلت لحيته ، فقال الأحنف:السّودَد مع السواد قبل أن يشيب الرجل ، وكان حُضين بن المنذر يومَ صِفِّين صاحب لواء ربيعة ، وأراه عَنَى عليًّا عليه السلام بقوله :

لمَنْ رايةٌ سوداءُ يخفِق ظِلُّها إذا قيل قدّمها حُضَيْنُ تقدَّما

وحدثنى محمد بن معمر قال : حدثنا روح ، قال : حدثنا علىّ بن سويد ابن منجوف ، قال : أتينا حضين بن المنذر أبا ساسان فقال:مرحباً بزائرٍ لا يُمَلّ.وسعد ابن الحارث بن الصمة بن عمرو بن عتيك بن عمرو بن مبذول ، وهو عامر بن مالك ابن النجار ، وقتِل سعد بن الحارث بِصفّين مع أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب . والحارث الأعور بن عبد الله بن كعب بن أسد بن يَخْلُد بن حُوث ، واسمه عبد الله بن سَبُع بن صَعْب بن معاوية بن كثير بن مالك بن جُشَم بن حاشد بن جشِم ابن خَيْوان بن نَوْف بن هَمْدان ، وحُوث هو أخو السَّبيع رهط أبى إسحاق السَّبيعى . وكان الحارث من مقدِّمى أصحاب أمير المؤمنين علىّ عليه السلام وعبد الله فى الفقه والعلم بالفرائض والحساب .

وحدثنى زكريا ء بن يحيى ، قال : حدّثنا أحمد بن يونس ، عن زائدة ، عن الأعمش عن إبراهيم ، قال : قال الحارث : تعلَّمْت القرآن فى سنة والوحى فى ثلاث سنين .

حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا يحيى بن واضح ، قال : حدثنا إسماعيل ، عن مَخْلَد عن أبى إسحاق ، أَنّ الحسن بن علىّ عليه السلام كتب إلى الحارث: إنك

كنت تسمع من عليّ عليه السلام شيئاً لم أسمعه ، فبعث إليه بوَقْرِ بعير .

حدثنا أبو السائب ، قال : حدثنا ابنُ فُضيل عن مجالد عن الشّعبيّ ، قال : تعلّمت من الحارث الأعور الفرائض والحساب ، وكان أحسبَ الناس . وزعم يحيى بن معين أن الحارث توفى فى سنة خمس وستين ، ولا خلاف بين الجميع من أهل الأخبار أنّ وفاة الحارث كانت أيام ولاية عبد الله بن يزيد الأنصارى الكوفة من قِبَل عبد الله بن الزبير .

وعبد الله بن يزيد الذى صلّى على الحارث فى أيامه تلك بالكوفة ، وكان الحارث من ساكنى الكوفة ، وبها كانت وفاته ، وكان من شيعة أمير المؤمنين علىّ ابن أبى طالب وعمرو بن سلِمة بن عبد الله بن سلِمة بن عَميرة بن مقاتل ابن الحارث بن كعب بن علوىّ بن عَلْيان بن أرحب بن دُعام . من هَمْدان ، كان شريفاً ؛ وهو الذى بعثه الحسن بن علىّ عليه السلام مع محمد بن الأشعث بن قيس فى الصلح بينه وبين معاوية ، فأعجَب معاوية ما رأى من فصاحته وجسمه ، فقال : أمُضرىّ أنت ؟ قال : لا ، ثم قال :

إنى لمن قومٍ بَنَى الله مَجْدَهُم ... على كلّ بادٍ فى الأنام وحاضِر
أبوّتُنا آباءُ صِدْقٍ نَمى بهم ... إلى المجد آباءٌ كرامُ العناصر
وأُمّاتُنا أكرِمْ بهنّ عجائزاً ... ورثْنَ العُلا عن كابرٍ بعد كابرِ
جناهنّ كافورٌ ومسْك وعنبرٌ ... وأنت ابنَ هنْدٍ من جناة المغافر

أنا امرؤ من هَمْدان ، ثم أحدُ أرْحَب .

وأبو عبد الرحمن السُّلمىّ ، واسمه عبد الله بن حبيب ، قال ابن سعد : قال حجاج بن محمد : قال شعبة : لم يسمع أبو عبد الرحمن من عثمان ولكن سمع من علىّ عليه السلام . وكان أبو عبد الرحمن من أصحاب علىّ عليه السلام من ساكنى الكوفة ، وبها كانت وفاته فى ولاية بشر بن مروان العراق .

حدثنا ابن حميد قال : حدثنا جرير عن عطاء قال : قال رجل لأبى عبد الرحمن ، أنشدك الله ، متى أبغضت عليًّا عليه السلامُ . أليس حين قسّم قَسْماً بالكوفة فلم يعطك ولا أهل بيتك ؟ قال : أما إذْ نشدتَنى الله فنعم .

وكُمَيْلِ بن زياد بن نَهِيك بن هَيْثم بن سعد بن مالك بن الحارث بن صُهْبَان بن

سعد بن مالك بن النَّخَع من مَذْحِج ، شهد مع علىّ عليه السلام صِفّين ، وكان شريفاً مطاعاً فى قومه ، فلمّا قدم الحجاج الكوفة دعا به فقتله .

حدثنا أبو كريب ، قال حدّثنا أبو بكر عن الأعمش ، قال : قال الحجاج للعُريان : يا عريان ، ما فعل كُمَيلُ ؟ أليس قد خرج علينا فى الجماجم ؟ قال : فأجابه العريان ، فذكر كلاماً، قال : فمكث ثم جاء كُميل يأخذ عطاءه ، قال : فأخذه ، فقال : أنت الذى فعلت بعثمان ، وكلّمه بشىء ، قال كميل : لا تُكثر علىَّ اللوم ولا تُهِل علىّ الكثيب ؛ وما ذاك ! رجل لطمنى فأصبرنى فعفوتُ عنه ، فأيُّنا كان المسىءُ؟ قال : فأمر به فضُربت عنقه . قال : وكان من أهل القادسية .وعمر الأكبر بن علىّ ابن أبى طالب عليه السلام بن عبد المطلب بن هاشم . وأمه الصهباء ، وهى أم حبيب ابنة بجير بن العبْد بن عَلْقمة بن الحارث بن عُتْبة بن سعد بن زهير بن جُشَم بن بكر ابن حُبيْب بن عمرو بن غَنْم بن عثمان بن تغلب بن وائل ، وكانت سبِيّة أصابها خالد ابن الوليد حين أغار على بنى تغِلب بناحية عَيْن التَّمْر .

وعبيد الله بن علىّ بن أبى طالب عليه السلام . أمه ليلى ابنة مسعود بن خالد بن مالك ابن رِبْعِىّ بن سُلمَى بن جَنْدل بن نهشل بن دارم ، قُتل بالمذار فى الوقعة التى كانت بين أصحاب مصعب بن الزبير وأصحاب المختار وهو فى جيش مُصْعب وأبو نَضْرة ، واسمه المنذر بن مالك بن قطعة من العَوَقة ، وهم بطنٌ من عبد القيس . وقال علىّ ابن محمد : خرج أبو نَضْرة مع ابن الأشعث ، وكان أبو نُضْرة من شيعة علىّ عليه السلام.

ونَوْف البكالىّ ، وهو نَوْف بن فَضالة ابن امرأة كعب . ونوفل ابن مساحق بن عبد الله ابن مخرمة بن عبد العزّى بن أبى قيس بن عبدوُدّ بن نصر بن مالك بن حسِل بن عامر بن لؤى .

والأشتر ، واسمه مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن مسلمة بن ربيعة بن الحارث ابن جَذيمة بن سعد بن مالك بن النّخع من مذحج .

حدثنى إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد ، قال : سمعت أبا بكر بن عيّاش يقول : قال علقمة : قلت للأشتر : قد كنت كارهاً لقتل عثمان ، فما أخرجك بالبصرة ؟ قال : إن هؤلاء بايعوه ثم نكثوه . وكان ابن الزبير ، وهو الذى هزّ عائشة على الخروج ، وكنت أدعو الله عز وجل أن يُلقينيه ، ولقيَنى كفةً لكفة ، فما رضيت لشده ساعدى . أن قمتُ فى الرّكاب ، فضربته ضربة فصرعتُه . قال : قلت فهو القائل : « اقتُلونى

ومالكا »[١] قال : لا ما تركته ، وفى نفسى منه شىء ، ذاك عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد لقيَنى فاختلفْنا ضربتين ، فصرعنى وصرعته ، فجعل يقول : اقتلونى ومالكاً ، ولا يعلمونَ مَنْ مالك ، ولو يعلمون لقتلونى . ثم قال أبو بكر بن عياش : هذا كأنَّك شاهِدُه . حدثنى به المغيرة عن إبراهيم ، عن علقمة قال : قلت للأشتر .

وشَبَث بن رِبعىّ بن حصين بن عُثَيم بن ربيعة بن زيد بن رياح بن يربوع بن حنظلة من بنى تميم . وكان شَبَث يكنى أبا عبد القدوس ، قال ابن سعد : أخبرنا الفصل بن دكين ، قال : حدّثنا حفص ابن غياث ، قال : سمعتُ الأعمش قال : شهدت جنازة شَبَث ، فأقاموا العبيد على حِدّة والجوارى على حِدة، والنُّجُف على حِدَة ، والنّوق على حِدَة ، وذكر الأصناف ، ورأيتهم يَنُوحون عليه يلتدمون .

حدثنى ابن عبد الأعلى قال : حدثنا المعتمر ، عن أبيه ، عن أنس ، قال : قال شَبَث : أنا أول من حرَّر الحَرورية ، فقال رجل : ما كان فى هذا ما يُتَمَدَّح به .

والمسيَّب بن نَجبة بن ربيعة بن رياح بن عوف بن هلال بن شَمْخ بن فزارة . شهد القادسيّة ، وشهد مع علىّ عليه السلام مشاهده، وقتل يومَ عين الوَرْدَة مع التوابين الّذين خرجوا وتابوا من خذلان الحسين عليه السلام ، فبعث الحصين بن نمير برأس المسيَّب ابن نَجَبَة مع أدهم بن محرز الباهلىّ إلى عبيد الله بن زياد ، فبعث به عبيد الله بن زياد إلى مَرْوان بن الحكم ، فنصبه بدمشق . وحُجْر بن عدى بن عدىّ بن جبلة بن عدىّ بن ربيعة ابن معاوية الأكرمين بن الحارث بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مُرتِّع ابن كندة وهو حُجر الخير ، وأبوه عَدِىّ الأدْبر، طُعِن مُولِّياً فسمّى الأدبر ، وكان حجر ابن عدىّ جاهليًّا إسلاميًّا . وقد ذكر بعض رواة العلم أنه وفد إلى النبى صلى الله عليه وسلم مع أخيه هانئ بن عدىّ ، وشهد القادسية، وهو الذى افتتح مَرْج عذراء ، وكان فى ألفين وخمسمائة من العطاء ، وكان من أصحاب علىّ عليه السلام، شهد معه الجمل وصِفِّين . وصعصعة بنُ صوحان توفِّى بالكوفة فى خلافة معاوية وعبد خير بن يزيد الْخَيْوانى من هَمْدان ، ويكنى أبا عُمارة ، شهد مع علىّ عليه السلام صِفّين ، وكان له أثر فيها .

---

(١) البيت بتمامه :

اقتلونى ومَالــــكاً   واقتُلوا مالــكاً معى

والأصبغ بن نباتة بن الحارث بن عمرو بن فاتك بن عامر بن مجاشع بن دارم ، وكان صاحب شُرَط عليّ عليه السلام ، وكان الأصبغ من شيعة عليّ عليه السلام.وحجار بن أبجر ابن جابر بن بُجير بن عائذ بن شُرَيط بن عمرو بن مالك بن ربيعة بن عجل ، وكان شريفاً . ومسلم بن نذَيْر السعدىّ من سعد بن زيد مناة بن تميم ، وكان أيضاً من الشيعة.وأبو عبد الله الجَدَلىّ واسمه عَبدة بن عبد بن عبد الله بن أبى يَعْمُر بن حبيب ابن عائذ بن مالك بن واثلة بن عمرو بن ناج بن يشكُر بن عَدْوان ، واسمه الحارث ابن عمرو بن قيس بن عَيْلان بن مضر – وسُمّىَ عَدْوان – لأنه عدا على أخيه فَهْم ابن عمرو فقتله ، وأم عدوان وفهم جَدِيلة بنت مُرّ بن أدّبن طابخة أخت تميم بن مرّ فنُسبوا إليها ، وكان أبو عبد الله الجدلىّ من شيعة علىّ عليه السلام وقائد الثمانمائة الذين وجّههم المختار إلى محمد بن الحنفية لمنعه من ابن الزبير حين أراد قتله وأبو المتوكل الناجىّ واسمه علىّ بن دُواد . وأبو الصديق الناجى واسمه بكر بن عمرو ثقة.وذرّ ابن عبد الله بن زرارة بن معاوية بن عميرة بن منبّه بن غالب بن وقّش بن قاسم بن مُرهِبة ، من همْدان ، وكان ذرّ من المقدمين فى القَصص ، وكان من أهل الإرجاء ، وكان من القرّاء الذين خرجوا مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث على الحجّاج .

قال ابن سعد : أخبرنا الفضل بن دُكين ، قال : حدثنا أبو إسرائيل عن الحكم ، قال : سمعتُ ذرًّا فى الجماجم يقول : هل هى إلا بردُ حديدة بيد كافر مفتون . وطلحة ابن عبد الله بن خلف بن أسعد من بنى مُليح بن عمرو بن ربيعة ، من خُزاعة ، قتل أبوه عبد الله بن خلف يوم الجمل مع عائشة . وطلحة هذا هو الذى يقال له طلحة الطلحات وكان أجوَد العرب فى زمانه وأمّه صفيّة ابنة الحارث بن طلحة بن أبى طلحة ابن عبد العزّى بن عثمان بن عبد الدار بن قصى ، وأم أبيه حُمَيْنة ابنة أبى طلحة ابن عبد العُزّى ، وسُمّىَ طلحة الطلحات بولادة طلحة وأبى طلحة إياه.وسالم بن أبى حفصة وكان سالم يكنى أبا يونس وكان يتشيّع تشيُّعاً شديداً فلما كانت دولة بنى هاشم ، حجّ داود بن علىّ تلك السنة بالناس وهى سنة ثنين وثلاثين ومائة ، وحج سالم بن أبى حفصة تلك السنة ، فدخل مكة وهو يلبّى يقول : لبيك اللهم لبيك ! مُهلِك بنى أميّة لبيك ، وكان رجلا مُجْهِراً ، فسمعه داود بن علىّ فقال : مَنْ هذا ؟ قالوا : سالم بن أبى حفصة ، وأخبر بأمره ورأيه ، قال ابن سعد : أخبرنا علىّ

ابن عبد الله قال : حدثنا سفيان عن سالم بن أبى حفصة قال:كان الشعبى إذا رآنى قال :

يا شُرْطة اللهِ قَعِى وطِــــيرِى ‐ كَما تَطــيرُ حبَّــةُ الشَعِــيرِ

والخليل بن أحمد صاحب العروض الفَرَاهيدى ، من العَتِيك ، عن هشام بن محمد حدثنى إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد ، قال : حدثنى قريش بن أنس قال : سمعت الخليل بن أحمد صاحب النحو قال : إذا نُسِخ الكتاب ثلاث مرار تحوّل بالفارسية . قال أبو يعقوب : يعنى يكثر سَقَطُه .

ذكر من روى عنها العلم منهن ممن أدرك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم من قريش

منهن فاطمة بنت علىّ بن أبى طالب عليه السلام . روت عن أبيها أحاديث منها ماحدثنى محمد بن الحسين قال حدثنا الفضل بن دكين ، قال : حــدّثنا ابن أبى نُعم – يعنى الحكم بن عبد الرحمن بن أبى نعم – قال : حدثتنى فاطمة بنت على ، قالت : قال أبى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أعتق نسمةً مسلمةً أو مؤمنة وقى الله عز وجل بكلِّ عضو منها عضواً منه من النار » .

ومنهن أم كلثوم ابنة علىّ بن أبى طالب عليه السلام .

ومنهن فاطمة بنت الحسين بن علىّ بن أبى طالب. روتْ عن أبيها وعن غيره أحاديث .

منها ما حدثنى محمد بن عبيد المحاربى ، قال : حدّثنا صالح بن موسى الطلحىّ ، عن عبد الله بن الحسن ، عن أمّه فاطمة بنت الحسين ، عن أبيها عن علىّ عليه السلام ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل المسجد قال : « اللهمّ افتح لى أبوابَ رحمتك » ، وإذا خرج منه قال : « اللهمّ افتح لى أبواب رزقك » .

ومنهن أم كلثوم ابنة الزبير بن العوام .

رُوى عنها ما حدثنى العباس بن الوليد ، قال : أخبرنى أبى ، قال : حدثنا الأوزاعىّ عن أم كلثوم بنت أسماء بنت أبى بكر الصديق ، عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم

قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى البيت ، فجاء علىّ بن أبى طالب عليه السلام ، فدخل فلمّا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى قام إلى جانبه يصلى ، قال : فجاءت عقرب حتى انتهت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تركته وأقبلت إلى علىّ فلما رأى ذلك علىّ ضربها بنعله فلم ير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بقتله إياها بأساً .

ومنهن أم حميد بنت عبد الرحمن .

روى عنها ما حدثنا سعيد بن يحيى الأموى ، قال : حدّثنا أبى قال : حدثنا ابن جريج ، قال : حدثنا عبد الملك بن عبد الرحمن ، عن أمه أمّ حميد بنت عبد الرحمن ، سألتُ عائشة عن الصلاة الوسطى ، قالت : كنا نقرأ فى الحرف الأول على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم : (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاةِ الوسْطَى وصَلاةِ الْعَصْرِ وقُومُوا لله قانتِين(١) .

حدثنى عباس بن محمد ، قال : حدثنا حجاج ، قال : أخبرنى ابن جريج ، قال : أخبرنى عبد الملك بن عبد الرحمن عن أمّه أمّ حميد بنت عبد الرحمن ، أنها سألت عائشة عن قوله تعالى : (الصَّلاَةِ الْوُسْطَى) فقالت : كنا نقرؤها على الحرف الأول على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم : حَافظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاة الْوُسْطَى وصَلاَةِ الْعَصْرِ وقُومُوا لله قانتِين(١) .

ومنهن آمنة روى عنها من ذلك .

ما حدثنا الربيع قال حدثنا أسد ، قال : حدثنا حمّاد بن سلمة عن علىّ بن زيد ، عن آمنة أنها سألت عائشة عن هذه الآية : (إِنْ تُبْدُوا ما فى أَنْفسكم أو تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُمْ به الله (٢) ، (وَمَنْ يَعْمَلْ سوءًا يُجْزَ به)(٣) فقالت : ما سألنى عنها أحدٌ منذ

---

(١) سورة البقرة ٢٣٨ . وفى تفسير القرطبى : « وإنما ذلك كالتفسير من النبى صلى الله عليه وسلم ، يدل على ذلك حديث عمر بن رافع ، قال : أمرتنى حفصة أن أكتب لها مصحفا ... فأملَتْ علىّ : « حافظوا على الصلوات وصلوات الوسطى (وهى العصر) وقوموا لله قانتين » وقالت : هكذا سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها . فقولها : وهى العصر دليل على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسّر الصلاة الوسطى من كلام الله بقوله : « وهى صلاة العصر » .

(٢) سورة البقرة ٢٨٤ .

(٣) سورة النساء ١٢٣ .

سألتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ياعائشة هذه متابعة الله العبد بما يصيبُه من الحمَّى والنكبة والشَّوْكة حتى البضاعة يضعها فى كفّه يفقــدها فيروّع لها فيجدها فى ضبنه [1] ؛ حتى إن المؤمن ليخرج من ذنوبه كما يخرج التبرُ الأحمر من الكير .

يتلوه الأسماء والكنى من التاريخ

فمنهم أبو بكر ، اختلف فى اسمه ، فالذى عليه معظم أهل العلم أنّ اسمه عبد الله بن أبي قُحافة . وقال بعضهم . بل اسمه عتيق وأبو قُحافة ، فلا اختلاف فى اسمه أنه عثمان ابن عامر بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مرة .

وأبو عبيدة واسمه عامر بن عبد الله بن الجراح .

وأبو الأَرْقم واسمه عبد مناف بن أسَد بن عبد الله المخزوميّ .

وأبو مَرْثَد الغنويّ حليف حمزة بن عبد المطلب ، اسمه كنَّاز بن الحُصّين ، وقيل كِنَاز بن الحصين .

وأبو موسى الأشعرى : اسمه عبد الله بن قيس حَليف أبي أُحَيْحة سعيد بن العاص .

وأبو محذورة المؤذّن ، اسمه أوس بن مِعْير ، وقيل : سمرة بن عُمَير . وقال ابنُ معين : هو سمرة بن معين .

وأبو العاص بن الربيع خَتَن رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنته زينب اسمه مِقْسَم .

وأبو ذرّ ، ويختلف فى اسمه فعامة أهل الأنساب يقولون : هو جُندب بن جُنادة وقال أبو معشر : نجيح هو بُرير بن جُنْدب .

وأبو أمامة صُدَىّ بن عَجْلان الباهلىّ .

وأبو بكرة نُفَيْع بن مسروح ، وقيل : اسمه مَسْروح .

وأبو ليلى بلال بن بُلَيل بن أحَيْحة بن الجُلاَح .

---

(١) الضبن : ما بين الكشح والإبط .

وأبو بُرْدة بن نِيَار ، أصله من قُضاعة ، وهو حليف لبنى حارثة من الأوْس .

وأبو الدرداء عُوَيمر بن زيد ، من بنى الحارث بن الخزْرج .

وأبو عَمْرة بشير بن عمرو بن محصن أبو عبد الرحمن بن أبى عمرة .

وأبو أيوب الأنصاريّ خالد بن زيد بن كُلَيب .

وأبو قَتادة ، اختلف فى اسمه ، فقال ابن إسحاق : هو الحارث بن رِبَعى ، وقال بعضهم : هو عمرو بن رِبْعِيّ ، وقال الواقديّ : هو النّعمان بن رِبْعى .

وأبو اليَسَر كعب بن عمرو .

وأبو هريرة قال هشام اسمه عمير بن عامر بن عبد ذى الشَّرَى . وقال الواقديّ : هو عبد شمس ، فسمِّيَ فى الإسلام عبد الله : وقال آخرون : اسمه عبد نُهم وقيل : سُكَين ، وقيل عبد غَنْم .

وأبو أسَيْد الساعديّ ، مالك بن ربيعة .

وأبو حَدْرَد الأسلمى سَلامة بن عمير بن أبى سلامة وقال بعضهم عبد بن عمير .

وأبو سعيد الخُدْرِيّ سعد بن مالك بن سنان .

وأبو بَرْزَة الأسلميّ ، قال هشام : هو نَضْلة بن عبد الله ، وقال بعضهم : هو نَضْلة بن عبيد بن الحارث . وقال الواقدى : هو عبد الله بن نَضْلة .

وأبو زيد الأنصارى ثابت بن زيد بن قيس من بنى الحارث بن الخزرج ، وهو أحد الستة الذين جمعوا القرآن .

وأبو ودَاعة الحارث بن ضُبَيْرة بن سُعَيد أبو المطلب بن أبى وداعة السَّهمىّ .

وأبو لِبَنة عبد الله بن أبى كَرِب من بنى معاوية الأكرمين .

وأبو سَبْرة يزيد بن مالك بن عبد الله بن جُعفى ، وهو جدُّ خَيْثمة بن عبد الرحمن صاحب الأعمش .

وأبو الحمراء هلال بن الحارث .

وأبو جُحَيفة وهب السُّوائىّ .

وأبو جُمعة حَبيب بن سِباع .

وأبو الأعور السلمىّ عمرو بن سفيان .

وأبو عيَّاش الزُّرَقىّ زيد بن الصامت .

وأبو مسعود الأنصارى عقبة بن عمرو .
وأبو لُبابة رفاعة بن عبد المنذر .
وأبو حُميد السّاعدىّ عبد الرحمن بن سعد .
وأبو أمامة الأنصارى أسعد بن زرارة .
وأبو دُجانة سِماك بن خَرَشة .
وأبو الهيثم بن التَّيِّهان مالك بن التَّيِّهان .

ذكر أسماء من شهر بالكنية من النساء اللاتى بايعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدركْنه

منهن أم سلَمة بنت أبى أمية بن المغيرة ، اسمها هند بنت سُهيل بن المغيرة زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأم هانئ بنت أبى طالب بن عبد المطلب، اسمها فاختة فى قول الرواة والمحدّثين ؛ وأما هشام بن محمد الكلبى فإنه كان يقول – فيما ذكر : اسمها هند .

وأم حبيبة بنت أبى سفيان ، اسمها رَمْلة .
وأم شريك واسمها غَزِيّة بنت جابر بن حكيم .
وأم أيمن ، واسمها بركة مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وأم الفضل، وهى لُبابة الكبرى بنت الحارث بن حَزْن، وهى زوجة العباس بن عبد المطلب .
وأم معبد ، واسمها عاتكة بنت خالد بن خُليف من خزاعة ؛ وهى التى رُوى عنها أنّ النبى صلى الله عليه وسلم مرَّ بها فضافتْه ونعتته لزوجها .
وأم الدرداء الكبرى خَيْرة بنت أبى حَدْرَد الأسلمىّ .
وأم بشر بن البراء بن مَعْرور خُلَيْدَةُ بنت قيس بن ثابت .
أم الحكم بنت الزبير بن عبد المطلب بن هاشم .
أم كلثوم بنت عُقْبة بن أبى مُعيط .

ذكر كنى ممّن شهر باسمه دون كنيته ، ممّن عاش بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم

أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام كان يكنى أبا الحسن بابنه الحسن عليه السلام .

وطلحة بن عبيد الله يكنى أبا محمد بابنه محمد .

والزبير بن العوام يكنى أبا عبد الله بابنه عبد الله .

وسعد بن أبي وقاص يكنى أبا إسحاق بابنه إسحاق .

وسعد بن زيد يكنى أبا الأعور .

وعبد الله بن العباس يكنى أبا العباس بابنه العباس .

وعبيد الله بن العباس أخوه وكان يكنى أبا محمد بابنه محمد .

والفضل بن العباس يكنى أبا محمد بابنه محمد .

والحسين بن عليّ عليه السلام يكنى ابا عبد الله بابنه عبد الله وقتل عبد الله بن الحسين مع أبيه الحسين عليه السلام .

وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب يكنى بابنه جعفر الأكبر .

وربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، يكنى أبا أرْوى بابنته أروى .

وَعَقِيل بن أبي طالب يكنى أبا يزيد بابنه يزيد .

وزيد الحِبّ بن حارثة يكنى أبا أسامة بابنه أسامة .

وأسامة الحبّ بن زيد بن حارثة يكنى أبا محمد بابنه محمد .

وعمّار بن ياسر أبو اليقظان .

وعبد الله بن مسعود يكنى أبا عبد الرحمن بابنه عبد الرحمن .

والمقداد بن الأسود من بَهْراء ، ويكنى أبا معبد .

وخبّاب بن الأرَتّ بن جَنْدَلة من سعد بن زيد مناة بن تميم ، يكنى أبا عبد الله بابنه عبد الله .

وحاطب بن أبي بَلْتعة ، من لخم وهو من حلفاء الزبير بن العوام ، يكنى أبا محمد

في قول الواقديّ وفي قول يحيي أبا يحيي .

والأرقم بن أبي الأرقم من بني مخزوم ، يكنى أبا عبد الله . وأما أبو الأرقم فإن اسمه عبد مناف .

وأُبَيّ بن كعب ، يكنى أبا المنذر .

وعبد الله بن زيد بن عبد ربه ؛ وهو الذى أُرِيَ الأذان ، يكنى أبا محمد بابنه محمد .

ورفاعة بن رافع بن مالك يكنى أبا معاذ بابنه معاذ .

وسعد بن عُبادة بن دُلَيْم ، يكنى أبا ثابت .

وبُريدة بن الحُصَيْب بن عبدالله ، يكنى أباعبدالله بابنه عبد الله ؛ حدثنا العباس قال : سمعتُ يحيي يقول : بُرَيدة الأسلمى أبو سهل .

بِلال بن رَبَاح المؤذّن ، يكنى أبا عبد الله .

ثابت بن الضحاك أبو زيد .

عثمان بن حُنَيف ، يكنى أبا عبد الله .

حسان بن ثابت يكنى أبا الوليد .

جابر بن عبد الله بن حرام ، يكنى أبا عبد الله .

كعب بن مالك الشاعر يكنى أبا عبد الله .

جُبير بن مُطعِم ، يكنى أبا محمد بابنه محمد .

عبد الرحمن بن أبي بكر ، يكنى أبا عبد الله بابنه عبد الله .

خالد بن الوليد بن المغيرة ، يكنى أبا سليمان بابنه سليمان .

عمرو بن العاص يكنى أبا عبد الله بابنه عبد الله .

واثِلة بن الأسقع ، يكنى أبا قِرْصافة ، وقيل : إن كنيته أبو الأسقع وأن أبا قرصافة جِنْدَرة بن خَيْشَنَة .

مَعْقِل بن يسار ، يكنى أبا عبد الله ، وهو صاحب نهر مَعْقِل بالبصرة .

قُرّة بن إياس أبو معاوية .

صَفْوان بن المعطّل يكنى أبا عمرو .

العِرباض بن سارية أبو نجيح

المغيرة بن شعبة يكنى أبا عبد الله .

عمران بن حصين يكنى أبا نُجَيْد .

سليمان بن صُرَد يكنى أبا مطرّف ، وكان اسمه يَسار فلما أسلم سمّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سليمان .

سلمة بن الأكوع يكنى أبا إياس بابنه إياس . وقال يحيى ، يكنى أبا مسلم .

وعبد الله بن أبى أوفى ، يكنى أبا معاوية .

وعبد الله بن أبى حَدْرَد يكنى أبا محمد .

وعقبة بن عامر الجُهنى يكنى أبا عمرو فى قول الواقدى ؛ حدثنا العباس عن يحيى قال : يكنى أبا حماد ، وفى موضع آخر أنه كان يُكَنّى أبا أسد .

زيد بن خالد الجهنى يكنى أبا طلحة .

مَعْبَد بن خالد أبو رَوْعة الجهنىّ .

البرَاء بن عازب ، يكنى أبا عمارة .

أسَيْد بن ظَهير ، يكنى أبا ثابت .

ثابت بن وَدِيعة ، يكنى أبا سعد .

وخزيمة بن ثابت يكنى أبا عمارة .

زيد بن ثابت يكنى أبا سعيد بابنه سعيد .

وعمرو بن حزم يكنى أبا الضحاك .

شداد بن أوس بن ثابت ، يكنى أبا يَعْلى بابنه يعلى .

معاذ بن الحارث من بنى النجّار من الأنصار ، وهو الذى يقال له : القارئ . يكنى أبا الحارث .

أنس بن مالك ، يكنى أبا حَمْزة .

زيد بن أرقم يكنى أبا سعد فى قول الواقدىّ وفى قول غيره : أبا أُنَيْسة .

والنعمان بن بشير ، يكنى أبا عبد الله بابنه عبد الله .

وسعد بن عُبادة أبو ثابت فى قول يحيى .

وقَيْس بن سعد بن عبادة ، يكنى أبا عبد الملك .

سهل بن سعد الساعدى يكنى أبا العباس بابنه العباس .

عبد الله بن سلاَم يكنى أبا يوسف ، وكان اسمه الحصين فلمّا أسلم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله .

وعبد الله بن الزبير بن العوام يكنى أبا بكر بابنه بكر ، وقيل : يكنى أبا خُبَيْب .

المِسور بن مَخْرَمة ، يكنى أبا عبد الرحمن بابنه عبد الرحمن .

عمر بن أبي سلَمة بن عبد الأسَد يكنى أبا حفص .

عمرو بن حرَيْث يكنى أبا سعيد .

حاطب بن أبي بَلْتَعة يكنى أبا عبد الرحمن .

محمد بن حاطب يكنى أبا إبراهيم .

معاوية بن أبي سفيان يكنى أبا عبد الرحمن .

الوليد بن عقبة بن أبي مُعيط يكنى أبا وهب .

مَخْرمة بن نوفل أبو صفوان بابنه صفوان .

قَبيصة بن المخارق ، يكنى أبا بشر .

جابر بن سَمُرَة بن جنادة يكنى أبا عبد الله .

عَدِىّ بن حاتم الجواد الطائى يكنى أبا طَرِيف .

الأشعث بن قيس ، يكنى أبا محمد بابنه محمد .

تميم الدارىّ وهو تميم بن أوس بن خارجة ، يكنى أبا رقيَّة .

وعمرو بن معد يكرب يكنى أبا ثور .

وهانئ بن يزيد أبو شريح بن هانئ ، يكنى أبا شُريح ، وكانت كنيته فيما ذكر فى الجاهلية أبا الحكم ، لأنه كان حَكماً بين قومه ، فلمّا أسلم كناه النبى صلى الله عليه وسلم أبا شُرَيح .

جرير بن عبد الله البجلِىّ ، قال الواقدىّ : كنيته أبو عبد الله والذى عندنا أن كنيته أبو عمرو ، ويُنشد من قبَله .

أنا جـــــرير كنيتى أبــو عَمْرو أضربُ بالسيف وسعدٌ فى القصرِ

وفيْروز الدّيلمىّ ، يكنى أبا عبد الله بابنه عبد الله ، وبعض الرواة يقول فيه : حدثنى الديلمى الحميرى ، وإنما قيل ذلك لنزوله فى حِمْير ، وهو من أبناء الفرس الذى وجّههم كسرى إلى اليمن لحرب الحبشة بها .

وسَفِينة مولى أم سلمة ، يكْنَى فيا حدثنا العباس عن يحيى أبا عبد الرحمن .

وأُهْبان بن صَيْفِيّ ، كنيته فى قوله أبو مسلم .

والمقدام بن معد يكرب يكنى أبا كرِيمة .

ويعْلَى بن مرة ، قال يحيى : يكنى أبا المَرَازِم ، فقال الواقدى : أبو المرازم كنيته يعْلى بن أمية .

ولَبيد بن ربيعة الشاعر، يكنى أبا عَقِيل .

وقَرَظة بن كعب، يكنى أبا عمرو .

وحُوَيْطِب بن عبد العُزَّى بن أبى قيس ، يكنى أبا محمد .

ومالك بن الحُوَيرث الليْثِيّ ، يكنى أبا سليمان .

وحُذَيفة بن اليمَان، يكنى أبا عبد الله .

ذكر أسماء مَنْ عُرِف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بمولاه أو بأخيه أو بلقبه أو بجدِّه دون أبيه الأدنى

منهم سالم بن مَعْقِل الذى يقال له سالم مولى أبى حذيفة ، فإنه يعرف بمولى أبى حذيفة ، وهو مولًى لامرأة من الأوس ، يقال لها : ثُبَيْتَةَ بنت يَعار كانت تحت أبى حذيفة بن عتبة ، فأعتقتْ سالما سائبة ، فوالى سالم أبا حذيفة فتبنّاه أبو حذيفة .

والمقداد بن الأسود، هو المقداد بن عمرو بن بَهْراء بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ؛ ولكنه كان حالف الأسود بن عبد يغوث الزهرىّ فى الجاهلية فتبنّاه ، وكان يقال له المِقداد بن الأسود ، فلما نزلت : (ادْعُوهم لآبائهم)[1] أُلحِقَ بأبيه عمرو[2] .

وذو الشِّمالين ، وقد يقال له ذو اليدين ، لأنه كان – فيما ذكر – أضْبَط يعمل بيديه جميعاً وأنّ اسمه عمير بن عبد عمرو بن نَضْلة بن عمرو بن غُبْشان ، من خزاعة ، وقتل يوم بدر شهيداً مع مَن قتِل من المسلمين ، وأما الآخر منهما فإن اسمه الخِرْبَاق ، عاش بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم زماناً . وروى عن رسول الله أحاديث .

---

(١) سورة الأحزاب : ٥ .

(٢) الأضبط : هو الذى يعمل بيديه جميعاً .

وسُهيل بن بيضاء ، يعرف بالنسبة إلى البيضاء ، والبيضاء أمه ، وهى دَعْدُ بنت جَحْدَم بن عمرو ، وإنما هو سهيل بن وهب بن ربيعة بن هلال من بنى الحارث بن فهر ، وأخوه صفوان بن بَيْضاء .

وحُذيفة بن اليمان نسب إلى جدِّ أبى جده ، وإنما هو حذيفة بن حُسَيْل بن جابر بن ربيعة بن عمرو بن جرْوة بن الحارث بن قُطَيْعة بن عَبْس بن بغيض ، وجِرْوة بن الحارث هو اليمان الذى ولده حذيفة ، وقيل لجروة اليمان لأنه كان أصاب فى قومه دماً ، فهرب فلحق بالمدينة فحالف بنى عبد الأشْهَل ، فسمَّاه قومه اليمان لمحالفته اليمانية .

ويعلَى بن سَيابة،وسَيَابة أمّه ، وأبوه مرة ، وهو يعلَى بن مرّة .

ويعلى بن مُنَيَة ، ومنية أمه ، وأبوه أُمية وهو يعلَى بن أمية .

ونابغة بن جعْدة الشاعر عُرِف بلقبه ، واسمه قيس بن عبد الله بن عُدَس بن ربيعة ابن جعدة .

والأشعثُ بن قيس بن معد يكرب ، والأشعث لقب عُرِف به ، واسمه الذى هو اسمه معد يكرب ؛ ولكنّه قيل له . أشعث لأنه كان أبداً – فيا ذكر – أشعث الرأس فلقّب به .

وتميم الدارىّ ، يعرف بالنسب إلى الدار بن هانئ ، وهم من لخم ، وهو تميم ابن أوس بن خارجة الدارى .

والهُلْبُ بن يزيد الطائى ، عرف بلقبه واسمه سلامة وهو أبو قَبيصة بن [1] هلْب ؛ وإنما قيل له هِلْب لأنه كان أقرع ، فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح يده على رأسه فنبت شعر رأسه فسمِّىَ هُلباً بهلْب شعره .

ذكر أسماء من شُهر بالكنية من التابعين

منهم أبو أُمامة بن سهيل بن حُنيف،اسمه أسعد ذكر أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى سماه بذلك وكناه بكنيته ، وذلك أن أمّ أَبى أُمامة حبيبة بنت أبى أُمامة أسعد بن زُرارة بن عُدَس نقيب بنى النجار ، فلمّا وَلدت حبيبة أبا أُمامة بن سهل سمِّىَ باسم أبيها ، وكُنِّى بكنيته .

(١) الهلب ، بالضم : كثرة الشعر.

وأبو سعيد المقبُرىّ ، وهو أبو سعيد بن أبى سعيد المقبُرىّ اسمه كيسان مولى لبنى جُنْدُع من بنى ليث بن بكر .

وأبو جعفر القارئ واسمه يزيد بن القعقاع مولى ابن عيَّاش .

وأبو ميمونة مولى أم سلمة زوْج النبى صلى الله عليه وسلم وكان قارئ أهل المدينة فى زمانه وعليه قرأ نافع بن أبى نُعيم .

وأبو صالح السَّمان وهو الزيات مولى غَطفان ، ويقال : جُوَيْرِية امرأة من قيس ، وهو أبو سهيل ، اسمه ذَكْوان .

وأبو صالح باذام مولى أمّ هانئ بنت أبى طالب وهو الذى روى عنه الكلبى وإسماعيل بن أبى خالد .

وأبو صالح سُمَيع روى عن ابن عباس .

وأبو صالح مولَى السفّاح اسمه عبيد روى عنه بُسر بن سعيد .

وأبو صالح الحنفى اسمه عبد الرحمن بن قيس أخو طُليق بن قَيْس الحنفّى ، وقال يحيى : اسمه ماهان .

وأبو صالح الغِفارىّ .

وأبو صالح ميْسرة .

وأبو صالح الذى روى عنه أهل فِلسطين ، رُدَيح .

وابو صالح الذى روى عنه يحيى بن أبى كثير قَيْلوه .

وأبو صالح الذى روى عنه التيمىّ وخالد الحذّاء ميزان .

وأبو صالح مولى عثمان بن عفان ، اسمه بُركان .

وأبو وائل ، اسمه شقيق بن سلمة الأسدىّ .

وأبو عمرو الشيبانى ، اسمه سعد بن إياس .

وأبو عبد الرحمن السلمى ، اسمه عبد الله بن حَبيب .

وأبو فاختة سعيد بن عِلاَقة .

وأبو الشَّعثاء المحاربى ، اسمه سليم بن الأسود .

وأبو عبد الله الجدَلىّ ، اسمه عبدة بن عبد بن عبد الله .

وأبو بُرْدة بن أبى موسى ، اسمه عامر بن عبد الله بن قَيْس .

وأبو عثمان النّهدىّ ، اسمه عبد الرحمن بن مَلّ .

وأبو الأسود الدِّيلِي ، اسمه ظالم بن عمرو .

وأبو العالِيَة الرياحىّ اسمه رُفَيع .

وأبو أمية مولى عمر بن الخطاب اسمه عبد الرحمن وهو جدّ مبارك بن فضالة ابن أبى أمية .

وأبو رَجاء العُطاردىّ ، اسمه عمران بن تَيْم ، وقال بعضهم : عمران بن مِلحان .

وأبو المتوكِّل الناجى ، اسمه علىّ بن دُوَاد .

وأبو الصدِّيق الناجىّ ، اسمه بكر بن عمرو .

وأبو الزنباع اسمه صَدَقَة بن صالح .

وذكر عن العَلائىّ عن يحيى بن معين أنه قال : أبو أيوب العَتَكى ، اسمه يحيى ابن المنذر .

أبو العالية البَرَّاء اسمه زياد بن فيرور

أبو عمران الجونِى اسمه عبد الملك بن حبيب الأزدىّ .

أبو مسلم الخولانى اسمه عبد الله بن ثوَب .

أبو الزّاهرية الحضرمىّ ، اسمه حُدَير بن كُرَيب . وقيل : إنه حميرىّ .

أبو جعفر المدائنى اسمه عبد الله بن المِسْوَر بن محمد بن جعفر بن أبى طالب .

أبو حازم الذى روى عنه إسماعيل بن أبى خالد بن أبى خالد نَبْتَل .

أبو الحويرث عبد الرحمن بن معاوية .

أبو حازم الأشجعىّ سلمان .

أبو الشعثاء جابر بن زيد .

أبو الشعثاء الذى يروى عنه حُميد الطويل مولى عمر بن عبد العزيز فَيْروز .

أبو جَمْرَة صاحب ابن عباس عمران بن عطاء .

أبو جعفر البَجَلىّ الذى حدث عنه معتمر بن سليمان هو موسى بن المسيّب .

أبو بلْج يحيى بن سليم ، وقيل : يحيى بن أبي سُليم ، وقيل ، يحيى بن أبي الأسود .

أبو العُذافِر داود بن دينار .

ذكر عن ابن المثنى أنه قال : اسم أبي ليلى أبو عبد الرحمن بن أبي ليلى داود .

أبو أيوب الذى حدث عنه قَتادة ، يحيي بن أيوب .

أبو خَبَطَة الّذى روى عنه مالك بن مِغوَل حكيم الحذّاء .

أبو سفيان صاحب جابر ، طلْحة بن نافع .

أبو سفيان الذى حدَّث عنه أبو معاوية وحفص بن غِيَاث ، طَريف السّعدىّ .

أبو حيان الأشجعى ، اسمه منذر .

أبو حذيفة سلمة بن صهيب ، هو الذى يروى عنه علىّ بن الأقمر .

أبو بِسطام الذى روى عنه الفزارى ، يحيي بن عبد الرحمن التميمىّ .

أبو مريم عبد الغفار بن القاسم .

أبو المعلّى العطار اسمه يحيي بن ميمون .

أبو بكر الهذلى سُلمَى بن عبد الله بن سُلْمَى .

أبو بكار الحكم بن فرُّوخ الغزّال .

أبو التيَّاح يزيد بن حميد .

أبو هلال الراسبىّ محمد بن سُلَيم .

أبو المعلى زيد بن مرة .

أبو حمزة السُّكَّرى محمد بن ميمون .

أبو إسحاق الصائغ هو إبراهيم بن ميمون .

أبو سنان الرازى سعيد بن سنان .

أبو سلاَم الحنفىّ عبد الملك بن سلام المدائنى .

أبو الأزهر الشأمى فَرْوة بن المغيرة .

أبو حمزة الذى حدّث عنه الأعمش سعد بن عبيدة .

أبو كثير الزبيدىّ عبد الله بن مالك .

أبو هلال الطائى يحيي بن حيان .

أبو خالد الوالبى هُرمُز .

أبو معاوية البَجَلىّ عَمّار الدُّهْنِى .

أبو المعتمر يزيد بن طَهْمان .

أبو الهيَّاج الذى روى عنه الشعبي وسعيد بن جبير ، عمرو بن مالك الأزدى .

أبو مريم الأسدى الذى روى عنه أشعث بن أبى الشعثاء ، اسمه عبد الله ابن زياد .

أبو إدريس الذى يروى عن المسيب بن نَجَبَة ، اسمه سَوَاد .

أبو الهيثم صاحب القصب ، اسمه عمار .

ذكر من انتهت إلينا كنيته ممن شهر بالاسم دون الكنية من التابعين

عبد الرحمن بن الحارث بن هشام كان يكنى أبا محمد .

محمد بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، يكنى أبا حَمزة بابنه حمزة .

عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، يكنى أبا محمد وهو الملقب بَبَّة .

مروان بن الحكم يكنى أبا عبد الملك محمد بن طلحة بن عبيد الله يكنى أبا سليمان بابنه سليمان .

عبد الله بن عتبة بن مسعود ، يكنى أبا عبد الرحمن .

محمد بن الأشعث بن قيس ، يكنى أبا القاسم .

عُمارة بن خزيمة بن ثابت ، يكنى أبا محمد .

محمد بن أبىّ بن كعب ، يكنى أبا معاذ .

سعيد بن المسيّب أبو محمد .

المهلَّب بن أبى صُفرة ، يكنى أبا سعيد .

زُرَارة بن أوفى الحَرَشى يكنى أبا حاجب .

يزيد بن عبد الله بن الشِّخِّير ، يكنى أبا العلاء .

جارية بن قُدامة السعدى سعد تميم ، يكنى أبا أيوب .

الحسن بن أبى الحسن البصرى واسم أبى الحسن يسار ، يكنى أبا سعيد .

جابر بن زيد أَبو الشعثاء الأزدى .

عقبة بن عبد الغافر ، يكنى أبا نَهار الأزدىّ .

قتادة بن دِعامة السدوسى ، يكنى أبا الخطاب .

ثابت البُنَانى ، يكنى أبا محمد ، وهو ثابت بن أسلم .

كعب بن ماتع وهو كعب الأحبار ، يكنى أبا إسحاق من حمير .

عطاء بن يَسَار مولى ميمونة زوج النبى صلى الله عليه وسلم يكنى أبا محمد .

قَبيصة بن ذؤيب يكنى أبا إسحاق ، وقيل ابو سعيد .

عروة بن الزبير يكنى أبا عبد الله .

وأخوه لأبيه وأمه المنذر بن الزبير يكنى أبا عثمان .

مُصْعب بن الزبير يكنى أبا عبد الله .

محمد بن جُبير بن مُطعِم يكنى أبا سعيد .

عبد الملك بن مروان يكنى أبا الوليد .

عبد العزيز بن مروان يكنى أبا الأصبغ .

إياس بن سلمة بن الأكوع يكنى أبا سلمة .

رفاعة بن رافع بن خَدِيج يكنى أبا خديج .

عبد الرحمن بن أبى سعيد الخدْرى قال الواقدى يكنى أبا محمد ، وقال عبد الله ابن محمد بن عمارة : يكنى أبا حفص .

حمزة بن أبى أُسَيد الساعدىّ يكنى أبا مالك

المنذر بن أبى أُسيْد الساعدى يكنى أبا سعيد .

سعيد بن يَسار أبو الحُباب مولى الحسن بن على عليه السلام .

سلمان الأغر أبو عبد الله .

عكرمة مولى ابن عباس يكنى أبا عبد الله .

شعبة مولى عبد الله بن عباس يكنى أبا عبد الله .

مِقسَم مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، وينسب ولاؤه إلى ابن عباس للزومه كان إياه ، يكنى أبا القاسم .

ونَبْهان مولى أم سلمة ، يكنى أبا يحيى .

وناعم بن أجَيْل مولى أم سلمة ، يكنى أبا قدامة .

وسُوَيد بن غَفَلة أبو أمية .

وعبد الرحمن بن أبى ليلى ، يكنى أبا عيسى .

وزِرُّ بن حُبيش يكنى أبا مريم .
وشُرَيح القاضي ، وهو شريح بن الحارث بن قيس د يكنى أبا أمية .
والربيع بن خُثَيم أبو يزيد .
وصِلة بن زُفَر العبدى أبو العلاء .
وشَبَث بن رِبْعى ، يكنى أبا عبد القدوس .
وعبد خير بن يزيد الخيْوانى ، يكنى أبا عمارة .
وعطاء بن أبي رَباح يكنَى أبا محمد .
ورجاء بن حيْوَة ، يكنى أبا نصر .
وميمون بن مِهران ، يكنى أبا أيوب .
ومِشْرح بن عاهان أبو مصعب .
ووهب بن منبِّه ، يكنى أبا عبد الله .
وأخوه همّام بن منبّه يكنى أبا عتبة .
ومَعقِل بن منبّه أخوهما ، يكنى أبا عقيل .
وعليّ بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، يكنى أبا محمد بابنه محمد .
والحسن بن محمد بن الحنفيّة يكنى أبا محمد .
ونافع مولى ابن عمر ، يكنى أبا عبد الله .
والضحاك بن مُزَاحم ، يكنى أبا القاسم .
ونوْف البِكالى نوف بن فَضالة ، يكنى أبا يزيد ، وقيل : أبا الرشيد .
وسعيد بن أبي عَرُوبة ، يكنى أبا النضر ، واسم أبي عروبة مهران .
وإسماعيل بن إبراهيم بن عُلَيَّة ، يكنى أبا بشر .
والمعْتمر بن سليمان التيمى ، يكنى أبا محمد .
ومعاذ بن معاذ ، يكنى أبا المثنَّى .
وهَوْذَة بن خليفة ، يكنى أبا الأشهب .
وعبّاد بن صُهَيب الكليبي يكنى أبا بكر .
ومسدَّد بن مُسرْهَد يكنى أبا الحسن .
وعمرو بن مرة أبو عبد الله .

وعمرو بن دينار أبو محمد الأثرم مولى باذام ، أو باذان عامل كسرى على اليمن .

وسليمان بن أرقم أبو معاذ .

ويزيد بن أبي زياد يكنى أبا عبد الله .

أبو إسحاق السَّبِيعىّ فى قول يحيى هو عمرو ، وأبوه أبو عمرو .

والمعرور بن سُويد أبو أمية .

وقيس بن أبى حازم أبو عبد الله .

وسيّار بن أبي سيّار الذى روى عن قيس بن أبي حازم ، يكنى أبا حمزة .

وعبيد الله بن الأخنس يكنى أبا مالك .

وحبيب بن أبي ثابت يكنى أبا يحيى .

ويزيد بن كيسان أبو منير .

وجبلة بن سُحَيم أبو سُوَيْرَة .

وإسماعيل بن أبى خالد أبو عبد الله .

ويزيد الفقير أبو عثمان .

والوليد بن مسلم الذى حدّث عنه خالد الحذاء أبو بِشر .

وداود بن أبى هند أبو بكر .

وجعفر بن ميمون أبو العوّام .

عاصم الجحْدَرى أبو المجشِّر .

وإياس بن معاوية أبو واثلة .

وأبو القَمُوص زيد بن على .

وعمرو بن شعيب ، يكنى أبا إبراهيم .

وعطاء بن السائب ، يكنى أبا زيد .

وهارون بن عنترة أبو عمرو .

ومسعر أبو سلمة .

والأسود بن قيس أبو قيس .

وحفص بن غِياث أبو عمر .

وعمران بن عُيَينة أبو محمد .

والنضر بن أبي مريم أبو لبيد كوفيّ وأبوه أبو مريم اسمه طهمان .
وعُبيد بن نُضيلة أبو معاوية .
وداود بن أبي هند يكنى أبا بكر واسم أبيه أبي هند ، دينار .
وعاصم بن سليمان الأحول يكنى أبا عبد الرحمن مولى لبنى تميم .
والنهّاس بن قَهْم يكنى أبا الخطاب .
وحيْوَة بن شريح يكنى أبا يزيد التُّجيبيّ .
وثور بن يزيد يكنى أبا خالد .
والليث بن سعد يكنى أبا الحارث .
ورِشْدِين بن سعد ، يكنى أبا الحجاج .
وعيسى بن يونس بن أبي إسحاق السَّبيعيّ ، يكنى أبا عمرو .
ومحمد بن يوسف الفِريابيّ ، يكنى أبا عبد الله .
وآدم بن أبي إياس ، يكنى أبا الحسن .
وعبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي روّاد ، يكنى أبا عبد الحميد .
وسفيان بن عيينة يكنى أبا محمد .
والفُضَيل بن عِياض ، يكنى أبا عليّ .
وعبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة ، يكنى أبا جعفر .
وحسين بن زيد بن عليّ بن حسين بن عليّ بن أبي طالب ، يكنى أبا عبد الله .
وهلال بن خبّاب ، يكنى أبا العلاء .
والحسن بن قتيبة أبو عليّ .
وعبّاد بن المهلّبي، يكنى أبا معاوية .
وفَرَج بن فضالة ، يكنى أبا فضالة .
وإسماعيل بن جعفر بن أبي كثير المدني ، يكنى أبا إبراهيم .
ومحمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة ، يكنى أبا عبد الله .
وعليّ بن الجعد يكنى أبا الحسن .
وسريج بن النعمان صاحب اللؤلؤ ، يكنى أبا الحسين .
وبشر بن الحارث العابد ، يكنى أبا نصر .

والهيثم بن خارجة ، يكنى أبا أحمد .
ويحيي بن يوسف الزّميّ، يكنى أبا زكرياء .
وخلف بن هشام يكنى أبا محمد .
وسليمان بن مِهْران الأعمش، يكنى أبا محمد .
وإسماعيل بن أبي خالد ، يكنى أبا عبد الله .
ومجالد بن سعيد ، يكنى أبا عثمان ؛
وليث بن أبي سليم ، يكنى أبا بكر .

ذكر كُنى مَنْ شُهِر بالاسم من الخالفين دون الكنية

منهم عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم ، يكنى أبا حفص .
حمزة بن عبد الله بن الزبير ، يكنى أبا عمارة بابنه عمارة .
عامر بن عبد الله بن الزبير ، يكنى أبا الحارث .
محمد بن كعب القرظي ، يكنى أبا حمزة .
يعقوب بن أبي سلمة مولى آل المنكدر من تيم بن مرة يكنى أبا يوسف وهو الماجشون وبه سمي أخوه وولده الماجشون ، واسم أبي سلمة أبيه دينار .
ومحمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب ، يكنى أبا بكر .
وأخوه عبد الله بن مسلم ، يكنى أبا محمد .
ومحمد بن المنكدر ، يكنى أبا عبد الله .
وإسماعيل بن عمرو بن سعيد بن العاص ، يكنى أبا محمد .
وعبد الله بن عروة بن الزبير بن العوام ، يكنى أبا بكر .
ويحيي بن عروة بن الزبير ، يكنى أبا عروة .
وهشام بن عروة بن الزبير ، يكنى أبا المنذر .
وعبد الله بن حسن بن حسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، يكنى أبا محمد .
وعبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب ، يكنى أبا محمد .
وعباية بن رفاعة بن رافع بن خديج ، يكنى أبا رفاعة .

وبكير بن عبد الله بن الأشجّ مولى المسور بن مخرمة، يكنى أبا عبد الله .

وأخوه يعقوب بن عبد الله بن الأشجّ، يكنى أبا يوسف .

ووهب بن كيسان، يكنى أبا نعيم مولى عبد الله بن الزبير .

وزيد بن أسلم يكنى أبا أسامة .

وأخوه خالد بن أسلم، يكني أباثور .

وداود بن الحصين مولى عمرو بن عثمان بن عفان يكنى أبا سليمان .

وربيعة بن أبي عبد الرحمن واسم أبيه أبي عبد الرحمن فرّوخ وكنية ربيعة أبو عثمان .

وصفوان بن سليم، يكنى أبا عبد الله .

وصالح بن كيسان، يكنى أبا محمد .

ومحمد بن أبي حرملة يكنى أبا عبد الله مولى لبني عامر بن لؤى .

ويحيي بن سعيد الأنصارى، يكني أبا يزيد .

وموسى بن عقبة يكنى أبا محمد .

وأسيد بن أبي أسيد مولى أبي قتادة الأنصارى، ويكنى أبا إبراهيم .

وصالح بن محمد بن زائدة الليثى من أنفسهم، يكنى أبا واقد .

وعبد الرحمن بن حرملة الأسلمي، يكنى أبا حرملة .

وإسحاق بن عبد الله بن أبي فروة يكنى أبا سليمان وقيل إنّ أبا فروة هذا اسمه أسود بن عمرو ، وأخوه عبد الحكيم بن عبد الله بن أبي فروة يكنى أبا عبد الله .

وعمرو بن أبي عمرو مولى المطلب بن عبد الله بن حنطَب المخزومى ، يكنى أبا عثمان ، واسم أبيه أبي عمرو ميسرة .

والمهاجر بن يزيد مولى أبي ذئب العامرى، يكنى أبا عبد الله .

وبكير بن مسمار يكنى أبا محمد .

وعبد الله يزيد بن قنطش الهُذَلي يكنى أبا يزيد ، روى عن أنس بن مالك وابن المسيّب

آخر المختارات من كتاب ذيل المذيل والحمد لله رب العالمين

وصلواته على رسوله سيدنا محمد وآله



الفهرس

الصفحة

الصفحة

الوليد بن الوليد بن المغيرة
ابن أم مكتوم
أبو ذر جندب بن جنادة
بريدة بن الحصيب
دحية بن خليفة بن فردة
أوس بن قيظى
عثمان بن حنيف
حسان بن ثابت
نوفل بن معاوية بن صخر
عرابة بن قيظىّ بن عمرو
عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب
معبد بن العباس
كثير بن العباس
عبد الله بن زمعة
عامر بن كريز بن ربيعة
أبو هاشم بن عقبة بن ربيعة
قيس بن مخرمة بن المطلب
جهيم بن الصلت بن مخرمة
عبد الله بن قيس بن مخرمة
ركانة بن عبد يزيد
أبو ثبقة عبد الله بن علقمة
الأسود بن أبى البخترى
هبار بن الأسود
هند بن أبى هالة
المهاجر بن أبى أمية
صفوان بن أمية بن خلف
عبد الله بن سعد بن أبى سرح
الأقرع بن حابس
صعصعة بن صوحان

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة



مراجع التحقيق

أسد الغابة فى أسماء الصحابة لابن الأثير ، المطبعة الوهبية ١٢٨٦ هـ .
الأغانى لأبى الفرج الأصبهانى ، مطبعة التقدم ١٣٢٣ هـ ومطبعة دار الكتب
البداية والنهاية لابن كثير ، القاهرة ١٣٥٨ هـ
تاريخ ابن الأثير ، القاهرة سنة ١٣٤٨ هـ
تاريخ بغداد للخطيب ، مطبعة السعادة سنة ١٩٣١ م
تاريخ الطبرى ، طبعة دار المعارف
تاريخ أبى الفدا ، القاهرة ١٩٢٥ م
تجارب الأمم لابن مسكويه ، مطبعة التمدن سنة ١٩٤٤ م
تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء ، مطبعة عيسى الحلبى ١٩٥٨ م
الحيوان للجاحظ ، مطبعة مصطفى الحلبى ١٣٥٧ هـ
ابن خلكان ، المطبعة الميمنية سنة ١٣١٠ هـ
ديوان الحلاج ، باريس ١٩٣٦ م
ديوان أبى فراس الحمدانى ، بيروت سنة ١٩٤٥ م
ديوان السرىّ الرفاء ، نشرة القدسى ١٣٥٥ هـ
ديوان المتنبى ، مطبعة مصطفى الحلبى ١٩٣٦ م
الفخرى فى الآداب السلطانية ، القاهرة ١٣٤٥ هـ
الكامل للمبرد ، مطبعة نهضة مصر ١٩٥٦ م
كشف الظنون ، إستانبول سنة ١٩٤١ م
معجم البلدان لياقوت ، مطبعة السعادة ١٣٢٣ هـ
المعرّب للجواليقى ، مطبعة دار الكتب .
المنتظم لابن الجوزى ، طبع الهند ١٣٥٧ هـ
النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ، طبع دار الكتب .
الوزراء للجهشيارى ، مطبعة مصطفى الحلبى
يتيمة الدهر للثعالبى ، مطبعة الصاوى ١٩٤٣ م .

رقم الإيداع	١٩٩٠ / ٣٥٨٦	
الترقيم الدولى	977 - 02 - 2938 - 5	ISBN

١ / ٩٠ / ٤١

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)











